تفسیر مبسوط

جلد اول

تفسیر سورة آل عمران، سورة النساء و سورة المائدة
و بحث قصير حول نظرية التطور

تحقیق

جواد فاضل بخشایشی

همایش بزرگداشت آیة الله علی مشکینی (ره)

مجموعه آثار آیة الله علی مشکینی (ره) (۱۳۰۰-۱۳۸۶ ش)
۹

بسم الله الرحمن الرحيم

سرشناسه : مشکینی اردبیلی، علی، ۱۳۰۰ - ۱۳۸۶.
عنوان و نام پدید آور : تفسیر مبسوط / علیّ المشکینی، تحقیق جوادفاضل البخشایشی.
مشخصات نشر : قم : موسسه دارالحدیث العلمیه والثقافیه، مرکز للطباعه والنشر، ۱۴۳۴ ق. = ۱۳۹۲.
مشخصات ظاهری : ج.
فروست : مجموعه آثار آیةالله علیّ المشکینی قدّس سّره؛ ۹
ISBN(set): 978 - 964 - 493 - 706 - 4
ISBN: 978 - 964 - 493 - 707 - 1
وضعیت فهرست نویسی : فیپا
یادداشت : عربی .
مندرجات : ج.۱. تفسیر سورة آل عمران، سورة النساء، سورة المائدة وبحث قصیر حول نظریه تطوّر
موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴
شناسه افزوده : فاضل بخشایشی، جواد، ۱۳۴۵
شناسه افزوده : موسسه علمی فرهنگی - دارالحدیث. سازمان چاپ ونشر
رده بندی کنگره : ۱۳۹۲ ۷ت۵م/۹۸ BP
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۹
شماره کتابشناسی ملی : ۳۲۷۳۵۸۲

مجموعة آثار آية الله علي المشكيني ﷺ - ٩

تفسير مبسوط

تفسير سورة آل عمران، سورة النساء وسورة المائدة

وبحث قصير حول نظرية التطور

المجلد الأول

تحقيق

جواد فاضل البخشايشي

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net < رابط بديل

المؤتمر العام لذكرى آية الله علي المشكيني

تفسير مبسوط / ج ١

(تفسير سورة آل عمران، سورة النساء و سورة المائدة و بحث قصير حول نظرية التطوّر)

آية الله عليّ المشكيني ﭬ

تحقيق : جواد فاضل البخشايشي

المراجعة النهائية : محمّدحسين الدرايتي

مقابلة النصّ : مهدي الجوهرجي

إخراج الفنّي : محمّدكريم الصالحي

الناشر : دارالحديث للطباعة والنشر

الطبعة : الاولى ، ١٤٣٤ ق / ١٣٩٢ ش

المطبعة : دارالحديث

الكمية : ١٠٠٠

الثمن : ٢٥٠٠٠ تومان

ايران: قم المقدسة ، شارع معلّم ، الرقم ، ١٢٥ هاتف : ٣٧٧٤٠٥٤٥ ـ ٣٧٧٤٠٥٢٣ - ٠٢٥

http://darolhadith.ir

darolhadith.20@gmail.com

ISBN(set): 978 - 964 - 493 - 706 - 4

ISBN: 978 - 964 - 493 - 707 - 1

* جميع الحقوق محفوظة للناشر *

المقدّمة

لاريب أنّ من أبرز ميّزات المجتمع البشري الذي يستهدف الكمال و يتمتّع بالحياة و النشاط و الفاعليّة القيامُ بتخليد ذكرى شخصيّاته اللّامعة في الجانبين العلمي و السلوكي؛ انطلاقاً من اعتزازه بها، و تأكيداً منه على السير في طريقها الوضّاء و انتهاج نهجها القويم.

و يُعدّ مؤلّفنا الفقيد الراحل آية الله المشكيني أحد تلك الشخصيّات التي قرنت العلم بالعمل، و مزجت الزهد و بساطة العيش بالجهاد و النشاط الاجتماعي، و قد اشتملت حياته على جوانب متنوّعة و جديرة بأن تنال ما تستحقّه من الدراسة و التحليل؛ بغية انتهال الأجيال القادمة من منهله العذب.

و من أهمّ تلك الجوانب ما يلي:

١. الجانب الخُلقي و السلوكي المتمثّل في سجاياه الفريدة.

٢. الجانب التربوي و التعليمي المتجسّد في إلقاء الدروس و إعداد العلماء.

٣. الجانب العلمي المتمثّل بالبحث و التأليف.

٤. الجانب العملي الذي نجده واضحاً من خلال نشاطاته الاجتماعيّة و السياسية.

و قد خلّف فقيدنا الراحل مجموعة كبيرة من الكتب و المؤلّفات، و حشداً هائلاً من الدروس و المحاضرات في مختلف المجالات، عسىٰ أن تجد طريقها إلى النور، فتُثري المكتبة الفكريّة، و تقتطف من ثمارها الأوساط العلميّة، و تستروي من معينها الصافي النفوس الظامئة من عامّة الناس.

و بمعونة الله ـ جَلّ و عَلا ـ و قدرته تصدّى جمع من مريدي فقيدنا الراحل إلى إعداد هذه

المجموعة ـ بحدود إمكان الوصول إليها ـ التي سَتُنشر بمناسبة عقد مؤتمر موسّع لتكريمه و تخليد ذكراه رحمه الله.

نسأل الباري تعالى أن يتغمّد فقيدنا الراحل وفقيهنا المجاهد بواسع رحمته، و يحشره مع صالح أوليائه، إنّه قريب مجيب.

محمّد المحمّديّ الريشهري

كلمة الأمين العلمي العامّ للمؤتمر

أوّلاً: نظرة إجمالية في حياة آية الله المشكيني

ولد فقيدنا الراحل الميرزا عليّ أكبر فيض المعروف بالمشكيني في شهر «آذر» من الأشهر الشمسيّة من عام ١٣٠٠ ش المصادف لشهر ربيع الثاني من عام ١٣٤٠ هجري قمري. وكان مولده في قرية «آلنى» إحدى قرى مدينة «مشكين» الواقعة في محافظة أردبيل. و توفّي في الشهر الخامس من عام ١٣٨٦ هـ. ش، المصادف للخامس عشر من شهر رجب عام ١٤٢٨هـ. ق.

بدأ المراحل الأولى من دراسته في النجف الأشرف، حينما كان والده يدرّس العلوم الدينيّة في تلك الحوزة المقدّسة، و بعد العودة إلى مسقط رأسه واصل دراسة العلوم الدينيّة على يد والده، و بعد وفاة الوالد توجّه إلى الحوزة العلميّة في أردبيل لمواصلة دراسته، و استمرّ فيها لعدّة أشهر، بيد أنّه ما لبث أن قصد مدينة قُمّ المقدّسة لمواصلة الدراسة فيها، و حضر هناك دروس السيّد محمّد حجّت كوه‌كمري، و المحقّق الداماد، و السيّد البروجردي، و الإمام الخميني. و في هذه الفترة من حياته هاجر لمدّة قصيرة إلى النجف الأشرف، و أقام هناك مدّة تناهز سبعة أشهر، درس فيها على يد كبار الأساتذة؛ ولكنّه اضطرّ إلى العودة إلى بلده بسبب حرارة جوّ النجف، و ضعف قواه البدنيّة.

كان أحد أبرز الأساتذة في الحوزة العلميّة في قمّ المقدّسة، و كانت دروسه في المقدّمات و السطوح العليا، و دروسه كذلك في التفسير و الأخلاق، و درس الخارج في الفقه، موضع اهتمام و إقبال كبير. و تربّي على يده عدد كبير من الفضلاء و العلماء.

كانت حياته ذات جوانب متنوّعة، فهو من جهة كان من كبار المدرّسين في الحوزات

العلميّة، و من جهة أُخرى كان محقّقاً و كاتباً دؤوباً و صاحب تأليفات كثيرة، و من جهة ثالثة كان يولي اهتماماً خاصّاً بالنشاطات الاجتماعيّة و السياسيّة و الثقافيّة؛ سواء قبل انتصار الثورة الإسلاميّة، أم بعدها.

و يمكن تلخيص الجهود الفكريّة و العمليّة لآية الله المشكيني‌ؒ في ما يلي:

أ. تراثه المكتوب

طُبع من تراثه المكتوب أيّام حياته‌ؒ خمسة و عشرون كتاباً،* في حين لم تنل يد الطباعة

---

* و الكتب التي طبعت عبارة عمّا يلي:

١. ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية، مجلّد واحد.
٢. التفسير المبسوط (تفسير سورة آل عمران).
٣. تفسير سورة «ص».
٤. التطوّر في القرآن (مع ترجمته باللغة الفارسيّة بعنوان «تكامل در قرآن»).
٥. المواعظ العدديّة (و قد اشتمل على ترجمة باللغة الفارسيّة بعنوان «نصايح يا سخنان چهارده معصوم»).
٦. قصار الجُمَل (أحاديث قصيرة تحت عناوين موضوعية، مجلّدان).
٧. مفتاح الجنان (كتاب دعاء استكمالاً لكتاب المصباح المنير).
٨. الهادي إلى موضوعات نهج البلاغة.
٩. مسلكنا في العقائد والأخلاق والعمل.
١٠. دروس في الأخلاق (دورة أخلاق باللغة العربية).
١١. الزواج في الإسلام (باللغتين الفارسية و العربيّة).
١٢. اصطلاحات الأُصول.
١٣. تحرير «المعالم».
١٤. الرسائل الجديدة.
١٥. مصطلحات الفقه.
١٦. الفقه المأثور (دورة فقه بأُسلوب حديث).
١٧. واجب و حرام (دورة فقه باللغة الفارسيّة).
١٨. تقليد چيست؟ (فارسي).
١٩. رسالة في الخُمس.
٢٠. امر به معروف و نهى از منكر (فارسي).

بعض مؤلّفاته إلى أن وافاه الأجل رحمه الله تعالى.

ب. التدريس

لم يترك فقيدنا الراحل التدريس قطّ طيلة حياته العلميّة، و هو يُعدّ من الأساتذة البارزين في الحوزات العلميّة، و من أصحاب البيان الحسن. و كان يدرّس المقدّمات و السطوح و الخارج. و مضافاً إلى ذلك كلّه، كان يلقي دروساً أُسبوعيّة في تفسير القرآن و في الأخلاق.

ج. نشاطاته الاجتماعيّة و السياسيّة

لم تخفَ على أحد النشاطات السياسيّة التي مارسها الفقيد آية الله المشكيني قبل انتصار الثورة الإسلاميّة، و هكذا مواكبته لحركة الإمام الخميني ﷺ بعد انتصار الثورة و تأسيس الجمهوريّة الإسلاميّة، بل كان من أبرز أنصار الإمام الخميني ﷺ. و من أهمّ المحاور في نشاطه السياسي ما يلي:

١. توقيع الرسالة المعروفة بإعلان مرجعيّة الإمام الخميني.
٢. هجرته الإجباريّة إلى مدينة مشهد.
٣. إبعاده إلى مدينة كرمان.
٤. إبعاده إلى مدينة گلپايگان.
٥. إبعاده إلى مدينة كاشمر.

د. نشاطاته الثقافيّة

كان فقيدنا الراحل يولي اهتماماً خاصّاً بالعمل الثقافي أيضاً إلى جانب نشاطاته الاجتماعيّة و السياسيّة، و من أبرز معالم هذا الاهتمام:

١. تأسيس مؤسّسة «الهادي» لطباعة و نشر الكتب الإسلاميّة المفيدة.
٢. إنشاء مدرسة «الهادي» العلميّة لتربية طلبة العلوم الدينيّة.

---

٢١. حاشيه توضيحى بر كتاب مضاربه العروة الوثقى (حاشية توضيحية على كتاب المضاربة من العروة الوثقى).

٢٢. المنافع العامّة (شرح كتاب إحياء الموات من كتاب شرائع الإسلام).

٢٣. زمين و آنچه در آن است (الأرض وما فيها).

٢٤. قضا و شهادات.

٢٥. كشكول حكمت.

٣. التصدّي لبناء مستشفى «الهادي» لمعالجة المرضى من ذوي الدخل المحدود.

هـ. مسؤوليّاته و المناصب التي تولّاها في الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران

١. عضو جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة في قمّ المقدّسة، ثمّ رئيسه.

٢. عضو مجلس خبراء صيانة الدستور.

٣. مسؤول اختيار و تعيين القُضاة، بحكم صادر من الإمام الخميني ﷺ.

٤. إمام جمعة قمّ المقدّسة، وفقاً للحكم الصادر من الإمام الخميني ﷺ، والسيّد القائد الخامنئي حفظه الله.

٥. عضو لجنة مراجعة الدستور، ثمّ رئيسه.

٦. عضو مجلس خبراء القيادة، ثمّ رئيسه.

ثانياً: أعمال المؤتمر العلميّة

و انطلاقاً من الحرص على تقدير جهود هذا الرجل الربّاني و تخليداً لذكراه، و كذلك رغبة في توفير الأجواء لإيجاد مزيد من الاطّلاع لدى الأوساط العلميّة و عموم الناس على حياته و أفكاره و آثاره، تُبذل حالياً جهود حثيثة لنشر تراثه العلمي و العملي، ضمن أربعة مجالات تتلخّص فيما يلي:

أ. مجموعة آثاره

لقد تمّ تصحيح و تحقيق جميع آثاره المطبوعة و المخطوطة، و طبعت هذه المجموعة في خمسين مجلّداً، و هي عبارة عمّا يلي:

١. ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الفارسيّة — مجلّد واحد

٢. تفسير روان (فارسي) — ٨ مجلّدات

٣. تفسير مبسوط، و قد اشتمل المجلّد الأوّل منه على تفسير سورة آل عمران و سورة النساء و سورة المائدة، مع بحث التكامل في القرآن (باللغة العربيّة). و اشتمل المجلّد الثاني على سورة الفاتحة و سورة البقرة و سورة لقمان و سورة صّ (باللغة الفارسيّة) — مجلّدان

٤. رسائل قرآنيّة (باللغتين الفارسيّة و العربيّة) — مجلّدان

٥. المواعظ العدديّة ٣ مجلّدات

٦. قصار الجُمَل مجلّدان

٧. مفتاح الجنان مجلّد واحد

٨. الهادي إلى موضوعات نهج البلاغة مجلّد واحد

٩. مسلكنا في العقائد و الأخلاق و العمل مجلّد واحد

١٠. دروس في الأخلاق مجلّد واحد

١١. ازدواج در اسلام (فارسي و عربي) مجلّد واحد

١٢. الأُصول، مشتملاً على «اصطلاحات الأُصول» و «تحرير المعالم» مجلد واحد

١٣. الرسائل الجديدة مجلّد واحد

١٤. مصطلحات الفقه مجلّد واحد

١٥. الفقه المأثور مجلّد واحد

١٦. التعليقة الاستدلاليّة على «شرائع الإسلام» ٣ مجلّدات

١٧. التعليقة الاستدلاليّة على «العروة الوثقى» ٣ مجلّدات

١٨. تحرير «تحرير الوسيلة» مجلّد واحد

١٩. التعليقة الاستدلالية على «تحرير الوسيلة» ١٠ مجلّدات

٢٠. نوشتارهای فقهی (كتاب «واجب و حرام»، «تقليد چيست؟»، «امر به معروف و نهی از منكر»، «بحثی پيرامون خمس»، «كتاب قضا و شهادات» و «زمين و آنچه در آن است») باللغة الفارسيّة مجلّد واحد

٢١. رسائل فقهی و اُصولی (فارسي و عربي) مجلّدان

٢٢. كشكول حكمت (فارسي) مجلّد واحد

٢٣. المقالات المتفرّقة و المقدّمات لبعض الكتب و التقاريض و الرسائل مجلّدان

ب. خطبه و أقواله

١. الدروس التفسيريّة

٢. الدروس الأخلاقيّة

٣. الدروس الفقهيّة

٤. خطب صلاة الجمعة

٥. الخطب.

ج. تخليد ذكراه

١. حياة آية الله المشكيني و نضاله (بالتعاون مع مركز أسناد الثورة الإسلاميّة)

٢. آية الله المشكيني بنظر الآخرين

٣. آية الله المشكيني في أسناد جهاز الأمن (الساواك)

٤. آية الله المشكيني في مجلس الخبراء

٥. آية الله المشكيني في جامعة المدرّسين

٦. مجموعة مقالات مؤتمر تكريم آية الله المشكيني.

د. برنامج أُخرى

١. نشر مجلّة مختصّة بالمؤتمر

٢. إنتاج أقراص (سيدي) تضمّ مجموعة آثار المؤتمر

٣. افتتاح موقع انترنيت مختصّ بمؤسّسة آية الله المشكيني.

ثالثاً: حول مجموعة مؤلّفاته

إنّ ما عرض بعنوان مجموعة آثار آية الله المشكيني هو عبارة عمّا كتبه‌ﷺ و ما طبع له من كتب و ما لم يطبع، حيث تمّ الوصول إليها بعد بحث طويل في منزله و مراجعة المجلّات و الكتب التي تمكّنا من الوصول إليها و مطالعتها.

ثمّ إنّ ما قامت به اللجنة العلميّة بالنسبة إلى مجموعة مؤلّفاته ينحصر في الأُمور التالية:

١. التنظيم الموضوعي لتلك الآثار

٢. وضع علامات الترقيم المناسبة و من دون إثقال المتن بكثرتها

٣. استخراج المصادر المنقولة

٤. إظهار علامات الإعراب على بعض النصوص العربيّة

٥. اصلاح و تكميل العناوين

٦. إعداد الفهارس الفنّيّة.

و ينبغي الالتفات إلى أنّ المؤلّفات التي لم تطبع سابقاً قد تناولتها يد التصحيح و التحقيق بما يلائمها علميّاً و بما يقتضي تصحيحها و إصلاحها.

رابعاً: شكر و تقدير

و في الختام يجب أن تقدّر الجهود العلميّة لجميع الإخوه الذين ساهموا في أداء هذا المشروع العظيم:

١. ففي البداية نتقدّم بالشكر و الامتنان لجميع المحقّقين و المفكّرين الذين كانت لهم مساهمة كبيرة في تصحيح هذه المجموعة و تحقيقها، و تهيئة المقالات في هذا المجال.

٢. كما ينبغي أن نشكر المتصدّين لسكرتاوية المؤتمر، و الذين تحمّلوا عبئ المسؤوليّة التقبّل لأداء هذه المهمّة باهتمام يليق بالتحسين و الثناء عليهم.

٣. كما أنّ الشكر موصول إلى بيت آية الله المشكيني و مسؤولي مؤسّسة «الهادي» الذين قاموا بتهيئة النسخ المطبوعة و النسخ الخطّية لآثاره، و تكفّلوا جميع احتياجات المؤتمر بخلوص و من دون إحساس بالضجر أو الكسل أو المِنّة.

٤. و هكذا ينبغي أن نشكر جميع المراكز و المؤسّسات العلميّة و الثقافيّة و التفنيذيّة في البلاد، خصوصاً المتواجدة في مدينتي قمّ و أردبيل.

٥. و في الختام شكرنا موصول إلى أعضاء الهيئة العلميّة الذين وقع على عاتقهم التخطيط لهذا المؤتمر، و هم كلّ من:

١. آية الله رضا الأُستادي
٢. آية الله محمّد المحمّدي الرّيشهري
٣. آية الله سيّد عليّ الحائري
٤. حجّة الإسلام و المسلمين محمّدعلي مهدوي‌راد
٥. حجّة الإسلام و المسلمين سيّد حسن العاملي
٦. حجّة الإسلام و المسلمين سيّد مرتضى قافله‌باشي
٧. حجّة الإسلام و المسلمين عليّ عبد اللّهي
٨. حجّة الإسلام و المسلمين عادل المولايي.

مهدي المهريزي
الأمين العلميّ العامّ للمؤتمر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، و الصلاة و السلام على سيّدنا محمّد و آله الطاهرين.

مقدّمة التحقيق

إنّ القرآن هو أحد الثقلين الذين تركهما النبيّ الأعظم صلى الله عليه و آله بين الأمّة الإسلاميّة، و أوصى بالتمسّك بهما، و جعل التمسّك بهما ضامناً لهداية الأمّة و سعادتها، و الإعراض عنهما مساوياً للضلالة و الشقاوة، و ذكر أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليه الحوض.[1]

و ثانيهما العترة عليهم السلام الذين هم حملة القرآن و المبيّنون و المفسّرون له.

فالقرآن هو المنبع الوحيد للارتباط بربّ العالمين و الكاشف عن مراده تعالى، و هو الكلام الوحيد الذي كلّم تعالى به البشر، و هو المتضمّن لنواميس و أحكام و حِكَم توصل البشر إلى السعادة العظمى و الدرجات العلى و الغاية القصوى، و هي التقرّب إلى الله تعالى فالق الحبّ و النوى و أنيس البشر في الظُلم و الدُجى؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾.[2]

و عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إِنَّ اللّٰهَ ـ تَبارَكَ وَ تَعالى ـ أَنْزَلَ فِي الْقُرْآنِ تِبْيَاناً كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى وَ اللهِ مَا تَرَكَ اللهُ شَيْئاً يَحْتَاجُ إِلَيْهِ العِبَادُ حَتَّى لا يَسْتَطِيعَ عَبْدٌ يَقُولُ: لَوْ كَانَ هَذَا أُنْزِلَ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا وَقَدْ أَنْزَلَهُ اللهُ فِيهِ».[3]

و قد بان أنّ علم التفسير هو أشرف العلوم و أفضلها، و أنّ أوّل مفسّر للكتاب الله تعالى هو الله عزّ و جلّ نفسه؛ لأنّه تعالى قال في كتابه الكريم: ﴿وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾،[4] و

---

١. إشارة إلى حديث الثقلين المرويّ بألفاظ شتّى. راجع: مسند أحمد، ج ٣، ص ١٤ و ١٧ و ٢٦؛ سنن النسائي، ج ٥، ص ٤٥، ح ٨١٤٨؛ الكافي، ج ٣، ص ٤٢٣، ح ٦؛ الأمالي للشيخ الطوسي رحمه الله، ص ١٦٢، ح ٢٦٨، و ص ٢٢٥، ح ٤٦٠، و ص ٥٤٨، ح ١١٦٨.

٢. الإسراء (١٧): ٩.

٣. الكافي، ج ١، ص ٥٩، ح ١.

٤. النحل (١٦): ٨٩.

القرآن الكريم نفسه شيء من الأشياء، و بعده تعالى رسول الله ﷺ و أهل بيته الطاهرين ﷺ.

ثمّ تبعهم العلما، واحداً بعد واحد، فسابقوا في هذا المضمار و ألّفوا طيلة القرون و الأعصار مسفورات ثمينة و تأليفات قيّمة، إلى أن وصلت النوبة إلى العَلَم العلّامة و البحّاثة الفهّامة، آية الله الشيخ عليّ المشكيني ﷺ، فرشح من قلمه الشريف رشحات ثلاث:

الأُولى: تفسير كامل لكلّ القرآن الكريم بالفارسيّة المسمّاه بـ«تفسير روان جاويد».

الثانية: تفاسير متفرّقة لبعض السور و الآيات بالفارسيّة أيضاً.

الثالثة: تفاسير متفرّقة أيضاً لها بالعربيّة، و منها هذه المجموعة الرشيفة التي بين يدي القارئ المحترم.

حول المجموعة

هذه المجموعة محتوية لمسفورات ثلاث:

الأُولى: التفسير المسمّاة بـ«المبسوط»، و هو تفسير للآي ٢٩ ـ ٩٧ من سورة آل عمران (٣). فسّر المؤلّف ﷺ الآيات بأن بيّن أوّلاً مفردات الآية إن احتيج إلى ذلك، ثمّ بيّن المباحث النحويّة و الصرفيّة عند اللزوم، ثمّ يفسّر الآية و يستعين فيه من الآيات و السنّة النبويّة و الولويّة، و في بعض الأحيان ينقل أقوالاً من المفسّرين، و يبحث حولها بحوثاً تامّة.

و المهمّة التي ينبغي إلفات النظر إليها هي أنّ المصنّف العلّامة طرح فيها مباحث هامّة جدّاً، و استوفى البحث فيها، و هي ما يلي:

١. حول النبيّ المسيح ﷺ و رفعه إلى السماء ذيل الآية ٥٥، و ذكر أقوال المفسّرين في ذلك و مقالة النصارى، و بالأخير ذكر موقف القرآن الكريم في ذلك و إبطال مقالتهم.

٢. حول خلقة النبيّ عيسى ﷺ ذيل الآية ٥٠، و أحال البحث فيه إلى رسالته في التكامل، و نظريّة التطوّر، و هي الثانية من المجموعة.

٣. حول المباهلة ذيل الآية ٦١، و أجاد البحث في ذلك، ثمّ بحث ذيلها عن ولاية أمير المؤمنين ﷺ و بالتبع عن ولاية الفقيه، و استوفى البحث فيهما خصوصاً الأخيرة منهما جدّاً على ضوء الكتاب و السنّة.

الثانية: رسالة «البحث حول نظريّة التطوّر»، و هي رسالة قيّمة ثمينة جدّاً، بحث فيها

حول نظريّة التطوّر و التكامل المنسوبة إلى داروين. بحث المؤلّف‌ﷺ حولها فيها ذيل تفسير الآية ٥٩ من سورة آل عمران (٣)، و قد استوفى البحث فيها جدّاً بتنقيح موضع النزاع و ذكر الأقوال، ثمّ إتمام البحث بذكر القول الحقّ في المسألة على ضوء آيات من المصحف الشريف في مقامات.

الثالثة: هي المتضمّنة لقسمين:

١. تفسير الآيات من سورة النساء (٤)، و هي: ١٢٧ و ١٣٥ ـ ١٤٦ و ١٤٨ ـ ١٦٢ و ١٦٥ ـ ١٧٦.

٢. تفسير سورة المائدة (٥) من الآية ١ ـ ٦٦.

و يشتركان في أنّ المصنّف العلّامةﷺ قبل تفسير الآيات شرح المفردات و غرائب الكلمات من حيث معانيها اللغويّة، ثمّ شرع في تفسير الآيات و استعان في ذلك من آيات أُخر من المصحف الشريف و السنّة النبويّة و الولويّة، و ذكر بعض الأحيان أقوال المفسّرين، ثم زيّف ما زيّف و أيّد ما أيّد.

و جدير بالذكر أنّ المصنّفﷺ ذكر ذيل الآية ١٢٧ من سورة النساء (٤) موضوعات يمكن أن يستنبط من الآية الشريفة، ثمّ بحث حولها، و ذكر منها «جواز نكاح الواحد أزيد من واحدة»، ثمّ حقّق حولها تحقيقاً أنيفاً.

و أيضاً ذكرﷺ في تفسير سورة المائدة موضوعات هامّة، يحتاج البحث حولها إلى مجال واسع، إلّا أنّا نشير هنا إلى اثنتين منها مهمّتين:

١. تحقيق في نصب الخليفة و الوصيّ في يوم غدير خمّ، حقّقه ذيل الآية ٣.

٢. تحقيق في معنى العدل لغة، و تحقيق في العدل الإلهي و بيان مراحله الأربع، و تحقيق حول عدل المعصوم و بيان مراحله الخمس، و تحقيق في عدل سائر الناس و بيان أقسامه الخمسة، و تحقيق حول كون العدل من الأُصول الاعتقادية، ذكر هذه التحقيقات ذيل الآية ٨.

منهج التحقيق

اتّبعنا في تحقيق هذه المجموعة المراحل التالية:

١. انصبّ اهتمامنا على ضبط النصّ و تقويمه و سلامته من ناحية القواعد الإملائية الحديثة.

٢. قمنا بضبط بعض الكلمات الغريبة و المشكلة حيث اقتضت الضرورة.
٣. كما قمنا بضبط الأسماء و الألقاب و الأماكن و المصطلحات.
٤. أوضحنا بعض الكلمات و الألفاظ الغريبة غير المفهمة أو المبهمة من حيث اللغة من مصادرها المعتبرة، مثل الصحاح و النهاية و غيرهما.
٥. تخريج الأقوال و النصوص التي أوردها المصنّف﵀ في كتابه، سواء صرّح باسم قائليها، أو غضّ النظر عنهم.
٦. تخريج الأحاديث الواردة من كتب الفريقين، سواء صرّح المصنّف﵀ بالمصدر أم لا.
٧. قمنا بمطابقة الأقوال و النصوص و الأحاديث الواردة مع مآخذها و ذكر موارد الاختلاف في الهامش.
٨. أضفنا أحياناً كلمة أو جملة وجدنا في العبارة خللاً فاقتضى السياق إضافتها، و وضعنا الزيادة بين المعقوفتين [] دون تعليق في الهامش. أمّا في حالة الإضافة من مصدر معيّن فنضعها بين المعقوفتين مع التنويه في الهامش إلى المصدر الذي أخذنا عنه.

كلمة شكر و ثناء

و في الختام فإنّنا نقدّم جزيل الشكر و جميل الثناء للأستاذ الشيخ مهدي المهريزي رئيس مؤتمر الشيخ علي المشكيني﵀، و الأستاذ الشيخ محمّد حسين الدرايتي الناظر حيث تفضّل عليّ بالعدهم و الإرشاد، و صديقي الأعزّ الشيخ محمّد مهدي خوش قلب مساعد رئيس المؤتمر. و كذلك نشكر الأخ مهدي الجوهرجي الذي تولّى مهمّة مقابلة متن الكتاب، و الأخ محمّد كريم الصالحي الذي تولّى مهمّة نضد الحروف.

و بالأخير نشكر ربّنا الباري تعالى على ما وفّقنا لإنجاز هذا العمل و إتمامه، و نقول: و آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

جواد الفاضل البخشايشي
قم المقدّسة
شهر رمضان المبارك
سنة ١٤٣٤

تفسير سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله و صلاته على عباده الذين اصطفى، محمّد و آله الطيّبين الطاهرين.

فهذه أبحاث في التفسير وفّقنا الله لكتابها راجين بذلك مرضاته تعالى، مع الاعتراف التامّ بأنّ القرآن لا تنفد عجائبه، و لا تفنى غرائبه، و لا يمكن ـ حتّى للأوحديّ من الناس ـ أن يدرك كلّ معانيه، أو أن يلمّ بكلّ مراميه، فحقائقه دائماً تتجلّى و تظهر، مادام هناك عقل يعمل و إنسان يتأمّل.

هذا، و لبعض الظروف القاهرة لم نوفّق لابتداء إلّا من أواسط سورة آل عمران، فها نحن نقدّم ما وفّقنا الله تعالى إلى القارئ الكريم، على أمل أن تتاح لنا الفرصة للإتمام، مع رجائنا الأكيد من كلّ ناظر فيه و مطّلع عليه أن يغضّ الطرف عن التقصير، و ينبّهنا لما يراه مناسباً؛ و له منّا جزيل الشكر و فائق التقدير، و من الله نستمدّ الحول و القوّة، و هو الموفّق و المسدّد.

عليّ المشكيني

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

التفسير

الصدر و النفس و القلب و الروح و العقل، تستعمل كثيراً في ما هو حقيقة الإنسان و به إنسانيته و فيه علومه و إدراكاته و عليه تعرض صفاته و ملكاته؛ أعني ما يقابل جسده و ما هو الباقي بعد فناء بدنه في البرزخ و ما هو المزدوج مع جسده المتجدّد خلقه في القيامة، و هو الذي يشير إليه بقوله: «أنا» و «نحن».

قوله: ﴿مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾. الموصول يراد به هنا أُمور ثلاثه: التصوّرات الحاصلة للنفس، و التصديقات و العقائد، و الصفات و الملكات، و لكلّ منها حقّ و باطل، و صحيح و فاسد.

و الأوّل حصوله غير اختياري في الغالب، و هو دائم التردّد و الانقلاب، فيوجد و ينعدم و يجيء و يرتحل، و هذا أمره في جميع الاحوال.

و الثاني أثبت و أدوم من الأوّل، فيحصل غالباً بعد التأنّي و التأمّل، و قد يبقى الى الأبد.

و الثالث من الألوان الثابتة للنفس، و تحصّله للنفس قد يكون قهرياً و طبيعياً

---

١. آل عمران (٣): آية ٢٩.

فطرياً، و قد يكون بالتعمّد[1] و التمرّن، و على أيّ تقدير يحتاج تحصيله إلى مضيّ مدّة من الزمان، كما يحتاج زواله إلى مضيّ مدّة.

قوله: ﴿أَوْ تُبْدُوهُ﴾، إظهار ما في الصدور و إبداؤه يكون تارة باللفظ و البيان، و أُخرى بالقلم و البنان، و ثالثة بالعمل و الأركان.

قوله: ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّـهُ﴾، استعمال كلمة المضارع هنا لا يدلّ على كون علمه تعالى حاصلاً في زمان دون زمان، بل الأفعال الدالّة على الزمان، المستعملة في بيان أوصاف الله تعالى على قسمين: منها ما يكون منسلخاً عن الزمان، و منها ما يكون دالّاً عليه.

و الضابط في ذلك أنّ كلّ ما استعمل منها في صفات ذاته فهو المنسلخ عن الزمان، و ما استعمل في صفات الفعل فلا، و الأوّل كالعلم و الحياة و القدرة و نحوها، و الثاني كالإحياء و الإماتة و الرزق و غيرها، فقولك: «علم الله» أو «يعلم» أو[2] «قدر» أو «يقدر»، معناه أنّه عالم و قادر بلا قيد زمان، و قولك: «يحيي و يميت و يرزق و يخلق» أو «أحيا و أمات و رزق»، تدلّ على الحصول في المستقبل أو الماضي.

و القانون الكلّي في تشخيص صفات الذات عن صفات الفعل هو أنّ كلّ ما يقع تحت الإرادة بحيث يصلح تعلّق الإرادة به فهو صفة الفعل، كالخلق و الرزق، و ما لا يقع تحتها فهو صفة الذات، كالحياة و العلم.

و قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾، بيان سعة علمه تعالى و عدم اختصاصه بما في الصدور، و الموصول في ﴿مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ يشمل الأجناس العامّة، كالجواهر و الجمادات و النباتات و الحيوانات، و يشمل الأنواعَ الواقعة تحت جميع[3] الأجناس و الأصناف الموجودة تحت الأنواع، و الأفرادَ الشخصية كلّها و أجزاءها حتّى الذرّات الأتميّة و أبعاض الذرّات.

---

١. التعمّد: القصد. و الظاهر أنّ الصحيح: «بالتعمّل»، أي بالكسب والاجتهاد. راجع: المصباح المنير، ص ٤٢٨؛ تاج العروس، ج ١٥، ص ٥٢٤ (عمل).

٢. كذا في الأصل، و الأنسب: «و» بدل «أو».

٣. كذا في الأصل، و الظاهر أنّ لفظة «جميع» زائدة.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾[١].

﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[٢].

ثمّ إنّ المقصود من ذكر علمه تعالى بكلّ شيء و تعقيب ذلك بذكر القدرة بيان أنّه سيجازي المحسن و المسيء بالنسبة إلى ما في الصدور، فالآية في مقام الوعد و الوعيد بالمجازاة أو بالمحاسبة، فتوافق قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣].

و حينئذ فيشكل الأمر بأنّه كيف يعذّب الله عباده على الخواطر، مع أنّها غير اختيارية و مثله التعذيب على الأوصاف و الملكات النفسانية.

و الأُولى أن نقول في المقام: إنّ الآية المبحوث عنها باق على عمومها بالنسبة إلى الخواطر و العقائد و الملكات، فعلمه تعالى شامل للجميع، و أمّا كونها في مقام بيان الجزاء فلا ينافي ما ذكرنا، فليكن المقصود أنّ الله عالم بالجميع و يجازي على ما في الصدور في الجملة، لا على كلّه، فتحتاج في تعيين ما يجازي منها إلى دليل آخر، و هو الآية الأُخرى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ إلى آخرها.

و حيث قد علمنا من دليل خارج عدم ترتّب العقاب على الخواطر مطلقاً، فهي خارجة عن مساق هذه الآية [لكن لا يبعد القول بترتّب الثواب و العقاب على النيّة، أي القصد و الإرادة من بين الخواطر؛ إذ قد يظهر من عدّة أخبار و من بعض الآيات أيضاً ذلك، كما نقل بعضها العلّامة الأنصاري في رسائله،[٤] كقوله: «نيّة المؤمن خير من عمله، و نيّة الكافر شرّ من عمله».[٥]

---

١. يونس (١٠): ٦١.
٢. سبأ (٣٤): ٣.
٣. البقرة (٢): ٢٨٤.
٤. فرائد الأصول، ج ١، ص ٤٦ ـ ٤٨.
٥. الكافي، ج ٢، ص ٨٥، ح ٢.

و قوله: «إنّ الله ﷻ يحشر الناس على نيّاتهم».[١]

و ما ورد من تعليل خلود أهل النار و أهل الجنّة بعزم كلّ من الطائفتين على الثبات على ما كان عليه من المعصية و الطاعة لو خلّدوا في الدنيا.[٢]

و ما ورد من أنّه إذا التقا المسلمان بسيفهما فالقاتل و المقتول كلاهما في النار، فقيل يا رسول الله: هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال ﷺ: «لأنّه أراد قتل صاحبه».[٣]

و ما ورد في العقاب على بعض مقدّمات الحرام، كفارس الخمر و الماشي لسعاية المؤمن.[٤]

و ما ورد من أنّ الراضي بفعل قوم كالداخل معهم، و على الداخل إثمان: إثم الرضا و إثم الدخول.[٥]

و قوله تعالى: ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾،[٦] و إنّما النسبة لرضاهم بفعل من سبق منهم و قتلوا نبيّهم.[٧]

و قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لَا فَسَادًا وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٨].]

فيخصّص بالعقائد و الأخلاق، و حيث إنّ المترتّب على ذلك المحاسبة المترتّب عليها استحقاق العقاب، سواء شمله الغفران أم لا، فينحصر الموصول في العقائد الباطلة و الأخلاق الرذيلة.

فيتحصّل من هذا البيان أنّ كلّ عقيدة باطلة و رذيلة خلقية مورد للمحاسبة و مقتض للعذاب، و لعلّه يؤيّده قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[٩]؛

---

١. الكافي، ج ٥، ص ٢٠، ح ١.
٢. الكافي، ج ٢، ص ٨٥، ح ٥.
٣. التهذيب، ج ٦، ص ١٧٤، ح ٣٤٧.
٤. الكافي، ج ٦، ص ٤٢٩، ح ٤ و ج ٢، ص ٣٦٨، ح ٢ و ٣.
٥. نهج البلاغة، ص ٤٩٩، الحكمة ١٥٤.
٦. آل عمران (٣): ١٨٣.
٧. الكافي، ج ٢، ص ٤٠٩، ح ١.
٨. القصص (٢٨): ٨٣.
٩. البقرة (٢): ٢٢٥.

و قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[١]؛

و قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾[٢].

فهذه الآيات تدلّ على محاسبة الإنسان بما في قلبه، و إن كان مورد بعضها خاصّاً من حيث السياق.

ثمّ إنّ قوله تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ﴾[٣]، يدلّ على أنّ الانحراف في العقائد والأخلاق قد يقع مورداً للغفران يوم القيامة.

فنقول: أمّا الأخلاق الرذيلة فلعلّ المغفور منها ما لم يكن مؤثّراً في العمل و لم يكن مصدراً لقبائح الأعمال و فواحشها بأن كان مقهوراً تحت سلطان العقل و ممنوعاً من قبله. و حينئذ فغير المغفور ما كان منشأ لحصول المعاصي و مؤثّراً في القبائح و الرذائل.

أو يقال: إنّ الصفات الرذيلة إذا كانت مودوعة في النفس و حاصلةً قهراً بلا اختيار من الإنسان، فهي مغفورة، و ما كانت حاصلة بالتحصيل فهي سبب للعقاب؛ هذا في الصفات.

و أمّا العقائد الباطلة، فيمكن أن يكون المغفور منها من فروع العقائد الأُصولية، لا من أركانها، كما إذا اعتقد أنّ المعراج لم يقع من مكّة إلّا إلى المسجد الأقصى، أو أنّ بعض الأنبياء غير معصوم من المعصية الصغيرة.

أو نقول: إنّ المغفور ما كان انحرافه عن قصور، و غير المغفور ما كان عن تقصير، فالعقائد الباطلة حتّى الإشراك بالله تعالى فضلاً عن سائر ما يعتقده بعض الجهّال، إذا كانت عن جهل قصوريّ ـ كأهل بعض الممالك غير الإسلامية، الذين نشأوا على الكفر و العقائد الخرافية و لم يقرع سمعهم ما ينبّههم و يوقظهم ـ فهي غير مأخوذ بها و لا يترتّب عقاب عليها في الآخرة، و إطلاق بعض الآي المزبورة مقيّد بما ثبت من الأدلّة على عدم عقابهم؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[٤].

---

١. الإسراء (١٧): ٣٦.
٢. النور (٢٤): ١٩.
٣. البقرة (٢): ٢٨٤.
٤. الإسراء (١٧): ١٥.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[1].

التفسير

الظرف متعلّق بـ«اذكر» المقدّر، كما في نظائر الموارد من الذكر الحكيم، و قد يقال بتعلّقه بـ﴿يَعْلَمْهُ اللّٰهُ﴾. أو ﴿وَ يَعْلَمُ ما فِى السَّمٰاوٰاتِ﴾، و يمكن تعلّقه بقوله ﴿قَديرٌ﴾ في آخر الآية السابقة.

فإن قلت: إنّ تعلّقه بالعلم أو القدرة يوهم أنّ علمه تعالى أو قدرته ثابت في ذلك اليوم لا مطلقاً، و الحال أنّ الأمر ليس كذلك.

قلت: لا إشكال في أنّ أوصاف الله تعالى الذاتية لا تتغيّر و لا تتبدّل، و لا فرق في ذلك بين الدنيا و الآخرة إلّا أنّ ظهور بعض الأوصاف أو جميعها و تجلّيه تعالى بذاك الوصف الجلالى أو الجمالي لعباده لا يكون إلّا في الآخرة و في البرزخ و القيامة و ما بعدها؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[2]، ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾[3].

فالمعنى على هذا أنّ علمه تعالى بما في الصدور أو بما في السماوات و الأرض يظهر و ينكشف كمال الانكشاف يوم القيامة، أو أنّ قدرته تعالى على كلّ شيء لا تظهر كما هو حقّها إلّا في ذلك اليوم.

---

١. آل عمران (٣): ٣٠.
٢. غافر (٤٠): ١٦.
٣. الإنفطار (٨٢): ١٩.

قوله: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ﴾. المراد بالنفس هنا أمّا خصوص النفس الإنسانية، أو الأعمّ منها و من الجنّ؛ لأنّهم أيضاً نفوس مكلّفون مثلنا بتكاليف الدين، صائرون معنا من حال إلى حال، و من عالم الدنيا إلى القيامة، مثابون معنا على الحسنات و معاقبون على السيّئات.

قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ○ يَهْدِيَ إِلَى الرُّشْدِ فَـَامَنَّا بِهِ، وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾[1]؛

﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾[2]؛

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ﴾[3]، ﴿يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الإِنْسِ﴾[4]، ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُواظٌ مِنْ نارٍ وَ نُحاسٌ فَلا تَنْتَصِرانِ﴾[5]، ﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لا جَانٌّ﴾[6]، ﴿وَ لِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ﴾[7].

و يمكن إرادة الأعمّ منهما و من الشياطين و الملائكة و إن لم يصدر من الأوّل منهم خير و من الثاني شرّ، بل هم يحضرون؛ ليروا أعمالهم، و حضور الملائكة هنالك لتدبير الأمور، كما أنّهم هم المدبّرون أمراً في الدنيا.

قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾[8]؛

و قال تعالى: ﴿وَالْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾[9]؛

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[10]؛

﴿وَتَتَلَقَّـٰهُمُ الْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[11]؛

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَآءُ بِالْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ الْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلاً﴾[12]؛

---

١. الجنّ (٧٢): ١ و ٢.
٢. الجنّ (٧٢): ١١.
٣. الرحمن (٥٥): ٣١.
٤. الأنعام (٦): ١٣٠؛ الرحمن (٥٥): ٣٣.
٥. الرحمن (٥٥): ٣٥.
٦. الرحمن (٥٥): ٣٩.
٧. الرحمن (٥٥): ٤٦.
٨. مريم (١٩): ٦٨.
٩. الرعد (١٣): ٢٣.
١٠. الفجر (٨٩): ٢٢.
١١. الأنبياء (٢١): ١٠٣.
١٢. الفرقان (٢٥): ٢٥.

﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾[1]؛

﴿عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ﴾[2]؛

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً﴾[3]؛

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾[4].

و يمكن إرادة الأعمّ ممّا سبق و من الدوابّ و الحيوانات؛ قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[5].

﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾[6].

قوله تعالى: ﴿مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾. الموصول يشمل النيّات الحسنة و العقائد الحقّة و الصفات الفاضلة و الأعمال الصالحة، و إحضارها إمّا بوجودها الكتبي، و ذلك في ضمن كتابين:

كتاب خاصّ لكلّ أحد يؤتى بيمينه أو شماله؛ قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ﴾[7].

و قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَـٰبِيَهْ﴾[8]؛

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ﴾[9].

و كتاب عام لجميع الناس؛ قال تعالى:

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾[10].

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ

---

١. سبأ (٣٤): ٤٠.
٢. التحريم (٦٦): ٦.
٣. المدّثّر (٧٤): ٣١.
٤. النبأ (٧٨): ٣٨.
٥. الأنعام (٦): ٣٨.
٦. التكوير (٨١): ٥.
٧. الإسراء (١٧): ١٣ ـ ١٤.
٨. الحاقّة (٦٩): ١٩.
٩. الحاقّة (٦٩): ٢٥.
١٠. الزمر (٣٩): ٦٩.

﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَـٰهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾[١].

و إمّا بإحضار جزائها عنده من النعيم المبذول للمكلّفين يوم القيامة و ما بعدها في الجنّة و العذاب المعدّ لهم، فالكلام بتقدير مضاف، أي: وجدوا جزاء ما عملوه محضراً.

و إمّا بإحضاره نفس الأعمال الأعمّ من القلبيّة و البدنيّة، و هذا مبنيّ على تجسّم الأعمال في عالم الآخرة، إن خيراً فخيراً، و إن شرّاً فشرّاً.[٢]

و إمّا بإحضارها بصورها المنقوشة و نحوها.

و قوله: ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾، جملة ﴿تَوَدُّ﴾ إمّا استينافية ابتدائية، أو هي جواب لقوله تعالى: ﴿وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سوءٍ﴾[٣] بجعل الموصول شرطية، و على أيّ تقدير فالأمد كلمة تدلّ على الزمان الطويل الممتدّ كالأبد، إلّا أنّ الأبد ما لا نهاية له، و الأمد ما نهايته مجهولة.[٤]

و هؤلاء المجرمون إمّا هم الذين أُلهي عنهم في البرزخ فلم يعلموا مدّة مكثهم فيه، و حيث رأوا في القيامة جزاء عملهم تمنّوا طول عالم البرزخ و بقائهم في مرقدهم؛ فإنّهم في اعتقادهم كان لم يلبثوا إلّا عشيّة أو ضحاها؛ أو جميع الكفّار حتّى الذين كانوا محضوا الكفر محضاً فعذّبوا في البرزخ إلى القيامة، ثمّ تمنّوا طول البرزخ لشدّة ما رأوا من عذاب ما بعد البرزخ.

قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾. أي من انقطاع نعمه المادّية و المعنوية في الدنيا و نعمه في الآخرة و شمول عذابه فيهما، و بعبارة أُخرى: يحذّر الله عباده عن عدله؛ فإنّ الله تعالى هو الذي لا يخاف إلّا عدله و لا يرجى إلّا فضله، أو المراد التحذير عن جميع ذلك.

---

١. الكهف (١٨): ٤٩.

٢. اقتباس من الأحاديث، مثل قول الإمام الرضا ﷺ: «ويحك! ما عمل أحد عملاً إلّا ردّاه الله به، إن خيراً فخيراً، و إن شرّاً فشرّاً»، و قول الإمام الصادق ﷺ: «لا يثاب الرجل إلّا بما عمل، إن خيراً فخيراً، و إن شرّاً فشرّاً». راجع: رجال الكشّي، ص ٣٩٤، ح ٧٤١؛ وسائل الشيعة، ج ١، ص ٦٦، ح ١٤٥.

٣. في الأصل: «خير» و الصحيح ما أثبتناه.

٤. راجع: المفردات للراغب، ص ٨٨ (أمد).

و قوله: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾. رأفة الله تعالى و رحمته من صفات فعله، بمعنى ترتيب آثار الرحمة و الرأفة، و ليست مثل ما يحصل لنا من حالة خاصّة في القلب توجب الانعطاف إلى المرؤوف المرحوم و الحنان و البذل له و الإحسان؛ فإنّ هذه الصفات لا تعرض على الربّ تعالى.

ثمّ إنّ إخباره تعالى برأفته للعباد ـ بعد ذكر أنّهم يرون في القيامة أعمالهم، و يودّ المجرم بُعده عن عمله ـ بمنزلة ما يقوله الموالي للعبيد أو الآباء للأبناء: إن فعلت كذا، عذّبتك بكذا. أقول: هذا رأفة بك، فالمراد تحذيرهم أيضاً، كقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾.

ثمّ إنّ تمنّي المجرم بعده عن عمله في المقام كتمنّيه بُعده عن قرينه في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ○ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ○ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَـٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾[1]. و العشوة: التعامي و إن لم يكن ببصرة آفة، و قيل: العشوة: آفة العين.[2]

---

۱. الزخرف (۴۳): ۳۶ـ۳۸.

۲. قال به من قرأه بفتح الشين، قال الزمخشري: «قرئ: ﴿وَ مَنْ يَعْشُ﴾ بضمّ الشين و فتحها، و الفرق بينهما أنّه إذا حصلت الآفة في بصره قيل: عشي، و إذا نظر نظر العَشِيّ و لا آفة به، قيل: عشا. و نظيره: عَرِجَ لمن به الآفة، و عَرَجَ مشى مشية العُرْجان من غير عرج». و قال نحوه البيضاوي. راجع: الكشّاف، ج ٤، ص ۲۵۰ و ۲۵۱؛ أنوار التنزيل، ج ۵، ص ۹۱.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.[1]

التفسير

ظاهر الآية الشريفة يعطي أنّ لازم تحقّق حبّ العبد لربّه اتّباعه النبيّ الأعظم، و لازم ذلك الاتّباع حبّ الله تعالى لعبده و غفرانه ذنوبه.

لكنّ حبّ العبد لله لا يحصل إلّا بعد أن يفيض الله إليه نعمة الوجود، و نعمة العقل، و إرسال الرسل، و إنزال الكتب، و إعطاء المعجزات، و توفيق التعقّل و التفكّر فيها، حتّى يعرف ربّه أوّلاً، فيحبّه ثانياً، و هذه الأُمور لا تصدر من الله تعالى إلّا بعد حبّه لعبده، بل هي عين حبّه؛ فإنّه من صفات الفعل، لا من صفات الذات، كما في الحبّ الحاصل فينا، كما عرفته في صفة الرأفة و الرحمة، فهنا حبّ متحقّق من الله، مقدّم على حبّ العبد، و علّة لحدوثه.

و أمّا اتّباع النبيّ ﷺ، فالمراد اتّباعه في جميع ما جاء به من كتاب و دين، فالاتّباع يحصل بالقلب و الأركان بأن يصدّق ما يجب التصديق به، و يعمل بما يلزم العمل به، و هذا في الحقيقة اتّباع لله؛ فإنّه ليس للنبيّ ﷺ إلّا البلاغ،[2] و هو ما ينطق عن الهوى، إن

---

١. آل عمران (٣): ٣١.

٢. اقتباس من الآيات ٩٩ من سورة المائدة (٥)، و ٥٤ من سورة النور (٢٤)، و ١٨ من سورة العنكبوت (٢٩)، و ٤٨ من سورة الشورى (٤٢).

هو إلّا وحي يوحى،[١] فسوق البيان بهذا التعبير ـ دون «فاتّبعوا الله» ـ تعظيم للرسول ﷺ و إشارة إلى أنّ اتّباعه اتّباع الله و أنّه من قبل الله، و أنّ وساطته بين الله و خلقه لازم الإذعان.

و أمّا حبّ الله لعبده فحيث إنّه عبارة عن ترتيب آثاره كما عرفت، فالمراد هنا ليس بذل نعمة العقل و إرسال الرسل و الكتب و المعجزة و غيرها ممّا ذكرنا؛ فإنّ ذلك كان قبل تحقّق حبّ العبد، بل المراد به حينئذ توفيق الله لعبده في تكميل نفسه و صعوده مدارج الكمال في مراحل عقائده و أوصافه النفسية و أعماله البدنية و علومه و إدراكاته، ثمّ إعطاؤه الجزاء الجميل و الثواب الجزيل في دنياه و آخرته.

فتحصّل أنّ حبّ العبد لربّه يقع بين حبّين من الله: حبّ في مرتبة العلّة لحبّ العبد، و حبّ في مرتبة المعلول له، و الحبّ الأوّل عامّ لجميع العباد من الإنس و الجنّ و المؤمن و الكافر، و الثاني خاصّ لمن اتّبع وآمن و عمل صالحاً. فإذا أحبّ الله عبداً عرّفه نفسه، و إذا قبل العبد و لبّى دعوة ربّه و اتّبعه، أحبّه بالتوفيق وإعطاء الثواب، و هذا كما يحصل للفرد يحصل للجامعة البشريّة، إن اتّبعوا و عملوا صالحاً. ونظير هذا التوبة الحاصلة للعبد من الذنوب و توبة الله تعالى عليه و القبول منه؛ فإنّ توبة العبد أيضاً تقع بين توبتين من الله تعالى، فيعطف الله على العاصي عطفاً و يوفّقه للتنبّه و التفكّر توفيقاً، فيندم و يتوب، ثمّ يقبل الله رجوعه و توبته و يعود إليه بالإحسان و الإنعام؛ قال تعالى:

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٢]؛

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾[٣].

و الآيتان بعد الانضمام ظاهرتا الدلالة على أنّ توبة العبد تقع بين توبتي الربّ.

و قوله ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ قد يتحقّق اتّباع لنبيّ و العمل بما آتاه ممّن كان كافراً أو فاسقاً خارجاً عن الاتّباع و الطاعة، فترتّب حبّ الله و غفران الذنوب عليه حينئذ واضح، و أمّا لو فرضنا أنّ أحداً وفّقه الله من أوّل تكليفه لاتّباع نبيّه و الطاعة له في ما أمره و

---

١. اقتباس من الآيتين ٣ و ٤ من سورة النجم (٥٣). ٢. التوبة (٩): ١١٨.

٣. المائدة (٥): ٣٩.

نهاه فآمن و اتّقى، فلا محالة يتحقّق حبّ الله في حقّه على طبق وعده، و أمّا غفران الذنوب فعلى الفرض لا ذنب له حتّى يقع مورداً للمغفرة، مع أنّ الآية الشريفة تشمله أيضاً قطعاً.

فيمكن أن يقال: إنّ المعنى: يغفر ذنوبه لو كان له ذنوب، أو يقال: إنّ في الآية إشعاراً بأنّه لا يكون أحد خالياً عن الذنب كائناً من كان غير المعصوم الذي قد عصمه الله تعالى بإمداد غيبيّ و رَوْح من عنده و عناية خاصّة منه تعالى.

أو يقال: إنّ الآية تشعر بأنّ جميع الناس مذنبون مفتقرون إلى غفران الله تعالى حتّى الأنبياء و الأولياء، إلّا أنّ الذنب له مراتب و درجات؛ فإنّ الذنب يقع تارة بمعنى مخالفة الأوامر و النواهي الإلزامية، و أُخرى بالمعنى الأعمّ منه و من مخالفة الأوامر الندبية و النواهي الكراهية، و ثالثة بالمعنى الأعم منها و من ترك ما هو أولى، كاختيار المندوب المفضول عند التعارض مع الأفضل و نحو ذلك.

و لا إشكال في عدم وقوع الذنب بالمعنى الأوّل من المعصوم، و كذا الثاني على ما يترائى من ظواهر كلمات أصحابنا.[1] و أمّا الثالث فالظاهر جواز صدوره منه، و عليه يحمل ما صدر من الأنبياء ﷺ في بعض الأحيان من إطلاق الظلم بالنفس أو كلمة العصيان أو وقوعهم مورد اللوم و الذمّ في كتاب الكريم، و كذا ما أسندوه إلى أنفسهم من الذنوب و المعاصي و ما استغفروا منه و بكوا عليه؛ فإنّ الذنب أمر إضافي نسبي، فكم من عمل لا يعدّ ذنباً إذا صدر من الجهلاء و بسطاء الناس، و يعدّ ذنباً إذا صدر من علمائهم و كبارهم.

قال تعالى في آدم ﷺ: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[2]؛ ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾[3]؛

---

١. حيث أطلقوا الذنب و المعصية، و هما مخالفة الأمر، و هو شامل للواجب و الندب. راجع: التبيان، ج ٢، ص ٢٩٩، ذيل الآية ٢٥٠ من سورة البقرة (٢)؛ كشف المراد، ص ٣٤٩؛ اللوامع الإلهية، ص ٢٤٣.

٢. طه (٢٠): ١٢١ و ١٢٢.

٣. الأعراف (٧): ٢٣.

و في نوح ﷺ: ﴿قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[١].

و قال تعالى في داود ﷺ: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۝ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾[٢]، و ظلمه إمّا في تعجيله في القضاء بعد سؤال المتسوّرين على المحراب،[٣] و إمّا استنزاله أُوريا عن زوجـة، أو استباقه في خطبتها على ما ذكروه في تفسير الآية الشريفة.[٤]

و قال تعالى في سليمان ﷺ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۝ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾[٥].

و قال في موسى ﷺ: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾[٦].

و قال في يونس ﷺ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾[٧].

و قال في يوسف ﷺ: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾[٨].

---

١. هود (١١): ٤٦ و ٤٧. ٢. ص (٣٨): ٢٤ ـ ٢٥.

٣. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [ص (٣٨): ٢١]. و التسوّر: الصعود، يقال: تسوّر الحائط و عليه، أي علاه و صعده و ارتفع إليه. راجع: لسان العرب، ج ٤، ص ٣٨٦؛ تاج العروس، ج ٦، ص ٥٥٥ (سور).

٤. تفسير القمّي، ج ٢، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٢، ح ٦؛ التبيان، ج ٨، ص ٥٥٣ ـ ٥٥٥؛ مجمع البيان، ج ٨، ص ٧٣٤ ـ ٧٣٦.

٥. ص (٣٨): ٣٤ و ٣٥. ٦. القصص (٢٨): ١٥ و ١٦.

٧. الأنبياء (٢١): ٨٧ و ٨٨. ٨. يوسف (١٢): ٤٢.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[1].

التفسير

الطاعة لله عبارة عن اتّباع هدايته في الأُصول و الأخلاق و الأعمال و الأخذ بما أمره و الترك لما نهاه، سواء وصل ذلك إلى الإنسان بواسطة كتابه الكريم أو بلسان نبيّه العظيم؛ فإنّ ما أخبر النبيّ ﷺ عنه تعالى كلّه منه و اتّباعه طاعة له؛ قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[2].

و أمّا طاعة الرسول ﷺ فهي على قسمين:

طاعته في ما يخبر به إرشاداً إلى طاعة الله، كأوامره و نواهيه المتعلّقة بالواجبات و المحرّمات الإلهية، فهو في ذلك كالوالد يأمر ولده بالصلاة و الصيام، فالطاعة في هذه الموارد حقيقية أصالية بالنسبة إلى الربّ تعالى و تبعية اعتبارية بالنسبة إلى الرسول ﷺ و هي بهذا المعنى داخلة تحت قوله: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ﴾.[3]

و القسم الآخر طاعته ﷺ في ما يأمر به و ينهى عنه استقلالاً و مولوياً، لا تبعاً و إرشادياً؛ فإنّ للنبيّ الأعظم و أوصياؤه المعصومين ﷺ ولاية تشريعية و تكوينية بالنسبة إلى جميع الناس، كما مرّ البحث عنها مستقصى في أوايل السورة، فإذا أمر زيداً بتصدّى أمر القضاء في بلد مثلاً أو دخوله في صفّ العسكر للمحاربة أو إقامته في

---

١. آل عمران (٣): ٣٢.　　٢. النجم (٥٣): ٣ و ٤.

٣. آل عمران (٣): ٣٢ و ١٣٢؛ النساء (٤): ٥٩؛ المائدة (٥): ٩٢؛ الأنفال (٨): ١ و ٢٠ و ٤٦؛ النور (٢٤): ٥٤؛ محمّد (٤٧): ٣٣؛ المجادلة (٥٨): ١٣؛ التغابن ٦٤: ١٢.

محلّ خاصّ لتصدّي أمر من الشؤون الدينية أو بذله المال الكذائي أو نحو ذلك، وجب ذلك عليه وجوباً تكليفياً؛ لمكان الولاية الشرعية الإلهية؛ قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[١]، و قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[٢].

فحينئذ نقول: إنّ الظاهر أنّ المراد بطاعة الرسول في هذه الجملة طاعته في أوامره و نواهيه المولوية، و إلّا كان الكلام تكراراً. فالآية الشريفة مسوقة لبيان أمرين: قبول دينه و كتابه و هي القوانين العادلة الإلهية، و اتّباع رسوله و هو الإمام العدل و الدليل إلى الله المصون عن الضلالة و الجنف،[٣] و هذان الأمران لو توجّهت إليهما الجوامع الإنسانية و أخذت بهما أخذاً قلبياً و عملياً، لصلحت و فاقت و تكاملت و رقت و سادت و حازت فضائل النفس و ارتقت مدارج الكمال في شتّى نواحيها و فازت بالعيشة المرضية في الدنيا و السعادة الأبدية في الآخرة.

ثمّ إنّ الخطاب في الآية لا يختصّ بمن كان حاضراً في زمان نزول الكتاب، فهو متوجّه إلى العباد من تلك العصور إلى قيام يوم التناد،[٤] فلابدّ من أن يكون المراد بالرسول النبيّ الأعظم لا بوجوده الخاصّ و عنوان رسالته و بما أنّه علّة محدثة للدين، بل بما أنّه معصوم منصوب من قبل الله إماماً للجوامع و هادياً للأنام إلى الحقّ المبين و علّة مبقية للبرنامج النازل من الله تعالى، فلا محالة يشمل الإمام العدل المنصوب من الله خليفة له و حافظاً لدين الله.

ثمّ إنّه لم يذكر في الآية الشريفة الغرض الأقصى و الثمرة المقصودة من طاعة الله و طاعة رسوله، و لعلّ العلّة تقدّم ذكر ذلك في الآية السابقة عليه.

---

١. الأحزاب (٣٣): ٦. ٢. الأحزاب (٣٣): ٣٦.

٣. الجَنَفُ: الجور و الميل، و المراد الميل عن الحقّ. راجع: النهاية، ج ١، ص ٣٠٧ (جنف).

٤. اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ [غافر (٤٠): ٣٢]، و التناد: مصدر تنادَوْا، أي نادى بعضهم بعضاً، حذف الياء للاجتزاء بالكسرة الدالّة عليها، و هو يوم القيامة ينادي فيه بعضهم بعضاً للاستغاثة، و قيل غير ذلك. راجع: مجمع البيان، ج ٨، ص ٨١٤؛ أنوار التنزيل، ج ٥، ص ١٥٧؛ لسان العرب، ج ١٥، ص ٣١٥ (ندي).

فإنّ هاتين الطاعتين أُريدتا بقوله تعالى فيها ﴿فَاتَّبِعُونِى﴾[١]، أي في الأحكام الإرشادية و المولوية، و قد علمت الثمرة المترتّبة عليه في تلك الآية.[٢] فالغرض من تكرار الطاعتين في هذه الآية بيان أمر آخر، و هو ما يترتّب على ترك الطاعتين، كما يعلم من قوله ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾.

ثمّ إنّه قد صرّح عدّة من مفسّري العامّة أنّ المراد بطاعة الله اتّباع الكتاب و بطاعة الرسول اتّباع السنّة.[٣]

و هو غير ظاهر؛ إذ فيه ـ مع أنّ اتّباع الرسول بهذا المعنى يرجع الى اتّباع الربّ تعالى ـ [أنّه][٤] خال عن بيان لزوم الإمام العدل، و غير خاف على البصير أنّه لا يكفي الكتاب و السنّة ـ أعني القوانين العادلة ـ في إصلاح حال الجوامع مع عدم وجود قوّة مجرية لها و إمام عدل يقيما و يدبّر أمرها، و هل وقع الفساد و الاختلاف بين المسلمين و خسر العالم بانحطاطهم و خسرانهم إلّا لعدم اعتقادهم بلزوم وجود الإمام و تركهم ما أوصى به النبيّ الأعظم من لزوم اتّباع الخليفة الإلهية في ما بينهم؟!

قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، أي إن أعرضوا عن طاعة الله و طاعة الرسول كانوا كفّاراً و الله لا يحبّ الكافرين. فالجزاء محذوف وقع موقعه أمر آخر. و معنى عدم حبّ الكافرين عدم ترتيب آثاره في حقّهم من النعم الدنيوية و الأُخروية.

فإن قلت: كيف تقول بأنّ الله قد قطع آثار الحبّ عنهم مع أنّه قد بذل لهم ألوان النعم ممّا بذلها للمسلمين الخاضعين لجنابه، بل و أكثر منه، من نعمة الوجود و ما به دوام العيش و نعمة العقل، و قد عرض لهم الكتاب و الدين كما عرضه لمن قبلها، فلابدّ من القول بأنّ المراد عدم ترتّب آثاره في الآخرة؟

---

١. آل عمران (٣): ٣١. ٢. راجع الصفحة: ٣٧ و ٣٨.

٣. البحر المحيط، ج ٣، ص ٦٨٦؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٢، ص ٣٠٤، ذيل الآية ٥٩ من النساء (٤)؛ تفسير المراغي، ج ٣، ص ١٤١، ذيل الآية ٣٢ من آل عمران (٣).

٤. أضفناه لمقتضى السياق.

قلنا: إنّ بعض تلك المذكورات قد أنعمه الله عليهم قبل أن يتولّوا و يعرضوا، كنعمة الوجود و وسيلة الحياة و العقل و عرض الدين عليهم، و قد عرفت عموم هذه النعم لجميع الناس نشأوا على الإسلام و الفطرة، أو تهوّدوا أو تنصّروا بتحريف المنحرفين، و ظاهر الآية الشريفة أنّ عدم الحبّ إنّما هو بعد الإعراض و التولّي، فذلك خارج عن موضوع البحث في الآية.

و أمّا بعد التولّي و العناد منهم فهناك آثار من الحبّ زائلة مقطوعة و آثار منه باقية ثابتة.

أمّا الأُولى فتوفيق الله تعالى عبده و تأييده و تسديده لأن يرتقى مدارج الكمال في مرتبة عقائده الحقّة الثابتة المطلوبة و يحصّل فضائل النفس و مكارم الأخلاق و يعمل بمحاسن الأعمال، فيترتّب عليها كماله المقصود من خلقه و فوزه بالعيش الهنيء الدنيوي و السعادة العالية الأُخروية، و هذه كلّها آثار لحبّ الله تعالى، و ما أكثرها من آثار و نتائج و ما أحسنها، و هي تنقطع عن الكافر بعد تولّيه و إعراضه، هذا مع ما يتوجّه إليه من الشرور في شتّى مراحلها النفسية و العملية و غيرها، و هذا أيضاً من آثار انقطاع حبّه تعالى.

و أمّا ما يرى من بقائهم على سلامة الأبدان و رفاه العيش و اتّساع أبعاد الحظوظ الجسمانية و الوصول إلى ما راموه من المحابّ و اللذائذ الدنيوية، فقد يتوهّم لذلك أنّ لله عليهم حبّاً و كرامة و أنّ لهم عنده حظّاً و مقاماً كلّا و ليس كذلك، بل ذلك نوع من المكر و الخداع، فالله تعالى يخادعهم و يمكر بهم و يستدرجهم من حيث لا يعلمون؛ ليصلوا الى أسفل الدرجات في شقائهم و انحطاطهم؛ قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[1].

---

١. آل عمران (٣): ١٧٨.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

التفسير

يقع الكلام في الآية الشريفة في موارد:

الأوّل: الاصطفاء: طلب صفو الشيء و اختياره من بين ما يكدّره، كأخذ الحَبّ السمين من بين الحبوب، و حيث عدّي هنا بـ«على» فالمراد أنّ الله اختار هؤلاء المذكورين و صفاهم و طهّرهم عن العقائد الباطلة و الأخلاق الرذيلة و الأعمال القبيحة مقدّماً لهم على العالمين و مرجّحاً لهم عليهم، و ليس المراد خصوص تطهيرهم و جعلهم مقرّبين إلى ساحة قدسه و إلّا لقال: «من العالمين».

الثاني: في آدم ﷺ و المقصود من اصطفائه، فنقول: يمكن البحث في آدم من جهات شتّى كلّها خارجة عن مقصد الآية إلّا مسألة اصطفائه، فلا نتعرّض لها إلّا بنحو الإجمال، و هي الجهات التالية:

١. كيفيّة خلقته.

٢. تعليمه الأسماء، أسماء المسمّيات أو نفس المسمّيات.[2]

٣. عرض المسمّيات عليه و على الملائكة اختباراً له و لهم، و تمكّن آدم ممّا سأل عنه دون الملائكة.[3]

---

١. آل عمران (٣): ٣٣ و ٣٤.

٢. إشارة إلى الآية ٣١ من البقرة (٢).

٣. إشارة إلى الآيات ٣١ ـ ٣٣ من البقرة (٢).

٤. أمر الملائكة ـ و فيهم إبليس ـ بالخضوع له و السجود لجنابه تعظيماً له و لمقام علمه، فأطاعت الملائكة و عصى إبليس.[١]

٥. إسكانه و زوجه الجنّة مع شرائط خاصّة، منها اجتناب الشجرة.[٢]

٦. مخالفته و زوجه النهي الإلهي و توجّه الذمّ و التوبيخ إليهما و إخراجهما من الجنّة و إهباطهما عن مقامهما.[٣]

٧. تلقّيه من ربّه ما كان سبباً لتوبته و اجتباء الله له و توبته تعالى عليه و هدايته إيّاه،[٤] و الظاهر أنّ المراد به نبوّته، كما سيجيء إن شاء الله.

إذا عرفت ذلك فنقول: يمكن أن يكون المراد بالاصطفاء هنا أحد الأُمور الخمسة المذكورة. أوّلاً؛ أعني تعليم الأسماء، إنباءه بها، إسجاد الملائكة له، إسكانه الجنّة، توبته و اجتباءه، كما يمكن أن يكون المراد غير السادس. و مسألة نبوّته و إن لم تكن مستفادة من القرآن الكريم، لكنّها تستفاد من الروايات الكثيرة[٥] وبعضها وارد في ذيل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[٦].

ثمّ إنّ البحث من الجهات السبع المذكورة موكول إلى محلّه، و لعلّنا نبحث في كيفية خلقته في ذيل الآية ٥٩ من هذه السورة، و البحث عن غيرها قد وقع مستقصى في أوائل البقرة في الآية ٣٠ و ما بعدها و في سورة الأعراف و سورة طه، فراجع.

و أمّا قوله: ﴿وَنُوحاً﴾ فقد ذكروا في وجه اصطفائه أنّه الأب الثاني للبشر،[٧] حيث

---

١. إشارة إلى ما يلي من الآيات: البقرة (٢): ٣٤؛ الأعراف (٧): ١١؛ الحجر (١٥): ٣١ ـ ٣٣؛ الإسراء (١٧): ٦١؛ الكهف (١٨): ٥٠؛ طه (٢٠): ٦؛ ص (٣٨): ٧٢ ـ ٧٦.

٢. إشارة إلى ما يلي من الآيات: البقرة (٢): ٣٥؛ الأعراف (٧): ١٩.

٣. إشارة إلى ما يلي من الآيات: البقرة (٢): ٣٦ و ٣٨؛ الأعراف (٧): ٢٠ ـ ٢٥؛ طه (٢٠): ١٢٠ و ١٢٣.

٤. إشارة إلى ما يلي من الآيات: البقرة (٢): ٣٧؛ الأعراف (٧): ٢٣؛ طه (٢٠): ١٢٢.

٥. عيون أخبار الرضا ﷺ، ج ١، ص ١٩٥ و ١٩٦، الباب ١٥، ح ١؛ الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٣٦؛ البرهان، ج ٣، ص ٧٨٢ و ٧٨٣، ح ٧٠٦١ ـ ٧٠٦٣.

٦. طه (٢٠): ١٢٢.

٧. البحر المحيط، ج ٤، ص ١٣٧، ذيل الآية ١٦٣ من النساء (٤)؛ و ج ٧، ص ٤٥٣، ذيل الآية ٧٦ من الأنبياء (٢١)؛ فتح الباري، ج ١١، ص ٣٨٣، باب صفة النار و الجنّة؛ عمدة القاري، ج ١، ص ١٦.

يظهر من بعض الآيات[١] أنّ الباقين بعد الطوفان أولاده، فيقرّب هذا ما ينقل في التواريخ أنّ أكثر راكبي السفينة قد هلكوا بعد نزولهم عنها؛ لرطوبة الأرض و حدوث بعض الأمراض فيها، فلم يبق منهم إلّا عدّة قليلون من أولاد نوح.[٢]

و أيضاً أنّه ممّن سلّم الله عليه بقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٣].

و الأولى أن يقال: إنّ في نوح النبيّ خصائص جمّة بارزة:

فمنها أنّه أوّل المرسلين و أوّل من نزلت إليه الشريعة و الكتاب؛ قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾[٤]؛

و قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾[٥].

و قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾[٦].

و قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾[٧]؛

و قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ﴾[٨].

فيظهر من الآية الشريفة أنّ إهلاك الأمم لم يقع إلّا بعد نوح، و هذا ـ مع ملاحظة أنّ الإهلاك ليس إلّا لأجل الذنوب، و الذنوب لا تتحقّق إلّا بعد نزول الكتاب و الشريعة؛ ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[٩] ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾[١٠] ـ يؤيّد كون نوح أوّل الرسل و أوّل من أُنزل إليه الكتاب و الشرع.

---

١. مثل الآية ٧٦ من الأنبياء (٢١)، و الآية ٢٧ من المؤمنون (٢٣)؛ و الآية ٧٧ من الصافّات (٣٧).

٢. تاريخ الطبري، ج ١، ص ١٩١؛ الأنساب، ج ٣، ص ١٤٩؛ مروج الذهب، ج ١، ص ٥١.

٣. الصافّات (٣٧): ٧٩.

٤. الشورى (٤٢): ١٣.

٥. البقرة (٢): ٢١٣.

٦. النساء (٤): ١٦٣.

٧. الحديد (٥٧): ٢٦.

٨. الإسراء (١٧): ١٧.

٩. الإسراء (١٧): ١٥.

١٠. القصص (٢٨): ٥٩.

و منها أنّه المبتكر الكبير و المخترع العظيم لأوّل وسيلة نقلية بحرية و أكبرها و أعظمها و هي السفينة، فهو المخترع لها بإلهام غيبيّ و تعليم إلهيّ؛ قال تعالى:

﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[١]، ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾[٢]، ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرَىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾[٣]، ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾[٤]؛

﴿وَحَمَلْنَـٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾[٥]؛

﴿فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾[٦].

و أخبر الربّ تعالى بأنّ هذه السفينة آية من آياته، ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَصْحَـٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَـٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[٧].

و منها أنّه هو الذي وقعت الحادثة التاريخية الّتي لم تسبق بمثلها و لم تلحق به، في عصره بدعائه لأغراض أصلية عقلائية؛ حيث استجاب الربّ دعاءه و أوجد تلك الواقعة، و هي واقعة الطوفان، و البحث في كيفية ذلك و كمّيته في سورة هود؛ قال تعالى:

﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾[٨].

و قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾[٩]؛

و قال تعالى: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾[١٠].

و منها أنّه هو الذي طهّر الله به الأرض من لوث العصاة و الكفّار و المشركين و المجرمين جميعاً بحيث لم يبق منهم أحد، و هذا أمر عظيم، و هو الغرض الأصيل و الهدف الأسمى للأنبياء كلّهم، فلم يوفّق أحد منهم لذلك إلّا نوح. و لا يتحقّق ذلك أبداً

---

١. هود (١١): ٣٧.
٢. هود (١١): ٣٨.
٣. هود (١١): ٤١.
٤. هود (١١): ٤٢.
٥. القمر (٥٤): ١٣ و ١٤.
٦. المؤمنون (٢٣): ٢٧.
٧. العنكبوت (٢٩): ١٥.
٨. القمر (٥٤): ١١ و ١٢.
٩. هود (١١): ٤٠.
١٠. هود (١١): ٤٢.

إلّا في أواخر العصور الدنيوية، و هو ما قبل آخر الدنيا، كما أنّ ما كان لنوح كان في ما بعد أوّل الدنيا، و يقع ذلك بيد المصلح الكبير و القائد العظيم، مولانا بقيّة الله حجّة بن الحسن العسكري سلام الله عليه و على آبائه الطاهرين، و في زمانه أيضاً لا ينتفى أهل الكفر بالمرّة، بل يبقى بعض أهل الكتاب تحت سيطرة الحكومة الإسلامية يؤدّون الجزية لها و يعملون بشرائط الذمّة؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾[١].

و قد وقع التطهير في عصر نوح ﷺ بدعائه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾[٢].

و قد أمر الله نوحاً بالتحميد حين ما ركبوا الفلك و انقطع عنهم أيدى الظالمين و إنشاء[٣] اللعن و الطرد لهم بعد نزولهم من السفينة و هلاك الظلمة، فقال:

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٤].

و قال تعالى: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٥].

و منها أنّه هو الذي عمر طويلاً أطول ما يمكن البقا للإنسان بمقتضى العادة الجارية و السنّة السارية الإلهية، عمر في تلك المدّة و هو صاحب أسمى المنازل و أعلى المراتب و المناصب؛ أعني منصب النبوّة و الرسالة، بل و المنصب الأرقى منها منصب الإمامة، و لم يسبقه أحد في هذه الفضيلة و لم يلحقه لاحق غير مولانا وليّ الله الأعظم، حجّة بن الحسن ـ عليه الصلوة و السلام ـ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾[٦].

ثمّ إنّ الحاصل ممّا ذكرناه في حال آدم و نوح أنّ الله اصطفى كلّ واحد منهما في خمس خصال هامّة عظيمة.

---

١. الأعراف (٧): ١٦٧.
٢. نوح (٧١): ٢٦.
٣. عطف على قوله ﷺ: «بالتحميد».
٤. المؤمنون (٢٣): ٢٨.
٥. هود (١١): ٤٤.
٦. العنكبوت (٢٩): ١٤.

قوله تعالى: ﴿وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾. الآية متعرّضة لحال ولد إبراهيم النبيّ دون نفسه الشريفة، و إن كان قد يقال: إنّ المراد هو ﷺ و آله الطاهرين، كما في قوله تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[١] و المراد بآل إبراهيم أولاد إسماعيل النبيّ و أولاد إسحاق، و حيث إنّه قد هاجر بإسماعيل و أمّه من فلسطين و نواحيه إلى مكّة المكرّمة فأسكنهما بواد غير ذي زرع عند البيت المحرّم،[٢] كان أحفاده من نسل إسماعيل هم الباقين في مكّة المكرّمة من قريش، ثمّ بني هاشم إلى أن انتهى إلى النبيّ الأعظم محمّد ﷺ و أولاده الطاهرين صلوات الله عليهم، فـ«آل إبراهيم» يشملهم و نسلهم الطيّب جميعاً، و لأجل هجرة إسماعيل الى مكّة و توطّنه بها و امتزاجه بقبيلة جُرْهُم العرب،[٣] كان أوّل نبيّ من العرب هو إسماعيل، و قد ذكر في الكتاب الكريم بناؤهما البيت و تطهيرهما إيّاه و نحوهما ممّا صدر منهما هناك؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ○ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ○ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾[٤].

و في الآية إشارة إلى لبعث نبيّنا فيهم؛ ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[٥].

و لم يذكر في الكتاب وجود أنبياء من نسل إسماعيل إلى زمان نبيّنا في مكّة و حواليها، و لعلّ الباقين فيها من أولاده كانوا أوصياء من قبله، لا أنبياء و كان الباقي من

---

١. غافر (٤٠): ٤٦.

٢. اقتباس من قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾. إبراهيم (١٤): ٣٧.

٣. جُرْهُم، كقنفذ: حيّ من اليمن، نزلوا مكّة و تزوّج فيهم إسماعيل ﷺ، فعصوا الله و ألحدوا في الحرم فأبادهم الله. كذا في كتاب العين، ج ٤، ص ١١٧ (جرهم). و للتعرّف لأحوالهم راجع: أنساب الأشراف، ج ١، ص ٥ ـ ٨؛ الأخبار الطوال، ص ٨ و ٩؛ البداية و النهاية، ج ٢، ص ١٨٤ و ١٨٥؛ تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٣٢.

٤. البقرة (٢): ١٢٧ ـ ١٢٩.

٥. البقرة (٢): ١٢٥.

الأديان في ما بينهم هو دين إبراهيم ﷺ في الجملة، قال تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَـٰفِلُونَ﴾[١]، هذا ما يرجع إلى إسماعيل النبيّ ﷺ.

و أمّا إسحاق النبيّ فأولاده و أحفاده[٢] و الأنبياء من نسله كثيرون متسلسلون، و الظاهر أنّ الجميع من ولد يعقوب المسمّى بإسرائيل، و قد ذكر يعقوب مع أبيه في الكتاب في مواضع كثيرة[٣]، و قد حمد الله تعالى إبراهيم على ما أنعم عليه بعد كبر سنّه ولدين نبيّين فبقى نسلهما على الاستمرار؛ قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[٤].

ثمّ إنّ إسحاق النبيّ و أولاده الطاهرين كانوا قاطنين في فلسطين و الشام و الأُرْدُنّ و مصر و كنعان، و من نسله ﷺ الأسباط[٥] و يوسف و داود و سليمان و موسى و هارون و زكريّا و يحيى و عيسى ﷺ.

و كان الفصل الزماني بين نوح و إبراهيم كثيراً، قد بعث فيه على الناس هود و صالح و شعيب و لوط الذي عاصر إبراهيم فآمن به.

ثمّ إنّ عمران المذكور في الآية الشريفة إمّا هو أبوموسى و هارون، أو أبو مريم، و عمران الأوّل ابن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب، و عمران الثاني من نسل سليمان بن داود بن إيشا إلى أن ينتهي إلى يهوذ بن يعقوب، و قالوا كان بين عمرانين ١٨٠٠ سنة.[٦]

---

١. يس (٣٦): ٦.

٢. الأحفاد: جمع الحَفَد، و هو جمع الحافد، كالحَفَدَة. و حفدة الرجل: بناته، و قيل: أولاد أولاده، و قيل: الأصهار. لسان العرب، ج ٣، ص ١٥٣ (حفد).

٣. البقرة (٢): ١٣٦ و ١٤٠؛ آل عمران (٣): ٨٤؛ النساء (٤): ١٦٣؛ الأنعام (٦): ٨٤؛ هود (١١): ٧١؛ يوسف (١٢): ٣٨؛ مريم (١٩): ٤٩؛ الأنبياء (٢١): ٧٢؛ العنكبوت (٢٩): ٢٧؛ ص (٣٨): ٤٥.

٤. إبراهيم (١٤): ٣٩.

٥. الأسباط: جمع السِبْط، و هو ولد الابن، أو ولد البنت، و قيل: هو يشمل كليهما. و الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب و بني إسماعيل ﷺ، سمّي أولاد الإسحاق ﷺ بالأسباط فرقاً بينهم و بين ولد إسماعيل ﷺ. راجع: لسان العرب، ج ٧، ص ٣١٠ (سبط).

٦. الكشّاف، ج ١، ص ٣٥٤؛ مجمع البيان، ج ٢، ص ٧٣٧؛ جوامع الجامع، ج ١، ص ١٦٩؛ سعد السعود، ص ٨٠؛ أنوار التنزيل، ج ٢، ص ١٣، ذيل الآية ٣٣ من آل عمران (٣).

فعلى الأوّل يشمل قوله: ﴿آلَ عِمْرانَ﴾ موسى و هارون و أنبياء كثيرين من أولاد هارون، فيخرجون من تحت آل إبراهيم؛ لكونهم في مقابلهم.

و على الثاني يخرج مريم و ابنها عيسى عليه السلام عن ﴿آلِ إبْراهِيمِ﴾ و تكون هذه الكلمة حاكية عنهما.

و بالجملة، الآية الشريفة تشمل الأنبياء أُولي العزم و أصحاب الشرائع غير إبراهيم، أو تشمله أيضاً على ما ذكرنا من الاحتمال و تشمل النبيّ الأعظم محمّداً صلى الله عليه وآله و أولاده الطاهرين، فالمصطفون عدّة كثيرة من الأنبياء و الأئمّة و المعصومين، و المصطفى عليهم سائر الناس من زمن آدم النبيّ إلى آخر عمر الدنيا.

و وجه اصطفائهم على العالمين كونهم أنبياء، علماء، متّقين، صالحين، أبراراً مقرّبين، هادين إلى الله، مجاهدين في سبيله بالأموال و الأنفس، و ليس غيرهم كذلك.

و قد عدّ الله تعالى في سورة الأنبياء في عدّة آيات متّصلة خمسة عشر نبيّاً أوّلهم إبراهيم و آخرهم عيسى[١]، و ذكر لكلّ مقاماً و صفة تصلح لكونها وجهاً في الاصطفاء، و قال بعد ذكر بعضهم:

﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُواْ لَنَا عَـٰبِدِينَ﴾[٢]،

و قال بعد ذكر أربعة عشر نبيّاً منهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾[٣].

و عدّ الله تعالى في سورة مريم من الأنبياء عشرة، أوّلهم زكريّا، و آخرهم إدريس[٤]، ثمّ قال: ﴿أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[٥].

---

١. الأنبياء (٢١): ٥١ ـ ٩٣.
٢. الأنبياء (٢١): ٧٣.
٣. الأنبياء (٢١): ٩٠.
٤. مريم (١٩): ٢ ـ ٥٧.
٥. مريم (١٩): ٥٨.

و عدّ في سورة هود تسعة منهم، أوّلهم نوح، و آخرهم موسى.[١]

قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾. العالَم صنف المخلوقات من الجماد و النبات و الحيوان و الجنّ و الملك، و العالمون جميع الأصناف، و يحتمل هنا إرادة أصناف الأناسيّ،[٢] و على الأوّل يفهم من الكلام تفضيل الأنبياء على الملائكة أيضاً؛ فإنّهم من العالمين، و لا بأس بذلك؛ فإنّ الأنبياء و الأئمّة عليهم السلام أفضل من أصناف الخلائق جمعاً بلا شبهة على ما دلّت عليه الأحاديث المتكاثرة[٣]. و لا ينافي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[٤]؛ فإنّه يفهم من هذه الآية عدم تفضيلهم على الجميع، و لابدّ أن يكون الخارج الملائكة أو المقرّبين منهم.

و وجه عدم المنافاة كون المراد بالمفضّل في آية الإسراء بني آدم من حيث إنّهم مكرمون بالذات، مخلوقون على فطرة التوحيد، و بعبارة أُخرى إنّه قد لوحظ في هذه الآية شرافتهم الفطرية الذاتية و شؤونهم غير الاختيارية، و لوحظ في الآية المبحوث عنها مناصبهم المبذولة من ناحية الربّ تعالى و شؤونهم التشريعية و قربهم و كمالهم من هذه الجهات، فهم من حيث كرامة ذاتهم مفضّلون على الكثير، و من حيث شؤون نبوّتهم و ما يرادفها مفضّلون على جميع المخلوقات حتّى الملائكة.

ثمّ إنّ المراد بالعنوانين ـ آل إبراهيم و آل عمران ـ هل هو خصوص الأنبياء و المعصومين؛ لأنّهم القدر المتيقّن من الكلمتين، أو الأعمّ منهم و ممّن آمن بهم و عمل

---

١. هود (١١): ٢٥ ـ ٩٩.

٢. الأناسيّ، بالفتح و تشديد الياء: جمع الإنسيّ واحد الإنس، أو هو جمع الإنسان، و أصله: أنا سين، فتكون الياء عوضاً عن النون، و يجوز تخفيف الياء. و هاهنا بحث و تفصيل بيان لا يسعه المقام. راجع: الصحاح، ج ٣، ص ٩٠٤؛ لسان العرب، ج ٦، ص ١٠ ـ ١٣ (أنس).

٣. مثل ما جاء في الكافي، ج ١، ص ٤٥٠، باب مولد النبيّ صلى الله عليه وآله و وفاته، ح ٣٤؛ تفسير فرات الكوفي، ص ١١٣، ح ١١٤. و يكفيك في ذلك أن تراجع كتاب الحجّة من الكافي.

٤. الإسراء (١٧): ٧٠.

صالحاً، أو الأعمّ من ذلك، فيشمل كلّ من يصدق عليه أنّه آل إبراهيم أو آل عمران؟

لا إشكال في عدم إرادة الأخير؛ إذ لا شبهة في وجود كفّار و مشركين من أولاد إسماعيل كمشركي قريش و غيرهم، و كذا من أولاد إسحاق النبيّ، فليسوا مفضّلين على العالمين.

و لا بأس بإرادة المعنى الثاني بمعنى أنّ الأنبياء و الأئمّة ﷺ و المؤمنون الصالحون العاملون بما عملوا قد فضّلهم الله على جميع العالمين غيرهم حتّى الملائكة، كما أنّه لا بأس بإرادة الاحتمال الأوّل و أنّ المفضّل كلّ نبيّ من نسلهما.

و على التقديرين فهل يراد تفضيل كلّ فرد من أفراد المفضّل على جميع المفضّل عليهم، أو تفضيل المجموع على المجموع بمعنى أنّ كلّ نبيّ مفضّل على العالم الموجودين في عصره؟ و كلا الاحتمالين صحيحان إلّا أنّه على تقدير كون المراد خصوص الأنبياء و الحكم بتفضيل كلّ فرد منهم على جميع الغير في جميع الأعصار، ينافي ما ورد من أئمّة أهل البيت من أنّ علماء أمّة النبيّ الأعظم كأنبياء بني إسرائيل أو أفضل منهم،[١] لكنّ هذا القسم من محتملات الآية مرجوح.

فالمتحصّل من معناها أنّ الأنبياء و المعصومين في كلّ زمان مفضّلون على أهل عصرهم، و كذلك الأئمّة ﷺ في عصرهم مفضّلون على الجميع حتّى علماء العصر.

ثمّ إنّ هذا كلّه في مقايسة الأنبياء و المعصومين إلى غيرهم من الناس، و أمّا مقايستهم بعضهم مع بعض فلا تعرّض لها في الآية، و لا ينافي كون بعضهم أفضل من بعض: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[٢] و ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾[٣].

قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾.[٤] أي كلّ بعض منهم مرتبط بالآخر برابطة

---

١. ما ورد في ذلك هو قول رسول الله ﷺ: «علماء أُمّتي كأنبياء بني إسرائيل» أو «أفضل من أنبياء بني إسرائيل».
راجع: أوائل المقالات، ص ١٧٨؛ المزار للشيخ المفيد ﷺ، ص ٦؛ الصراط المستقيم، ج ١، ص ١٣١؛ عوالي اللئالي، ج ٤، ص ٧٧، ح ٦٧.

٢. البقرة (٢): ٢٥٣.
٣. آل عمران (٣): ١٦٣.

٤. آل عمران (٣): ٣٤.

نسبية تكوينية كالأبوّة و البنوّة و نحوهما أو معنوية تشريعية ككونهم منبئين عن الله، مرسلين من عند إله واحد بدين واحد، و هو الإسلام؛ ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[1] مصدّقاً بعضهم بعضاً أوّلهم آخرهم، و آخرهم أوّلهم؛ قال تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[2].

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[3].

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[4].

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. السميع في الله تعالى هو العالم بالمسموعات و لا نعلم كيفية سمعه، فهو وصف أخصّ من عليم، و هذا بخلاف وصف السميع فينا؛ فإنّه صفة من صفات أفعالنا و سماعنا طريق من طرق علومنا؛ فإنّ العلوم الحاصلة فينالها طرق خمس، و هي الحواسّ الخمس الظاهرة، مع أنّ قوانا العاقلة لها استعداد الإدراك و تحصيل العلوم و استنتاجه من المجهول، فهي بنفسها ذات إنتاج، كما أنّ لها طرقاً لورود العلوم و المفاهيم من الخارج، و قد ذكر في الكتاب الكريم وصف السميع مقروناً بالعليم في موارد كثيرة[5]، و المراد أنّه تعالى سميع بمقالكم، عليم بما في صدوركم، أو أنّه سميع بكلّ ما يسمع، عليم بكلّ ما يعلم.

ثمّ إنّ إطلاقَ الوصفين و عدم تقييدهما بالمتعلّق في المورد ـ كما هو دأب الله غالباً

---

١. آل عمران (٣): ١٩.
٢. الصافّات (٣٧): ٣٦ و ٣٧.
٣. آل عمران (٣): ٨١.
٤. البقرة (٢): ٢٨٥.
٥. البقرة (٢): ١٢٧، ١٣٧، ١٨١، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٤٤، ٢٥٦؛ آل عمران (٣): ٤٣، ٣٥، ١٢١؛ النساء (٤): ١٤٨؛ المائدة (٥): ٧٦؛ الأنعام (٦): ١٣ و ١١٥؛ الأعراف (٧): ٢٠٠؛ الأنفال (٨): ١٧، ٥٣، ٦١؛ التوبة (٩): ٩٨ و ١٠٣؛ يونس (١٠): ٦٥؛ يوسف (١٢): ٣٤؛ الأنبياء (٢١): ٤؛ النور (٢٤): ٢١ و ٦٠؛ الشعراء (٢٦): ٢٢٠؛ العنكبوت (٢٩): ٥ و ٦٠؛ فصّلت (٤١): ٣٦؛ الدخان (٤٤): ٦؛ الحجرات (٤٩): ١.

في أسمائه الشريفة المذكورة في كلامه لبيان التعميم في المتعلّق و بقاء إطلاق الوصف على حاله ـ و عدمَ تقييده بقيد كما في غيره تعالى، فهو إشارة إلى التوحيد الصفاتي، فغيره تعالى ـ مع أنّ سماعه بآلة، و الله سميع لابآلة ـ سماعه مقيّد بصوت خاصّ و مكان محدود و زمان معيّن، فلا يسمع جميع ما يسمع، بل بعضه في مكان و زمان خاصّ، و يشغله سمع عن سمع، و الله تعالى سميع بكلّ ما يمكن أن يسمع، و في بعض الأدعية الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام: «سبحان[1] السميع الذي ليس شيء أسمع منه، يسمع من فوق عرشه ما تحت سبع أرضين، و يسمع ما في ظلمات البرّ و البحر، و يسمع الأنين و الشكوى، و يسمع السرّ و أخفى، و يسمع وساوس الصدور، و لا يصمّ سمعه صوت» إلى آخره.[2]

ثمّ إنّ تقارن العلم بالسمع مشعر بأنّ الله عالم بحقيقة ما يسمع و كيفيّة تحقّقه، و بالغرض المقصود من ذلك الصوت إذا كان صادراً من الحيوان المريد المختار، فلا يشغله صوت عن صوت و لا كلام عن كلام، و لا شأن عن شأن، و هذا بخلاف سماع المخلوقين.

---

١. في المصادر: «سبحان الله».

٢. تهذيب الأحكام، ج ٣، ص ١١٦، ح ٣٥؛ إقبال الأعمال، ص ٩٣ و ٢٠١؛ المصباح للكفعمي، ص ٦٢٥.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ○ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[1].

التفسير

قيل: كان اسم امرأة عمران حنّة، و لها من عمران بنت اسمها ايشاع،[2] تزوّجها زكـريّا فولدت منه يحيى، فعيسى و يحيى ابنا خالة.[3]

و نذرها الولد لخدمة البيت إمّا بإمضاء من زوجها، أو أنّ عمران مات قبل ولادة مريم، و يؤيّده قوله تعالى: بعد ذلك: ﴿وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾[4] و قوله تعالى: ﴿وَ كَفَّلَها زَكَرِيّا﴾.[5]

و الظاهر أنّ المحلّ الذي نذرته له هو بيت المقدس؛ لكونه محلاًّ لانـبعاث أكـثر أنبياء بني إسرائيل، و بيت اللحم[6] في قرب القدس معروف.

---

١. آل عمران (٣): ٣٥ و ٣٦.

٢. روي أيضاً «أشبع» كما في جامع البيان و «أشياع» كما في مجمع البيان و «إيشاع» كما في البحر المحيط.

٣. جامع البيان، ج ٣، ص ١٦٤؛ الكشّاف، ج ١، ص ٣٥٥؛ مجمع البيان، ج ٢، ص ٧٣٧؛ جوامع الجامع، ج ١، ص ١٧٠؛ أنوار التنزيل، ج ٢، ص ١٤؛ البحر المحيط، ج ٣، ص ١١٠، ذيل الآية ٣٥ من آل عمران (٣).

٤. آل عمران (٣): ٤٤.

٥. آل عمران (٣): ٣٧.

٦. بَيْتُ لَحْم: قرية من قرى فلسطين، بينها و بين القدس ستّة أميال، ولد فيها عيسى المسيح ﷺ على ما زعم أهل بيت المقدس، و أمّا النصارى فيزعمون أنّه ﷺ ولد في الناصرة. راجع: نزهة المشتاق، ج ١، ص ٣٦٢؛ معجم البلدان، ج ١، ص ٥٢١، و ج ٥، ص ٢٥١.

و التحرير في اللغة العتق و إعطاء الحريّة و الإخراج عن الملكية.[١] و ذلك أقسام:

فمنها: تحرير المال عن قيد الملكية، كجعل الملك مسجداً أو مدرسة، و يسمّى وقفا تحريريّاً:

و منها: تحرير النفس عن قيد الرقّية، كعتق العبد و الأمة.

و منها: تحرير النفس عن قيد الجهل، كتعليم الجاهل و إيصاله إلى حدّ الكمال العلميّ.

و منها: تحريرها عن عبادة الشيطان بإرشادها إلى الإيمان و الأخلاق الفاضلة و الأعمال الصالحة.

و منها: تحرير النفس أو المجتمع عن قيود الاستعمار و إسارة الاستحمار و الاستثمار، بإيقاظهم عن نومتهم و دعوتهم إلى الحياة الإنسانية الاستقلالية و إلى التفكير في سبيل الحريّة و الكمال.

و منها: تحريرها عن الاشتغال بأمور الدنيا و التفرّغ لطاعة الله، كما لعلّه كان مرسوماً في تلك العصور.

و منها: تحرير الولد عن قيد ولاية الأب و الأمّ و جعله من سدنة بيت الله، أو خدّام أحد الأولياء و الأصفياء. و هذان القسمان متقاربان، و لعلّ أحدهما المراد من قولها: ﴿إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾.[٢]

ثمّ إنّ هذا النحو من النذر لعلّه كان راجحاً في تلك الأزمنة و كان عبادة من العبادات، و أمّا بالنظر إلى شرعنا فلا ينعقد لو كان على نحو نذر النتيجة، كأن ينوي خروج الولد عن تحت ولاية الأب و حضانة الأمّ و يكون في ولاية البيت أو شخص آخر من عالم أو عابد، و لو كان بنحو نذر الفعل بأن لا يستفيد من الولد بترتيب آثار الولاية، بل يجعلها من خدّام محل شريف أو مؤمن عالم، فقد يكون راجحاً و ينعقد النذر إلى زمان بلوغه و رشده.

ثمّ إنّ ظاهر الكلام كون نذرها تنجيزيّاً مبنيّاً على اعتقاد كون ما في بطنها ذكراً، لا

---

١. لسان العرب، ج ٤، ص ١٨١ (حرر).

٢. آل عمران (٣): ٣٥.

تعليقياً معلّقاً على الذكورة، و يشهد له ظهور تحسّرها عند انكشاف كونه أُنثى، و قد يقال: إنّ علمها بذلك كان بإيحاء من الله و وعده تعالى أن يرزقها ولداً ذكراً،[١] فكانت تتخيّل أنّه الولد بلا وساطة، وكان متعلّق مشيّة الربّ تعالى كونه ولد الولد؛ أعني عيسى ﷺ.

و قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، أي السميع لمقالي و كلّ ما من شأنه أن يسمع، و العليم بما في قلبي و بكلّ شيء.

قوله: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾، إخبارها بأنّ ما وضعت أُنثى وقع تعجّباً من ظهور خلاف ما تعتقده أو تحسّراً على ذلك، و يجوز في كلمة «وضعت» كسر التاء و ضمّها و جزمها، فعلى الأوّل و الأخير فهي من كلام الله تعالى، و على الوسط تكون من كلام امرأة عمران.

ثمّ إنّ كونه تعالى أعلم من جهة أنّ أُمّها لم تعلم من مولودها إلّا أنّه أُنثى، و الربّ تعالى يعلم وجودها وجميع آثار وجودها و ما سوف تتّصف بها من العقائد و الأخلاق و سوف تكبر و تعمل من العبادات والأفعال الحسنة و ما ينتهي إليه أمرها في دنياها و عقباها، إلى غير ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾. يحتمل كون الألف و اللام في كلمة «الذكر» للعهد الذهني، و في «الأُنثى» للخارجي و الحضوري، فالكلام كلام الله تعالى يخبر بعد تعجّبها و تحسّرها عن عدم ولادة الولد الذكر بأنّ الذكر المعهود في فكرة امرأة عمران و المقصود المعيّن في ذهنها ليس كالأُنثى الموجودة التي ولدتها، بل هذه أفضل و أكمل من ذلك؛ إذ المركوز في ذهنها هو الذكر السويّ القابل لخدمة البيت، و أضف إلى ذلك الايمان و العمل الصالح، لكنّ الأُنثى التي تكبر و تصير من أكبر العباد و مورداً لاصطفائه تعالى لها على نساء العالمين و والدة لعيسى كلمة الله،[٢] أفضل من ذلك بلا

---

١. نقله الرازي عن الحسن البصري في تفسيره، و فيه: «بالهام» بدل «بايحاء». راجع: مفاتيح الغيب، ج ٨، ص ٢٠٣، ذيل الآية ٣٥ من آل عمران (٣).

٢. اقتباس من قوله تعالى: ﴿إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾. آل عمران (٣): ٤٥.

إشكال، فالكلام حينئذ صادر لبيان خطأ حنّة و للردّ عليها و أنّ ما أعطاها من الأُنثى أفضل مما تمنّته من الذكر.

و يحتمل أن تكون الألف و اللام في الكلمتين للجنس، سواء فرضنا أنّ الكلام من الله تعالى أو من امرأة عمران، و لو كان من الله فهو جار مجرى تصديقها و بيان أنّ الذكر لا يساوى الأُنثى، بل هو أفضل منها و أكمل.

و حينئذ فالمراد إمّا ترجيحه عليها من حيث القوى البدنية، أو من حيث القوّة العاقلة و الإدراكات الباطنية، أو من حيث صفات النفس و الملكات الروحية؛ فإنّ الرجل أقوى من المرأة في غالب الصفات النفسية، كالشجاعة و الصبر و الكتمان و الوفاء و السخاء و الحلم، و إن كانت هي أقوى في بعضها الآخر، كالرضا و الرحمة و الرقّة و التواضع و نحوها، أو من حيث الأحكام الشرعية، كعدم النبوّة لهنّ و عدم منصب الإمامة و منصب القضاوة و سائر الأحكام التي تختصّ بالرجال دون النساء، و لا إشكال في كون أغلب ما ورد في شرعنا من المختصّات ثابتاً في تلك الأعصار أيضاً لو لم يكن أكثر منه.

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾. الإعاذة و الاستعاذة بالشخص الالتجاء إليه و الاستعانة به في رفع المكاره و دفع المضارّ، و ذلك أمر عقلائي كان معمولاً به بين الأناسي[1] من الأزمنة السالفة، و هي على أقسام: استعاذة الفرد بالفرد، و الفرد بالأُمّة، و الأُمّة بالفرد، و الأُمّة بالأُمّة، فهنا طوائف: المعيذ، و المعاذ به، و المستعاذ منه.

و قد وقع ذكر الاستعاذة في الكتاب الكريم في موارد، فذكر في بعضها استعاذة بعض عباد الله به تعالى، و أمر بها بعض أوليائه في بعضها الآخر، و المعاذ به في الجميع هو الله تعالى، و المعاذ منه و من شرّه أُمور:

١. الشيطان الإنسي و الجنّي قال تعالى:

---

١. قد مضت ترجمة «الأناسي» في تفسير الآية ٣٣، ذيل قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾[١]؛ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[٢].

٢. المتكبّر غير المؤمن؛ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾[٣].

٣. الظلمة؛ ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾[٤].

٤. النفّاثات[٥]؛ ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾[٦].

٥. الحاسد؛ ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[٧].

٦. الجهل؛ ﴿قَالَ ـ موسى ـ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[٨].

٧. الخلق؛ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ○ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾[٩].

ثمّ إنّ حنّة امرأة عمران أعاذها و ذرّيّتها بالله من الشيطان، و يظهر من لحن الآية الشريفة أنّ الله كما قبلها من حيث ترتيب الآثار التي أرادتها حنّة، كذلك قبلها و ذرّيّتها من حيث الاستعاذة، و معناها في المقام حفظهما عن مسّ الشيطان و تصرّفه في عقلهما بإلقاء العقائد الباطلة و في نفسهما باعتياد الصفات الرذيلة و في بدنهما بإتيان الأعمال المحرّمة، فلم يكن للشيطان مساس بها من حين وقوع الدعاء إلى أزمنة بقاء عيسى ﷺ.

و لذلك روى البيضاوي في تفسيره عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «ما مِنْ مولود يولد إلّا و الشيطان يمسّه حين يولد، فيستهلّ من مسّه إلّا مريم و ابنها»[١٠]. و نقل صاحب المنار عن الشيخين، عن أبي هريرة ما يقاربه، قال: و اللفظ هنا لمسلم[١١]: «كلّ بني آدم يمسّه

---

١. المؤمنون (٢٣): ٩٧ و ٩٨.
٢. الناس (١١٤): ١.
٣. غافر (٤٠): ٢٧.
٤. الفلق (١١٣): ٣.
٥. قال الراغب: «النفث: قذف الريق القليل، و هو أقلّ من التفل، و نفث الراقي و الساحر: أن ينفث في عُقده». المفردات للراغب، ص ٨١٦ (نفث).
٦. الفلق (١١٣): ٤.
٧. الفلق (١١٣): ٥.
٨. البقرة (٢): ٦٧.
٩. الفلق (١١٣): ١ و ٢.
١٠. أنوار التنزيل، ج ٢، ص ١٤، ذيل الآية ٣٦ من آل عمران (٣).
١١. في المصدر «للمسلم».

الشيطان يوم ولدته أمّه إلّا مريم و ابنها».[١]

قال البيضاوي: «و معناه أنّ الشيطان يطمع في إغواء كلّ مولود بحيث يتأثّر منه إلّا مريم و ابنها».[٢]

أقول: الرواية و إن لم يكن حجّة عندنا؛ لضعف أبي هريرة و غير ذلك من الجهات، إلّا أنك لمّا تأمّلت ما ورد في شرعنا من الآيات، كالآية المبحوث عنها و نظائره، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾[٣]. و ما ورد من الروايات في تنزيه ساحة الأنبياء عليهم السلام[٤] عن كلّ لوث المعاصي و خلاف الأخلاق و قايست كلّ ذلك مع ما ورد في الإنجيل من وصف عيسى عليه السلام، علمت ميزان تلك الكتب المحرّفة. ففي الباب الرابع من إنجيل لوقا ما لفظه.[٥]

---

١. المنار، ج ٣، ص ٢٩٠، ذيل الآية ٣٦ من آل عمران (٣). و راجع: صحيح مسلم، ج ٧، ص ٩٧، باب فضائل عيسى عليه السلام؛ صحيح البخاري، ج ٥، ص ١٦٦، كتاب التفسير القرآن، سورة آل عمران، باب ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾.

٢. تتمّتها: «فإنّ الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة».

٣. الحجر (١٥): ٤٢.

٤. للتعرّف لتلك الأخبار و مصادرها راجع: بحار الأنوار، ج ١١، ص ٧٢ ـ ٩٦، باب عصمة الأنبياء عليهم السلام و تأويل ما يوهم خطأهم و سهوهم.

٥. كذا العبارة ناقصة في الأصل. فنحن نورد من الباب الرابع من إنجيل لوقا ما يرتبط بالبحث تتميماً للفائدة و رفعاً لنقص العبارة، و هو ما هذا لفظه: «الأصحاح الرابع: ١. ثمّ أصعد يسوع إلى البريّة من الروح؛ ليجرّب من إبليس؛ ٢. فبعد ما صام أربعين نهاراً و أربعين ليلة، جاع أخيراً؛ ٣. فتقدّم إليه المجرّب و قال له: إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً؛ ٤. فأجاب و قال: مكتوب: ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكلّ كلمة تخرج من فم الله؛ ٥. ثمّ أخذه إبليس إلى المدينة المقدّسة و أوقفه على جناح الهيكل؛ ٦. و قال له: إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل؛ لأنّه مكتوب أنّه يوصي ملائكته بك، فعلى أياديهم يحملونك؛ لكي لا تصدم بحجر رجلك؛ ٧. قال له يسوع: مكتوب أيضاً: لا تجرّب الربّ إلهك؛ ٨. ثمّ أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عال جدّاً و أراه جميع ممالك العالم و مجدها؛ ٩. و قال له: أعطيك هذه جميعها إن خررت و سجدت لي؛ ١٠. حينئذ قال له يسوع: اذهب يا شيطان؛ لأنّه مكتوب: للربّ إلهك تسجد و إيّاه وحده تعبد؛ ١١. ثمّ تركه إبليس و إذاً ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه». الكتاب المقدّس (العهد الجديد)، ص ٦ و ٧.

قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].

التفسير

التقبّل: القبول بالنحو الأكمل الأوفى؛[2] و لذا وصف المصدر المتعلّق به بالحسن، فمعنى تقبّلها هو قبول الأُمور الثلاثة التي عرضتها لربّها، و هي إيجابها على نفسها تحريرها، و استجازتها في تسميتها مريم التي هي بمعنى العابدة الخادمة،[3] و إعاذتها بالله من الشيطان الرجيم.

و معنى كماله و تأكّده قبول كلّ واحد من تلك الأمور بأكمل كيفيّته. أمّا التحرير فقبلها للبيت مع أنّها كانت أُنثى و كانت سدنة البيت[4] كلّهم ذكراناً على ما نقلوه[5]، و مسابقة العبّاد و اختصاصهم في تكفّلها، و انتهاء الأمر في ذلك إلى نبيّ من أنبياء زمانها.

و أمّا حسن القبول في تسميتها مريم، فلأنّ الله وفّقها للعبادة في البيت، بل في أعلى

---

١. آل عمران (٣): ٣٧.

٢. راجع: المفردات للراغب، ص ٦٥٣ (قبل).

٣. راجع: الكشف و البيان، ج ٣، ص ٥٥؛ معالم التنزيل، ج ١، ص ٤٣٢، ذيل الآية ٣٦ من آل عمران (٣).

٤. سدنة: جمع سادن، و سدنة البيت: خدّامه و حجّابه و قوّمته، من سدانة البيت: خدمته و تولّي أمره و فتح بابه و إغلاقه. لسان العرب، ج ١٣، ص ٢٠٧ (سدن).

٥. راجع: التبيان، ج ٢، ص ٤٤٤؛ مجمع البيان، ج ٢، ص ٧٣٧؛ البحر المحيط، ج ٣، ص ١١٦، ذيل الآية ٣٦ من آل عمران (٣)؛ الكشّاف، ج ١، ص ٣٥٥؛ الدرّ المنثور، ج ٢، ص ١٨، ذيل الآية ٣٥ من آل عمران (٣).

مكانه، و هو المحراب، و إعطائها الرزق في محرابها، و ذكر الله تعالى اسمها في القرآن في ٣٤ مورداً،[١] مع أنّه تعالى لم يذكر فيه اسم امرأة معينة غيرها، بل تعرّض لما تعرّض بعنوان عامّ، كقوله تعالى في آخر سورة التحريم:

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾[٢] إلى آخره؛

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾[٣]؛

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَـٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾[٤]؛

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[٥]؛

﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾[٦]؛

﴿يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[٧]؛

﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ﴾[٨]؛

﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾[٩]؛

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾[١٠]؛

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾[١١]؛

---

١. البقرة (٢): ٨٧ و ٢٥٣؛ آل عمران (٣): ٣٦ و ٣٧ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٥؛ النساء (٤): ١٥٦ و ١٥٧ و ١٧١؛ المائدة (٥): ١٧ و ٤٦ و ٧٢ و ٧٥ و ٧٨ و ١١٠ و ١١٢ و ١١٤ و ١١٦؛ التوبة (٩): ٣١؛ مريم (١٩): ١٦ و ٢٧ و ٣٤؛ المؤمنون (٢٣): ٥٠؛ الأحزاب (٣٣): ٧؛ الزخرف (٤٣): ٥٧؛ الحديد (٥٧): ٢٧؛ الصفّ (٦١): ٦ و ١٤؛ التحريم (٦٦): ١٣. و قد ذكر اسمها في بعض الآيات مرّتين.

٢. التحريم (٦٦): ١٠.

٣. التحريم (٦٦): ١١.

٤. يوسف (١٢): ٣٠.

٥. التحريم (٦٦): ١٢. و الظاهر أنّ ذكر هذه الكريمة من سهو القلم؛ فإنّ القصد ذكر الآيات التي تعرّضت لعدّة نساء غير مريم عليها السلام بعنوان عامّ من غير ذكر لأسمائهنّ.

٦. النمل (٢٧): ٢٣.

٧. الأحزاب (٣٣): ٣٢.

٨. آل عمران (٣): ٦١.

٩. البقرة (٢): ٣٥.

١٠. التحريم (٦٦): ٣.

١١. الأحزاب (٣٣): ٣٧.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾[١]؛
﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾[٢].

و أمّا حسن القبول في إعاذتها من الشيطان فبأنّه تعالى اصطفاها باصطفائين و طهّرها عن الأقذار و تكلّمت الملائكة معها مع عدم نبوّتها،[٣] فصارت محدّثة، و بشارتها بولادة عيسى كلمة الله، و هبة عيسى لها بلا تزوج و بنحو غير معتاد،[٤] و إحصانها[٥]، و كونها صدّيقة.[٦]

و قوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾. تعقيب الفعل بالمفعول المطلق من غير بابه يلازم كون التقدير: «و أنبتها فنبتت نباتاً حسناً»، و السرّ في ذلك أنّ الإنبات من الله تعالى ليس بلا واسطة، كما هو الحال في سائر أفعاله في هذا العالم، فإنباته ـ الذي هو على قسمين في المورد: إعطاء النموّ و الرشد البدني الجسماني، و إعطاء الرشد الروحاني و الباطني ـ يقع تارة بإعداده تعالى وسائل التكامل و الرشد الجسماني من الغذاء و الهواء و اللباس و المسكن و غيرها من لوازم الحياة الدنيوية و عيشها، فنباتها حينئذ يتوقّف على استفادتها ممّا رزقها الله من وسائل العيش، فلو لم تستفد منها فالقصور يكون من قبلها، ففي الآية إشارة إلى أنّ الله هيّأ لها وسائل العيش بأحسن وجه، و هي أيضاً استفادت منها بأحسن طريق، فنبتت نباتاً حسناً.

و يقع أُخرى بإعداده تعالى وسائل كمال العقل و الإيمان و العقائد و الأعمال؛ فإنّ وجود الأنبياء عندها و تكفّل زكريّا النبيّ لها و اشتغالها بالعبادة مع العباد

---

١. القصص (٢٨): ٧. ٢. القصص (٢٨): ١١.

٣. إلى هنا إشارة إلى الآية ٤٢ من آل عمران (٣).

٤. إلى إشارة إلى الآيات ٤٥ ـ ٤٧ من آل عمران (٣)، و ١٦ ـ ٢١ من سورة مريم (١٩).

٥. إشارة إلى الآية ٩١ من الأنبياء (٢١)، و ١٢ من التحريم (٦٦). و أصل الإحصان: المنع. و المرأة تكون محصنة بالإسلام و بالعفاف و بالحرّية و التزويج، و المراد هنا إحصانها بالعفاف، أي منعها عن دنس المعصية و الفساد و عفّتها عن الحرام و حفظها عن البغي. راجع: النهاية، ج ١، ص ٣٩٧ (حصن)؛ مجمع البيان، ج ٧، ص ٩٩، ذيل الآية ٩١ من الأنبياء (٢١)، و ج ١٠، ص ٤٧٩، ذيل ١٢ من التحريم (٦٦).

٦. إشارة إلى الآية ٧٥ من المائدة (٥).

العاملين الصالحين و غيرها من الأُمور الدخيلة في كمال الإنسان في مراحل العقل و الإيمان، إنبات من الله بأحسن الوجوه، و قبولها التربية الإنسانية و الايمانية و تخلّقها بفضائل النفس و كمالاتها نبات حسن، و ليس كلّ الناس حائزين هذه الفضيلة، فهي نبتت نباتاً حسناً.

و قوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾. كيفية تكفّل زكريّا لها يعلم ممّا سيجيء في الآية ٤٤: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾.

و قوله تعالى: ﴿﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾. المحراب: محلّ الحرب و مكانه، و إطلاقه على محلّ العبادة لوجهين: أحدهما أنّ محلّ العبادة محلّ الحرب مع الشيطان أو مع النفس الأمّارة، و ثانيهما أنّه كما أنّ في معركة القتال و الحرب ينقطع رجاء الإنسان من كلّ شيء و يغفل عن ماله و أولاده و عياله و دراهمه و دنانيره و يكون همّه مصروفاً في حفظ غرضه و تنجيز هدفه و ينحصر مقصده و مرماه في الغلبة على الخصم و تحصيل ما يقاتل لأجله، كذلك الإنسان لابدّ من أن يكون غرضه في أمكنة العبادة الوصول إلى مرضاة ربّه و تحصيل المقام عنده و القرب لديه و يكون غافلاً عن جميع أمواله و ما يتعلّق به من دنياه و شؤون حياته.

و الرزق في الآية قد فسّر بفاكهة الشتاء في وقت الصيف و فاكهة الصيف في وقت الشتاء،[1] إلّا أنّه يمكن أن يقال: إنّ الفرد الأليق من الرزق، العلوم و الحكم و المعارف الدينية الإلهية، فلعلّ زكريّا إذا دخل عليها و تكلّم معها كان يسمع منها من المعارف ما لم يكن يعلمه، أو لم يكن يسمعه من غيرها، ممّا ألهمه الله تعالى إيّاها، فكان يسأل عنها و يقول: ﴿قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. قد يتوهّم في هذه الآية و

١. نقل عن مفسّري أهل السنّة، مثل ابن عبّاس و مجاهد و ضحّاك و غيرهم. راجع: جامع البيان، ج ٣، ص ١٦٥؛ التبيان، ج ٢، ص ٤٤٧؛ مجمع البيان، ج ٢، ص ٧٤٠؛ البحر المحيط، ج ٣، ص ١٢٣؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٢، ص ٣٠؛ الدرّ المنثور، ج ٢، ص ٢٠.

نظائرها ـ كقوله تعالى:

﴿فَإِنَّ اللّٰهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدى مَنْ يَشاءُ﴾،[١]

و قوله: ﴿تُؤْتى الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشاءُ﴾،[٢]

﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾[٣]،

﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾[٤]،

﴿إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾[٥]،

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[٦]،

﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾[٧]،

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[٨]،

﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[٩]،

﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾[١٠]،

﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾[١١]،

﴿أَنَّ اللّٰهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ﴾[١٢]،

﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾[١٣]،

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ﴾[١٤]،

---

١. فاطر (٣٥): ٨.
٢. آل عمران (٣): ٢٦.
٣. البقرة (٢): ٢٤٧.
٤. البقرة (٢): ٢٨٤.
٥. آل عمران (٣): ٧٣.
٦. البقرة (٢): ١٠٥؛ آل عمران (٣): ٧٤.
٧. النساء (٤): ٤٩.
٨. المائدة (٥): ٦٤.
٩. الأعراف (٧): ١٢٨.
١٠. التوبة (٩): ١٥.
١١. الرعد (١٣): ١٣.
١٢. الروم (٣٠): ٣٧؛ الزمر (٣٩): ٥٢.
١٣. الرعد (١٣): ٣٩.
١٤. النور (٢٤): ٤٣.

﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾[١]. أنّه ليس في أفعال الله تعالى لحاظ غرض و تدبير صلاح، بل كلّ ما فعله الله تعالى فيه الصلاح التامّ و النظام الكامل العامّ، فلو غفر أباجهل، و عذّب النبيّ الأعظم كان حسناً و كان هو الموافق للصلاح و المطابق للعدل. فالصلاح و الفساد هو فعله و عدم فعله، و به يقاس كلّ صلاح و فساد، لا أنّ فعله يقاس بشيء آخر.

و هذا هو الذي ينسب إلى الأشاعرة؛[٢] فإنّهم ينكرون العدل بالمعنى المعهود عندنا و يقولون: العدل من الله هو ما يفعله الله و الظلم هو ما لا يفعله. فلو أدخل الحسين الجنّة و يزيد النار فهو العدل، و لو عكس في الأمر كان هو العدل، و ليس هنا ميزان آخر من حكم العقل و غيره يوزن به فعل الربّ تعالى، بل مقامه و شأنه تعالى أجل من أن يوزن بشيء آخر.

و هذا مذهب مرجوح مردود ليس المقام موضع ذكره، وحمل ظواهر الآيات على هذا المعنى باطل منكر.

و لا يخفى عليك أنّه بناء على هذا المعنى يرجع مفاد الآيات: ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾[٣] و ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ﴾[٤] و غيرها إلى أنّه ليس في غفرانه و تعذيبه مثلاً لحاظ صلاح و تدبير نفع و نظم.

لكنّ الظاهر أنّ معنى الآيات بيان قدرة الله على ما شاء و تسلّطه على تنجيز ما أراد و إيجاد ما شاء. فالمعنى أنّ الله قادر على غفران من يشاء، لا أنّ مشيّته الغفران بلا وجه و غرض، و قادر على أن يهب ما يشاء، لا أنّ إرادته الهبة غير منوط بصلاح، فمعنى قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[٥]. أنّه تعالى قادر على إضلال من

---

١. الشورى (٤٢): ٤٩.

٢. راجع: الأربعين في أصول الدين للرازي، ج ١، ص ٣٥٠؛ شرح المقاصد، ج ٤، ص ٣٠١؛ شرح المواقف، ج ٨، ص ٢٠٢.

٣. آل عمران (٣): ١٢٩؛ المائدة (٥): ١٨؛ الفتح (٤٨): ١٤.

٤. الشورى (٤٢): ٤٩.

٥. النحل (١٦): ٩٣؛ فاطر (٣٥): ٨.

تعلّقت به إرادته و هداية من تعلّقت به مشيّته.

و أمّا أنّ تلك المشيّة بمن تتعلّق؟ و لأيّ جهة تتعلّق؟ فيعلم ذلك من آيات أُخر، حيث يقول تعالى:

﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ﴾[١]؛

﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾[٢]؛

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾[٣]؛

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٤]؛

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[٥]؛

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٦]؛

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾[٧]؛

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[٨].

ثمّ ليعلم أنّ هداية الله تعالى على أقسام ثلاثة: هداية عامّة تكوينية، و هداية عامّة تشريعية، و هداية خاصّة، كما أنّ الإضلال على قسمين: عدم الهداية، و فعل الغواية.

فالهداية التكوينية العامّة هي خلق الإنسان مثلاً على نحو يقتضي فطرته الاهتداء إلى الحقّ و التوحيد و غيره من الأحكام الفطرية، و لا فرق فيها بين المؤمن و الكافر و غيرهما؛ قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[٩].

و قال النبيّ ﷺ: «كلّ مولود يولد على الفطرة، ثمّ أبواه يهوّدانه و ينصّرانه و يمجّسانه».[١٠]

---

١. المائدة (٥): ١٦.
٢. الرعد (١٣): ٢٧.
٣. يونس (١٠): ٩.
٤. البقرة (٢): ٢٥٨؛ آل عمران (٣): ٨٦؛ التوبة (٩): ١٩ و ١٠٩؛ الصفّ (٦١): ٧؛ الجمعة (٦٢): ٥.
٥. المائدة (٥): ١٠٨؛ التوبة (٩): ٢٤ و ٨٠؛ الصفّ (٦١): ٥.
٦. البقرة (٢): ٢٦٤؛ التوبة (٩): ٣٧.
٧. الزمر (٣٩): ٣.
٨. غافر (٤٠): ٢٨.
٩. الروم (٣٠): ٣٠.
١٠. متشابه القرآن، ج ١، ص ١٥١؛ عوالي اللئالي، ج ١، ص ٣٥، ح ١٨، مع تفاوت يسير.

و الهداية التشريعية العامّة هي إرسال الرسل و إعطاؤهم الكتب و المعجزات، مع إعطاء العقل القابل للفهم و الإدراك و السماع و الطاعة، و هذا أيضاً عامّ لجميع الخلق.

و الهداية التشريعية الخاصّة هي التوفيقُ من الله لمن آمن و قبل و تأييدُه و تسديده و تهيئة وسائل الجري على الهداية التشريعية العامّة و العمل بها و التكامل في مراحل أبعادها الفكرية و النفسية و البدنية من العقائد و الأخلاق و الأعمال.

و الإضلال العدمي عبارة عن قطع الهداية الخاصّة عن عبد بواسطة عناده و ضلالته و اختياره طريق الانحراف و المتاهة،[١] و قد سمّاه تعالى بعدم الهداية، كقوله تعالى: ﴿وَاللهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظالِمِينَ﴾ أو ﴿الكافِرِينَ﴾ أو ﴿الْفاسِقِينَ﴾ أو ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتابٌ﴾ أو ﴿مَنْ هُوَ كاذِبٌ كَفّارٌ﴾[٢] و غيرها.

و الإضلال بمعنى فعل ما يشقى به العبد و يضلّ، فهو في من عاند الحقّ و خالف الربّ بعد تكرّر الهداية و التنبيه و الإعلام، فهيّأ له الربّ تعالى بعده ما يمدّه في طغيانه و يستدرجه في مراتب بعده عن الله و شقائه، فيورده إلى ميزانه، و قد سمّاه الله تعالى مكراً و مخادعة و استدراجاً و غير ذلك من العناوين، قال تعالى:

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[٣]؛

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[٤]؛

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٥]؛

﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٦]؛

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾[٧]؛

---

١. المَتاهة بفتح الميم: اسم مكان من التيه، و هو التحيّر و الضلال، أي محلّ التيه و الضلال و الحيرة، و المراد هنا الضلالة. راجع: لسان العرب، ج ١٣، ص ٤٨٢ (تيه)؛ بحار الأنوار، ج ٣٣، ص ٤٧٩، ذيل ح ٦٨٦.

٢. قد خرّجنا هذه الآيات قبيل هذا.

٣. الأنفال (٨): ٣٠.

٤. النساء (٤): ١٤٢.

٥. الأعراف (٧): ١٨٢.

٦. النمل (٢٧): ٥٠.

٧. الرعد (١٣): ٤٢.

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[١]؛

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[٢]؛

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٣].

---

١. الزخرف (٤٣): ٣٦. ٢. الأنعام (٦): ٤٤.

٣. البقرة (٢): ١٥.

قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[1].

التفسير

«هنالك» للمكان، أي و في ذلك المكان دعا ربّه، و لعلّه المحراب الذي دخل على مريم فيه، و الحاصل أنّه لمّا رأى قبولَ تحرير مريم مع أنّه أُنثى، و إقراعَ الصالحين و العُبّاد في تكفّلها، و كفالةَ نبيّ من الأنبياء لها، و هو نفسه، و صيرورتَها من العُبّادات في أقصر مدّة، و نزولَ الرزق عليها في محرابها، تمنّى أن يرزقه الله ولداً بعد كبر سنّه و عقر زوجه.

و الطيّب هو ما يستطيبه الإنسان و يوافق ميله، فإن استطابته القوى العقلية كان طيّباً عقليّاً، كالعقائد الصحيحة و الأخلاق الفاضلة و الإحسان و الرفق و نحوهما من الأعمال الحسنة، و إن استطابه الطبع كان طبعيّاً طيّباً،[2] كالأغذية اللذيذة و الأشربة كذلك و الألبسة الفاخرة و نحوها، و على أيّ تقدير فهو مقابل الخبيث الذي يتنفّر عنه الإنسان بقوّته العاقلة أو بطبعه.

و الولد الطيّب ما يستطيب العقل فكرته و أخلاقه و أعماله و تستطيب الحواسّ جماله و صورته، و المراد به في المقام الولد الذي يوافق رغبة زكريّا و ميله و أمله،

---

١. آل عمران (٣): ٣٨.

٢. كذا، و السياق يقتضي أن تكون العبارة هكذا: «طيّباً طبعيّاً» وزان قوله ﷺ: «طيّباً عقليّاً».

من حيث الذكورة و الكمال في الجسم و العقل و الأخلاق و الأعمال و النبوّة، و كان يحيى كذلك.

و قوله: ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾. هل المراد به بيان أنّ الله يسمع الدعاء و يعلمه، و القبول موقوف على إرادته و مشيّته و صلاح الأمر في حقّ الداعي و المجتمع؟ أو المراد أنّ الله مستجيب للدعوات مطلقاً، قضاء لحقّ الصفة المشبّهة التي تدلّ على الدوام و الثبوت؟ الظاهر هو الثاني؛ فإنّ الدعاء لا حرمان فيه أبداً ولو لم يقبل بالنسبة إلى نفس المقصود، كما حكاه تعالى عن زكريّا، قال: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[1].

و في الروايات الواردة عن أهل البيت ﷺ أنّ الدعاء لا حرمان فيه،[2] فإن لم يستجب في نفس ما أراده العبد، عوّضه الله بدفع الشرّ، أو رفع الضرّ عنه في الدنيا، أو بالإثابة في الآخرة، و مثله قوله تعالى في إبراهيم: ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾[3].

ثمّ إنّ قوله تعالى في هذه الآية حكاية عن زكريّا، حكاه الله تعالى في سورة مريم بعبارة أُخرى أبسط، قال تعالى:

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا۝ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا۝ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[4].

و العبارتان أو إحداهما منقولتان بالمعنى، و قد حذف من بعضها شيء ممّا دعا، فلاحظ قوله: ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ و قوله: ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ و قوله: ﴿هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ مع قوله: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِى وَ يَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَ ٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾؛ فإنّ الظاهر أنّ زكريّا دعا ربّه و ناداه نداء خفيّاً، فحكى الله في هذه الآية بعبارة إجمالية و في سورة مريم مع التعرّض بكون ندائه خفيّاً.

---

١. مريم (١٩): ٤.

٢. راجع: الكافي، ج ٢، ص ٤٦٦ ـ ٤٦٨، باب فضل الدعاء و الحثّ عليه، و ص ٤٧١، باب أنّ من دعا استجيب له، و ص ٤٨٨ ـ ٤٩١، باب من أبطأت عليه الإجابة.

٣. مريم (١٩): ٤٨.

٤. مريم (١٩): ٣ ـ ٦.

و أيضاً إنّه سأل ربّه أن يرزقه ولداً مرضيّاً طيّباً، و يجعله وليّاً له و وارثاً يرث منه و من آل يعقوب تركةَ الأموال و العلم و الحكمة و المقام، فنقل تعالى في ما نحن فيه شيئاً من ذلك، و في سورة مريم أكثر ممّا نقله هنا.

و لهذا الكلام نظائر كثيرة في الكتاب الكريم، ممّا حكاه الله تعالى عن حال الأنبياء و غيرهم، فنقل الواقعة الواحدة بألفاظ مختلفة، فلاحظ قضيّة موسى بن عمران حينما جاء إلى الشجرة لاقتباس جذوة،[١] فسمع الصوت منها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٢].

و قال: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾[٣].

و قال: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[٤].

و لاحظ أيضاً التعبير الذي وقع منه تعالى في عصا موسى و انقلابه حيّة، قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾[٥].

و قال تعالى: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾[٦].

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾[٧].

فالظاهر أنّ الله ـ تبارك و تعالى ـ قد تكلّم مع نبيّه موسى بن عمران بكلمات كثيرة و ألقى إليه مطالب، قد حكى بعضاً منها في سورة و بعضاً آخر في سورة أُخرى، فمن القريب أنّ الذي صدر منه تعالى في توصيف نفسه لموسى كان كذا: ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾، ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾، ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

---

١. الجذوة، بالفتح و الكسر: الذي يبقى من الحطب بعد الالتهاب. المفردات للراغب، ص ١٩٠ (جذو).

٢. القصص (٢٨): ٣٠.

٣. طه (٢٠): ١١ ـ ١٤.

٤. النمل (٢٧): ٨ و ٩.

٥. النمل (٢٧): ١٠؛ القصص (٢٨): ٣١.

٦. طه (٢٠): ١٩ ـ ٢١.

٧. الأعراف (٧): ١٠٧؛ الشعراء (٢٦): ٣٢.

ثمّ إنّه تعالى ذكر في بعض الآيات محلّ الوحي و موضعه و أنّه كان في شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة، و في بعضها الآخر أمره بخلع النعل؛ لأنّه في الوادى المقدّس، و أنّه اختاره تعالى لنفسه، و في ثالث أنّه تعالى قد بارك لموسى و من حولها من الملائكة المرسلين إلى حضرته، و غير ذلك من التقريبات المخرجة للآيات عمّا يتوهّم فيها من التعارض و التناقض.

و أمّا التعبيرات المختلفة في انقلاب العصا حيّةً فبيانها أنّ الانقلاب قد وقع ثلاث مرّات:

الأُولى عند تكلّم موسى مع ربّه و إعطائه منصب النبوّة و بذله الآيات الكبرى التي أكبرها العصا.

الثانية بعد مجيء موسى و أخيه إلى فرعون بحضرة فرعون و جلسائه و ملائه و أشراف مملكته.

و ثالثة بعد إحضار فرعون السحرة و موسى و أخيه و دعوى الناس إلى الخروج إليهم و النظر في أمر مغالبتهم.

أمّا التعبير في الأُولى فقوله في سورة طه: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ○ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ○ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ○ فَأَلْقَـٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾[١] إلى أن قال: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾[٢]. و قوله تعالى في سورة القصص: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْأَمِنِينَ﴾[٣]، و معنى كونها حيّة تسعى يوافق معنى كونها كالجانّ المتحرّك حركة في الأين و الكمّ و الكيف.

و أمّا التعبير في الثانية فقوله في الأعراف: ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ○ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾[٤]، ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ﴾[٥].

---

١. طه (٢٠): ١٧ ـ ٢٠.
٢. طه (٢٠): ٢٤.
٣. القصص (٢٨): ٣١.
٤. الأعراف (٧): ١٠٦ و ١٠٧.
٥. الأعراف (٧): ١١١.

و أمّا التعبير في الثالثة فقوله في الأعراف أيضاً: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ○ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾[1]، و لم يقع التشبيه بالحيّة و لا بغيرها في المورد الثالث في آية الأعراف و غيرها، بل قال: ﴿تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ﴾.

---

١. الأعراف (٧): ١١٦ و ١١٧.

قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّـهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[1].

التفسير

ظاهر الكلام أنّ النداء واقع من جمع من الملائكة، لكن يمكن أن يراد به الفرد، كما يقال: سافر مع المسلمين، و أن يكون نزول عدّة من الملك تشريفاً للمبشّر و المبشّر به.

ثمّ إنّه تعالى قد ذكر ليحيى النبيّ هاهنا أوصافاً ستّة:

الأوّل: أنّه يحيى، و حيث إنّه يبعد أن لا يلاحظ في تسمية الله تعالى مناسبة و ارتباط، فالأحرى أن يقال: إنّ الذي يستشهد في سبيل ربّه و في طريق الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فهو لا يموت أبداً، بل هو يحيى أبداً، فكأنّ التسمية إشارة إلى انّه سوف يحيى اسمه و عنوانه في الدنيا و يبقى إلى الأبد، و أنّه سوف يحيى بعد قتله في عالم البرزخ؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[2].

الوصف الثاني: أنّه مصدّق بكلمة من الله، و المراد بها إمّا حسن الكلمة الصادرة من الله تعالى، فتشمل الكتب المنزلة كلّها، أوّلها المنزل على نوح و آخرها المنزل على عيسى عليه السلام، و هذا كان من جملة وظائف الأنبياء، فالتوراة صدّقت ما قبله، و الإنجيل صدّق التوراة، و القرآن صدّقهما، أو المراد بها عيسى بن مريم، كما في قوله تعالى في

---

١. آل عمران (٣): ٣٩. ٢. آل عمران (٣): ١٦٩.

هذه السورة: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾[١].

و وجه تسمية كلمة ـ أي كلاماً ـ لأجل أنّه ﷺ وجد بقوله تعالى «كُنْ»،[٢] أو لأنّه كان كلاماً كلّه: تكلّمه و سكوته و أفعاله و صفاته؛ فإنّه ربّ أحد يكون سكوته من أتمّ الكلمات و أعلى المقامات، كما أنّ كلامه كذلك، فكان عيسى كنبينا ﷺ كلاماً كلّه، فقيامه و قعوده و حركاته و سكناته و مشيه و نظره و سماعه و جميع إشاراته ـ فضلاً عن أقواله و ألفاظه و كلماته ـ كلّها كلام و كلمة، كما أنّه قد يكون الإنسان بحيث يكون جميع أقواله و كلماته سكوتاً و إبهاماً غير نافع و غير مفيد، و قد بيّن في علم الأُصول أنّ فعل المعصوم كقوله و تقريره حجّة،[٣] و هذا يؤيّد ما ذكرناه.

الوصف الثالث: أنّه سيّد، و هو المتولّي لأمر جمع من الناس، يسودهم و يسوسهم و يدبّر أُمورهم،[٤] و كان يحيى سيّداً على ملّة كبيرة، كما هو مقتضى نبوّته، و الظاهر أنّ هذا الوصف بيان لمرتبة إمامته و زعامته للأُمّة، و هي غير مرتبة النبوّة، و أيضاً فهو إمّا وصف استعدادي لم يخرج إلى مرتبة الفعلية أبداً لاستشهاده قبل عيسى، و لم يكن له إمامة فعلية في زمانه، أو أنّه كان متصدّياً لأمر المجتمع منصوباً من قبل عيسى اماماً لجوامع بني إسرائيل، و كان عيسى سيّاحاً يدور في البلدان لهداية العامّة.

الوصف الرابع: أنّه كان حصوراً،[٥] و الحصر المنع، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾[٦]، أي حابساً مانعاً، و الظاهر أنّ المراد به ليس خصوص عدم تزويجه في عمره، بل كونه حابساً لنفسه عمّا تشتهيه من الملاذّ الدنيوية و المشتهيات

---

١. آل عمران (٣): ٤٥.

٢. إشارة إلى ما يلي من الآيات: آل عمران (٣): ٤٧ و ٥٩؛ مريم (١٩): ٣٥.

٣. راجع: قوانين الأُصول، ص ٤٩٠؛ كفاية الأُصول، ص ٢٩٣.

٤. راجع: المفردات للراغب، ص ٤٣٢ (سود).

٥. الحصور: الذي لا يأتي النساء، إمّا من العُنّة و إمّا من العفّة و الاجتهاد في إزالة الشهوة. و الثاني أظهر في الآية؛ لأنّ بذلك تستحقّ المحمدة. كذا في المفردات للراغب، ص ٢٣٨ (حصر).

٦. الإسراء (١٧): ٨.

النفسانية؛ فإنّ أفضلَ صفات النفس و أكمل درجة الرُقِيّ[1] في الإنسان تسلّطُ قوّته العاقلة على نفسه و ميولها و قواها و شهواتها و هواها، فيحسبها عمّا يخالف كمالها و رقاها في مراحل العقائد و الأخلاق و الأعمال.

فإن قلت: إنّ معنى ذلك رجحان ترك التزويج و كذا ترك الانتفاعات بما رزق الله الإنسان في الدنيا، مع أنّه تعالى يقول: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[2].

قلت: مع أنّه يمكن القول بكون ترك التزويج راجحاً في زمانه؛ فإنّ زمانه و زمان عيسى ﷺ كان من الأزمنة التي مالت النفوس إلى الدنيا ميلاً شديداً و رغبوا في الشهوات و الملاذّ النفسانية، فاقتضى تشريع العصر منع بعض الملاذّ أو أكثرها غير ما اقتضته ضرورة المعاش.

مع أنّه يمكن أن يقال: إنّ من وظائف الإمام و زعيم الأُمّة إذا رأى الأُمّة و المجتمع راغبين إلى الدنيا، مكبّين عليها[3] حرصاً في تحصيلها، أن يحرّم على نفسه بعض ما أحلّه الله أوّلاً و بالذات؛ لكي يقدر على ردع الناس في المحرّمات و يزجرهم عن الشهوات.

الوصف الخامس: أنّه نبيّ مبعوث آتاه الله الحكم صبيّاً،[4] و جعله من المنبئين عن الله تعالى و إن كان تابعاً لعيسى و مؤمناً به.

الوصف السادس، أنّه من ذرّيّة الصالحين من الأنبياء و العباد؛ لأنّ نسبه يصل إلى داود، و هو إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﷺ.

---

١. الرقي، مثل فَلْس، و الرُقِيّ بضمّ الأوّل و كسر الثاني و تشديد الياء: مصدران بمعنى الصعود. يقال: رقيت في السلّم رَقياً و رُقِيّاً، إذا صعدت. راجع: لسان العرب، ج ١٤، ص ٣٣١ (رقا)؛ المصباح المنير، ص ٢٣٦ (رقي).

٢. الأعراف (٧): ٣٢.

٣. «مكبّين عليها»، أي لازمين عليها، يقال: أكبّ الرجل يكبّ على عمله، أي لزمه، و أكبّ على الشيء، أي أقبل عليه يفعله، و لزمه. راجع: لسان العرب، ج ١، ص ٦٩٥ (كبب).

٤. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يا يَحْيىٰ خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ وَ آتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾. مريم (١٩): ١٢.

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ۝ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ﴾[1].

التفسير

يظهر من سؤال زكريّا هذا و توجيه خطابه إلى ربّه تعالى، أنّ نداء الملائكة لم يكن مقروناً برؤيته لهم و التكلّم معهم، بل نادوه من حيث لا يراهم، و لعلّه كان غير شاعر بأنّ المنادي الملك، و لذلك وجّه خطابه في الجواب إلى ربّه، و حيث كان تبشير الملائكة بإذن الله تعالى و أمره، أسنده في الآية السابقة[2] إلى الملائكة و في الآية السابعة من سورة مريم إلى نفسه، قال تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾[3]، فلا تخالف بين الآيتين.

ثمّ إنّ السؤال وقع استعجاباً و سروراً، لا إنكاراً و استبعاداً، فإنّ ذلك لا يناسب منصب النبوّة، و لو كان الأمر كذلك لما سأل الولد أصلاً، فالسؤال للاستعجاب و استفهام كيفيّة إعطائه بعد كبر سنّه و عجزه عن مباشرة النساء و كون امرأته عاقراً، فسأل عن أنّه هل يرجع سنّه إلى الشباب؟ أو توجد فيه حالة الشباب؟ و كذا في امرأته، أو أنّه يرزقه تعالى زوجاً غيرها؟ أو نحو ذلك من الاحتمالات.

---

١. آل عمران (٣): ٤٠ و ٤١.
٢. و هي الآية ٣٩.
٣. مريم (١٩): ٧.

و يظهر من قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾[١] أنّه قد بلغ كبره فوق حدّ المعتاد، و نقل أنّه عمره كان مائة و عشرين سنة، و عمر زوجه نيّفاً و تسعين،[٢] و الآية لا تدلّ على غير عقرها إلّا أنّ الآية الثامنة من سورة مريم لا تخلو من الإشعار بكبرها أيضاً؛ لقوله تعالى: ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَـاقِرًا﴾[٣]، أي كانت في وقت اقتضاء سنّها للولادة عاقراً فكيف بها و هي كبيرة؟!

و قوله: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّـهُ﴾ مبتدأ و خبر، أي إنّ الله كذلك يفعل مـا يشـاء ـ أي إذا تعلّقت مشيّته على فعل شيء ـ و لا يمنعه مانع.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ﴾ إلى آخره؛

لماذا سأل زكريّا علامة و آية؟ أكان ﷺ في موضع شكّ و ترديد من النداء الواصل إليه، و أنّه هل هو خطاب رحماني صادر من عند الله بواسطة الملائكة أوْ لا بالوساطة، أو هو خطاب شيطاني ألقاه على قلبه، فسأل الآية لرفع هذا الترديد، أم سأل الآية و العلامة لمعرفة زمان انعقاد النطفة و حصول العلوق،[٤] كما ذكره الرازي في تفسيره،[٥] أو لمعرفة زمان الولادة؟ فيه وجهان.

يمكن القول بالأوّل، و حينئذ يتوجّه الإشكال بأنّه كيف يمكن للـنبيّ أن يـجيب المنادي بقوله: ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ﴾[٦] إلى آخره، و قوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ مع تـجويزه كونه شيطاناً و النداء وسوسة؟

لكنّه مدفوع بإمكان القول بعلمه أنّ النداء من الله، و سؤال الآية لطمأنينة القلب، كما

---

١. مريم (١٩): ٨.

٢. نقل عن ابن عبّاس و غيره من المفسّرين. راجع: لباب التنزيل، ج ١، ص ٢٤٣؛ الجامع لأحكام القرآن، ج ٤، ص ٧٩؛ البحر المحيط، ج ٣، ص ١٣٦، ذيل الآية ٤٠ من آل عمران (٣).

٣. مريم (١٩): ٥ و ٨.

٤. العُلوق: الحبل، يقال: علقت المرأة بالولد وكلّ أنثى، من باب تعب، أي حبلت. المصباح المنير، ص ٤٢٥ (علق).

٥. مفاتيح الغيب، ج ٨، ص ٢١٥، ذيل الآية ٤١ من آل عمران (٣).

٦. مريم (١٩): ٨.

في قول إبراهيم بعد سؤاله إحياء الموتى: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾.[١]

و قوله: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ إلى آخره، أي نحرّم لك التكلّم تشريفاً، أو لاتقدر عليه، و هذا لا فرق بين أن تكون الآية آية لصدق التبشير أو لانعقاد النطفة أو لقرب الولادة.

و قوله: ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾. قد عبّر تعالىٰ هاهنا بالأيّام و في سورة مريم بقوله: ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾،[٢] و لليوم إطلاقات ثلاثة: النهار مقابل الليل، و الليل و النهار كلاهما، و بمعنى الدهر،[٣] أي المدّة الطويلة غير المحدودة، و ليس المراد هنا الأخير، و يحتمل أحد الأوّلين، و على الأوّل فالمراد مع لياليها، و كذا الكلام في كلمة الليل.

و الظاهر أنّ مفاد الآية لم يقع إلّا مرّة واحدة بلغة السريانية، فحكاه الربّ تعالى في مورد بلفظ و في آخر بلفظ آخر.

و ما يقال من أنّه لا يخفى عليك الارتباط المعنوي بين الآية، و هي عجز اللسان عن التكلّم بغير ذكر الله و ذي الآية؛ أعني تولّد نبيّ يأمر بالمعروف و يضحّي نفسه في طريق ذلك، كما حكي أنّ في ليلة ولادة النبيّ الأعظم محمّد ﷺ خرس ملوك الدنيا يوماً أو أيّاماً،[٤] ففي ذلك إيماء إلى ذهاب الباطل عند مجيء الحقّ، و إن كان بين المقامين فرق من جهة أُخرى، غير سديد.

ثمّ إنّه نقل عن إنجيل لوقا أنّ جبرئيل قال لزكريّا: «و ها أنت تكون صامتاً و لا تقدر أن تتكلّم إلى اليوم الذي يكون فيه هذا؛ لأنّك لم تصدّق كلامي الذي سيتمّ في وقته».[٥]

و ظاهره أنّ عجزه عن التكلّم حدث حين سؤاله الآية و بقي إلى ولادة يحيى، و أنّه كان ذلك عقوبة سؤاله.

---

١. البقرة (٢): ٢٦٠.

٢. مريم (١٩): ١٠.

٣. لسان العرب، ج ١٢، ص ٦٤٩ و ٦٥٠؛ المصباح المنير، ص ٦٨٢ و ٦٨٣ (يوم).

٤. الأمالي للشيخ الصدوق؛، ص ٣٦١، المجلس ٤٨، ح ١/٤٤٤.

٥. الكتاب المقدس (العهد الجديد)، ص ٩٠، الأصحاح الأوّل، الرقم ٢٠.

و قد علّل بعض المفسرين[١] من المسلمين أيضاً العجز بكونه عقوبة عاقبه الله تعالى بها لطلبه الآية بعد تبشير الملك، فتبع كلام الإنجيل غفلة عن بطلانه.

و قوله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ﴾، العشيّ: من الظهر إلى الغروب، أو وقت العصر، و الإبكار: من الصباح إلى الضحى.

---

١. هو قتادة على ما نقل عنه في جامع البيان، ج ٣، ص ١٧٨؛ معالم التنزيل، ج ١، ص ٤٣٨؛ مفاتيح الغيب، ج ١، ص ٢١٥؛ الدرّ المنثور، ج ٢، ص ٢٢، ذيل الآية ٤١ من آل عمران (٣).

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ○ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ○ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[1].

التفسير

الإنسان يقع مورداً لمخاطبة أشخاص:

الأوّل: منهم هو الربّ تعالى، أمّا الأنبياء منهم فالله يتكلّم معهم بإحدى الطرق الثلاث كما سيجيء، و هي إيحاء خاصّ يتعلّق بهم، و أمّا غيرهم فله تعالى إيحاء عامّ يتكلّم بذلك مع الأناسي[2] كلّهم، بل و غيرهم من الملك و الحيوان و الجماد؛ قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾[3]؛

و قال: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾[4]؛

و قال: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾[5]؛

---

١. آل عمران (٣): ٤٢ ـ ٤٤.

٢. الأناسيّ، بالفتح و تشديد الياء: جمع الإنسيّ واحد الإنس، أو هو جمع الإنسان، و أصله: أناسين، فتكون الياء عوضاً عن النون، و يجوز تخفيف الياء. و هاهنا بحث و تفصيل بيان لا يسعه المقام. راجع: الصحاح، ج ٣، ص ٩٠٤؛ لسان العرب، ج ٦، ص ١٠ ـ ١٣ (أنس).

٣. الأنفال (٨): ١٢.

٤. القصص (٢٨): ٧.

٥. النحل (١٦): ٦٨.

و قال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾[١]؛

و قال: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[٢]؛ فإنّه يشتمل القسم الأوّل من التكلّم في هذه الآية جميع الإنسان من الأنبياء و غيرهم إلّا أنّ الفارق بينهم أنّ الذي يوحى إلى الأنبياء بحسب الغالب هو الأحكام الشرعية و الشرايع الكلّيّة الإلهية، و الذي يوحى إلى غيرهم هو الأمور الجزئية و الموضوعات الخارجية، كما في الآيات قبلها، فلاحظ ما أوحى الله تعالى إلى أنبيائه، قال تعالى:

﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾[٣]؛

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾[٤]؛

﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾[٥] إلى آخره؛

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾[٦].

و هنا فارق آخر هو أنّ الأنبياء يحصل لهم اليقين بصحّة الوحي و كونه من عند الله تعالى بمجرّد حصوله، و ليس غيرهم كذلك، بل هو في حقّهم مجرّد القاءات باطنية يمكن أن يتردّدوا فيها و يشكّوا، فلابدّ أن يرجعوا إلى ما علموه من الشرع و العقل فيوازنوا بهما حتّى يحصل لهم الاطمينان بالصدق.

الثاني: ممّن يتكلّم مع الإنسان الملك، فهو أيضاً يتكلّم مع الأنبياء و غيرهم؛ قال تعالى: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾[٧]؛

و قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ... قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا﴾[٨]؛

---

١. الزلزلة (٩٩): ٤ و ٥.
٢. الشورى (٤٢): ٥١.
٣. يوسف (١٢): ٣.
٤. النحل (١٦): ١٢٣.
٥. الأنبياء (٢١): ٧٣.
٦. الشورى (٤٢): ١٣.
٧. الشورى (٤٢): ٥١.
٨. مريم (١٩): ١٧ ـ ١٩.

و قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ﴾[1]؛

و قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ﴾[2].

الثالث: الشيطان، فقد سمّى الله تكلّمه معه قولاً و وحياً و وعداً و أمراً و وسوسة و نحو ذلك؛

قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ﴾[3]؛

و قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾[4]؛

و قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾[5]؛

و قال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾[6]؛

و قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ○ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾[7].

الرابع: الجنّ، فيستفاد من موارد من القرآن إمكان ارتباطهم مع الإنس و تكلّمهم معهم؛

قال تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾[8]؛

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[9]؛

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾[10].

الخامس: الحيوان؛ قال تعالى:

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾[11]؛

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ○ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾[12]؛

---

١. آل عمران (٣): ٣٩.
٢. آل عمران (٣): ٤٢.
٣. الحشر (٥٩): ١٦.
٤. الأنعام (٦): ١٢١.
٥. النساء (٤): ١٢٠.
٦. البقرة (٢): ٢٦٨.
٧. الناس (١١٤): ٥ و ٦.
٨. النمل (٢٧): ٣٩.
٩. الجنّ (٧٢): ٦.
١٠. الأحقاف (٤٦): ٢٩.
١١. النمل (٢٧): ١٦.
١٢. النمل (٢٧): ١٨ و ١٩.

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾[١].

السادس: أجزاء العالم كلّها جمادها و نباتها و غير ذلك؛ فإنّها كما تسبّح لله تعالى و تقدّسه، كذلك تتكلّم مع الإنسان بلسان حالها؛ أمّا تسبيحها فقد قال تعالى:

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[٢]؛

و قال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾[٣]؛

و قال: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ﴾[٤].

و أمّا تكلّمها مع الإنسان فلم نجد له شاهداً من الكتاب الكريم إلّا أنّه ورد في بعض الأخبار مخاطبة الأرض و بعض الأيّام و الليالي و غيرها للإنسان و وعظها و تحذيرها إيّاه.[٥]

و قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ﴾ إلى آخره. يمكن أن يكون المراد بالتطهير هنا هو تطهيرها من حيث الجسم تطهيراً ذا أبعاد ثلاثة، أي من العيوب و الأمراض و الأدران، و من حيث الروح أيضاً كذلك، أي تطهيرها من العقائد الباطلة و الأخلاق الرذيلة و الأعمال القبيحة، و كذا التطهير من حيث النسب و الأهل، كما حكاه تعالى في سورة مريم عن قومها، حيث قالوا: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾.[٦]

و أمّا الاصطفاء فالمراد بالأوّل منه اصطفاؤها بنفسها ببعض الكمالات و الفضائل و لو كان تشرك فيها معها عدّة آخرون، كقبول تحريرها لخدمة البيت، و تكفّل زكريّا حضانتها و حفظها، و صيرورتها عابدة، بل أعبد من غيرها، و حضور الرزق عندها في

---

١. النمل (٢٧): ٢٢.
٢. الجمعة (٦٢): ١؛ التغابن (٦٤): ١.
٣. الإسراء (١٧): ٤٤.
٤. ص (٣٨): ١٨.
٥. الكافي، ج ٣، ص ٢٤٢، باب ما ينطق به موضع القبر، ح ١ و ٢؛ الاختصاص، ص ٣٥٩، باب صفة النار؛ الخرائج و الجرائح، ج ٢، ص ٥٠٣؛ الاحتجاج، ج ١، ص ٢٢٠؛ المناقب، ج ١، ص ٩٩؛ إقبال الأعمال، ص ٥٨٦؛ الطرائف، ج ١، ص ١١٠، ح ١٦٢؛ كشف الغمّة، ج ١، ص ٢٨٥؛ أعلام الدين، ص ٤٢٨.
٦. مريم (١٩): ٢٨.

محرابها، و تكلّم الملائكة معها.

و أمّا الاصطفاء الثاني فالظاهر أنّ المراد به حملها بعيسى و ولادتها بنحو غير معتاد، أي بلا زوج، و هي في هذه الفضيلة مفضّلة على جميع العالمين.

فالآية مسوقة لبيان وصف طهارتها و اصطفائها في نفسها مع قطع النظر عن المقايسة بغيرها و اصطفائها بالنظر الى مقايستها بغيرها، و الاصطفاء الأوّل و التطهير المذكور قد حصلا متقارنين في أزمنة عمرها، و الاصطفاء الثاني متأخّر، فتقديم أيّهما لا بأس به.

و قوله: ﴿يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى﴾ إلى آخره. القنوت: الطاعة المقرونة بالخضوع، و السجود هنا بمعناه المصطلح الشرعي، و الركوع الصلاة، فأمرتها الملائكة بالطاعة لله مطلقاً، ثمّ بالفرد الخاصّ منها، ثمّ بالفرد الأكمل، و هو الصلاة مع العبّاد و في زمرتهم، أو بإقامة الصلاة جماعة.

و قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ إلى آخره. ذكر تعالى بعد بيان أنّ الله اصطفى آدم و نوحاً إلى آخره، قصصاً أربعاً: إحديها قصّة حنّة امرأة عمران و بيّنها في آيات ثلاث،[١] و ثانيتها قصّة زكريّا و أتمّها في أربع آيات،[٢] و ثالثتها قصّة مريم و أوضحها في خمس آيات،[٣] ثمّ أشار إلى قصّة عيسى في عشر آيات،[٤] ثمّ إنّه تعالى بعد ما حكا شيئاً يسيراً من حال مريم، بيّن لنبيّه ﷺ أنّ الأنباء المذكورة من قبيل الغيب الذي لم يطّلع عليه أحد في عصره، و أوحاه الله تعالى إليه، و أشار في ضمن هذا البيان إلى شيء من حالات مريم في صغرها و أنّ العبّاد أو سدنة البيت[٥] قد اجتمعوا، فتنازعوا في تكفّلها حتّى آل أمرهم إلى الاقتراع، فأصابت القرعة زكريّا.

ثمّ إنّه قد يقال: إنّ المراد بنفي حضور النبيّ ﷺ عند تلك الواقعة إثبات أنّ ما يخبر

---

١. هي الآيات ٣٥ ـ ٣٧ من آل عمران (٣).
٢. هي الآيات ٣٨ ـ ٤١ من آل عمران (٣).
٣. هي الآيات ٤٢ ـ ٤٦ من آل عمران (٣).
٤. هي الآيات ٤٧ ـ ٥٥ من آل عمران (٣).
٥. سدنة البيت خدمتها، جمع السادن، و هو الخادم. و سدانة البيت هي خدمتها و تولّي أمرها، و فتح بابها و إغلاقه. راجع: النهاية، ج ٢، ص ٣٥٥ (سدن).

به كلّه من عند الله؛ فإنّ أهل الكتاب كانوا مقرّين بأنّه ﷺ لم يقرأ الكتاب و لم يرو الأخبار عن أحد، إذاً فيكون الجميع عندهم أيضاً من الغيب الذي ألقاه الله إليه.[١]

إن قلت: كيف يمكن دعوى اعترافهم بذلك، مع ما حكى الله عنهم في قوله: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[٢] و في قوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾[٣]؟

قلت: الآيتان مكّيّتان،[٤] نقل فيهما افتراء المشركين على النبيّ ﷺ، و لم يعلم القول به من أهل الكتاب الذين عاصروا النبيّ في المدينة في زمان نزول الآية المبحوث عنها، بل الظاهر أنّهم كانوا يعلمون عدم قراءة النبيّ الكتب و عدم أخذه العلم عن أحد؛ فإنّهم كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، و كانوا يعلمون أنّه ﷺ لم يأخذ ذلك من كتبهم أيضاً؛ فإنّ غالب ما ذكره الله من القصص لم يوافق كتبهم المحرّفة، أو لم يكن موجوداً في كتبهم، مع أنّه تعالى في الآية الثانية قد ردّ عليهم بأنّ لسان الذين نسبوا تعليم النبيّ إليهم أعجميّ، و القرآن عربيّ مبين، فكيف يمكن أخذه العلم منهم؟

و قوله: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ إلى آخره، الأقلام هنا هي القداح المبروءة للقرعة، فكانوا يلقونها في النهر القليل الماء، فمن رسخ قدحه في الطين نال مطلوبه، أو كانوا يلقونها في ظرف أو كيس، فيخرجونها على الترتيب، و الظاهر أنّ اختصامهم قبل أن تصل النوبة إلى الاقتراع، و يحتمل أن يكون بعده في اتّهاب بعض حقّ الآخر و نحو ذلك.

---

١. راجع: الكشّاف، ج ١، ص ٣٦٣؛ مجمع البيان، ج ٢، ص ٧٤٧؛ جوامع الجامع، ج ١، ص ١٧٤؛ أنوار التنزيل، ج ٢، ص ١٧؛ البحر المحيط، ج ٣، ص ١٥٠، ذيل الآية ٤٤ من سورة آل عمران (٣).

٢. الفرقان (٢٥): ٥. ٣. النحل (١٦): ١٠٣.

٤. اقتباس من الآية ١٤٦ من البقرة (٢)، و ٢٠ من الأنعام (٩)، و هي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَ ٱلْأَخِرَةِ وَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ○ وَ يُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَ كَهْلاً وَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1].

التفسير

القول الملقى إلى مريم صادر من عدّة من الملائكة؛ إذ الكلام بشارة، و المبشِّر هو الربّ تعالى، و المبشَّر[2] مصطفاة مطهّرة محدّثة، و المبشَّر به نبيّ من الأنبياء و رسول من أُولي العزم منهم، له كتاب سماويّ و شريعة و أحكام.

و يظهر من الآيات أنّ مريم لم تكن تعلم أنّ الخطاب من الملائكة، بل كانت تتخيّل أنّ الله خاطبها بعنوان الغيبة دون التكلّم، و لذلك وجّهت خطابها إلى الله دون الملائكة في جواب المنادي.

ثمّ إنّ صاحب تفسير المنار قال: إنّ[3] المراد بالملائكة هنا الروح جبرئيل؛[4] لقوله تعالى في سورة مريم[5]: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾.[6]

لكنّ الظاهر خلافه و إن اختاره بعض الأعاظم[7] أيضاً؛ فإنّ هذه الآية بيان لحصول البشارة و أنّها وقعت بواسطة عدّة من الملائكة، كما هو ظاهر إطلاق لفظ الجمع،

---

١. آل عمران (٣): ٤٥ و ٤٦.

٢. كذا في الأصل، و الصحيح: «المبشّرة».

٣. في المنار: – «إنّ».

٤. في المنار: «جبريل».

٥. مريم (١٩): ١٧.

٦. المنار، ج ٣، ص ٣٠٣، ذيل الآية ٤٥ من آل عمران (٣).

٧. هو العلّامة الطباطبايي ﷺ في الميزان، ج ٣، ص ١٩١ و ١٩٢، ذيل الآية ٤٥ من آل عمران (٣).

و يؤيّده وقوع السؤال منها بنحو توجيه الخطاب إلى الله تعالى دون الملائكة، فسألت عن أنّه كيف يمكن حصول الولد مع عدم زوج لها؟ و لا يناسب هذا سياق الآيات الواقعة في سورة مريم و إن كان اللازم حينئذ القول بتكرّر وقوع السؤال منها عن كيفيّة التولّد مع عدم مساسها بشراً.

و بالجملة مقتضى ظاهر الآيات هنا و هناك أنّ مجيء الملائكة للبشارة وقع في وقت، و مجيء الرسول الواحد لتنجيزه البشارة وقع في وقت آخر مع فصل زمان بينهما غير معلوم المقدار.

ثمّ إنّه تعالى قد عدّ لعيسى من الأوصاف و الأفعال ثمانية عشر أمراً،[1] و الظاهر أنّ الجميع ممّا أخبرت بها الملائكة مريم، فبعضها قبل استعجابها عن حال تلك الولادة و بعضها بعده، و هي عبارة عن الأمور التالية:

١. الكلمة؛ ٢. المسيح؛ ٣. عيسى بن مريم؛ ٤. الوجيه في الدنيا؛ ٥. الوجيه في الآخرة؛ ٦. من المقرّبين؛ ٧. يكلّم الناس في المهد؛ ٨. يكلّمهم كهلاً؛ ٩. من الصالحين؛ ١٠. يعلّمه الله الكتاب و الحكمة؛ ١١. الرسول إلى بني إسرائيل؛ ١٢. يصوّر الطير و يحييه بالنفخ؛ ١٣. يبرئ الأكمه؛ ١٤. يبرئ الأبرص؛ ١٥. يحيي الموتى؛ ١٦. ينبئ بما يأكلون و يدّخرون؛ ١٧. مصدّق للتوراة؛ ١٨. محلّل بعض ما حرّمه الله من قبل.

و ذكر المفسّرون في إطلاق الكلمة عليه وجوهاً[2] لا يخلو أكثرها من النظر بل التعسّف، و يمكن القول بأنّ المراد بها هو ما ذكرناه آنفاً في ذيل الآية ٣٩ بأنّ عيسى كلام إلهيّ و كتاب تكوينيّ ناطق، و إنجيله كلام إلهيّ صامت فهو كلمة الله، أي كلامه، و قد سمعت تقريب كونه كلاماً.

و يمكن أيضاً كون المراد أنّه المتولّد بكلمة الله، أي كلمة الايجاد، و هي قوله تعالى: ﴿كُنْ﴾ إذا شاء إيجاد شيء، و قد بيّن تعالى كيفيّة إيجاد الأشياء و حصولها بكلمة «كن»

---

١. عدّها الله ﷻ ضمن الآيات ٤٥ ـ ٥٠ من آل عمران (٣).

٢. راجع: التبيان، ج ٢، ص ٤٦٢؛ مجمع البيان، ج ٢، ص ٧٥٠؛ مفاتيح الغيب، ج ٨، ص ٢٢١؛ البحر المحيط، ج ٣، ص ١٥٢؛ المنار، ج ٣، ص ٣٠٤ و ٣٠٥، ذيل الآية المذكورة.

في موارد من الكتاب الكريم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ○ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[١]؛

و قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[٢]؛

و قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[٣].

فإن قيل: إنّ لازم ما ذكرت كون كلّ شيء من الموجودات كلمة الله تعالى، و هو اصطلاح غير مأنوس، مع أنّه لا يكون ذلك حينئذ مدحاً لعيسى بن مريم؛ لأنّ كلّ موجود كذلك، و ظاهر الآية كونها في مقام مدحه و التبشير بوجود ولد متّصف بهذا الوصف.

قلنا: لا إشكال في كون كلّ شيء كلمة الله تعالى بهذا المعنى، و أمّا كون ذلك مدحاً لعيسى فلأجل تكوّنه على خلاف الطريق المعتاد في خلق الإنسان و حصول ذلك بنفخ من الملك، لا بالنكاح و الزواج، و هذه فضيلة خاصّة به ليست في غيره.

ثمّ إنّ ما ذكرنا من معنى كلمة «الايجاد» و تطبيق الآيات السابقة عليه مبنيّ على ما ذكره بعض المفسّرين في تلك الآيات،[٤] لكن فيه ما لا يخفى؛ إذ يصعب الالتزام بأنّ خلق كلّ شيء من الأشياء لا يحصل إلّا بكلمة «كن»، و ما هو معنى تكلّمه تعالى بهذه الكلمة؟ فإنّ كلامه عبارة عن خلق الصوت، فما الحاجة إلى خلق الصوت عند خلق الأشياء؟ مع أنّه يلزم خلق صوت آخر عند خلق هذا الصوت و هكذا فيلزم التسلسل.

فالأولى أن يقال: إنّ قوله تعالى: ﴿أَن نَّقُولَ لَهُ كُن﴾ لبيان أنّه تعالى أبى أن يجري الأمور إلّا بالأسباب، فإدراج كلمة «كن» في المقام لبيان أنّه إذا أراد شيئاً هيّأ أسبابه و أوجدها فيوجد المسبّب، أو لبيان أنّ الله إذا أراد شيئاً أوجده بأيسر نحو يتصوّر في

---

١. البقرة (٢): ١١٦ و ١١٧. ٢. النحل (١٦): ٤٠.

٣. يس (٣٦): ٨٢.

٤. للتعرّف للأقوال في المسألة راجع: التبيان، ج ١، ص ٤٣١ ـ ٤٣٣؛ مجمع البيان، ج ١، ص ٣٦٨ و ٣٦٩، ذيل الآية ١١٧ من البقرة (٢).

الخلقة، حيث إنّ أيسر الأسباب في إيجاد شيء للإنسان ـ لو كان قادراً ـ هو إيجاد بالأمر بالكون، فالله يوجد الأشياء بأيسر طريق الإيجاد، و لعلّه نفس الإرادة.

و أمّا «المسيح» فهو فعيل بمعنى الفاعل؛ لأنّه كان يمسح ذوي العاهات بيده فيبرؤون، أو كان يمسح مرضى القلوب بإرادته و حنانه فيبرؤون عن آفة العقائد الباطلة و الأخلاق الرذيلة، و يمكن كونه بمعنى المفعول؛ فإنّه كان ممسوحاً بالبركة من جانب الربّ تعالى، حيث يقول: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾.[1]

و «عيسى» مقلوب يسوع بمعنى المنجي، أو بمعنى يعيش.[2]

و قوله: ﴿وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾. الوجيه: ذو الشرف و المكانة و الجاه، و كونه كذلك في الدارين واضح.

ثمّ إنّ الدنيا عبارة عن دارٍ يعيش فيها الإنسان و أزمنةِ حياةٍ له قد نمى و نتج فيها كلّ بذر أُودع في طينته من عالم الرحم؛ فإنّ هنالك إذ كان نطفة أمشاجاً، قد زرعت في روحه و غرست في مغرس جبلّته صفات و أخلاق و سجايا حسنة أو قبيحة ممّا أودعه الربّ تعالى وفقاً لنظام التكوين و رعاية لمصلحة التدبير، أو زرعه الأبوان، و كذا كلّ خليط اختلط في ذاته من ناحية أفراد مجتمعة من غير شعوره بذلك.

و بالجملة، أكثر العقائد و الصفات التي تظهر في الدنيا في الإنسان حصائد و نتائج ممّا عجنت به الطينة في عالم الرحم، فالدنيا دار تنمو فيه تلك البذور و المغارس إلّا أنّ الله تعالى قد أودع في المكلّف قوّة عاقلة مسلّطة، له أن يدبّر أمر الطينة و مزارع البذور و مغارس الأشجار، فيبقيها و ينميها و يبريها، أو يقطعها و يزيلها و يزرع في مكانها شيئاً آخر من عقائد و فضائل و رذائل، فوجودها الجبلّي و الطبيعي ليس بنحو العلّيّة التامّة في الإنتاج الدائم في الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[3].

---

١. مريم (١٩): ٣١.

٢. و للمزيد راجع: لسان العرب، ج ٦، ص ١٥٣ (عيس).

٣. الإنسان (٧٦): ٢ و ٣.

فالأمشاج: المختلطات من أُمور و موادّ،[١] و الإبتلاء يكون بإعطاء العقل المميّز المدرك عن طريق السمع و البصر، ثمّ أيّد ذلك بإرسال الرسل و الكتب، و هو الهداية إلى السبيل، هذا هي الدنيا.

و أمّا الآخرة فهي الدار الأُخرى و الزمان بعد هذا الزمان، يستنتج فيها و يحصد ما أودعه الإنسان في نفسه في هذه الدنيا؛ فإنّ كلّ ما اعتقده من العقائد، و اتّصف به من الصفات و الملكات، و عمله من الأعمال في دنياه، لها تأثير خاصّ في النفس، و توجد فيها حالات تظهر نتاجها في الآخرة، و تتّصف الروح بها في تلك الدار، و كما لا يمكن ظهور البذور المودعة في الرحم قبل الخروج عنه؛ إذ ليس في المحلّ المزروع و في محيط الرحم قابلية تلك التنمية و الرشد و التكامل و الظهور، فكذا لا يمكن اتّصاف الروح بما اقتضته الأخلاق و الأعمال إلّا بعد خلع هذا البدن و طرح هذا اللباس، ثمّ الخروج عن هذا المحيطي غير القابل؛ ليظهر صفات الروح في بدن آخر يناسب تغيّرها و تبدّلها و صفاتها.

و ذلك كما في القالب المثالي في بعض النفوس، و هي التي تكون حيّة متنعّمة أو معذّبة في البرزخ، أو في البدن الدنيوي الذي قد صوّر في القيمة و سوّي بنحو يدوم و يبقى و لا ينعدم و لا يفنى، و ذلك لعدم إمكان ظهور نتائج العقائد و الأعمال في هذه الدار الصغيرة الفانية المنصرمة، و كيف يعقل ظهور نتائج الأعمال الدنيوية الحسنة التي لا يمكن ترتّبها إلّا في آلاف من السنين، أو الأعمال السيّئة التي هي كذلك.

ثمّ ليعلم أنّ إنتاج القوى المودعة في الدنيا في عالم الآخرة قد يكون بنحو العلّة التامّة غير القابلة للانفكاك، كما في إنتاج الايمان و الكفر و الشرك و سائر العقائد الأُصولية، بل و الأعمال الصالحة، و قد يكون بنحو الاقتضاء مع قابلية الانفكاك، كما

---

١. الأمشاج: جمع المشج -بفتح الميم و مثلّثة الشين- و المشيج، و هو كلّ لونين اختلطا، و قيل غير ذلك.
و قال الزمخشري: الأمشاج مفرد، لا يصحّ أن يكون تكسيراً لمشج، بل هما مثلان في الإفراد؛ لوصف المفرد بهما. و المعنى: من نطفة قد امتزج فيها الماءان، أو من نطفة هي مختلطة بماء المرأة و دمها. راجع: لسان العرب، ج ٢، ص ٣٦٧ (مشج)؛ الكشّاف، ج ٤، ص ٦٦٦.

في إنتاج الصفات الرذيلة و المعاصي الكبيرة و الصغيرة مع بقاء الايمان؛ إذ هي تقبل الانفكاك بحيث لا يترتّب عليها آثارها السيّئة في الآخرة، إمّا بدعاء المؤمنين؛ أو ببعض أعماله الصالحة الباقية في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾[١] و إمّا بواسطة الشفاعة المسلّمة وقوعها في الآخرة.

و بالجملة، الدنيا هي الدارُ القريبة منّا و الزمانُ الواقع فيه ظهور نتائج عالم الرحم المودعة في الروح و النفس بيد الربّ الجليل، أو دخالة نفوس آخر من الأب و الأمّ و الشيطان و غيرهم.

و الآخرة هي الدارُ البعيدة منّا بالإضافة إلى الدنيا و الزمانُ الذي يحدث فيه نتائج البذور المودعة في النفس و المغروسة فيها بيد الإنسان نفسه و بنظارته و تدبيره.

و قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً﴾ إلى آخره. لا إشكال في كون التكليم في المهد بنحو الإعجاز، و لو فرضنا وقوعه بعد مضيّ سنة أو سنتين من عمره، أي في وقت إمكان التكلّم لكلّ صبيّ، فإنّ المراد به الكلام مع الناس بمقتضى أفهامهم و تناسب عقولهم، و هذا لا يتيسّر للصبي المتكلّم في بدء أمره، مع أنّ الآيات في سورة مريم تدلّ على وقوع التكلّم عقيب الولادة، قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾[٢] إلى أن قال: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾[٣].

و أمّا التكليم في حال الكهولة فذكره في الآية الشريفة لابدّ من أن يكون لبيان أمر هامٍّ و نكتة لطيفة، فقد قيل: إنّ الغرض التشبيه و كون تكلّمه في صباه كتكلّمه في كهولته.[٤]

و الظاهر أنّ المراد بالكهولة هو كمال الإنسان في قواه البدنية و تكفيراته الروحية،

---

١. يس (٣٦): ١٢.

٢. مريم (١٩): ٢٧.

٣. مريم (١٩): ٢٩.

٤. قال به جمع من المفسّرين. راجع: الكشّاف، ج ١، ص ٣٦٤؛ جوامع الجامع، ج ١، ص ١٧٥؛ أنوار التنزيل، ج ٢، ص ١٨، ذيل الآية ٤٦ من آل عمران (٣).

و ذلك يكون بطبع الحال بعد أربعين من سني العمر، و الآية مصرّحة بأنّ عيسى يكلّم الناس في وقتين، و ظاهرها وقوع الفصل الزماني بين الوقتين بتخلّل عدم التكلّم معهم في ما بين ذلك، فهي تشير إلى ما دلّ عليه أحاديث أهل البيت من أنّ المسيح ينزل حين ظهور مولانا المهدي ـ عجّل الله تعالى فرجه ـ و يصلّي خلفه جماعة، و يكون من أعوانه على دينه و أنصاره على الحقّ.

و الظاهر أنّ مجيئه عندئذ يكون مع كمال قوّته البدنية و الروحية، و هي الكهولة؛ كما أنّ مولانا المهدي أيضاً يكون كذلك، و لا ينافي ذلك كثرة سنّهم من جهة العمر العادي كبلوغ سنّ مولانا الحجّة ـ عجّل الله تعالى فرجه ـ إلى ١٢٥٠ تقريباً، و سنّ عيسى إلى ١٩٧٦، و يربو عليهما سنّ الخضر النبيّ، و لعلّه يبلغ ثلاث آلاف سنة أو أكثر.

و قوله: ﴿وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾. أي في عقائدهم و أوصافهم الروحية و أعمالهم، فينطبق الإنسان التامّ الكامل في جميع تلك الجهات على الأنبياء، فالآية تشير إلى كونه من نسل الأنبياء و المرسلين، و هو كذلك؛ إذ ينتهي نسبه إلى إسرائيل و إسحاق و إبراهيم عليهم السلام.

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ۝ وَ يُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَ ٱلْحِكْمَةَ وَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَ ٱلْإِنجِيلَ۝ وَ رَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَ أُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَ ٱلْأَبْرَصَ وَ أُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

التفسير

ظاهر سؤالها أنّما علمت بهبة الولد لها من غير طريق الزواج، كما أنّ الجواب أيضاً يؤيّد ذلك؛ فإنّ قوله ﴿كَذٰلِكِ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي الأمر كذلك، أو كذلك الله.

و قوله: ﴿يَخْلُقُ ما يَشاء﴾: بيان للجملة قبله، و معناه أنّ الله إذا شاء خلق شيء خلقه و أوجده بلا عجز في ذلك و لا قصور.

و قوله: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ بيان لكيفية خلقه بعد تعلّق مشيّته به و أنّه يقع بأسهل طرقه، كما إذا اوجد الناس شيئاً بمجرّد الأمر بالوجود كما ذكر آنفاً.

و القضاء هنا بمعنى الإرادة و المشيّة، و الأمر بمعنى الشيء، و الضمير المجرور في قوله: ﴿لَهُ﴾ يرجع إلى الشيء، و يراد به الماهية؛ فإنّ الأمرَ بالوجود الخارجي لأن يوجد طلبٌ لحصول الحاصل، و الوجود الذهني لا يكون في المبدأ تعالى بنحو يسانخ حالنا، كما هو واضح.

---

١. آل عمران (٣): ٤٧ ـ ٤٩.

ثمّ إنّ ظاهر الآية ـ على ما استفاده عدّة من المفسّرين ـ كون إعطاء الولد لها بنحو الإعجاز و خرق الطبيعة،[١] و لكن نقول: إنّ فيه مذهبين:

الأوّل: كونه كذلك: أي بنحو الإعجاز بأن يقال: قد تكون الجنين في رحم مريم دفعة أو تدريجاً من غير طريق العادة، و لا على سبيل الاعتياد، بل بإيجاد المادّة البدنية أوّلاً و نفخ الروح فيها ثانياً، أو بإيجادهما دفعة واحدة، فعيسى أمر و شيء قضاه الله، و قال له: كن، فوجد و كان، و يظهر ذلك أيضاً عن قوله تعالى في سورة مريم:

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا۝ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا۝ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾[٢]؛

و من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَـٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[٣].

و قوله: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[٤].

و الكلّ ظاهر في كون إعطائها الولد من غير طريق العادة، بل وجد في رحمها بالنفخ فيه أو فيها.[٥]

الثاني: كون الإعطاء جارياً على قوانين الطبيعة، لا خارقاً لها.

و يمكن تقريب هذا القول ـ و إن لم يأت صاحبه بأمر واضح ـ بأنّ التجارب العلمية الحاصلة في العصور الأخيرة قد أثبتت ـ بحيث لم يبق لأربابها مرية و ترديد ـ أنّ الإناث من الحيوانات قد تحمل و تلد بلا مساس الذكور من جنسها، و ذلك لأنّ الجراثيم الصغار الموجودة في نطفة الذكور المسمّاة عندهم بـ«اسپرماتوزوئيد» التي هي مبدأ تكوّن الإنسان مثلاً، لابدّ أن تجتمع و تختلط مع ما هو موجود في نطفة الإناث

---

١. راجع: مجمع البيان، ج ٢، ص ٧٥٠؛ مفاتيح الغيب، ج ٨، ص ٢٢٦؛ البحر المحيط، ج ٣، ص ١٥٨، ذيل الآية ٤٧ من آل عمران (٣).

٢. مريم (١٩): ٢١ ـ ٢٣.

٣. الأنبياء (٢١): ٩١.

٤. التحريم (٦٦): ١٢.

٥. المنار، ج ٣، ص ٣٠٨ ـ ٣١٠، ذيل الآية ٤٧ من آل عمران (٣).

الموسوم بـ«اول»، و قد أثبتت التجربة أنّه قد يكون كلا النوعين منها في نطفة الإناث إلّا أنّ انصباب نطفتها في رحمها لا يكون إلّا بسبب، فقد يتحقّق بعروض التخيّل الذهني، و قد يكون برؤية الذكور، فتتحرّك شهوتها، و تصبّ النطفة في رحمها، و ينعقد الولد.

و حينئذ يمكن أن يقال: إنّ تذكّر مريم من كلام الله أو كلام الملك أمر الولادة قد انجرّ إلى تصوّر أمر المواقعة، فصار سبباً لذلك، أو أنّ رؤية الملك بصورة البشر أورثت ذلك، فانعقدت النطفة في رحمها ولداً، و ليس في آيات مريم دلالة على كون ذلك في ساعة واحدة أو ساعات مثلاً، كما عن ابن عبّاس، قال: ليس بين الانتباذ و الحمل إلّا ساعة.[1]

و استدلّ على ذلك بوجود الفاء في قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ... فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾ إلى آخره،[2] بل قد ورد في أخبار أهل البيت عن مولانا الباقر ﷺ[3] أنّه كانت مدّة حمل عيسى كحمل الحسين بن عليّ بن أبي طالب ﷺ ستّة أشهر.

و قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾. الكتاب إمّا يراد به جنسه، أي الكتب المنزلة من عند الله على الأنبياء كلّهم، فذكر التوراة و الإنجيل بعده تخصيص بعد تعميم، أو المراد به الكتابة و الخطّ، و يؤيّده مقارنته بالحكمة، فعلّمه الله الكتاب و العلم، كما قال تعالى في سورة العلق: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ○ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ○ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[4].

و أمّا الحكمة فهي إمّا الأحكام الشرعية الإلهية من الأصول الاعتقادية و الفروع العملية و الأخلاقيات، و بعبارة أُخرى هي الدين الذي جاء به عيسى؛ فإنّ جميع الدين و أحكامه ينقسم إلى هذه الأنواع الثلاثة.

أو هي عبارة عن الأحكام التي يستقلّ العقل بها و يحكم برجحانها أو قبحها، و هذا

---

١. الكشّاف، ج ٣، ص ١٠؛ مجمع البيان، ج ٦، ص ٧٨٨، ذيل الآية ٢٢ من سورة مريم (١٩).

٢. مريم (١٩): ٢٢ و ٢٣.

٣. لم نعثر عليه، نعم روي عن الإمام الصادق ﷺ. راجع: الكافي، ج ١، ص ٤٦٤، باب مولد الحسين بن عليّ ﷺ، ح ٤؛ علل الشرائع، ج ١، ص ٢٠٦، الباب ١٥٦، ح ٣.

٤. العلق (٩٦): ٣ ـ ٥.

المعنى يقرب من الأوّل إلّا أنّ بينهما عموماً من وجه؛ إذ قد لا يدرك العقل بعض أحكام الشرع، و قد يحكم بشيء لا يمضيه الشرع و إن كان نادراً.

و ذكر الله تعالى في سورة الإسراء عدّة من الأمور و الأحكام، ثمّ قال: إنّ ذلك كلّه من قبيل الحكمة،[1] و لو تأمّلت فيها لوجدتها أحكاماً يستقلّ العقل بها، و يمضيها و يستحسنها، أو يستقبحها:

١. ﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلهاً آخَرَ﴾،[2] أي اعتقد به قلباً، و لا تعقد بغيره.

٢. ﴿أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيّاهُ﴾، أي اخضعوا له في العمل، لا لغيره.

٣. ﴿وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً﴾،[3] أي أحسن بهما إحساناً.

٤. ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾.

٥. ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾.

٦. ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾.[4]

٧. ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾.

٨. ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾.[5]

٩. ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾.

١٠. ﴿وَٱلْمِسْكِينَ﴾.

١١. ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

١٢. ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾.[6]

١٣. ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾.[7]

١٤. ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾.

---

١. إشارة إلى الآية ٣٩ من سورة الإسراء (١٧) و هي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾.

٢. الإسراء (١٧): ٣٩.

٣. الإسراء (١٧): ٢٣.

٤. الإسراء (١٧): ٢٣.

٥. الإسراء (١٧): ٢٤.

٦. الإسراء (١٧): ٢٦.

٧. الإسراء (١٧): ٢٨.

١٥. ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾.[١]

١٦. ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾.[٢]

١٧. ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾.[٣]

١٨. ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾،[٤] أي اقتلوها بالحقّ.

١٩. ﴿فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ﴾.[٥]

٢٠. ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾،[٦] أي اقربوه بالطريق الحسن.

٢١. ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ﴾.[٧]

٢٢. ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾.

٢٣. ﴿وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾.[٨]

٢٤. ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾.[٩]

٢٥. ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾.[١٠]

ثمّ قال تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۝ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾[١١].

فقد عدّ الله تلك الأحكام في ستّ عشرة آية، أوّلها الآية ٢٢ من الإسراء، و آخرها الآية ٣٧، و مجموعها تسعة و عشرون حكماً أصليّاً و فرعيّاً، خمسة عشر منها أمر، و أربعة عشر منها نهي.

ثمّ إنّك إن تأمّلت موارد استعمال «الحكمة» في الكتاب الكريم و هي عشرون

---

١. الإسراء (١٧): ٢٩.
٢. الإسراء (١٧): ٣١.
٣. الإسراء (١٧): ٣٢.
٤. الإسراء (١٧): ٣٣.
٥. الإسراء (١٧): ٣٣.
٦. الإسراء (١٧): ٣٤. و هي أيضاً الآية ١٥٢ من سورة الأنعام (٦).
٧. الإسراء (١٧): ٣٤.
٨. الإسراء (١٧): ٣٥.
٩. الإسراء (١٧): ٣٦.
١٠. الإسراء (١٧): ٣٧.
١١. الإسراء (١٧): ٣٨ و ٣٩.

مورداً، تجدها تشعر بالاهتمام التامّ بحالها، فلاحظ الآيات التالية:

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾[١]؛

﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[٢]؛

﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَـٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[٣]؛

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾[٤]؛

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾[٥]؛

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾[٦]؛

﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[٧]؛

﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٨].

فنعلم من اهتمام الربّ تعالى في كتابه على هذا العنوان أنّه أمر عظيم و نعمة جسيمة، و نجد من أبناء زماننا اليوم رغبة تامّة في تعلّم ما يستقلّ به العقول، و لم اتّكاء عجيب على ما يصدّقه العقل و يمضيه، و هذا هو السرّ أو شيء من الأسرار في إلفات الأنظار إلى الحكمة و الامتنان على الأمّة في بذلها و إعطائها.

و قوله: ﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾. التوراة في اللغة بمعنى الشريعة أو الوحي، و في اصطلاح القرآن عبارة عن الكتاب السماويّ المنزل على موسى بن عمران في ألواح خاصّة.[٩] لكنّ الظاهر المؤيّد بشهادة التاريخ، بل و نصوص الكتاب الكريم أنّ التوراة الأصلية المنزلة على موسى ليست باقية على ما هي عليه قطعاً، كيف و هي قد فقدت

---

١. آل عمران (٣): ٨١.
٢. النساء (٤): ٥٤.
٣. البقرة (٢): ٢٥١.
٤. ص (٣٨): ٢٠.
٥. لقمان (٣١): ١٢.
٦. الأحزاب (٣٣): ٣٤.
٧. آل عمران (٣): ١٦٤؛ الجمعة (٦٢): ٢.
٨. البقرة (٢): ٢٦٩.
٩. للتعرّف لمعنى التوراة و الإنجيل في اللغة و الاصطلاح و اشتقاقهما، راجع: لسان العرب، ج ١١، ص ٦٤٨(بخل)، و ج ١٥، ص ٣٨٩ (وري)؛ معالم التنزيل، ج ١، ص ٤٠٨؛ التحرير و التنوير، ج ٣، ص ١٠؛ تفسير المراغي، ج ٣، ص ٩٣؛ الكاشف، ج ٢، ص ٧، ذيل الآية ٣ من آل عمران (٣).

بعد غلبة بعض الملوك على بني إسرائيل و هدمه بيت المقدس و المسجد الأقصى و إحراقه كتب اليهود و نسخ التوراة، و من جملتهم بخت النصر ملك بابل، حيث تسلّط عليهم، و قتلهم تقتيلاً، و أسر الباقين و نقلهم إلى بابل، و أحرق التوراة و غيرها، ثمّ إنّ عزيراً و زكريّا ـ و هم من جملة الأنبياء ـ عزموا بعد برهة من الزمان على جمعها و تأليفها، فألّفوها و نظموها نظماً، ثمّ فقد ذلك أيضاً في الحوادث المتأخّرة النازلة على بني إسرائيل.

و بالجملة ليست التوراة الفعلية نفس ذلك الكتاب المنزل من عند الله و لا غيرها بالكلّية، بل فيها شيء من ذلك و أشياء من غيرها بعدما لعبت بها أيدي التحريف، فهي مركبة من حقّ و باطل و ضغث[1] من الله و ضغث من الشيطان، و التوراة الموجودة بالفعل تشتمل على أسفار خمسة.

و الإنجيل في اللغة البشارة، و في اصطلاح الكتاب الكريم مجموع الكتاب السماويّ المنزل على عيسى بن مريم الذي وقع فيه البشارة أو البشارات بمجيء النبيّ الأعظم محمّد ﷺ: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾[2].

و عمدة مباحث هذا الكتاب عبارة عن قصص و وقائع وقعت بعد غيبة عيسى و عن تراجم حال عيسى و عاداته و أقواله و أفعاله و ما ظهر منه من خوارق الأُمور و المعجزات، و لا تعرّض فيه لشيء من الأحكام الشرعية إلّا بنحو الندرة، و هذا أيضاً كالتوراة لم تسلم من لعب يد التحريف به، بل صار أمره أفظع من التوراة؛ فإنّه بعد ما رفع الله إليه نبيّه عيسى، و قبض التوراة منهم معه ألّف كل واحد من تلامذته ممّا كان في ذكره من الإنجيل و ما سنح بخاطره من ألفاظه و مقاصده، ثمّ خلط به من نفسه ما شاء من القصص و الحوادث و غيرها ممّا يرى في الأناجيل الفعليّة. فأخرجه للناس قائلا:

---

١. ضغث، أي قطعة، و هو في الأصل: قبضة حشيش مختلط رطبها بيابسها، أو ملء الكفّ من قضبان أو حشيش أو شماريخ، و قيل غير ذلك. راجع: لسان العرب، ج ٢، ص ١٦٤؛ المصباح المنير، ص ٣٦٢ (ضغث).

٢. الصفّ (٦١): ٦.

هو من عند الله، و ما هو من عند الله، و مدّعياً أنّه هو المنزل على عيسى بن مريم، فكثرت تلك التآليف حتّى جاوزت المأة.

ثمّ أنّه اجتمع أصحاب الكنائس من علماء النصارى، فتشاوروا و تفكّروا و تأمّلوا في أمر الأناجيل، فاختاروا منها أربعة و أمضوها و عرّفوها بأنّها كتب سماويّة، و أسقطوا غيرها عن الاعتبار و أفتوا ببطلانه، و من جملة ما حكموا بعدم اعتباره إنجيل برنابا، و كان الملاك في القبول و الردّ ميولهم و أهواؤهم و اقتضاء رئاساتهم و سياساتهم.

و قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾. ظاهر الآية الشريفة اختصاص رسالة عيسى ببني إسرائيل، و قد يدّعى عمومها لجميع الناس الموجودين في ذلك العصر، بل المعدومين منهم إلى زمان بعثة النبيّ الأعظم محمّد ﷺ.

و توضيح المطلب يحتاج إلى تقدمة، و هي أنّ الدين في بعض إطلاقاته أو كثير منها عبارة عن القدر المشترك بين الشرايع السماويّة المنزلة على الأنبياء ﷺ، و حقيقته التسليم لله تعالى قلباً و عملاً في ما أمر بالاعتقاد به و العمل له، و هذا المعنى هو روح الشرايع و لبّها و حقيقتها الثابتة الباقية بمرّ الدهور مع تبادل التشريعات و تغيّر الشرايع، فالدين واحد، و الشرايع مختلفة، و الدين ثابت لا يتطرّق إليه النسخ و الفناء و الزوال، و الشرايع تكون منسوخة و ناسخة. و قد يطلق الدين على نفس الشريعة الخاصّة، كما أنّه قد يطلق على الجزاء و على الطاعة أيضاً؛ قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾[1]، أي الدين حقيقته و جوهره التسليم لله باطناً و ظاهراً.

و قال تعالى حكاية عن إسرائيل: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[2]، و يظهر منها أنّ الدين هو التسليم.

و قال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾[3]، أي لا يقبل من أحد غير التسليم لله، و غيره هو الكفر و الشرك و النفاق.

ثمّ إنّ الدين يتشكّل في كلّ عصر و زمان بصورة خاصّة من أحكام أصوليّة و

---

١. آل عمران (٣): ١٩. ٢. البقرة (٢): ١٣٢.
٣. آل عمران (٣): ٨٥.

فروعيّة و غيرها، فيسمّى عندئذ بالشريعة كما عرفت، فقد تصوّر في زمان نوح النبيّ بصورة خاصّة، و هي شريعة نوح، و في كلّ واحد من أزمنة إبراهيم و موسى و عيسى بصورة شرائعهم، و في كلّ ذلك كان يرد عليه التغيّر و الزيادة و النقصان و تبادل حكم بآخر و تغيير قانون بقانون يماثله، أو يضادّه على حسب اقتضاء الصلاح و توافق حال الأُمّة.

و إن شئت قلت: إنّ للدين مادّة أصلية و هيئة عرضيّة تعرضها بانضمام أحكام غير أصيلة، فتزيد و تنقص وتتغيّر و تتكامل مع بقاء المادّة على حالها في جميع أطوارها و أحوالها، و المادّة هي الأُصول الاعتقاديّة الأوّليّة من التوحيد و النبوّة و المعاد و عدّة من الفروع العمليّة الركنيّة التي تستقلّ بها العقول و تحكم بحسنها أو قبحها، كبرّ الوالدين و الإنفاق على المحاويج و الصدق في الكلام و الوفاء بالوعد، و كذا الظلم بالوالدين و الضعفاء و الكذب و الغدر و قتل النفس بغير علّة و نحو ذلك، و قد مرّ بعض منها آنفاً تحت عنوان الحكمة.

ثمّ إنّ النسخ الذي اعترفنا بعروضه للشرايع على قسمين: نسخ خاصّ إضافيّ و نسخ عامّ حقيقيّ، و كلّ شريعة ناسخة غير الأخيرة، يكون نسخها لسابقها خاصّاً إضافيّاً، و الشريعة الأخيرة عامّ حقيقيّ، و ذلك لأنّ الظاهر أنّه لم يكن بعث الأنبياء و المرسلين ـ سواء في ذلك أصحاب الشرايع منهم و غيرهم ـ بعثاً عامّاً شاملاً لجميع الأزمان بمعنى اشتراط بلوغ دينهم إلى جميع العالمين و إبطال ما سبقه من الشرايع في جميع الأمكنة، بل كانوا مبعوثين الى جماعة خاصّة و أُمّة معيّنين غير مشروط بهم و لا بالتسرية إلى غيرهم، فكانت الشريعة المرسل بها مطلقة غير مشروطة بالسراية و لا بعدمها، فإلى أيّ مكان و محلّ سرت و نفذت لم يكن بها بأس، و أيّة طائفة اطّلعت عليها و قبلتها و تديّنت بها كانوا مثابين مأجورين.

فقد يتّفق قبول قوم لها و عملهم بها و تكاملهم في مراتب الإنسانيّة، فيستحقّون شريعة أُخرى أكمل و أتمّ على حسب رقاهم و كمالهم، كما كان ذلك عادة الله تعالى في خلقه في تلك العصور، فتنزل شريعة أُخرى ناسخة للأُولى إلّا أنّه كان استعداد التكامل و استحقاق الشرع الجديد مخصوصاً بمكان خاصّ و جماعة معيّنين لا يتعدّاهم إلى

غيرهم، بل كان مقتضى الصلاح في غيرهم العمل بالأوّل دون الثاني، و لذلك لم يكن ينسخ الله الأوّل بالكلّيّة، و لم يأمر حسب الشرع الناسخ بإبلاغه إلى جميع الأُمّة التي بلغهم الشرع الأوّل.

و حاصل هذا البيان أنّه كان يتّفق وجود شرعين في عصر واحد من عند الله: أحدهما ناسخ، و الآخر منسوخ إلّا أنّ النسخ إضافيّ و نسبيّ يختصّ بأُمّة خاصّة و مكان محدود.

و هنا أمر آخر، و هو أنّ الظاهر أنّ غالب الشرائع السابقة ـ لو لم يكن جميعها ـ لم يكن ذا أبعاد و جهات شاملاً على جميع شؤون الحياة، بل كان مشتملاً على أحكام معدودة محدودة تتكفّل تكميل جهة من الجهات بمقتضى غلبة رسوم منكرة و عادات و رذائل، كما في شريعة موسى؛ فإنّ بني إسرائيل لمّا أُسروا و وقعوا تحت سيطرة فرعون و ملائه فصاروا أذلّاء مغلوبين، بعث الله إليهم موسى لانجائهم عن العبوديّة، و كان القسم المعظم من أحكام شرعه ناظراً إلى الجهاد و استخلاص أنفسهم من أيدي الظلمة و استقلالهم في الملك و السلطنة، بل التسلّط و الحكومة على غيرهم.

فلمّا أهلك الله عدوّهم و أورثهم الأرض مشارقها و مغاربها، أنتج ذلك طغيانهم، فأفسدوا في الأرض، و عتوا عتوّاً كبيراً، و مالوا إلى الولايات و المناصب و اتّباع الشهوات و الفجور و المنكرات.

فغلبت عليهم محبّة الدنيا و زينتها و زخارفها، فاقتضت عناية الربّ الرؤف أن يبعث إليهم من يسدّهم عن حبّ الشهوات، و يهديهم إلى ذكر الله و أمر الآخرة، و يردّهم عن طريق المتاهة و العتوّ إلى التسليم لله و الخضوع لسلطانه و ترك الشهوات، فبعث الله إليهم عيسى، و وهبه شريعة و كتاباً كان أكثر مندرجاته الترغيب إلى الزهد و ترك الدنيا و الشهوات و ترك الملاذّ و رفض النساء، و الترهب في الدين و الاشتغال بالعبادة في الكنائس و الصوامع، و حيث إنّ غلبة تلك المفاسد و الشهوات لم تكن في جميع الأمكنة التي سرت إليها أحكام التوراة، كان ناسخيّة شرع موسى مختصّة بالمَحالّ المحتاجة إلى ذلك، فصار الشرعان ثابتين في عصر واحد بلا منافاة بين الناسخ و المنسوخ.

إذا عرفت هذا فنقول: إنّه يظهر من الكتاب الكريم أنّه قد خاطب الله أهـل مكّـة بخطاب يظهر منه إمضاء بقاء شريعة إبراهيم في ما بينهم اجمالاً، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾[1]،

و قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾[2]،

و قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾[3]،

و قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلاً﴾[4].

و خاطب اليهود و النصارى أيضاً بما يظهر منه تمسّكهم إلى زمان الخطاب بكتبهم و أنّهم أهل الكتاب و ان حرّفوه و تركوا العمل به، ثمّ أوجب عليهم بعده الايمان بالنبيّ الأعظم و كتابه، فلاحظ قوله تعالى:

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[5]؛

و قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾[6]؛

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾[7]؛

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥ﴾[8]؛

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾[9].

---

١. الأنعام (٦): ١٦١.

٢. النحل (١٦): ١٢٣.

٣. الحجّ (٢٢): ٧٨.

٤. النساء (٤): ١٢٥.

٥. النساء (٤): ١٥٣.

٦. المائدة (٥): ٤٣.

٧. آل عمران (٣): ١٩٩.

٨. النساء (٤): ١٧١.

٩. المائدة (٥): ٦٨.

و قوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ○ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]، يعلم من الآية أنّ الجنّ أيضاً كالإنس مكلّفون بقبول الدين و أخذ الكتاب، و أنّهم كانوا إلى زمان نزول القرآن آخذين بشرع موسى، و لم يطّلعوا على غير دينه و كتابه؛ إذ لم يسمّوا عيسى و كتابه.

إذا عرفت ما ذكرنا علمت أنّ خطاب القرآن لأهل الكتاب و تصديق كونهم كذلك، ليس شاهداً على عموم دين موسى و شريعته، و كذا دين عيسى و شرعه، كما زعمه الأُستاذ الطباطبائي في كتابه الميزان[2]، مع أنّ ظواهر الكتاب الكريم أيضاً يشهد باختصاص نبوّة موسى ببني إسرائيل و فرعون و ملائه، و نبوّة[3] عيسى ببني إسرائيل أيضاً إلّا أنّك عرفت أنّه ملحوظ مطلقاً غير مشروط؛ قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ○ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ﴾[4]؛

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[5]؛

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ○ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ﴾[6]؛

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾[7]؛

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾[8].

فالشرع العامّ الشامل للناس طرّاً و جميع أهل العالم هو شريعة نبيّنا محمّد ﷺ و دينه و كتابه، فقد أعلن الحكيم تعالى بنسخ جميع الشرايع بشريعته و وجوب اتّباعه و

---

١. الأحقاف (٤٦): ٢٩ و ٣٠.

٢. الميزان، ج ٣، ص ١٩٨، ذيل الآية ٣ من آل عمران (٣). و قد أشبع ﷺ البحث في المسألة ذيل الآية ٢١٣ من البقرة (٢) في تفسيره، ج ٢، ص ١١٢ـ١٥٧.

٣. في الأصل: «بنبوّة»، و الصحيح ما أثبتناه.

٤. هود (١١): ٩٦ و ٩٧.

٥. الإسراء (١٧): ٢.

٦. المؤمنون (٢٣): ٤٥ و ٤٦.

٧. الشعراء (٢٦): ٢٧.

٨. الصفّ (٦١): ٦.

ترك ما سواه، و ذلك لآيات كثيرة:

منها: قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[١]؛

و منها: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[٢]؛

و منها: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[٣]؛

و منها: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[٤]؛

و منها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾[٥]؛

و منها: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[٦]؛

و منها: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[٧]؛

و منها: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[٨].

و المراد من ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ كلّ بلد كبير يكون حوله قرى صغار و مجامع قليلة السكنى.

و قوله: ﴿أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

أقول: قوله: ﴿أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم﴾ أي مخبراً أو منبئاً.

و الخلق على قسمين: خاصّ و عامّ، و الأوّل هو إبداع الشيء و اختراعه و ايجاده من كتم العدم، و لذا يسمّى فطراً أيضاً، و بعبارة أُخرى هو خلق الشيء بمادّته و صورته، و ذلك في المخلوقات الأوّليّة التي أوجدها الله تعالى بأمره و أرادته، كالروح و النور و الماء و الملائكة و نحوها، و هذا خلق خاصّ يختصّ بالله تعالى، و ليس يقدر عليه أحد غيره.

و تعيين المخلوقات الأوّليّة و تحديدها و تمييزها عن غيرها أمر مشكل، و لم نجد

---

١. النساء (٤): ٧٩.
٢. الأنبياء (٢١): ١٠٧.
٣. سبأ (٣٤): ٢٨.
٤. الأعراف (٧): ١٥٨.
٥. النساء (٤): ١٧٠.
٦. التوبة (٩): ٣٣؛ الفتح (٤٨): ٢٨؛ الصفّ (٦١): ٩.
٧. الأنعام (٦): ١٩.
٨. الشورى (٤٢): ٧.

في الكتاب الكريم ما يكون أيضاً في هذا القسم خاصّة.

و ورد في بعض الروايات أنّ أوّل ما خلق الله العقل،[١] و في بعضها الآخر عن النبيّ ﷺ: «أوّلُ ما خلق الله نوري»[٢] أو «روحي»،[٣] و ورد أيضاً أنّ أوّل ما خلق الله الماء.[٤]

و أمّا السماوات و الأرض فالظاهر أنّهما ليستا أوّل ما خلقه، بمعنى أنّهما ليستا ممّا أوجده الله بمادّته و هيئته؛ فإنّ الأرض مخلوقة من الزبد الحاصل على وجه الماء، كما عن مولانا عليّ ؑ في الخطبة الأولى من نهج البلاغة.[٥]

و أمّا السماء فقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾[٦]، ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾[٧] و قال: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٨].

و لا منافاة بينهما؛ فإنّ إبداع المادّة، ثمّ إبداع شيء آخر منها بتكثير و تغيير و تحويل، كأنّه إبداع، فالاستعمال وقع بالعناية.

و أمّا الثاني فهو الخلق بمعنى التقدير و الترتيب و تركيب الصور من الموادّ و الأجزاء، و الخلق المستند إلى غير الله تعالى من هذا القبيل، و هذا خلق عامّ بمعنى

---

١. روي بعبارات شتّى. راجع: الكافي، ج ١، ص ٢٠، كتاب العقل و الجهل، ضمن ح ١٤؛ الفقيه، ج ٤، ص ٣٦٨، ضمن ح ٥٧٦٢؛ الخصال، ص ٥٨٩، أبواب السبعين فما فوقه، ح ١٣؛ أعلام الدين، ص ١٧٢؛ عوالي اللئالي، ج ٤، ص ٩٩، ح ١٤١.

٢. عوالي اللئالي، ج ٤، ص ٩٩، ح ١٤٠. و عنه في بحار الأنوار، ج ١، ص ٩٧، ح ٧.

٣. غرائب القرآن و رغائب الفرقان، ج ٢، ص ٣٥٨، و ج ٣، ص ١٣٣ و ٢٣٣، و ج ٤، ص ٢٠٤ و ٢٨٨ و ٥٣٩، و ج ٥، ص ٦٠ و ١٠٥ و ٢٠٦؛ بحار الأنوار، ج ٥٤، ص ٣٠٩؛ ينابيع المودّة، ج ١، ص ٤٥، ح ٤.

٤. راجع: الكافي، ج ٨، ص ٩٤، ح ٦٧؛ التوحيد، ص ٦٧، باب التوحيد و نفي التشبيه، ح ٢٠؛ علل الشرائع، ج ١، ص ٨٣، الباب ٧٧، ح ٦.

٥. نهج البلاغة، ص ٤١. و اعلم أنّ الموجود في تلك الخطبة الشريفة خلق السماوات من الزبد، لا الأرض، حيث قال ؑ فيها: «و رمى بالزبد ركامه، فرفعه في هواء منفتق و جوّ منفهق، فسوّى منه سبع سماوات». فقوله ؑ: «فإنّ الأرض» سهو القلم، و الصحيح: «فإنّ السماوات».

٦. فصّلت (٤١): ١١.

٧. فصّلت (٤١): ١٢.

٨. البقرة (٢): ١١٧؛ الأنعام (٦): ١٠١.

صدور هذا القسم عن غير الله تعالى أيضاً، فالناس خالقون بهذا المعنى؛ قال الله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾[1].

فمن مصاديق هذا الخلق قوله تعالى:

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾[2]؛

﴿وَ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾[3]؛

﴿وَ ٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾[4]؛

﴿وَ خَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[5]؛

﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[6].

و قد يطلق الخلق في الكتاب الكريم و يراد به الأعمّ من القسمين؛ قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[7]، فالخلق هنا يراد به الأعم ممّا أبدعه الله و أنشأه من العدم و ما قدّره الله و صوّره، و كلّ واحد منهما إمّا بالاستقلال و بلاوساطة و سبب، أو بالواسطة و التسبيب، و بهذا المعنى ينسب كلّ خلق إليه تعالى، و ينبغي على هذا استثناء أعمال العباد من ذلك و ما اخترعوه من الأمور المحرّمة، كالصنم و الصليب و المزامير[8] و سائر آلات اللهو و آلات القمار و نحوها.

ثمّ إنّه قد علم من ذلك أنّ خلق الطير من قبيل القسم الثاني، و هو خلق الهيئة من المادّة؛ أعني التقدير و التصوير كما يدلّ عليه قوله ﴿مِنَ الطِّينِ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾. هل النفخ في الشكل المصنوع، نظير من يقرأ سورة الحمد، فينفخ في جيب المريض، فيحصل له الشفاء، فالإعجاز حينئذ

---

١. المؤمنون (٢٣): ١٤.

٢. النحل (١٦): ٤.

٣. الأنبياء (٢١): ٣٣.

٤. النور (٢٤): ٤٥.

٥. الرحمن (٥٥): ١٥.

٦. الأعراف (٧): ١٢؛ ص (٣٨): ٧٦.

٧. الفرقان (٢٥): ٢.

٨. المزامير: جمع المِزْمار، و هي الآلة التي يُزْمَرُ بها، أي يتغنّى بها، من الزمر، و هو التغنية بالنفخ في القصب و نحوه. راجع: لسان العرب، ج ٤، ص ٣٢٧ (زمر).

اعجاز استدعائيّ بطلب العبد الصالح من الله شيئاً، فيجيبه الرب و ينجز مطلوبه؟ أو هو إعجاز تصرّفيّ بأنّ أعطاه الله تعالى نوع قدرة و قوّة يقدر على التصرّف في الجماد بإعطاء الحياة له؟

و لا ينافي ذلك اختصاص الإحياء بالله تعالى، فليكن عيسى نظير الملائكة الذين ينفخون في الجنين الحياة في الرحم فيحيى، و عجزنا عن إدراك كيفيّة ذلك من ناحية جهلنا بحقيقة الروح، و لما يصل إلى الآن شعاع عقول البشر الباحث عن حقائق عالم التكوين إلى إدراك ذلك، و قد قال تعالى: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[۱]؛ فإنّه قد وقع البحث و الاختلاف في الروح من جهات:

الأُولى: في تشخيص حقيقته و جوهره، فقال عدّة بكونه جوهراً مجرّداً غير ماديّ، كما يرى ذلك في كلمات الحكماء و الفلاسفة،[۲] و قال آخرون بكونه جسماً شفّافاً نورانيّاً سماويّاً نظير الملك و الجنّ و نحوهما.[۳]

و يظهر ذلك من كلمات بعض المتكلمين[٤] و المحدثين،[٥] و هو ظاهر عدّة كثيرة من الآيات و الروايات.[٦]

الثانية: في زمان خلقته و أنّه هل كان مخلوقاً قبل خلق الأجساد موجوداً في عوالم أُخر، لا نعرف منها إلّا شيئاً قليلاً، كعالم الذرّ و الأشباح، ثمّ تركّب بعد خلق

---

۱. الإسراء (۱۷): ۸۵.

۲. الشفاء (الطبيعيات)، ج ۲، الفصل ۱ ـ ۳ من المقالة الأُولى من الفنّ ٦، ص ٥ ـ ۲٦؛ التحصيل، ص ۷۲۳ ـ ۷۳۹؛ شرح الإشارات، ج ۲، ص ۲۹٥ ـ ۳۰٥؛ الحكمة المتعالية، ج ۸، ص ۲٦۰ ـ ۳۰٥؛ شرح المنظومة، ج ٥، ص ۱۱۳ ـ ۱٦۲.

۳. نسب إلى الجمهور في بحار الأنوار، ج ٥۸، ص ٦۹؛ و شوارق الإلهام، ج ۲، ص ۳٥۹.

٤. راجع: الأربعين في أُصول الدين للرازي، ج ۲، ص ۱۸؛ تلخيص المحصّل، ص ۳۷۸؛ شوارق الإلهام، ج ۲، ص ۳٥۹.

٥. منهم العلّامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار، ج ۱، ص ۱۰۳، ذيل ح ۱٤؛ مرآة العقول، ج ۱، ص ۳۰، و ج ۲، ص ۸۳.

٦. للتعرّف للأقوال في المسألة و الآيات و الأخبار فيها راجع: بحار الأنوار، ج ٥۸، ص ۱ ـ ۱٥۰.

الأجساد معها، فازدوجت النفوس في الدنيا مع الأبدان، كما أنّ النفوس زوّجت في الآخرة، فلو صحّ وجود عالم الذرّ بالمعنى المذكور في الجملة، تحقّق لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾[1] مصاديق: ازدواجها في عالم الذرّ بالأبدان الذرّيّة، و ازدواجها في الدنيا بالأبدان الدنيويّة، و ازدواجها في البرزخ بالقوالب المثاليّة، و في عالم الآخرة بالأبدان الأُخرويّة؟ أو أنّه خلق مع الأبدان؛ لأنّه عرض من أعراضها و نحو خصوصيّة لها، توجد بوجودها و تنشأ و ترقّى و تتكامل برقاها و كمالها، ثمّ تجاوزها في النشأة و الكمال، ثمّ تنفصل عنها و تبقى إلى برهة من الزمان في البرزخ بنفسها أو بالقوالب المثالية و في ما بعدها في عالم الآخرة في أبدانها الدنيويّة المستجدّة؟

الثالثة: في كيفية تعلّقه بالأبدان في هذه النشأة أو سائر النشآت و أنّه بنحو الحلول و الاتّحاد، أو بنحو التصرّف و التدبير من خارج الأبدان، و لذا قد يشبّه ذلك بوجود القوّة الكهربائية في الخطوط الحديديّة، و يشبّه تارة أُخرى بكونه كالشمس يؤثّر في حياة النبات و الحيوان، أو كسلحفاة تنظر إلى بيضها، فتربّيها، و تنميها، و تولّد فرخها بالنظر، و غير ذلك ممّا يقال.

و بالجملة لا بأس بالقول بأنّ عيسى ﷺ كان يوجد الحياة في الهيئة المصنوعة من الطين كنفخ الملك الروح في الجنين و إن لم نتحقّق حقيقة الروح، و قد يقال في المقام بأنّ عيسى النبيّ حيث إنّه كان مخلوقاً من الروح و بيد الملك الذي هو الروح، كانت جهة الروحانيّة فيه أقوى فكان يحيي كلّ جسم لا حياة له بقربه منه، و يتحرّك بمماسّته،[2] كما يقال في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾[3]، و على أيّ تقدير، كان ذلك بإذن الله تعالى؛ حيث قال: ﴿فَيَكُونَ طَيْراً بِإِذْنِ ٱللهِ﴾.

---

١. التكوير (٨١): ٧.

٢. ذكره صاحب المنار و جعله مقتضى مذهب الصوفيّة. راجع: المنار، ج ٣، ص ٣١٢، ذيل الآية ٤٩ من آل عمران (٣).

٣. طه (٢٠): ٩٦.

و قوله: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾. اللغة: الإبراء: جعل الشيء بريئاً بعيداً من الأسقام و نحوها.[١] و الأكمه: الأعمى، أو المتولد كذلك، أو من ابيضّت عيناه.[٢] و الأبرص: من به داء البرص، و هو داء جلديّ معروف.[٣]

ثمّ إنّ الكلام في إبراء الأكمه و الأبرص، نظيره في إحياء الطير، فهو إمّا كان بدعائه و شفاء الله تعالى، أو بوجود أثر خاصّ في نفسه، و نفخه يؤثر في رفع جراثيم المرض و توليد الحياة.

و أمّا إحياء الموتى المعلوم من كلمة الجمع وقوع ذلك كثيراً، فيمكن أن يكون أيضاً بدعائه و استجابة الربّ تعالى، أو بولاية تكوينية إلهيّة أعطاها الله تعالى لنبيّه العظيم عيسى بن مريم؛ فإنّه كما ذكرنا في بحث الولاية تحت الآية (٢٠) من السورة، أنّه كان لنبيّنا الأعظم محمّد بن عبدالله ﷺ و كذا لأوصياؤه المنصوصين من قبل الله تعالى ولاية تكوينيّة على عالم الوجود بحيث كانوا قادرين على التصرّف في بعض أجزائه بتبديل شيء و تغييره و تعجيل أمر و تأخيره و إحياء ميّت و إماتة حيّ و نحو ذلك.

و قد مثّلنا في ما سبق أنّ هذا العالم يشبه بالمكينة الكبيرة، يديرها و يدبّر أمرها خالقها العظيم بيد الملائكة الموكّلين بذلك؛ أعني ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ○ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ○ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾[٤]؛ أو ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ○ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ○ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ○ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾[٥]؛ ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ○ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ○ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ○ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ○ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾[٦]؛

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ○ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ○ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ○ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ○ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾[٧]؛

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ○ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ○ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾[٨].

---

١. راجع: المصباح المنير، ص ٤٧ (برأ).
٢. راجع: لسان العرب، ج ١٣، ص ٥٣٦ (كمه).
٣. راجع: القاموس المحيط، ج ٢، ص ٢٩٥ (برص).
٤. الصافّات (٣٧): ١ ـ ٣.
٥. الذاريات (٥١): ١ ـ ٤.
٦. المرسلات (٧٧): ١ ـ ٥.
٧. النازعات (٧٩): ١ ـ ٥.
٨. العاديات (١٠٠): ١ ـ ٣.

و كان للنبيّ الأعظم و الأئمّة نوع سلطنة عليها و على الملائكة الموكّلين بتدبير أمرها، تسمّى بالولاية التكوينيّة، فيمكن كون الآية ناظرة إلى ذاك المنصب و وجود تلك الولاية، أو نحو خاصّ منها في عيسى بن مريم.

قوله تعالى: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ﴾. هل كان إخباره عمّا يأكله و يدّخره فرد أو أفراد مخصوصون، كزيد و عمرو مثلاً؟ أو كان عن حال أُمّة و جماعة، كأهل قرية أو بلد أو بلدان؟ و هل كان الخبر عن واقعة واحدة، أو حال يوم أو ليلة، أو عن حال شهر أو سنة أو أكثر؟ و هل المراد بالأكل خصوص معناه المتعارف، أو المراد به مطلق التصرّف كما في قوله تعالى: ﴿وَلَاتَأْكُلُوٓاْأَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِالْبَٰطِلِ﴾[١] و إن كان بعيداً؟

فعلى العموم من ناحية الأكل و الآكل و المأكول و الزمان، يكون المعنى أنّه ﷺ كان يخبر مثلاً بأنّ أهل هذه البلدان يصرفون في هذه السنة ممّا أفادوه فيها هذا المقدار، و يدّخرون هذا المقدار بحيث يبقى زائداً عن مؤنة سنتهم، أو كان يخبر بأنّ احتياجهم من المؤنة في هذه السنّة إلى هذا المقدار، و قد ادّخروا هذا المقدار.

و على أي حال فقد جعل الله تعالى إنباء عيسى بما يأكلون و يدّخرون من جملة معجزاته في قبال إحياء الهيئة المصنوعة بالنفخ و إحياء الأموات و غيرهما، و حيث إنّ ذلك من الموضوعات الخارجيّة لا الأحكام فيعلم منه أنّ علم الأنبياء بالموضوعات ليس من لوازم نبوّاتهم، بل هو أمر آخر قد يعطون بعنوان الآية المثبتة لدعوتهم، كما يمكن استظهار ذلك في حقّ نبيّنا الأعظم من آيات:

منها: قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾[٢]، و نظيره قول نوح ﷺ.[٣]

و منها: قوله: ﴿وَ لَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَ مَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾.[٤]

---

١. البقرة (٢): ١٨٨
٢. الأنعام (٦): ٥٠.
٣. و هو قوله تعالى: ﴿وَ لا أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزائِنُ اللهِ وَ لا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَ لا أَقُولُ إِنّى مَلَكٌ﴾. هود (١١): ٣١.
٤. الأعراف (٧): ١٨٨.

و منها قوله: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[١].

و قد أمر الله نبيّه العظيم موسى بالضرب في الأرض؛ لتعلّم عموم لم تكن عنده، فسافر مع فتاه، ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[٢]، و كان بذلك العلم تعلّم أموراً مخصوصة من الموضوعات الخارجية:

أحدها: أنّ هناك ملكاً يأخذ كلّ سفينة غصباً، فلزم تعييبها.[٣]

و ثانيها: كون أبوى الغلام مؤمنين، فلعلّه يرهقهما كفراً بعد كبره، فوجب قتله.[٤]

و ثالثها: كون الجدار لغلامين يتيمين، فلزم حفظه مراعاة لحالهما.[٥]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. كلمة ﴿ذَٰلِكَ﴾ اشارة إلى الأمور الخمسة الخارقة للعادة، و فيها آية واضحة تدلّ على وجود الصانع و قدرته و علمه و على صدق عيسى بن مريم في دعوى نبوّته.[٦]

و قد يتوهّم أنّ تقييد العلاميّة و الكشف و الإثبات بإيمانهم يشبه بالدور؛ لتوقّف كونها حاكية عن التوحيد و النبوّة على سبق الإيمان بهما، و هو يتوقّف على الحكاية و الكشف و الثبوت.[٧]

لكنّه فاسد؛ فإنّ ذلك نشأ عن تخييل كون المراد بالإيمان مرتبته الفعلية، و الظاهر خلافه، بل المراد مرتبة الاقتضاء و الاستعداد، نظير ما يقال في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ فإنّه قد استشكل فيه بعين الإشكال المذكور في مقام.

و الجواب في المقامين واحد، و هو أنّه قد يكون استعداد الاتّقاء و الإيمان في

---

١. الأنفال (٨): ٦٠.
٢. الكهف (١٨): ٦٥.
٣. إشارة إلى الآية ٧٩ من الكهف (١٨).
٤. إشارة إلى الآية ٨٠ من الكهف (١٨).
٥. إشارة إلى الآية ٨٢ من الكهف (١٨).
٦. لم نعثر على المتوهّم، بل التوهّم ذيل الآية الشريفة في التفاسير، فلعلّه من باب دفع الدخل المقدّر.
٧. لم نعثر على المستشكل، نعم ذكره بعض المفسّرين من باب دفع دخل مقدّر. راجع: الكشّاف، ج ١، ص ٣٥؛ مفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٢٦٨، ذيل الآية ٢ من البقرة (٢).

الإنسان موجوداً باقتضاء الفطرة، لم يبطل و لم يزل بغلبة الهوى و معاندة الحقّ و العصبيّة العمياء و الضلالة و الانحراف بعد تماميّة الحجج و البيّنات، كما في غالب أفراد الإنسان من كفّارهم و فسّاقهم و إن خفي تحت أستار الجهل و الغفلة و اتّباع الشهوات، فهو بعد سماع دعوة الأنبياء و عرض الحقائق الدينيّة و المعارف العقليّة عليه ينتبه و يستيقظ، فيؤمن و يتّقى، فإيمانهم و تقواهم بالاستعداد و الفطرة يبلغ مرتبة الفعلية بالهداية و إراءة الآيات و الحجج.

و قد يتّفق أنّه بعد سماع الحقّ تحت سلطان الشهوات و حبّ الرياسات و دعوة شياطين الإنس و الجنّ، يغلب الهوى على القوّة العاقلة، فتصير محجوبة مستورة تحت أستار العناد و العصبية، فكأنّهم ليسوا بمتّقين و لا مؤمنين، فلا تؤثّر فيهم هداية الربّ تعالى و لا دعوة رسله و لا إبلاغ المواعظ و الزواجر.

ثمّ إنّ هنا أُموراً:

الأوّل: أنّ الله تعالى قد ذكر لعيسى بن مريم في المقام من خارق العادات أُموراً خمسة، و جعل الأوّل منها إحياء الصورة المصنوعة بالنفخ، و قدّمه تعالى في الذكر على إحياء الموتى، و ذلك لوضوح أنّ إحياء الجسم الجماد من غير سبق وجود حياة فيه و إعطاء الروح له عملٌ أقوى في مقام الإعجاز من ردّ الروح إلى البدن و مستقرّه السابق كما هو مفاد إحياء الموتى.

الأمر الثاني: أنّ عيسى قيّد القسمين من تلك المعاجز بقوله: ﴿بِإِذْنِ اللهِ﴾ دون الثلاثة منها، و ذلك لأجل أنّ توهّم الأُلوهيّة في الفاعل في ذينك القسمين أقوى عند عوام الناس و البسطاء و ذوي العقول الساذجة منهم؛ فإنّ شفاء العين و شفاء الأبرص و الإنباء عن المغيبات أمر قد يقع من بعض الأطبّاء و بعض أهل الرياضات و غيرهم و إن كان الحقّ أنّ جميع تلك الأُمور قد صدرت من عيسى عليه السلام بنحو الإعجاز و خرق الطبيعة و العادة، لا بالأسباب العاديّة.

الأمر الثالث: أنّه نقل صاحب المنار عن أُستاذه عدم دلالة الآية الشريفة على وقوع

تلك الأُمور خارجاً، قال:

غاية ما يفهم منها أنّ الله تعالى جعل فيه هذا السرّ، و لكن لم يقل: إنّه خلق بالفعل، و لم يرد عن المعصوم أنّ شيئاً من ذلك وقع، إلى آخره.[١]

أقول: الإنصاف أنّ ما قاله بالنظر إلى ظاهر اللفظ حقّ، و ما أورده الأُستاذ الطباطبائي في كتابه الميزان في دلالة كلمة ﴿أَخْلُقُ﴾ ـ حيث وقعت بالفعل المستقبل ـ على تحقّق ذلك في الخارج،[٢] غير وارد؛ إذ كثيراً ما يحكي مدّعي فعل و عمل صورة ما يريد أن يوقعه بالمضارع، ثمّ قد يتّفق أنّه يوقعها في الخارج، و قد يتّفق عدم الإيقاع، فلا مانع من أن نقول: إنّ عيسى عليه السلام ادّعى قدرته على إيقاع تلك الأُمور و إيجادها للاحتجاج و التحدّي، و أمّا فعليّة الإيجاد فغير معلوم من الآية، فلعلّهم قنعوا بالدعوى، فآمنوا، أو أنّه آيس من قبولهم فانصرف.

نعم الظاهر و رود ما أورده عليه[٣] من دلالة آية المائدة (١١٠) على حدوثها، بل تكرّر ذلك الحدوث؛ قال الله تعالى حكاية عمّا يخاطب به عيسى بن مريم يوم القيامة: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ... وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾[٤]، فنقل في هذه الآية أربعة من تلك المعاجز و أنّها كانت تصدر من عيسى بنحو التكرار؛ إذ المعنى: إذ كنت تخلق، و كنت تفعل كذا و كذا.

---

١. المنار، ج ٣، ص ٣١١، ذيل الآية ٤٩ من آل عمران (٣).

٢. الميزان، ج ٣، ص ٢٠٠، ذيل الآية الشريفة.

٣. أي أورده صاحب الميزان رحمه الله على صاحب المنار.

٤. المائدة (٥): ١١٠.

قوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَ أَطِيعُونِ○ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[1].

التفسير

قوله: ﴿مُصَدِّقاً﴾ منصوب على الحاليّة بتقدير: «جئتكم» عطفاً على قوله تعالى: ﴿جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، و التصديق إمّا قوليّ، وَ إمّا عمليّ؛ لكون عيسى بنفسه و كتابه مصداقاً لما وعدته التوراة و بشّرت به، كما هو شأن كلّ نبيّ و صاحب شرع و كتاب؛ فإنّ من جملة وظائفهم تصديق الذين من بعدهم و البشارة بوجودهم، كما أنّ من وظائف المتأخّرين تصديق المتقدّمين تسديداً للأمر و تبياناً لوحدة المرسل و الدين المرسل به، و قد عرفت دلالة الآية ٨١ من سورتنا هذه على كلا الأمرين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّينَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا أَقْرَرْنَا...﴾[2].

ثمّ إنّ في المقام مذهبين:

أحدهما أنّ عيسى ما غيّر شيئاً من أحكام التوراة، بل كان بنفسه على شريعة موسى، يقرّر السبت، و يستقبل بيت المقدس، و يحرّم الخنزير، و يقول بالختان، و ليس في الإنجيل شيء من الأحكام و الوظائف العمليّة، بل هو شامل على شيء من القصص

---

١. آل عمران (٣): ٥٠ و ٥١. ٢. آل عمران (٣): ٨١.

و الحوادث و المواعظ و الأمثال و الزواجر، لكنّ النصارى غيّروا ذلك بعد رفعه، فاتّخذوا الأحد بدل السبت، و صلّوا نحو المشرق، و حملوا الختان على ختان القلب عن علائق الدنيا، و أحلّوا لحم الخنزير، مع أنّ مرقس حكى في إنجيله أنّ المسيح أتلف الخنزير، و أغرق منه في البحر قطيعاً كبيراً.[١] و العلّة في تحليلهم نقلهم أنّ بطرس رأى في المنام صحيفة نازلة من السماء، و فيها صور الحيوانات و صورة الخنزير، و قيل له: يا بطرس كل منها ما أحببت.[٢]

ثانيهما: أنه قد نسخ منه شيئاً كثيراً، منه نسخ السبت و وضع الأحد مكانه و غير ذلك.

و لا يخفى عليك عدم وجود دليل سديد على أحد القولين و المذهبين، و قوله: ﴿وَ لِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ لا يدلّ على الثاني؛ إذ من المحتمل كون ما أحلّه عيسى ممّا حرّمته السنّة الموسوية، لا كتاب التوراة.

ثمّ إنّ التوراة كانت في عصر عيسى أيضاً ممّا لعبت بها أيدي التحريف، فتصديق عيسى لها إمّا يكون كتصديق نبيّنا ﷺ لها، أو يكون المراد التوراة الواقعية التي علّمها الله لعيسى.

و قوله تعالى: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾؛

الآية تصرّح بأنّ عيسى ﷺ قد أحلّ لبني إسرائيل بعض المحرّمات التي سبقت حرمتها على مجيء عيسى ﷺ، فالذاهب إلى أنّ عيسى لم يأت بشيء يخالف التوراة، و لم ينسخ من دين موسى شيئاً حمل الآية على ما غيّره علماء التوراة و حرّموه على الناس من عند أنفسهم تشبيهاً أو اجتهاداً، و القائل بخلاف ذلك ـ كما عرفت ـ حمل الآية على موارد النسخ.

ثمّ انضمام الآيات الثلاث التالية توضح لك ما حرّمته التوراة على بني إسرائيل و علّة تحريمه، فتدبّر فيها حتّى تعرف مورد تحليل عيسى ﷺ: الآية الأُولى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾[٣].

---

١. راجع: الكتاب المقدّس (العهد الجديد)، ص ٦٣. ٢. راجع: الكتاب المقدّس (العهد الجديد)، ص ٢٠٨.

٣. آل عمران (٣): ٩٣.

الثانية: قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾[1].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾[2].

فالآية الأولى تدلّ على حلّيّة جميع الطعام لهم قبل نزول التوراة إلّا ما حرّمه إسرائيل على نفسه، و يقال: إنّه كان لحم الإبل و لبنه، فحرّمهما على نفسه تزهّداً و رغبة عن الدنيا؛ لأنّهما كانا أحبّ الأطعمة إليه، و الظاهر أنّ الاستثناء منقطع، فالمعنى أنّ جميع الأطعمة كان حلالاً لبني إسرائيل قبل نزول التوراة إلى موسى.

و الثانية تدلّ على حدوث حرمت عدّة أشياء من الطيّبات عليهم بعد نزول التوراة بسبب ظلمهم، و ذلك لأنّه يفهم ممّا قبل الآية أنّ ظلمهم كان عبارة عن سؤال الرؤية[3] و اتّخاذ العجل[4] و مخالفتهم أمر دخول الباب سجّداً[5] و غير ذلك، لكن لم يعلم من الآية أنّ المحرّم ما هو؟

و الثالثة تدلّ على عدّة ممّا حرّمه الله عليهم، و حيث إنّ جميع ذلك ليس من الطيّبات، بل ذكر فيه الخبائث و الطيّبات كلتيهما، فلابدّ أن نحمل الطيّب المحرّم في الآية السابقة على الطيّب المفهوم من هذه الآية، و هو شحوم البقر و الغنم؛ فإنّ الظاهر من هذه الآية أنّ المراد بذي الظفر ما كان له مخلب[6] و برثن[7] من سباع البرّ و جوارح الطير و بعض المحلّلات من الوحش، كالظبي و الغزلان و نحوها ممّا يطلق عليه ذو الظفر.

و ينطبق الأوّل ـ أعني ذي الظفر ـ على ما حرّمه شرعنا من سباع الوحوش و

---

١. النساء (٤): ١٦٠. ٢. الأنعام (٦): ١٤٦.

٣. إشارة إلى الآية ١٥٣ من سورة النساء (٤).

٤. إشارة إلى الآيات التالية: البقرة (٢): ٥١ و ٥٤ و ٩٢ و ٩٣؛ النساء (٤): ١٥٣؛ الأعراف (٧): ١٥٢.

٥. إشارة إلى الآيات التالية: البقرة (٢): ٥٨؛ النساء (٤): ١٥٤؛ الأعراف (٧): ١٦١.

٦. المِخْلَب، بكسر الميم: هو للطائر و السبع كالظفر للإنسان؛ لأنّ الطائر يُخلِب بمخلبه الجلد، أي يقطعه و يمزّقه. راجع: الصحاح، ج ١، ص ١٢٢؛ المصباح المنير، ص ١٧٦ (خلب).

٧. البرثن، وزان بُنْدُق، و هو بالثاء المثلّثة: مخلب الأسد، أو هو للسبع كالإصبع للإنسان، أو هو الكفّ بكما لها مع الأصابع. و قيل غير ذلك. راجع: لسان العرب، ج ١٣، ص ١٥٠؛ المصباح المنير، ص ٤١ (برثن).

الطير، و كلّها من الخبائث، و كلمة «ذي الظفر» و إن كانت تشمل ذوات الظفر من الأنعام أيضاً كالبقر و الغنم و المعز، إلّا أنّ قوله ﴿مِنَ الْبَقَرِ وَ الْغَنَمِ﴾إلى آخره، شاهد على عدم إرادتهما.

فتحصّل أنّه كان المحرّم عليهم من الطيّبات بظلمهم هو شحم البقر و الغنم و بعض ذي الظفر من الوحش المحلّل، ثمّ أحلّها عيسى ﷺ لهم، و بقيت الخبائث على حرمتها.

و قوله: ﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾. الآية هنا بمعناها في ما مضى، و الكلام تأكيد، و لو قلنا بأنّ مجيئه تصديق عمليّ لبشارات التوراة، و تحليله بعض المحرّمات أيضاً شاهد آخر لما أخبر به موسى و كتابه، كان الأمران آيتين أُخريين، يشملهما قوله: ﴿وَ جِئْتُكُمْ بِآيَة﴾.

و قوله: ﴿فَـاتَّقُوا الله﴾، يراد به التحفّظ و الخوف، كما هو معناه اللغوي، و المراد بالخوف من الله الخوف من عدله؛ فإنّه تعالى لا يخاف إلّا عدله، و لا يرجى إلّا فضله، و يكون من عدله أن يقطع فضله عن الفاسقين بعصيانهم، أو يعاقبهم بطغيانهم، فالخوف من عدله ينحلّ إلى الخوف من انقطاع نعمه الماديّة و المعنويّة في الدنيا و نعمه في الآخرة و الخوف من شمول عذابه في الدنيا، و عذابه في الآخرة.

قوله: ﴿وَأَطِيعُونِ﴾. يراد به الإطاعة في أوامره و نواهيه الإرشاديّة التي حقيقتها حكاية أوامر الله و الإخبار بها و الإرشاد إليها قضاء لحقّ نبوّته، و الإطاعة في أوامره و نواهيه المولويّة حفظاً لمنصب ولايته التشريعيّة على الأُمّة.

و كيف كان، فهذه الجملة كأنّها وقعت في طريق تعيين المصداق للتقوى، و أنّ ذلك لا يتحصّل إلّا بهذه.

و قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾. إخبار بأنّ الله سلطان، له عنوان الربوبيّة للجميع تربية بدنية جسميّة بإعطائه أسباب الحياة الماديّة، و تربية معنويّة روحيّة بإعطائه العقل الذي هو الرسول الباطني و الهادي إلى كلّ ما صلاح و الزاجر عن كلّ فساد، و إرساله الرسل و إنزاله الكتب، فماذا يبقى من الأعذار للإنسان بعد إعطائه تعالى وسائل الكمال و

أسباب التعالي في شتّى جهاتها و مختلف أبعادها!؟ و هذه الجملة في مقام التعليل للزوم التقوى و الطاعة، و إشارة إلى أنّ ذلك قضيّة شكر المنعم، و أيّ نعمة أفضل و أعلى ممّا أفادته كلمة «الربّ» من النعم البالغة!؟

و ليعلم أنّ أُصول النعم الإلهيّة الواصلة إلينا عن ناحية الربّ تعالى، الداخلة تحت عنوان ربوبيته ستّة:

الأوّل: نعمة الوجود الذي بذله لنا؛

الثاني: نعمة وسائل حفظ الوجود، و هي جميع لوازم عيش الإنسان في هذا العالم؛

الثالث: نعمة العقل و علومه العارضة له و الحاصلة فيه؛

الرابعة: أنعمة الدين؛ أعني مجموع البرنامج السماويّة و مناهجها المنزلة على الأنبياء هداية للناس إلى سعادتهم و تبياناً لطرق كمالهم؛

الخامسة: نعمة التوفيق و التأييد و التسديد في سبيل أخذ الدين و التأدّب بآدابه و شؤونه و نشره في المجامع البشرية؛

السادسة: نعمة الثواب و الأجر المترتّب على العامل للدين جزاءً دنيويّاً أو أُخرويّاً.

و هذه أُصول نعمه تعالى علينا ممّا يمكن لنا تعقّله، و يدخل فيها من الفروع ما لا نحصيه، كيف و قد قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾.[1]

و قوله: ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾، بيان لنتيجة ما أفاده معنى ربوبيّته و ما يقتضيه عقلاً و نقلاً، و إشارة إلى لزوم المجاهدة في مرحلة القوّة العمليّة، كما أنّها الواجبة في مرحلة القوّة النظريّة.

قوله: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾. كلمة ﴿هذا﴾ إشارة إلى الكمال الحاصل بسبب الاعتقاد بالله تعالى و الحاصل بعبادته، و ذلك صراط الأنبياء و الملائكة و الصالحين من عباده.

ثمّ إنّك أيّها المتدبّر في كلمات الله تعالى، لو أمعنت النظر في هذه الآيات الثلاث، و تأمّلت في ما حكاه الله عن ابن مريم في مقام مخاطبته مع قومه، لرأيت جهرة أنّه لم

---

١. النحل (١٦): ١٨.

يلق إليهم إلّا أموراً ثلاثة: مجيئه بالمعاجز الخمس، و تصديقه التوراة، و تحليله بعض المحرّمات، إلّا أنه ﷺ قد ذكر ربّه تعالى، و نبّه قلوب الناس، و ألفتهم إليه في ضمن الآيات الثلاث[١] تسع مرّات، حيث قال: ﴿وَ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، ﴿أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾، ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، ﴿وَ أُحْيِ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾، ﴿جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فاتّقوا الله﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾، و لم يخرج الكلام مع هذه التأكيدات عن الفصاحة، و ستعرف أنّها تزداد بذلك بلاغة، أجل إنّ القرآن ظاهره أنيق و باطنه عميق[٢]، أي له فصاحة كاملة و بلاغة تامّة.

و حينئذ نقول: هل النكتة في ذلك تبيان أنّ من وظيفة الأنبياء، بل كلّ من عليه رسالة إلهيّة و غرض هامّ و هدف أصيل معنويّ، أن يظهر ذلك منه في جميع أقواله و أفعاله، و يكون ذلك روح دعوته و حركاته و سكناته، أو أنّ التأكيدات المذكورة صدرت حفظا للسامعين عن الانحراف في التوحيد و إتماماً للحجّة على من بعدهم، حيث قالوا بألوهيّة ابن مريم،[٣] أو كونه ابن الله،[٤] أو كونه ثالث ثلاثة؟[٥] و كلا الأمرين محتملان.

---

١. هي الآيات ٤٩ ـ ٥١ من آل عمران (٣).

٢. اقتباس من الحديث الشريف الذي روي في ذلك. راجع: الكافي، ج ٢، ص ٥٩٨ و ٥٩٩، كتاب فضل القرآن، ح ٢.

٣. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَ لَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة (٥): ١١٦]

٤. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَ قَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَ قَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة (٩): ٣٠].

٥. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَ مَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة (٥): ٧٣].

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ○ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[1].

التفسير

قد ذكرنا في تفسير الآية ٤٥ من السورة أنّ الملائكة أخبروا مريم بعيسى، و بشّروها بولادته، و ذكروا في شرح حال المولود الموعود و ترجمته أوصافاً و أفعالاً بلغت ثماني عشرة، و كلّ ذلك كان إخباراً عمّا سيجيء و يستقبل، و هاهنا قد غيّر الربّ تعالى سياق الكلام، و شرع في ذكر حال عيسى، و ذكر من أحواله ما حدث بعد فرض وقوع جميع ما أخبر به الله مريم.

و هذا من لطيف السياق و محاسن الحديث و بليغ الكلام إشعاراً بأنّ ما وعده الله مقطوع التحقّق و كان إخباره تعالى بالوقوع عين الوقوع الخارجي، فالمقصود من هذه الآية أنّه قد وقع جميع ما أخبرنا به مريم، فولد عيسى، و جعلناه نبيّاً، (و آتيناه الآيات)، و أرسلناه إلى بني إسرائيل، فدعاهم إلى الله، و أراهم آياته، ثمّ إنّه أحسّ منهم الكفر.

و المراد بالإحساس هنا إمّا الإحساس بالحواسّ الباطنيّة بأنّ أدرك عيسى كفرهم إدراكاً قلبيّاً بإخبار الله، أو برؤية أعمالهم، أو بالحواس الظاهرة بأنّ سمع منهم ما دلّ على كفرهم، أو رأى منهم كذلك، و المراد بالكفر هنا عدم الإيمان،

---

١. آل عمران (٣): ٥٢ و ٥٣.

أو الجحد و الارتداد بعد الإيمان و الإذعان.

و يقال حينئذ في علّة كفرهم: إنّهم لمّا علموا كون دينه و كتابه ناسخاً للتوراة و شريعة موسى، مزيلاً لهم عن شؤونهم، مخالفاً لرياستهم و أهويتهم و ركوبهم رقاب الناس، أنكروا أمره و دينه، و صاروا بصدد إيذائه و قتله، كما كان نظير ذلك منهم و من النصارى بالنسبة الى نبيّنا محمّد ﷺ، و قد قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾[1].

و قال أيضاً في حقّ اليهود و النصارى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[2].

و قوله: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾. دعا أنصاره؛ ليخلص عنده و تمييز من ينصره في تنجيز دعوته و نشر رسالته عمّن لا ينصره. و هذه الدعوة قد وقعت منه ﷺ بعد احساسه عدم إيمان عدّة أو ارتدادهم بعد الإيمان مع كون الجميع مختلطين، فأراد أن يعرف المحقّ عن المبطل و المجاهد عن القاعد و الناصر عن الخاذل؛ ليجتمع الأعوان الخالصين و أنصار الحقّ على اليقين، فيتعرّفوا و يتشكّلوا حتّى يرى في أمره ما هو الأجدر بالقيام به.

و هذه سنّة عقلائيّة جارية لدى العقلاء الكيّسين و من له زعامة أُمّة و إمامة جماعة متفرّقة و قوم متشتّتين ذوي الأهواء المتفرّقة و العقائد المختلفة، فيختار منهم الأقوياء المتصلّبين؛ ليقوم بهم الأود[3] و يسوى بهم الأمت[4] و العوج.

قوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾. أي في ذهابي إلى الله و سيري نحوه و في تسيير المجتمع الإنساني إليه تعالى.

---

١. البقرة (٢): ١٤٦؛ الأنعام (٦): ٢٠.　　٢. البقرة (٢): ٨٩.

٣. الأَوَد، بالتحريك: العِوَجُ. النهاية، ج ١، ص ٧٩ (أود).

٤. الأَمْتُ: العِوَج، و الانخفاض، و الوهدة بين كلّ نَشْزَين، و الاختلاف في الشيء، و المِنباك، و هي التلال الصغار، و تخلخل القِربة إذا لم تحكم أفراطها. و غير ذلك من المعاني. راجع: لسان العرب، ج ٢، ص ٥ (أمت).

إن قلت: ما معنى الذهاب إلى الله و السير نحوه مع أنّه تعالى ليس بجسم، و ليس له مكان؟

قلت: للإنسان و غيره من المكلّفين سفران إلى الله و سيران و كدحان[١]، مبدؤهما معلوم، و منتهاهما لنا مجهول:

الأوّل: السفر التكويني الظاهري القهري، و خطاه في هذا المسير أنفاسه و مضيّ أيّامه و لياليه، و يشرع فيه الإنسان من حين تكوّنه في الدنيا و وجوده، سواء أشعر هو بنفسه بهذا السير، أم لم يشعره حتّى يتمّ عمره، و يصل إلى جناب عظمة الربّ و ساحة لقائه، و اللقاء يشرع فيه من حين الموت، و تدوم، و تتزايد آثاره و شؤونه في البرزخ و القيامة، و يتمّ و يكمل بدخول الجنّة أو النار. و إلى هذا أشير في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ﴾[٢].

الثاني: السفر المعنوي الاختياري، و هو قربه إلى الله تعالى قرباً تدريجيّاً بالحسنات من الأعمال، فكلّ عقيدة حقّة و إذعان قلبيّ صحيح حصّلها في أُصوله الاعتقاديّة، و كلّ أُكرومة[٣] جميلة من خصال النفس و ملكاتها اكتسبها، و كلّ فعلة حسنة من أعمال الأركان عملها، فهي خطوة منه معنويّة تقرّبه إلى الله و سير إراديّ يسعى به إليه و يكدح.

و يشرع السائر في هذا السير من حين حصول التمييز له وجودَ قوّة التفكّر و التعقّل فيه، و لا نهاية له، و لاحدّ يقف هو عنده، و حيث إنّه أمر اختياريّ له فربما يتوقّف عن سيره، و ربّما يرجع القهقرى، و يتباعد عن ربّه، و لا يمكن تحديد بعده في مرحلة

---

١. الكَدْح: السعي، و العناء، و السعي الشديد في الأمر و جهد النفس فيه، و المراد هنا السعي و جهد النفس إلى لقاء الربّ تعالى و تقدّس. راجع: المفردات للراغب، ص ٧٠٤ (كدح)؛ مجمع البيان، ج ١٠، ص ٦٩٧ و ٦٩٩؛ جوامع الجامع، ج ٤، ص ٤٦٥، ذيل الآية ٦ من سورة الانشقاق (٨٤).

٢. الانشقاق (٨٤): ٦.

٣. الأكرومة: المَكْرُمَة، و هو فعل الكرم. و الأكرومة من الكرم كالأعجوبة من العجب. لسان العرب، ج ١٢، ص ٥١٣ (كرم).

شقائه، كما لا يحدّ قربه في مراتب كماله و إن كان الراحل إليه قريب المسافة، و أفضل الراحلين إليه في هذا المسعى و مقدّمهم الأنبياء و خلفاؤهم ﷺ، ثمّ الأمثل من المؤمنين فالأمثل.

و قد دعا النبيّ عيسى قومه إلى أن يرافقوه فيه و يرتحلوا معه في هذا السفر، كيف و لم يبعث الأنبياء إلّا لهذه الدعوة و هداية الناس إليه و سوق الجماعات البشريّة لهذا السياق.

قوله: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾. الحواريّ: منسوب إلى الحوار،[1] و هو البياض؛ فإنّهم كانوا قصّارين يبيّضون الثياب، أو كانت قلوبهم بيضاء نقيّة يبيّضون الألباب و النفوس و الأعضاء من دَرَن[2] الكفر و الرذائل و المعاصي.

و معنى نصرة الله السعي في تحقيق الأغراض و المقاصد التي شاء الله تعالى تحقّقها بإرادة و مشيّة تشريعيّة، بيان ذلك أنّ الله قد يريد أمراً من الأُمور بإرادة تكوينيّة، و هي إمّا إرادة الشيء من غير تخلّل إرادة موجود ذي شعور آخر في تكوّنه و تحصّله، كإرادته تعالى خلق الموجودات الأوّليّة من الأرواح و الملائكة و بعض موادّ عالم الطبيعة، و إمّا إرادته مع تخلّل إرادة غيره مع كون ذلك المريد ممّن تكون إرادته تابعة لإرادته تعالى غير متخلّف عنه، كإرادته تعالى تدبير أمر العالم بوساطة الملائكة الموكّلين بذلك، قال تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾.[3]

و قد ثبت بالأدلّة الكثيرة أنّ الله تعالى أبى أن يجري الأُمور إلّا بأسبابها، ثمّ إنّه لا محالة يقع ما أراده الله بهاتين الإرادتين، و يستحيل حصول الانفكاك بينهما و بين المراد و إلّا لزم عجزه تعالى، أو مخالفة ملائكته لأوامره، و تعالى الله عن جميع ذلك

---

١. راجع: التبيان في إعراب القرآن، ص ٧٩؛ البحر المحيط، ج ٣، ص ١٧٣، ذيل الآية المذكورة. و قيل: هو واحد، و نظيره الحواليّ، و هو كثير الحيلة، و حواريّ الرجل: صفوته و خالصته. راجع: الكشّاف، ج ١، ص ٣٦٦؛ غرائب القرآن و رغائب الفرقان، ج ٢، ص ١٦٨، ذيل الآية المذكورة.

٢. الدرن: مثل الوسخ وزناً و معنى. المصباح المنير، ص ١٩٣ (درن).

٣. النازعات (٧٩): ٥.

علوّاً كبيراً. فالأعوان في هذا المقام عبارة عن الملائكة الموكّلين بتدبير العالم، و يطلق عليهم أنصار الله في الأمور التكوينيّة.

و من هنا يمكن أن يقال: إنّ الملائكة مجبورون على الطاعة، و إنّهم لا يقدرون على التخلّف، فهم و إن فعلوا ما فعلوا بالإرادة إلّا أنّهم في إرادتهم غير مختارين، و ليسوا مثلنا مختارين في الإرادة و تركها، و لأجل ذلك لم نشاهد و لم ينقل لنا مخالفتهم أمر الله و نهيه و استحقاقهم العقاب لأجلها، كما أنّه لم يذكر في الكتاب الحكيم لطاعتهم و أعمالهم أجر و مثوبة.

و قد يريد تعالى تحقّق أمر و حصوله مع تخلّل إرادة من مكلّف قادر مريد مختار غير مجبور و لا مقهور، و تسمّى هذه الإرادة من الله بالإرادة التشريعيّة، و هي كالعقائد الحسنة القلبيّة و الأعمال الصالحة الجوارحيّة الصادرة من الأناسيّ[1] و الأجنّة و الشياطين؛ فإنّهم جميعاً مختارون في ذلك، فيريد الله تعالى، و يجب صدور تلك الأفعال منهم بإرادتهم و اختيارهم، لا بالإكراه و الإجبار، و يريد من بعضهم أن ينصروا البعض الآخرين في الإتيان بها، و يحبّ الناصرين؛ لأجل أنّ النصرة أيضاً أمر حسن اختياريّ صادر منهم.

فنتيجة الكلام أنّ هنا غرضين و مقصدين إلهيّين: تكويني و تشريعي.

أمّا الأوّل [فقد] حقّقه و أجراه الله تعالى بسببين ـ مع أنّ الله لا يحتاج إلى تسبيب الأسباب و الاستعانة بالأدوات و الآلات، إلّا أنّه تعالى أبى في هذا العالم إلّا أن يجرى الأمور بأسبابها ـ:

أوّلهما: إعطاء الاقتضاء و السببيّة و العلّيّة للأشياء، فبها جرت الأمور، و انتظمت شؤون هذا العالم، و دارت رحاه، و استقام بقاؤه.

و ثانيهما: الملائكة الموكّلين بإدارة رحى الموجودات، و الصافّات صفّاً[2] و

---

١. تقدّم معنى الأناسي، ذيل تفسير الآية ٤٢ من سورة آل عمران (٣).

٢. إشارة إلى الآية ١ من سورة الصافّات (٣٧).

المقسّمات أمراً[١] و المدبّرات أمراً،[٢] و لم يدع الله أحداً إلى نصرته في هذا الغرض.

و أمّا الثاني فقد أجراه بيد أنبيائه و أوليائه و بعض ملائكته، فهم المتلقّون شرائع الله من قبله و مبلّغوها إلى خلقه، و هم وسائط الفيض التشريعي، كما أنّ الملائكة وسائطه الفيض التكويني. و قد طلب في تحقيق هذا الغرض النصر من خلقه، و ندبهم إلى ذلك، و ليس ذلك لعجزه، بل لأجل أنّ هذا الغرض لا يتحقّق إلّا إذا أتاه المكلّفون بإرادتهم و اختيارهم، فبعض بتلقّيه من الله و إبلاغه، و آخرون بنصرة المتلّقي، و هي عين نصرته، و سائر الناس بالقبول و العمل معهم.

ثمّ إنّه قد ظهر بما ذكرنا أنّ ما يرى في القرآن الكريم ـ من أنّ الله تعالى يذكر تارة نصره للناس، و أنّه ينصرهم جميعاً، و أنهم محتاجون الى نصره، و يدعوهم و يحثّهم أُخرى إلى أن ينصروا ربّهم ـ لا تنافي بينهما و لا تهافت، بل الموارد مختلفة، فنصرة الله عامّ لجميع الخلق في جميع مقاصدهم الدنيوية و الأُخروية، و نصر الخلق له تعالى يختصّ بالغرض التشريعي، و ذلك النصر بنفسه نوع من عباداتهم، أمرهم الله بذلك؛ ليثيبهم عليه، و هم في نصرهم ذلك محتاجون إلى نصره تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾.[٣]

فمن موارد ذكره تعالى نصره لخلقه ـ و هي كثيرة ـ قوله تعالى:

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤]؛

﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[٥]؛

﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ﴾[٦]؛

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾[٧]؛

---

١. إشارة إلى الآية ٤ من سورة الذاريات (٥١).

٢. إشارة إلى الآية ٥ من سورة النازعات (٧٩).

٣. الحجّ (٢٢): ٤٠.

٤. الروم (٣٠): ٤٧.

٥. آل عمران (٣): ١٣.

٦. آل عمران (٣): ١٥٠.

٧. الحجّ (٢٢): ١٥.

﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[١].

و من موارد طلبه تعالى من عباده النصر ـ و هي قليلة، لا تزيد عن أربعة موارد ـ قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[٢]؛

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[٣]؛

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾[٤]؛

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾[٥].

ثمّ إنّ نصر الخلق لله يقع على وجوه:

١. النصر العملي بالإتيان بما أمر الله به من العبادات، و الترك لما نهى عنه من المعاصي.

٢. النصر الفكرى، بإمعان النظر و إعطاء القوّة العاقلة حقّها في التكفير و التعمّق في سبيل هداية الناس إلى ما يجب الاهتداء إليه.

٣. النصر اللساني بإرشاد الجاهلين إلى الأحكام و القوانين الإلهية، و الأمر بالمعروف، و النهي عن المنكر قولاً.

٤. النصر القلمي بتبليغ الدين بالكتابة.

٥. النصر المالي ببذله في سبيل الدعوة الإلهية و نشر البرنامج الدينية.

٦. النصر البدني بالجهاد في سبيل الله و القتال في طريق مرضاته.

فيقع السؤال حينئذ عن أنّه هل وقعت الدعوة من عيسى عليه السلام إلى جميع تلك الأقسام من النصر حتّى الجهاد بالسيف في سبيل الحقّ و نشر المعارف الإنجيلية؟ و هل كان من شرعه الجهاد بالسيف مع الأعداء؟ و على فرض ذلك هل وقع منه ذلك، أو لم يقع؟

---

١. آل عمران (٣): ١٢٦.
٢. محمّد ﷺ (٢٢): ٧.
٣. الحجّ (٢٢): ٤٠.
٤. الحديد (٥٧): ٢٥.
٥. الصفّ (٦١): ١٤.

ظاهر كونه مصدّقاً للتوراة ـ كما حكاه عنه القرآن في موارد[۱] ـ تشريع الجهاد بالسيف في شريعته؛ فإنّه لا إشكال في أنّه كان من أهمّ ما شرعه الله فيها لبني إسرائيل، و أنّه قد صدر من خلفاء موسى عليه السلام؛ فإنّ فتح الشام و فلسطين كان بيد يوشع بن نون وصيّ موسى، و السبر[۲] في قصص موسى في القرآن يعطي أنّه و إن لم يكن مأموراً بالحرب مع فرعون و قومه، بل كان مأموراً باستخلاص بني إسرائيل من إسارتهم و استضعافهم و تعبيدهم؛ فإنّ بني إسرائيل لم يكونوا يستطيعون حربهم من حيث العِدّة و العُدّة ـ كما يستفاد من قوله تعالى:

﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[۳]،

و قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[٤]،

و قوله تعالى: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾[٥]،

و قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۝ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۝ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ۝ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾[٦]،

﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ۝ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾[۷] ـ إلّا[۸] أنّ الله قد كتب عليهم محاربة أهل الأرض المقدّسة التي كانت محلّ ظهور الأنبياء و محطّ نزول الوحي و طلوع الشرائع السماوية، و كان قد غلبها الجبابرة، و فشت فيها الفحشاء و المنكر، و راجت فيها الأهواء و الشهوات، فأمر الله موسى بالجهاد معهم و إحياء كلمة الحقّ فيهم، قال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا

---

۱. راجع: آل عمران (۳): ٥٠؛ المائدة (٥): ٤٦؛ الصفّ (٦١): ٦.

۲. السبر: النظر و التعمّق و استخراج كنه الأمر. لسان العرب، ج ٤، ص ٣٤٠ (سبر).

۳. طه (۲۰): ٤٣ و ٤٤.

٤. الشعراء (٢٦): ١٦ و ١٧.

٥. الشعراء (٢٦): ٢٩.

٦. الشعراء (٢٦): ٥٢ ـ ٥٦.

۷. الأعراف (۷): ۱۲۷ و ۱۲۸.

۸. استثناء من قوله قدس سره: «و السبر في قصص موسى في القرآن» إلى آخره.

ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَاتَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ○ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾،[١] ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾[٢].

و الظاهر أنّه لم يكن حكم الجهاد في التوراة مخصوصاً بقوم خاصّ و أرض معيّنة، بل كان حكماً كلّيّاً إلهيّاً قابلاً للدوام و البقاء، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّـهِ﴾[٣] [إلى قوله تعالى]:[٤] ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَـٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾.[٥]

و بالجملة كان الجهاد مع أعداء الدين من الأحكام الثابتة في التوراة، و لازم ذلك ثبوته في شرع عيسى أيضاً؛ لأنّه كان مصدّقاً لجميع ما فيها، و يدلّ عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾[٦]، و «المؤمنون» يشمل كلّ من آمن بالله و رسله في كلّ عصر و زمان، و قوله: ﴿وَعْداً عَلَيْهِ﴾ أي إنّ وعد الجنّة لهم وعد ثابت على الله مذكور في التوراة و الإنجيل و القرآن، فالآية تدلّ على تشريع حكم الجهاد لهم كما شرع لغيرهم، فما في تفسير روح المعاني للآلوسي من قوله: «إنّه لم يصحّ أنّ عيسى عليه السلام أمر به»[٧] غير صحيح.

هذا بالنسبة إلى تشريع الجهاد في شريعته، و أمّا وقوعه و صدوره منه في حياته فقد يستظهر أيضاً من قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ﴾[٨]. لكنّ الآية ليست نصّاً في الغلبة بالحرب و القتال؛ لاحتمال كون المراد الغلبة بالحجّة و البرهان، كما قيل في قوله تعالى:

---

١. المائدة (٥): ٢١ و ٢٢.
٢. المائدة (٥): ٢٤.
٣. البقرة (٢): ٢٤٦.
٤. ما بين المعقوفين أضفناه بمقتضى السياق.
٥. البقرة (٢): ٢٥١.
٦. التوبة (٩): ١١١.
٧. روح المعاني، ج ٣، ص ١٧٦، ذيل الآية ٥٢ من سورة آل عمران (٣).
٨. الصفّ (٦١): ١٤.

﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾[1]. و الحاصل ممّا ذكرنا أنّه يمكن حمل دعوة عيسى إلى نصرته و نصرة الله على المعنى الأعمّ الشامل للنصرة في الحرب و بذل النفس في سبيل الله تعالى.

قوله: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾. قد استعمل في الآية الشريفة لفظ «الإسلام» و «الايمان»، و ينبغي في توضيح معناها تقدّم مقدّمة موجزة، و هي أنّ للإنسان بحسب الغالب في سيره إلى كمالاته الإنسانية و الدينية مراحل أربع متدرّجة:

الأولى: الإقرار باللسان بالتوحيد و النبوّة و ما أتى به الرسول في الجملة، و هذه هي الدرجة الأُولى، فقد تحقّق هذه، و القلب خال عن الإذعان، أو هو في شكّ و ريب.

الثانية: الإذعان قلباً، و الاعتقاد باطناً بما أقرّ بلسانه، و هذه المرتبة قد تنفصل عن الأُولى بزمان و قد تقارنها، كما أنّه قد يتّفق تقديمها عليها.

الثالثة: تأثير الإذعان الباطني في حركة صاحبه نحو العمل و الامتثال للتكاليف الظاهرية من الواجبات و المحرّمات.

الرابعة: تسليم القلب بما أذعن و حصول طمأنينة فيه و سكينة، بحيث لا يقبل الترديد و التشكيك، و لا يتزلزل بعروض الحوادث و تهاجم الوساوس، و تسمّى هذه المرتبة باليقين.

إذا عرفت هذا فنقول: إنّ معنى اللفظين في اللغة واضح؛ فإنّ الايمان بمعنى الإذعان و التصديق،[2] و الإسلام بمعنى الانقياد و الخضوع.[3]

و أمّا عند المتشرّعة فقد يقال: إنّ الإسلام و الايمان لفظان مترادفان، يطلقان على جميع تلك المعاني، فمعنى اللفظين أمر ذو تشكيك، كالنور و الضياء، و على فرض صحّة هذا القول ـ كما أنّه يؤيّده قول مولانا السجّاد عليه السلام في الدعاء الذي رواه عنه أبو حمزة الثمالي: «اللهمّ إنّ قوماً آمنوا بك بألسنتهم؛ ليحقنوا بذلك دماءهم، فأدركوا ما

---

١. النساء (٤): ١٤١.
٢. لسان العرب، ج ١٣، ص ٢١ (أمن).
٣. لسان العرب، ج ١٢، ص ٢٩٣ (سلم).

أمّلوا، و إنّا آمنّا بك بألسنتنا و قلوبنا؛ لتعفو عنّا، فأدركنا ما أمّلنا» ـ[1] فلكلّ واحد من اللفظين إطلاقات أُخر، فيستعمل الإيمان تارة في خصوص المرتبة الثانية، و هي أمر قلبه فقط، و يستعمل أُخرى في مجموع المراتب الثلاث الأُول، و بهذا الإطلاق قد استعمل في عدّة من الروايات، ففيها أنّ الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان و عمل بالأركان،[2] و يستعمل ثالثة في خصوص المرتبة الأخيرة.

ففي بعض الروايات أنّ المؤمن ينظر بنور الله،[3] و أنّ المؤمن لا يكذب، و أنّه لا يزني، و أنّه لا يسرق،[4] و غير ذلك؛ فإنّ الظاهر أنّ المراد بالمؤمن فيها هو الذي كمل إيمانه، و حصل في قلبه نور اليقين بحيث منعه عن ارتكاب الفواحش.

و أمّا الإسلام فهو أيضاً قد يستعمل في خصوص المرتبة الأُولى، و هو شايع بين المتشرّعة، و قد يستعمل في خصوص المرتبة الأخيرة، و الظاهر أنّه المراد في بعض الأدعية الواردة: «اللّهمّ اغفر للمؤمنين و المؤمنات و المسلمين و المسلمات».[5]

و في بعض الروايات: «الإيمان فوق الإسلام بدرجة، و التقوى فوق الإيمان بدرجة، و اليقين فوق التقوى بدرجة»[6]. فقد أطلق الإسلام على الدرجة الأُولى من تلك المراتب، و الإيمان على الثانية، و التقوى على الثالثة، و اليقين على الرابعة.

ثمّ إنّه يظهر لك بما ذكرنا عدم التنافي بين الروايات بالنسبة إلى معنى الإيمان و الإسلام، فالموارد مختلفة، و الاستعمال يختلف باختلافها. هذا كلّه بالنظر إلى معنى

---

١. إقبال الأعمال، ص ٧٢؛ المصباح للكفعمي، ص ٥٩٥ مع تفاوت يسير.

٢. دعائم الإسلام، ج ١، ص ٣؛ مستدرك الوسائل، ج ١١، ص ١٤٤، ح ١٢٦٦٠.

٣. المحاسن، ج ١، ص ١٣١، باب ما خلق الله تبارك و تعالى المؤمن من نوره، ح ١؛ بصائر الدرجات، ص ٩٩ و ١٠٠، الباب ١١، ح ١ و ٢، و ص ٣٧٥ ـ ٣٧٧، ح ٤ و ١٠ و ١١؛ الكافي، ج ١، ص ٢١٨، باب أنّ المتوسّمين الذين ذكرهم...، ح ٣.

٤. الدعوات للراوندي، ص ١١٨، ح ٢٧٥؛ مشكاة الأنوار، ص ٣٠٤؛ مستدرك الوسائل، ج ٩، ص ٨٦، ح ١٠٢٨٩.

٥. الكافي، ج ٢، ص ٥٣٠، باب القول عند الإصباح و الإمساء، ح ٢٣؛ الأمالي للشيخ الصدوق ﷺ، المجلس ٦٠، ح ٤/٧٢٤؛ الفقيه، ج ١، ص ٤٣٢، ح ١٢٦٣.

٦. الكافي، ج ٢، ص ٥١، باب فضل الإيمان على الإسلام، و اليقين على الإيمان، ح ٦؛ تحف العقول، ص ٣٧٢.

اللفظين مطلقاً، و أمّا المراد بهما في المقام فيمكن كون المراد بهما المرتبة الأخيرة، فالمقصود بالآية أنّهم اعترفوا بكونهم موقنين، و طلبوا من عيسى أن يشهد به عند الله، و يمكن أن يراد بالإيمان المرتبة الثانية أو الثالثة، و بالإسلام الأخيرة؛ لأنّ اسم الفاعل هنا يدلّ على ثبوت معناه في الباطن و صيرورته ملكة.

ثمّ إنّهم بعد ما عرضوا إيمانهم و إسلامهم على نبيّهم، و طلبوا منه الشهادة على ذلك، توجّهوا إلى الله، و عرضوا إيمانهم عليه تعالى أيضاً بقولهم: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾،[١] و الإيمان في هذه الآية محتمل لكلّ واحدة من مراتبها المذكورة آنفاً، و هل يراد باتّباع الرسول هنا اتّباعه قولاً، أو قلباً و اعتقاداً، أو مشياً و عملاً، أو في جميع ذلك؟ وجوه، و على بعض المحتملات يكون عطفه على قوله: ﴿آمَنَّا﴾ عطفاً تفسيرياً.

و هذا إذا أُريد باتّباع الرسول اتّباعه في أوامره و نواهيه الإرشادية، و هي ما يحكيه الرسول عن الله تعالى، فالأولى أن يراد اتّباعه في أوامره المولوية، فيتغاير الإيمان بالله مع اتّباع الرسول، كما ذكرنا في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ﴾.[٢]

و في ذكر ذلك إيماء بأنّ قبول الدين و الكتاب السماوي لا يتمّ إلّا باتّباع مجريه و الاهتداء بهدى الإمام العدل، فالعدل القانوني الحكمي لا ينفع، أو لا يكمل و لا يتمّ إلّا بالإمام العادل و الهادي المصون عن الخطاء و الزلل، و لذلك تعمّدت و اهتمّت الشيعة الإمامية بالتصريح على العدل و الإمامة في أُصول دينهم، و عدّوها خمسة أو سبعة، كما مرّ في بعض الأبحاث الماضية.

و هنا أمر ينبغي للمتأمّل في حقائق التنزيل أن يلتفت إليه، و هو أنّ الحواريّين أشهدوا نبيّهم عيسى أوّلاً على إسلامهم، ثمّ طلبوا من ربّهم أن يكتبهم مع الشاهدين، فما معنى هذه الشهادة؟ و متى تقع؟ و أين تقع؟ و من هو المشهود عليه؟ و ما هو

---

١. آل عمران (٣): ٥٣.

٢. النساء (٤): ٥٩؛ المائدة (٥): ٩٢؛ النور (٢): ٥٤؛ محمّد ﷺ (٤٧): ٣٣؛ التغابن (٦٤): ١٢.

المشهود به؟ و ما هو المحوج إلى وقوعها؟

فنقول: تستعمل الشهادة في اللغة تارة بمعنى الحضور عند شيء،[١] و يلازمه عادة العلم بحال ذاك الشيء، و هذا إذا عدّي إلى المفعول بنفسه، كقوله تعالى:

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[٢]،

و قوله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾[٣]،

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾[٤].

و اُخرى بمعنى الإخبار عن الشيء و الحكاية عنه،[٥] و هذا على قسمين: شهادة تكوينية، و شهادة إنشائية، أمّا الاُولى فهي كون الشيء دالّاً على أمر بمقتضى طبعه و خلقته؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[٦]،

و المعنى أنّ الله أخرج نسل بني آدم بعضهم من بعض و الأبناء من أصلاب الآباء قرناً بعد قرن، فأشهدهم على التوحيد بأن أقام لهم دلائل التوحيد و براهينه في الآفاق و في أنفسهم؛ ليقرّوا بالله، و يذعنوا بتوحيده، فيكون خلق العالم على هذه الكيفية المشاهدة و إبداع الآثار و الشواهد الحاكية عن ذاته تعالى و صفاته، إشهاداً من الله و دعوة للعقول؛ ليقبلوا، و يعترفوا، كما أنّها شهادة تكوينية منه تعالى على وحدانيّته، و يكون ما ركّب في عقولهم من استعداد إدراك الحق و الإذعان به شهادة تكوينية منهم و إقراراً على التوحيد، فكأنّ الله تعالى قال لهم: ألست بربّكم؟ و كأنّهم قالوا: بلى شهدنا.

و قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾[٧]، يمكن أن يكون المراد بشهادة الله تعالى في هذه الآية ما ذكرنا من شهادة أجزاء العالم على وجوده و صفاته، فهي شهادة تكوينية، و يمكن إرادة الشهادة الكتبية، كخلق الله

---

١. لسان العرب، ج ٣، ص ٢٤٠ (شهد).
٢. البقرة (٢): ١٨٥.
٣. الحجّ (٢٢): ٢٨.
٤. الفرقان (٢٥): ٧٢.
٥. الصحاح، ج ٢، ص ٤٩٤ (شهد).
٦. الأعراف (٧): ١٧٢.
٧. آل عمران (٣): ١٨.

الكتابة الدالّة على التوحيد في اللوح المحفوظ، أو اللفظية، كخلقه الصوت الذي تسمعه الملائكة، أو الإلهامية، كإيحاء التوحيد إلى قلوب الأنبياء و نفوس الملائكة، بل و إلى كلّ قلب ليس بمتكبّر جبّار، فشهادة الله تعالى على أقسام: تكوينية، و كتبية، و لفظية، و إلهامية، و هذه الثلاث أيضاً ترجع إلى التكوينية؛ لرجوعها إلى الخلق و التكوين.

ثمّ إنّ العلم بشهادة الله الكتبية و اللفظية يختص بالأنبياء و الملائكة و بعض خلفائهم، فهم قد يطّلعون على اللوح المحفوظ، و يسمعون كلام الله، و أمّا التكوينية و الإلهامية فيعرفهما كلّ من شرح الله صدره للإسلام، و هو على نور من ربّه،[1] و كلّ من ألقى السمع و هو شهيد.[2]

و أمّا شهادة الملائكة التي أشير إليها في الآية الشريفة، فهي أيضاً تارة تكون تكوينية؛ لأنّها ـ كما عرفت ـ عبارة عن دلالة وجود العالم و نظمه و حسن تدبيره على الصانع الحكيم و صفاته، و كما أنّ هذا الأمر شهادة تكوينية من الله، فهو شهادة تكوينية من الملائكة؛ فإنّ تدبير العالم بيدهم و بوساطتهم، و هم المقسّمات أمراً، و الجاريات يسراً،[3] و المدبّرات أمراً،[4] فالخلقة العجيبة الصادرة بيدهم، و النظم التامّ الجاري بوساطتهم هي شهادتهم التكوينية، و أنّه شهادة ما أتمّها و أبينها. و أُخرى تكون اللفظية، كما قال تعالى:

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ إلى آخره،

و قال تعالى حاكياً عن الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾؛[5] فإنّ حمدهم شهادة على صفاته الكمالية، و تسبيحهم شهادة على صفاته الجلالية،

و قال: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾[6]،

---

١. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾. الزمر (٣٩): ٢٢.

٢. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾. ق (٥٠): ٣٧.

٣. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَٱلْجَـٰرِيَـٰتِ يُسْرًا ۝ فَٱلْمُقَسِّمَـٰتِ أَمْرًا﴾. (الذاريات (٥١): ٣ و ٤).

٤. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾. (النازعات: ٥).

٥. البقرة (٢): ٣٠.

٦. الشورى (٤٢): ٥.

و قال: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[١].

و لا يخفى عليك أنّ علمنا بشهادة الملائكة التكوينية و اللفظية الإنشائية ينحصر بطريق السمع، أي الاستفادة من القرآن و السنّة.

هذا كلّه في الشهادة الدنيويّة، و أمّا الآخرة فالآية الدالّة على وقوع الشهادة فيها على طوائف:

منها: ما يدلّ على أصل وقوع الشهادة فيها، كقوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُولَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾[٢].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾[٣]، [إلى قوله تعالى]: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾،[٤]

و قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾[٥].

و منها: ما يدلّ على شهادة الأنبياء و الأئمّة ﷺ و المؤمنين في الآخرة، كقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[٦].

الوسط وصف للأمّة، و يستوي فيه المذكّر و المؤنّث و المفرد و الجمع، و المراد به الحدّ المتوسّط بين طرفي الإفراط و التفريط، و هو في الحقيقة وصف لحال الأمّة، أي عقائدهم و صفاتهم و أعمالهم، فجعل الله عقائدهم معتدلة مستقيمة، لا إفراط فيها و لا تفريط، و كذلك أخلاقهم و أعمالهم، ثمّ استعمل وصفاً لأنفسهم.

و حيث إنّ المراد بالشهادة ـ كما سيجيء ـ الشهادة يوم القيامة على الناس جميعاً،

---

١. الزمر (٣٩): ٧٥.
٢. هود (١١): ١٨.
٣. غافر (٤٠): ٤٩.
٤. غافر (٤٠): ٥١.
٥. الزمر (٣٩): ٦٩.
٦. البقرة (٢): ١٤٣.

فالمخاطب بالآية ليس جميع الأُمّة الإسلامية قطعاً؛ إذ منهم الفسّاق و الفجّار و من لا وزن له عند الله و لا قيمة، فكيف يترتّب عليهم ما جعل غاية للوسطية؛ أعني قبول شهادتهم في الآخرة في حقّ الأُمّة!؟

و قد روى العيّاشي في ذيل الآية الشريفة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «فإن ظننت أنّ الله عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحّدين، أفترى أنّ من لا يجوز شهادته في الدنيا على صاع من تمر، يطلب شهادته يوم القيامة، و يقبلها منه بحضرة جميع الأُمم الماضية!؟»[١]

فالخطاب لخصوص الأئمّة عليهم السلام؛ أعني الخلفاء المنصوبين بنصّ النبيّ الأعظم و بالأمر المبرم من قبل الحكيم تعالى، و المراد بالشهادة شهادتهم عليهم السلام على الناس يوم القيامة بإيمانهم و كفرهم و سائر عقائدهم و بأعمالهم من حسناتهم و سيّئاتهم و جميع أحوالهم الدخيلة في مثوباتهم و عقوباتهم، و المراد بشهادة النبيّ عليهم شهادته بما علموا و بما عملوا و جاهدوا في الله تعالى حقّ جهاده في إيفاء وظائف الإمامة و تبليغ ما عليهم من أحكام الدين و قواعد الشريعة.

و الدليل على هذا المعنى روايات واردة في تفسير الآية عن أهل البيت عليهم السلام، ففي صحيحة بريد العجلي، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾؟[٢] قال: «نحن الأُمّة الوسطى، و نحن شهداء الله ـ تبارك و تعالى ـ على خلقه و حججه في أرضه».[٣]

و في رواية سليم بن قيس الهلالي عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «[إنّ الله][٤] إيّانا عنّى بقوله: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، فرسول الله شاهد علينا، و نحن شهداء الله على خلقه و حجّته في أرضه، و نحن الذين قال الله تعالى [فيهم][٥]: ﴿وَكَذَٰلِكَ

---

١. تفسير العيّاشي، ج ١، ص ٦٣، ح ١١٤. ٢. البقرة (٢): ١٤٣.

٣. الكافي، ج ١، ص ١٩١، باب في أنّ الأئمّة شهداء الله عزّ و جلّ على خلقه، ح ٤.

٤. ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر. ٥. ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر.

جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾».[١]

و في رواية حمران بن أعين عن الباقر ﷺ: إنّما أنزل الله ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾؛ يعني عدولاً ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، قال: «ولا يكون شهداء على الناس إلّا الأئمّة ﷺ و الرسل، فأمّا الأمّة فإنّه غير جائز أن يستشهدها [الله تعالى][٢] و فيهم من لا يجوز شهادته في الدنيا على حُزْمة بقل[٣]».[٤]

فهذه الروايات كاشفة عن مرمى الآية و معناها من حيث تعيين الشهود، و أمّا المشهود به و أنّهم بماذا يشهدون؟ فقد روى أبو بصير عن الصادق ﷺ في قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، قال: «بما عندنا من الحلال و الحرام، و بما ضيّعوا منه».[٥]

و المراد بما عندهم أحكام الدين من أُصوله و فروعه، فهم يشهدون بعلم الناس بها و جهلهم و طاعتهم و مخالفتهم.

ثمّ إنّه لا ينافي ما ذكرنا من كون الخطاب للأئمّة ﷺ، إمكان ثبوت هذا المقام لغيرهم أيضاً، فالآية تشبه الآيات التي خوطب بها النبيّ الأعظم، و تشمل غيره في مفادها، فكلّ إنسان سعى في مراتب كماله الديني، و رقى في درجاته بحيث اعتدلت عقائده، و توسّطت ملكاته، و استقامت أعماله، يكون ممّن يشهد يوم القيامة على الناس بما يشهد به الأئمّة ﷺ، و يكون الرسول ﷺ شهيداً عليه بمقامه و كماله.

و قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[٦].

الجهاد هو تحمّل المشقّة، و المراد به هنا الأعمّ من جهاد النفس و جهاد العدوّ، فالمراد به العمل بقوانين الشرع و أحكام الدين، و معنى كونه حقّ الجهاد مراعاة جميع

---

١. شواهد التنزيل، ج ١، ص ١١٩، ح ١٢٩. ٢. ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر.

٣. «حُزْمة بقل» أي ما حُزِمَ و شدّ وسطه منه، أي قبضة مشدودة منه. راجع: لسان العرب، ج ١٢، ص ١٣١ (حزم).

٤. مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ١٧٩، و عنه في نور الثقلين، ج ١، ص ١٣٥، ح ٤١١.

٥. تفسير العياشي، ج ١، ص ٦٣، ح ١١٣. ٦. الحجّ (٢٢): ٧٨.

أصولها و فروعها عملاً و مقارنة ذلك بالإخلاص قلباً.

و قوله: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾، أي اختاركم ربّكم بإعطاء هذا الدين و إنزال الكتاب المبين، و لم يجعل لكم في أحكامه و قواعده حكماً حرجيّاً، بأن لم يشرع ما كان أصله مستلزماً للحرج، كإيجاب الصلاة بالجماعة على جميع الناس و خمسين صلاة في أواخر الليل، و تحريم أكل غير الخبز مثلاً، و رفع ما صار ضرريّاً في مقام العمل، كإيجاب الغسل و الصيام للمريض و نحو ذلك.

و قوله: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ﴾، أي هذا الدين هو الطريقة التي كان عليها أبوكم إبراهيم ﷺ.

و قوله: ﴿هُوَ سَمَّاكُمْ﴾، أي الله تعالى، أو إبراهيم النبيّ سمّاكم المسلمين من قبل زمانكم هذا، و هو جميع الأزمنة التي شرع الدين للناس و في زمانكم هذا؛ فإنّ الدين عند الله الإسلام،[١] و كلّ من قبل الدين و عمل به فهو مسلم.

و قوله: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ﴾، الظاهر أنّه في مورد العلّة الغائية لقوله: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ﴾، و ما بينهما تعليل للجهاد المذكور و بيان لما يكون حثّاً في ذلك و ترغيباً؛ فإنّ اصطفاء أُمّة و اجتباءهم و بذل نعمة الدين عليهم و تسميتهم مسلمين، يقتضي لزوم جهادهم حقّ الجهاد، كما أنّ نتيجة ذاك الجهاد الخاصّ هي بلوغ المجاهد مقاماً متوسّطاً بين الرسول و الناس و كون الرسول شاهداً عليه بأخذه الدين و إبلاغه، و كونه شاهداً على الناس بالقبول و الرّد.

و هذه الآية أيضاً كسابقتها تنطبق على الأئمّة ﷺ و هم المعنيّون بها، كما وردت بذلك أخبار، ففي صحيح بريد العجلي عن مولانا الصادق ﷺ، قال: قلت لأبي جعفر ﷺ: قوله تعالى: ﴿وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَـٰكُمْ﴾، قال: «إيّانا عنى، و نحن المجتبون، و لم يجعل الله ـ تبارك و تعالى ـ في الدين من حرج، فالحرج أشدّ من الضيق، ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾: إيّانا عنى خاصّة، ﴿هُوَ سَمَّـٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: الله سمّانا المسلمين، ﴿مِن قَبْلُ﴾: في الكتب التي مضت، ﴿وَ فِي هذَا﴾ القرآن ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا

---

١. إشارة إلى الآية ١٩ من سورة آل عمران (٣).

وَ تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ فرسول الله الشهيد علينا بما بلّغنا عن الله تبارك و تعالى، و نحن الشهداء على الناس يوم القيامة، فمن صدّق يوم القيامة صدّقناه، و من كذّب كذّبناه».[١] و نحوها غيرها.

مع أنّ في نفس الآية أيضاً شواهد على إرادتهم ﷺ، كقوله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾؛ فإنّ حمل الأب على الأب الروحاني مثلاً خلاف الظاهر.

و قوله: ﴿هُوَ سَمَّـٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، أُريد به قول إبراهيم: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[٢] بناء على إرجاع الضمير المرفوع إلى إبراهيم ﷺ، و قد عرفت أنّ انطباق الآية على الأئمّة ﷺ لا يأبى عن قابليّتها لاندراج غيرهم فيها، فكلّ من جاهد في الله حقّ جهاده يترتّب عليه الحكم بالمشهود به عليه و شهادته على غيره.

و قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾[٣]، أي جئنا بك شهيداً على أُمّتك أو على الشهداء.

و قوله: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾[٤].

و يقرب ممّا ذكرنا الآية ١٥٩[٥] من النساء (٤)، و الآية ٨٤[٦] من النحل (١٦) و الآية[٧] ١٥ من المزّمّل (٧٣)، و غير ذلك.

إن قلت: إنّ شهادة النبيّ و الأئمّة ﷺ على أُمّتهم، أو على جميع الأُمم يوم القيامة تتوقّف على اطّلاعهم و علمهم بما يشهدون به من عقائدهم و ملكاتهم و أعمالهم، و

---

١. قطعة من الرواية التي مرّت قطعة منها أيضاً قبيل هذا. راجع: الكافي، ج ١، ص ١٩١، باب في أنّ الأئمّة شهداء الله ﷺ على خلقه، ح ٤.

٢. البقرة (٢): ١٢٨.

٣. النساء (٤): ٤١.

٤. النحل (١٦): ٨٩.

٥. هي قوله تعالى: ﴿وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾.

٦. هي قوله تعالى: ﴿وَ يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَ لاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾.

٧. هي قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً﴾.

على كيفيّة صدور الأعمال منهم من خلوص، أو شرب رياء و غيره؛ ليتسنّى[1] لهم التحمّل، فيتمكّنوا من الأداء، و هل يمكن ذلك لغير الله تعالى و إن كان عبداً صالحاً، أو نبيّاً، أو وصيّ نبيّ؟

قلت: إنّ جميع ما يصدر من العباد و المكلّفين ـ مع قطع النظر عن ثبوته في علم الله الأزلي، كسائر الكائنات و الحوادث ـ قد ثبتت قبل صدوره و حدوثه في كتاب كبير لايضلّ ربّي و لاينسى،[2] و يسمّى بالكتاب تارة، و باللوح المحفوظ[3] أُخرى، و بأمّ الكتاب ثالثة، و بالإمام المبين[4] رابعة؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾[5].

﴿وَ ما يَعْزُبُ﴾، أي لا يغيب عن علمه و مرآه و منظره، و الذرة: معروفة، أو هي النملة الصغيرة، و قوله: ﴿وَ لا أَصْغَرَ﴾ ابتداء كلام، فالآية تبيان لثبوت الأشياء في علم الله و في الكتاب الكبير.

و قال: ﴿عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾[6]،

و قال: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ○ يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾[7]،

و قال: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[8]،

---

١. «ليتسنّى»، أي ليتسهّل و يتيسّر و يتأتّى. راجع: لسان العرب، ج ١٤، ص ٤٠٤ (سنا).

٢. اقتباس من قوله: تعالى: ﴿قالَ عِلْمُها عِنْدَ رَبّى فى كِتابٍ لا يَضِلُّ رَبّى وَ لا يَنْسى﴾. طه (٢٠): ٥٢

٣. في قوله تعالى: ﴿فى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾. البروج (٨٥): ٢٢.

٤. في قوله تعالى: ﴿إِنّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتى وَ نَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَ آثارَهُمْ وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ في إِمامٍ مُبينٍ﴾. يس (٣٦): ٢.

٥. يونس (١٠): ٦١.

٦. سبأ (٣٤): ٣.

٧. الرعد (١٣): ٣٨ و ٣٩.

٨. الحجّ (٢٢): ٧٠.

و قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ○ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ○ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾[١].

و يثبت أيضاً أنّ عمل كلّ شخص من أشخاص المكلّفين في كتاب مخصوص به، فيدرج فيه كلّ ما يتعلّق به من حركاته و خواطر قلبه و لحظات عينه و لفظات لسانه، على نحو التدريج و شيئاً فشيئاً على طبق ما يحدث منه بتصرّم ساعاته و أيّامه في سنين عمره منذ ألقته يد التكوين على صفحة الوجود في الدنيا إلى آخر لحظة صدرت منه عند موته، كلّ ذلك بيد الملائكة الموكّلين عليه و الكرام الكاتبين صحيفة أعماله؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ○ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ○ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[٢]؛

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[٣]؛

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ﴾[٤]؛

﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ○ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[٥]؛

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَـٰبِيَهْ﴾[٦]؛

﴿وَ أَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ﴾[٧]؛

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَـٰتِبُونَ﴾[٨].

إذا عرفت ذلك فنقول: إنّ علم الأنبياء و الأئمّة ﷺ بأعمال الناس، إمّا أن يكون باطّلاعهم و إشرافهم على الكتاب الكبير؛ أعني اللوح المحفوظ، و ذلك أمر ممكن، تعرّضنا له تحت عنوان «الإمام»[٩]، و إمّا أن يكون باطّلاعهم على الكتاب الخاصّ بكلّ أحد بعد عرض الحفظة عليهم، و هذا ممّا لا شبهة فيه؛ فإنّ الظاهر أنّها تعرض عليهم،

---

١. الواقعة (٥٦): ٧٧ ـ ٧٩.

٢. الانفطار (٨٢): ١٠ ـ ١٢.

٣. الزخرف (٤٣): ٨٠.

٤. يس (٣٦): ١٢.

٥. الإسراء (١٧): ١٣ و ١٤.

٦. الحاقّة (٦٩): ١٩.

٧. الحاقّة (٦٩): ٢٥.

٨. الأنبياء (٢١): ٩٤.

٩. ما مضى عين هذا العنوان، نعم تعرّض ﷺ له قبيل هذا ذيل قوله: «قلت» في الصفحة ١٤٠.

فيعلمون بما صدر منهم من الحسنات و السيّئات، فتعرض على كلّ نبيّ أو إمام أعمال من عاصره من الأُمّة في كلّ ثلاثة أيّام، أو في أُسبوع، و بذلك يتحقّق تحمّل الشهادة منهم، فيؤدّونها يوم القيامة، يوم يأتي الله من كلّ أُمّة بشهيد، و يأتي بالنبيّ الأعظم محمّد ﷺ شهيداً على هؤلاء.[١] قال تعالى:

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٢].

و قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾[٣].

و لنورد هاهنا بعض ما يدلّ على ذلك من أحاديث الباب تيمّناً.

ففي الصحيح عن مولانا الصادق ﷺ قال: «إنّ أعمال العباد تعرض على رسول الله كلّ صباح، أبرارها و فجّارها، فاحذروا، فليستحي أحدهم أن يعرض على نبيّه العمل القبيح».[٤]

و عنه ﷺ في قوله: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾، قال: «إيّانا عنى».[٥]

و في الصحيح عنه ﷺ: «المؤمنون هاهنا الأئمّة».[٦]

و عنه ﷺ قال: «مالكم تسوؤون[٧] رسول الله ﷺ؟»، فقال له رجل: كيف نسوؤه؟ فقال: «أما تعلمون أنّ أعمالكم تعرض عليه، فإذا رأى [فيها][٨] معصية ساءه ذلك!؟ فلا

---

١. اقتباس من الآية ٤١ من سورة النساء (٤). ٢. التوبة (٩): ٩٤.

٣. التوبة (٩): ١٠٥.

٤. تفسير القمّي، ج ١، ص ٣٠٤، ذيل الآية ١٠٥ من التوبة (٩).

٥. الأمالي للشيخ الطوسي ﷺ، ص ٤٠٩، المجلس ١٤، ح ٦٦/٩١٨.

٦. تفسير القمّي، ج ١، ص ٣٠٤، ذيل الآية ١٠٥ من التوبة (٩).

٧. يقال: ساءه يسوؤه، أي أحزنه، و فعل به ما يكره، نقيض سرّه. لسان العرب، ج ١، ص ٩٥ (سوأ).

٨. ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر.

تسوؤوا رسول الله، و سرّوه».[١]

و عن داود بن كثير الرقّي، قال: كنت[٢] عن أبي عبدالله إذ قال لي مبتدئاً من قِبَل نفسه: «يا داود لقد عرضت عليّ أعمالكم يوم الخميس، فرأيت في ما عرض عليّ من عملك صلتك لابن عمّك فلان، فسرّنى ذلك؛ إنّي علمت أنّ[٣] صلتك له أسرع لفناء عمره و قطع أجله»، قال داود: و كان لى ابن عمّ معاند خبيث[٤] بلغني عنه و عن عياله سوء حال، فصككت[٥] له نفقة[٦] قبل خروجي إلى مكّة، فلمّا صرت بالمدينة[٧] أخبرني أبو عبدالله ﷺ ذلك[٨].[٩]

الصكّ: الكتاب الذي يكتب فيه العطايا و الأرزاق.[١٠]

و عن حمّاد بن سويد عن أبي جعفر الباقر ﷺ قال: «قال رسول الله و هو في نفر من أصحابه: إنّ مقامي بين أظهركم[١١] خير لكم، و إنّ مفارقتي إيّاكم خير لكم، فقام إليه جابر بن عبدالله الأنصاري، و قال: يا رسول الله! أمّا مقامك بين أظهرنا فهو خير لنا، فكيف يكون مفارقتك إيّانا خيراً لنا؟ قال ﷺ: «أمّا مقامي بين أظهركم فهو خير لكم؛ لأنّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿وَ ما كانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فيهِمْ وَ ما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ

---

١. الكافي، ج ١، ص ٢١٩، باب عرض الأعمال على النبيّ ﷺ و الأئمّة ﷺ، ح ٣.

٢. في المصدر: + «جالساً». ٣. في المصدر: – «أنّ».

٤. في المصدر: «معانداً ناصباً خبيثاً».

٥. «فصككت»، أي كتبت، أو دفعت. راجع: تاج العروس، ج ١٣، ٦٠١ (صكك).

٦. في المصدر: «بنفقة». ٧. في المصدر: «في المدينة».

٨. في المصدر: «بذلك».

٩. الأمالي للشيخ الطوسي ﷺ، ص ٤١٣، المجلس ١٤، ح ٩٢٩/٧٧.

١٠. راجع: المصباح المنير، ص ٣٤٥؛ تاج العروس، ج ١٣، ص ٦٠١ (صكك). أقول: و يقال له اليوم بالفارسية: «چک»، «قباله»، «برات» و «حواله».

١١. أظهر: جمع الظهر، يقال: فلان أقام بين أظهر قوم، أي أقام فيهم على سبيل الاستظهار و الاستناد إليهم، و المعنى أنّ ظهراً منهم قدّامه و ظهراً منهم وراءه، فهو مكفوف من جوانبه، ثمّ شاع الاستعمال في الإقامة بين قوم مطلقاً. النهاية، ج ٣، ص ١٦٦ (ظهر).

يَسْتَغْفِرُونَ﴾[١]؛ يعني يعذّبهم بالسيف، فأمّا مفارقتي إيّاكم فهو خير لكم؛ لأنّ أعمالكم تعرض عليّ كلّ اثنين و خميس، فما كان من حسن حمدت الله تعالى عليه، و ما كان من سيّيء استغفرت لكم».[٢]

و عن عبدالله بن أبان ـ و كان يسمّى عبدالرضا ـ قال: قلت الرضا ﷺ: ادع الله لي و لأهل بيتي، قال: «أو لست أفعل؟ و الله، إنّ أعمالكم لتعرض عليّ في كلّ يوم و ليلة»، [قال:][٣] فاستعظمت ذلك، فقال [لي]:[٤] أما تقرأ كتاب الله ﷻ: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[٥]؟»، [قال: «هو و الله عليّ بن أبي طالب ﷺ][٦]».[٧]

و عن الباقر ﷺ في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[٨]، قال: «منّا شهيد على كلّ زمان، عليّ بن أبي طالب ﷺ في زمانه، و الحسن في زمانه، و الحسين في زمانه، و كلّ من يدعو منّا إلى أمر الله».[٩]

و عن أبي عبدالله ﷺ قال: «ما من مؤمن يموت، أو كافر يوضع في قبره حتّى يعرض عمله على رسول الله وعلى أمير المؤمنين ﷺ، و هلمّ جرّاً إلى آخر من فرض الله طاعته، فذلك [قوله تعالى][١٠]: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[١١]».[١٢]

إن قلت: كيف تدّعي علم الأنبياء و الأئمّة ﷺ بأعمار الأمّة في الدنيا، و شهادتهم عليهم في الأخرى، مع أنّ الله تعالى قد أخبر بعدم علمهم بها في الآخرة، كما أخبر بعدم علم الأمم أيضاً بأعمالهم؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا

---

١. الأنفال (٨): ٣٣.

٢. الأمالي للشيخ الطوسي ﷺ، ص ٤٠٨، المجلس ١٤، ح ٦٥/٩١٧.

٣. ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر.

٤. ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر.

٥. التوبة (٩): ١٠٥.

٦. ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر.

٧. الكافي، ج ١، ص ٢١٩، باب عرض الأعمال على النبيّ ﷺ و الأئمّة ﷺ، ح ٤.

٨. البقرة (٢): ١٤٣.

٩. تفسير فرات الكوفي، ص ٦٢، ح ٢٧.

١٠. ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر.

١١. التوبة (٩): ١٠٥.

١٢. تفسير القمّي، ص ٣٠٤، ذيل الآية المذكورة.

لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[١]، و قال: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ○ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾[٢]؟

قلنا: قد عرفت دلالة الآيات و الأخبار على علمهم، و يدلّ عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾،[٣] فلا مناص حينئذ عن القول بعدم الإطلاق في آية المائدة بحيث يشمل جميع الحالات و المواقف في القيامة، فلعلّ ذلك يكون في موقف خاصّ؛ فإنّه لم يظهر لنا كيفية اطّلاعهم على أحوال العباد و أعمالهم، و لا ندري أنّهم يعلمون بها، فيبقى في نفوسهم الشريفة إلى حال أداء الشهادة يوم القيامة، أو أنّ حصول العلم لهم يكون عند النظر إلى صحائف الأعمال، أو عرض الملائكة، كاطّلاعنا على مطالب بعض الكتب، فيغيب عنهم بعد موتهم و مضيّ مدّة البرزخ، ثمّ يتجدّد لهم العلم بتذكير غيبيّ إلهيّ، أو بالنظر إلى الكتاب الكبير، أو صحائف الأعمال الخاصّة، و بالجملة إقرارهم بعدم العلم في زمان و موقف لا يدلّ على عدم علمهم مطلقاً.

و يمكن أن يكون قوله: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ○ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾،[٤] إشارةً إلى أنّ المرسل و المرسل إليهم لا يعلمون ما يسألون عنه، فيقصّ الله عليهم بعلم.

و قد يقال بأنّ المراد بالآية إظهار الرسل قلّة علمهم في جنب علم الله تعالى المحيط بكلّ شيء تأدّباً و مبالغة، فكأنّهم قالوا: علمنا بذلك كعدم العلم، فلا علم لنا، و قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ يؤيّد المعنى الأوّل؛ فإنّهم جعلوا مورد السؤال من مصاديق الغيوب التي لا يعلمها إلّا الله.

هذا إجمال الكلام في مسألة الشهادة و أقسامها و زمانها و سائر خصوصيّاتها، و يظهر بذلك أنّ الحواريّين لمّا طلبوا من رسولهم أن يكون لهم شاهداً، و دعوا ربّهم أن يكتبهم شهداء، علم منه أنّ حقيقة سؤالهم هي أن يبلّغهم ربّهم مقام الأمّة الوسط و المجاهدين في الله حقّ الجهاد، و ذلك إمّا بإكمالهم في درجات الإيمان، أو باجتنابهم

---

١. المائدة (٥): ١٠٩.
٢. القصص (٢٨): ٦٥ و ٦٦.
٣. الفرقان (٢٥): ٣٠.
٤. الأعراف (٧): ٦ و ٧.

لمنصب النبوّة، كما يمكن استظهاره من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾[١].

و ظاهر الإيحاء هو كونه إلى من له مقام النبوّة، فهم قد طلبوا مقاماً شامخاً في الإيمان، أو منصب النبوّة؛ ليكون رسولهم شهيداً عليهم، و يكونوا شهداء على الناس، كالأئمّة بعد النبيّ الأعظم محمّد ﷺ فإنّه كانت نسبة الأنبياء السابقين غير أُولي العزم و غير أصحاب الكتب منهم إلى أصحاب الكتب و الشرائع كنسبة أئمّتنا إلى نبيّنا.

و قد علم بهذا أيضاً أنّ مقام الشهادة بهذا المعنى أعظم من الشهادة بمعنى القتل في سبيل الله؛ لكونه نتيجة الجهاد الأكبر، و لذا قد تكرّر في الذكر الحكيم التنبيه على عظمة هذا الأمر و أنّ الشاهد و الشهيد أوّلاً هو الله، ثمّ المقرّبون من عباده؛ قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾[٢]؛

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[٣]؛

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[٤]؛

﴿وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾[٥]؛

﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ﴾[٦]؛

﴿وَ وُضِعَ الْكِتَابُ وَجِاىْءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾[٧]؛

﴿وَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾[٨].

و الظاهر أنّه ليس في الكتاب الكريم موردٌ، عُلِمَ فيه استعمال كلمة «الشهيد» في المقتول في سبيل الله.

---

١. المائدة (٥): ١١١.
٢. النساء (٤): ٣٣؛ الأحزاب (٣٣): ٥٥.
٣. الأحزاب (٣٣): ٤٥؛ الفتح (٤٨): ٨.
٤. المائدة (٥): ٨٣.
٥. آل عمران (٣): ١٤٠.
٦. النساء (٤): ٦٩.
٧. الزمر (٣٩): ٦٩.
٨. الحديد (٥٧): ١٩.

قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾[1].

التفسير

المكر مفهوم معروف، و يمكن تعريفه بأنّه العمل الذي له ظاهر محبوب و باطن مكروه، و ليس القبح لازماً لذاته؛ فإنّه إن كان الغرض منه تضييع حقّ و الظلم لأحد كان قبيحاً، و إن كان الغرض تمشية حقّ، أو رفع ضرر كان حسناً؛ قال تعالى: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[2]. فيعلم أنّ هنا مكراً حسناً و مكراً سيّئاً، و لذا لا يكون ما يصدر منه من الله تعالى باطلاً قبيحاً؛ إذ لا يصدر منه ذلك إلّا مجازاة لمكر الماكرين، أو لمصلحة تشابه ذلك.

و نظيره في المعنى الخدعة؛ فإنّها تستعمل أيضاً في إظهار ما يوهم السلامة و إبطال ما يقتضي الإضرار.

و قد نسب الله المكر و الخدع إلى نفسه في كتابه الكريم في موارد:

قال تعالى في قصّة صالح النبيّ و قومه: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[3]. أمّا مكر القوم فقد[4] ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَ أَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ﴾[5]. و أمّا مكر الله تعالى [فقوله تعالى]:[6] ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾.[7]

---

١. آل عمران (٣): ٥٤.

٢. فاطر (٣٥): ٤٣.

٣. النمل (٢٧): ٥٠.

٤. كذا في الأصل، و الأنسب أن تكون العبارة هكذا: «أمّا مكر القوم فقوله تعالى: ﴿قالوا﴾ إلى آخر الآية».

٥. النمل (٢٧): ٤٩.

٦. ما بين المعقوفين أضفناه لمقتضى السياق.

٧. النمل (٢٧): ٥٢.

و قال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَـٰكِرِينَ﴾[١]. أمّا مكر قريش فقوله تعالى: ﴿وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾،[٢] و أمّا مكره تعالى فقد حفظه، و أخرجه من مكّة، و أعانه بجند منه، ثمّ ردّه إليهم ظافراً غالباً حتّى خطب ﷺ في محتشد[٣] حافل[٤] في البيت الحرام، و قال: «الحمد لله وحده وحده، أنجز وعده، و نصر عبده و أعزّ جنده، و هزم الأحزاب وحده».[٥]

و قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾[٦]،

أمّا مكر الناس فهو جميع ما يحتالون في الدنيا لبقائهم و دفع المضارّ و الموت عن أنفسهم، و أمّا مكره تعالى فقد قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾[٧]، و نقص الأرض عبارة عن إماتة أهلها بالأمراض و الأوجاع و الحوادث المترقّبة و غير المترقّبة، و معنى كون المكر كلّه لله، كون جميع الحيل و أسبابها بيده تعالى، و كون نفس الماكر و تفكيره و وسائل إعمال ما قدّره و دبّره مخلوقاً لله مملوكاً له بملكية إشراقية.

و قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾[٨]، و قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ﴾[٩]، فهم يظهرون الايمان، و يبطنون الكفر، فيدخلون به في زمرة المسلمين، و يؤمَنون على أموالهم و أنفسهم، و ينتفعون بما انتفعوا به من الغنائم و غيرها، فكأنّهم خدعوا ربّهم بهذه الفعال، و الله تعالى يمهلهم؛ ليستدرجوا في الشقاء، فيأخذهم بغتة و هم لا يشعرون.[١٠]

---

١. الأنفال (٨): ٣٠.
٢. الأنفال (٨): ٣٠.
٣. المحتشد: المجتمع، يقال: حشد القوم، و احتشدوا، و تحشّدوا، أي اجتمعوا. لسان العرب، ج ٣، ص ١٥٠ (حشد).
٤. حافل، أي كثير، يقال: حفل الدمع، أي كثر. لسان العرب، ج ١١، ص ١٥٧ (حفل).
٥. سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ١٠٢٤، ح ٣٠٧٤؛ تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٦٠؛ إعلام الورى، ج ١، ص ٢٢٥؛ مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ١٨٠ مع تفاوت يسير.
٦. الرعد (١٣): ٤٢.
٧. الرعد (١٣): ٤١.
٨. يونس (١٠): ٢١.
٩. النساء (٤): ١٤٢.
١٠. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَ قَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَ السَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. الأعراف (٧): ٩٥.

و حينئذ فقوله تعالى: ﴿وَ قَدْ مَكَرُوا﴾، أي مكر الذين أحسّ عيسى منهم الكفر، و قد وقع الاختلاف في كيفية مكرهم و مكر الله، فيظهر من الأناجيل[1] أنّ ملك بني إسرائيل أرسل رجلاً منهم خبيثاً؛ ليدخل البيت الذي كان عيسى و الحواريّون، و يقتل عيسى غيلة، فدخله فألقى الله عليه شبه عيسى، فخرج إلى أصحابه يخبرهم أنّه ليس في البيت، فقتلوه، و صلبوه، و ظنّوا أنّه عيسى و قد رفع الله عيسى إليه.

و يستفاد من روايات[2] أهل البيت عليهم السلام أنّ مكر الله إلقاؤه تعالى شبه عيسى على أحد الخلصاء من تلامذته بعد دعوة عيسى و قبوله ذلك برضاه، فصلب، و قتل، ثمّ رفع الله عيسى إليه حيّاً، و سيجيء تفصيل القولين في الآية التالية.

---

١. يؤكّد القرآن الكريم و أحاديث أهل البيت عليهم السلام على أنّ المسيح عليه السلام لم يصلب و لم يقتل، بل اشتبه الأمر على اليهود، فظنّوا أنّهم صلبوه و قتلوه، و لكن لم يقتلوه أبداً.

و أمّا الأناجيل الأربعة المحرّفة الموجودة بأيدينا اليوم تصرّح بصلبه و قتله عليه السلام، و لكن يمكن أن يستظهر منها بمعونة القرائن أنّ المصلوب غير المسيح عليه السلام، و هذا ظاهر لمن راجع أواخر الأناجيل الأربعة، نعم صرّح إنجيل برنابا الّذي يعدّه المسيحيّون محرّفاً بأنّه عليه السلام ما صلب و ما قتل، بل عرج إلى السماء، و صلب و قتل من هو شبيه به عليه السلام. راجع: إنجيل برنابا، ص ٢٨٣ ـ ٢٩٣، الفصل ٢١٠ ـ ٢١٨. و لقد بسط الكلام جدّاً في أسطورة الصلب صاحب تفسير المنار، فإن شئت المزيد فيها فراجع: المنار، ج ٦، ص ٢٣ ـ ٥٩، ذيل الآية ١٥٧ من سورة النساء (٤).

٢. ستأتي تلك الروايات ذيل الآيات الآتية.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1].

التفسير

قوله: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾، متعلّق بقوله: ﴿مَكَرَ ٱللَّهُ﴾،[2] فهو بيان لكيفيّة مكر الله تعالى في حقّهم كما عرفت.

و التوفية: وفاء الدين أو الوعد تامّاً و بالنحو الأكمل، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾[3]، أي يعطي الله يوم القيامة كلّ طائفة من الأبرار و الفجّار جزاء أعمالهم تامّاً كاملاً، أو يوفّيهم نفس أعمالهم، و قال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَـٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾[4].

و أمّا التوفّي فهو مطاوعة التوفية، فهو أخذ الشيء تامّاً، فإذا أُسند إلى الروح كان المراد أخذها كلّاً، و إذا أُسند إلى الإنسان، فالمراد أخذ الإنسان كذلك، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[5]. فأسند الأخذ و التوفّي إلى الروح، و معناه حينئذ أخذها

---

١. آل عمران (٣): ٥٥.
٢. آل عمران (٣): ٥٤.
٣. هود (١١): ١١١.
٤. آل عمران (٣): ٢٥.
٥. الزمر (٣٩): ٤٢.

بحيث لم يبق لها تمكّن الرجوع و علقة الارتباط و الاتّصال. فلو أرجعه إلى محلّه فهو امتنان منه تعالى و رحمة.

و قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾[1]، و قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[2]. فأسند في الآيتين التوفّي إلى الإنسان المركّب من الروح و الجسد. فالمعنى أنّ الملائكة يقبضونه من بين المجتمع، فيسلّمون الجسد بمعونة أهله إلى القبر، و يعرضون الروح على الله، كما قال تعالى: ﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾[3].

ثمّ إنّ المفسّرين قد اختلفوا في أنّ رفع عيسى إلى الله تعالى هل كان بإماتته و رفع روحه، أو كان برفعه حيّاً بالروح و الجسد؟[4]

و الأناجيل مصرّحة بأنّ اليهود قتلوه، و صلبوه، فدفنوه، ثمّ أحياه الله، و أرسله إلى الحواريّين في جبل الجليل، فوعظهم، و أوصاهم، و غاب عن أعينهم، و هو حيّ إلى انقضاء الدهر.[5] ففي إنجيل متّى ما خلاصته:

أنّه جاء يهودا الإسخر يوطي أحد الاثني عشر من تلامذته، و معه جماعة معهم السيوف و العصيّ من عند رؤساء الكهنة و مشايخ الشعب، و قد قال لهم يهودا: إنّ الرجل الذي أقبله هو المسيح، فأمسكوه. فلمّا رأى يهودا المسيح قال: السلام عليك يا معلّم!

ثمّ قبّله، فأمسكوه، فذهبوا به الى رئيس الكهنة، حيث تجتمع الشيوخ، فالتمس المشايخ على يسوع شهادة يقتلونه بها، فجاء جماعة من شهود الزور، فشهد منهم اثنان أنّ يسوع قال: أنا أقدر أن أنقض هيكل الله تعالى، و في ثلاثة أيّام [أبنيه][6]، فقال له الرئيس: ما تجيب عن نفسك بشيء؟ فسكت، فأقسم عليه رئيس الكهنة بالله الحيّ:

---

١. السجدة (٣٢): ١١.
٢. الأنعام (٦): ٦١.
٣. سبأ (٣٤): ٥١.
٤. راجع: التبيان، ج ٢، ص ٤٧٨؛ مجمع البيان، ج ٢، ص ٧٥٩؛ مفاتيح الغيب، ج ٨، ص ٢٣٧؛ أنوار التنزيل، ج ٢، ص ١٩؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٢، ص ٣٩، ذيل الآية ٥٥ من سورة آل عمران (٣).
٥. راجع: الكتاب المقدّس (العهد الجديد)، ص ٥١ ـ ٥٥ و ٨٥ ـ ٨٨ و ١٣٩ ـ ١٤٤ و ١٨٣ ـ ١٨٨.
٦. ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر.

أنت المسيح؟ فقال: أنا أقول لكم: لا ترون ابن الإنسان حتّى تروه جالساً عن يمين القوّة و آتياً في سحاب السماء، فلمّا سمع رئيس الكهنة ذلك شقّ ثيابه، و قال: ما حاجتنا إلى شهادة يهودا، قد سمعتم [تجديفه][1]، ماذا ترون في أمره؟ فقالوا: هذا مستوجب الموت.

فحينئذ بصقوا في وجه البعيد، و لطموه، و ضربوه، و أسلموه لفيلاطس[2] القائد، فتصايح الشعب بأسره: يصلب، يصلب! فساقه القائد، فاجتمع عليه الشعب، ثمّ ذهب به و هو يحمل صليبه، فصلبوه، فاقتسموا ثيابه بينهم بالقرعة، و جعلوا عند رأسه لوحاً مكتوباً: «هذا ملك اليهود» استهزاء به.

و لمّا كان ساعات من يوم الجمعة صرخ يسوع، و هو على الصليب بصوت عظيم: إيلي! إيلي! ايما صاصا[3]، أي إلهي! إلهي! لم تركتني و خذلتني؟! ثمّ أمال رأسه، و أسلم روحه، و انشقّ حجاب الهيكل، و انشقّت الصخور، و تفتّحت القبور.

و لمّا كان المساء جاء رجل من أهل الرامة ـ يسمّى يوسف ـ بلفائف نقيّة، و تركه في قبر كان تحته في صخرة، ثمّ جعل في باب القبر حجراً عظيماً.

ثمّ جاءت مريم المجدلية و رفيقتها عشيّة يوم السبت، و إذا ملك قد نزل من السماء برجّة[4] عظيمة، فألقى الحجر عن القبر، و جلس عنده، و قال للنسوة: لا تخافا، جئتما تطلبان يسوع المصلوب، ليس هو هاهنا، اذهبا، و قولا لتلاميذه: إنّه سبقكم إلى الجليل، و هو جبل، و دخل الحرّاس، و أخبروا رؤساء الكهنة الخبر، فقالوا: لا تنطقوا بهذا، و رشوهم بفضّة على كتمان القضية، فقبلوا، و أشاعوا أنّ التلاميذ جاؤوا، و سرقوه، و مضت الأحد عشر تلميذاً إلى الجليل، و قد شكّ بعضهم، و جاء لهم يسوع، و كلّمهم، و قال: أعطيت جميع القدرة على السماء و الأرض، اذهبوا، فعمدوا كلّ الأمم[5] باسم الأب

---

١. ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر. ٢. في المصدر: «لبيلاطس».

٣. في المصدر: «لما شبقتني؟» بدل «ايما صاصا».

٤. الرجّ: التحريك الشديد، و الاهتزاز. و رجّة القوم: اختلاط أصواتهم. و رجّة الرعد: صوته. لسان العرب، ج ٢، ص ٢٨١؛ تاج العروس، ج ٣، ص ٣٨٢ (رجج).

٥. في المصدر: «و عمدوهم» بدل «فعمدوا كلّ الأمم».

و الابن و روح القدس، و عمومهم ممّا أُوصيكم به،[١] و هو ذا أنا معكم إلى انقضاء الدهر.[٢]

هذا و قد صرّح الكتاب الكريم ببطلان تلك الدعوى، و أنّه لم يقع القتل و الصلب، و أنّ الأمر قد اشتبه عليهم، بل رفعه الله إليه؛ قال تعالى في ضمن تعداد ما كان سبباً لتحريم الطيّبات على اليهود:

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[٣].

لكنّ الكلام في أنّه تعالى هل رفعه حيّاً، أو أماته فرفع روحه؟ الظاهر من الآيات بعد التأمّل هو الأوّل.

أمّا أوّلاً فالإضافة التوفّي إلى عيسى بعينه، لا إلى روحه، و معنى أخذ الشخص تامّاً أخذه بروحه و جسده، فالمتحصّل حينئذ أنّ الله رفعه إليه حيّاً.

و أمّا ثانياً فلقوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾[٤]، فقد جعل الله رفعه إليه مقابلاً للقتل، و هو يقتضي كون المراد به رفعه حيّاً؛ إذ لو كان المراد رفع روحه بدون الجسد لما صحّ التقابل؛ إذ الرفع بذلك النحو ثابت في القتل أيضاً.

و في الكافي[٥] بطريق صحيح عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «إنّ عيسى عليه السلام وعد أصحابه ليلة رفعه الله، فاجتمعوا إليه عند المساء، و هم اثنا عشر رجلاً، فأدخلهم بيتاً، ثمّ خرج عليهم من عين في زاوية البيت، و هو ينفض رأسه من الماء، فقال: إنّ الله أوحى إليّ أنّه رافعي إليه الساعة و مطهّري من اليهود، فأيّكم يلقى عليه شبحي، فيقتل، و يصلب، و يكون معي في درجتي؟

فقال شابّ منهم: أنا يا روح الله! فقال: فأنت هو ذا، فقال لهم عيسى عليه السلام: أمّا إنّ منكم لم يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة، فقال له رجل منهم: أنا هو يا

---

١. في المصدر: «و علّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به» بدل «و عمومهم ممّا أُوصيكم به».

٢. الكتاب المقدّس (العهد الجديد)، ص ٥٠ ـ ٥٥، الأصحاح ٢٦ ـ ٢٨.

٣. النساء (٤): ١٥٧.

٤. النساء (٤): ١٥٧ و ١٥٨.

٥. الحديث ليس في الكافي، بل روي في تفسير القمّي.

رسول الله؟[١] فقال عيسى عليه السلام: إن تحسّ بذلك في نفسك فلتكن هو.

ثمّ قال لهم عيسى عليه السلام: أما إنّكم ستفترقون من بعدي على ثلاث فرق: فرقتين مفتريتين على الله في النار، و فرقه تتبع شمعون صادقة على الله في الجنّة، ثمّ رفع الله عيسى [إليه][٢] من زاوية البيت و هم ينظرون إليه».

ثمّ قال أبو جعفر: «إنّ اليهود جاءت في طلب عيسى عليه السلام من ليلتهم، فأخذوا الرجل الذي قال له عيسى عليه السلام: إنّ منكم لمن يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة، و أخذوا الشابّ الذي أُلقي عليه شبح عيسى، فقتل، و صلب، و كفر الذي قال له عيسى عليه السلام: تكفر قبل أن تصبح اثنتي عشرة كفرة».[٣]

و أمّا ثالثاً فلقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[٤]؛ إذ الظاهر أنّ الضمير المجرور في ﴿بِهِۦ﴾ راجع إلى عيسى؛ لكون الكلام في بيان حاله، و القول برجوعه إلى محمّد صلى الله عليه وآله غير ملائم للسياق، و أمّا الضمير في قوله: ﴿مَوْتِهِۦ﴾ فالراجح أيضاً إرجاعه إلى عيسى عليه السلام؛ فإنّ إرجاعه إلى «أحد» المفهوم من الكلام يستلزم تخصيص أهل الكتاب بمن لم يؤمن به، كاليهود، أو تعميمه لهم و لمن آمن به بعنوان الألوهية و إخراج من آمن برسالته من أوّل الأمر و إن كانوا قليلين.

و حينئذ فمعنى الآية الشريفة أنّ أهل الكتاب جميعاً من لدن نزول هذه الآية و توجّه الخطاب إلى النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله إلى أن ينقرضوا بعد ظهور المهديّ و زمان غلبة الحق على الباطل في جميع البقاع و الأصقاع، يؤمنون بعيسى قبل موته، و لازم ذلك بقاؤه حيّاً إلى ذلك الزمان و عدم موته حينما رفعه الله إليه.

و حينئذ فإيمان أهل الكتاب الذين ماتوا قبل الظهور المهديّ و نزول عيسى إلى حضرته، إيمان اضطراريّ عند معاينة الموت، لا ينفعهم شيئاً، و إيمان الذين أدركوه بعد نزوله ايمان اختياريّ تفيدهم نفعاً، فالآية بهذا المعنى تدلّ على عدم موت عيسى.

---

١. في المصدر: «نبيّ الله».

٢. ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر.

٣. تفسير القمّي، ج ١، ص ١٠٣، ذيل الآية ٥٥ من سورة آل عمران (٣).

٤. النساء (٤): ١٥٩.

و أمّا لو قلنا برجوع الضمير المجرور في ﴿مَوْتِهِ﴾ إلى «أحد» المفهوم من الكلام، فالمعنى أنّ جميع أهل الكتاب يؤمنون بعيسى قبل موتهم، أو يؤمنون بمحمّد ﷺ قبل موتهم، كما قال بكلّ قائل،[١] فلا دلالة في الآية على حياة عيسى؛ فإنّ المراد بالآية حينئذ انكشاف الحقائق لدى المحتضرين من أهل الكتاب، فيحصل لهم على اليقين بالتوحيد و الرسالة مطلقاً و سائر المعارف الدينية، و لا يلازم ذلك حياة تلك الرسل، كما أنّه لا ينفعهم ذاك الإيمان.

قوله: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾. إن كان المراد بإسناد الرفع إليه تعالى إسناده إلى نفسه الشريفة، فالمراد هو الرفع المعنوي الروحاني بجعله من الأقربين و إدخاله في زمرة الملأ الأعلى و الملائكة المسبّحين بالليل و النهار، لا يفترون؛ فإنّ الرفع الصوري المكاني إلى الله تعالى غير معقول. و إن كان المراد رفعه إلى دار كرامته و محطّ أوليائه و مكان سفرائه و ملائكته، فالرفع جسماني صوري و روحاني معنوي كليهما؛ إذ هو ؑ قد رفع بجسده من سطح الأرض إلى السماء مثلاً.

و عن ابن عبّاس أنّه رفعه إلى السماء الدنيا، فهو فيها يسبّح الله و يقدّسه مع الملائكة، و يهبط منها عند ظهور الدجّال على صخرة بيت المقدس.[٢] و السماء محلّ جسماني بحسب مقام القرب من الله؛ إذ هي مسكن الملائكة المقرّبين و مأوى السفراء المكرّمين، و إليها يصعد الكلم الطيّب و العمل الصالح،[٣] و منها تنزل البركات على عباد الله. فعيسى المسيح كان إنسيّاً أرضيّاً، فصار ملكيّاً سماويّاً. و لعلّ ذلك معنى قوله تعالى في موارد من الكتاب: ﴿وَ أَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾؛[٤] فإنّ الرفع وقع بوساطة الروح.

و قوله: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، إطلاق التطهير على إخراج عيسى من بين

---

١. راجع: التبيان، ج ٣، ص ٣٨٦ و ٣٨٧؛ مجمع البيان، ج ٣، ص ٢١١ و ٢١٢؛ الجامع لأحكام القرآن، ج ٦، ص ١٠ و ١١؛ البحر المحيط، ج ٤، ص ١٣٠، ذيل الآية ١٥٩ من سورة النساء (٤).

٢. البحر المحيط، ج ٣، ص ١٧٧، ذيل الآية ٥٥ من سورة آل عمران (٣).

٣. اقتباس من قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (غافر (٣٥): ١٠.

٤. البقرة (٢): ٨٧ و ٢٥٣؛ المائدة (٥): ١١٠.

قومه، يقتضي عروض نوع من القذارة عليه؛ فإنّ تأثّر الإنسان بالرجس و القذارة و تلطّخه به على أنواع: تلطّخ بدنه بالنجاسة و القذارة الظاهرية، أو بالأمراض و جراثيمها المضرّة المهلكة، و تلطّخ روحه بالعقائد الفاسدة، و نفسه بالملكات الرذيلة. و أعضائه بالمعاصي و الأعمال القبيحة، و تلطّخ نسبه بالعهر و الفواحش الفاضحة، و تلطّخ الإنسان الصالح بالمجتمع الفاسد، و كونه في ما بين أهل الكفر و الفجور و المنكرات.

و لا إشكال في أنّ تطهير كلّ قذارة يكون بتناسبها، فالنجاسات بالماء، و الأمراض بالدواء، و العقائد و الملكات و الأعمال بالتوبة و الندم، و النسب بالخروج ممّا بينهم و ترك صحبتهم و قطع الروابط عنهم، فتطهير الإنسان عن صحبة الاجتماعات الفاسدة الخبيثة يكون بإخراجه ممّا بينهم و إبعاده عنهم و نقله إلى محيط آخر صالح طاهر، لاكفر في أهلهم و لا نفاق، و لا فسق فيهم و لا فساد، و كان قوم عيسى من تلك الفرقة؛ لكفرهم و عنادهم و عدم تأثير المعارف الإلهية في نفوسهم، و لو كان ملقّيها عيسى بن مريم روح الله و كلمته، فإطلاق تطهير عيسى على إخراجه ممّا بينهم تعبير ما أحسنه و أتمّه، فالمراد: و مطهّرك من قذارة ذاك المحيط و رجز مصاحبتهم و درن مخالطتهم.

و قوله: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾. قد يقال: إنّ المراد بالتابعين لعيسى هم النصارى من أهل الكتاب، و بالكافرين هم اليهود، و المسلمون خارجون عن شمول الآية حينئذ، و المراد بتفوّق النصارى على اليهود تسلّطهم خارجاً و سيطرتهم و كثرتهم من حيث الجماعة و الأموال و العتاد،[١] و ذلك محقّق معلوم بالفعل.

و على هذا فيستشكل على الآية:

أوّلاً بعدم حصول هذا التفوّق مطلقاً؛ فإنّ الكفّار لا ينحصرون باليهود، بل هم جميع الملل المنكرين لنبوّة عيسى، و ليست النصارى ملّة فائقة على الجميع.

---

١. العتاد، بالفتح: العُدّة؛ و العتاد: الشيء الذي تُعِدُّه لأمر ما و تهيّئه له. راجع: لسان العرب، ج ٣، ص ٢٧٩؛ المصباح المنير، ص ٣٩١ (عتد).

و ثانياً بعدم تحقّق هذه السيطرة للنصارى في أوائل تكوّن ملّتهم، بل كانوا عندئذ قليلين مغلوبين لليهود، مشرّدين بأيديهم، مقتولين مثنى و فرادى و مجتمعين، كما يشهد به ما ورد في حالهم في التواريخ، و لعلّه إلى بعض من ذلك أُشير في سورة البروج، قال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَـٰبُ ٱلْأُخْدُودِ۝ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ۝ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[1]. و ثالثاً بعدم تحقّق هذه السيطرة لهم في آخر الزمان بعد ظهور المولى العظيم، مهديّ الأُمّة و الإمام المنتظر ـ عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ؛ فإنّه ينقرض حينئذ سلسلة الأحزاب طرّاً، و يبطل المذاهب المختلفة الباطلة المنحرفة، فلا يبقى إلّا الإسلام، و لا حكومة إلّا للإمام العدل المنصوب من الله، فيملأ الأرض قسطاً بعد أنْ ملئت جوراً.[2] فأين النصارى و اليهود حتّى يفوق بعضها على بعض، ولو قلنا ببقاء أهل الكتاب في عصر القائم أيضاً؟! كما لا يبعد ذلك؛ لدلالة بعض الآيات عليه، قال تعالى:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾[3]؛ فإنّ الخطاب اليهود، و ظاهر الآية أنّ الله يسلّط عليهم من يعذّبهم إلى يوم القيامة، و يكون ذلك بعد ظهور القائم بيده و بيد الأئمّة ﷺ من بعده، فاليهود باقون إلى يوم القيامة.

فلا معنى أيضاً لسيطرة النصارى عليهم؛ فإنّ بقاءهم في ذلك العصر لا يكون إلّا بالتزامهم بشرائط الجزية و دخولهم تحت راية الإسلام و خضوعهم لقوانين الحكومة العادلة، فلا تفوّق حينئذ لطائفة منهم على أُخرى، بل كلّهم أذلّاء، صاغرون، محكومون، مقهورون، إذاً فلا يصحّ حمل الآية على ذاك المعنى.

و لو قيل: إنّ المراد بكون التابعين فوق الكفّار من حيث الحجّة و الدليل، فهم غالبون

---

١. البروج، ٤ـ٨.

٢. اقتباس من الحديث الشريف في ذلك. راجع: الكافي، ج ١، ص ٣٣٨، باب في الغيبة، ح ٨، و ص ٣٤١، ح ٢١، و ص ٥٢٦، باب ما جاء في الاثني عشر و النصّ عليهم ﷺ، ح ١، و ص ٥٣٤، ح ١٨؛ الفقيه، ج ٤، ص ١٧٧، ح ٥٤٠٢.

٣. الأعراف (٧): ١٦٧.

عليهم في البرهان؛ فإنّ الأدلّة الدالّة على نبوّة عيسى و نسخة شريعة موسى و مجيئه بكتاب جديد و شرع حادث، أدلّة تامّة وافية تفوق على ما تمسّك به أهل التوراة في خاتميّة دين موسى و بقاء أحكام التوراة إلى الأبد. فمعنى الآية حينئذ: أنّ الله جعل التابعين لعيسى ظافراً غالباً من حيث البرهان و الحجّة على من كفر به؛ لكمال ما يدلّ على نبوّة عيسى و كتابه و تمامه.

فهو أيضاً دعوى باطلة و أمر غير مقبول؛ فإنّ ما بيد النصارى بالفعل من الحجج و البراهين على حقيقة عيسى، ليس إلّا هذه الأناجيل الموجودة بأيديهم و دعوى ربوبيّة عيسى و ما يضاهي ذلك من الأباطيل، و أنت خبير بعدم قابليّة كتبهم و دعاويهم لإثبات أيّة دعوى ادّعوها و مرمى راموه. فهذه الأناجيل ـ مع كثرة تخالف بعضها مع بعض ـ تتضمّن أباطيل و أكاذيب و نسبة التجسّم و التجسّد إلى الله و الفحشاء و المنكر إلى أنبيائه و نبيّه العظيم عيسى، فأيّة حجّة و بيّنة بأيديهم، يكونون بها غالبين ظافرين على من أنكر نبوّة عيسى من اليهود و غيرهم من أهل الملل و المذاهب غير المسلمين!؟

بل يمكن أن يقال: إنّ التوراة و إن لم تنطق عن التوحيد كما هو حقّه إلّا أنّها لا تأبى عنه أيضاً. و ما حكى الله عنهم[1] من قولهم: عزير ابن الله، لا يراد به أنّهم ادّعوا البنوّة لعزير، كما ادّعتها النصارى لعيسى، بل عزير هذا من جملة المتشرّعين بشرع موسى، و قد سعى و جاهد في سبيل مذهبه بعد ما تخلّصت اليهود من استعباد ملوك بابل بيد كوروش ملك إيران، فجمع أشياء من التوراة المفقودة المحرّفة من هاهنا و هاهنا. فألّف لهم كتاباً أسماه التوراة السماويّة المنزلة على موسى، فشكرت اليهود سعيه، و بالغت في تعظيمه، فسمّته ابن الله.

و على هذا، فكيف تكون أدلّة التثليث الّتي تمسّك بها النصارى فائقة غالبة على أدلّة التوحيد؟!

فالصواب في معنى الآية أن نقول: إنّ المراد بالتابعين لعيسى ليس هؤلاء المسمّون

---

١. في قوله تعالى: ﴿وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَ قالَتِ النَّصارىٰ الْمَسيحُ ابْنُ اللّهِ ذٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قاتَلَهُمُ اللّهُ أَنّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ التوبة (٩): ٣٠.

بالنصارى بالفعل، فإنّهم ليسوا تابعين له حقيقة؛ إذ المراد التبعيّة في العقائد القلبية و الفضائل النفسية و الأعمال الجوارحية، و هذا المعنى من التبعية ليس فيهم قطعاً. فأين ذلك و القول بالتثليث و ارتكاب الفواحش و المعاصي بحيث ملأوا الدنيا فساداً و منكراً؟! فلا أثر من التبعية فيهم، و ليسوا معنيّين بكلام الله تعالى.

بل المراد التابعون له تبعية حقيقية في الجهات الثلاث المذكورة، و لا ينطبق التابع بهذا المعنى إلّا على القوم الذين أذعنوا بجميع ما أتى به عيسى من الله أُصولاً و فروعاً من لدن بعثته ﷺ إلى زمان ظهور الإسلام و بعثة محمّد ﷺ، و الكافرون له حينئذ كلّ من لم يتبعه في أُصول دينه و فروعه، و منهم النصارى التي قالت بالتثليث، و أمّا بعد ظهور الإسلام، فمن آمن منهم بمحمّد ﷺ و دينه و كتابه فهو من التابعين لعيسى حقّاً؛ إذ من جملة أحكام شرعه الايمان بالنبيّ بعده؛ حيث حكى الله عنه بقوله: ﴿وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾،[1] و من كفر به فقد كفر بعيسى، فالمؤمنون به هم المسلمون، و الكافرون به هم غير المسلمين، سواء أكانوا من اليهود، أم من النصارى، أم من غيرهم.

و على هذا فالمراد بالتفوّق الأعم من التفوّق بالبرهان و بالسيطرة الظاهرية. فمنذ تكوّنت هذه الملّة، و آمنت بعيسى، تفوّقت بالبرهان و التبيان؛ إذ كان بأيديهم الإنجيل السماوي و الحجج التي أفادوها من لسان النبيّ العظيم عيسى، و هم قد بقوا على هذه الغلبة حتّى تمسّكوا بحبل الإسلام و حجج القرآن، ففاقوا في الحجّة، و ظفروا بالبيّنة، و هم يبقون على تلك الحالة إلى أن يأتي الله بالمهديّ الكريم و القائد العظيم، فيتّبعونه، و يفوّقون بالسيطرة الظاهرية و الحكومة الإلهية على العالم، كما كانوا فائقين عليهم بالبرهان. فالتابعون لعيسى قد جعلهم الله فوق غيرهم منذ ظهر عيسى، و أعلن دعوته إلى يوم القيامة، مدّة بالبرهان، و أُخرى بالسيطرة.

فظهر أنّ المراد بالآية أنّ الله تعالى جعل التابعين لعيسى بالإذعان بنبوّته و دينه و ما

---

١. الصفّ (٦١): ٦.

بشّر به أُمّته فوق الذين أنكروا كونه عبدالله و نبيّاً و مبشّراً برسول يأتي من بعده، بمطلق التفوّق و العلوّ و الغلبة، ففي زمان بالبرهان خاصّة، و في آخر به و بالسيطرة الظاهرة و الحكومة العادلة، و تبقى تلك الغلبة إلى يوم القيامة.

و قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾. ظاهر الرجوع إلى شيء سبق المجيء منه، و حيث أنّ جميع الممكنات ـ و منها الإنسان ـ وجدت بإرادة الله، و تكوّنت بأمر الله، فكأنّها جاءت من الله، و نزلت من قبل الواجب إلى مهبط الإمكان، و حيث إنّ الإنسان بعد ما قضى وطره[1] في الدنيا، و انقضى عمره، يرتحل إلى دار أُخرى لا سلطان فيها إلّا سلطانه، و لا حكم إلّا له، و يظهره له فيها ما كان غائباً عنه في الدنيا من رؤية الملائكة و سماع كلام الله و مشاهدة سائر آثار عظمته، فكأنّه لاقى ربّه، و رجع إليه، و لذلك أُطلق على الموت اللقاء، و على الارتحال إلى تلك الدار الرجوع إلى الله، و إلّا فنسبة الأشياء إليه تعالى إنساناً أو غيره نسبة واحدة، سواء أكانت في الدنيا أم في الآخرة.

ثمّ إنّ الخطاب هنا لعيسى و جميع من بعث إليهم من التابعين و الكافرين، تغليباً له عليهم؛ فإنّهم لم يكونوا حاضرين عند عيسى في زمان الخطاب، و الاختلاف المذكور في الآية أعمّ من الاختلاف في أُصول العقائد و فروعها و من الأُمور المرتبطة بالدنيا.

---

١. الوَطَرُ: كلّ حاجة كان لصاحبها فيها همّة. لسان العرب، ج ٥، ص ٢٨٥ (وطر). و كلام المصنّف ﷺ اقتباس من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾. الأحزاب (٣٣): ٣٧.

و قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْـيَا وَٱلْأَخِـرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـصِرِينَ﴾.[1]

[التفسير][2]

ليس الكلام تفريعاً لقوله: ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ و تفصيلاً لنتيجة قضاء الله و حكومته؛ لوجود كلمة ﴿فِى الدُّنْيا﴾، بل هو تفصيل لقوله: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ فإنّ الله تعالى جعل الناس في هذه الآية طائفتين: المتّبعين و الكافرين، و ليس المراد بهم ـ كما عرفت[3] ـ خصوص النصارى و اليهود بل، المراد التابعون لعيسى بما أنّهم من جملة حزب الله المؤمنين به و المسلّمين لأمره منذ أنزل الله الشرائع إلى البشر الى زمان بعثته، ثمّ إلى يوم القيامة.

و كذا المراد بالكافرين جميع المنكرين لله و رسله في جميع الأعصار و الأمصار؛ و ذلك لأنّ الله تعالى جعل جميع المؤمنين بالله و دينه و رسله من زمن آدم إلى انقضاء عمر الدنيا، جماعة واحدة، و حسبهم أُمّة متّحدة مرتبطة، و الشرائع المرسولة إليهم ديناً واحداً أسماها الإسلام، و جعل الأنبياء و المرسلين إليهم ملّة واحدة مبعوثة من ناحية واحد.

ثمّ فرض من أنكر أُصول الدين كلّاً أو بعضاً و جحد الرسل كذلك كافراً، منذ بعث نبيّاً، و أنزل كتاباً إلى آخر الدنيا جماعة واحدة و أُمّة مرتبطة، و حكم على كلّ طائفة

---

١. آل عمران (٣): ٥٦.

٢. ما بين المعقوفين أضفناه لمقتضى السياق.

٣. في تفسير الآية السابقة.

بما تستحقّه و يليق بحالهما، فلاحظ الآيات التالية، حيث فرض الله المؤمنين من جميع الأُمم أُمّة واحدة، و سمّاهم باسم المسلمين تارة، و بجند الله أُخرى، و بحزب الله ثالثة، فقال تعالى بعد ذكر الأُمم الماضية و أنّهم ظلموا أنفسهم، فأهلكهم الله.[١]

و قال: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ○ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٢]، فالخطاب لآدم و حوّاء و إبليس، و الموصول في قوله: ﴿فَمَن تَبِعَ﴾ و قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عامّ شامل للطائفتين من زمان صدور ذاك الخطاب إلى انقضاء عمر الدنيا.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ○ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[٣]، إلى آخره.

و قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ○ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[٤]، و الموصولان في الآية عامّان كما ذكرنا.

و قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾[٥]، و الآية لا تختصّ بأُمّة محمّد ﷺ.

و لاحظ أيضاً الآيات الدالّة على وحدة الدين و الغرض الإلهي الأسمى من بعث الرسل، قال تعالى:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾؛[٦]

و قال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ﴾؛[٧]

---

١. كذا العبارة ناقصة في الأصل.

٢. البقرة (٢): ٣٨ و ٣٩.

٣. التوبة (٩): ٧١ و ٧٢.

٤. الأنعام (٦): ٤٨ و ٤٩.

٥. التوبة (٩): ١١١.

٦. آل عمران (٣): ١٩.

٧. آل عمران (٣): ٨٥.

و قال: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟﴾[١]، أي شرع الله للمسلمين ديناً شرعه لنوح النبيّ الذي هو أوّل من أنزل إليه الدين، و شرعت له الشريعة، و لمن بعث في ما بعده إلى زمان محمّد ﷺ، من أصحاب الشرايع، و هم إبراهيم و موسى و عيسى ﵈، و هو دين واحد تصوّر في كلّ عصر بصورة خاصّة تناسبه، و تلبّس في كلّ وقت و آونة[٢] بلباس اقتضاه الصلاح.

و لاحظ أيضاً ما دلّ على تنزيل المرسلين جميعاً منزلة الجماعة الواحدة و الأمّة الفاردة، و يدلّ على وحدة الغرض و الدين أيضاً، قال: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[٣]، و كذا الآية[٤] ٨٤ من آل عمران (٣). و قال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[٥].

و قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾[٦]، فجعل من فرّق بين الرسل في الايمان بهم كافراً، و من لم يفرّق بينهم مؤمناً.

و الحاصل من جميع ما ذكرنا أنّ هنا طائفتين: المؤمنون المتّبعون للرسل المتديّنون

---

١. الشورى (٤٢): ١٣.

٢. الآونة: جمع الأوان، و هو الحين و الزمان، مثل زمان و أزمنة. لسان العرب، ج ١٣، ص ٣٩ و ٤٠ (أون).

٣. البقرة (٢): ١٣٦.

٤. و هي قوله تعالى: ﴿قُلْ آمَنّا بِاللّهِ وَ ما أُنْزِلَ عَلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ عَلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ ما أُوتِيَ مُوسى وَ عِيسى وَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

٥. البقرة (٢): ٢٨٥.

٦. النساء (٤): ١٥٠ ـ ١٥٢.

بدين واحد، و الكافرون المخالفون لهم و لدينهم، و قد حكم الله في الآيات المبحوث عنها عن الطائفة الأُولى بأنّهم غالبون ظافرون، و يلازم ذلك كون الثانية مغلوبين مظفورين، و حكم أيضاً على الثانية بأنّه يعذّبهم عذاباً شديداً في الدنيا و الآخرة، و على الأُولى بأنّه يوفّيهم أُجورهم.

و حينئذ يتوجّه هنا سؤال، [و هو][1] أنّه ما المراد بغلبة الطائفة الأُولى على الثانية إلى يوم القيامة، الظاهرة في كونها أمراً ثابتاً لهم من أوّل الأمر و سنّة إلهية مستمرّة غير متبدّلة؟ فهل المراد بها هو الغلبة من حيث الحجّة و البرهان و السلطان عند المجادلة و المحاجّة؟ أو المراد هو الغلبة الظاهرية في مقام القتال و الحرب؟ أو المراد حكومتهم خارجاً على الكفّار و كونهم تحت سلطان المؤمنين دائماً؟ أو المراد أنّ الله تعالى يهلك مخالفيهم جميعاً بعذاب، و ينتقم منهم بالإهلاك و التدمير، كقوم هود و قوم لوط؟ أو المراد هو الأمر المركّب منها كلّاً أو بعضاً؟

فاللازم لفت النظر إلى حال الأنبياء و تابعيهم من أوّل تكوّن حزبهم، و مقايستها مع مخالفيهم و الكافرين بهم حتّى يظهر المراد بكيفية غلبتهم على الكافرين، فنقول: إنّ الذي يظهر من سير الآيات القرآنية أنّ القدر المتيقّن من ثبوت الغلبة و التسلّط للأنبياء و المؤمنين التابعين لهم بإحسان، ثبوتاً دائمياً في جميع أزمنة تصادمهم و تقابلهم مع مخالفيهم، هو الغلبة من حيث الحجّة و البرهان، و هو المعنيّ بقول الله: ﴿فَلِلّٰهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾،[2] و أمّا الغلبة في مقام القتال و المحاربة أو التسلّط عليهم بالحكومة و تولّى الأُمور السياسية و الاجتماعية، فلم تتّفق إلّا في موارد نادرة، و التسلّط بمعنى إهلاكهم دفعة واحدة فهو و إن كان كثير الوقوع في الأُمم الماضية إلّا أنّه أيضاً ليس بأمر دائمي، فلاحظ حال آدم الصفيّ و من بعده إلى نوح، لم تظفر لهم بشيء من القتال، بل و غيره من مراتب المقابلة للعدوّ، و لو كان لهم أمر من قبيل إبلاغ الأحكام فهو الاحتجاج و إثبات المقصد بالاستدلال.

---

١. ما بين المعقوفين أضفناه لمقتضى السياق. ٢. الأنعام (٦): ١٤٩.

و أمّا نوح النبيّ ﷺ فلم يحارب عدوّاً حتّى يكون له الغلبة، و لم يكن له ولاية و حكومة إلّا على أتباعه المؤمنين، و ما آمن معه إلّا قليل، نعم أهلك الله مخالفيه بالطوفان، و أغرقهم أجمعين.

و أمّا هود النبيّ؛ أعني أخا عاد، إذ أنذر قومه بالأحقاف ـ و هي محلّ بين اليمن و عمّان[1] ـ، فوعظ و ذكر، و وعد و أوعد، فسفّهوه، و كذّبوه، فجاءهم ريح ﴿تُدَمِّرُ[2] كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لاٰ يُرىٰ إِلاّٰ مَسٰاكِنُهُمْ﴾،[3] فلم يقاتل، و لم يتولّ أمورهم، بل خاصمهم، فأفحمهم، ثمّ عذّبهم ربّهم.

و أمّا صالح النبيّ، أعني أخا ثمود، فدعا قومه، و احتجّ عليهم بأبلغ الحجج و أظهرها، فأخرج لهم الناقة من الجبل إلّا أنّهم لم يؤمنوا بما جاء به، ثمّ عقروا الناقة، فأخذ الذين ظلموا الصيحة، فأصبحوا في ديارهم جاثمين،[4] فلم يحارب و لم يغلب.

و أمّا شعيب المبعوث إلى مدين ـ حوالي الشام ـ فقد بلّغ، و أنذر، و أعذر، و كان خطيب الأنبياء، فوعدهم الثواب، و خوّفهم من العقاب، فكذّبوه، و هدّدوه بالإخراج عن قريتهم، فأخذتهم الرجفة، فأصبحوا في ديارهم جاثمين،[5] فلم يكن له إلّا الظفر بالبرهان و هلاك أعدائه بمشيّة الله.

و أمّا لوط النبيّ فكان في بلدة سَدوم من نواحي فلسطين،[6] فأنذر، و أعذر حتّى أخرجه الله من بينهم، و أهلك الباقين، فأمطر عليهم حجارة من سجّيل، و ما هي من الظالمين ببعيد.[7]

---

١. و للمزيد و التفصيل راجع: معجم البلدان، ج ١، ص ١١٥ و ١١٦، ذيل «الأحقاف».

٢. التدمير: الإهلاك. المصباح المنير، ص ١٩٩ (دمر). ٣. الأحقاف (٤٦): ٢٥.

٤. اقتباس من الآية ٦٧ من سورة هود (١١). و «جاثمين» استعارة للمقيمين، من قولهم: جثم الطائر، إذا قعد و لطئ بالأرض. المفردات للراغب، ص ١٨٧ (جثم).

٥. اقتباس من الآية ٩١ من سورة الأعراف (٧)، و الآية ٣٧ من سورة العنكبوت (٢٩).

٦. راجع: البحر المحيط، ج ٧، ص ٤٥٣، ذيل الآية ٧٤ من سورة الأنبياء (٢١).

٧. اقتباس من قوله تعالى: ﴿فَلَمّٰا جٰاءَ أَمْرُنٰا جَعَلْنٰا عٰالِيَهٰا سٰافِلَهٰا وَ أَمْطَرْنٰا عَلَيْهٰا حِجٰارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾. هود (١١): ٨٢.

و أمّا إبراهيم الخليل فقد نشأ ببابل، و هي المملكة الواقعة بين النهرين تحت سلطنة نمرود،[۱] و كانوا عبدة الأوثان، فبلّغ رسالات ربّه، و أنذر، و أوعد، و جاهد في الله حقّ جهاده حتّى أتمّ الحجّة عليهم إذ ألقوة في النار، فنجّاه الله منها سالماً غانماً، لكنّه لم يؤثّر فيهم دعوته، و أزمعوا على إيذائه و قتله، فهاجر الى ناحية فلسطين، و بلّغ رسالة ربّه هناك لعبدة الكواكب، حتّى ارتحل منها إلى مكّة لبناء البيت، فلم ينقل الله له حرباً و قتالاً و غلبة في المحاربة، و لا تولّي الحكومة على الناس، و لا إهلاك معانديه و مخالفيه.

و أمّا إسحاق و إسماعيل و يعقوب فلا نجد لهم أثراً من الحرب و القتال في الكتاب الكريم، و لا الحكومة على أُمّة من الامم، نعم كان لداود و سليمان و يوسف و يونس خلافة في الناس و تولّي أمر الحكومة و زعامة على أُمّة، لا الغلبة في الحرب و القتال.

و أمّا أيّوب و زكريّا و يحيى و عدّة آخرين منهم ﷺ فلا تعرّض في الكتاب لحالهم إلّا شيئاً يسيراً.

و أمّا عيسى ﷺ فقد عرفت[۲] أنّه لم يقاتل مع الكفّار، و لم تكن له ولاية عليهم، نعم الظاهر نزول العذاب على عدّة من مخالفيه، كالمسخ و غيره.

و بالجملة الخوض في الآيات يعطي قلّة وقوع الغلبة بالقتال و الحرب و الغلبة بالحكومة و تولّي الأمر، ولا تعرّض للقتال في الكتاب الكريم إلّا في قضية طالوت و جالوت و قتل داود جالوت، و ظاهره وقوع غلبة المسلمين على الكفّار، و في قصّة موسى لمّا أخبر أُمّته بأنّ الله قد كتب عليهم القتال، أجابوا بأنّ فيها قوماً جبّارين و إنّا لا ندخلها أبداً ماداموا فيها، فاذهب أنت و ربّك فقاتلا، إنّا هاهنا قاعدون.[۳]

نعم يستفاد من بعض الآيات على نحو الإجمال وقوع القتال و المحاربة كثيراً بين الأنبياء و خيرتهم و بين الكفّار إلّا أنّه لا دلالة فيها على الغالب و المغلوب، قال تعالى:

---

۱. و للمزيد راجع: معجم البلدان، ج ۱، ص ۳۰۹ ـ ۳۱۱، ذيل «بابل».

۲. أي ذيل تفسير الآيات السابقة المرتبطة بالمسيح ﷺ.

۳. اقتباس من الآيات ۲۲ ـ ۲٤ من سورة المائدة (٥).

﴿وَ كَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ○ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ○ فَـَٔاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأَخِرَةِ﴾[1].

و لا دلالة في قوله: ﴿وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ﴾، أو قوله: ﴿فَـَٔاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ على غلبتهم في القتال؛ إذ المراد الضعف في الإيمان و الإرادة، و الاستكانة هي الجزع و التضرّع، و لم يقع ذلك منهم و إن غلبوا، و ثواب الدنيا أعمّ من الغلبة في القتال.

هذا كلّه في حال الأنبياء الماضين، و أمّا نبيّنا الأعظم محمّد بن عبدالله فهو قد غزا غزوات، و قاتل مع الكفّار مرّات كثيرة، و معه المؤمنون المجاهدون الباذلون أنفسهم و أموالهم في سبيل الله، و كثيراً ما كانوا غالبين ظافرين و إن كان يتفّق أنّهم يغلبون، فهو الرجل الإلهي الفريد و النبيّ العظيم العزيز، رزقه الله الغلبة في الحجّة و البرهان، و الغلبة في الجهاد و الغزو، و الغلبة بالحكومة و تولّي الأمر، دون الغلبة بإهلاك عدوّه بخسف و صاعقة و نحو ذلك، و غزا عليّ عليه السلام بعده على تأويل الكتاب كما غزا معه على تنزيله،[2] فكان يغلب كما في قتاله مع الناكثين و المارقين، و كان يغلب كما في قتاله مع القاسطين، و الحسن عليه السلام قد تهيّأ للغزو، و الحسين عليه السلام قد غزا، و فيهما كانت الغلبة الظاهرية مع أعداء الله دون أوليائه.

فتحصّل أنّ غلبة حزب الله من الأوّلين و الآخرين تقع على معان، و هي على بعضها دائمية، و على بعضها الآخر نادرة أو قليلة، فيكون مفاد قوله تعالى: ﴿وَ جاعِلُ الَّذينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذينَ كَفَرُوا﴾[3]، و ما يشابهها من الآيات، كقوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾.[4]

---

١. آل عمران (٣): ١٤٦ـ١٤٨.

٢. إشارة إلى قول رسول الله صلى الله عليه و آله: «إنّ منكم من يقاتل بعدي على التأويل كما قاتلت على التنزيل». فسئل عنه صلى الله عليه و آله: من هو؟ فقال: «خاصف النعل»؛ يعني أمير المؤمنين عليه السلام. راجع: الكافي، ج ٥، ص ١٢، باب وجوه الجهاد، ح ٢.

٣. آل عمران (٣): ٥٥.
٤. النساء (٤): ١٤١.

و قوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ○ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ○ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾[١]،

و قوله: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾[٢]،

و قوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِيٓ﴾[٣].

أمّا بيان غلبتهم من حيث البرهان و الظفر بالحجّة و البيان كما[٤] يقتضيها العموم الفردي و الزماني في قوله: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ﴾ و قوله: ﴿وَ إِنَّ جُندَنا﴾ إلى آخره، و كذا قوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ لو كان المراد الكتابة في اللوح المحفوظ، و الاستقبال المفهوم من كلمة ﴿لَأَغْلِبَنَّ﴾ ملحوظ بالنسبة الى زمان الكتابة.

و أمّا بيان غلبتهم الظاهرية في القتال أو الحكومة فالكلام حينئذ واقع موقع الوعد بوقوع ذلك في الأزمنة الآتية، و لعلّها أزمنة ظهور الدولة الإلهية و ظهور مهديّ هذه الأمّة، فهو و أتباعه و ناصروه هم الغالبون على الكافرين، و الظاهرون على الباطل في الأرض كلّها بجميع معاني الغلبة.

---

١. الصافّات (٣٧): ١٧١ ـ ١٧٣.

٢. المائدة (٥): ٥٦.

٣. المجادلة (٥٨): ٢١.

٤. الظاهر أنّ «كما» جواب «أمّا» فلازم أن تقترن بالفاء.

و قوله تعالى: ﴿وَ أَمَّا الَّذينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَيُوَفّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ اللّهُ لا يُحِبُّ الظّالِمينَ﴾.[1]

[التفسير][2]

هنا أبحاث:

[البحث][3] الأوّل

أنّه قد مرّ معنى الإيمان و أنّ الأظهر أنّه أمر قلبي بمعنى الاعتقاد الجازم بشيء،[4] و لم يذكر في الغالب متعلّقه في الكتاب الكريم إلّا أنّ المستفاد من مجموع الآيات المربوطة بالمقصد أنّ متعلّقه أُمور سبعة: التوحيد، و صفات الله الجمالية و الكمالية، و الملائكة، و الكتب السماوية، و الرسل، و خلفاء الرسل، و اليوم الآخر، و الآيات هي الجامعة لتلك الأُمور، أو أكثرها، و يتكفّل البحث الأوفى لتعيين ذلك علم الكلام.

و ذكر العمل الصالح بعد الإيمان يشعر بأنّ توفية الأُمور من آثار تقارن الإيـمان بالعمل الصالح، و قد تكرّر هذا التعبير في موارد من القرآن كثيرة، و المتكفّل للبحث عن مصاديق الأعمال الصالحة هو علم الفقه الباحث عن أحوال أعمال العباد و ما له الارتباط بها من الأُمور الخارجية.

---

١. آل عمران (٣): ٥٧.

٢. ما بين المعقوفين أضفناه لمقتضى السياق.

٣. ما بين المعقوفين أضفناه لمقتضى السياق.

٤. مرّ ذيل تفسير الآية ٥٢ من سورة آل عمران (٣).

و يتوجّه في المقام سؤال، و هو أنّ الآية الشريفة مصرّحة بأنّ الكفر سبب لاستحقاق العذاب، كما أنّ الايمان و الإتيان بالأعمال الصالحة سبب لاستحقاق الأجر، لكنّ الآية مبهمة من حيث متعلّق الكفر و الايمان، و كذا في تعيين مصاديق «الصالحات»، و الحكم مترتّب على الواقع، و مقتضى ذلك إحالة تشخيصه على المكلّف، و له في ذلك طريقان: إحداهما الأدلّة النقلية السمعية من الكتاب و السنّة، و الأُخرى حكم العقل الباتّ و قضاؤه الجازم.

فمن تتبّع الأدلّة النقلية، فوصل إلى ما يجب الإذعان به من العقائد و ما يلزم العمل به من الحسنات، فآمن و عمل، ترتّب عليه توفية الأُجور، و أمّا من لم تبلغ إليه أحكام الدين، و كان في أمكنة تقصر أيدي ساكنها عن أن تناول معارفها الدينية، فهو قد خلّي و عقله، و تُرك و ما حكم به لبّه، فإن قدر على إدراك المعارف الاعتقادية، و استقلّ بذلك عقله، أو استقلّ بحسن بعض الأعمال و قبحها، فآمن بما أحرز لزومه، و عمل بما أدرك حسنه، فإن أصاب الواقع بالنسبة إلى جميع العقائد و الأعمال الصالحة، استحقّ الأجر و الثواب؛ لتمام الحجّة عليه؛ فإنّ العقل رسول باطني كما أنّ الرسول عقل خارجي، لكنّ هذا فرض غير واقع، و الذي يكثر وقوعه في من لم يصل إليه الدين، هو استقلال عقله في بعض المعتقدات و شيء من الأعمال.

و حينئذ فهل يمكن القول بشمول الآية له و استحقاقه الأجر في ما إذا اعتقد بما علم، و عمل بما أدرك، و معذوريته في ما لم يصل إليه بتقريب أنّ معنى الآية أنّ الايمان و العمل الصالح بأيّ مقدار كان، سبب الأجر بذلك القدر الظاهر عدمه؛ لظهور الآيتين في أنّ متعلّق الايمان و الكفر هو جميع ما يجب الإذعان به، فالمعنى أنّ الكافر بالجميع معذّب، و المؤمن بالجميع مأجور، و لا نظر للآية إلى صورة التبعيض؟

نعم يمكن أن يقال بالنسبة إلى الفرد المذكور و من يضاهيه من أهل الملل و الأديان المنسوخة من أهل الكتابين و غيرهم، إذا كانوا قاصرين عن الوصول إلى المعارف الحقّة و الدين الذي يجب عليهم التديّن به: إنّهم بالنظر إلى ما أخطأوا فيه من

الاعتقادات الباطلة في أُصولهم و الكبائر الصادرة منهم في فروعهم معذورون، و بالنسبة إلى ما أصابوا فيه من العقائد و الأعمال مأجورون، أمّا الدليل على الأوّل فقوله تعالى:

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[١]؛

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَـٰهَا﴾[٢]؛

﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾[٣]؛

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَـٰفِلُونَ﴾[٤]؛

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ○ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ﴾[٥]؛

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾[٦]؛

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾[٧]، فالأوّل العاجز عن الوصول إلى معالم الدين، و الثاني العاجز من حيث البدن، و الثالث من حيث المال، فلا حرج و لا تضييق في أمرهم في دنياهم و آخرتهم.

و أمّا ما يدلّ على أنّهم مأجورون في ما أصابوا فيه من العقائد و الأعمال فقوله تعالى:

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ○ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ○ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾[٨]؛

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾[٩]؛

﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[١٠]؛

---

١. الإسراء (١٧): ١٥.

٢. الطلاق (٦٥): ٧.

٣. الأنفال (٨): ٤٢.

٤. الأنعام (٦): ١٣١.

٥. الشعراء (٢٦): ٢٠٨ و ٢٠٩.

٦. القصص (٢٨): ٥٩.

٧. التوبة (٩): ٩١.

٨. النجم (٥٣): ٣٩ ـ ٤١.

٩. طه (٢٠): ١٥.

١٠. النحل (١٦): ١١١.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[١]؛

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ○ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[٢]؛

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[٣].

إن قلت: مقتضى هذا التقريب شمول غفران الله تعالى لجميع الكفّار ـ على تشتّت فرقهم و أحزابهم ـ و عدم عذابهم في الآخرة، بل و دخولهم الجنّة؛ فـإنّها المـصداق الحقيقي للجزاء الأوفى و للأجر الكريم، و هذا ما ينافي ما هو ضروريّ عند المسلمين من عدم دخول الكفّار الجنّة، و قد رُتّب في الكتاب الكريم على الكفّار أحكام كثيرة، منها حبط جميع أعمالهم و حسناتهم في الدنيا و الآخرة، و منها دخولهم النار في الأُخرى.

قلت: ينبغي تعيين مورد البحث و تشخيص موضوعه حتّى يظهر ورود الإشكال المذكور و عدمه، فنقول: هاهنا طوائف من الناس:

الأُولى: الجهلاء القاصرون بحيث لم يصلوا إلى شيء من العقائد الحقّة، و لم يدركوا شيئاً من الأعمال الصالحة، كالأُناسيّ الساكنين في بعض نواحي البلاد الشـيوعية، و الطبيعيّين لم يسمعوا شيئاً من الدين، و لم ينتبهوا لحكم من الأُصول و الفروع، ثمّ ماتوا على تلك الحالة.

الثانية: الذين أدركوا بعض العقائد الأُصولية بطريق السمع أو العقل، و آمنوا بذلك، و انقادوا له، و عملوا ببعض الأعمال الصالحة كذلك، و تركوا بعضاً آخر من الأُصول و الفروع من غير تقصير في ما تركوه؛ لغفلتهم عنه محضاً، أو قطعهم بالخلاف.

الثالثة: الذين لم يعتقدوا بالأُصول الحقّة كلّاً أو بعضاً بأنّ تنبّهوا و التفتوا بها، ثـمّ أعرضوا، و لم يؤمنوا مسامحة و تساهلاً مع الشكّ في كونها حقّاً.

الرابعة: الفرض السابق بعينه مع كون إعراضهم بعد الالتفات و قيام الحجّة تكذيباً و عناداً.

---

١. هود (١١): ١١.

٢. النازعات (٧٩): ٤٠ و ٤١.

٣. الرحمن (٥٥): ٤٦.

الخامسة: الذين عرفوا الحقّ من الأُصول و الفروع، فآمنوا بما يجب الإذعان به، و عملوا بما هو صالح من الأعمال، و حينئذ نقول: لا إشكال في حكم غير الثانية من تلك الطوائف.

أمّا الأُولى فإنّهم غير معذّبين في الآخرة؛ لعدم وصول التكاليف إليهم و عدم تماميّة الحجّة عليهم، و ما كان الله ليعذّب قوماً حتّى يبيّن لهم ما يتّقون،[١] و قد عرفت أنّ آيات رفع العقاب شاملة لهم،[٢] كما أنّ الظاهر أنّهم غير مستحقّين للجنّة؛ لعدم صدور الأعمال الصالحة منهم على الفرض، فلا عمل لهم فلا أُجرة، و لا سعى لهم في الخيرات فلا ثواب.

و أمّا الطائفة الثالثة فقد دلّت الأدلّة السمعية على أنّ الجاهل الملتفت في أُصول الدين مقصّر غير معذور إذا لم يفحص عن الحقّ، ففات عنه الواجب الأُصولي؛ لعدم فحصه و بحثه، فإنّ باب العلم في أُصول الدين مفتوح، و من أراد الوصول إليها و سعى لها سعيها فهو مدرك لطلبته و ظافر على منيته، فالتارك كافر، يترتّب عليه جميع ما يترتّب على القسم الرابع ممّا سنذكره؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[٣].

و قوله: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾، أي في أي أمر كنتم من أُصول دينكم و فروعها؟ و ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾، أي عاجزين عن أخذ معالم الدين، قاصرين عن الوصول إليها، و توبيخ الملائكة لهم دالّ على قدرتهم على الهجرة و تعلّم الدين، كما يشهد به أيضاً الاستثناء الوارد في الآية التالية.

و أمّا الطائفة الرابعة فهم الكفّار حقيقة، و تنطبق عليهم جميع الآيات الواردة في حقّ الكفّار الدالّة على حبط أعمالهم و عذابهم في الدنيا و الآخرة و سوء حالهم في القيامة و دخولهم النار.

و أمّا الطائفة الخامسة فهم المؤمنون حقّاً، و عليهم تنطبق الآيات الواردة في حقّ

---

١. اقتباس من قول تعالى: ﴿وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. التوبة (٩): ١١٥.

٢. عرفته قبيل هذا.

٣. النساء (٤): ٩٧.

المؤمنين و الوعود الإلهية المذكورة في الكتاب الكريم.

فالكلام في المقام في حال الطائفة الثانية. فقد يقال: إنّهم لمّا لم يتحقّق منهم الإيمان و لو ببعض ما يجب الإذعان به، فهم كفّار، و لأجل أنّهم مرتكبون لبعض الكبائر فهم فسّاق، فلا مانع من شمول الآيات الناظرة لحال الكفّار و الفسّاق لهم، فكيف يؤجر الكافر الفاسق بثواب الآخرة؟ و كيف يدخل الجنّة من هذا شأنه؟ فلاحظ قوله تعالى:

﴿وَ بَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[١]؛

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٢]؛

﴿وَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣]؛

﴿وَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾[٤]؛

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾[٥]؛

﴿وَ لَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾[٦].

بل هناك آيات تدلّ على حبط ما عمل هؤلاء الطائفة من الخيرات و الصالحات، كقوله تعالى:

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾[٧].

لكنّ الظاهر عدم شمول تلك الآيات و نظائرها لهؤلاء الطائفة؛ فإنّ الكفر في اللغة الستر، و الكافر: الساتر،[٨] و لذا يقال: ليل كافر، و بحر كافر؛ لأنّها تستر ما تشمله و تحيط به، و يقال للزارع: كافر؛ لستره البذر تحت الأرض.

و الظاهر أنّ إطلاقه على الكافر أيضاً بلحاظ أنّه يستر ما يجب عليه الاعتقاد به و العمل له، فهو لا يصدق إلّا على الملتفت إلى الشيء المعرض عنه تجاهلاً، أو عناداً، فكأنّه قد ستر الحقّ فلم يعلنه، و قد كثر استعماله بمعنى المنكر الجاحد

---

١. التوبة (٩): ٣.
٢. مريم (١٩): ٣٧.
٣. يونس (١٠): ٤.
٤. فاطر (٣٥): ٣٦.
٥. البيّنة (٩٨): ٦.
٦. الأعراف (٧): ٤٠.
٧. آل عمران (٣): ٢٢.
٨. الصحاح، ج ٢، ص ٨٠٧ (كفر).

في الكتاب الكريم، و هذا أيضاً لا يصدق على من لم يتوجّه إلى الشيء و لم يعلمه.

و حاصل الكلام أنّا نجيب عن تلك الآيات بأنّ الطائفة الثانية خارجة عنها موضوعاً، فلا يصدق عليهم عنوان الكافرين؛ لعدم صدق أنّهم ستروا ما كان يجب عليهم إظهاره، أو جحدوه و أنكروه، بل ينطبق عليهم عنوان الجاهلين و المستضعفين و غير المستطيعين و نحو ذلك.

و ثانياً بأنّه لو فرضنا كونهم كافرين لغة، أو فرضنا أنّ هنا اصطلاحاً خاصّاً شرعيّاً أو متشرّعيّاً لكلمة «الكافر»، و هو من لم يعتقد بما يجب الاعتقاد به، سواء أكان لعدم التفاته أصلاً، أو لجحده بعد علمه، فتشمل تلك الطائفة بلحاظ معناها اللغوي أو الشرعي؛ لقطعنا بعدم شمول حكم الكفّار لهم من حبط الأعمال و العقوبات الأُخروية، كما لا يشملهم عدّة من أحكام الكفّار المترتّبة عليهم في الدنيا، و ذلك إمّا لانصراف الآيات الحاكية عن حال الكفّار في الدنيا و الآخرة عنهم، أو لتخصيص تلك الآيات بما دلّ على أنّهم معذورون غير معاقبين كالآيات السابقة، و بالجملة فهؤلاء خارجون عن شمول آيات الكفّار تخصّصاً أو تخصيصاً.

و إن شئت أن يتّضح لك صدق هذه الدعوى، فلاحظ الآيات التي وردت في الكفّار، و أثبتت لهم أحكاماً، منها حبط أعمالهم و شمول العذاب في الآخرة لهم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ○ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[١]. فالبشارة بالعذاب و حبط الأعمال في الدارين حكم مترتّب على منكري الآيات و قاتلي الأنبياء و الآمرين بالقسط، و ليست الطائفة المبحوث عنها كذلك.

البحث الثاني

الظاهر أنّ المراد بالصالحات أعمّ من الأفعال و التروك، ففعل الواجب و المندوب و ترك الحرام و المكروه من الصالحات جميعاً، فمن فعل شيئاً من المحرّمات أو المكروهات

---

١. آل عمران (٣): ٢١ و ٢٢.

فهو لم يعمل بعض الصالحات.

ثمّ إنّ ظاهر الآية أنّ الأجور مسبّبة عن الايمان و العمل كليهما، و حينئذ فهل هي لهما بالاشتراك، و لكلّ واحد منهما تأثير في شيء منها بالاستقلال، أو أنّها من آثار الايمان، و العمل شرط فيه، أو أنّها من آثار العمل، و الايمان شرط، أو أنّها لهما مع اشتراط الايمان في تأثير العمل دون العكس؟ وجوه، أحسنها الأخير.

إن قلت: إذا تحقّق الايمان لأحد، و آمن بما يجب الإذعان به، و لم يتحقّق منه العمل بالصالحات، فكيف يكون حاله؟ و هل هو من أهل الجنّة، أو من أهل النار؟

قلت: عدم تحقّق الصالحات من أحد قد يكون بترك بعضها، كمن ارتكب الصغائر، أو شيئاً من الكبائر في بعض الأحيان، و هذا هو الذي وعد الله له المغفرة و إن لم تحصل منه التوبة، قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾[1]، أي نكفّر سيّئاتكم الصغائر، و قال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ۝ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾[2]، ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ﴾ بدل من ﴿ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾، و اللمم: العصيان الحادث حيناً بعد حين، لا على نحو التعاقب و الدوام من: «ألمّ» الشيء إذا نزل و وقع.

و قد يكون بترك الجميع، فإن فرض إمكان ذلك و وجود مصداق لهذا العنوان مع بقاء الايمان في قلبه، أو قلنا بأنّ الأعمال التي تراها صالحة فهي من أغلب الناس باطلة؛ لعدم اجتماع شرائط الصحّة فيها فضلاً عن القبول، فالمصداق كثير، فالظاهر أنّه ليس بكافر، و لا يكون مخلّداً في النار، و إن كان قد يتراءى من ظواهر عدّة من الآيات، بل أكثرها عدم ترتّب أثر على ذلك النحو من الايمان؛ لترتّب وعود الله تعالى ـ من المغفرة و الجنّة و الرضوان و نعم الآخرة جميعاً في آيات كتابه في أكثر من ٥٥ موضعاً ـ على الايمان و الأعمال الصالحة كليهما، إلّا أنّ تلك الآيات مسوقة لبيان

---

۱. النساء (٤): ۳۱.

۲. النجم (٥٣): ۳۱ و ۳۲.

مصاديق الوعد الأوفى و النعم العليا الأخروية و أنّها أُعدّت للمؤمنين العاملين.

و لا إشكال في أنّ العمل هو الركن الأعظم و الملاك الأقوم في نتاج قواعد الدين و حصول عوائده و انتفاع المجتمع بفوائده في الدنيا و ترتّب الآثار الموعودة له في الآخرة، و أنّ الغرض الأسمى من تشريع الشرائع و الدين إنّما يترتّب عليها إذا ترتّبت على العقائد الباطنية آثارها الخارجية، و جرت ينابيع الحكمة العلمية عن عيونها النظرية على الجوارح و الأعضاء، و في ما بين المجامع.

و إنّما الكلام في أنّه إذا اتّفق أنّه لم يعمل واحد على طبق ما اعتقده و أذعن به مع بقاء العقائد في مكنون ضميره، فهل يصدق عليه أنّه مؤمن؟ و هل يكون لهذا النحو من الإيمان أثر دنيوي أو أُخروي، أو هو كافر يترتّب عليه آثار الكفر؟

فالذي ينبغي القول به هنا أنّ مقتضى وجود إيمانه الذي هو أيضاً عمل من أعماله، بل أتمّ أعماله و أحسنها، استحقاقه الأجر عليه، كما أنّ مقتضى تركه الصالحات استحقاقه العقاب عليه، فحاله حال نفس عملت صالحاً و آخر سيّئاً.[١] أمّا استحقاقه الأجر على إيمانه فلما سمعت آنفاً من قوله تعالى:

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾[٢]؛

و قوله تعالى: ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾[٣]؛

و قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[٤]؛

و قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾[٥]؛ إذ المراد بالأجور أجور إيمانهم؛

و قوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾[٦]؛

---

١. اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة (٩): ١٠٢.

٢. النجم (٥٣): ٤٠ و ٤١.

٣. طه (٢٠): ١٥.

٤. البقرة (٢): ٢٨٦.

٥. النساء (٤): ١٥٢.

٦. الحديد (٥٧): ٢١.

و قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾[1].

و أمّا استحقاقه لسيّئاته فلأدلّة تلك المعاصي، مع أنّه يمكن أن يقال: إنّه إذا عاقبه الله تعالى بإزاء معاصيه فلابدّ من انتهاء مدّتها بعد برهة من الزمان و إن طالت؛ إذ العقوبة المضروبة على المخالفة العملية محدودة محصورة، و لازم ذلك عدم خلوده في النار و خروجه منها، و لازم استحقاقه الأجر على الإيمان دخوله الجنّة؛ فإنّ الظاهر أنّه لا يقدَّم في الآخرة ثواب الحسنات على جزاء السيّئات.

إن قلت: كيف تدّعي عدم خلود أهل الكبائر في النار، مع أنّ هنا آيات تدلّ على الخلود في ما إذا كثرت الخطايا و الذنوب، و أحاطت بالإنسان خطيئته، و هذا هو تارك الصالحات، بل في بعض الآيات ما يدلّ على الخلود بالنسبة إلى بعض المعاصي أيضاً فضلاً عن كثرتها و انغمار الشخص فيها؛ قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[2].

و قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[3]. قوله: ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا﴾، أي تجازى كلّ سيّئة بما يناسبها من العذاب، و يلائم حالها في الشدة و الضعف يوم القيامة، و الرهق: القرب و اللحوق،[4] و ﴿أُغْشِيَتْ﴾، أي كأنّها سترت بالليل المظلم، فصارت أسود.

و قال تعالى فى الربا: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[5].

و قال تعالى في قتل المؤمن: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا﴾[6]؟

قلت: أمّا الآيتان الأوّلتان فالظاهر أنّ المراد بهما صورة غلبة السيّئات بحيث أزالت الإيمان عن القلب، و حصل فيه الشكّ أو الإنكار، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ

---

۱. الكهف (۱۸): ۳۰.
۲. البقرة (۲): ۸۱.
۳. يونس (۱۰): ۲۷.
٤. راجع: لسان العرب، ج ۱۰، ص ۱۲۹ (رهق).
٥. البقرة (۲): ۲۷٥.
٦. النساء (٤): ۹۳.

أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾[١]، و هذا أمر يكثر وقوعه بالطبع و مقتضى العادة. و يمكن كون المراد بالسيّئة في الموردين أعمّ من السيّئة القلبية ـ أي الكفر ـ و السيّئة العملية.

و أمّا آية الربا فالظاهر أنّ قوله تعالى: ﴿وَ مَنْ عادَ﴾، أي عاد إلى إنكار حكم الربا و النقض عليه بحلّيّة البيع، و دعوى عدم الفرق بينهما بقرينة ما قبلها، و هو قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَ أَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَ حَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[٢]، و لا إشكال في أنّ إنكار حكم الربا سبب للكفر؛ لكونه من ضروريّات الدين، كوجوب الصلاة و حرمة الخمر.

و أمّا آية قتل المؤمن فقد حمله الأصحاب على صورة الاستحلال، فيكون كافراً.

و يحتمل في جميع الآيات أن يكون إطلاق الخلود لبيان طول مدّة المكث في النار، فالإطلاق مجازيّ بنحو التشبيه و غيره، و إن أبيت إلّا عن ظهور هذه الآيات و أمثالها في الخلود في المعاصي الجوارحيّة، فهي تساوي الكفر و الشرك من المعاصي الجوانحيّة.

فنقول: لا مانع عن القول بكون كثرة المعاصي و إحاطتها بالإنسان و كذا الربا و القتل بالخصوص أموراً تقتضي بنفسها خلود صاحبها في النار بحيث لا ينافي عروض مانع منه من شمول الشفاعة له في الأُخرى و نحوها من المكفّرات، و حينئذ فتشمله الشفاعة ولو بعد طول المكث في النار، كما في بعض الأخبار، فالخلود فيها خلود اقتضائي.

و أمّا الكفر و الشرك و سائر مصاديق الإخلال بالايمان، فهي تقتضي الخلود اقتضاء باتّاً محتوماً، و لا يقبل التخلّف، و لا تنفع في مورده الشفاعة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[٣] فالخلود فيها خلود حتميّ.

فتحصّل من جميع ما ذكرنا أنّ من صحّت عقائده القلبية و إيمانه، و بقيت إلى ما بعد موته، لا يكون مخلّداً في النار و إن لم يكن له عمل صالح.

إن قلت: إنّ ما ذكرت حكم من آمن بما يجب الايمان به، و لم يعمل صالحاً، فما

---

١. الروم (٣٠): ١٠. ٢. البقرة (٢): ٢٧٥.

٣. النساء (٤): ٤٨ و ١١٦.

هو حكم من كان على عكس ذلك بأن لم يتحقّق منه الايمان، و صدرت منه الأعمال الصالحة، كما يتّفق كثيراً في أهل الملل الفاسدة و الأديان الباطلة؟

قلت: أمّا من حيث عدم إيمانهم، فإن كان ذلك لعدم تمكّنهم من تحصيل الايمان و قصورهم عنه فلا إشكال فى عدم عقوبتهم عليه كما عرفت.[۱] و أمّا استحقاقهم الأجر لما صلح من أعمالهم فهو أيضاً غير بعيد، لإطلاق ما تقدّم من العمومات، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ○ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾[۲]،

و قوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾،[۳]

و قوله: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾[٤]،

و قوله: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾[٥]. و أمّا كون الأجر[٦]، و هو دخولهم الجنّة، فهو بعيد، و قد مضى[۷] شطر من الكلام في ذلك.

و إن كان عدم الايمان لأجل تقصيرهم في تحصيله، أو إنكارهم الحقّ بعد تمام الحجّة عليهم عناداً أو عصبية، فإن فرض كون العمل الصالح الصادر منهم هو الصالح شرعاً ـ كعبادتهم على وفق عقائدهم وخضوعهم للأصنام و الأوثان و تقريب القرابين لها و للكواكب، أو خضوعهم للملائكة و عيسى، مع اعتقاد مقام لهم لم يمضه الله، أو إنفاقاتهم في طريق التقرّب إلى غير الله، أو إلى الله تعالى بنحو لم يرض به الله، و نحو ذلك ـ فهذا ليس في الحقيقة عملاً صالحاً، بل هو من جملة معاصيهم الكبيرة و الفحشاء الصادرة منهم.

و إن فرض كونه الصالح عقلاً و ممّا يستقلّ العقل بحسنه و صلاحه، كإنقاذهم الغرقى و إطفائهم الحرقى و الإحسان إلى الفقراء و الضعفاء، مع كونهم ممّن يحبّ الله الإحسان إليهم خاصّة، إذا وقعت تلك الأمور، فمن يعتقد بالله تعالى خالصاً لوجهه، و

---

۱. في الصفحة ۱٦۹ ـ ۱۷۵ ذيل البحث الأوّل.
۲. النجم (۵۳): ٤۰ و ٤۱.
۳. البقرة (۲): ۲۸٦.
٤. الروم (۳۰): ٤٤.
۵. فصّلت (٤۱): ٤٦؛ الجاثية (٤۵): ۱۵.
٦. أي و أما تحقّق الأجر.
۷. قد مضى في الصفحة ۱٦۹ ـ ۱۷۵ ذيل البحث الأوّل.

كان كفره لإنكاره غير التوحيد ممّا يجب الإذعان به.[1]

و لعلّ هذا القسم من الصالحات كثير الوقوع من الكفّار على اختلاف مللهم و تشتّت مذاهبهم و مآربهم، و لأجل ذلك قد يدّعى استحقاقهم الجنّة لأجل ما عملوا من الصالحات، و لاسيّما إذا كان العمل عظيماً جليلاً بيّن الصلاح عامّ المنفعة، كعمل المخترعين إذا اخترعوا شيئاً ينتفع به الملائين من الناس.

لكنّ ذلك باطل، بل تدلّ الآيات على أنّ من كان كافراً لا يستحقّ شيئاً من الأجر و إن صدر منه عمل صالح حال كفره، أو حال إيمانه قبل أن يكفر، و يكون كفره حابطاً لعمله مزيلاً له مبطلاً لآثاره في الدنيا و الآخرة.

و بعبارة أُخرى إنّا ندّعي اشتراط الإيمان في استحقاق العامل الأجر على عمله الصالح، و مانعيّة الكفر من تأثير العمل و رافعيّته لآثاره لو صدر صحيحاً، و يدلّ على اشتراط الإيمان آيات:

منها قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾[2]؛

و منها قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾[3]؛

و منها قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[4]؛

و منها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾[5].

هذا مضافاً إلى ما عرفت من ظهور مقارنة الإيمان بالعمل الصالح في آيات كثيرة، في أنّ الآثار إنّما تترتّب على الأعمال المقرونة بالإيمان.

و تدلّ على مانعية الكفر من تأثير الأعمال [و][6] رافعيته لآثارها الآيات التالية:

---

١. كذا في الأصل، و يشبه أن تكون العبارة ناقصة و يسقط منها شيء.

٢. طه (٢٠): ١١٢.

٣. الأنبياء (٢١): ٩٤.

٤. النحل (١٦): ٩٧.

٥. غافر (٤٠): ٤٠.

٦. ما بين المعقوفين أضفناه لمقتضى السياق.

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى الْأَخِرَةِ مِنَ الْخَـٰسِرِينَ﴾[۱]، و المراد بالإيمان هو ما يجب الإيمان به و الإذعان بكونه من عند الله، كالأُمور الخمسة أو السبعة التي سمعت. فالكفر بجميعها أو ببعضها سبب لبطلان الأعمال.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ الْأَخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[۲].

﴿أُولَـٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾[۳].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ○ أُولَـٰٓئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى الدُّنْيَا وَالْأَخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾[٤].

﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى الدُّنْيَا وَالْأَخِرَةِ وَأُولَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[٥].

فتحصّل ممّا ذكرنا أنّ الكفّار الذين صدر منهم بعض الأعمال الصالحة و الحسنات الشرعية و العقلية، لا يبقى لهم عمل حتّى يستحقّوا به الجنّة مع اقتضاء كفرهم دخولهم في النار، و يشملهم جميع الآيات التي ذكر فيها الكافر، و رتّب عليهم أحكام دنيوية و أُخروية.

البحث الثالث

أنّ إطلاق الأجر في قوله تعالى: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾[٦] على ما يبذل لهم بإزاء أعمالهم، يشعر بأنّهم يستحقّون الأجر من الله تعالى على أعمالهم، مع أنّه لا إشكال في عدم استحقاق العبد شيئاً من ربّه استحقاقاً أوّلياً، فإنّه إنّما يكون في ما إذا رجعت منافع العمل لباذل الأُجرة، و ليس الأمر في أعمالنا كذلك؛ فإنّ مصالح الحسنات ترجع إلى فاعلها، كما أنّ مفاسد السيّئات ترجع إلى عاملها، فكلّ نفس لها ما كسبت، وعليها ما اكتسبت.[٧]

---

١. المائدة (٥): ٥.
٢. الأعراف (٧): ١٤٧.
٣. الأحزاب (٣٣): ١٩.
٤. آل عمران (٣): ٢١ و ٢٢.
٥. البقرة (٢): ٢١٧.
٦. آل عمران (٣): ٥٧.
٧. اقتباس من قوله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاّ وُسْعَها لَها ما كَسَبَتْ وَ عَلَيْها ما اكْتَسَبَتْ﴾. البقرة (٢): ٢٨٦.

و هذا كما في أوامر الطبيب و نواهيه، فلا يستحقّ المريض أجراً من الطبيب لامتثال ما أمره و لا عقاباً لمخالفته، و على هذا فمنع الأجور عنهم و حرمانهم عنها لا يكون خلاف العدل من الله و لا ظلماً بحسب، مع أنّه أطلق عليه الظلم بقوله: ﴿وَاللّٰهُ لاٰ يُحِبُّ الظّٰالِمينَ﴾.

هذا، و لكن لا بأس بإطلاق الأجرة على المبذول من عند الله بعد ما وعد الله إعطاءه، و لو كان الوعد تفضّلاً منه تعالى و امتناناً، فصار العبد بعد الميعاد مستحقّاً للأجر و الثواب، و أطلق الأجر له لذلك، فلاحظ وعده تعالى في الآيات التالية:

﴿وَعَدَ اللّٰهُ الَّذينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظيمٌ﴾[1]؛

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[2]؛

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾[3]؛

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾[4].

بل يدلّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾،[5] على وقوع معاهدة بين الله و بين عباده الصالحين على صورة المبايعة، فإذا سلّم البايع سلعته،[6] و تسلّمه المشتري، وجب عليه نقد الثمن في زمان الوعد و مكانه بلا تخلّف، و الله تعالى لا يخلف الميعاد، فالعامل مستحّق للثواب و الأجر، و يكون منعه خلاف العدل، و لذلك قال تعالى بعد قوله: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾: ﴿وَ اللّٰهُ لاٰ يُحِبُّ الظّٰالِمينَ﴾، أي فكيف يكون منهم؟

---

١. المائدة (٥): ٩.

٢. التوبة (٩): ٧٢.

٣. مريم (١٩): ٦١.

٤. غافر (٤٠): ٨.

٥. التوبة (٩): ١١١.

٦. السلعة، بكسر السين: ما تُجربه، و أيضاً: العَلَق، و أيضاً: المتاع، و جمعها: السِلَع. لسان العرب، ج ٨، ص ١٦٠ (سلع).

قوله: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأَيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾[1].

[التفسير][2]

﴿ذلِكَ﴾ إشارة إلى ما مضى من حالات الأنبياء و قصصهم، أي اصطفاء آدم و نوح و آل إبراهيم و آل عمران، و قصّة امرأة عمران و نذرها و حملها مريم، و دعاء زكريّا ربّه و بشارته بيحيى، و بشارة الملائكة مريم بعيسى و أوصافه و حالاته و معجزاته، و إحساس عيسى من قومه الكفر، و دعوته الحواريّين إلى نصرته، و مكر الناس له، و توفّي الربّ له، و رفعه إليه.

و كلمة ﴿ذلِكَ﴾ مبتدأ خبره ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾، و ﴿مِنَ الآياتِ﴾ حال من ضمير النصب، و كونها آية لأجل عدم اطّلاع أحد عليها في ذلك العصر، فيكون إخبار النبيّ بها آية لنبوّته، كما أنّها آية لعلم الله و قدرته، أو أنّها من آيات القرآن، فعطف ﴿الذِّكْرِ﴾ عليه تفسيري، و إطلاق الذكر على القرآن لأجل أنّه مذكّر لما ينبغي أن يتذكّر به الإنسان من المعارف الدينية الأُصولية و الفروعية و غيرها من النذر و الأمثال و الحكم و الآيات، و كونه حكيماً، أي محكماً لا يتطرّق إليه الخلل من أيّة ناحية من نواحيها من اللفظ و المعنى و الأحكام و القوانين و غيرها، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[3]، أو المراد أنّه حكيم صاحبه و منزّله؛ فإنّ الله هو الحكيم.

---

١. آل عمران (٣): ٥٨.

٢. ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر.

٣. فصّلت (٤١): ٤٢.

قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ۝ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ۝ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[1].

قد ذكرنا في رسالتنا «التكامل»[2] ما في تفسير الآية الأولى، فلا نعيدها.

التفسير

[معنى الحقّ][3]

المراد بالحقّ كلّ قضية صادقة و معنى حق ثابت، سواء أكان من المطالب الدينية، أم العقلية، أم العقلائية، أم القضايا المتّخذة من الحسّيّات الخارجية، فكلّ حقّ ينتهي إليه تعالى، و هو المنشأ له و المبدأ لصدوره، إمّا بتعليمه للإنسان بواسطة الأنبياء، أو بإلهامه للعقول و القلوب، أو بإدراك القوى الباطنية من العالم المحسوس، فقولك: الله واحد، و عيسى ليس بإله، أو ليس بابن الله، أو ليس بجزء من الله، أو أنّه إنسان مخلوق بأمر الله، أو أنّه رسول من عند الله، و ما أشبه ذلك، كلّه حقّ، و كلّه من الله، و كذا قولك: إنّ الضدّين لا يجتمعان، و المتناقضين لا يرتفعان، و قولك: الإحسان حسن، و الظلم قبيح،

---

١. آل عمران (٣): ٥٩ ـ ٦١.

٢. هي رسالة وجيزة، و فيها بحث قصير حول التطوّر و التكامل على ضوء الآية الشريفة المذكورة.

٣. ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر.

و قولك: النار حارّة، و الماء رطب بارد بالطبع، و المثلّث له زوايا ثلاث. و يعرف من ذلك بالمقابلة أنّ كلّ ما هو باطل فهو ليس من الله، بل هو ناش إمّا من ناحية الشيطان، أو من ناحية جهل الإنسان.

[إثبات التوحيد و نفي الربوبية عن عيسى ؑ][1]

ثمّ إنّ الكلام و إن كان كلّيّاً عامّاً إلّا أنّ الغرض من سوقه تبيان مسألة التوحيد و نفي ما زعموه من الربوبيّة لعيسى، كما عرفت من الأمثلة. فإشراق نور التوحيد في القلب إنّما هو من ناحية الله و إيحائه، سواء أكان ذلك بالمعجزات الصادرة من الأنبياء، أو بالأدلّة العقلية الإنّيّة، أو بالمكاشفة المعنوية التي تكون هي دليلاً على المخلوق بدلالة لمّيّة.

و الدليل الإنّيّ هو حصول العلم بالعلّة من طريق المعلول، كالعلم بوجود الباري تعالى و بعض صفاته من مشاهدة مصنوعاته؛ و الدليل اللمّيّ حصول العلم بالمعلول من ناحية العلّة.

و الطريق الذي جرى عليه الكتاب الكريم، بل و أخبار أهل البيت ؑ في توجيه العقول إلى الله تعالى، هو النحو الأوّل، و لم أر فيها ما يدلّ على الثاني إلّا ما قيل في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.[2] فالله تعالى[3] هو الشاهد المظهر للأشياء، لا أنّها مظهرة له تعالى، و بعض الأدعية الواردة، فعن مولانا الحسين ؑ في دعاء يوم عرفة: «كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟! أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتّى يكون هو المظهر لك؟! متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك؟! و متى بعدتّ حتّى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟!».[4]

و لعلّ من هذا القبيل قوله تعالى ؑ أيضاً في ذلك الدعاء: «أشرقت الأنوار في

---

۱. ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر. ۲. فصّلت (٤١): ٥٣.

۳. راجع: كشف المراد، ص ۳۹۲ و ۳۹۳؛ المبدأ و المعاد لصدر المتألّهين ؒ، ص ۱۵۳؛ الحكمة المتعالية، ج ۲، ص ۱۳۵، و ج ٤، ص ٤۰۰، و ج ٥، ص ۳۷٥، و ج ۷، ص ۲۷، و ج ۸، ص ۱٤ و ۲٦.

٤. إقبال الأعمال، ص ۳٤۹.

قلوب أوليائك حتّى عرفوك و وحّدوك».

و هذا المرمى لا يحصل إلّا للأوحديّ من الناس، بل و الخاصّة منهم الذي انتخبه الله بالقرب و الولاية، و لذلك سمّي دليل الصدّيقين.

و الطريق المسلوك به للعامّة هو النحو الأوّل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[١].

و قال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[٢].

و كان هذا الطريق هو الذي يسلكه الأنبياء في مقام دعوتهم، كما قال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٣]. فالرسل ﷺ كانوا ينفون الريب و الشكّ عن الله بشهادة خلقه السماوات و الأرض، و أنّ المتأمّل فيهما لا يرتاب في وجود الصانع الحكيم. و يتلو هذا الطريق في إثبات الصانع تعالى الاهتداء إليه بالمعجزات الصادرة من الأنبياء و الأئمّة ﷺ؛ فإنّها أيضاً ممّا لا معدل عنها في هذا الباب، و لكنّها تختصّ بمن اطّلع عليها بالمشاهدة، أو بالنقل المتواتر.

و قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾، أي من الشاكّين في التوحيد و في عدم ربوبيّة عيسى؛ فإنّ الريب و المرية في هذا المضمار لا مجال له؛ لوضوح البيّنة.

[الدعوة إلى المباهلة]

و قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾، الآية. الضمير المجرور للحقّ، أو لعيسى، و الأوّل أحسن، أي فمن ناظرك في كون عيسى مخلوقاً لله مربوباً له، و عدم كونه ربّاً و إلهاً، فادعهم إلى المباهلة.

و قوله: ﴿مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾؛ أي الحاصل من إخبار الله تعالى بقوله: ﴿خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾[٤] الآية.

---

١. البقرة (٢): ١٦٤.

٢. فصّلت (٤١): ٥٣.

٣. إبراهيم (١٤): ١٠.

٤. آل عمران (٣): ٥٩.

و في الكلام إشارة إلى أنّ المباهلة لا تكون إلّا بعد اليقين، دون الظنّ و الوهم، و الخطاب في قوله: ﴿تَعالَوْا﴾ لرؤسائهم و رجالهم، و الضمير في قوله: ﴿نَدْعُ﴾ عامّ للنبيّ و النصارى، و المراد دعوة كلّ طائفة من طرفي المباهلة أهليهم، و المعنى: ندعوا نحن أبناءنا و نساءنا و أنفسنا، و تدعون أنتم أبناءكم و نساءكم و أنفسكم.

و الابتهال: افتعال من البهل، أي اللعن و الترك. فالابتهال طلب اللعن، و كثر استعماله في الدعاء و طلب الحاجة من الله بإلحاح،[١] و المراد به في المقام إمّا طلب كلّ طائفة اللعن لصاحبتها، أو طلب الطائفتين معاً اللعن للكاذبة عند الله. فعلى الأوّل تكون نتيجة لعن المحقّ للمبطل و لعن المبطل للمحقّ ثبوت لعنة الله الكاذبين المبطلين، و على الثاني يكون ذلك مفاد كلا اللعنين، و على أيّ تقدير ففي الكلام إيماء بتأثير الملاعنة في شمول الطرد و الغضب للمبطلين.

[بحوث هامّة حول مسألة المباهلة]

ثمّ إنّ في الآية الشريفة أبحاث:

[المدعوّون إلى المباهلة]

[البحث] الأوّل

أنّ الدعوة إلى المباهلة وقعت في قبال طوائف النصارى المدّعين مقام الربوبيّة لعيسى بإحدى الصور الثلاث، و هي دعوى اتّحاد اللاهوت بالناسوت؛ أعني كون عيسى هو الله، كما يدّعيه أغلب النصارى، أو كون عيسى ابن الله، كما هو مذهب، أو كون الله تعالى ثالث ثلاثة، أحدها عيسى عليه السلام كما هو مذهب.

و قد روت الخاصّة و العامّة أنّ عدّة من رؤسائهم و الوفد[٢] الوارد منهم على النبيّ

---

١. راجع: لسان العرب، ج ١١، ص ٧٢ (بهل).

٢. الوفد: هم الذين يقدمون على الملوك مستجزين الحوائج. هذا في اللغة، و في العرف: هم جماعة مختارة للقاء العظماء. و المراد بهم هاهنا جماعة من نصارى نجران، و هم أربعون رجلاً، وردوا على النبيّ العظيم صلى الله عليه و آله، فانجرّ أمرهم إلى المباهلة. راجع: تاج العروس، ج ٥، ص ٣٢٢ (وفد)؛ مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ١٤٣.

الأعظم لتحقيق الحال عن نبوّته و كتابه ﷺ لم يقبلوا المباهلة، بل أذعنوا بقلوبهم و أقرّوا في ما بينهم بنبوّته، و تركوا المباهلة، وصالحوا على البقاء على دينهم على أن يدفعوا جُعلاً[١] معيّناً في كلّ سنة للحكومة الإسلامية،[٢] و بالجملة كانت الدعوة إلى المباهلة و عدم قبولهم دليلاً على عدم ربوبيّة عيسى و شاهداً على صحّة نبوّة نبيّنا و حقّية دعوته، و قد ظهر الأمر عندئذ و شاع، و كان ذلك ظفراً معنويّاً للإسلام على النصرانيّة.

[المباهلة بعد اليأس عن إثبات المدّعى]

ثمّ إنّ الظاهر أنّ المباهلة لا تكون إلّا بعد يأس طرفي الخصام عن إثبات المدّعى و قبول الآخر، و قد حكى الله تعالى من حال عيسى و تولّده و إقراره بالعبودية ما هو كالدليل التامّ لإثبات المرام، و يظهر من عدم نقل الجواب عنهم و تعقيب ذلك بالأمر بالمباهلة أنّهم أصرّوا على ما اعتقدوا به حتّى انجرّ الأمر إلى قطع النزاع بالمباهلة و الملاعنة.

[تشريع المباهلة في كلّ مخاصمة]

ثمّ إنّه يظهر من الآية الشريفة تشريع المباهلة في كلّ مخاصمة لم تنجع[٣] البراهين الناهضة من قبل المتخاصمين في فصل الخصومة، فحصل اليأس من تأثيرها، إلّا أنّ الظاهر اختصاص موردها بالأُصول الاعتقادية. و يظهر من الروايات الواردة في ذيل الآية الشريفة أنّ لها تأثيراً سريعاً في ظهور الحق و هلاك المبطل من الطرفين و دماره،

---

١. الجعل بالضمّ اسم، و بالفتح مصدر، و هو الأُجرة على الشيء فعلاً أو قولاً. و المراد به هاهنا مقداراً معيّناً من المال يعطونه للحكومة الإسلاميّة في قبال بقائهم في المملكة الإسلاميّة على دينهم، و هو الجزية. راجع: النهاية، ج ١، ص ٢٧٦ (جعل).

٢. راجع: تفسير العيّاشي، ج ١، ص ١٧٥ و ١٧٦، ح ٥٤؛ دعائم الإسلام، ج ١، ص ١٧ و ١٨؛ مجمع البيان، ج ٣، ص ٧٦٣، ذيل الآية الشريفة؛ تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٨٢؛ البداية و النهاية، ج ٥، ص ٥٢ ـ ٦٠؛ عمدة القاري، ج ١٨، ص ٢٧.

٣. «لم تنجع»، أي لم تؤثّر. يقال: نجع فيه القول و الخطاب و الوعظ، أي عمل فيه، و دخل، و أثّر. لسان العرب، ج ٨، ص ٣٤٨ (نجع).

و لعلّها كانت من الأحكام الثابتة في التوراة و الإنجيل الأصليّين و إن لم تكن موجودة فيهما بالفعل.

و يشهد له ما ورد في تفسير العيّاشي عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال بعد ذكر قصّة و قد نجران: «فلمّا رآه الحبران قال أحدهما لصاحبه: و الله لئن كان نبيّاً لنهلكنّ».[١]

و عن تفسير الثعلبي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «و الّذي نفسي بيده أنّ الهلاك قد تدلّى[٢] على أهل نجران، و لو لاعنوا لمسخوا قردة و خنازير، و لاضطرم عليهم الوادي ناراً، و لاستاصل الله نجران و أهله حتّى رؤوس الشجر، و لما حال الحول على النصارى كلّهم حتّى يهلكوا».[٣]

[الفرق بين المباهلة و الملاعنة]

و هذه غير الملاعنة المذكورة في الفقه التي شرعت لفصل الأمر بين المرء و زوجه، في ما إذا قذف الرجل زوجه بالزنا، و ليس له شاهد إلّا نفسه، و الحكم فيه أنّه يشهد الرجل أربع شهادات بزنا زوجه، ثمّ يلعن نفسه على فرض كذبه فيدرأ حينئذ حدّ القذف عنه، فإذا شهدت المرأة أيضاً أربع شهادات على كذب الزوج، ثمّ طلبت غضب الله لنفسها إن كان من الصادقين، دُرئ الحدّ عنها أيضاً، ثمّ انقطعت عصمة الزواج بينها و حرمت عليه أبداً، و يسمّى هذا العمل بالملاعنة؛[٤] قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ○ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ○ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ○ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٥]. فالملاعنة حكم

---

١. تفسير العيّاشي، ج ١، ص ١٧٦، ح ٥٤.

٢. التدلّي: النزول من العُلو. لسان العرب، ج ١٤، ص ٢٦٧ (دلو).

٣. الكشف و البيان للثعلبي، ج ٣، ص ٨٥، ذيل الآية الشريفه مع تفاوت يسير.

٤. راجع: التبيان، ج ٢، ص ٤٨٥؛ مجمع البيان، ج ٢، ص ٧٦٤؛ جوامع الجامع، ج ١، ص ١٨٠؛ كشف المراد، ص ٥٢٥؛ إرشاد الطالبين، ص ٣٥٣.

٥. النور (٢٤): ٦ ـ ٩.

ثابت في الأحكام الفرعية، و المباهلة حكم جار في الأُصول الاعتقادية، و تفترقان أيضاً في الشرائط و النتائج.

[الاستدلال بالآية على إثبات ولاية أمير المؤمنين عليه السلام]

البحث الثاني

استدلّ علماء الشيعة ـ رضي الله عنهم ـ بهذه الآية على خلافة عليّ عليه السلام و ولايته على الأُمّة جميعاً بولاية تشريعية، و هي كونه منصوباً من قبل الله وليّاً عليهم و أولى بالتصرّف في أنفسهم و أموالهم، بتقريب أنّه قد أجمع المفسّرون سنّيّهم و شيعيّهم على أنّ الذين جاء بهم النبيّ صلى الله عليه وآله إلى المباهلة امتثالاً لما أمره الله في هذه الآية، هم عليّ عليه السلام و فاطمة الطاهرة و الحسن و الحسين عليهم السلام،[1] فيعلم من ذلك أنّ الحسنين ابنا رسول الله، و أنّ عليّاً نفسه، و المراد بكون عليّ عليه السلام نفسه أنّه مثله و مساوٍ له، فالآية تدلّ على مماثلته عليه السلام لنفس النبيّ صلى الله عليه وآله فكلّ ما قد علم من الخارج عدم ثبوته لعليّ من أوصاف النبيّ ـ كنبوّته و أفضليّته عمّن سواه ـ كان خارجاً عن مفاده، و يبقي الباقي حتّى أفضليّة النبيّ على جميع الأنبياء فضلاً عن أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله.

هذا و بعد انضمام مقدّمتين إلى ذلك يثبت المطلوب: أُولاهما وجوب نصب الخليفة على النبيّ صلى الله عليه وآله، و ثانيتهما اشتراط كون المنصوب أفضل أهل زمانه.

أمّا الأوّل فالظاهر أنّه ممّا لا ينبغي أن يرتاب فيه ذو مسكة،[2] كيف و كان من عادته صلى الله عليه وآله أنّه لا يخرج من المدينة إلّا و يعيّن فيه خليفة لنفسه، و لا يهيّئ جيشاً و جنداً إلّا و يعيّن لهم أميراً، و لم يتّفق أنّه أوكل الأمر إليهم في انتخاب الأمير أو الخليفة، و قد ثبت ذلك بالروايات المتظافرة،[3] بل قد عيّن صلى الله عليه وآله في غزوة مؤتة أُمراء ثلاثة على سبيل

---

١. جامع البيان، ج ٣، ص ٢١٢؛ الكشّاف، ج ١، ص ٣٦٨؛ أنوار التنزيل، ج ٢، ص ٢١؛ تفسير فرات الكوفي، ص ٨٦، ح ٦٣؛ التبيان، ج ٢، ص ٤٨٥؛ مجمع البيان، ج ٢، ص ٧٦٣، ذيل الآية الشريفة.

٢. «ذو مسكة» بضمّ الميم و سكون السين، أي ذو عقل. لسان العرب، ج ١٠، ص ٤٨٨ (مسك).

٣. راجع: إعلام الورى، ج ١، ص ١٦٣ ـ ٢٥٤.

الترتيب؟![1] و مع هذا الحال فكيف ارتحل من الدنيا و لم يعيّن خليفة، فترك الناس و ما فعلوا، و خلاهم و ما اختاروا؟! مع أنّ الإنسان بطبعه ذو أهواء و ميول، و لا يذعن بهذا إلّا من حسب النبيّ ﷺ ـ و نعوذ بالله ـ إنساناً غافلا عن حال الاجتماع، غير ملتفت بأوضاع أُمّته و زمانه، مع أنّه كان أعقل من خلقه الله و أفضل من برأه، مع أنّ في المقام روايات كثيرة متظافرة[2] عن أهل البيت ﷺ لا يبقى لأحد مع ملاحظتها شبهة في ظهور الحق.

و أمّا الثانية فهو أمر بيّن لدى العقول السليمة، ظاهر من مذاق الشرع في موارد كثيرة، كما في تقديم الرجال على النساء في جميع الشؤون الاجتماعية، و تقديم الأفضل؛ في أئمّة الجماعة، بل هذا أمر عقلي و عقلائي، و العجب من ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة، حيث قال في خطبة الكتاب:

> الحمد لله الذي... قدّم المفضول على الأفضل؛ لمصلحة اقتضاها التكليف، و اختصّ الأفضل من جلائل المآثر و نفائس المفاخر بما يعظم عن التشبيه، و يجلّ عن التكليف.[3]

و لا ندري من هو المقدّم؟! أهو الله تعالى؟! أو النبيّ الأعظم؟! و على أي تقدير فقد نسب إليه ما لا يناسب مقام العمل و الكمال و القداسة.

و إن خالجك شيء من دلالة الآية فعليك بقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[4]؛ فإنّك إن لاحظتها ترى أنّها واقعة موقعها الخاصّ في ما بين آيات مدنيّة، باحثة عن أحوال اليهود و النصارى، فسابقتها آيات تحكي حال الطائفتين و أنّهم لو آمنوا بالله و رسوله غفر الله لهم، و كفّر عنهم ذنوبهم، و أدخلهم

---

١. هم زيد بن حارثة و جعفر بن أبي طالب و عبد الله بن رواحة. راجع: إعلام الورى، ج ١، ص ٢١٢؛ العمدة، ص ٤٠٨، ح ٨٤٢؛ تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٤٨٠؛ البداية و النهاية، ج ٤، ص ٢٤١.

٢. راجع: الكافي، ج ١، ص ١٦٨ ـ ١٧٥، باب الاضطرار إلى الحجّة.

٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٣.

٤. المائدة (٥): ٦٧.

الجنّة، و أنّهم لو عملوا بما في كتبهم لكانوا في بُلَهْنِية العيش[1] و رفاه الحال في دنياهم، و إن لم يؤمنوا بمحمد ﷺ، و لاحقتها تحكي عن أنّهم لو لم يقيموا كتبهم و لم يؤمنوا بما أُنزل إليهم لما كانوا على أمر نافع و حياة سعيدة، فالآيات السابقة و اللاحقة كلّها مدنيّة، و هذه الآية مكّيّة، أو نازلة في الطريق بقرب جحفة في غديرخمّ، فيظهر من السياق أنّها نازلة لأمر خاصّ فيه كمال الأهمّية بحيث لو لم يبلّغه النبيّ ﷺ فكأنّما لم يبلّغ شيئاً ممّا أرسله الله إليه، بل و فيه شدّة و خوف بحيث كان النبيّ الأعظم يخاف من إظهاره و إبلاغه، حيث وعد الله تعالى أنّه يعصمه من الناس.

[مسألة الولاية ليست حكماً فرعيّاً]

و لا إشكال في أنّ هذا الأمر ليس حكماً فرعيّاً من فروع الأحكام؛ فإنّ إبلاغ ذلك لم يكن مورداً للخوف مع أنّه ﷺ قد بلّغ أكثرها، و لم يبق إلّا شيء يسير، كما يظهر من باقي آيات السورة، و لم يكن خوفه من أهل التوراة و الإنجيل، كما يظهر من بعض مفسّرى أهل السنّة؛[2] فإنّهم كانوا عندئذ مغلوبين للمسلمين، محكومين بحكم الإسلام، و لم يبق لهم تلك القدرة و العظمة حتّى يخاف منهم النبيّ في تبليغ ما أنزله الله تعالى، بل هذا ظنّ سوء بالنبيّ ﷺ و خلاف الإنصاف، مع أنّه لو كان الخوف منهم لقال: «و الله يعصمك منهم، أو من أهل الكتاب» دون قوله: ﴿مِنَ النَّاسِ﴾، فظاهر الكلام أنّ الخوف و وعد العصمة كان من المسلمين أنفسهم.

و على هذا فماذا تظنّ أن يكون الحكم الذي أنزله الله إلى نبيّه ﷺ في المقام؟ أكان حكماً فرعيّاً وجوبيّاً، أو تحريمياً؟ لا يمكن المصير إلى شيء من ذلك، بل الحقّ الحقيق بالإذعان و القبول هو كونه مسألة الخلافة و الولاية للأمّة الإسلاميّة؛ فإنّ لها

---

١. البُلَهْنِية بضمّ الباء و فتح اللام و سكون الهاء و كسر النون: سعة العيش، يقال: هو في بُلهنية في العيش، أي في سعة و رفاغية، و هو ملحق بالخماسي بألف في آخره، و إنّما صارت ياء للكسرة ما قبلها، قال ابن بري: بلهنية حقّها أن تذكر في حرف الهاء؛ لأنّها مشتقّة من البَلَه. لسان العرب، ج ١٣، ص ٥٨ (بلهن).

٢. بل صرّح به الفخر في مفاتيح الغيب، ج ١٢، ص ٤٠١ ذيل الآية ٦٧ من سورة المائدة (٥).

شأنها من العظمة و الأهمّية و موقعها الخاصّ من إمكان وقوع الخلاف و الاعتراض و الإنكار و تشتّت الأمر و ظهور التفرّق في وحدة المسلمين، مع شهادة العقل و التجارب أنّه كان في ما بين المسلمين من يطمع في أمر الخلافة خاصّة بعد ما أخبرهم النبيّ بقرب ارتحاله من الدنيا.

كيف، و الإنسان قد عجن في ذاته بحبّ الجاه و المقام و الرياسة، و لم يكن أفراد المسلمين كلّهم عدولاً معصومين من الخطاء و العصيان؟ و حينئذ فلو لم نكن نعلم من القرائن كون الآية الشريفة مرتبطة بالخلافة لكنّا نستفيد ذلك من نفس الآية.

[حديث الغدير]

مع أنّ هناك روايات كثيرة متظافرة[١] دلّت على أنّ الحكم النازل على النبيّ الذي أمر الله بإبلاغه و وعده العصمة، هو الأمر المربوط بحال عليّ أمير المؤمنين، و أنّه لمّا نزلت الآية جميع أهل البلاد من الحجّاج بقرب جحفة، و كانوا مجتمعين إلى ذلك المكان في عودهم من مكّة بعد أيّام الحجّ، و كان المكان أوّل منفصل من الطريق، فخطب الناس و قال ﷺ: «أيّها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم؟»، فقالوا: بلى، ثمّ أخذ بيد عليّ ﷺ قال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه، و عاد من عاداه» إلى آخره.[٢]

و الروايات الواردة في حكاية كلام النبيّ الأعظم و ما خطبه للناس في ذاك اليوم مختلفة جدّاً باختلاف الألفاظ و المعاني، لكنّ الذي ينقله الجلّ ـ لولا الكلّ ـ شامل على الكلام المزبور.

---

١. راجع: البرهان، ج ٢، ص ٣٣٤ ـ ٣٤٠، ح ٣٢١٤ ـ ٣٢٢٩.

٢. بصائر الدرجات، ص ٩٨، ح ٥؛ قرب الإسناد، ص ٥٧، ح ١٨٦؛ الكافي، ج ١، ص ٢٩٥، باب الإشارة و النصّ على أمير المؤمنين ﷺ، ح ٣، و ج ٨، ص ٢٧، ح ٤؛ الأمالي للشيخ الصدوق ﷺ، ص ١٨٤ و ١٨٥، المجلس ٢٦، ح ١٩٠ / ١؛ المصنّف، لابن أبي شيبة، ج ٧، ص ٤٩٩، ح ٢٨ و ٢٩؛ سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٤٢، ح ١١٦؛ فضائل الصحابة للنسائي، ص ١٥؛ السنن الكبرى للنسائي، ج ٥، ص ٤٦، ح ٨١٤٨؛ المعجم الكبير، ج ٣، ص ١٨٠، ح ٣٠٥٢.

[محمل حديث الغدير عند المحقّقين من مفسّري أهل السنّة و نقده]

ثمّ إنّ عدّة من محقّقي مفسّري أهل السنّة[١] ـ مع اعترافهم بكون الحكم المنزل هو مفاد تلك الرواية ـ قد حملوا الكلام على محامل يكشف ذلك عن شدّة تعصّبهم في أمر الخلافة و صعوبة إذعانهم بخلاف ما أُشرب في قلوبهم من حبّ بعض و بغض آخرين، كحمل كون توصية النبيّ لعليّ من جهة شكاية عدّة من المسلمين عنه في أنّه لم يقسم لهم الغنيمة المجلوبة من اليمن،[٢] و حمل قوله ﷺ: «من كنت مولاه»، أي ناصره و محبّه. فأخبر النبيّ بأنّ من كان محبّاً للنبيّ أو ناصراً له فليكن محبّاً لعليّ و ناصراً له، أو أنّ من كان ناصراً له فعليّ أيضاً ناصره، و كان النبيّ ناصراً لأبي بكر و عمر، فليكن عليّ ؑ أيضاً كذلك، و غير ذلك ممّا أفادوه في المقام، و قد غفلوا و تغافلوا عن أنّ الحكم مؤكّد من الله بتلك المثابة من التأكيد.

ثمّ إنّ جمع النبيّ للمهاجرين و الأنصار و الخطبة لهم بما يذعن المتتبّع في التواريخ بعظمة الأمر و شدّة اهتمام الربّ تعالى و النبيّ الأكرم، لا يكون لإبلاغ أنّ المسلمين يجب أن يحبّوا عليّاً، مع وجود آيات تدلّ على لزوم ولاية المؤمنين بعضهم بعضاً، ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[٣]، مع أنّ ملاحظة عبارة الرواية المتواترة تقضي بالمراد؛ فإنّ قوله ﷺ: «ألست أولى بكم من أنفسكم؟»،[٤] لا يراد به إلّا الولاية التشريعية الثابتة لنفسه الشريفة في قوله ﷺ: «ألست أولى بكم من أنفسكم؟»[٥] فقوله بعد ذلك: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» لا يراد به إلّا إثبات تلك الأولويّة لعليّ، و هي الخلافة الإلهية التشريعية و الولاية على جميع الناس.

---

١. راجع: روح المعاني، ج ٣، ص ٣٥٩ ـ ٣٦٥؛ المنار، ج ٦، ص ٤٦٣ ـ ٤٧٣، ذيل الآية ٦٧ من سورة المائدة (٥).

٢. راجع أيضاً: المصنّف لابن أبي شيبة، ج ٧، ص ٥٠٦، ح ٦٩؛ السنن الكبرى للنسائي، ج ٥، ص ٤٥، ح ٨١٤٥؛ كنز العمّال، ج ١٣، ص ١٣٤، ح ٣٦٤٢٢.

٣. التوبة (٩): ٧١.

٤. قرب الإسناد، ص ٧٥، ح ١٨٦؛ الخصال، ص ١١، ح ٨٧، و ص ٤٧٨، ح ٤٦؛ المحتضر، ص ١١٣، ح ١٤٠؛ المناقب للخوارزمي، ص ٧؛ تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٢، ص ٢٠٨؛ كنز العمّال، ج ١٣، ص ١٣١، ح ٣٦٤١٧، و ج ١٤، ص ٧٧، ح ٣٧٩٨١.

٥. كذا في الأصل.

[إيكال أمر الخلافة إلى الأمّة]

إن قلت: ما المانع من القول بأنّ مسألة الخلافة بعد ارتحال النبيّ الأعظم كانت على نحو السنّة الجارية في عصرنا هذا و ما يقاربه من الأعصار، فوقعت على طريق انتخاب الخليفة باتّفاق آراء الأُمّة الإسلامية، أو أكثرية تلك الآراء، فالنبيّ ﷺ لم يوص بعده إلى أحد، و أوكل الأمر في هذا الموضوع إلى الأُمّة أنفسهم، فاجتمعوا على بيعة الخلفاء الراشدين على طبق ما وقع في الخارج، و أذعن به أهل السنّة و الجماعة، فكانوا حينئذ كرؤساء الجماهير في الممالك الجمهورية؟

أو نقول: إنّ النبيّ أوكل أمر انتخاب الخليفة إلى طائفة خاصّة من عظماء أصحابه و السابقين الأوّلين من المهاجرين و الأنصار، ليجتمعوا و يتشاوروا و يختاروا من بينهم الأحرى و الأليق و الأجدر و الأنفع، فكانت نتيجة اجتماعهم و انتخابهم أن بايعوا أبابكر، ثمّ الخلفاء من بعده، و يشهد لصحّة هذا الأمر الآيات التي وردت في لزوم الشورى بين المسلمين؛ قال تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ... وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1]، و الشورى هو الأمر الّذي يتشاور فيه، فالمعنى أنّ أُمورهم هي التي تقع مورداً للمشورة و التشاور؛ ليستخرج ما هو الأحرى بالعمل.

و قال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[2]، و قال تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾[3].

و في نهج البلاغة، في كتابه ؛ إلى معاوية: «أنّه بايعني القوم الذين بايعوا أبابكر و عمر و عثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، و لا للغائب أن يردّ، و

---

۱. الشورى (٤٢): ٣٦ ـ ٣٨.
۲. آل عمران (۳): ١٥٩.
۳. البقرة (۲): ۲۳۳.

إنّما الشورى للمهاجرين و الأنصار، فإن اجتمعوا على رجل و سمّوه إماماً كان ذلك لله رضى، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة، ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبي قاتلوه على اتّباعه غير سبيل المؤمنين، و ولّاه الله، ما تولّى»[١] إلى آخره.

قال ابن أبي الحديد في ذيل الكتاب المزبور:

و اعلم أنّ هذا الفصل دالّ بصريحه على كون الاختيار طريقاً إلى الإمامة. كما يذكر[٢] أصحابنا المتكلّمون؛ لأنّه احتجّ على معاوية ببيعة أهل الحلّ و العقد [له]،[٣] و لم يراع في ذلك إجماع المسلمين،[٤] و قياسه على بيعة أهل الحلّ و العقد لأبى بكر؛ فإنّه ما روعي [فيها][٥] إجماع المسلمين؛ لأنّ سعد بن عبادة لم يبايع، و لا أحداً[٦] من أهل بيته، و لأنّ عليّاً و بني هاشم و من انضوى إليهم لم يبايعوا في مبدأ الأمر، و امتنعوا، و لم يتوقّف المسلمون في تصحيح إمامة أبي بكر و تنفيذ أحكامه على بيعتم، و هذا دليل على صحّة الاختيار و كونه طريقاً إلى الإمامة. انتهى[٧].

و نظير هذا الكلام منه ﷺ في آخر الكتاب ٧ من النهج، قال ﷺ: «لأنّها بيعة واحدة لا يثنّى فيها النظر، و لا يستأنف فيها الخيار، الخارج منها طاعن، و المروّي فيها مداهن[٨]».[٩]

[ردّ إيكال أمر الخلافة إلى الأمّة و كونه بالشورى]

قلت: أمّا الوجه الأوّل ـ و هو إيكال النبيّ الأعظم ﷺ أمر الخلافة إلى الأُمّة: ليجعلوا ذلك بالانتخاب، نظير الحكومات الجمهورية ـ فهو باطل أوّلاً بأنّه لو كان الأمر كذلك

---

١. نهج البلاغة، ص ٣٦٦ و ٣٦٧، الكتاب ٦.

٢. في المصدر: «يذكره».

٣. مابين المعقوفين أضفناه من المصدر.

٤. في المصدر: + «كلّهم».

٥. مابين المعقوفين أضفناه من المصدر.

٦. في المصدر: «أحد»، و هو الصحيح.

٧. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٤، ص ٣٦، ذيل الكتاب ٦.

٨. قال ابن أبي الحديد: «و المروّي فيها مداهن، أي الذي يرتئي و يبطئ عن الطاعة و يفكّر، و أصله من الرويّة. و المداهن: المنافق». شرح نهج البلاغة، ج ١٤، ص ٣٥، ذيل الكتاب ٧.

٩. نهج البلاغة، ص ٣٦٧، الكتاب ٧.

فلماذا لم يرد فيه نصّ من آية أو رواية مع كونها أمراً عظيماً لازم المراعاة، جديراً بأن يعتنى به، و ينظر في شأنه، و يستحكم بنيانه، و يقام برهانه، و هو كالأساس من الدين و الركن من البنيان؟! فهل يحتمل المؤمن المنصف أن لايهتمّ صاحب الشرع بهذا النحو من الحكم، و لم يشرّع أصله، و لم يبيّن فروعه، و لم يسدّ خلله، و ألقى أمره على عاتق الأمّة لتصنع فيه ما شاءت و أرادت، و الناس مجبولون على حبّ الرياسة و اتّباع الأهواء؟!

مع أنّ الصواب أنّ الكتاب الكريم قد أفاد خلاف ذلك، و صرّح بعدم كون انتخاب الخليفة راجعاً إلى الأمّة، بل نرى أنّ الله تعالى قد عيّن ذلك فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[1] و الوليّ هو المدبّر للأمر، الأولى بالتصرّف، و المخاطبون بها هم المؤمنون، فلا يكون قوله: ﴿وَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية مراداً بنحو العموم، بل قد أُريد منه بعض من الأمّة.[2]

و قد نقل الفريقان نزول الآية الشريفة في حقّ علي بن أبي طالب ﷺ، و ليس الكلام فعلاً في تعيين مصداق ذاك العامّ، بل المراد أنّ الآية تنفي مسألة إيكال الانتخاب إلى الأمّة أنفسهم، و إلّا لزم كون انتخاب الرسول أيضاً موكولاً إليهم، بل أخبرت بنحو الحصر كون الولاية على المؤمنين ثابتاً في حقّ المذكورين.

هذا مع أنّه كان الأمر بالانتخاب لما كان الاعتقاد بخلافة الخلفاء لازماً للموجودين في الأزمنة المتأخّرة عن زمانهم، فلكلّ قوم انتخاب خليفة في عصرهم و لأنفسهم، بل و لهم الردّ للمنتخب في ما قبلهم و تخطئتهم المنتخبين و المجتمعين، لا وجوب الإذعان بذلك، كما عليه أهل السنّة.

مع أنّ في المقام عن طرق أهل البيت روايات متظافرة[3] دالّة على كون الخلافة أمراً

---

١. المائدة (٥): ٥٥.

٢. تفسير القمّي، ج ١، ص ١٧٠، ح ١٤؛ تفسير العيّاشي، ج ١، ص ٣٢٧ و ٣٢٨، ح ١٣٧ و ١٣٩؛ التبيان، ج ٣، ص ٥٥٩؛ مجمع البيان، ج ٣، ص ٣٢٤ ـ ٣٢٦؛ شواهد التنزيل، ج ١، ص ٢٠٩ ـ ٢٣٩، ح ٢١٦ ـ ٢٤٠؛ الكشّاف، ج ١، ص ٦٤٩؛ أنوار التنزيل، ج ٢، ص ١٣٣؛ مفاتيح الغيب، ج ١٢، ص ٣٨٣، ذيل الآية المذكورة.

٣. الكافي، ج ١، ص ٢٧٧ ـ ٢٧٩، باب أنّ الإمامة عهد من الله ﷻ معهود من واحد إلى واحد ﷺ.

إلهيّاً غير موكول إلى الناس، و لا يحقّ لهم النظر فيها و لا في انتخاب مـن أرادوا و شاؤوا، بل قد عيّن الله الخليفة كما عيّن النبيّ، و الأمر ليس في ذلك إلّا إلى الله، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ﴾.[١]

و أمّا الوجه الثـاني ـ أعني إيكال النبيّ ﷺ أمر الخلافة إلى الشورى بـين كـبراء المسلمين و أهل الحلّ و العقد ـ ففيه أوّلاً: أنّه لماذا لم يصرّح النبيّ بذلك، و لم يبيّن لهم الوظيفة في أمر الشورى؟ و كيف لم يوضح لهم حدود الشورى؟ و أنّه من هم الكبراء؟ و من هم أهل الحل و العقد؟ و ما هو الميزان في عددهم؟ و كيف الحيلة عند اختلافهم و المسألة عامّة البلوى، و لها مكانتها الخاصّة في المجتمع، و فيها حياتهم، و في إهمالها هلاكهم و تفرّقهم، كما كان الأمر كذلك، و آل أمر المسلمين إلى ماترى؟ و هل هذا إلّا لعدم تعيّن هذا الأمر و عدم تشريع الله ما يوضح حاله لو كان الأمر كما يقولون؟

و ثانياً: أنّه كيف يعقل إيكال الأمر إلى عدّة معدودين و إخراج باقي المسلمين عن الشورى مع أنّ فيهم من يليق بالنظر، أو من يكون أرجح من أهل الشورى المعقودة؟ و لو فرض كون أهل المدينة أفضل المسلمين في ذلك العصر فكيف بما يقع في الأزمنة المتأخّرة مع تحقّق سعة بلاد المسلمين و وجود الكبراء و العظماء و أهل المـعرفة و الولاية في أُمور المجتمع الدنيوية و الأُخروية؟ و كيف يسجّل عليهم أمر دبر غيرهم من غير اطّلاعهم؟ و لماذا يكون ما اختارته طائفة من المسلمين حكماً واجباً عـلى آخرين و سالباً لحريّتهم في آرائهم مع عدم فضل لهم عليهم، أو مع كونهم مفضولين مرجوحين؟ و هل يمكن إسناد هذا النوع من الأُمور إلى الإسلام؟

و ثالثاً: أنّه لا إشكال في كون مورد الشورى هو الموضوعات الخارجيّة التـي لم يترتّب عليها أحكام شرعية إلزامية، فلا معنى للشورى في نفس الأحكـام الشـرعية باتّفاق من علماء الإسلام، و كذا في الموضوعات التي علم ثبوت حكم إلزاميّ لهـا، كالواجبات و المحرّمات، فموضوع الشورى هو الأُمور المبحوث فيها من حيث النفع و

---

١. الأعراف (٧): ٥٤.

الضرّ، و تقع مورد التشاور لتشخيص الصلاح و الفساد فيها و استخراج ما هو الأنفع و الأحرى في الإقدام عليها، فشمول قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[١] لأمر من الأمور يحتاج إلى إحراز كونه موضوعاً لم يترتّب عليه من الله حكم إلزامي وجوبي أو تحريمي، إذاً فلا تكون مسألة الخلافة من موارد الشورى؛ لما عرفت من أنّه تعالى حكم فيها بحكمه، و لم يكل أمرها إلى خلقه، فتأمّل في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[٢]، و قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[٣].

و قد روت علماء الشيعة في المقام من الروايات ما يتجاوز حدّ التواتر، و من الآيات الدالّة على المطلب ـ و لو بمعونة الروايات ـ ما يبلغ ٨٤ آية.[٤]

[حديث الثقلين]

و من الأحاديث الواردة بنحو التواتر قوله ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله و عترتي، أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، و لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض».[٥]

و الرواية واردة بألفاظ مختلفة من طرق أهل السنّة،[٦] بل رواها الزمخشري[٧] أيضاً مع أنّه كان من أشدّ الناس عناداً لأهل البيت، و هو الثقة المأمون عند أهل السنّة.

---

١. الشورى (٤٢): ٣٨.
٢. المائدة (٥): ٥٥.
٣. المائدة (٥): ٦٧.
٤. مضافاً إلى ما ذكرنا من المصادر قبيل هذا، راجع أيضاً: البرهان، ج ٢، ص ١٠٣ ـ ١١٥، ح ٢٤٧٦ ـ ٢٥٠٦، ذيل الآية ٥٩ من سورة النساء (٥)؛ فإنّ فيه الكفاية للتعرّف للروايات و مصادرها. و يكفيك أيضاً المراجعة لكتاب الحجّة من الكافي.
٥. للتعرّف لمصادر الرواية الشريفة من الخاصّة راجع: البرهان، ج ١، ص ٢٠ ـ ٢٩، ح ٥٤ ـ ٨٦.
٦. للتعرّف لمصادر الرواية الشريفة من العامّة راجع أيضاً: البرهان، ج ١، ص ٦١ ـ ٦٤، ح ١٨٦ ـ ٢٠٢.
٧. الفائق، ج ١، ص ١٥٠، ذيل مادّة «ثقل».

و رواها الثعلبي في تفسيره في ذيل قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[١] بأسانيد متعدّدة عن رسول الله ﷺ بهذه العبارة: «أيّها[٢] الناس [إنّي][٣] قد تركت فيكم الثقلين[٤] خليفتين، إن أخذتم بهما لن تضلّوا بعدي، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء و الأرض،[٥] و عترتي أهل بيتي و انّهما[٦] لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض».[٧]

و الرواية لو فرض عدم دلالتها على خلافة أهل البيت فلا أقلّ من دلالتها على حجيّة قولهم و أنّه يلزم التمسّك بأقوالهم و حسبانهم، كأحد الرواة الذين أخذوا عنهم و قبلوا قولهم، كأبي هريرة و عكرمة و أنس و غيرهم، فلو رجع أهل السنّة إليهم لوجدوهم بحاراً غير منزوفة، و لعرفوا أنّ النبيّ الأعظم هل يمكن أن يوصي إلى أحد غيرهم، أو أن يجعل الخلافة شورى بين الناس، أم لا؟ أو أنّه ﷺ أعظم أمرها، و أتقن صنعها، و أخذ من ربّه حكمها، و عرّفه الله أهلها و من يليق الوصاية إليه و من يصلح للأمّة اتّباعه، إذاً فأمر الخلافة داخل تحت قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[٨]، و قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾[٩].

و رابعاً: إنّا نقول: إنّه متى عملت الأمّة بهذه الشورى التي جعلوها أساساً للحكومة الإسلامية و بنوا عليها بنيانها، أكان ذلك بعد رحلة النبيّ الأقدس لانتخاب أبي بكر على الخلافة، أو لاختيار عمر، أو عثمان أو عليّ ؈؟ الظاهر أنّ كلّ ذلك لم يكن.

---

١. آل عمران (٣): ١٠٣.
٢. في المصدر: «يا أيّها».
٣. ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر.
٤. في المصدر: – «الثقلين».
٥. في المصدر: «جلّ جلاله من السماء» بدل «حبل ممدود ما بين السماء و الأرض».
٦. في المصدر: «ألا و إنّهما».
٧. الكشف و البيان، ج ٣، ص ١٦٣. و اعلم أنّ المصنّف ؒ أخذ ما نقله عن الثعلبي عن إحقاق الحقّ، ج ٧، ص ٤٧٢، و هو مطابق لما فيه. و هناك نقل عن الزمخشري رواية أُخرى غير هذه.
٨. الأحزاب (٣٣): ٣٦.
٩. القصص (٢٨): ٦٨.

[كلام صاحب «المنار» حول الشورى]

أمّا الأوّل فمع أنّه قد صرّح بعض المفسّرين[١] و اعترف بعدم وقوع الشورى عندئذ و عدم كون انتخاب الخليفة الأوّل بنحو الشورى، بل كان ببيعة عمر بنفسه، ثمّ تبعه بعض لجهات غير خفيّة، و لم تكن باجتماع السواد الأعظم و لا بمشورتهم و رضاهم، بل صرّح بأنّ:

عمر بادر الى مبايعة أبي بكر خوف الخلاف المهلك للأمّة. و صرّح[٢] بعد ذلك بأن بيعة أبي بكر كانت فلتة،[٣] وقى الله المسلمين شرّها، لا يجوز العود إلى مثلها.[٤] انتهى.

و مراده أنّ الناس في ذلك العصر لم يكونوا مستعدّين للشورى و مستأهلين لإدراك شؤونها و مصالحها، و لمّا علم عمر صلاح الأمّة و أهليّة من اختاره و أنّه هو الذي ينبغي أن يستخرج و يتّبع بالشورى، فبايعه، و هذا النحو من الانتخاب بذاته شرّ للمسلمين، ينبغي أن يجتنب في ما بعد.

و لو فرضنا وقوعها في السقيفة فهي غير نافذة، و ليست بتلك الشورى التي صوّبها الإسلام و حثّت عليها آية الشورى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[٥]؛ فإنّ اللازم فيها اجتماع السواد الأعظم من المسلمين و لاأقلّ من كبراء الأصحاب و عظماء الأمّة، كيف و لم

---

١. هو صاحب المنار. ٢. أي صرّح عمر.

٣. قال ابن الأثير: «و منه حديث عمر: إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة، وقى الله شرّها. أراد بالفلتة الفجأة. و مثل هذه البيعة جديدة بأن تكون مهيّجة للشرّ و الفتنة، فعصم الله من ذلك و وقى. و الفلتة: كلّ شيء فعل من غير رويّة». النهاية، ج ٣، ص ٤٦٧ (فلت).

و راجع أيضاً: الإيضاح لفضل بن شاذان، ص ١٣٤؛ شرح الأخبار للمغربي، ص ٢٢٩؛ الاقتصاد للشيخ الطوسي، ص ٢٠٨؛ العثمانية للجاحظ، ص ١٩٦؛ تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٥٨؛ الفائق، ج ٣، ص ٥٠، ذيل مادّة «فلت»؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٦، و ج ٩، ص ٣١، و ج ١٢، ص ١٤٧، و ج ١٣، ص ٢٢٤؛ المواقف، ج ٣، ص ٦٠٠.

٤. المنار، ج ٤، ص ٢٠٢، ذيل الآية ١٥٩ من سورة آل عمران (٣).

٥. الشورى (٤٢): ٣٨.

يحضرها سعد بن عبادة و أتباعه و أهل قبيلته و كذا لم يحضرها عليّ ﷺ و بنو هاشم و المنضوون إليه،[١] و لهم مكانتهم الخاصّة في الأُمّة؟!

و أمّا خلافة عمر فلا إشكال في كونه بعهد من أبي بكر، و لم تتحقّق الشورى في انتخابه، و قد اعتذر في ذلك صاحب المنار بما ذكره:

أوّلاً بأنّ ذلك كان رأياً رآه أبوبكر، ثمّ قبله الصحابة، فصار إجماعاً، و الإجماع حجّة مستقلّة.

و ثانياً بأنّ الشورى حصلت بأنّ تولّاها أبوبكر بنفسه في حياته؛ لخوفه على الأُمّة فتنة التفرّق و الخلاف من بعده، فشاور أهل الرأي و المكانة من الصحابة في من يلي الأمر من بعده، فرأي الأكثرين موافقين على أنّ أمثلهم عمر، فعهد إليه، و إنّما العمدة في جعله أميراً مبايعة الأُمّة، و المبايعة لا تتوقّف صحّتها على الشورى فما[٢] سبق لأبي بكر من المشاورة و اقتناع الناس بخلافة عمر، أغنى عن المشاورة بعد وفاته، فصدق أنّ خلافة عمر وقعت بالشورى.[٣]

[رد كلام صاحب «المنار»]

و لكن ما ذكره صاحب المنار غيرُ تامّ و باطلٌ.

أمّا الوجه الأوّل فهو اعتراف بعدم الشورى، و أمّا الإجماع فهو غير حجّة من البعض، سيّما إذا وقع في مقابل النصّ، كما عرفت، و ما قد يدّعى في كلماتهم من أنّ النبيّ ﷺ قال: «لا تجتمع أُمّتي على خطأ»[٤]، فلم نتحقّقه من حيث السند و الدلالة.[٥]

---

١. المنضوون إليه، أي المائلون إليه و المنضمّون. راجع: لسان العرب، ج ١٤، ص ٤٩٠ (ضوا).

٢. في الأصل: «في ما»، و الصحيح ما أثبتناه، و يؤيّده أنّه في المصدر: «و ما».

٣. راجع: المنار، ج ٤، ص ٢٠٢ و ٢٠٣، ذيل الآية ١٥٩ من سورة آل عمران (٣).

٤. في بعض مصادرهم: «على ضلالة». راجع: سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ١٣٠٣، ح ٣٩٥٠؛ الملل و النحل للشهرستاني، ج ١، ص ١٤؛ تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٩، ص ٧، ذيل الرقم ٧٤٩٤؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٨، ص ١٢٣، ذيل الخطبة ١٢٧، و ج ٢٠، ص ٣٤، ذيل الحكمة ٤١٣.

٥. بل ضعّفه جمع من محقّقي العامّة، كعمرو بن أبي عاصم في كتاب السنّة، ص ٤١، ذيل ح ٨٢ ـ ٨٤؛ و النووي في شرح صحيح مسلم، ج ١٣، ص ٦٧، و العيني في عمدة القاري، ج ١٦، ص ١٦٤.

و أمّا الوجه الثاني فهو دعوى غير ثابت، لا ندري من أين علمه صاحب المنار؟! و هل هو إلهام غيبيّ، أو اتّكل على بعض كلمات أهل التاريخ ممّن يجرّ النار إلى قرصه، أو أنّه نشأ من الاعتقاد بالخلافة، فأثبت بالآثار الناشئة عن اعتقاده بها، لا بدليل خارج يوجب العلم و الإذعان لمن لم يسبق له الاعتقاد؟! فأدلّته ظنون للمعتقد، لا براهين للمنكر الطالب للدليل.

و بالجملة لم تكن خلافة عمر بالشورى قطعاً كما اعترف به جلّ القوم.

[ردّ كون خلافة عثمان بالشورى]

و أمّا خلافة عثمان فالشورى التي أمر بها الثاني و انعقدت بأمره ليست هي التي أمضاها الإسلام، وليست جامعة لشرائط الشورى.

أمّا أوّلاً: فلقلّة عددهم عن حدّ النصاب اللازم و لو بحسب اقتضاء ذلك العصر؛ فإنّ جميع أهل الحلّ و العقد لم تكن الستّة الحاضرين للشورى، مع أنّهم قد اختلفوا في انتخاب الخليفة، و لم يقع انتخاب عثمان من بينهم إلّا برضا واحد منهم، و هو عبدالرحمان، أو هو و سعد، قال عليّ ﷺ في الخطبة المعروفة بالشقشقية: «فصغا[1] رجل منهم لضغنه،[2] و مال الآخر لصهره، مع هنٍ وهنٍ».[3]

و أمّا ثانياً فقد صرّح نفس الآمر بالشورى بعدم أهليّتهم للخلافة، و ذكر لكلّ واحد منهم عيباً و نقصاً، فهم كانوا غير لائقين و إن كان أمرهم ثانياً بأن يجتمعوا و ينتخبوا أحداً من بينهم للخلافة، و أمر بقتل جميعهم إن لم يفعلوا ما أمرهم، و لست أدري كيف يمكن حلّ هذه العويصة؟! و كيف جاز له الأمر بقتل ستّة من كبار الأمّة و فيهم عليّ بن أبي طالب؟! و هل يسوغ الأمر به؟ أو هل يجوز لأحد إجراء هذا الأمر؟

فقد نقل ابن أبي الحديد عن السيّد المرتضى[4] بطريق أهل السنّة، عن ابن عبّاس أنّه

---

١. «فصغا»، أي مال، أو مال على أحد شقّيه، أو انحنى في قوسه. راجع: لسان العرب، ج ١٤، ص ٤٦١ (صغا).

٢. الضِغْن: الحقد، و العداوة، و البغضاء. النهاية، ج ٣، ص ٩١ (ضغن).

٣. نهج البلاغة، ص ٤٩.

٤. نقله السيّد المرتضى ﵀ في الشافي، ج ٤، ص ٢٠٣.

قال له عمر: ما أدري[1] ما أصنع بأمّة محمّد ﷺ و ذلك قبل أن يطعن، فقلت: و لِمَ تهتمّ و أنت تجد من تستخلفه عليهم؟ قال: صاحبكم؟[2] يعنى عليّاً، قلت: نعم، هو لها أهل في قرابته من رسول الله ﷺ و صهره و سابقته و بلائه، قال: إنّ فيه بطالة[3] و فُكاهة، فقلت: فأين أنت من طلحة؟ قال: فأين الزهو[4] و النخوة؟![5] قلت: عبدالرحمن؟ قال: هو رجل صالح على ضعف فيه، قلت: فسعد؟ قال: صاحب مِقْنَب،[6] لا يقوم بقرية لو حمل أمرها. قلت: فالزبير؟ قال: وَعْقَةٌ[7] لَقِسٌ،[8] مؤمن الرضا، كافر الغضب، شحيح.[9] قلت: فأين أنت عن عثمان؟ قال: لو وليها لحمل ابن[10] أبي معيط على رقاب الناس، و لو فعلها لقتلوه.[11]

و أمّا ثانياً فلأنّ أمير المؤمنين عليّاً ﷺ: و هو أحد أفراد الشورى ـ قد قدح بنفسه فيها، و بيّن أنّ مشاركته فيها كانت إلزاماً عقلياً أو شرعياً رجاء أن يدرك حقّه، و يقع أمر الخلافة عند أهلها بعد برهة من الانحراف و الخروج عن مدارها، و ذلك معلوم لنا بالضرورة من أحاديث كثيرة متواترة[12] وردت من أهل بيته و أولاده الأمجاد

---

١. في المصدر: «لا أدري».
٢. في المصدر: «أصاحبكم».
٣. يقال: بطل في حديثه بَطالةً و أبطل، أي هزل. لسان العرب، ج ١١، ص ٥٦ (بطل).
٤. الزهو: الكبر و الفخر. النهاية، ج ٢، ص ٣٢٣ (زها).
٥. النخوة: الكبر و العظمة و الفخر. لسان العرب، ج ١٥، ص ٣١٣ (نخا).
٦. في المصدر: + «و قتال». و قال ابن الأثير: «في حديث عمر و اهتمامه للخلافة: فذكر له سعد، فقال: ذلك إنّما يكون في مِقْنَب من مقانبكم. المقنب، بالكسر: جماعة الخيل و الفرسان، و قيل: هو دون المائة. يريد أنّه صاحب حرب و جيوش، و ليس بصاحب هذا الأمر». النهاية، ج ٤، ص ١١١ (قنب).
٧. الوعقة، بالسكون: الذي يضجر و يتبرّم مع كثرة صَخَب و سوء خلق. و يقال بالضمّ و الكسر أيضاً و وَعِقٌ. راجع: النهاية، ج ٥، ص ٢٠٧؛ لسان العرب، ج ١٠، ص ٢٨٢ (وعق).
٨. اللَّقِس، بالكسر: الشَرِه النفس، الحريص على كلّ شيء، أو هو الذي لا يستقيم على وجه؛ أو هو السيّء الخلق، أو هو العيّاب للناس، الملقّب الساخر، أو هو الشحيح. لسان العرب، ج ٦، ص ٢٠٨ (لقس).
٩. في المصدر: + «و إنّ هذا الأمر لا يصلح إلّا لقويّ في غير عنف، رفيق في غير ضعف و جواد في غير سرف».
١٠. في المصدر: «بني».
١١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٢، ص ٢٥٩.
١٢. الروايات كثيرة جدّاً، لا يسعنا تخريجها كلّها، و يكفيك أن تراجع في ذلك المجلّد ١٠ و المجلّدات ٢٩ ـ ٣٤ من بحار الأنوار.

الصالحين، الطاهرين عن الكذب و الشين بتصديق الكتاب العزيز: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١] و من قول عليّ نفسه في الخطبة المسمّاة بالشقشقية: «حتّى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي أحدهم، فيالله و للشورى! متى اعترض الريب فيّ مع الأوّل منهم حتّى صرت أقرن إلى هذه النظائر؟!! لكنّي أسففت[٢] إذا أسفّوا، وطرت إذا طاروا».[٣]

و أمّا ما ذكرنا من كتاب عليّ ﷺ إلى معاوية الدالّ على وقوع الشورى و حقّيتها، و أنّ بها عيّنت الخلفاء الذين سبقوه، و أنّ المهاجرين و الأنصار إذا اجتمعوا على أحد بالإمامة كان ذلك لله رضاً إلى آخره، فلا يدلّ على مطلوب المستدلّ؛ فإنّك إذا لاحظت حال الأمّة الإسلامية في تلك الأعصار ـ حتّى الجيوش التي كانت تحت لواء عليّ ﷺ فضلاً عن أهل الشام و غيرهم ـ علمت أنّهم كانوا معتقدين بخلافة الأوّل و الثاني و الثالث من الخلفاء، و كان المسلمون التابعون لعليّ ﷺ معتقدين بأنّه رابع الخلفاء الراشدين، و لم يكونوا يعتقدون بما تعتقده الشيعة من خلافة عليّ ﷺ بالنصب من عند الله إلّا الأقلّون عدداً، المختصّون بعليّ ﷺ كسلمان و مقداد و عمّار و من يحذو حذوهم، فالكتاب الذي كان يكتبه عليّ ﷺ إلى معاوية يلزم أن يكون مبنياً على مذاق المسلمين من تابعيه و تابعي معاوية، و لو صرّح ﷺ في كتابه ببطلان خلافة عثمان ـ فضلاً عن الخليفتين قبله ـ لكان ذلك حجّة أخرى في يد معاوية، نافية لخلافة عليّ، كالقميص المخضوبة بدم عثمان، فكتاب عليّ ﷺ أمتن كتاب في مقام بيان أهليّته للخلافة و بطلان دعوى معاوية، و هو بيان جدلي، أثبت ﷺ مدّعاه بمسلّمات الخصم.

هذا، و قد يتوهّم أنّ كلام عليّ ﷺ في نهج البلاغة دالّ على أهليّة من قبله من الخلفاء بالخلافة؛ حيث إنّه مدح الأوّل منهم، أو الثاني بقوله: «لله بلاد فلان، فلقد قوّم

---

١. الأحزاب (٣٣): ٣٣.

٢. قال ابن الأثير: و في حديث عليّ ﷺ: «لكنّي أسففت إذا أسفّوا». أسفّ الطائر، إذا دنا من الأرض، و أسفّ الرجل للأمر، إذا قاربه. النهاية، ج ٢، ص ٣٧٥ (سفف).

٣. نهج البلاغة، ص ٤٨، الخطبة ٣.

الأَوَد،[١] و داوى العَمَد،[٢] و أقام السنّة، و خلّف الفتنة، ذهب نقيّ الثوب، قليل العيب، أصاب خيرها، و سبق شرّها، أدّى إلى الله طاعته و اتّقاه بحقّه، رحل و تركهم في طرق متشعّبة، لا يهتدي بها الضالّ، و لا يستيقن المهتدي».[٣]

و لا يخفى عليك أنّ التأمّل الصادق في حالات الخليفة الثاني و في ما وقع من الأُمور الدينية الاجتماعية في عصره بيده و في كيفية مشيه و سيرته مع المسلمين و مقايسة ذلك مع ما صدر عن عثمان و معاوية و ما وقع في عصرهما و بيدهما، بل و مقايسته مع سائر الحكومات العالمية في تلك العصور و ما بعدها إلى الآن، ثمّ التأمّل و التعمّق في ما صدر منه من إحداث البدع في الدين و إدخال ما لم يكن من المذاهب فيه و إمحاء ما كان من أحكامه منه،

ثمّ ملاحظة أنّ اللازم للإنسان المنصف الذي يريد أن يحكم في حقّه بحكم، و يقضي في سيرته و مشيه و هديه و سمته و سائر شؤونه و أوصافه بقضاء حقّ، أو يكتب فيه ما لا يكون إبطالاً لحقّ، و لا ستراً لباطل؛ ليكون الكلام أوقع في النفوس، و لا تتسرّى فيه العصبية، و لا الخروج عن طريق العدل في القضاء، يقتضي[٤] بأن يكون المقال فيه كما أفاده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعينه، فقال في حقّه ما يلوح منه مدحه كالجمل التالية: «قوّم الأود»، «داوى العَمَد»، «أقام السنّة»، «ذهب نقيّ الثوب»، «أدّى إلى الله طاعته، و اتّقاه بحقّه»، و ما يلوح منه ذمّه، كالجمل التالية: «خلّف الفتنة»، «ذهب قليل العيب»، «أصاب خيرها»، «و سبق شرّها» «رحل و تركهم في طرق متشعّبة، لا يهتدي بها الضالّ و لا يستيقن المهتدي».

---

١. الأود، بالتحريك: الاعوجاج.   ج ٢، ص ٤٤٢ (أود).

٢. العَمَد، بالتحريك: مرض يأخذ الإبل، و هو ورم و انشداخ داخل سنام البعير من الحمل و غهر مع صحّة ظاهره. و هو مستعار لأمراض القلوب، و مداواتها بالزواجر القوليّة و الفعليّة. راجع: لسان العرب، ج ٣، ص ٣٠٥ (عمد)؛ شرح نهج البلاغة لابن ميثم رحمه الله، ج ٤، ص ٩٦، ذيل الخطبة ٢١٩؛ اختيار مصباح السالكين، ص ٤٢٠، ذيل الخطبة ٢١٧.

٣. نهج البلاغة، ص ٣٥٠، الخطبة ٢٢٨، و فيه: «لله بلاء فلان».

٤. قوله رحمه الله: «يقتضي» خبر «أنّ» في عبارة «أنّ التأمّل».

إلّا أنّك إذا قايست خيره ـ من إقامة الأود و مداواة العمد و إقام السنّة و تأدية الطاعة المراد بها إقامته الصلوات بالجماعات و إعطاء الحقوق المالية أهلها و تقسيم الغنائم بالسويّة و إقامة الحدود و نصب الولاة و القضاة و مراعاة القسط بالجملة في الحكومة و القضاء، و نحو ذلك من الأمور الدينية الاجتماعية ـ مع بعض ما صدر منه، كجعل الخلافة الشورى على النحو الذي أدّى إلى خلافة عثمان الأمويّ، فإنّه لا إشكال في كون ذلك من نتائج عمله؛ فقد سلّم بيده الخلافة إلى بني أُميّة، فانقلبت الخلافة العادلة الإسلامية إلى السلطنة الجائرة القيصرية و الكسروية، هلمّ جرّاً إلى اليوم، و لم ينل المسلمون ما نالوه من التفرقة و الانشعاب و الانحطاط و السقوط إلّا بواسطة خلافة عثمان التي صارت سبباً لانتقالها إلى معاوية و سائر بني أُميّة.

[نقل كلام من صاحب «المنار» في المقام]

و في تفسير المنار ـ بعد ذكر كون خلافة الخلفاء بالشورى ـ قال:

> إلّا أنّ بني أُميّة قد أحاطوا بعثمان، و غلبوا الأُمّة على رأيها عنده، فكان من عاقبة ذلك ما كان من الفتن حتّى استقرّ الأمر فيهم بقوّة العصبية و الدهاء،[1] لا باستشارة الدهماء.[2][3]

و كان في وسع عمر أن يوصي إلى عليّ ﷺ كما ينقل عنه أنّه قال: «إن لم أستخلف أحداً فقد فعله من هو خير منّي ـ أي النبيّ ـ، و إن استخلفت فقد فعله من هو خير منّي ـ يعنى أبابكر ـ».[4]

و هذا جناية على الإسلام و ثلمة فيه لا يسدّها شيء، فقول عليّ ﷺ: «رحل و

---

١. الدّهاء: النُكْر، وجودة الرأي. الصحاح، ج ٦، ص ٢٣٤٤ (دهي).

٢. الدهماء: الجماعة من الناس، و العدد الكثير. لسان العرب، ج ١٢، ص ٢١١ (دهم).

٣. المنار، ج ٤، ص ٢٠٤، ذيل الآية ١٥٩ من سورة آل عمران (٣).

٤. الكافئة، ص ٤٦؛ الاقتصاد، ص ٢٠٨؛ الرسائل العشر للشيخ الطوسي ﷺ، ص ١٢٣؛ مسند أبي يعلى، ج ١، ص ١٨٢، ح ٢٠٦؛ صحيح ابن حبّان، ج ١٠، ص ٣٣١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٨٥ مع تفاوت في اللفظ.

تركهم في طرق متشعّبة» تعبير عجيب يؤدّي من المعنى ما لا يفوقه أمر علمت موقع الخليفة[١] من تصديّه لأمور المسلمين و نتائج حكومته و عواقب تولّيه أمر الأمّة، مع أنّ التفكير الصحيح يقضي بعدم استناد تلك الحكومه الصالحة في الظاهر إلى الخليفة، بل كانت من نتائج السيرة العادلة النبويّة و بقيّة ممّا تركه الرسول الأعظم.

[وجوه عدم أهليّة الخليفة الأوّل للخلافة]

و بالجملة نحن نلاحظ حال كلّ واحد من الخليفتين، و نرى في ما ورد من الآثار و التواريخ ما يكون قدحاً فيهما و كاشفاً عن عدم أهليّتهما للخلافة الإسلامية العـامّة، خلافة النبيّ الأعظم و تدبير الاجتماعات الدينية لجميع الأمّة، فترى:

١. أنّه لم يولّ النبيّ الأعظم الخليفة الأوّل في أمر هامّ من إمارة جيش، أو خلافة عنه في بلد و نحو ذلك.

٢. و أنّه لمّا أعطاه النبيّ سورة البراءة؛ ليبلّغها في مِنَى، أمره الله بأخذها منه و إعطائها لعليّ ﷺ قائلاً: «إنّ الله أمرني أن لا يبلّغها إلّا أنا أو أحد منّي».[٢]

٣. و نرى أنّ النبيّ الأعظم أمره بالدخول في الجيش الذي هيّأه في آخر عمره، و جعل أُسامة أميراً عليه و على عمر و سائر قرنائهما.[٣]

٤. و نقل أهل السنّة أنّ عمر قال في حق بيعة الأوّل: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها، فمن أعاد إليها فاقتلوه.[٤]

---

١. كذا في الأصل، و يشبه أن يسقط من العبارة شيء.

٢. تفسير القمّي، ج ٨، ص ٢٨٢؛ تفسير فرات الكوفي، ص ١٦٠ ـ ١٦٣، ح ٢٠٣؛ علل الشرائع، ج ١، ص ١٩٠، ح ٣؛ التبيان، ج ٥، ص ١٦٩، ذيل الآية ٢ من سورة البراءة (٩)؛ المسند لأحمد بن حنبل، ج ١، ص ١٨، ح ٤؛ السنن الكبرى، ج ٥، ص ١٢٩، ح ٨٤٦٢؛ خصائص أمير المؤمنين ﷺ للنسائي، ص ٩٧؛ كنز العمّال، ج ٢، ص ٤١٧، ح ٤٣٨٩، مع تفاوت في اللفظ.

٣. الايضاح لفضل بن شاذان، ص ٣٦٠ و ٣٦١؛ دعائم الإسلام، ج ١، ص ٤١؛ الإرشاد، ج ١، ص ١٨٣ و ١٨٤؛ الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٣٣٤؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٢، ص ٨٢، و ج ١٧، ص ١٧٥؛ كنز العمّال، ج ١٠، ص ٥٧٦، ح ٣٠٢٦٦.

٤. مرّ تخريجه مع شرح المفردات في الصفحة ٢٠٢.

۵. و ترك إجراء حدّ القتل و الزنا على خالد بن الوليد، حيث قتل مالك بن نويرة، و وقع على زوجته بعد قتله.[۱]

٦. و أنّه قال: إنّ لي شيطاناً يعتريني، فإن زغت فقوّموني.[۲]

۷. و أنّه قال: أقيلوني و لست بخيركم و عليّ ﷺ فيكم.[۳]

۸. و أنّه قال في الكلالة:[٤] أقول فيها برأيي، فإن كان صواباً فمن الله، و إن كان خطأً فمنّي.[۵][٦]

[وجوه عدم أهليّة الخليفة الثاني للخلافة]

ثمّ إنّه قد نقل أهل السنّة في حقّ الخليفة الثاني:

۱. أنّه قال عند احتضار النبيّ ﷺ و طلبه القرطاس لأن يكتب ما لا يضلّوا بعده:

---

۱. المسترشد، ص ۵۱۳، ح ۱۸۳؛ الشافي، ج ٤، ص ١٦٢؛ الصراط المستقيم، ج ۲، ص ۲۸۱، تاريخ الطبري، ج ۳، ص ۲۷۸؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ۱، ص ۱۷۹، و ج ۱۷، ص ۲۰۲ و ۲۰۳؛ تاريخ الإسلام، ج ۳، ص ۳۷، مع تفاوت في اللفظ.

۲. الإيضاح لفضل بن شاذان، ص ۱۲۹؛ عيون أخبار الرضا ﷺ، ج ۱، ص ۲۵٦، الباب ۵۷، ح ۱؛ نهج الحقّ، ص ۲٦٤؛ الإمامة و السياسة، ج ۱، ص ۳٤؛ تاريخ الطبري، ج ۳، ص ۲۲٤؛ البداية و النهاية، ج ٦، ص ۳۰۳، مع تفاوت في اللفظ.

۳. رويت بألفاظ شتّى. راجع: الاحتجاج، ج ۱، ص ۱۰٤؛ مناقب آل أبي طالب، ج ۳، ص ٤۳۰؛ الفضائل لشاذان القمّي، ص ۱۳۳؛ الإمامة و السياسة، ج ۱، ص ۳۱؛ الإنباء، ص ٤۷؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ۱، ص ۱٦۸، و ج ۱۷، ص ۱۵۵؛ كنز العمّال، ج ۵، ص ٦۳٦، ح ۱٤۱۱۸.

٤. قال الشيخ الطوسي ﷺ بعد تعديد الأقوال في معنى الكلالة: «و عندنا أنّ الكلالة الإخوة و الأخوات». و قال أمين الإسلام ﷺ بعد تعديدها: «و المرويّ عن أئمّتنا ﷺ أنّ الكلالة الإخوة و الأخوات». و قال ابن الأثير: «هو أن يموت الرجل و لا يدع والداً و لا ولداً يرثانه، و أصله من تكلّله النسب. إذا أحاط به، و قيل: الكلالة: الوارثون الذين ليس فيهم ولد و لا والد، فهو واقع على الميّت و على الوارث بهذا الشرط...». راجع: التبيان، ج ۳، ص ۱۳۵؛ مجمع البيان، ج ۳، ص ۲۹، ذيل الآية ۱۲ من سورة النساء (٤)؛ النهاية، ج ٤، ص ۱۹۷ (كلل).

۵. في المصادر: + «و من الشيطان».

٦. الإرشاد، ج ۱، ص ۲۰۰؛ الشافي، ج ٤، ص ۱۵۸؛ الصراط المستقيم، ج ۱، ص ۳۰۵؛ جامع البيان، ج ٤، ص ۱۹۲ و ۱۹۳، ذيل الآية ۱۲ من سورة النساء (٤)؛ معرفة السنن و الآثار، ج ۵، ص ٤۹، ح ۳۸٤۸؛ كنز العمّال، ج ۱۱، ص ۷۹، ح ۳۰٦۹۱.

دعوه؛ فإنّه يهجر.[١]

٢. و أنّه كان مأموراً بالحضور في جيش أُسامة و الكون تحت إمارته، فتخلّف عنه، و النبيّ ﷺ لعن من تخلّف عنه.[٢]

٣. و أنّه قال بعد موت النبيّ: إنّه لم يمت، فردّه بعض أصحاب النبيّ بقوله تعالى: ﴿أَ فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾،[٣] و قوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾.[٤][٥]

٤. و أنّه حرّم المتعتين بقوله: متعتان كانتا حلالين على عهد الرسول، و أنا أُحرّمهما و أُعاقب عليهما.[٦]

٥. و أنّه قد عطّل حدّ مغيرة بن شعبة، و خوّف الشاهد على زناه، فمنعه عن إقامة الشهادة.[٧]

٦. و أنّه تسوّر[٨] دار غيره، فرأى صاحب الدار يشرب الخمر، فهدّده، فقرأ: ﴿وَ أْتُوا

---

١. تصرّفوا في الحديث و نقلوه بألفاظ شتّى لأغراض غير خفيّة، ولكنّ الله العزيز من ورائهم محيط و إنّه لبالمرصاد. راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٢، ص ٢٤٢؛ المسند لأحمد بن حنبل، ج ١، ص ٧١٩، ح ٣١١١؛ صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢١٤٦، ح ٥٣٤٥؛ صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٢٥٧ ـ ١٢٥٩، ح ١٦٣٦/٢٠ و ٢٢ ـ ١٦٣٧/٢٠؛ السنن الكبرى، ج ٣، ص ٤٣٣، ح ٥٨٥٢، و ج ٤، ص ٣٦٠، ح ٧٥١٦.

٢. خرّجناه قبيل هذا.

٣. آل عمران (٣): ١٤٤.

٤. الزمر (٣٩): ٣٠.

٥. السيرة النبوية لابن هشام، ج ٢، ص ٦٥٥؛ تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٠٠؛ أنساب الأشراف، ج ١، ص ٥٦٣، ح ١١٤٤، و ص ٥٦٦، ح ١١٤٨؛ البداية و النهاية، ج ٥، ص ٢٤٢.

٦. المسند لأحمد بن حنبل، ج ٥، ص ٧٢، ح ١٤٤٨٦؛ العلل الواردة في الأحاديث النبوية للدار قطني، ج ٣، ص ١٥٦، ذيل ح ١٨٣؛ المبسوط للسرخسي، ج ٤، ص ٢٧؛ معرفة السنن و الآثار، ج ٥، ص ٣٤٥؛ المغني لابن قدامة، ج ٧، ص ٥٧٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٨٢، و ج ١٢، ص ٢٥١، و ج ١٦، ص ٢٦٥؛ الشرح الكبير، ج ٧، ص ٥٣٧؛ كنز العمّال، ج ١٦، ص ٥٢١، ح ٤٥٧٢٢، مع تفاوت في اللفظ.

٧. أنساب الأشراف، ج ١، ص ٤٩١ ـ ٤٩٣، ح ٩٩٠؛ تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٤٥ و ١٤٦؛ تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٧٥ و ٧٦؛ البداية و النهاية، ج ٧، ص ٨١ و ٨٢.

٨. يقال: تسوّر الحائط، أي هجم مثل اللصّ، و علاه، و تسلّقه، أي صعد عليه. لسان العرب، ج ٤، ص ٣٨٦ (سور).

﴿الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها﴾،[١] فاعتذر و رجع.[٢]

٧. و أنّه أمر برجم الحامل مع عدم جوازه إلّا بعد وضع الحمل، بل و بعد الإرضاع.[٣]

٨. و أنّه أمر برجم المجنونة، مع أنّه رفع القلم عن المجنون حتّى يفيق.[٤]

٩. و أنّه شرّع إتيان صلاة التراويح.[٥]

١٠. و أنّه أعطى من بيت المال عائشة و حفصة عشرة آلاف درهم.[٦]

١١. و أنّه منع الخمس عن أهل البيت ﷺ.[٧]

١٢. و أنّه همّ بإحراق بيت فاطمة ﷺ، و قال: «و إن»،[٨] أي و إن كان فيه فاطمة و الحسنان.

١٣. و أنّه استأذن عائشة في دفنه في جنب النبيّ ﷺ[٩] مع أنّ عايشة لم تكن مستحقّة من البيت شيئاً؛ لنقل الخليفة الأوّل: «نحن معاشر الأنبياء لا نورّث»[١٠] إلى آخره.

---

١. البقرة (٢): ١٨٩.

٢. الدرّ المنثور، ج ٦، ص ٩٣، ذيل الآية ١٢ من سورة الحجرات (٤٩)؛ كنز العمّال، ج ٣، ص ٨٠٨، ح ٨٨٢٧.

٣. المصنّف لابن أبي شيبة، ج ٦، ص ٥٥٨، ح ٥؛ سنن الدار قطني، ج ٣، ص ٢٢٢، ح ٣٨٣١؛ كنز العمّال، ج ١٣، ص ٥٨٤، ح ٣٧٤٩٩.

٤. سنن أبي داود، ج ٢، ص ٣٣٩، ح ٤٣٩٩؛ المغني لابن قدامة، ج ١٠، ص ١٦٩؛ الشرح الكبير، ج ١٠، ص ١٦٩.

٥. مروج الذهب، ج ٢، ص ٣١٩؛ تاريخ الإسلام، ج ١٤، ص ٣٣٩؛ البداية و النهاية، ج ٧، ص ٤٧ و ١٣٣.

٦. و في بعض المصادر: «أربعمائة ألف درهم». راجع: مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٥٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٢، ص ٢١٠.

٧. المغازي، ج ١، ص ٣٨١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٢، ص ٢١٠؛ تاريخ الإسلام، ج ٣، ص ٢٤ و ٢٥.

٨. الإمامة و السياسة، ج ١، ص ٣٠؛ مروج الذهب، ج ٣، ص ٧٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص ١٤٧.

٩. الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٣٦٣؛ أنساب الأشراف، ج ١٠، ص ٤٣٨؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٧، ص ٢١٥.

١٠. السقيفة و فدك للجوهري، ص ١٠٣؛ المعجم الأوسط للطبراني، ج ٥، ص ٢٦؛ تاريخ مدينة دمشق، ج ٣٠، ص ٣١١، و ج ٣٦، ص ٣١٠؛ كنز العمّال، ج ١٢، ص ٤٨٩، ح ٣٥٦٠٠.

ثمّ إنّ أهل السنّة قد سعوا في ردّ جميع تلك الإشكالات و تبرئة ساحة الخليفتين عن توجّه أيّ نقص و عيب بما لا يرتضيه العقل السليم العاري عن شوب العصبية، بل يظهر من كلماتهم و كيفيّة إقامتهم البرهان على مطلوبهم ابتناءُ دفع الإشكالات على سبق اعتقاد منهم بالخلافة، متّخذ من اشتهار نقل الخلف عن السلف بلا قيام دليل و نهوض برهان، و إذا طالبنا منهم بالدليل تمسّكوا بآية الشورى،[1] و هي عمدة ما اعتمدوا عليه في المقام.

[أسئلة و بحوث حول قضيّة الشورى]

١. و إذا سألناهم عن حال الشورى و أنّ النبيّ الأعظم ماذا قال فيها؟ فهل أمر بها، و وضع قوانين تحدّد حدودها و تحلّ عقدها و مشاكلها، مع ما هي عليه من محلّها الخاصّ و موضعها الهامّ الأصيل و ركنيّتها في تعيين مسير الأمّة الإسلامية و أصالتها في تفريع مسائل الدين و عراقتها في تعيين عاقبة أمر المسلمين و مقدّرهم و منتهى أُمورهم؟

٢. و أنّها هل تنعقد بالرجال فقط، أو تشترك فيها النساء أيضاً؟ و لا إشكال في عدم إشراكهم النسوان في شورى الخلافة، كيف و قد عرفت حرمان الرجال منها إلّا الأقلّين جدّاً؟!

مع أنّ لهنّ نصيبهنّ من أُمور المسلمين، و قد اشتركن في البيعة على النبوّة، و هذا ممّا يقدح في تلك الشورى عند أهل المعرفة؛ قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

و في تفسير الرازي في ذيل الآية قال:

روي أنّ النبيّ ﷺ لمّا فرغ يوم فتح مكّة من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء،

---

١. و هي قوله تعالى: ﴿وَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ أَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ الشورى (٤٢): ٣٨.

٢. الممتحنة (٦٠): ١٢.

و هو على الصفا، و عمر أسفل منه، يبايع النساء بأمر رسول الله [١] إلى آخره.

قال:

و اختلفوا في كيفيّة المبايعة، فقالوا: كان يبايعهنّ و بين يديه و أيديهنّ ثوب، و قيل: كان يشترط عليهنّ البيعة، و عمر يصافحهنّ. [٢] و قيل: دعا بقدح من ماء، فغمس يده فيه، ثمّ غمسن أيديهنّ فيه، و ما مسّت يد رسول الله يد امرأة قطّ. [٣]

٣. و أنّها هل تختصّ بأهل المدينة، أو عظمائهم و أهل الحلّ و العقد منهم، أو تعمّ سائر البلدان أيضاً؟ و الاختصاص لماذا؟

٤. و أنّه لو اتّفقت آراء أهلها فهو، و إلّا فما هو الحكم لو اختلفوا على طائفتين متساويتين، أو كان إحداهما أكثر عدداً و كمّية و الأُخرى كيفيّة، أو تشعّبوا على طوائف و لم تكن إحدى الشعوب حائزة للكثرة؟

٥. و أنّه لو انكشف الخطاء في الانتخاب و عدم أهليّة المنتخب، فما هو الحكم؟ و هل تنحلّ عقدة الشورى؟ و بيد من هي؟

٦. و أنّه هل يكون المنتخب بالشورى خليفة من قبل الله و رسوله، أو من قبل الناس؟ و على الأوّل فهل يكون المنتخب اليوم كالمنتخب في ذلك اليوم في الحرمة و وجوب الطاعة؟ فإن كان كذلك، فما الوجه في تفضيل الخلفاء الراشدين على غيرهم؟ و إن لم يكن كذلك، فلماذا هو، مع أنّ اللازم كون اللاحقين أفضل من السابقين؛ لكثرة الأُمم المنتخبة؟

٧. و أنّه هل تكون الشورى مختصّة بتلك الأعصار، أو تعمّ هذه الأزمنة أيضاً؟ و هل يكون المنتخبون من بين الموجودين، مثل الخلفاء الراشدين و إن تعدّدوا و كثروا، بأن اختار كلّ ناحية من النواحي خليفة، أو كلّ بلد من البلاد الإسلامية خليفة؟

٨. و أنّه لماذا وجب لنا الاعتقاد بصحّة الشورى المحقّقة في ذلك الزمان و لزوم الإذعان بفضل المنتخبين بها و خلافتهم، و لم يجز لنا النظر في صحّتها و فسادها و

---

١. مفاتيح الغيب، ج ٢٩، ص ٥٢٣.

٢. في المصدر: + «قاله الكلبي، و قيل: بالكلام».

٣. مفاتيح الغيب، ج ٢٩، ص ٥٢٤.

جامعيّتها للشرائط؟ و لماذا يكفر، أو يفسق من ارتاب في ذلك و تردّد؟

و بالجملة إن سألناهم عن الشورى اعترفوا بأنّ النبيّ الأعظم لم يتعرّض لها أصلاً، و لم ينطق فيها بشيء نفياً و لا إثباتاً.

[عدم كون خلافة الثلاثة بالشورى أيضاً]

ثمّ إنّك إن تأمّلت في حقيقة تلك الشورى، و سبرت التواريخ[1] و كلمات القوم لإدراك ما وقع عندئذ، اهتديت إلى أمر عجيب، و هو أنّ تعيين خلافة كلّ واحد من الخلفاء الثلاث وقع من ناحية أنفسهم و بيدهم، فخلافة الأوّل واقعة بتعيين الثاني و بيعته، و خلافة الثاني بتعيين الأوّل و وصايته، و خلافة الثالث بالوصاية من الثاني بشورى خاصّة و أمر دبّر بليل، فآل إلى بيعة عبدالرحمان لعثمان.

فجميع الأدلّة على خلافتهم ينتهي إلى دليل واحد هو الشورى، و هي تنتهي إلى نفس القوم و تعيين بعضهم بعضاً، و هذه هي أساس الحكومة الإسلامية عند القوم و أصل الدين الحنيف الإلهي الذي أنزله الله على الناس جميعاً من زمان ظهور النبيّ الأعظم إلى قيام الساعة، فتدبّر و لا تصغ إلى ما نسجوه من الأخبار الآحاد في إثبات أصل من أُصول العقائد.

[سؤال هامّ في المقام]

ثمّ إنّا نسأل أيضاً أنّ النبيّ الأقدس هل كان غير مطّلع عن تسرّي تلك الاختلافات المخزية في ما بين أُمّته، و لم يخبره الله بها أصلاً، أو أنّه كان عالماً بها بإخبار الله تعالى إيّاه؟

فإن كان الأوّل فهو ينافي ما اشتهر نقله منه بين أهل السنّة و الشيعة من قوله ﷺ: «ستفترق أُمّتي على ثلاث و سبعين، و الناجية منها واحدة».[2]

---

١. «سبرت التواريخ»، أي تتبّعت فيها بدقّة، و نظرت فيها بأدقّ النظر، من السَبْر، و هو استخراج كنه الأمر. راجع: لسان العرب، ج ٤، ص ٣٤٠ (سبر).

٢. معاني الأخبار، باب معنى الفرقة الواحدة الناجية، ح ١؛ كفاية الأثر، ص ١٥٥؛ الاقتصاد للشيخ الطوسي،
↔

و إن كان الثاني فهلّا عيّن في ذلك تكليفاً للأمّة؟! و لماذا تركهم يعيشون بعده حيارى سكارى، لا مسلمين و لا نصارى؟! و لماذا لم يسدّد أمر شوراهم بوصايا أكيدة في عقدها و تعيين مكانها و زمانها بتبيين ما ذكرنا فيها من موارد الإشكال و الأعضال؟! و هلّا عيّن واحداً من أصحابه للخلافة بنفسه بلا حاجة إلى الإيكال إلى الشورى؟! و هل كان علمه بمن يجب انتخابه من أفراد المسلمين و درايته و دربته و إدراكه عواقب الأمور و ما تنتجه من الخيرات و الشرور أقلّ من أهل الشورى؟!

ولو توهّم أنّه كان ذلك لغرض تعليمه الشورى على المسلمين، فكان يكفيه الحثّ عليها مستقلّاً و الأمر بالعمل بآية الشورى[1] في سائر أُمورهم.

إن قلت: إنّ الشورى أمر نطق بها الكتاب الكريم، و حثّ المسلمين عليها في أُمورهم، فلو كان عدم تعرّض النبيّ الأعظم لأحكامها و عدم تسديدها و سدّ ثغورها قادحاً فيها، فما هي مزعمتك فيها مع أنّها أمر محثوث عليه؟

قلت: قد عرفت[2] أنّه ليس لها عندنا مكانتها الأصيلة الركنية عند أهل السنّة؛ فإنّهم اعتمدوا في كثير من أحكامهم الدينية على بيان الخلفاء و أقوالهم و أفعالهم، و احتجّوا لها بسيرتهم، فهي تبتني على الحكومة، و صرّحوا بأنّ الحكومة الإسلامية مبنيّة على الشورى، فالشورى أساس الحكومة الإسلامية المتفرّعة عليها أُمور هامّة كثيرة، فللشورى عندهم مكانتها الخاصّة العريقة، لا يليق بالشارع المهتمّ في أمر تشريعه غضّ النظر عنها و تركه بيان حدودها و أحكامها.

[في أيّ موضوع أو حكم تجري الشورى؟]

و أمّا الشورى عندنا، فكما أنّها لا تعمل بها في الأحكام الشرعية، لا تجري في الموضوعات الخارجية الّتي علم ترتّب حكم إلزامي من الشارع عليها، فلا شورى في

← ص ٢١٢؛ سنن أبي داود، ج ٢، ص ٣٩٠، ح ٤٥٩٦ و ٤٥٩٧؛ سنن الترمذي، ج ٤، ص ١٣٥ و ١٣٦، ح ٢٧٧٨ و ٢٧٧٩؛ سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ١٣٢٢ و ١٣٢٣، ح ٣٩٩١ و ٣٩٩٢، مع تفاوت يسير و زيادة في آخره.

١. هي الآية ٣٨ من سورة الشورى (٤٢)، قد مضى نصّها قبيل هذا.

٢. في الصفحة ١٦٩ و ما بعدها.

الأحكام الإلهيّة مطلقاً من الأُصولية و الفرعية و التكليفية و الوضعية و غـيرها، و لا شورى في إتيان صلاة أو حجّ و ترك الربـا و شـرب الخـمر و نـحو ذلك، فـمحلّها الموضوعات الخارجية التي لا حكم إلزامي لها، كشراء دار و إحياء أرض و نحو ذلك.

و يكفي في ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[١]. فالآية حـاثّة عـلى أمـر دنيوي عقلائي حثّاً غير إيجابي، و إيكالاً لشؤونه على الناس، كما يظهر من جعلها في عداد عدّة أُمور واجبة و مندوبة، فوصف المـؤمنين بأنّـهم يـتوكّلون عـلى ربّـهم، و يجتنبون كبائر الإثم و الفواحش، و يغفرون عند الغضب، و يستجيبون لربّهم، و يقيمون الصلاة، و أمرهم شورى بينهم، و ينفقون ممّا رزقناهم، و ينتصرون عند ما بغي عليهم،[٢] فالتوكّل فضيلة خلقية، و الغفران عند الغضب في ما إذا كان له الانتقام غير واجب، و الاستجابة لله في المندوبات مندوبة، و الإنفاق في غير مـوارد وجـوبه مسـتحبّ، و الانتصار في طلب الحقّ لنفسه سائغ غير واجب، فالشورى أيضاً كذلك.

[سرّ افتراق أهل السنّة إلى المذاهب الأربعة]

ثمّ إنّ هنا أمراً آخر لا يخلو عن ارتباط بالمقام، و هو أنّه ما هو السرّ في افتراق أهل السنّة إلى مذاهب أربعة و لزوم عمل جميع علمائهم ـ فضلاً عن عوامّ المذاهب ـ بفتيا الأئمّة الأربعة المعروفة و تركهم الاجتهاد بأنفسهم في أحكامهم الدينية؟! فهل كانت تلك الأئمّة ولاة الأُمّة و خلائف النبيّ الأعظم من قبل الله تعالى، مع أنّهم نفوا ذلك في حقّ الخلفاء الراشدين؟! و لماذا حكموا بانسداد باب الاجتهاد في حقّ غيرهم، و لزمهم التقليد عنهم؟! و ينقل أنّ الحسين بن عبدالله البخاري المشتهر بابن سينا، أتمّ جـميع العلوم و قد مضى من عمره أربعة عشر سنة، و كان يفتي بفتيا أبي حنيفة.[٣]

و أيضاً إنّهم يدّعون أنّ الفرقة الناجية من الفرق الثلاث و السبعين هي أهل السنّة و

---

١. الشورى (٤٢): ٣٧.

٢. ما ذكر من الأوصاف جاء ضمن الآيات ٣٦ـ٣٩ من سورة الشورى (٤٢).

٣. الكنى و الألقاب، ج ١، ص ٣٢١؛ أعيان الشيعة، ج ٦، ص ٧٢.

الجماعة. فلماذا لا يعدّ كلّ مذهب من المذاهب فرقة من تلك الفرق؟ و لِمَ لا يجب الحكم ببطلان ثلاث منها و حقّية فرقة واحدة؟ و كيف يدّعي كون الناجي جميعهم؟

[الخلافة عندنا التنصيص]

ثمّ إنّ المتحصّل من جميع ما ذكرنا أنّا إذا وقفنا موقف التقابل مع إخواننا من أهل السنّة، و طالبناهم ببيان ما اعتقدوا به و ركنوا إليه في مسألة الخلافة و إقامة الدليل عليه، فادّعوا الخلافة الانتخابية للخلفاء الثلاث، و تمسّكوا في ذلك بالشورى، كان الجواب عنها ما عرفت. و إذا طالبونا بمعتقدنا في أمر الخلافة و إقامة الدليل عليه، فتجيب بأنّ مدّعى أهل التشيّع هو الخلافة التشريعية الإلهية المنصوصة لعدّة معيّنة مخصوصة، أوحى الله بها إلى رسوله و أمره بإبلاغها إلى الناس كلّهم، و هم الأوصياء الإثني عشر أئمّة أهل البيت، أوّلهم عليّ بن أبي طالب و آخرهم الحجّة بن الحسن العسكريّ، سلام الله عليهم أجمعين.

[أدلّتنا على كون الخلافة بالتنصيص]

و أمّا الدليل على ذلك فأُمور:

[حديث الثقلين]

الأوّل: الحديث المتواتر بين الفريقين عن النبيّ ﷺ و هو قوله ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله و عترتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا».[1]

و لا إشكال في أنّه لم يدّع من أهل البيت العلم بالأحكام الإلهية و المعارف الدينية غير الأئمّة الإثني عشر، بل و لم يكن يعلمها غيرهم إلّا ما أخذوه عنهم، فيعلم حينئذ

---

۱. خرّجناه في الصفحة ۲۰۰. و للمزيد راجع: مناقب الإمام أمير المؤمنين؏، ج ۲، ص ۱۱٦ و ۱۱۷، ح ٦۰٦؛ عيون أخبار الرضا؏، ج ۲، ص ۳٤، الباب ۳۱، ح ٤۰؛ كمال الدين، ص ۲۳٥، ح ٤٥؛ مسند أحمد بن حنبل، ج ٤، ص ۳۰، ح ۱۱۱۰٤، و ص ۳٦ و ۳۷، ح ۱۱۱۳۱، و ص ٥٤، ح ۱۱۲۱۱، و ج ۷، ص ۸٤، ح ۱۹۳۲۲؛ صحيح مسلم، ج ٤، ص ۱۸۷۳، ح ۲٤۰۸/۳٦؛ سنن الدارمي، ج ۲، ص ٤۳۲؛ السنن الكبرى للنسائي، ج ٥، ص ٥۱، ح ۸۱۷٥؛ فضائل الصحابة للنسائي، ص ۱٥؛ المعجم الكبير للطبراني، ج ۳، ص ٦٦، ح ۲٦۷۹.

كونهم القدر المتيّقن من العترة الذين أمر النبيّ ﷺ بالتمسّك بذيلهم، فإذا ادّعوا الإمامة و الخلافة من الله و العلم بالأحكام الدينية بالوراثة عن النبيّ الأعظم، يكون قبول خلافتهم و أخذ العلوم عنهم تمسّكاً بهم و مأموراً به من ناحية النبيّ الأعظم، و هو المطلوب.

[دعوى أئمّتنا عليهم السلام الخلافة لأنفسهم بالدلائل]

الثاني: أنّ أئمّة أهل البيت الاثني عشر قد ادّعى كلّ واحد منهم الإمامة الإلهية و الخلافة للخلق بأمر الله تعالى و نصب رسوله الأعظم، و أظهر كلّ واحد منهم لإثبات مدّعاه من المعجزات و خوارق العادات مافيه كفاية للمستكفي و حجّة بالغة للمنصف.

و يعرف ذلك من كان له أدنى تتبّع في أخبارهم و سبر[1] في تواريخهم و أحوالهم، فراجع كتاب الخرائج و الجرائح للمحقّق قطب الدين الراوندي، و مدينة المعاجز للفاضل البحراني، و البحار للمحدث المجلسي، و غيرها من كتب الشيعة المؤلّفة في الإمامة، تجد فيها بغيتك فوق ما تطلب و تروم.

فقد نقل المحدّث المجلسي رحمه الله في البحار من المعجزات الصادرة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام ما يقرب من ألف معجزة:

فعن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ١٦٦ معجزة في المجلّد ٤١ من الصفحة ١٩١ إلى الصفحة ٣٥٨، و المجلّد ٤٢ من من الصفحة ١٧ إلى ٥٠.

و عن الحسن المجتبى عليه السلام ١١ معجزة في المجلّد ٤٣ من الصفحة ٣٢٣ إلى ٣٣٠.

و عن الحسين عليه السلام ١٦ معجزة في المجلّد ٤٤ من الصفحة ١٨٠ إلى ١٨٨.

و عن السجّاد عليه السلام ٤٩ معجزة في المجلّد ٤٦ من الصفحة ٢٠ إلى ٤٩.

و عن الباقر عليه السلام ٨٩ معجزة في المجلّد ٤٦ من الصفحة ٢٣٣ إلى ٢٨٥.

و عن الصادق عليه السلام ٢٢٧ معجزة في المجلّد ٤٧ من الصفحة ٦٣ إلى ١٦١.

و عن الكاظم عليه السلام ١٠٦ معجزة في المجلّد ٤٨ من الصفحة ٢٩ إلى ١٠٠.

و عن الرضا عليه السلام ٩٦ معجزة في المجلّد ٤٩ من الصفحة ٢٩ إلى ٨٢.

---

١. قد مضى معنى السبر قبل صفحات.

و عن الجواد ﷺ ٤٧ معجزة في المجلّد ٥٠ من الصفحة ٣٧ إلى ٧٢.

و عن الهادي ﷺ ٦٥ معجزة في المجلّد ٥٠ من الصفحة ١٢٤ إلى ١٨٨.

و عن العسكري ﷺ ٨١ معجزة في المجلّد ٥٠ من الصفحة ٢٤٧ إلى ٣٠٥.

و عن الحجّة ﷺ ٧٠ معجزة في المجلّد ٥١ من الصفحة ٢٩٣ إلى ٣٤٣.

فمجموع ما نقل عنهم ﷺ في البحار ٩٩٣ معجزة، و لعلّ المتتبّع في حالاتهم ﷺ و المطّلع على أوصافهم و أحوالهم يجد أضعاف ما نقله ﷺ. فالمعجزات عنهم ﷺ متواترة، و هي من الأدلّة القطعية لمدّعي النبوّة و الإمامة.

و لو توهّم أحد أنّه لم يعتن بهذه الدعوى أكثر علماء الإسلام، و لم يقل بذلك منهم إلّا البعض، فكيف يكون دليلاً على المطلب؟

قلنا: كما أنّ عدم اطّلاع أكثر الناس في الدنيا على نبوّة نبيّنا و عدم اعتنائهم و قبولهم دينه و كتابه قصوراً أو تقصيراً غير قادح في نبوّته و أدلّة إثبات صدقة، و كما أنّ وجود بعض البلدان في قرب بلدك الذي تسكن فيه ثابت لك بالتواتر القطعي ـ إذا لم تكن شاهدته بالعيان ـ و إن جهله أكثر أهل الدنيا و لم يعرفوه كما لم يعرفوا بلدك، و ذلك لا يضرّ بتحقّق التواتر بالنسبة إليك، فعدم اطّلاع الأكثر على نبوّة نبيّنا و دعواه و معاجزه لا يوهن الحجج البالغة القائمة على صدق دعواه و إن كانت نسبة القائلين بنبوّته إلى غيرهم نسبة الواحد إلى الأربع أو الخمس أو أقلّ منها. فكذلك عدم قبول سائر فوق المسلمين إمامة الأئمّة الاثني عشر غير قادح فيها؛ فإنّ المخالفين إمّا قاصرون، و إمّا مقصّرون، و ذلك لا يخلّ بالاستدلال كما لا يخفى على من له أدنى تدبّر و تفكّر.

و بالجملة، قد ثبت لنا بالتواتر دعوى الإمامة من هؤلاء الأئمّة، و ثبت بالتواتر أيضاً ظهور معجزات كثيرة بأيديهم، فهما ثابتتان بالتواتر الإجمالي و بالتواتر المعنوي، و كلاهما حجّة، و لو فرضنا عدم ثبوت التواتر في الأمرين بالنسبة إلى كلّ واحد منهم، فلا نشكّ في تحقّقه بالنسبة إلى بعضهم في الجملة، و ذلك يثبت إمامة الجميع؛ لتصديق كلّ واحد منهم إمامة جميعهم.

[تنصيص النبيّ الأعظم ﷺ بالأئمّة الاثني عشر بأسمائهم ﷺ]

الثالث: الأخبار الكثيرة جدّاً المنقولة بالتواتر بطرق متعدّدة عن النبيّ الأعظم أنّه ﷺ أخبر بمجيء اثني عشر خليفة من بعده، و هي واردة بألسنة مختلفة، ففي طائفة كثيرة منها إضافة قوله ﷺ: «كلّهم من قريش»،[١] و في عدّة أخرى أنّ عدّتهم عدّة نقباء بني إسرائيل،[٢] و في ثالثة: «إنّ عدّتهم عدّة الشهور»،[٣]

و رابعة وردت التسمية منه ﷺ بأسمائهم و أنّ أوّلهم عليّ، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ عليّ بن الحسين، و محمّد بن عليّ، و جعفر بن محمّد، و موسى بن جعفر، و عليّ بن موسى، و محمّد بن عليّ، و عليّ بن محمّد، و الحسن بن عليّ، و الخلف الحجّة.[٤]

و قد نقل في البحار عن النبيّ ﷺ في المجلّد ٣٦ في الباب ٤١ نصوص الرسول ﷺ عليهم ﷺ من الصفحة ٢٢٦ إلى الصفحة ٣٧٣ مأتين و أربعة [و ثلاثين] (٢٣٤) حديثاً، أكثرها من غير طريق الأئمّة ﷺ فراجع مأثورات الشيعة و أهل السنّة تجد صدق ما ذكرنا و تذعن بما أذعنّاه.

[لزوم وجود خليفة للنبيّ عند جميع علماء الإسلام]

الرابع: انعقاد الإجماع من جميع علماء الإسلام على أنّه يلزم وجود خليفة للنبيّ الأعظم ﷺ ينوب بعده منابه، و يتولّى ما يتولّاه، فأفضليّة وجوده في مقابل عدمه و ترك الناس كيفما فعلوا و عاشوا حكم اتّفاقي لا معدل عنه، يحكم به الفريقان من

---

١. الغيبة للنعماني ﷺ، ص ١٠٤ و ١٠٥، ح ٣١ ـ ٣٤، و ص ١١٩ ـ ١٢٤، الباب ٦، ح ٧ ـ ٢١؛ الخصال، ص ٣٨١، ص ٤٧٣، ح ٢٧؛ الغيبة للطوسي ﷺ، ص ١٢٨ ـ ١٣٢، ح ٩٠ ـ ٩٣ و ٩٦؛ صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٤٥٣، ح ١٨٢١/٧؛ سنن أبي داود، ج ٤، ص ١٠٦، ح ٤٢٨٠؛ مسند أبي يعلى الموصلي، ج ١، ص ٤٥٧، ح ٧٤٦٤.

٢. الأمالي للصدوق ﷺ، ص ٣٨٦، المجلس ٥١، ح ٤ و ٥، و ص ٣٨٧، ح ٦ و ٧؛ جامع الأخبار، ص ١٧؛ الصراط المستقيم، ج ٢، ص ١١٢ ـ ١٣٠؛ المسند لأحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٥٥، ح ٣٧٨١، و ص ٧٣، ح ٣٨٥٩؛ المعجم الكبير، ج ١٠، ص ١٥٧، ح ١٠٣١٠؛ المستدرك على الصحيحين، ج ٥، ص ٧٠٢، ح ٨٥٧٦.

٣. الاختصاص، ص ٢٢٤؛ التحصين، ص ٥٧٠؛ الصراط المستقيم، ج ٢، ص ٢٣٨.

٤. راجع: الكافي، ج ١، ص ٢٨٦ ـ ٢٩١، باب ما نصّ الله ﷻ و رسوله على الأئمّة ﷺ واحداً فواحداً. و ورد النصّ أيضاً على كلّ منفرداً في أحاديث كثيرة جدّاً. راجع: الكافي، ج ١، ص ٢٩٢ ـ ٣٢٩.

المسلمين سنّيّهم و شيعيّهم و إن ذهب أهل السنّة إلى أنّ انتخابه موكول إلى الناس، و الشيعة إلى لزوم كونه من الله تعالى، و لو راجعنا الكتاب الكريم و السنّة الثابتة عن النبيّ الأعظم و أهل بيته الأطهار لوجدنا تأييد هذا الإجماع و تسديده، فترى أنّ الله يقول في مقام الإخبار عن الأمم الماضية: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[١]، و معنى الآية أنّ الله لم يدع أمّة من الأمم بغير رسول يأمرهم بعبادة الله و الخضوع لأوامره و نواهيه، و ينهاهم و يجنّبهم عن عبادة الطواغيت الإنسية و الجنّية و أن يكونوا منهم على شقّ و جانب، و الآية تدلّ على أنّ هذا من سنن الله الجارية، و لا فرق في ذلك بين عنوان الرسول و الإمام؛ فإنّه ـ مع أنّ الرسل كانوا أئمّة أيضاً ـ يكون حكم العقل في الأوّل و الآخر مساوياً.

و قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[٢]،

و قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾[٣]،

و قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾[٤]،

و قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٥].

و بالجملة، يمكن أن يقال: إنّ أيّ دليل أقاموه على لزوم بعث الرسل إلى الأمم فهو بعينه دليل مثبت للزوم وجود الإمام العدل في ما بين الناس و وجوب انتخابه؛ فإنّه كما يحتاج إبلاغ الدين إليهم إلى بعث الرسل، و يجب ذلك عقلاً على الله تعالى، فكذلك لا يكون بقاؤه إلّا بالإمام العدل، فالرسول علّة محدثة للدين، و الإمام علّة مبقية، و كلاهما سيّان في لزوم تعيينه على الله.

[ذكر عويصة في المقام و دفعها]

و من هنا يظهر دقيقة أخرى، و هي أنّ ما يستشكله البعض[٦] في خاتمية نبوّة نبينا ﷺ و

---

١. النحل (١٦): ٣٦.
٢. فاطر (٣٥): ٢٤.
٣. يونس (١٠): ٤٧.
٤. الحجر (١٥): ١٠.
٥. الرعد (١٣): ٧.
٦. لم نعثر عليه، نعم هذا الإشكال مستحدثة، يطرح في عصرنا هذا كثيراً.

أنّه كيف لا يبعث الله نبيّاً بعده، و الناس يحتاجون في كلّ عصر إلى من يهديهم و يصلح بالهم؟ و أنّه كيف تبقى القوانين الإسلامية إلى الأبد؟ و كيف تكفي الأحكام المجعولة لعدّة من الناس يعيشون عيش البدو بالنسبة إلى عيش الحضارة في اليوم فضلاً عن الأزمنة الآتية؟ [في غير محلّه][1].

و تنحلّ هذه العويصة[2] بأنّ وجود الإمام هو في الحقيقة دوام وجود النبيّ الأعظم، و الإمامة استمرار مقام النبوّة، فحياة الأئمّة ﷺ عبارة عن مراحل استمرار حياة النبيّ، فهو حيّ إلى يوم القيامة، و لا معنى لبعث الرسول اللاحق مع فرض حياة المبعوث السابق.

و حيث إنّ للنبيّ بوجوده المستمرّ تسلّط على الأحكام و القوانين السماوية، فله التصرّف فيها بزيادة أو نقيصة على طبق ما يراه من المصلحة بالنسبة إلى حال الناس و الحكم الجاري في حقّهم، فكلّما فرض تغيّر كيفيّة العيش الإنساني في التمدّن و التكامل و الانتقال من البدو إلى الحضارة، فللإمام الحاكم عليهم و على أحكامهم أن يطبّق عيشهم على الأحكام الثابتة، أو يطبّق الأحكام على حالهم، نعم لا يكون ذلك إلّا في فروع خاصّة و أحكام جزئية، لا في أمّهات مسائل الدين و أصولها؛ فالإشكالات المتولّدة في عصرنا هذا في خاتمية نبوّة النبيّ الأعظم، أو في قابلية بقاء دينه إلى الأبد و إلى يوم القيامة ناشئة من عدم الاعتقاد بالإمام، أو عدم معرفة قام الإمام و شؤونه و أوصافه.

[لزوم وجود الإمام العدل على ضوء الأحاديث]

هذا كلّه في تأييد الكتاب الكريم حكم العقل، و أمّا ما ورد في المقام من الأخبار فهي و إن صدرت عن أئمّة أهل البيت ﷺ و الكلام فعلاً في إثبات إمامتهم إلّا أنّها توافق حكم العقل، فنذكرها تأييداً، مع أنّا و إن لم نقل بإمامتهم المنصوصة فلابدّ من أن نقول بحجيّة أقوالهم، كالرواة الثقات التي يتمسّك بأحاديثهم، و ذلك لما عرفت في توضيح

---

١. ما بين المعقوفين أضفناه؛ ليكون خبراً لـ«أنّ» في قوله ﷺ: «و هي أنّ ما يستشكله البعض».

٢. العويصة، أي المشكلة، من العَوَص، و هو ضدّ الإمكان و اليسر. راجع: لسان العرب، ج ٧، ص ٥٧؛ المصباح المنير، ص ٤٣٨ (عوص).

معنى حديث الثقلين.[١]

و بالجملة، فقد عقد علماء الشيعة ـ رضوان الله عليهم ـ في هذا المقام باباً في كتبهم الحديثية، و سمّوه بباب الاضطرار إلى الحجّة،[٢] و أوردوا فيه أحاديث كثيرة تهدي الطالب إلى مرماه بدلالة عقله، و تسلك بروّاد الحقيقة إلى ما قصده بالتمسّك بالكتاب، فغالب تلك الأخبار في الحقيقة إرشاد للعقل السليم، أو تعليم للتمسّك بالكتاب الكريم.

فمن ذلك البحث الجدلي الدقيق الذي وقع بين هشام بن الحكم و بين عمرو بن عبيد في الإمامة، و فيه: قال: قلت له: ألك قلب؟ قال: نعم، قلت: و ما تصنع به؟ قال: أميّز به كلّ ما ورد على الجوارح، قلت: أفليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ قال: لا، قلت: و كيف ذلك و هي صحيحة سليمة؟ قال: يا بنيّ! إنّ الجوارح إذا شكّت في شيء شمّته، أو رأته، أو ذاقته، أو سمعته، أو لمسته ردّته إلى القلب، فيتيقّن اليقين، و يبطل الشكّ، فقلت: إنّما أقام الله القلب لشكّ الجوارح؟ قال: نعم، قلت: فلابدّ من القلب و إلّا لم يستقم الجوارح؟ قال: نعم، قلت: يا أبا مروان! إنّ الله لم يترك جوارحك حتّى جعل لها إماماً يصحّح لها الصحيح، و يتعيّن ما شكّ فيه، و يترك هذا الخلق كلّهم في حيرتهم و شكّهم و اختلافهم، لا يقيم لهم إماماً يردّون إليهم شكّهم و حيرتهم، و يقيم لك لجوارحك تردّ إليه حيرتك و شكّك، قال: فسكت و لم يقل شيئاً، إلى آخره.[٢]

و في خبر حسن بن زياد عن أبي عبدالله قال: «لا يصلح الناس إلّا بالإمام، و لا تصلح الأرض إلّا بذلك».[٣]

و في عدّه روايات عن الباقرين عليهما السلام: «إنّ الأرض لا تبقى إلّا و منّا فيها من يعرف الحقّ، فإذا زاد الناس قال: قد زادوا، و إذا نقصوا منه قال: قد نقصوا، و لولا ذلك لم يعرف الحقّ و الباطل».[٤]

---

١. راجع الصفحة ٢٠٠ و ما بعدها.

٢. الكافي، ج ١، ص ١٧٠، باب الاضطرار إلى الحجّة، ح ٣، مع تفاوت يسير.

٣. علل الشرائع، ج ١، ص ١٩٧، الباب ١٥٣، ح ٩.

٤. المحاسن، ج ١، ص ٢٣٦، ح ٢٠١؛ بصائر الدرجات، ص ٣٥١ و ٣٥٢، الباب ١٠، ح ٤ و ٥ و ٩؛ علل الشرائع، ج ١، ص ١٩٩ و ٢٠١، الباب ١٥٣، ح ٢٥ و ٢٦ و ٣١، مع تفاوت يسير.

و في رواية علل الفضل عن الرضا ﷺ: «و منها أنّا لا نجد فرقة من الفرق و لا ملّة من الملل بقوا و عاشوا إلّا بقيّم و رئيس لما لابدّ لهم منه في أمر الدين و الدنيا، فلم يجز في حكمة الحكيم أن يترك الخلق ممّا يعلم أنّه لابدّ لهم[١] منه، و لاقوام لهم إلّا به، فيقاتلون به عدوّهم، و يقسمون به[٢] فيئهم، و يقيم لهم جمعهم و[٣] جماعتهم، و يمنع ظالمهم من مظلومهم»،[٤] إلى آخره.

فراجع المجلّد ٢٣ من البحار الجديدة، و قد نقل المحدّث المجلسي ﷺ في الباب الأوّل من الكتاب (باب الاضطرار إلى الحجّة) ١١٦ حديثاً،[٥] كلّها يدلّ على لزوم وجود الإمام و الحجّة بين الناس في كلّ عصر و زمان.

و راجع الكتاب الثاني من الكافي، و هو كتاب الحجّة، و الباب الأوّل [منه، و هو][٦] باب الاضطرار إلى الحجّة.[٧]

ثمّ إنّه إذا ثبت عقلاً وجوب وجود الإمام، فهل الأصلح لحال الأُمّة و الأقرب إلى غرض الله تعالى بالنظر إلى قضاوة العقل، هو إحالة انتخابه إلى الناس أنفسهم، أو كون تعيينه من قبل الله و إبلاغ رسوله؟

لا إشكال في رجحان الثاني و لزومه، فإنّ الإحالة إلى الناس ـ مع تسرّي الهوى و اتّباع الشهوات في أُمورهم و اقتضاء طباع الناس و طينتهم خلاف ما تقتضيه عقولهم و أحلامهم ـ غير سديد، مع ما نراه اليوم في الحكومات الانتخابية من الزيغ و الأهواء و الانحراف عن الحقّ و الظلم و الجهالات، كيف و قد أثبتت التجارب حال الانتخابات البشرية؟

---

١. في العيون: + «له».
٢. في العيون: ـ «به».
٣. في العلل: «و يقيمون به» بدل «و يقيم لهم جمعهم و».
٤. علل الشرائع، ج ١، ص ٢٥٣، الباب ١٨٢، ح ٩؛ عيون أخبار الرضا ﷺ، ج ١، ص ١٠٨، الباب ٣٤، ح ١.
٥. بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٢ ـ ٥٦. و أحاديث الباب ١١٨ حديثاً.
٦. في الأصل: «من» بدل ما بين المعقوفين، و الصحيح ما أثبتناه.
٧. الكافي، ج ١، ص ١٦٨ ـ ١٧٤، باب الاضطرار إلى الحجّة.

و يدلّ على ذلك ظاهر قوله تعالى: ﴿وَ قَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۞ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[1].

فالنبوّة رحمة من عند الله على خلقه و نعمة من نعمه، و كأنّهم أرادوا أن يكون قسمتها بأيديهم و باختيارهم؛ ليمنحوها لأحد رجلين من القريتين: الوليد بن المغيرة من مكّة، و أبي مسعود الثقفي من الطائف، فأخبر الله تعالى بأنّ الناس ليس لهم أمر بعد مشيّة الله تعالى، كيف و لم يجعل قسمة أرزاقهم بأيديهم، بل الله تعالى قسمها بينهم؟ فكيف بمقام النبوّة و الإمامة؟! فهي أمر إلهي لا تنالها عقولهم و أحلامهم، و لا تصل إليها أيديهم، كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾[2]، و قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[3].

و في حديث سعد بن عبدالله القمّيّ قال: سألت القائم ﷺ و هو في حجر أبيه، فقلت: أخبرني يا مولاي عن العلّة التي تمنع القوم من اختيار إمام لأنفسهم، قال: «مصلح أو مفسد؟»، قلت: مصلح، قال: «هل يجوز أن تقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد؟»، قلت: بلى، قال: فهي العلّة، أيّدتها لك ببرهان، يقبل ذلك عقلك»، قلت: نعم.

قال ﷺ: «أخبرني عن الرسل الذين اصطفاهم الله، و أنزل عليهم الكتب، و أيّدهم بالوحي و العصمة؛ إذ هم أعلام الأمم و أهدى أن لو ثبت الاختيار، و منهم موسى و عيسى، هل يجوز مع وفور عقلهما و كمال علمهما؛ إذا هما بالاختيار أن تقع خيرتهما على المنافق، و هما يظنّان أنّه مؤمن؟»».

قلت: لا، قال: «فهذا موسى كليم الله مع وفور عقله و كمال علمه و نزول الوحي

---

۱. الزخرف (٤٣): ٣١ و ٣٢. ۲. القصص (٢٨): ٦٨.

۳. الأحزاب (٣٣): ٣٦.

عليه، اختار من أعيان قومه و وجوه عسكره لميقات ربّه سبعين رجلاً ممّن لم يشكّ في إيمانهم و إخلاصهم، فوقعت خيرته على المنافقين، قال الله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَـٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾[1]. فلمّا وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله لنبوّة على الأفسد، و هو يظنّ أنّه الأصلح دون الأفسد، علمنا أن لا اختيار لمن لا يعلم ما تخفي الصدور و ما تكنّ الضمائر و تنصرف عنه السرائر، و أن لا خطر لاختيار المهاجرين و الأنصار بعد وقوع خيرة الأنبياء على ذوي الفساد؛ لما أرادوا أهل الصلاح».[2]

و في رواية البزنطي حينما دخل على الرضا ﷺ في القادسية، فسأله عن الحجّة بعده، إلى أن قال الإمام: «أما علمت أنّ الإمام الفرض عليه و الواجب من الله إذا خاف الفوت على نفسه أن يحتجّ في الإمام من بعده بحجّة معروفة مبيّنة، إنّ الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمَاۢ بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾[3]».[4]

ثمّ إنّه بعد ثبوت المقدّمتين العقليتين ـ وهما أنّ وجود الخليفة بعد النبيّ لازم، و أنّ اختياره لابدّ أن يكون من عند الله و بإبلاغ النبيّ ﷺ ـ يمكن دعوى القطع بأنّ المختار للخلافة هم الأوصياء الاثني عشر أئمّة أهل البيت ﷺ، إذ عدم تعيين أبي بكر و عمر و عثمان من عند الله إجماعيّ بين الفريقين، و لا نجد غير الأئمّة المذكورين من يدّعي الخلافة، و يليق بها من جميع الجهات.

و يحصل القطع بالأمر بعد مراجعة ما ورد في حقّهم من النصوص و ما ورد في شؤونهم و أوصافهم من الكمال و الجدارة لتصدّي أمور الأمّة من حيث العلم و الفضائل النفسية الخلقية و الأفعال الحسنة الجميلة.

---

١. الأعراف (٧): ١٥٥.

٢. كمال الدين، ص ٤٦١ و ٤٦٢؛ الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٧٣ و ٢٧٤؛ بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٦٨ و ٦٩، ح ٢، مع تفاوت يسير.

٣. التوبة (٩): ١١٥.

٤. قرب الإسناد، ص ٣٧٧، ح ١٣٣١، و عنه في بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٦٧، ح ١.

[لزوم تعيين الخليفة العالم بالقرآن و المبيّن له من قبل الله تعالى]

الخامس: أنّه لا إشكال في كون المقصود من إنزال القرآن على النبيّ الأعظم و أمره بتلاوته على الناس و إبلاغه للمجامع البشرية، هو أن تتلقّاه المجتمعات بالقبول فتهتدوا، و أن يتفهّموا معارفه، و يتفقّهوا فيه، و يتدبّروا آياته، فيكونوا عالمين بحقائقه، عاملين بها، رافعين من بينهم الاختلاف بتحكيمها، و هذا ـ أعني كون الكتاب حاكماً بين الناس و رافعاً لاختلافهم ـ من أهمّ ما قصد من إنزال الكتب السماوية قال تعالى:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[1]؛

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2]؛

﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[3]؛

﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[4]؛

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾[5]؛

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[6]؛

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[7]؛

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾[8].

ثمّ لا إشكال أيضاً في أنّ ترك الكتاب في ما بين الناس و إيكال الأمر في تعليمه و تعلّمه و نشره و العمل به إلى نفس المجتمع و عدم تعيين من يعلّمه، و يدرك معارفه، و يتعهّد إبلاغه، إضاعة له و قصور و نقض غرض؛ فإنّه بنفسه لا ينزل في المجتمع منزلة، و لا يأخذ فيهم موطنه، و لا يزيل الاختلاف عنهم، و لا يرفع التشتّت و التفرقة من بينهم، بل هو حمّال ذو وجوه، قابل لتحمّل المعاني المختلفة، ألا ترى أنّه يتمسّك كلّ

---

۱. النحل (۱٦): ۸۹.
۲. ص (۳۸): ۲۹.
۳. الجاثية (٤٥): ۲۰.
٤. الشورى (٤۲): ٥۲.
٥. البقرة (۲): ۲۱۳.
٦. النحل (۱٦): ٦٤.
۷. الحديد (٥۷): ۲٥.
۸. النساء (٤): ۱۰٥.

طائفة في إثبات مدّعاه بآية، فيأخذها حجّة و دليلاً، و كلّ حزب بما لديهم فرحون[١]، و لعلّ الكلّ على خلاف الحقّ؟ قال تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾[٢].

و عن عليّ ﷺ: «هذا القرآن إنّما هو خطّ مسطور بين الدفّتين، لا ينطق بلسان، و لابدّ [له][٣] من ترجمان، و إنّما ينطق عنه الرجال».[٤]

و قال ﷺ: «فَجاءهم بتصديق الذي بين يديه و النور المقتدى به ذلك القرآن، فاستنطقوه، و لن ينطق، و لكن أُخبركم عنه»[٥] إلى آخره.

و قال ﷺ لابن عبّاس لمّا بعثه للاحتجاج على الخوارج: «لا تخاصمهم بالقرآن؛ فإنّه حمّال ذو وجوه، تقول و يقولون، و لكن حاججهم بالسنّة؛ فإنّهم لن يجدوا عنها محيصاً».[٦]

لا يقال: مقتضى هذا البيان عدم جواز التمسّك بالقرآن؛ فإنّه حمّال ذو وجوه، كما يظهر من نهي عليّ ﷺ من التمسّك به، مع أنّه كتاب أُنزل دليلاً على كلّ حيّ و تبياناً لكلّ شيء و هدى و رحمة للعالمين.[٧]

فإنّا نقول: للقرآن نصوص و ظواهر و متشابهات من حيث المفهوم و المصداق، لا ريب في جواز التمسّك بنصوصه لمن استجمع شرائط الاستفادة منه بلا مراجعة أحد أو دليل آخر؛ فإنّ النصّ هو الظاهر الذي لا يحتمل الخلا فيه، و ليس ذلك سبباً للاختلا أيضاً. و أمّا الظواهر فيجوز التمسّك بها مع الفحص عن المعارض، و هي أيضاً لا تكون على الغالب منشأ للنزاع و لا مدركاً لكلا المتنازعين و إن امكن أحيانا أن يؤوّله كلّ من المتخالفين إلى ما رامه، و يجرّ كلّ منهما النار إلى قرصه، فعلم أنّ منشأ الاختلاف أمران:

أحدهما: وجود المتشابه في القرآن و كونه حمّالاً ذا وجوه، يفسّره هذا بما ينفعه، و هذا بما يفيده.

---

١. اقتباس من الآية ٥٣ من سورة المؤمنون (٢٣).
٢. آل عمران (٣): ٧.
٣. ما بين المعقوفين أثبتناه من المصدر.
٤. نهج البلاغة، ص ١٨٢، الخطبة ١٢٥.
٥. نفس المصدر، ص ٢٢٣، الخطبة ١٥٨.
٦. نفس المصدر، ص ٤٦٥، الوصيّة ٦٧.
٧. اقتباس من الآية ٨٩ من النحل (١٦).

و الثاني: أنّه لأجل عمق باطنه و بعد مفهومه و مرماه عن أن تناوله عقول العامّة؛ لعدم كونه مختصّاً بشخص خاصّ و لا زمان معين و لا مكان محدود، فلا محالة يقع الاختلاف في إدراك مفاهيمه، فيدرك هذا معنى و ذاك معنى آخر، و يستفيد هذا البعض غير ما يستفيده البعض الآخر، فلا يكون رافعاً للخلاف، و هذا ممّا شاهدناه إلى الآن، و نشاهده بالوجدان.

و يظهر بعض ما ذكرناه من قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾،[1] فالآية تشهد بوقوع التمسّك بالمتشابه طلباً للافتنان، و من مصاديقه استدلال كلّ من الأحزاب الباطلة بشيء منه على مقصده.

ففي الكافي في صحيحة منصور بن حازم عن أبي عبدالله عليه السلام ـ بعد أن عرض له عليه السلام شيئاً من معرفة الله و معرفة رضاه و سخطه و قوله عليه السلام: «صدقت» ـ قال: و قلت للناس: أليس تعلمون أنّ رسول الله كان الحجّة على خلقه؟ قالوا: بلى، قلت: فحين مضى رسول الله من كان الحجّة لله على خلقه؟ قالوا: القرآن، فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم به المرجئ[2] و القدريّ[3] و الزنديق[4] الذي لا يؤمن به حتّى يغلب الرجال

---

١. آل عمران (٣): ٧.

٢. هو إمّا مرجى، مثل معطي، من المرجية بالياء، أو مرجئ من المرجئة بالهمزة، كلاهما بمعنى التأخير، و هي اسم فرقة من فرق الإسلام، يعتقدون أنّه لا يضرّ مع الإيمان معصية، و لا ينفع مع الكفر طاعة، سمّوا به لاعتقادهم أنّ الله أرجأ تعذيبهم على المعاصي، أي أخّره عنهم. و قد تطلق على من أخّر أمير المؤمنين عليه السلام عن مرتبته. راجع: النهاية، ج ٢، ص ٢٠٦ (رجا)؛ شرح أصول الكافي للعلّامة المازندراني رحمه الله، ج ٥، ص ١٠٤؛ مرآة العقول، ج ٢، ص ٢٦٣.

٣. القدريّ: من هو من القدريّة، و هي تطلق على المجبّرة و المفوّضة، كلّ يسمّي خصمه قدريّة. فللمزيد راجع: مرآة العقول، ج ٢، ص ١٧٨ ـ ١٨١.

٤. الزنديق: من الثنويّة، أو هو القائل بالنور و الظلمة، أو هو من لا يؤمن بالآخرة و الربوبيّة، و هذا ما تقوله العامّة: ملحد و دهريّ، و هذا المعنى مناسب هاهنا؛ لأنّ المراد به هنا من لا يقرّ بالصانع تعالى أصلاً. أو من يبطن الكفر و يظهر الايمان، أو هو معرّب «زَنْ دين»، أي من كان دينه دين المرأة في الضعف، أو معرّب «زنده»، أي من يقول بدوام بقاء الدهر، أو معرّب «زِنْديّ» منسوب إلى «زِنْد» كتاب زردشت الذي أظهر مزدك. راجع: القاموس ←

بخصومته، فعرفت أنّ القرآن لا يكون حجّة إلّا بقيّم، فما قال فيه من شيء كان حقّاً ـ إلى أن قال ـ: فأشهد أنّ عليّاً كان قيّم القرآن، و كانت طاعته مفترضة، و كان الحجّة على الناس بعد رسول الله، و أنّ ما قال في القرآن فهو حقّ.[1]

و في خبر يونس بن يعقوب قال: كنت عند أبي عبدالله ﷺ، فورد عليه رجل من أهل الشام، ثمّ ذكر حديث مناظرته مع هشام بن الحكم، قال له الصادق ﷺ: «كلّم هذا الغلام» ـ هشاماً[2] ـ فقال لهشام سلني: قال[3]: يا هذا أربّك أنظر لخلقه، أم خلقه لأنفسهم؟

فقال الشامي: بل ربّي أنظر لخلقه، قال: ففعل بنظره لهم ماذا؟ قال: أقام لهم حجّة و دليلاً؛ كيلا يتشتّتوا، أو يختلفوا، يتألّفهم، و يقيم أودهم،[4] و يخبرهم بفرض ربّهم، قال: فمن هو؟ قال: رسول الله ﷺ، قال هشام: فبعد رسول الله ﷺ؟ قال الكتاب و السنّة قال هشام: فهل نفعنا اليوم الكتاب و السنّة في رفع الاختلاف عنّا.

قال الشامي: نعم، قال: فلم اختلفنا أنا و أنت، و صرت إلينا من الشام في مخالفتنا إيّاك؟ قال: فسكت الشامي، فقال أبو عبدالله ﷺ: للشامي: «ما لك لا تتكلّم؟»، قال الشامي: إن قلت: لم نختلف كذبت، و إن قلت: إن الكتاب و السنّة يرفعان الاختلاف أبطلت؛ لأنّهما يحتملان الوجوه،[5] إلّا أنّ لي عليه هذه الحجّة، فقال ﷺ[6]: «سله، تجده مليّا[7]»، فسأل مثل ذلك، إلى أن قال: فهل أقام لهم

↔ المحيط، ج ٣، ص ٢٤٢ (زندق)؛ شرح أصول الكافي لصدر المتألّهين ﷺ، ص ٢١٦؛ شرح أصول الكافي للعلّامة المازندراني ﷺ، ج ٣، ص ٦؛ الوافي، ج ١، ص ٣١١؛ مرآة العقول، ج ١، ص ٢٣٦.

١. الكافي، ج ١، ص ١٦٨ و ١٦٩، باب الاضطرار إلى الحجّة، ح ٢؛ علل الشرائع، ج ١، ص ١٩٢، باب ١٥٢، ح ١، مع تفاوت يسير.

٢. في المصدر: «يعني هشام بن الحكم، فقال: نعم».

٣. في المصدر: «يا غلام! سلني في إمامة هذا، فغضب هشام حتّى ارتعد، ثمّ قال للشامي».

٤. الأود، بالتحريك: الاعوجاج. الصحاح، ج ٢، ص ٤٤٢ (أود).

٥. في المصدر: + «و إن قلت: قد اختلفنا، و كلّ واحد منّا يدّعي الحقّ، فلم ينفعنا إذن الكتاب و السنّة».

٦. في المصدر: + «أبو عبد الله».

٧. في شرح أصول الكافي للعلّامة المازندراني ﷺ، ج ٥، ص ١٢١: «المليء، بالهمزة: الغنيّ المقتدر، و قد يترك ↔

الحجّة؟[١] قال هشام: في وقت رسول الله ﷺ أو الساعة؟

قال الشامي: في وقت رسول الله ﷺ، و الساعة من؟ فقال هشام: هذا القاعد الذي تشدّ إليه الرحال ...[٢] سله عما بدا لك.[٣]

فتحصّل من تينك المقدّمتين أنّ القرآن من حيث اشتماله على المتشابهات لا يكون رافعاً للخلاف رأساً و إن كان كذلك في الجملة، إذاً فاللازم بحكم العقل بعد ارتحال النبيّ ﷺ وجود فرد في كلّ زمان عالم بجميع مفاهيمه و استخراج جميع الأحكام اللازمة للأُمم من متنه و بطنه، قادر على إرجاع متشابهاته إلى محكماته، عادل في ذاته، قويّ في الوفاء بما عليه من التكليف في تفسيره و تعليمه؛ لئلّا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل،[٤] و لا يقول أحد: ربّنا لولا أرسلت إلينا رسولاً منذراً و ما أقمت لنا علماً هادياً فنتّبع آياتك من قبل أن نذلّ و نخزى،[٥] و من الواضح أنّه لا يكون الجاهل و الفاسق و العاجز جديراً بالنيابة عن النبيّ الأعظم.

ثمّ إنّ تعيين ذاك الشخص إن كان موكولاً إلى اختيار الناس جاء فيه ما سمعت، فنستشكف أنّه قد عيّنه النبيّ ﷺ، و حيث إنّه قام الإجماع من جميع المسلمين على عدم تعيين الخلفاء الثلاثة، فلا جرم ينحصر في الأئمّة الاثني عشر ﷺ؛ لعدم دعوى أحد غيرهم ذلك و عدم أهليته كذلك.

و ليعلم أيضاً أنّ لزوم تعيين الخليفة العالم بالقرآن المبيّن له ـ كما عرفت[٦] ـ أمر، و

↩ الهمزة و يشدّ الياء، أي تجد غنيّاً بالعلم مقتدراً على المناظرة». و راجع: النهاية، ج ٤، ص ٣٥٢ (ملأ)؛ مرآة العقول، ج ٢، ص ٢٧٢.

١. في المصدر: «فقال الشامي: فهل أقام من يجمع لهم كلمتهم، و يقيم أودهم، و يخبرهم بحقّهم من باطلهم؟».

٢. في المصدر: «و يخبرنا بأخبار السماء و الأرض وراثة عن أب عن جدّ، قال الشامي: فكيف لي أن أعلم ذلك؟ قال هشام» بدل النقاط.

٣. الكافي، ج ١، ص ١٧٢ و ١٧٣، باب الاضطرار إلى الحجّة، ح ٤.

٤. اقتباس من الآية ١٦٥ من سورة النساء (٤).

٥. اقتباس من الآية ١٣٤ من سورة طه (٢٠).

٦. أي قبيل هذا.

طاعة الأُمّة و الانقياد له و الأخذ منه أمر آخر. و الكلام فعلاً في إثبات أنّ الله قد أنجز ما هو مقتضى إحسانه و إنعامه، و نصب من يجب نصبه و تعيينه. فأعلن برهانه، و بلّغ حجّته.

و أمّا رجوع الناس إليهم فهو ممّا أمرهم به، و حثّهم عليه، لكنّه موكول إلى اختيار الناس، و لا إكراه في ذلك و لا إجبار. فمسألة إتمام الحجّة على الخلق و لزوم تحقّقه من ناحية الله تعالى بنصب الإمام العدل على الأمم بحيث يلزم من الإخلال به صدور القبيح من الحكيم تعالى، هي المبحوث عنها في المقام، و هي المدّعى ثبوتها و تحقّقها من قبل الله.

و أمّا مسألة أنّه هل تحقّق رجوع الخلق إلى المنصوب من قبله، أو أنّه هل يجب على الله أن يجبرهم على الطاعة، أم لا يجب؟ فهي أمر لسنا بصدد بيانه، مع أنّه من الواضح عدم تحقّق كلا الأمرين.

[لزوم تعيين الخليفة حفظاً للشريعة والدين من قبل الله تعالى]

السادس: أنّه لا إشكال في أنّ الله ـ تعالى شأنه ـ شرع لكلّ قوم و أمّة من أوّل أزمنة استعدادهم لتحمّل الدين و الشريعة و اقتضاء حالهم ذلك ديناً و شريعة يشتمل على أُصول اعتقادية و فروع عملية و مناهج أخلاقية، نظمها و شرعها عن علم بحال عباده و إحاطة بصلاحهم و فسادهم، فأوجب ما حسن إيجابه، و حرّم ما صلح تحريمه.

ثمّ أنزلها على أنبيائه عصراً بعد عصر و برهة بعد برهة إلى أن انتهى الأمر إلى شريعة محمّد ﷺ، فأنزلها إليه في مدّة معيّنة، و هي الوقت الفاصل بين مبعثه و رحلته، فأمره بإبلاغها إلى الناس فبلّغ ما أمر به ربّه، و أتعب في ذلك نفسه الزكية، و تحمّل في طريقة الجهد الجهيد، و جاهد في إبلاغه إلى العباد حقّ الجهاد، و أضحى في سبيله بنفسه و أُسرته و نفوس قوم من المؤمنين حتّى أشاد بنيانه، و أوضح برهانه، و أسّس أساسه، و أوقد نبراسه، فبلّغ رسالات ربّه كما أمره لا متوانياً و لا مقصّراً.

ثمّ إنّه قد أخبر مراراً بأنّ دينه و شرعه شريعة إلهية عالمية خاتمة الشرايع، قيّمة لا تنسخ، باقية لا تزول، تستمر إلى يوم القيامة، جاء بها من عند الله للخلق كلّهم، أبيضهم

و أسودهم، عربيّهم و أعجميّهم، كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾.[١]

و قد تعرّضنا في ما سبق لكون شريعة محمّد ﷺ عامّة للناس كلّهم و للأعصار كلّها إلى أن تقوم الساعة.

ثمّ إنّه بعد ما جاءه نصر من الله و فتح، و رأى الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، سبّح بحمد ربّه،[٢] و قضى بأمره نحبه،[٣] فانتقل إلى دار البقاء، و فاز بشرف اللقاء.

و حينئذ فيبقى هنا سؤال ـ نظير ما ذكرناه في الدليل السابق ـ و هو أنّه هل يجب عقلاً و لطفاً على منزّل الشريعة و شارعها و على رسوله الصادع لتبليغها و نشرها، أن ينصبا و يعيّنا شخصاً لرعايتها و حفظها عن الزيادة و النقصان و الاندراس و النسيان و إبلاغها الجاهلين، أو يجوز ترك ذلك و إحالة الأمر إلى الناس أنفسهم؟

فإن قال الخصم: لا يجب ذلك، قلنا: فلِمَ وجب تشريعها؟ و إن قال بالل زوم و الوجوب، سألناهم عمّن عيّنه الله و نصبه، و الإجماع منعقد بين المسلمين على عدم تعيين الخلفاء الثلاثة، كما عرفت،[٤] فوجب كونه الأئمّة الاثني عشر ﷺ؛ لما عرفت.[٥]

خاتمة

إذا فرضنا بعد ارتحال النبيّ الأعظم مجتمعاً عظيماً أو مملكة ليس لهم دين و لا رئيس قائم بالأمر، فأردنا إقامة الدولة الإسلامية و الحكومة الدينية الإسلامية الإلهية، فكيف يكون حال هذا المجتمع في شتّى الأبعاد حياتهم و مآل عيشهم و عاقبة أمرهم إذا

---

١. الفرقان (٢٥): ١.

٢. اقتباس من سورة النصر (١١٠).

٣. اقتباس من قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ مَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ الأحزاب (٣٣): ٢٣. و في الوافي، ج ٥، ص ٧٩٩: «﴿قَضَى نَحْبَهُ﴾، أي مات على الوفاء بالعهد، و النحب جاء بمعنى النذر أيضاً، و بمعنى الأجل و المدّة، و الكلّ محتمل هنا». و راجع أيضاً: النهاية، ج ٥، ص ٢٦ (نحب).

٤. أي في طيّ المباحث الماضية قبل صفحات إلى هنا.

٥. أي في طيّ المباحث الماضية قبل صفحات إلى هنا.

عملنا فيهم بما يعتقده أهل السنّة على ما فهموه من الكتاب و السنّة؟ و كيف الحال إذا سبكنا ذاك المجتمع في قالب معتقدات الشيعة، و صوّرناهم على طبق ما فهموه من كتاب الله و أحاديث المعصومين من أهل البيت؟

فنقول: أمّا على الأوّل فتجتمع عدّة منهم ـ قليلة أو كثيرة ـ تحت سقيف، فينتخبون واحداً منهم بخلافة النبيّ الأقدس، و زعامة الأمّة، و لا يشترط في ذلك حضور جميع الخواصّ و رجال العلم و الدراية من الأمّة فضلاً عن حضور الجميع، بل و لا يشترط اطّلاعهم على ذلك و لا رضاهم به، فإذا وقعت البيعة لمن انتخبوه صار هو أمير المؤمنين و الخليفة في الأرضين و إمام الأمّة، فوجبت على الجميع طاعته، و حرمت عليهم مخالفته، فصار مصداقاً لأولى الأمر، و شمله قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾،[١] فيشرع في تدبير أمر الأمّة و تعليمهم الكتاب و الحكمة و حقائق الدين و معارف الإسلام، فإذا مات و ارتحل انتخبوا شخصاً آخر من بينهم بما يشبه الانتخاب الأوّل، و لو اتّفق انحراف الخليفة عن الحقّ في مورد إقامته الأمّة، أمرته[٢] بالمعروف، و نهته عن المنكر، و لو جهل شيئاً سألهم عنه، و إن جهلوه عطّلوه، و كذلك ينتخب الثالث و الرابع، و لا يزال أمر الأمّة على هذا المنوال بخير و صلاح إلى أن ينقضي عمر الدنيا!!

هذا ما يتصوّر[٣] من النظم الأتمّ الأكمل في الإسلام على رأي إخواننا أهل السنّة، و هذا منتهى غرض الله من خلق الدنيا و خلق الإنسان و إنزال الكتب و القرآن و نهاية أمنيّة نبيّه الأعظم من دعوته و إبلاغ دينه!!

[أسئلة هامّة حول الشورى]

و ليس لأحد أن يستشكل في أمر تلك الشورى:

١. و أنّه لم يحضرها إلّا قليل.

٢. و أنّه لماذا صار مقتضاها الخلافة الدائمية دون الموقّتة؟!

---

١. النساء (٤): ٥٩.

٢. في الأصل: «و أمرته»، و الصحيح ما أثبتناه جزاءً لـ«لو».

٣. في الأصل: «يتصوّره»، و الصحيح ما أثبتناه.

٣. و أنّه لماذا لا يختلّ أمر الانتخاب و لو اعترف مؤسّسها أنّ تلك البيعة كانت فلتة، وقى الله المسلمين شرّها؟![1]

٤. و أنّه لماذا لا يضرّ بصحّته و لو قال نفس الخليفة المنتخب: أقيلوني و لست بخيركم؟![2]

٥. و أنّه لماذا وجبت طاعته و لو كان في ما بين الأُمّة من هو أعلم منه و أفضل، بل و لو كان فيهم من هو مساو له؟! قال القاضي البيضاوي في ذيل قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[3].

يريد بهم أُمراء المسلمين في عهد الرسول ﷺ و بعده، و يندرج فيهم الخلفاء و القضاة و أُمراء السريّة. أمر الناس بطاعتهم بعد ما أمرهم بالعدل تنبيهاً على أنّ وجوب طاعتهم ماداموا على الحق.[4]

٦. و أنّه إذا كان إرسال النبيّ ﷺ و إنزال القرآن لأجل تكامل النفوس البشرية و تعاليها و نيلها أعلى مراتب الرُّقِيّ[5] الإنساني المتصوّر في العلم و الأخلاق الفاضلة و الأعمال، فكيف يحصل هذا الغرض إذا كان القيّم بأمر الأُمّة و خليفة النبيّ رجلاً منهم و مثلهم، إذا اعوجّ أقاموه، و إذا أخطأ نبّهوه، و إذا عصى لم يطيعوه؟!

٧. و أنّه إذا كثر المسلمون فانتخب أهل كل ناحية خليفة بالشورى، فهل تبطل خلافة الجميع، أو تصحّ خلافة الجميع، أو تصحّ خلافة واحد منهم معين، أو غير معين؟ و أيضاً لو خالف الخلفاء بعضهم مع بعض، فهل يكون الجميع محقّين، أو مبطلين؟ و ماذا يكون حال الأُمّة؟ و ما هو تكليفهم؟

٨. و أنّه كيف تدوم و تستمرّ هذه الكيفية ـ بعد فرض عدم وجود إمام عالم بجميع

---

١. قد تقدّم معنى الفلتة و مصادر الكلام على التفصيل في الصفحة ٢٠٢.

٢. قد مضى تخريجه من مصادره المتعدّدة على التفصيل في الصفحة ٢١٠.

٣. النساء (٤): ٥٩.

٤. أنوار التنزيل، ج ٢، ص ٨٠.

٥. يقال: رقي إلى الشيء، بالكسر رُقِيّاً و رُقُوّاً، أي صعد، و رقيت في السلّم رَقْياً و رُقِيّاً، إذا صعدت. لسان العرب، ج ١٤، ص ٣٣١ (رقا).

الأحكام، معصوم عن الخطأ و الزلل في ما بينهم ـ مع كون الإنسان جاهلاً بنفسه لولا التعليم و الإلهام، مائلاً بالطبع إلى الهوى، غالباً عليه حبّ الشهوة و الرئاسة، تاركاً لما يصعب عليه من الطاعة و العبادة، فيؤول الأمر ـ بعد مدّة قليلة أو طويلة ـ إلى وقوع الاختلاف فيهم و المنازعة و التحارب و القتال بينهم و غلبة الشهوات عليهم، فتعود الجاهلية الجهلاء و الحكومة الشيطانية و الدولة الإبليسية؟

و أمّا على الثاني[١] فهو على قسمين: فتارة يفرض الكلام في ما إذا كان الإمام المنصوب ظاهراً بين الناس، غير غائب و لا مستور، و أُخرى في ما إذا كان مستوراً مغموراً، و هو حال الغيبة.

أمّا على الأوّل فحيث عرفت أنّ الرسول الأعظم ـ على مذهب الشيعة ـ و إن مات و ارتحل إلى دار البقاء بما أنّه كان رسولاً من الله إلى الناس منبّئ عن الله دينه و أحكامه، علّة محدثة للقوانين السماوية الإلهية، فهو بهذه العناوين غير باق بعد موته؛ إذ لا حاجة إلى إحداث دين جديد في كلّ سنة أو عصر مثلاً إلّا أنّه ـ بعنوان أنّه إمام على الأُمّة، وليّ لهم، حاكم عليهم، مدبرّ لأُمورهم، حافظ لشريعتهم، آمر، ناه في ما بينهم ـ لم يمت، و لا يموت أبداً، بل هو باق بوجوده التبديلي التنزيلي، و هو وجود الأئمّة من بعده إلى آخر الدنيا، بل لو كان في الدنيا اثنان فهو أحدهما، و لو مات أحدهما قبل الآخر فهو ثانيهما.

و لعلّ إلى هذا يشير ما ورد في بعض الأخبار من قولهم: «أوّلنا محمّد، و آخرنا محمّد، و أوسطنا محمّد، و كلّنا محمّد».[٢] أي محمّد و جميع الأئمّة كأنّهم خليفة و إمام واحد باق إلى يوم القيامة، و في بعض الأدعية الواردة في كيفية خطاب الناس للحجّة المنتظر: «عارف بأُولاكم و أُخراكم»،[٣] أي نعرف بتعليمكم أنّ أوّلكم محمّد، و هو باق

---

١. عدل قوله ﷺ: «فنقول: أمّا على الأوّل».

٢. الغيبة للنعماني ﷺ، ص ٨٨، ح ١٦؛ المحتضر، ص ٢٧٧، ح ٣٦٩؛ وصول الأخيار، ص ٤؛ بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٣٦٣، ح ٢٣، و ج ٢٦، ص ٦، ح ١.

٣. لم نعثر عليه، نعم ورد في الزيارة الجامعة: «أُشهد الله و أُشهدكم... أنّي مؤمن بسرّكم و علانيتكم، و شاهدكم و غائبكم، و أوّلكم و آخركم». و ورد في زيارة آل ياسين ﷺ: «فنفسي مؤمنة... بكم يا مولاي، أوّلكم و آخركم». راجع: الفقيه، ج ٢، ص ٦١٤، ح ٣٢١٣؛ الاحتجاج، ج ٢، ص ٣١٧.

بتبادل وجوداته المختلفة تشخّصاً و زماناً، المتماثلة علماً و حكمة و سلطاناً و حكومة إلى يوم القيامة و يوم ينفخ في الصور النفخة الأُولى.

نعم هنا احتمال آخر، و هو أنّه يمكن أن يجيء على الإنسان عصر بعد حكومة الأئمّة و انقضاء زمان الحجّة، يرغب فيه الناس للفجور، و يتجدّد هنا لك جاهلية ثالثة، و تكون أعظم و أفحش من الجاهلية الموجودة و الماضية، و لعلّ قوله تعالى: ﴿وَلَاتَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[1] يوهم وجود أقسام من الجاهلية: أُولاها هي التي كانت قبل الإسلام. و الثانية زماننا هذا و ما يليه من الأزمنة. و الثالثة هي الزمان بعد ظهور الحجّة و بعد أن ملأ الأرض قسطاً و عدلاً.[2]

و عليه فإذا كان الكتاب الذي يجب العمل به هو القرآن، و الدين هو الإسلام، و المجري لهما بين الناس و الحاكم فيهم هو محمّد ﷺ، فما ظنّك بحال هذا المجتمع؟ فالإنسان الإلهي الذي أوجد المجتمع الإسلامي في المدينة المنوّرة في مدّة عشر سنين بتلك الصورة المعجبة من الوحدة الاجتماعية و الأُلفة الباطنية و الظاهرية، فنفخ فيهم روح العلم و الحكمة و الإيمان و العمل حتّى رقوا ففاقوا، و عملوا ففازوا، و ظفروا فراقوا، لو مكث فيهم مآت من الأعوام و آلاف من السنين فكيفما يكون حالهم؟ و هذا هو الأُمنيّة العظيمة أقصى الأمانيّ، و الغرض النهائي أتمّ الأغراض للشيعة الإمامية.

ثمّ إنّك لن تنسى في هذا المقام بحول الله و قوّته ما أشرنا إليه سابقاً من اندفاع عويصة[3] أشكلت على عدّة من المسلمين و غيرهم، بأنّه ما هو السرّ في كون النبيّ الأعظم خاتماً للأنبياء؟ و ما هي العلّة في كون الشريعة الإسلاميّة آخر الشرايع؟ إذ قد عرفت[4]

---

١. الأحزاب (٣٣): ٣٣.

٢. اقتباس من الحديث الشريف الذي روي في حقّ مولانا القائم ـ عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ، و هو هذا: «يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت جوراً و ظلماً». راجع شرح الأخبار للمغربي ، ج ٣، ص ٣٦٣، ح ١٢٣٢؛ الغيبة للنعماني ، ص ٨٣، ح ١٠؛ التوحيد، ص ٨٢، ح ٣٧.

٣. العويصة: المشكلة، من العَوَص، و هو ضدّ الإمكان و اليسر. راجع: لسان العرب، ج ٧، ص ٥٨ (عوص).

٤. أي قبيل هذا قبل أسطر.

حينئذ أنّه بعد فرض بقاء النبيّ الأعظم بوجوده التنزيلي إلى آخر الدنيا، فالنبيّ المبعوث حيّ غير ميّت، و لا معنى لبعث نبيّ آخر، و عرفت[1] أيضاً أنّه كما أنّ للنبيّ بوجوده المستمرّ الدائم حكومة على الأُمّة جميعاً، فكذلك له حكومة على الأحكام الإسلاميّة، فله التصرّف فيها بزيادة و نقصان بما يراه مصلحة، و قد حكّمه تعالى فيها، و أمضى ما تصرّف بعد تصرّفه في موارد كثيرة، فلا مقتضى أيضاً لإنزال دين جديد و تشريع شريعة أُخرى، كما هو واضح.

و أمّا على الثاني[2] ـ و هو فرض الكلام في أمثال زماننا هذا، و هو زمان غيبة الحجّة و العجز عن الوصول إليه ـ فالظاهر لزوم أن يعمل فيه بالشورى، كما اختارها أهل السنّة، لكنّها بنحو آخر و طرز مغاير لعملهم، و هو تشكيل هيئة رئيسة للمسلمين و لجنة دينية إسلامية تتركّب من عدّة من فقهاء الشريعة و عدّة أُخرى من علماء الاقتصاد و معرفة أحوال المجامع و مهرة فنّ السياسة و علماء الطب و غيرهم و صدور فتوى الفقهاء بالنسبة إلى كلّ موضوع من الموضوعات مع تبادل البحث في ما بينهم و نظارة من علماء ذاك الموضوع و إشراف من المتخصّصين فيه، فيصدر للمجتمع كلّهم كتاب ديني عملي واحد و رسالة فتوائية واحدة، ثمّ يؤسّس بيت واحد لأموال الإمام، و بيت لأموال المسلمين، و يكون كلا المالين بيد عدّة رجال قيّمة كافلة تحت إشراف اللجنة، حتّى تصرف الأموال في مصارفها الشرعية الدينية، و يكون جميع أفراد اللجنة الرئيسة و العاملين على البيوت من مرتزقة المالين، هذا ما عندنا ممّا نراه صلاحاً للمجتمعات الإسلامية، و العلم عند الله و رسوله و الأئمّة عليهم السلام.

[بناء معتقد الشيعة في الخلافة على الأركان الأربعة]

ثمّ إنّه لا يخفى عليك أنّ الركن الأصيل في الترسيم الذي رسمناه لك تبياناً لمعتقد الشيعة في الخلافة و الإمامة، يرجع إلى أُمور أربعة: الله، الإنسان، الغرض، الوسيلة.

---

١. أي قبيل هذا قبل أسطر.

٢. في الأصل: «الثالث»، و الصحيح ما أثبتناه؛ لأنّه عدل قوله عليه السلام: «أمّا على الأوّل» في الصفحة ٢٣٧.

و الأوّل هو الذات المستجمع لجميع الصفات الكماليّة، الموجد من سواه من الممكنات.

و الثاني: هو أفضل ما خلقه و برأه و أنشأه و أبدعه، و لا كلام بالفعل في غير الإنسان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[1].

و الثالث: هو الدين المشتمل على الأُصول و الفروع و الشريعة التي شرعها الله لإصلاح حال العباد.

و الرابع: هو الإنسان الكامل الراقي القابل لتلقّي الدين من الله و أخذه من ناحيته و إيصاله إلى الخلق؛ أعني الواسطة في التشريع، و هو النبيّ الأعظم و سائر الأنبياء و المرسلين.

[الخلاف بين الشيعة الإماميّة و أهل السنّة في أمرين]

فوقع الخلاف بين الشيعة الإمامية و إخوانهم أهل السنّة في هذا المقام في أمرين:

[وجوب دوام الوسيلة]

الأوّل: في وجوب دوام الوسيلة وجوداً بنيابة الخلفاء عنه بعده، متّصفين بأوصافه، متأدّبين بآدابه، فالشيعة تدّعي وجوب نصب الخليفة من عند الله، لأنّ الغرض من إنزال الكتاب و تشريع الشريعة أن يتلقّاها الناس بالقبول، و يعملوا بها.

و هذا الغرض ليس مختصّاً بالموجودين، بل باق إلى الأبد قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[2]. و كيف يبقى الدين و يظهر على الأديان و يكون حاكماً على النفوس و القلوب مع عدم وجود من يراعيه و يحفظه و يراقبه؟! مع وضوح أنّ القوانين المجعولة للاجتماعات إذا كانت على خلاف الأهواء و الشهوات، تكون سريعة الزوال و إن كانت على وفق العقل و الحكمة، فالغرض الأصيل الذي هو بقاء وجود الشريعة معمولاً بها بين الناس، لا يتحصّل و لا يتحقّق إلّا

---

۱. الإسراء (۱۷): ۷۰. ۲. التوبة (۹): ۳۳.

براع و حافظ عالم بها، مهيمن عليها، و إلّا فيتسرّع إليها الاختلاف، و يغلبها النسيان و الاندراس، كما تشهد به التجارب.

و أمّا أهل السنّة فيدّعون كفاية أن يكلها الصادع لها إلى الأمّة، لينتخبوا من بينهم من يحفظها، و لو أخطأ في فهمه و حفظه نبّهوه، و لو اعوجّ أقاموه، و أنت خبير بأنّ ملاحظة الغرض في تشريع الشرايع و إن كانت تغني عن إقامة الدليل على المطلب، إلّا أنّا أقمنا الدليل عليه في ما سبق.

[لزوم اتّصاف الخليفة بأوصاف النبيّ ﷺ]

الثاني: في شرائط الخلفاء و الوسائل النائبة عن الوسيلة الأُولى، فالشيعة تدّعي وجوب اتّصافهم بما يجب اتّصاف النبيّ الأعظم به من العدالة و العصمة و نحو ذلك، فكما أنّه قد صدر من العادل في جميع شؤونه و أفعاله شريعة عادلة في جميع أُصولها و فروعها، فتلقّاها عادل من ربّه، و بلّغها إلى خلقه؛ ليتكاملوا و يصيروا عادلين، فكذلك يجب عدالة الخلفاء الحافظين لها، و أهل السنّة يكتفون بانتخاب أحد من الأُمّة لحفظها، و يوجبون طاعته على الخلق في ما لم يخالف الكتاب و السنّة، و لا يوجبونها في ما عصى و خالف.

[بيان ما يشترط كونه في الإمام المنصوب]

و على ذلك فالأولى أن نشير إلى بعض شرائط الإمام المنصوب مع رعاية الاختصار و تقديم ما هو الأهمّ فالأهمّ، فنقول:

[العصمة]

الشرط الأوّل: العدالة، و يمكن التعبير عنها هاهنا بالعصمة؛ فإنّك إذا عرفت العلّة الغائية من تشريع الدين، و هي هداية الناس إلى كمالهم اللائق و إجرائهم في مسير العدالة في شتّى جهاتها؛ ليكونوا أُمّة وسطاً[1] لا انحراف فيهم عن سبيل الفطرة و الدين، و عرفت[2]

---

١. اقتباس من الآية ١٤٣ من سورة البقرة (٢)، و هي قوله تعالى: ﴿وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾.

أنّها لا يتحقّق إلّا بإمام عادل. فلابدّ أن يراد بالعدالة هنا المصونية عن جميع أقسام الاعوجاج و الانحراف، سواء أكان في مرحلة أخذ الشريعة و تلقّيها من المبدأ الأعلى، أم في مرحلة إبلاغها إلى الناس، أم في العمل بنفسه بها، و سواء أكان بنحو العمد أم الخطأ و الاشتباه، و هذا المعنى هو الذي يسمّى في علم الكلام بالعصمة، و هو الذي يحكم به العقل، و يؤيّده النقل.

أمّا العقل فلحكمه الباتّ القاطع بأنّه لو كذب الوسيلة الرابطة بين الخالق و خلقه في الأحكام، فأخبر بوجوب ما حرّمه الله، أو حرمة ما أوجبه الله، أو أخبر بخلاف الواقع خطأً أو نسياناً، يترتّب عليه مفسدة عظيمة و ضرر كبير بانحراف النفوس عن الحقّ و وقوعهم في المفاسد أو فوت المصالح الملزمة عنهم، و لا يليق هذا لمن عيّنه إلا له العدل، و إلّا لزم إمّا عجزه، أو جهله، و تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً. فالعدالة بالمعنى الذي ذكرناه مع ملاحظة حكمة الشرع عقليّ بلا ترديد.

و يدلّ عليها في الجملة قوله تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ۝ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾[1]؛ فإنّ الظاهر أنّ المراد بالرسول هنا هو النبيّ المبعوث على الأمّة، و الرصد[2]: الحرس[3] الموكّلون عليه من الملائكة؛ ليحفظوه عن الخطأ و الغفلة و النسيان و غيرها في مقام أخذ الأحكام من الله و مقام تبليغها إلى الناس، فهذه الآية تدلّ على عصمة الأنبياء في الأحكام، و تشمل الإمام ملاكاً و إن لم يشملها لفظاً.

و أمّا العصمة في العمل فهي أيضاً ممّا يدلّ عليه العقل لقضاء الوجدان بأنّ من لم يعمل على طبق ما أمر، أو نهى، لم يكن أمره و نهيه مؤثّراً نافذاً، و أنّ معصيته يسقطه

---

۲. أي قبيل هذا في طيّ المباحث السالفة. ۱. الجنّ (۷۲): ۲٦ ـ ۲۸.

۲. الرصد بالتحريك: جمع راصد، و هو المراقب للشيء. الصحاح، ج ۲، ص ٤۷٤ (رصد).

۳. الحرس بالتحريك: جمع حارس، و هو الحافظ، مثل حذم جمع خادم. و الحرس: حرس السلطان، و هم الذين يرتّبون لحفظه و حراسته. تاج العروس، ج ۸، ص ۲۳۸ (حرس).

في الأنظار عن العظمة، و يحقّره، و يهوّنه، و كلّ ذلك نقض للغرض و لعب و عبث لا يصدر من الحكيم تعالى.

[مراعات حقوق الناس على السواء]

الشرط الثاني: مراعاته حقوق الناس على السواء و شدّة مواظبته على إحقاقها و إجرائها؛ لئلّا تفوت و تضيع.

و مرجع هذا الشرط إلى العدل في معاملة الناس في مقابل الشرط الأوّل الذي هو عدلة في تلقّي الأحكام و إبلاغها و العمل بها، و إن شئت عبّرت عن ذلك بالعدل في الأحكام، و عن هذا بالعدل في الموضوعات، و أفردنا هذا بالشرطية؛ لشدّة أهمّيته و قيام نظم الاجتماع به و اختلاله بتضييعه، كما هو المحسوس بالعيان و المعلم لدى الوجدان، و هل حصل الاختلا بين الأمّة الإسلاميّة، و اختلف أُمورهم، و حدث الجور و الفساد فيهم إلّا لعدم رعاية بعضهم حقّ البعض و تركهم القيام بالوظائف و الحقوق؟!

و يشهد على هذا الشرط أوّلاً قوله تعالى: ﴿وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾[1].

ففي موثّقة سماعة عن أبي عبدالله قال: لقي عبّاد البصري عليّ بن الحسين عليه السلام في طريق مكّة، فقال له: يا عليّ بن الحسين عليه السلام تركت الجهاد و صعوبته، و أقبلت على الحجّ و لينته؛ إنّ الله يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾[2] إلى آخر الآية.

فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام: «أتمّ الآية»، فقال: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْأَمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

فقال عليّ [بن الحسين][4] عليه السلام: «إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم، فالجهاد معهم أفضل من الحجّ».[5]

---

١. التوبة (٩): ١١٢.
٢. التوبة (٩): ١١١.
٣. التوبة (٩): ١١٢.
٤. ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر.
٥. الكافي، ج ٥، ص ٢٢، باب الجهاد الواجب مع من يكون، ح ١.

و لا يخفى عليك أنّ الرجل المعترض لعليّ بن الحسين عليه السلام ـ سواء أ كان هو الزهري المعروف الذي كان من عمّال بني أُميّة، كما في بعض الروايات،[١] أو عبّاد بن كثير البصري عابد أهل البصرة و الصوفي العامي المرائي، كما في هذه الرواية ـ لم يكن يدعو الإمام عليه السلام إلّا إلى الجهاد مع الكفّار تحت راية بني أُميّة و قبول خلافتهم و ولايتهم على الأُمّة الإسلاميّة و تصديقهم لأمر الجهاد الابتدائي، فأراد الإمام أن ينبّهه على أمر هامّ من الشروط الركنية لمتصدّي أمر الجهاد، فظهر أنّ الإمام في مقام بيان أوصاف خليفة المسلمين، أو من نصبه الخليفة للجهاد، و الأوصاف المذكورة على النحو الكامل لا يكون إلّا في الإمام العدل المنصوب.

و حينئذ فقوله تعالى: ﴿وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾[٢] بيان للشرط الرابع الذي ذكرناه، و في تفسير علي بن إبراهيم قال: نزلت في الأئمّة.[٣]

و المراد بالحدود هنا أحكام الأفعال الأوّلية الاستقلالية و الحدود و التعزيرات الجزائية، و توضيح ذلك أنّه ورد في عدّة روايات معتبرة أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله قال: «إنّ الله قد جعل لكلّ شيء حدّاً، و جعل لمن تعدّي ذلك الحدّ حدّاً».[٤] و الشيء هنا عبارة عن الأفعال القلبية و الجوارحية الصادرة من كلّ إنسان، سواء أكان الفعل مستقلّاً غير متعدّ من صاحبه إلى غيره، كالوضوء و الصلاة و الصيام و الحجّ و نحوها، أم كان متعدّياً إلى الغير و له مساس به، كالإطعام و الإكساء و الزكاة و الجهاد و الولاية و النكاح و الطلاق و غيرها، فلكلّ منها حدّ، أي حكم مجعول من قبل الله تعالى، فهنا حدّ إلهي مجعول بالاستقلال و لنفسها، و حدّ إلهي مجعول لحفظ ذاك الحدّ، فيكون حفظ الحدود

---

١. تفسير القمّي، ج ١، ص ٣٠٦، ذيل الآية ١١٢ من سورة التوبة.

٢. التوبة (٩): ١١٢.

٣. في المصدر: «و لا يجوز أن يكون بهذه الصفة غير الأئمّة عليهم السلام»، ثمّ ذكر الرواية. راجع: تفسير القمّي، ج ١، ص ٣٠٦، ذيل الآية الشريفة.

٤. الكافي، ج ٧، ص ١٧٦، باب التحديد، ح ١٢؛ الفقيه، ج ٤، ص ٢٥، ح ٤٩٩٢؛ وسائل الشيعة، ج ٢٨، ص ١٤، الباب ٢ من أبواب مقدّمات الحدود و أحكامه العامّة، ح ١، مع تفاوت يسير في غير الأخير.

بأقسامها ـ و منها الحدود و الحقوق المربوطة بالناس ـ من أوصاف المؤمن المجاهد المتّصف بتلك الأوصاف، و يكون حفظ الجميع من شرائط الإمام و الخليفة.[١]

و ثانياً[٢] قول عليّ ﷺ: «وليكن أحبّ الأمور إليك أوسطها في الحقّ و أعمّها في العدل و أجمعها لرضى الرعيّة».[٣]

و قوله ﷺ: «و اعلم إنّ الرعية طبقات: الجنود، و الكتّاب، و القضاة، و العمّال، و أهل الجزية، و أهل الخراج، و التجّار، و أهل الصناعات، و الطبقة السفلى من ذوي الحاجة و المسكنة، و كلّ قد سمّى الله له سهمه، و وضع على حدّه فريضة في كتابه، أو سنّة نبيّه ﷺ، عهداً منه عندنا محفوظاً».[٤]

و ثالثاً قوله ﷺ: «و إنّ أفضل قرّة عين الولاة استقامة العدل في البلاد و الظهور مودّة الرعيّة».[٥]

و رابعاً قوله ﷺ: «ثمّ انظر في أمور عمّالك، فاستعملهم اختباراً، و لا تولّهم محاباة و أثرة؛ فإنّهما جماع من شعب الجور و الخيانة[٦] ... ثمّ أسبغ عليهم الأرزاق؛ فإنّ ذلك قوّة لهم على استصلاح أنفسهم، و غنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم».[٧]

و خامساً قوله ﷺ: «ثمّ الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم... و احفظ لله ما استحفظك من حقّه فيهم، و اجعل لهم قسماً من بيت مالك و قسماً من غلّات صوافي[٨] الإسلام في كلّ بلد».[٩]

---

١. عدل قوله ﷺ: «و يشهد على هذا الشرط أوّلاً».

٢. ما نقله ﷺ نقل بالمعنى و التصرّف. راجع: نهج البلاغة، ص ٤٣٢ و ٤٣٣، الكتاب ٥٣..

٣. نهج البلاغة، ص ٤٢٩، الكتاب ٥٣.

٤. ما نقله ﷺ نقل بالمعنى و التصرّف. راجع: نهج البلاغة، ص ٤٣٢ و ٤٣٣، الكتاب ٥٣.

٥. المصدر، ص ٤٣٣.

٦. في اختيار مصباح السالكين، ص ٥٤٩: «و لا تولّهم محاباة، أي معاطلاة، و أثرة، أي استبداداً، كمن يأخذ من شخص شيئاً و تولّيه أمراً، و يستبدّ بذلك دون مشاورة فيه. و جماع من شعب الجور و الخيانة، أي جماعة منهما».

٧. نهج البلاغة، ص ٤٣٥، الكتاب ٥٣.

٨. الصوافي: الأملاك و الأراضي التي جلا عنها أهلها، أو ماتوا و لا وارث لها، واحدها: صافية. النهاية، ج ٣، ص ٤٠ (صفا).

٩. نهج البلاغة، ص ٤٣٨، الكتاب ٥٣..

و سادساً قوله ﷺ في كتاب له إلى الأسود بن قطبة صاحب جند حلوان[1]: «أمّا بعد، فإنّ الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيراً من العدل، فليكن أمر الناس عندك في الحقّ سواء؛ فإنّه ليس في الجور عوض من العدل».[2]

[كونه عالماً بجميع يحتاج إليه الناس]

الشرط الثالث: أن يكون عالماً بجميع ما يحتاج إليه الأُمّة المعاصرة له من الأحكام الدينية و الأُصول و الفروع المذهبية، بل و كلّ موضوع يكون له مساس بحال الأحكام، أو اتّفق توقّف أمر من الأُمور على العلم به، و إن شئت فعبّر عن هذا الشرط بالعلم بالأحكام و ما يتبعها.

و يترتّب على هذا الشرط و الشرط الأوّل حجيّة السنّة الصادرة عن النبيّ و الأئمّة ﷺ بمعناها المصطلح عليه بين أهل الأُصول، و هي أقوالهم و كتبهم و إشاراتهم و أفعالهم، و تقاريرهم، أي سكوتهم عند سماع قول أو رؤية عمل، فيدلّ على صحّته و جوازه مثلاً، و كلّ ذلك مع شرائط خاصّة مذكورة في محلّها.

[كونه عالماً بجميع الفنون]

الشرط الرابع: معرفته بجميع الفنون التي يكون له التصدّي بها، أو لها مساس بوظيفته، فيجب أن يكون مطّلعاً على جميع ما يجب الاطّلاع عليه لمدير و مدبّر و رجل ممارس لأمر السياسة و تدبير أُمور المملكة؛ فإنّ الإمام كما أنّه معلّم لأُصول الدين و فروعه، فهو متصدّ للقضاء بين الناس و جباية الخراج و الزكوات و الأخماس و تدبير أمر الجند و المحاربة مع الأعداء و غير ذلك من العناوين و الشؤون، و إن شئت فعبّر عن هذا الشرط بمعرفة الفنون أو العلم بالموضوعات.

---

١. الحلوان، بالضمّ ثمّ السكون في اللغة: الهبة، و هي اسم لعدّة مواضع، منها حلوان العراق، و هي في آخر حدود السواد ممّا يلي الجبال من بغداد. راجع: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٩٠ (حلوان).

٢. نهج البلاغة، ص ٤٤٩، الكتاب ٥٩.

[أدلّة لزوم الشرط الرابع]

و أمّا الدليل على الشرطين، أي علمه بالأحكام و العلم بالموضوعات بمعنى معرفة الفنون، فعدّة أُمور:

الأوّل: أنّ هذه القضيّة من القضايا التي قياساتها معها؛ فإنّ تعيين الخليفة لجميع الأُمّة و نصب الإمام لهداية جميع الناس و تعليمهم و تربيتهم، لا يكون إلّا مع علمه بجميع الأحكام الدينية التي تحتاج إليها الأُمّة و حذقه و تدرّبه في جميع الفنون التي يتصدّى بها و يقوم بأمرها، و هؤلاء الخلفاء النبيّ الأعظم حيث أرسله الله هادياً للناس و نوراً و سراجاً منيراً و بشيراً و نذيراً و حجّة، فهل يمكن القول بجهله بالأحكام و عجزه عن قضاء الحوائج الدينية و إصلاح الشؤون الدنيوية؟!

الثاني: الآيات الدالّة على أنّ الكتاب الكريم فيه بيان الأحكام و بيان كلّ شيء[1] بضميمة الأخبار الكثيرة المتواترة الدالّة على أنّ الأئمّة ﷺ عالمون بالقرآن كلّه، ظاهره و باطنه، محكمه و متشابهه، تنزيله و تأويله.[2]

فهذا الدليل مركّب منن صغرى و كبرى، و شكل القياس: كلّ شيء ممّا يحتاج إليه الأُمّة أو الأعمّ من ذلك فهو في القرآن، و القرآن كلّه في صدور الأئمّة ﷺ، فعلم أنّ كلّ شيء في صدور الأئمّة ﷺ.

أمّا الصغرى فلقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[3]، و قال تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾[4]، و في سورة يونس: ﴿وَ تَفْصيلَ الْكِتابِ﴾.[5] و أمّا الكبرى فلروايات أوردها الكليني في الكافي،[6] في المجلّد الأوّل، في كتاب الحجّة في باب أنّ الأئمّة ﷺ أوتوا العلم في ذيل

---

١. مثل الآيات التالية: النحل (١٦): ٨٩؛ يوسف (١٢): ١١١؛ الإسراء (١٧): ١٢.

٢. راجع: الكافي، ج ١، ص ٢٢٨ و ٢٢٩، باب أنّه لم يجمع القرآن كلّه إلّا الأئمّة ﷺ و أنّهم يعلمون علمه كلّهم.

٣. النحل (١٦): ٨٩.

٤. يوسف (١٢): ١١١.

٥. يونس (١٠): ٣٧.

٦. الكافي، ج ١، ص ٢١٣ ـ ٢١٥، باب أنّ الأئمّة ﷺ قد أوتوا و أثبت في صدورهم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ○ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[١]. و هي خمسة أحاديث، أكثرها صحاح، نقلها عن أئمّة أهل البيت، و هي تدلّ على أنّ القرآن ثابت محفوظ في قلب الإمام، و أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ هم الأئمّة، فالقرآن كلّه في صدورهم، و هم أهل العلم.

الثالث: الأخبار الكثيرة الدالّة على أنّ الأئمّة هم الراسخون في العلم،[٢] ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[٣] في الصحيح عن الصادق عليه السلام قال: «نحن الراسخون في العلم، و نحن نعلم تأويله».[٤]

و في الحديث عن أحدهما عليهما السلام: «فرسول الله أفضل الراسخين في العلم، قد علّمه الله جميع ما أنزله[٥] عليه من التنزيل و التأويل ... و أوصياؤه من بعده يعلمونه كلّه»[٦] إلى آخره، فهذه الأخبار بنفسها، أو بمعونة الآيات السابقة تدلّ على أنّ الإمام عالم بالأحكام، عارف بالفنون.

الرابع: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾[٧]؛ فإنّ المراد بالاستواء على العرش تسلّطه تعالى على أوضاع مملكة الوجود، و ذكر التدبير بعده لبيان أنّ من آثار السلطنة على الشيء تدبير أُموره و تنظيم شؤونه، فالله تعالى يدبّر أُمور جميع الخلق في مختلف جهاته، و الإمام عليه أن يدبّر أمر رعيّته في جهاته المرتبطة بهم، فيجب أن يكون عارفاً بفنونها.

---

١. العنكبوت (٢٩): ٤٨ و ٤٩.

٢. راجع: الكافي، ج ١، ص ٢١٣، باب أنّ الراسخين في العلم هم الأئمّة عليهم السلام.

٣. آل عمران (٣): ٧.

٤. الكافي، ج ١، ص ٢١٣، باب أنّ الراسخين في العلم هم الأئمّة عليهم السلام، ح ١.

٥. في المصادر: «أنزل».

٦. بصائر الدرجات، ص ٢٢٦، الباب ١٠، ح ٨؛ تفسير العياشي، ج ١، ص ١٦٤، ح ٦؛ الفصول المهمة، ج ١، ص ٣٨٧، ح ٥١٨.

٧. يونس (١٠): ٣.

و في نهج البلاغة: «و لا يحمل هذا العلم إلّا أهل البصيرة[١] و الصبر و العلم بمواضع الحقّ، فامضوا لما تؤمرون،[٢] وقفوا عند ما تنهون عنه».[٣]

و قال أيضاً: «أيّها الناس إنّ أحقّ الناس بهذا الأمر أقواهم عليه و أعلمهم بأمر الله فيه»،[٤] و المراد بهذا الأمر أمر الولاية على الأمّة و الخلافة الإلهية بتعيين الرسول.

و في النهج، في كتابه إلى الأشتر النخعي ﷺ: «إنّي وجّهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل و جور»،[٥] إلى أن ذكر ﷺ في الكتاب ما يدلّ على وفور علمه في تدبير الأمور و كمال إشرافه على الأوضاع و تسلّطه على شؤون السياسة و الرئاسة.

و هذا القسم من العلم هو الأهمّ اللازم معرفته لمن أراد الاطّلاع على شروط الخلافة و أوصاف الإمام، و هو العلم النافع بحال الأمّة و المناسب لحال زعيمها و مدبّر أمورها و المتصدّي لنظمها و إصلاح حالها، لا ما يذكر في بعض الكتب، أو في ما بين الناس من أنّ الإمام هل يعرف عدد الشوك و الشجر، أو الحجر و المَدَر،[٦] أو الشعر و الوَبَر؟[٧] أو أنّه هل يعلم عدد شعر رأس كلّ أحد عند ملاقاته، أو عدد الطُّوب[٨] المصروف في كلّ بناء إذا أراد الدخول فيه؟ و نحو ذلك.

[زهده عن الدنيا]

الشرط الخامس: زهده عن الدنيا، و ليعلم أنّ في معنى الزهد خفاء، فقد يتخيّل أنّه ترك الدنيا و الاشتغال بالعبادة مثلاً، لكنّ الظاهر أنّه ليس المراد بها ترك تحصيل الدنيا من جاهها و مالها و أمتعتها و ملاذّها، أو الإعراض عمّا كان منها حاصلاً موجوداً و إتلافه

---

١. في المصدر: «البصر».

٢. في المصدر: + «به».

٣. نهج البلاغة، ص ٢٤٨، الخطبة ١٧٣.

٤. المصدر، ص ٢٤٧ و ٢٤٨.

٥. المصدر، ص ٤٢٧، الكتاب ٥٣.

٦. المَدَر: جمع مَدَرة، و هو التراب المتلبّد، و بعضهم يقول: الطين العِلْك الذي لا يخالطه رمل، و العرب تسمّي القرية مدرة؛ لأنّ بنيانها غالباً من المدر. المصباح المنير، ص ٥٦٦ (مدر).

٧. الوبر للإبل و غيره كالصفوف للغنم. النهاية، ج ٥، ص ١٤٥ (وبر).

٨. الطُّوب: الآجرّ بلغة أهل مصر. الصحاح، ج ١، ص ١٧٣ (طيب).

و تضييعه، فإنّ ذلك كلّه ينافي ما ورد متواتراً من جواز تحصيل الدنيا، بل و استحباب ذلك، أو وجوبه أحياناً،[۱] و أنّه خلق الله ذلك للإنسان و لأجل عيشه و حياته؛ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[۲] أي لاستفادتكم و انتفاعكم.

و قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[۳]، و المراد بالزينة هنا جميع لوازم العيش الإنساني و وسائل حياته، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٤].

و قال تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾[٥]، و المراد بالأكل هنا مطلق التصرّف؛ لعموم الموصول في «ما رزقكم» و شموله لجميع ما يعيش به البشر، و يكون وسيلة لبقائه.

و قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾[٦].

و قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[۷].

و قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ۝ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾[۸].

و قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾[۹].

و قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾.[۱۰]

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾[۱۱].

---

۱. راجع: وسائل الشيعة، ج ۱۷، ص ۸۱ و ۸۲، الباب ۱ من أبواب ما يكسب به.
۲. البقرة (۲): ۲۹.
۳. الأعراف (۷): ۳۲.
٤. الكهف (۱۸): ۷.
٥. النحل (۱٦): ۱۱٤.
٦. الإسراء (۱۷): ۷۰.
۷. الملك (٦۷): ۱٥.
۸. الحجر (۱٥): ۱۹ و ۲۰.
۹. الأعراف (۷): ۱۰.
۱۰. النحل (۱٦): ۱۰ و ۱۱.
۱۱. النحل (۱٦): ۱۳.

و قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾[١].

و قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾[٢].

و قال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[٣].

و قال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[٤].

فإذا علمنا أنّ تحصيل وسائل العيش في الدنيا حلال للإنسان، بل أمر مطلوب مرغوب فيه، و كذا انتفاعه بما حصّله و صرفه في ما يمتّع به و يستلذّ، علمنا أنّ المراد بالزهد المطلوب للشرع المحثوث عليه في الكتاب و السنّة ليس ذاك المعنى، بل يظهر بالتأمّل أنّ ذاك معنى مختلق تخديري، أنشأته أيادي الاستعمار في البلاد الإسلاميّة صرفا للمسلمين عن الانتفاع اللائق بأراضيهم و معادنهم و سائر ما منحه الله لهم، و منعاً من قدرتهم و رقاهم و تقوّيهم: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ لَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.[٥]

و تؤيّد الآيات السابقة ما ورد من الأحاديث الكثيرة جدّاً، المتظافرة المتواترة الحاثّة على التكسّب و التجارة،[٦] و إحياء الأراضي،[٧] و إجراء العيون و الأنهار و غرس الأشجار،[٨] و اقتناء الأنعام و الدواجن[٩] و غير ذلك.

فالزهد بذاك المعنى شجرة خبيثة أصلها الاستثمار و فرعها الذلّة و الانحطاط، و

---

١. الحجّ (٢٢): ٦٥.
٢. النساء (٤): ٥.
٣. الأعراف (٧): ٣١.
٤. الإسراء (١٧): ٢٦ و ٢٧.
٥. البقرة (٢): ١٠٥.
٦. راجع: وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٩ ـ ٢٤، الباب ١ و ٢ و ٣ من أبواب مقدّمات كتاب التجارة.
٧. راجع: وسائل الشيعة، ج ٢٥، ص ٤١١ ـ ٤١٣، الباب ١ من أبواب كتاب إحياء الموات.
٨. راجع: وسائل الشيعة، ج ٢٥، ص ٤١١ ـ ٤١٤، الباب ٢ من أبواب كتاب إحياء الموات.
٩. الدواجن: جمع داجن، و هي الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم، و قد يقع على غير الشاء من كلّ ما يألف البيوت من الطير و غيرها. النهاية، ج ٢، ص ١٠٢ (دجن).
و راجع: الكافي، ج ٦، ص ٥٣٥ ـ ٥٤١، باب ارتباط الدابّة و المركوب، و باب نوادر في الدوابّ.

الظاهر أنّه ليس له معنى اصطلاحي شرعي أو متشرّعي، فهو مستعمل في معناه اللغوي، و هو الرغبة عن الشيء و تركه،[۱] و يتوقّف اتّصاف معناه بالحسن و القبح على ملاحظة حال متعلّقه، و لا إشكال في كون متعلّقه الدنيا. فالشرط المبحوث عنه في المقام الزهد عن الدنيا. فاللازم في المقام معرفة معنى الدنيا، و هي ـ على ما يستفاد من السبر في الآيات و السنّة[۲] ـ على معان، أشهرها أنّها انتفاع الإنسان بهذه الأرض و ما عليها و استمتاعه بقواه المختلفة في هذا العالم، و هذه الانتفاعات على أقسام ثلاثة: الانتفاعات المحرّمة الممنوعة شرعاً، و المباحة الجائزة، و الواجبة اللازمة، أي ما كان بقدر الحاجة و الضرورة من حلالها.

و حينئذ فنقول: إنّ ترك القسم الأوّل في الدنيا و الإعراض عنه زهادة بمرتبتها الناقصة، و ترك الأوّل و الثاني زهادة بمرتبتها الكاملة.

ثمّ إنّ الدرجة الأُولى من الزهد وظيفة أخلاقية عملية لازمة المراعاة لكلّ مؤمن، فهي من شرائط الايمان، أو كماله.

و أمّا الدرجة الثانية فهي التي ادّعينا كونها شرطاً في إمام الأُمّة و خليفة المسلمين، فحقيقة هذا الشرط عدم اعتنائه بشأن الدنيا و رغبته عنها و عن الاشتغال بالترفّه و التنعّم، لا عدم وجودها عنده و ترك تحصيلها من حيث أمره الله و صرفها في ما عيّنه، كيف و قد جعل الله له حقوقاً في أموال الناس، و منحه خمس الغنائم، و وهبه الأنفال؟ و له غير ذلك من الإفادات، فتحصيلها و جبايتها[۳] و جعله تحت يده، أو في ملكه أمر، و الزهد عنها أمر آخر، و الأوّل مأمور به، و الثاني منهيّ عنه، فتكون نتيجة تحقّق الأمرين في الإمام أن تصرفها في مصارفها المعيّنة المقصودة و إجرائها في مجاريها؛

---

۱. راجع: الصحاح، ج ۲، ص ٤٨١ (زهد).

۲. السبر في الآيات و السنّة: التتبّع فيها بدقّة و النظر فيها بأدقّ النظر، من السبر، و هو استخراج كنه الأمر. راجع: لسان العرب، ج ٤، ص ۳٤۰ (سبر).

۳. الجباية: الجمع، يقال: جبى الخراج و الماء و الحوض، يجباه و يجبيه جباية، أي جمعه. راجع: القاموس المحيط، ج ٤، ص ۳۱۰ (جبي).

لتحيى بذلك العباد، و تعمر بذلك البلاد، و ليعدوا لأعدائهم ما استطاعوا من قوّة و عتاد.

[أدلّة لزوم الشرط الخامس]

و الدليل على هذا الشرط:

أوّلاً: ما علم ممّا ذكرناه؛ فإنّه بعد أن فوّض الله إليه تلك الأموال و الغنائم، فلو كان محبّاً لها، حريصاً على التمتّع بها، لا يمكنه أن يجعلها في سبيل الأغراض المطلوبة منها، بل يخل ذلك بسائر شؤونه أيضاً؛ لسقوطه حينئذ عن أعين الناس، فلا يستمعون إليه، و لا يتّبعونه، فمن اللازم أن لا يكون محبّاً لها، مولعاً بها، معتنياً بشأنها، و هذا هو الزهد الذي ذكرناه.

و ثانياً: أنّه مقتضى الجمع بين طائفتين من الأدلّة:

إحداها ما دلّت على أنّ للإمام الخمس و الأنفال و غير ذلك من الأموال، كآية الخمس: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾[١]، و كآية الفيء الواردة في بني النضير: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾[٢]، و كآية الأنفال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[٣]، فهي دالّة على أنّ خمس الغنائم بمعناه الأعمّ[٤] ـ أي الأمور السبعة المذكورة في باب الخمس من الفقه ـ خمس القرى التي تركها بنو النضير، و تمام الأنفال ـ و هي أمور كثيرة ـ للإمام عليه السلام.

و ثانيتها: نظائر قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٥]، أي لا تتجاوز عيناك عن المؤمنين نحو زينة الدنيا بأنّ تحبّها و تميل إلى التمتّع منها. و قوله تعالى:

---

١. الأنفال (٨): ٤١. ٢. الحشر (٥٩): ٧.

٣. الأنفال (٨): ١.

٤. المبسوط للشيخ الطوسي رحمه الله، ج ٢، ص ٦٤؛ تحرير الأحكام، ج ٢، ص ١٥٦، بعد المسألة ٢٧٢٨؛ تذكرة الفقهاء، ج ٩، ص ١١٩، بعد المسألة ٧٤؛ الوافي، ج ٢٧، ص ٢٧٨؛ مرآة العقول، ج ٦، ص ٢٥٠.

٥. الكهف (١٨): ٢٨.

﴿وَلَاتَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[١]، و يقرب منها الآية ٨٨ من الحجر (٦٥).[٢] و مدّ العين نحو الشيء معلوم، و هو هنا كناية عن الحبّ و الميل، و المراد بـ ﴿مَا مَتَّعْنَا﴾ نوع المتاع لا شخصه، فالمراد: لا تكن ممّن يطلب الإنتفاع بزهرة الحياة، كما هو حال أعدائك من الكفّار.

و حاصل الجمع أنّ الله أعطاهم الأموال الكثيرة، كما منحهم الجاه العظيم و المقام الرفيع، و منعهم عن إكثار التمتّع بها و الحرص عليها و الولع بها، و هو معنى الزهد.

و ثالثاً: ما وصل إلينا بالتواتر و إخبار الكتاب العزيز من حالات النبيّين و المرسلين و أوصيائهم ﷺ، فإنّها تدلّ على كمال مواظبتهم على الإعراض عن الدنيا و عدم الرغبة فيها و التجنّب عن الركون إليها و الاستلذاذ بأمتعتها، فعن مولانا أمير المؤمنين ﷺ قال: «فتأسّ بنبيّك الأطيب الأطهر ﷺ... قضم الدنيا قضماً، و لم يُعِرها طرْفاً، أقضم[٣] أهل الدنيا كشحاً[٤]، و أخمصهم من الدنيا بطناً، عُرِضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها، و علم أنّ الله سبحانه أبغض شيئاً فأبغضه، و حقّر شيئاً فحقّره، و صغّر شيئاً فصغّره».[٥]

القضم: أخذ الشيء بأطراف الأسنان و أكله،[٦] و هو كناية عن قلّة المأخوذ، و قد عبر ﷺ عن فعل النبيّ ﷺ بالقضم، و عن فعل عثمان في الخطبة الشقشقية بالخضم، قال: «يخضمون مال الله خضم[٧] الإبل نبتة الربيع».[٨] و الخضم ضدّ القضم، و هو الأكل بملاء الفم.[٩]

---

١. طه (٢٠): ١٣١.

٢. و هي قوله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٣. في المصدر: «أهضم».

٤. قال ابن أبي الحديد: «قوله: أهضم أهل الدنيا كشحاً. الكشح: الخاصرة، و رجل أهضم بيّن الهضم، إذا كان خميصاً لقلّة الأكل». شرح نهج البلاغة، ج ٩، ص ٢٣٤، ذيل الخطبة ١٦١.

٥. نهج البلاغة، ص ٢٢٧ و ٢٢٨.

٦. راجع: لسان العرب، ج ١٢، ص ٤٨٧ (قضم).

٧. في الأصل: «خضمة».

٨. نهج البلاغة، ص ٤٩، الخطبة ٣.

٩. و قيل غير ذلك. راجع: لسان العرب، ج ١٢، ص ١٨٣ (خضم).

و قال ﷺ: «و إن شئت ثلّثت بداود ـ صلّى الله عليه ـ صاحب المزامير،[١] و قارئ أهل الجنّة، فلقد كان يعمل سفائف[٢] الخوص[٣] بيده، و يقول لجسائه: أيّكم يكفيني بيعها، و يأكل قرص الشعير من ثمنها».[٤]

و عن النبيّ، قال لابن مسعود: «و إن شئت نبّأتك بأمر سليمان ﷺ، لما[٥] كان فيه من الملك، كان يأكل الشعير، و يطعم الناس الحواري،[٦] و كان لباسه الشعر، و كان إذا جنّه الليل شدّ يده إلى عنقه، فلا يزال قائماً يصلّي حتّى يصبح، و إن شئت نبّأتك بإبراهيم خليل الرحمان ﷺ، كان لباسه الصوف و طعامه الشعير».[٧]

و رابعاً: قول عليّ ﷺ لعاصم بن زياد لمّا لبس العباءة و تخلّى عن الدنيا: «يا عُدَيَّ نفسه! لقد استهام بك الخبيث،[٨] أما رحمت أهلك و ولدك؟! أ ترى أنّ[٩] الله أحلّ لك الطيّبات، و هو يكره أن تأخذها؟! أنت أهون على الله من ذلك».[١٠] قال: يا أمير

---

١. المزامير: جمع المِزْمار، و هي الآلة التي يرمز بها، أي يغنّى بها بالنفخ فيها، شُبّه حسن صوت داود النبيّ ـ على نبيّنا و آله و عليه السلام ـ و حلاوة نغمته بصوت المزمار، و إليه المنتهى في حسن الصوت بالقراءة. راجع: النهاية، ج ٢، ص ٣١٢ (زمر).

٢. السفائف: جمع سفيفة، و هي النسيجة. لسان العرب، ج ٩، ص ١٥٣ (سفف).

٣. الخوص: ورق النخل، الواحدة: خوصة. المصباح المنير، ص ١٨٣ (خوص).

٤. نهج البلاغة، ص ٢٢٧، الخطبة ١٦٠.

٥. في المصادر: «مع ما».

٦. الحُوّارى، بضمّ و تشديد الواو و فتح الراء: الدقيق الأبيض، و هو لباب الدقيق و أجوده و أخلصه. و قال الجوهري: هو ما حوّر من الطعام، أي بيّض. راجع: الصحاح، ج ٢، ص ٦٤٠؛ لسان العرب، ج ٤، ص ٢٢٠ (حور).

٧. مكارم الأخلاق، ج ٤٤٨. و عنه في بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٩٥، ح ١، و مستدرك الوسائل، ج ١٦، ص ٣٣٤، ح ٢٠٠٦٦.

٨. قال ابن أبي الحديد: «و استهام بك الخبيث: يعني الشيطان، أي جعلك هائماً ضالاً، و الباء زائدة».

أقول: الهائم: المتحيّر، و قلب مستهام، أي هائم. راجع: شرح نهج البلاغة، ج ١١، ص ٣٢، ذيل الكلام (٢٠١)؛ لسان العرب، ج ١٢، ص ٦٢٦ (هيم).

٩. في المصدر: - «أنّ».

١٠. في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٣٢، ذيل الكلام (٢٠٢): «فإن قيل: ما معنى قوله ﷺ: أنت أهون على الله من ذلك؟ قلت: لأنّ في المشاهد قد يحلّ الواحد منّا لصاحبه فعلاً مخصوصاً محاباة و مراقبة له، و هو يكره أن يفعله، و البشر أهون على الله تعالى من أن يحلّ لهم أمراً مجاملة و استصلاحاً للحال معهم، و هو يكره منهم فعله».

المؤمنين! هذا أنت في خشونة ملبسك و جشوبة مأكلك،[1] قال: «ويحك، إنّي لست كأنت؛ إنّ الله تعالى فرض على أئمّة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضَعَفة الناس؛ كيلا يتبيّغ[2] بالفقير فقره».[3]

و خامساً: قوله ﷺ في دعاء الندبة: «اللّهمّ لك الحمد على ما جرى به قضاؤك في أوليائك الذين استخلصتهم لنفسك و دينك إذا اخترت لهم جزيل ما عندك ... بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية و زخرفها و زبرجها، فشرطوا لك ذلك، و علمت منهم الوفاء به».[4]

تنبيهات

[التنبيه] الأوّل

[دفع توهّم في المقام]

قد يتوهّم ممّا ذكرناه أنّ الأموال المجعولة تحت يد الإمام ملك للأُمّة و ليست للإمام، أو أنّها و إن كانت ملكاً له لكن لا يجوز له التصرّف و الانتفاع بها بمقتضى ما شرطه مع ربّه، فيكون المورد من قبيل الانتفاعات المحرّمة، و الزهد فيه زهداً بمرتبته الناقصة، و هو خلاف الفرض.

لكنّه باطل أوّلاً بعدم اختصاص أموال الإمام بالخمس و الأنفال، بل قد يحصل لكه بالتكسّب و الإحياء و التوارث.

و ثانياً بأنّه لا إشكال في كون الخمس و الأنفال و نحوهما من الأموال ملكاً للإمام ﷺ بعنوان رئاسته العامّة و إمامته و زعامته للأُمّة الإسلاميّة، و هذا غير بيت المال

---

۱. «جُشوبة مأكلك»، أيّ غلظته، و طعام جَشِبٌ و مجشوب، أي غليظ خشن، بيّن الجشوبة إذا أُسيء طعنه حتّى يصير مفلّقاً. راجع: لسان العرب، ج ۱، ص ۲٦۵ (جشب).

۲. يقال: تبيّغ به الدم، أي هاج به، أو غلبه. و قيل: تبيّغ به الدم: غلبه و قهره، كأنّه مقلوب عن البغي، أي تبغّى، مثل جذب و جبذ، و ما أطيبه و أيطبه. لسان العرب، ج ۸، ص ٤۲۲ (بيغ).

۳. نهج البلاغة، ص ۳۲٤ و ۳۲۵، الخطبة ۲۰۹.

٤. إقبال الأعمال، ص ۲۹۵. و عنه في بحار الأنوار، ج ۹۹، ص ۱۰٤، ذيل ح ۲.

الذي هو ملك للمسلمين.

و يشهد بذلك قوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[١]؛ فإنّ ظاهر الكلام الملكية، و لذلك قد يستظهر من عطف الطوائف الثلاث الأخيرة بدون ذكر اللام أنّهم من قبيل المصارف لا الملاك، و كذلك قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[٢]، و الروايات الواردة في أبواب الخمس تدلّ على ذلك، فراجعها.

و أمّا خروج المورد عن الفرض ـ أي كون الزهد فيه إعراضاً عن الانتفاعات المحلّلة ـ فهو باطل أيضاً؛ فإنّه إذا فرضنا كون الأموال ملكاً له فلا محالة يترتّب عليها آثار الملكية من جواز التصرّف و الانتفاع، و النهي المتعلّق بإرادة زينة الحياة، أو بمدّ العين إلى متاع الحياة و زهرتها نهي شرطي لا مولوي، كما أنّ الإيجاب المستفاد من كلمة «الفرض» في قوله ﷺ: «إنّ الله فرض على أئمّة العدل»[٣] إيجاب شرطي.

فتلك الأدلّة تساوق في المعنى مع قوله ﷺ: «بعد أن شرطت عليهم الزهد»، و يكون حاصل المطلب أنّ الزهد الكامل من شرائط النبوّة و الإمامة، كما يظهر من دعاء الندبة، فلو لم يعمل به النبيّ أو الإمام سقط عن مرتبة النبوّة أو الإمامة، لا أنّه عمل محرّماً من المحرّمات، كما في الزهد الناقص، هذا و لكن من العموم المقطوع به أنّ الأولياء لا يخالفون شرطهم، و لم يتحقّق إلى الآن مورد صدرت المخالفة و لو من واحد منهم، و يشهد بذلك قوله ﷺ: «و علمت منهم الوفاء به فقبلتهم، و قرّبتهم، و قدّمت لهم الذكر العليّ و الثناء الجليّ».[٤]

لا يقال: يظهر من التواريخ و بعض الروايات[٥] أنّ الأئمّة ﷺ كانوا يستفيدون من

---

١. الأنفال (٨): ٤١. ٢. الأنفال (٨): ١.

٣. خرّجناه قبيل هذا.

٤. إقبال الأعمال، ص ٢٩٥. و عنه في بحار الأنوار، ج ٩٩، ص ١٠٤، ذيل ح ٢.

٥. مثل ما روي في الكافي، ج ٥، ص ٧٣ ـ ٧٧، باب ما يجب الاقتداء بالأئمّة ﷺ في التعرّض للرزق، و ص ٦٥ ـ ٧٠، باب دخول الصوفية على أبي عبد الله ﷺ و احتجاجهم عليه في ما ينهون الناس عنه من طلب الرزق، ح ١.

الدنيا و يتمتّعون منها، فكانوا كغيرهم من أوساط الناس، بل و أزيد من ذلك و أحسن، فكيف التوفيق بين ذلك و ما ذكرت من شرطية الزهد؟

لأنّا نقول: على فرض ثبوت تلك الدعوى إنّهم ﷺ كانوا يقابلون أحياناً أهل التصوّف و مدّعي الزهادة عن الدنيا و ما فيها، و كانوا يرون خطر الأمر و وخامة العاقبة لو مال الناس إليهم، و سكن المسلمون في زوايا البيوت و المساجد، و أقبلوا إلى العبادة و الترهّب، و لم يشتغلوا بما أوجب الله عليهم من تحصيل المعاش و ما ألزمهم به من إعداد القوى للمقابلة مع الأعداء، فيميل عليهم الكفّار ميلة واحدة، و يقطعوا أصلهم، و يقلعوا عرقهم، و كان من هذا القبيل ما صنعه الباقر و الصادق ﷺ في مقابل الحسن و عبّاد البصري[1] و نظائرهم و أشباههم.[2]

مع أنّ الشرط الذي ذكرناه إنّما هو في الإمام المتمكّن من تصدّي الأُمور و الواجد لشرائط الزعامة، لا الممنوع عن حقّه و المسجون في السجن أو جوف بيته، و إلّا فحاله حينئذ كحال سائر الناس بالنسبة إلى شؤون الزعامة و أحكامها، فهو كالمنسلخ عن مقامه لا يترتّب عليه غالب أحكامه، كما كان محروماً عن سائر شؤون الرئاسة.

التنبيه الثاني
[أموال الإمام و المسلمين]

في ذكر أموال الإمام و ما جعله الله تحت يده ممّا يتعلّق بنفسه الشريفة و ما يتعلّق بالمسلمين.

فاعلم إنّ الإمام[3] ﷺ من حيث إنّه قد فوّض الله إليه زعامة الناس و رئاسة الأُمّة و تدبير الأُمور و نظم المجتمع الإسلامي و تجنيد الجند لدى الحاجة و الجهاد مع الأعداء و الدفاع عن حوزة الدين، أعدّ الله له أموالاً، و جعلها تحت يده و اختياره سوى الأموال الشخصية التي تملكها بالحيازة و الإحياء و الإرث و نحوها، فمنها ما هو ملك

---

١. خرّجناه في الصفحة ٢٤٣.
٢. راجع ما خرّجناه قبل أسطر عن الكافي.
٣. في الأصل: «للإمام»، و الصحيح ما أثبتناه.

له، و منها ما هو ملك للمسلمين، مفوّض أمره إليه من حيث الأخذ و الجباية [1] و الصرف في مصارفه المقصودة.

[ذكر ما يملك الإمام خاصّة]

فأمّا ما هو ملكه ﷺ فقسمان:

أوّلها: الخمس، و هو المأخوذ من الغنائم السبع التالية:

الأوّل: غنائم دار الحرب، و هي أمور:

١. الأموال المنقولة التي حازها العسكر بإذن الإمام ﷺ.

٢. ما تسلّطوا عليه من الأناسيّ [2] من الرجال و النساء و الصبيان.

٣. الأراضي العامرة حال الاستيلاء.

٤. الأراضي الميتة الغامرة [3] حال الاستيلاء.

٥. ما صالحوا عليه من الكفّار و أخذوه منهم صلحاً.

٦. فدية الأسراء الذين افتدوا أنفسهم بالمال.

٧. السَلَب [4] إذا لم يشترط العسكر أخذه لأنفسهم.

الثاني: المعدن بجميع مصاديقه و أقسامه.

الثالث: الكنز، و هو المال المذخور تحت الأرض، أو في الجبل، أو الجدار، أو الشجر من النقدين و غيرهما.

---

١. قد مضى معنى الجباية في الصفحة ٢٥٢.

٢. الأناسيّ، بالفتح و تشديد الياء: جمع الإنسيّ واحد الإنس، أو هو جمع الإنسان، و أصله: أناسين، فتكون الياء عوضاً عن النون، و يجوز تخفيف الياء. و هاهنا بحث و تفصيل بيان لا يسعه المقام. راجع: الصحاح، ج ٣، ص ٩٠٤؛ لسان العرب، ج ٦، ص ١٠ ـ ١٣ (أنس).

٣. الغامر من الأرض: خلاف العامر. و قال بعضهم: الغامر من الأرض: ما لم يزرع ممّا يحتمل الزراعة. الصحاح، ج ٢، ص ٧٧٢ (غمر).

٤. السَلَب، بالتحريك: ما يُسْلَب، أو ما يُسْلَبُ به. و كلّ شيء على الإنسان من اللباس فهو سلب. و هو ما يأخذه أحد القرنين في الحرب من قِرنه ممّا يكون عليه و معه من ثياب و سلاح و دابّة، و هو فَعَلٌ بمعنى مفعول، أي مسلوب. لسان العرب، ج ١، ص ٤٧١ (سلب).

الرابع: الغوص، أي ما يخرج من البحر و النهر الكبير من الجواهر و الأحجار الكريمة و العنبر غير الحيوان.

الخامس: المال الحلال المخلوط بالحرام بحيث لا يعلم مقداره و لا صاحبه.

السادس: الأرض التي اشتراها الذمّيّ من المسلم.

السابع: مازاد من مؤونة سنة الشخص من أرباح مكاسبه.

و ثانيها: **الأنفال**، و هي أيضاً على أقسام.

الأوّل: الأرض التي لم يوجف[۱] عليها بخيل و لا ركاب، سواء انجلى أهلها، أو أسلموها للمسلمين طوعاً.

الثاني: الأراضي الموات التي لم يعلم لها صاحب.

الثالث: سِيف[۲] البحار و شطوط الأنهار.

الرابع: رؤوس الجبال و بطون الأدوية و الآجام.[۳]

الخامس: قطائع الملوك[٤] و صفاياهم.[٥]

السادس: صفو الغنيمة، كفرس جواد و جارية حسناء و ثوب مرتفع و سيف قاطع.

السابع: الغنائم التي ليست بإذن الإمام ﷺ.

الثامن: إرث من لا وارث له.

---

۱. الوجف والإيجاف: سرعة السير، و قد أوجف دابّته، إذا حثّها. و منه حديث عليّ ﷺ: «و أوجف الذكرَ بلسانه»، أي حرّكه مسرعاً. النهاية، ج ٥، ص ١٥٧ (وجف).

۲. السيف، بالكسر: ساحل البحر، و الجمع: أسياف. الصحاح، ج ٤، ص ١٣٧٩ (سيف).

۳. الآجام: جمع الأجمة بالتحريك، و هي الشجر الملتفّ، أو منبت الشجر. و قال الجوهري: «الأجمة من القصب، و الجمع: أَجَمات و أُجَمٌ و إجام و آجام و أُجُمٌ». راجع: الصحاح، ج ٥، ص ١٨٥٨؛ لسان العرب، ج ١٢، ص ٨ (أجم).

٤. القطائع: اسم لما لا ينقل من المال، كالقرى و الأراضي و الأبراج و الحصون. و قطائع الملوك: هي ما يقتطع له منها. راجع: مجمع البحرين، ج ٤، ص ٣٨١ (قطع).

٥. صفايا الملوك: هي ما اصطفوه لأنفسهم من المنقولات النفيسة. راجع: مجمع البحرين، ج ١، ص ٢٦٤ (صفا)؛ مصباح الفقيه، ص ١٥٢.

التاسع: المعادن التي ليست لمالك الخاصّ.

هذا، و كثيراً ما يطلق على هذين القسمين مال الإمام، و على المحلّ المدّخر فيه القسمان بيت مال الإمام.

ثمّ إنّ الظاهر أنّ الجميع ذلك ملك بعنوان رياسته العامّة، لا بما أنّه شخص خاصّ، فينقل بعد ارتحاله إلى من هو إمام بعده من ورثته لا جميع الورّاث، و ليس كأملاكه الشخصية التي تملكها بالتكسّب، أو الاتّهاب، أو الإرث مثلاً؛ فإنّها تنتقل إلى جميع الورثة، و لو فرض انتقال شيء من تلك الأموال إلى الورثة، فهو مختصّ بالعوائد المأخوذة و بعض فوائدها المقبوضة، لا أُصولها الناتجة و فروعها الحاصلة بعد موته ﷺ.

[بيان ما هو ملك للمسلمين]

و أمّا ما هو ملك للمسلمين[1] فهو أقسام كثيرة:

١. منها الزكوات المأخوذة من الأشياء التالية: النقدين، الأنعام الثلاثة، الغلّات الأربع.

٢. و منها الأراضي المفتوحة عنوة،[2] فإنّها بنفسها للمسلمين مع قطع النظر عن أنّ فوائدها للمسلمين، فلو جاز في مورد بيعها كما قد يتّفق، فثمنها يجعل في بيت مال المسلمين.

٣. و منها الخراج و المقاسمة المأخوذتان من أهل تلك الأراضي، و الأُولى هي الضرائب على الرؤوس، أو على الأراضي، أو على المواشي، و الثانية هي ما يؤخذ من نفس الغلّات و الفوائد.

٤. و منها عوائد الأوقاف العامّة التي وقفها أهلها؛ ليصرف درّها في المبرّات.

٥. و منها النذور العامّة، كأن نذر صرف مال معيّن في وجوه البرّ.

---

١. عدل لقوله ﷺ: «فأمّا ما هو ملكه ﷺ».

٢. العنوة: القهر. يقال: فتحت هذه البلدة عنوة، أي فتحت بالقتال، قوتل أهلها حتّى غُلبوا عليها، فهي ما أُخذت من الكفّار بالغلبة و القهر و الاستيلاء. راجع: لسان العرب، ج ١٥، ص ١٠١ (عنا)؛ مرآة العقول، ج ٤، ص ٣٥٦.

٦. و منها الأموال المجهول مالكها من أرض و دار و غيرهما.

٧. و منها اللقطة[1] مطلقاً من حيوان و غيره.

٨. و منها الكفّارات، ككفّارة القتل عمداً أو خطأً، و كفّارة حنث النذر و العهد و اليمين، و إفطار شهر رمضان و غيرها.

التنبيه الثالث
[بيان مصارف الخمس و الأنفال]

في بيان مصارف الأموال التي بيد الإمام و تحت استيلائه.

فنقول: أمّا أملاكه الشخصية غير الخمس و الأنفال فحكمه ﷺ بالنسبة إليها كحكم سائر الناس في التسلّط و التصرّف، غير أنّ الأقوى شمول ما ذكرنا من أدلّة اشتراط الزهد لها أيضاً.

و أمّا أمواله بعنوان الإمامة و الرئاسة فحكمها و مصرفها ظاهر بعد ملاحظة أُمور:

١. كثرة تلك الأموال جدّاً بحيث لا يمكن القول بأنّ الغرض من تمليكها للإمام إدارة عيشه بشخصه، أو مع عائلته و أقاربه و أضيافه، بل و قبيلته من اليتامى و المساكين و ابن السبيل.

٢. اشتراط الزهادة له بما عرفت بحيث كانت النتيجة قناعته على قدر الضرورة من المعيشة و تقدير نفسه بضعفة الناس و طبقتهم السفلى.

٣. كون إعطائه و بذله لها بعنوان رئاسته للأُمّة و زعامته للمجتمع و إدارته رحى حياة الأُمّة بأنواع فرقهم و شتّى أصنافهم و مختلف شؤونهم و حوائجهم.

فينتج التأمّل في ذلك أنّ مصارف تلك الأموال بعد إخراج مؤونته الشخصية المقتصدة و تكفّل مؤونة قبيلته من بني هاشم من أيتامهم و فقرائهم و ابن سبيلهم، هي الحوائج المرتبطة بذاك المنصب العظيم، و هي حوائج المجتمع عموماً و مصالح الأُمّة

---

١. قال الفيّومي: «قال الأزهري»: اللقطة، بفتح القاف: اسم الشيء الذي تجده ملقى فتأخذه. قال: و هذا قول جميع أهل اللغة و حذّاق النحويّين. المصباح المنير، ص ٥٥٧ (لقط).

طرّاً و صرفها في إصلاح حالهم و رفاه عيشهم في الدنيا و هدايتهم إلى كمالهم اللائق بهم و تربية نفوسهم و تكميل عقائدهم و تصفية أرواحهم و تحسين أعمالهم؛ ليرتقوا في درجات الإنسانية و الكمالات المعنوية و الفضائل الباطنية أعلاها و أرقاها و أفضلها و أغلاها.

و يستفاد من الآية الشريفة[١] أيضاً الفرق بين الإمام و الطوائف الثلاث بالنسبة إلى هذا المال، و ذلك لذكر اللام في الأوّل و تركها في الثاني، و ليس ذلك إلّا لكون الإمام مالكاً و تلك الطوائف من قبيل المصارف، و حيث إنّ مؤونة الجميع ـ أعني نفس الإمام و عيالاته و تلك الطوائف ـ لا تطابق الأموال المعدّة لها، بل تخالفها بكثير، علمنا أنّه يجب على الإمام أوّلاً إخراج تلك المؤن و إعطاء الطوائف ما يكون كفافاً لحالهم، ثمّ صرف الباقي في المصارف المذكورة.

و يشهد لما ذكرناه عدّة روايات في باب الخمس،[٢] فراجع.

ثمّ إنّه لا يتوهّم عدم الحاجة إلى صرف أموال الإمام عليه السلام في الموارد المذكورة؛ فإنّ بيت مال المسلمين كاف في إصلاح أمورهم و ترميم نواقص عيشهم؛ لأنّ من الواضح أوّلاً أنّ بيت مالهم بالقياس إلى بيت مال الإمام أقلّ قليل، بل نسبته إليه نسبة الواحد إلى المأة أو الألف، فهي لا تدير عيش المسلمين، و لا تنظم أمورهم، و لا تكفي لرفاه حالهم و إصلاح بالهم.

و ثانياً أنّ الزكوات و الأموال المجهولة مالكها و الكفّارات و اللقطة و ما يماثلها، تختصّ بطائفة معيّنة، و هم الفقراء و المساكين، و الأراضي المفتوحة عنوة لا يجوز بيعها إلّا بشرائط خاصّة، و الخراج و المقاسمة و الأوقاف العامّة لا تفي بشيء من الأمور العامّة الاجتماعية و الهامّة الإسلاميّة، فالمتكفّل لإصلاح حال الأمّة صلاحاً يوافق ما يليق برقاهم و يناسب المقصود من تكاملهم في دنياهم و أخراهم، هو بيت مال الإمام كما عرفت.

---

١. و هي الآية ٤١ من سورة الأنفال (٨)، و هي قوله تعالى: ﴿وَ اعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ﴾ الآية.

٢. راجع: وسائل الشيعة، ج ٩، ص ٥٠٩ ـ ٥٢١، الباب ١ ـ ٣ من أبواب قسمة الخمس.

التنبيه الرابع

[الولاية التكوينية و التشريعية]

في بيان حقيقة ولاية الإمام و أنّها على الأنفس و الأموال جميعاً، أو على الأنفس فقط أو على الأموال فقط؟ و ذكر شيء من أحكامها و ما يدلّ عليها.

فاعلم أنّ الولاية ـ و هي بمعنى التسلّط على شيء و تدبير أمره ـ على أقسام:

١. منها الولاية التكوينيّة التامّة، كولاية الله تعالى و سلطانه على جميع الموجودات.

٢. و منها الولاية التكوينيّة الناقصة، كسلطان الروح على الأعضاء، و هذا أحسن مثال موضح و كاشف عن ولاية الربّ تعالى؛ إذ لا تريد النفس أمراً و تحرّكت العضلة المتناسبة له نحوه إلّا أن يوجد مانع و قاسر، و هو معنى نقضها؛ فإنّه لا يمكن وجود مانع عن تمشّي إرادة الله التكوينيّة.

٣. و منها الولاية التشريعية الكاملة، و هي التي ندّعي ثبوتها للنبيّ و الأئمّة عليهم السلام في مقابل الولاية التشريعية الناقصة، كولاية الأب على الأولاد و كذا الجدّ و القيّم المنصوب من قبلهما، و ولاية الحاكم على القصر و الغيّب؛ فإنّ كلّها ناقصة بالإضافة إلى ولاية المعصومين عليهم السلام التشريعية.

و هذه الولاية أمر اعتباري و حكم وضعي إنشائي، قابل للجعل، و تابع لإنشاء من بيده الأمر، كالمناصب المجعولة من قبل السلطان على عمّال البلاد، و كالملكية و الزوجية و نحوهما. فللنبيّ و الإمام ولاية تشريعية تامّة مجعولة من الله تعالى تشبه ولاية الأب لولده، و من آثارها نفوذ أوامره و نواهيه في حقّ المسلمين و وجوب طاعتهم له في جميع ما أحبّه و أراده، بل و وجوب وقاية نفسه الشريفة بأنفسهم عند المخاطر، و لزوم حبّه أشدّ من حبّهم أنفسهم و نحو ذلك.

[أدلّة ثبوت ولاية الإمام]

و الدليل على ثبوت هذه الولاية أُمور:

الأوّل: قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[1]، و معنى

---

١. الأحزاب (٣٣): ٦.

الآية أنّه لا إشكال في أنّ للمؤمن ـ بما أنّه إنسان ذو عقل و اختيار ـ ولاية على نفسه، يتصرّف فيها كيف يشاء، فيمضي ما تشتهيه من المحابّ، و ينفذ ما تريده من الأفعال، و ولاية النبيّ عليه أقوى و أرجح من ولايته على نفسه بحيث يلزمه أن يقدّم ما أحبّه على ما أحبّته نفسه و ما أراده على ما أرادته نفسه، فتدلّ الآية الشريفة بالمطابقة على المدّعى، و هو ولاية النبيّ على النفوس.

ثمّ إنّه إذا ثبت الولاية التشريعية للنبيّ الأعظم، فهي تثبت لا محالة للإمام بعده بأخبار كثيرة متظافرة[1] عن أهل البيت ﷺ، و منها الحديث المتواتر بين الفريقين «من كنت مولاه فعليّ مولاه»[2] بالنسبة إلى أمير المؤمنين ﷺ.

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[3]، بتقريب أنّ المراد بالأمر هنا الأمور المرتبطة بالأشخاص بأنفسهم أو باجتماعهم، لاالأحكام الشرعية المتعلّقة بهم، و ذلك بقرينة إضافة الأمر إليهم؛ فإنّ الأحكام الكلّية الإلهية لا يصدق عليها أنّها أمرهم و فعلهم، بل هي أمر الله تعالى و فعله، و كذا بقرينة ذكر الرسول؛ فإنّه لو كان المراد به الأحكام الشرعية لم تكن لأحد بعد قضائه الخيرة، سواء في ذلك الرسول و غيره.

فمحصّل معنى الآية أنّه إذا حتم الله و رسوله فعلاً من الأفعال يتعلّق بالمؤمنين كلاً أو بعضاً، و ألزمهم بذلك، كأن أمرهم بالخروج إلى الحرب، أو بالتوطنّ في مدينة معيّنة، أو بأن يطلّقوا أزواجهم، أو ينفقوا من أموالهم في سبيل خاصّ، لم تكن لهم خيرة بعد ذلك، بل يجب عليهم التسليم و الانقياد و الطاعة و العمل، و هذا المعنى من آثار الولاية التشريعية، فتدلّ الآية بالدلالة الالتزامية على الولاية التشريعيةً للنبيّ، و تتمّ في الإمام بضميمة ما ذكرناه من الأدلّة و بعدم القول بالفصل من علماء التشيّع، بل القول بعدم الفصل في ذلك.

---

١. قد تقدّمت الروايات العديدة في ذلك في الصفحة ١٩١ و ما بعدها، و نحن خرّجناها من مصادر عديدة، إن شئت فراجع هناك.

٢. خرّجناه من مصادر عديدة من الفريقين في الصفحة ١٩٤.

٣. الأحزاب (٣٣): ٣٦.

و لا يخفى أنّ هذه الآية تغاير في المرميّ الآية ٦٨ من القصص (٢٨)، و هي قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾؛ فإنّها لا تدلّ على المدّعى كما توهّم؛ فإنّه يمكن أن يكون متعلّق الاختيار فيها تدبير الخلق، أو جعل الأحكام و تشريع الشرايع، و المعنى: إنّ الله يخلق من الخلق ما أراد، و يختار في تدبيره ما هو الأصلح، و ينشئ من الشريعة ما شاء، و لا خيرة لأحد في ذلك، كما قال: ﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[١]، و قال: ﴿ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[٢]، و لذلك لم يذكر النبيّ ﷺ فيها.

الثالث: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[٣]، و تقريب الاستدلال أنّ الوليّ ـ كما عرفت[٤] ـ هو المتسلّط على الشخص أو الشيء، المتصرّف فيه، المدبّر لأمره، و الآية تثبت المعنى المذكور ـ بعد إثباته لله و رسوله ـ لكلّ طائفة كان فيها وصفان: إقامة الصلاة، و إيتاء الزكاة حالة الركوع.

و حينئذ فلو أُريد الوصفان بنحو الموضوعية و الحيثية التقييدية؛ لينطبق على كلّ واجد لهما و إن بلغ أُلوفاً و ملايين فهو أمر باطل قطعاً، مع ملاحظة ما يترتّب عليه من تسرّي الأهواء المختلفة فيه، و وقوع الاختلاف كثيراً بين الأُمّة بذلك، فنستكشف منه كون المراد الشخص، أو الأشخاص المعيّنين الموجودين في زمان نزول الآية، و قد ورد في أخبار الفريقين[٥] أنّ الآية نزلت في حقّ عليّ بن أبي طالب ؑ، فيتعيّن بالولاية، مع أنّه لا إشكال في كون عليّ ؑ داخلاً في الآية، و دخول غيره يحتاج إلى إحراز شرط الإمامة فيهم، و عدمه معلوم عندنا.

ثمّ ليعلم أنّ الوليّ في هذه الآية قد استعمل في الأعمّ من التكويني و التشريعي، فولاية الله تكوينية، و ولاية الرسول و الأئمّة ؑ تشريعية، و قد ظهر أيضاً أنّ دلالة الآية على الولاية بالمطابقة؛ فإنّها ظاهرها في إثبات نفس الولاية؛ أعني الحكم

---

١. الأعراف (٧): ٥٤.
٢. طه (٢٠): ٥٠.
٣. المائدة (٥): ٥٥.
٤. مرّت في الصفحة ١٩٥.
٥. خرّجناها في الصفحة ١٩٨ ـ ٢٠٠.

الوضعي التشريعي القابل للجعل و التشريع، و ليست بالالتزام كآية القصص (٢٨).[١]

الرابع: قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾[٢].

لا يخفى عليك أنّ طاعة الله تعالى عبارة عن امتثال أحكامه و العمل بما أنزله على رسوله، و أخبر به النبيّ، و بلّغه، فيدخل في ذلك امتثال الأوامر و النواهي الشرعية كلّها.

و أمّا طاعة الرسول فإن كان المراد بها طاعته في أوامره و نواهيه الشرعية الإرشادية، فهي راجعة إلى طاعة الله، بل هي عينها غير أنّ نسبتها إلى الله بالأصالة و إلى الرسول بالتبع، و هذا يكون كالتكرار، فلابدّ من أن يكون المراد طاعته في أوامره و نواهيه الشخصية المنشأة من قبله؛ لمصالح نفسه أو مجتمعه، كأن يأمر بشراء شيء، أو ببيعه، أو بتجنيد جند، أو نحو ذلك، و هذا القسم هو الأوامر و النواهي الحقيقية للرسول ﷺ، فإذا وجب طاعته فيه كان دليلاً على ولايته على النفوس، فالآية تدلّ بالدلالة الالتزامية على تحقّق الولاية التشريعية في حقّ النبيّ ﷺ، و تثبت في الأئمّة ﷺ بالبيان السابق، مع أنّه يكفي في إثبات المطلوب وجوب الطاعة بنفسه.

و يدلّ على المطلوب أيضاً قوله تعالى: ﴿وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ فأوجب الله تعالى طاعة أُولي الأمر، و الأمر إمّا بمعنى الطلب الأكيد، أو بمعنى الفعل و الشأن.

و المراد بالفعل هنا ليس مطلقة، بل الفعل الذي من شأنه أن يرجع فيه إلى رئيس القوم و زعيم الملّة، سواء كان أمرا ماليّاً، أو اجتماعيّاً، أو سياسيّاً، كإقامة الجمعة، و التصرّف في أموال الأيتام، و التصرّف في أموال الغائبين، و تعيين القيّم للصغار، و إجبار الممتنع عن أداء الحقّ، و تطليق زوجة الغائب، و أخذ اللقطة[٣] و مجهول المالك، و تعيين المتولّي على الأوقاف، أو عزل متولّيها، و حباية[٤] الزكوات، و جمع الأخماس و

---

١. وهي الآية ٦٨.

٢. النساء (٤): ٥٩.

٣. قد تقدّم معنى اللقطه في الصفحة ٢٦٢.

٤. قد مضى معنى الجباية في الصفحة ٢٥٢.

الأنفال، و جباية الخراج و المقاسمة[١]، و الحكم بإفلاس المفلس، و الحكم برؤية الهلال، أي بأوّل الشهر أو آخره، و تعيين القاضي للبلاد، و عزل القضاة في صورة المصلحة، و تعيين العمّال لسائر الأُمور اللازمة، و إجراء الحدود و التعزيرات، و تهيئة الجند و العتاد، و نصب الرئيس على العسكر، و أخذ الجزية من أهل الذمّة، و التصدّي لعقد الجزية و تعيين شرائطها، و المصالحة مع الكفّار عند اللزوم، و الأمر بالجهاد ابتداء؛ للدعوة إلى الإسلام، و غير ذلك.

و على أيّ تقدير إمّا أن يراد به صاحب الأمر و النهي، أو صاحب الشأن من هو كذلك عرفاً و في ما بين الناس، أو من جعله الله صاحب أمر أو شأن، فإن فرض الأوّل لزم القول بأنّ الله أوجب طاعة الظلمة و الطواغيت و الشياطين المتسلّطين على النفوس و الأموال، كمعاوية و ابنه و الرشيد و المأمون و نحوهم؛ فإنّه لا إشكال في انطباق تلك العناوين عليهم مع انطباق عنوان «أولي الأمر» عليهم عرفاً.

و حينئذ فهل يمكن الجمع بين أن يكون أحد من أُولي الأمر عرفاً، فتجب طاعته مقروناً بطاعة الله و طاعة الرسول، و أن يكون طاغوتاً أمر الله الناس بالكفر به و الاجتناب عنه، و شيطاناً حرّم اتّباع خطواته، و يحصل الخسران من اتّخاذه وليّاً، و قد عهد الله إلينا ألّا نعبده؟

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾[٢].

و قال: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾[٣]، و قال: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾[٤].

و قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾[٥].

و قال: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَـٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾[٦].

---

١. قد مضى معنى الخراج و المقاسمة في كلام المصنّف‌ؒ في الصفحة ٢٦١.

٢. النساء (٤): ٦٠.

٣. النحل (١٦): ٣٦.

٤. البقرة (٢): ٢٥٦.

٥. البقرة (٢): ١٦٨ و ٢٠٨؛ الأنعام (٦): ١٤٢.

٦. النساء (٤): ١١٩.

و قال: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ﴾[١].

و حينئذ فلابدّ من كون المراد بـ «أولي الأمر» من جعله الله كذلك، و منحه هذا المنصب الخاصّ، و لابدّ من وجود المصداق له من حين ارتحال النبيّ الأعظم إلى آخر أزمنة بقاء الأمّة الإسلاميّة، و الخطاب المتوجّه إليهم بهذه الآية لا يصدق[٢] على الخلفاء الثلاث قبل عليّ عليه السلام؛ للإجماع من أهل السنّة و الشيعة على عدم نصبهم من الله و عدم التنصيص بكونهم أولي الأمر، إذاً فلا نجد لهم مصداقاً إلّا الثقل الأصغر الذي أمر النبيّ صلى الله عليه و آله أمّته بالتمسّك بهم و عدم التخلّف عنهم،[٣] و من أوجب الله محبّتهم على الأمّة و جعلها أجراً لرسالة رسوله،[٤] و من عنده علم الكتاب،[٥] و الذين يطعمون الطعام على حبّه مسكيناً و يتيماً و أسيراً،[٦] و الذين هم نفس النبيّ و ولده،[٧] و الذين يقيمون الصلاة، و يؤتون الزكاة، و هم راكعون،[٨] و الذين هم الراسخون في العلم،[٩] و الذين هم خير أمّة أخرجت للناس،[١٠] و الذين إن مكّنهم الله في الأرض أقاموا الصلاة، و آتوا الزكاة، و أمروا بالمعروف، و نهوا عن المنكر،[١١] و الذين هم لمّا استضعفوا في الأرض أراد الله أن يمنّ عليهم، فيجعلهم أئمّة، و يجعلهم الوارثين،[١٢] و الذين هم أهل الذكر الذين يجب سؤالهم.[١٣]

و بالجملة لم نجد مصداقاً لهذه الآيات إلّا الذين أمر الله رسوله بإظهار إمامتهم

---

١. يس (٣٦): ٦٠.

٢. في الأصل: «و لا يصدق» بالواو، و الصحيح ما أثبتناه.

٣. إشارة إلى حديث الثقلين الذي قد مضى و نحن خرّجناه من مصادر الفريقين في الصفحة ٢٠٠ و ٢١٨.

٤. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾. الشورى (٤٢): ٢٣.

٥. اقتباس من الآية ٤٣ من سورة الرعد (١٣).

٦. اقتباس من الآية ٨ من سورة الإنسان (٧٦).

٧. إشارة إلى آية المباهلة، و هي الآية ٦١ من سورة آل عمران (٣).

٨. اقتباس من الآية ٥٥ من سورة المائدة (٥).

٩. اقتباس من الآية ٧ من سورة آل عمران (٣)، و الآية ١٦٢ من سورة النساء (٤).

١٠. اقتباس من الآية ١١٠ من سورة آل عمران (٣).

١١. اقتباس من الآية ٤١ من سورة الحجّ (٢٢).

١٢. اقتباس من الآية ٥ من سورة القصص (٢٨).

١٣. اقتباس من الآية ٤٣ من سورة النحل (١٦)، و الآية ٧ من سورة الأنبياء (٢١).

بقوله: ﴿يا أيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ﴾،[١] مع أنّه هم القدر المتيقّن بين الفريقين بعد العلم بعدم إرادة الخلفاء الثلاث؛ لاعتراف الفريقين بعلمهم و تقواهم و فضلهم و علوّ مقامهم، مع أنّه لم يدّع مقام الولاية غيرهم، و لم يأت بالمعجزات الكثيرة سواهم.

[قول علماء أهل السنّة في آية «أُولي الأمر» و نقده]

و أمّا ما ذهب [إليه][٢] عدّة من علماء أهل السنّة، من أنّ[٣] المراد بالآية إيجاب طاعة كلّ من يصدق عليه عرفاً أنّه من أُولي الأمر إلّا أنّه مقيّد بعدم مخالفة أمره أمر الله و طاعته طاعة الله، أو في ما إذا أمر به، و نهى عمّا نهى الله عنه؛ إذ لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق،[٤] فهو كلام فاسد؛ إذ لا يختصّ ذلك حينئذ بأُولي الأمر، بل يجب طاعة كلّ مؤمن و مؤمنة إذا أمروا بما أمر الله به، و نهوا عمّا نهى الله عنه.

مع أنّ القول بأنّ الله أوجب طاعة كلّ من تصدّى لمقام السلطنة على الناس، و جاز أريكتها،[٥] و تسنّى[٦] له الركوب على أعناقهم، و إن كان ذلك بقتل النفوس و إتلاف الأموال و ارتكاب أنواع الظلم و الجور، و إن فرضنا ذلك في غير موارد عصيان الله، بل في ما كان مباحاً بالذات قبل تعلّق أمره أو نهيه، أمر لا يوافق روح الإسلام و حريّة قوانين الدين و شدّة وقوع النكير فيها على الظالمين و الجائرين و الفاسقين و الحثّ الأكيد على الإعراض عنهم و اجتناب طاعتهم و النهي الشديد عن إطاعة أمر المسرفين و المفسدين، الشامل بإطلاقه لأغلب موارد طاعتهم.

---

١. المائدة (٥): ٦٧.
٢. ما بين المعقوفين أضفناه لمقتضى السياق.
٣. في الأصل: «بأنّ»، و الصحيح ما أثبتناه.
٤. راجع: الكشف و البيان، ج ٣، ص ٣٣٥؛ الكشّاف، ج ١، ص ٥٣٤؛ أنوار التنزيل، ج ٢، ص ٨٠، ذيل الآية ٥٩ من سورة النساء (٤).
٥. الأريكة: سرير منجّد مزيّن في قبّة أو بيت، فإذا لم يكن فيه سرير فهو حَجَلَةٌ. و قيل غير ذلك. راجع: لسان العرب، ج ١٠، ص ٣٩٠ (أرك).
٦. يقال: تسنّى لي كذا، أي تيسّر و تأتّى. لسان العرب، ج ١٤، ص ٤٠٤ (سنا).

الخامس: الدليل العقلي، و هو مركّب من مقدّمتين:

الأولى: أنّ النبيّ و الأئمّة ﷺ وسائط الرحمة و الفيض بين الله تعالى و بين خلقه، فبهم أفاض الله الوجود على الأشياء، و بيدهم أجرى العلوم و الحقائق على ذوات العقول.

الثانية: أنّ شكر المنعم لازم واجب بحكم العقل السليم و قضاء الفطرة الصحيحة، فتكون النتيجة وجوب طاعتهم في كلّ ما أمروا به عقلاً بعين ما حكموا به في طاعة الله و طاعة الأبوين.

أمّا بيان المقدّمة الأولى فهو أنّه و إن كان لا إشكال في عدم دخل النبيّ و الأئمّة في خلق العالم، و لا في تدبيره بعد الخلق بنحو العلّة التامة، أو السببيّة الناقصة، فنسبة الخلق أو التدبير إليهم باطلة قطعاً، و لا قائل بها من الشيعة الإمامية، و لعلّ القول بها نشأ عن الغلاة و المفوّضة، بل مقتضى ظواهر الآيات القرآنية و صريح أحاديث الباب انتساب خلق الموجودات كلّها و إيجاد العالم و إبداعه، ثمّ تدبير الأمر فيه و حفظ نظمه و إدارة رحاه إلى الله تعالى، فالخلق يصدر منه تعالى بإرادته التكوينية المستقلّة، و التدبير بأمره و وساطة الملائكة الموكّلين، و هم المدبّرات أمراً،[١] و المقسّمات أمراً،[٢] كما قال تعالى في جهة الخلق:

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[٣]؛

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[٤]؛

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[٥]؛

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[٦]؛

﴿خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾[٧]؛

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[٨]؛

---

١. اقتباس من الآية ٥ من سورة النازعات (٧٩).
٢. اقتباس من الآية ٤ من سورة الذاريات (٥١).
٣. الأعراف (٧): ٥٤.
٤. الفرقان (٢٥): ٢.
٥. القمر (٥٤): ٤٩.
٦. الأعراف (٧): ٥٤؛ يونس (١٠): ٣.
٧. الأنبياء (٢١): ٣٣.
٨. الحجر (١٥): ٨٥.

﴿خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[١]؛

﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾[٢]؛

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾[٣]؛

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[٤]؛

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٥]؛

﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾[٦]؛

﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ﴾[٧]؛

﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾[٨]؛

﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[٩]؛

﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ﴾[١٠].

و قال تعالى في التدبير:

﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾[١١]؛

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾[١٢]؛

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾[١٣]؛

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾[١٤]؛

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾[١٥]، و معنى وكالته تعالى علـى كـلّ شيء هي قيامه مقامه في تدبير أمره.

---

١. يس (٣٦): ٣٦.
٢. الذاريات (٥١): ٤٩.
٣. النور (٢٤): ٤٥.
٤. الرحمن (٥٥): ١٤ و ١٥.
٥. الذاريات (٥١): ٥٦.
٦. النحل (١٦): ٨.
٧. النحل (١٦): ٥.
٨. الروم (٣٠): ٢١.
٩. الأنعام (٦): ١.
١٠. فاطر (٣٥): ١.
١١. يونس (١٠): ٣١.
١٢. يونس (١٠): ٣.
١٣. السجدة (٣٢): ٥.
١٤. فصّلت (٤١): ١٠.
١٥. الزمر (٣٩): ٦٢.

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾[1]؛
﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾[2]؛
﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾[3].

[تحقيق حول الولاية التكوينية]

و بالجملة ليست الأئمّة علّة فاعلية للخلق و لا للتدبير، و هذا هو مراد من نفي الولاية التكوينية عن النبيّ و الأئمّة، فهي بمعنى كونهم فاعلاً للخلق و لو بأمر الله، أو فاعلاً للتدبير كذلك غير ثابتة، بل ظاهر الأدلّة ـ كما عرفت[4] ـ عدمها، مع غمض النظر عن أنّه على فرض الثبوت فهل تختصّ بنبيّنا و أوصياؤه، أو تثبت للأنبياء الماضين أيضاً؟ و مع فرض تعدّد الأنبياء في زمان واحد فهل تثبت لواحد منهم، أو يشترك فيها الجميع؟ و أنّه هل تثبت لهم في جميع أحوالهم، أو في حال اليقظة دون النوم؟ و غير ذلك من المشاكل.

نعم للولاية التكوينية معنى آخر أشرنا إليه في ما سبق،[5] لا يبعد القول بثبوتها لهم، و هو أنّ لهم القدرة و التمكّن في أن يتصرّفوا في بعض الأُمور التكوينية، و يوجدوا بعض الحوادث على خلاف مجراها الطبيعي، و من هذا الباب ما يصدر منهم من الخوارق بنحو التصرّف في الموجودات.

و قد ثبت ذلك بالأخبار المتواترة[6] إجمالاً، فلا بدّ من القول بذلك، و هذه هي الولاية التكوينية التي قلنا بثبوتها لهم في ما سبق، لكنّ الكلام في حدود هذه الولاية و سعة دائرتها و ضيقها، فالقدر المتيقّن منها ثبوتها بنحو الموجبة الجزئية لا الكلّية، و

---

١. البقرة (٢): ١٦٤.
٢. الحجّ (٢٢): ٥.
٣. الحشر (٥٩): ٢٤.
٤. أي قبيل هذا قبل أسطر إلى هنا.
٥. حيث ذكر‌ صدور المعجزات و الخوارق للعادة عنهم‌ و مصادر الروايات الدالّة على ذلك على التفصيل في الصفحة ٢١٩ و ٢٢٠.
٦. حيث ذكر‌ صدور المعجزات و الخوارق للعادة عنهم‌ و مصادر الروايات الدالّة على ذلك على التفصيل في الصفحة ٢١٩ و ٢٢٠.

نظير ذلك علمهم بالموضوعات الغيبية؛ فإنّه لا إشكال في أنّهم كانوا عالمين بها في الجملة؛ لورود أخبار متواترة[۱] حاكية عن ذلك، لكن على اجمال في حدوده، فالمتيقّن ثبوته بنحو القضيّة المهملة، لا الموجبة الكلّية.

هذا كلّه بالنظر إلى كونهم علّة فاعليّة للخلق و التدبير، و أمّا العلّيّة الغائية فالظاهر أنّه لا إشكال في كونهم علّة غائيّة للخلق و التدبير، أو أنّ لهم الركنية و الأصالة فيها، فبهم خلق الله الخلق، و لهم دبّر أمره، و لولاهم لم يخلق ما خلقه، و لم يوجد ما أوجده، و لم يدبّر الأمور، و يظهر ذلك من ملاحظة الروايات و بعض الأدعية الواردة و الزيارات المأثورة عنهم ﷺ ففي زيارة الجامعة الكبيرة: «بكم فتح الله، و بكم يختم، و بكم ينزّل الغيث، و بكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه».[۲]

هذا بالنسبة إلى وساطتهم في التكوينيات، و أمّا دخلهم و وساطتهم في جهة التشريع، فلا إشكال في أنّهم العلّة الفاعلية لذلك، بمعنى أنّ جميع الفيوضات [و][۳] التشريع و العلوم و الحكم و برامج الشريعة و أحكامها تجري بواسطتهم و بأيديهم، فهم الوسائط في التشريع بنحو العلّة الفاعليّة، قال تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ۝ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾[٤].

و قال في صالح النبيّ ﷺ: ﴿وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى﴾[٥].

و قال في شعيب النبيّ ﷺ: ﴿وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى﴾[٦].

---

۱. راجع: الكافي، ج ۱، ص ۲۲۳ ـ ۲۲۷، باب أنّ الأئمّة ﷺ ورثوا علم النبيّ و جميع الأنبياء و الأوصياء ﷺ الذين من قبلهم، و باب أنّ الأئمّة ﷺ عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله ﷻ و أنّهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها، و ص ۲٥٥ ـ ۲٥۷، باب أنّ الأئمّة ﷺ يعلمون علم ما كان و ما يكون و أنّه لا يخفى عليهم الشيء صلوات الله عليهم.

۲. الفقيه، ج ۲، ص ٦۱٥، ح ۳۲۱۳؛ تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ۹۹، ح ۱۷۷.

۳. ما بين المعقوفين أضفناه لمقتضى السياق، اللّهمّ إلّا أن نقرأ العبارة: «الفيوضات التشريعيّة».

٤. الجنّ (۷۲): ۲٦ ـ ۲۸.

٥. الأعراف (۷): ۷۹.

٦. الأعراف (۷): ۹۳.

و قال في هود النبيّ ﷺ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ﴾[١].

و قال تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[٢].

و الحاصل أنّه لا إشكال في أنّ لهم الدخالة و التسبيب في جريان الرحمة الإلهية و الفيوضات التكوينية و التشريعية من الله تعالى إلى عباده، فهم أولياء النعم.

و أمّا وجوب شكر المنعم فأمر استقلّ العقل به بالنسبة إلى أصل الشكر، و لا إشكال عنده أيضاً في أنّ امتثال أوامر المنعم و نواهيه واجب، في ما إذا لم يكن الأمر جاهلاً، و لم يعلم كون أمره على خلاف المصلحة، أو مشتملاً على وجود المفسدة، فضلاً عمّا إذا كان المنعم حكيماً لا يقع منه الخطاء، و كان أمره ذا مصلحة تامّة متعلّقة بنفس المأمور، فإذا وجبت الطاعة في جميع ما صدر منهم من الأوامر و النواهي كان ذلك مساوقاً لمنصب الولاية التشريعية.

[فذلكة الأدلّة الخمسة]

هذه أدلّة خمسة، أقمناها على إثبات الولاية التشريعية للنبيّ و الأئمّة ﷺ، و قد ظهر لك أنّ المتحصّل منها، المستفاد من جميعها بنحو المطابقة في بعضها و الالتزام في الآخر ثبوت الولاية التشريعية للنبيّ و الأئمّة ﷺ، و يظهر أيضاً حدود تلك الولاية من حيث السعة و الضيق، فللنبيّ و الأئمّة ﷺ ولاية تامّة و سلطنة عامّة بالنسبة إلى نفوس الأمّة جميعاً من الرجال و النساء و الولدان، كما أنّ لهم الولاية لهم و إطلاق الأمر بطاعتهم و النهي عن مخالفتهم، إذا قلنا بأنّ الآية[٣] في مقام البيان بالنسبة إلى هذا الأمر.

التنبيه الخامس

[وجوب نصب الخليفة عند الغيبة]

في أنّه يجب عليهم أن ينصبوا خليفة لأنفسهم عند غيبتهم عن الناس و لو في مدّة قليلة فضلاً عمّا إذا طالت المدّة، و امتدّت أيّام الغيبة، و تأخّر زمان الظهور.

---

١. هود (١١): ٥٧. ٢. الأنعام (٦): ١٩.

٣. هي الآية ٥٩ من سورة النساء (٤).

لا يقال: لماذا تلك الغيبة؟ و ما هي العلّة في خروج النبيّ أو الإمام من بين الناس و ابتعاده عنهم وحرمانهم من سعادتهم و من الفيوض الربانية حتّى يحتاج إلى تعيين خليفة و نصب نائب و وزير؟

لأنّا نقول: المستفاد من الكتاب الكريم المؤيّد بقضاء العقول و مقتضى ما طبع و جبل عليه الإنسان من الغرائز، أنّه كانت حالات الأُمم و الأقوام الماضين بالنسبة إلى الأنبياء المبعوثين فيهم مختلفة:

فمنهم قوم كانوا يقبلون دعوة نبيّهم، و يستجيبون لما أنزله الله إليهم و لو كان ذلك بعد إنكار و نفور، فيؤمنون بهم، و يعملون الصالحات، و يعيشون بالخير و الصلاح، كما اتّفق لقوم يونس عليه السلام، و هم مأة ألف، أو يزيدون؛ قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[1]، و قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ○ فَـَٔامَنُوا فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[2].

و منهم قوم كانوا ينكرون الدعوات، و يكفرون بالمعجزات، و يستهزئون بالآيات، و يعاندون الحقّ كلّ العناد، و يفسدون في الأرض أشدّ الفساد، و يقتلون الأنبياء، و يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، فلا يؤمن منهم إلّا قليل، و كان يستمرّ ذلك منهم بحيث يحصل اليأس للأنبياء المبعوثين فيهم؛ إذ تشهد حالهم بعدم إيمانهم، بل و عدم تولّد نسل منهم يؤمنون بالله، و يعملون الصالحات، و لم يكن لأنبيائهم و المؤمنين تسلّط عليهم، و تمكّن من مجازاتهم فيأمر الله أنبياءه بالخروج من بينهم؛ ليعذّبهم عذاباً، و يهلكهم إهلاكاً:

١. فهذا نوح النبيّ عليه السلام، يقول الله فيه و في قومه: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[3]؛

﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَـٰذِبِينَ﴾[4]؛

---

١. يونس (١٠): ٩٨.
٢. الصافّات (٣٧): ١٤٧ و ١٤٨.
٣. الأعراف (٧): ٦٠.
٤. هود (١١): ٢٧.

﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾[١]؛

﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٢].

و يقول أيضاً: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ۝ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ۝ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[٣]؛

﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾[٤].

ثمّ يقول: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ﴾[٥].

٢. و هذا هود النبيّ ﷺ في ما يحكي الله عنه و عن قومه: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[٦]؛

﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٧]؛

﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[٨].

﴿أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٩].

ثمّ يقول تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[١٠].

٣. و هذا صالح النبيّ ﷺ، يقول الله فيه و في قومه: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[١١].

---

١. الشعراء (٢٦): ١١١.
٢. هود (١١): ٣٢.
٣. نوح (٧١): ٢١ـ٢٣.
٤. هود (١١): ٣٦.
٥. الشعراء (٢٦): ١١٩ و ١٢٠.
٦. الأعراف (٧): ٦٦.
٧. الأعراف (٧): ٧٠.
٨. هود (١١): ٥٣.
٩. الأحقاف (٤٦): ٢٢.
١٠. الأعراف (٧): ٧٢.
١١. الأعراف (٧): ٧٦ و ٧٧.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ۝ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾[1]، ﴿أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ﴾[2].

ثمّ يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ۝ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾[3].

٤. و هذا شعيب النبيّ ﷺ يقول الله فيه و في قومه: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾،[4]

و قالوا: ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾[5]؛

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ﴾[6]؛

﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[7].

ثمّ يقول: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾[8].

٥. و هذا لوط النبيّ ﷺ يقول الله في حقه: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾[9]؛

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[10].

ثمّ يقول: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ ... فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ۝ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾[11].

---

١. الشعراء (٢٦): ١٥٣ و ١٥٤.
٢. القمر (٥٤): ٢٥.
٣. هود (١١): ٦٦ و ٦٧.
٤. الأعراف (٧): ٨٨.
٥. الأعراف (٧): ٩٠.
٦. هود (١١): ٩١.
٧. الشعراء (٢٦): ١٨٧.
٨. هود (١١): ٩٤.
٩. الأعراف (٧): ٨٢.
١٠. العنكبوت (٢٩): ٢٩.
١١. هود (١١): ٨١ ـ ٨٣.

٦. و هذا موسى النبيّ العظيم يقول تعالى فيه و في قومه: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾،[١] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ... ○ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[٢]؛

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾[٣].

ثمّ يقول تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ○ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾[٤]، ﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾[٥].

و منهم قوم كانوا لا يقبلون الدعوات، و لا يؤمنون بالآيات في ابتداء الدعوة، أو في برهة من الزمان، و لم يكن لنبيّهم تمكّن من حربهم و الجهاد معهم، و لم يكن الصلاح أيضاً في إنزال العذاب عليهم و إبادتهم و إهلاكهم رجاء أن يؤمنوا و تخشع قلوبهم لذكر الله،[٦] أو رجاء أن تتولّد منهم ذرّيّة مؤمنة بالله عاملة صالحة، فيأمر الله نبيّه باعتزالهم مدّة و التباعد منهم برهة، لعلّه تعالى يحدث بعد ذلك أمراً.[٧]

و قد كان الاعتزال لمراعاة حال النبيّ المعتزل؛ ليشتغل بعبادة ربّه، أو يجد في الأرض مراغماً[٨] وسعة[٩] و يهدي طائفة آخرين، ألا ترى أنّ النبيّ العظيم موسى ﷺ طلب من فرعون و قومه الاعتزال؟ قال تعالى: ﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ○ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ﴾[١٠]، و الظاهر أنّ المقصود طلب الابتعاد، إمّا في المكان فيسكنوا في بلد غير بلدهم، أو الابتعاد عن المعاشرة و المعاملة و التلاقي و نحوها؛ لتندفع شرورهم عن موسى و قومه، فلا يكونوا لهم و لا عليهم، هذا، ولكنّ القوم لم

---

١. القصص (٢٨): ٣٦.
٢. القصص (٢٨): ٣٨ و ٣٩.
٣. طه (٢٠): ٥٦.
٤. الشعراء (٢٦): ٦٥ و ٦٦.
٥. القصص (٢٨): ٤٠؛ الذاريات (٥١): ٤٠.
٦. اقتباس من الآية ١٦ من سورة الحديد (٥٧).
٧. اقتباس من الآية ١ من سورة الطلاق (٦٥).
٨. المُراغَمُ: السعة و المُضطَرَب، و قيل: المَذهب و المَهرَب، و قيل: المعنى: يجد في الأرض مهاجَراً؛ لأنّ المهاجِر لقومه و المراغِم بمنزلة واحدة و إن اختلفت اللفظتان. و المُراغَم أيضاً: الحصن كالمَعقَر. لسان العرب، ج ١٢، ص ٢٤٧ (رغم).
٩. اقتباس من الآية ١٠٠ من سورة النساء (٤).
١٠. الدخان (٤٤): ٢٠ و ٢١.

يقبلوا دعوة الاعتزال، فكان من أمرهم ما كان.

٧. و هذا النبيّ الكريم إبراهيم الخليل عليه السلام، لمّا دعا أباه إلى الإيمان بالله و ترك عبادة الشيطان فأبى عن ذلك، ـ كما حكاه الله تعالى عنه بقوله: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾[1] ـ، و علم إبراهيم بعدم نجح دعوته فيهم، فيئس من ذلك، فأخبر أباه و سائر أُمّته بالاعتزال، فقال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾[2]، ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾[3].

و هؤلاء أصحاب الكهف، لمّا آمنوا بالله و ربط الله على قلوبهم قاموا بالدعوة إليه تعالى إلّا أنّه لم يتيسّر لهم إبلاغ التوحيد و القيام التامّ و الجهاد حقّه في سبيل التبليغ، فبنوا على الاعتزال و الابتعاد من أمّتهم؛ لعلّ الله يوفّقهم إلى مرضاته، فقال بعضهم لبعض: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾[4]، فترى كيف قبلهم ربّهم، و أعدّلهم مضجعاً هم في فجوة منه،[5] و هيّأ لهم من أمرهم رَشَداً،[6] و سوف يبعثهم الله عن نومتهم أو موتهم، و يلحقهم بالإمام العدل المنتظر؛ ليجاهدوا تحت رايته، و يكونوا في ظلّ سلطانه![7] و هذه العزلة لهم تشبه غيبة الإمام عليه السلام في الابتعاد عن طواغيت الزمان، ثمّ الرجوع إلى الناس و الظهور فيهم؛ لإصلاح حال المجتمع بأحسن إصلاح.

هذا، و أمّا الدليل على أنّه يجب على الله لطفاً و عليهم لطفاً أو شرعاً نصب الخليفة في زمان اعتزالهم و غيبتهم عن الأمّة، فهو بعينه الدليل الذي أقامه الأصحاب على

---

١. مريم (١٩): ٤٦.
٢. مريم (١٩): ٤٨.
٣. مريم (١٩): ٤٩.
٤. الكهف (١٨): ١٦.
٥. الفجوة: المُتّسَع بين الشيئين، و ما اتّسع من الأرض، و المعنى: في مُتّسَع وسعة منه. راجع: لسان العرب، ج ١٥، ص ١٤٨ (فجا)، و هذا اقتباس من الآية ١٧ من سورة الكهف (١٨).
٦. اقتباس من الآية ١٠ من سورة الكهف (١٨).
٧. راجع: الإرشاد، ج ٢، ص ٣٨٦؛ كشف الغمة، ج ٢، ص ٤٦٦؛ الصراط المستقيم، ج ٢، ص ٢٥٤.

وجوب بعث الرسل و إنزال الكتب على الله تعالى، و الدليل الذي أقاموه على لزوم تعيين الخليفة على النبيّ بعد ارتحاله.

فإنّه لمّا علمنا أنّ الله خلق عباده؛ ليعرفوه و يوحّدوه و يعبدوه، علمنا أنّه يجب عليه لطفاً و عقلاً أن يعرّف لهم نفسه و دينه، و لا يكون ذلك إلا بإرسال الرسول و إعطاء الكتاب؛ ليتلوا عليهم آياته، و يزكّيهم، و يعلّمهم الكتاب و الحكمة،[١] و لو لم يفعل ذلك لكان ناقضاً لغرضه و قائلاً لاغياً و فاعلاً لاهياً، حيث يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾،[٢] و قال: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾[٣]، و تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

و كذلك نقول في حق النبيّ ﷺ: فإنّه لو لم يعيّن الخليفة ـ مع كون غرضه بقاء الدين و هداية المجتمع و إيمانهم و عملهم ـ لكان هادماً لأساس الدين الذي بناه في المجتمع ببذل و تفدية النفوس و خوض اللجج[٤] و بذل المهج،[٥] فالخليفة من جانب النبيّ الأقدس إذا عرضت عليه الأمانة الإلهية و حمل الكتاب و علومه، و وكّل إليه دين الله، فعليه نصب من يتوكّل عنه في حمل أعباء[٦] الخلافة و هداية الأمّة و العمل بما كان يعمل به، فالتأمّل التامّ في الغرض العامّ الباعث على تشريع الدين و تقنين القوانين،

---

١. اقتباس من الآيات ١٢٩ من سورة البقرة (٢)، و ١٦٤ من سورة آل عمران (٣)، و ٢ من سورة الجمعة (٦٢).

٢. الذاريات (٥١): ٥٦.

٣. الأنبياء (٢١): ١٧.

٤. الخوض: المشي في الماء و تحريكه، و اللُّجَج: جمع اللُّجّة، و هو من الماء: معظمه، و لجّة البحر: حيث لا يدرك قعره، أو الماء الكثير الذي لا يرى طرفاه. و خوض اللجج كناية عن ارتكاب المكاره الكثيرة و الشدائد العظيمة. راجع: لسان العرب، ج ٢، ص ٣٥٤ (لجج)، و ج ٧، ص ١٤٧ (خوض)؛ شرح أصول الكافي للعلّامة المازندراني ﵀، ج ٢، ص ٦٨.

٥. المُهَج: جمع المُهْجة، و هي مطلق الدم، أو دم القلب خاصّة، و قد تطلق على الروح، و بذل المهج كناية عن ارتكاب التعب و المشقّة الشديدة. راجع: الصحاح، ج ١، ص ٣٤٢ (مهج)؛ شرح أصول الكافي للعلّامة المازندراني ﵀، ج ٢، ٦٧.

٦. الأعباء: جمع العِبْء بالكسر، و هو الحِمْل و الثقيل من أيّ شيء كان. و المراد هنا العلوم التي أُوحي بها إلى الأنبياء ﵈، أو الصفات المشتركة بين الأنبياء و الأوصياء ﵈ من العصمة و العلم و الشجاعة و السخاوة و أمثالها. راجع: لسان العرب، ج ١، ص ١١٧ (عبأ)؛ مرآة العقول، ج ٦، ص ٢١٤.

يقتضي بلزوم نصب النائب على الخليفة بعد غيبته، كما كان قاضياً بلزوم نصب الخليفة على النبيّ، و لزوم بعث النبيّ على الله تعالى.

ثمّ إنّه لا إشكال في أنّ ذاك الغرض أمر ذو مراتب؛ فإنّه يكون الغرض تارة بقاء الدين بين الناس بمعنى كونه ميسوراً للأخذ و التعلّم لمن أراد الاهتداء و العمل، و لازم ذلك تعيين عالم به، عارف بأصوله و فروعه على نحو يمكن للطالب الوصول إليه و الأخذ منه.

و الاقتصار بهذا الحدّ يكون أحياناً لأجل مراعاة الميسور من الأمر و عدم الاقتضاء في حال المجتمع، كما إذا اتّفق طول الأمد عن بعث الرسول السابق، فتسلّط عليهم الهوى، و غلبت عليهم الجاهلية العمياء، فلا يمكن تبليغ الدين و إجراء حدوده إلّا بحرب و قتال و قلب الوضع الموجود ظهراً لبطن، و لما تتأهّل الأمّة لذلك.

و من هذا القبيل ما قد ينقل أحياناً من أحوال الأمم الماضية و غلبة الفساد عليهم و صيرورة الحجّة فيهم باطناً مغموراً و خافياً مستوراً، كزمان الجاهليّة الأولى.

و يكون أخرى بلوغ الدين إليهم و كونه معروضاً عليهم بإبلاغ تامّ و إسماع و إفهام و إقامة الحجّة و إتمام البرهان، مع عدم المصلحة في القيام بالسيف و الإكراه على القبول و التسليم؛ ليهلك من هلك عن بيّنة، و يحيى من حيّ عن بيّنة،[1] و مرتبة هذا فوق سابقه، و لازمها تعيين فرد أو أفراد عالمين به، متصدّين لإبلاغه، صابرين لإتعاب النفس في سبيل الدعوة إليه، و كذلك كان بعض الأنبياء الماضين، فاشتغلوا بنشر الدعوة و إبلاغ الأحكام و إقامة الحجّة بإظهار الآيات و المعاجز، بل و كان ذلك حال الأئمّة عليهم السلام سوى أمير المؤمنين عليه السلام في أواخر أيّام إمامته، و الحسن عليه السلام في أوائلها.

و يكون ثالثة إبلاغ الدين و تعليم الأحكام ثمّ إجراؤها في المجتمع رضوا، أو كرهوا، و ذلك بتشكيل الحكومة الإلهية و الدولة الدينية حتّى يدخل الناس تحت راية واحدة، و يجتمعوا في نظام خاصّ إلهي، فيقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة و يأمروا

---

۱. اقتباس من الآية ٤٢ من سورة الأنفال (٨).

بالمعروف، و ينهوا عن المنكر، فيظهر دين الله على الدين كلّه،[١] و يكون الدين كلّه لله،[٢] و السلطان سلطان الله، و الحكومة حكومة الله، فلا يعصى الرحمان، و لا يعبد الشيطان.

و قد تحقّق هذا الغرض في الجملة بالنسبة إلى شريعة محمّد ﷺ في بدء نشرها و في زمان تصدّى النبيّ الأعظم لإبلاغها و إجرائها، فقام ﷺ بتأسيس الدولة الإسلاميّة و الحكومة الإلهية، و سيكون الأمر كذلك تامّاً كاملاً بعد ظهور القائم ؑ، فيملأ الأرض عدلاً بإقامة قوانين الدين بين أهلها، و يحيى من عليها بالعلم و الحكمة و العمل بالشريعة المحمدية ﷺ.

فتحصّل ممّا ذكرنا أنّ مراتب الغرض بالنسبة إلى الدين مختلفة، و أنّه يستلزم كون حال الحجج الحاملين للدين الكافلين له أيضاً مختلفة، فمنهم من حكمه حرمة الكتمان، و منهم من يجب عليه البيان، و منهم من له الحكومة و السلطان.

و ظهر أيضاً أنّ اختلاف مراتب الغرض ناش من اختلاف أحوال الناس و مقتضيات العصر، فالخليفة و الحجّة في كلّ عصر يلاحظ حال زمانه و اقتضاء عصره، فإذا ساعدت الشرائط على الإبلاغ فقط قام بإنجازه، و إذا أمكنت الرتبة الأخيرة لزم على الخليفة القيام بها.

و على أيّ تقدير فيجب على الإمام نصب من ينوب عنه في تنجيز ما كان عليه كلّاً أو بعضاً و إبلاغه، و هذه دلالة عقلية حاكمة بوجوب نصب النائب، وافية بنفسها على إثبات الدعوى بنحو الكبرى الكلّية، و يحتاج في إثبات الوقوع و شرائط الواقع إلى دليل غيرها.

و إذا راجعنا الأدلّة النقلية وجدناها وافية في مقام تأييد حكم العقل، كما أنّا نجد أخباراً كثيرة واردة في بيان تعيين النائب و الشرائط اللازمة فيه،[٣] و هذه الطائفة و إن

---

١. اقتباس من الآية ٣٣ من سورة التوبة (٩)، و ٢٨ من سورة الفتح (٤٨)، و ٩ من سورة الصفّ (٦١).

٢. اقتباس من الآية ٣٩ من سورة الأنفال (٨).

٣. سيذكرها المصنّف العلّامة ؒ بعيد هذا، في الصفحة ٢٨٤ و ما بعدها.

كانت مخدوشة سنداً إلّا أنّ القرائن الخارجية ـ و منها حكم العقل المذكور ـ تؤيّدها، و تسدّدها و تورث الاطمينان بها.

[وظائف الإمام]

ثمّ إنّه لا يخفى عليك أنّ للإمام مناصب و شؤون لابدّ من بيانها و لو بنحو الإجمال حتّى يتسنّى لنا[1] إثباتها كلّاً أو بعضاً في حقّ نوّابه:

أوّلها: إبلاغ الدين للناس و بيان أحكامه الأُصولية و الفروعية و نشره و دعوتهم إليه، و من شعب هذا المنصب الأمر بالجهاد الابتدائي و التصدّي له؛ فإنّه ليس إلّا للدعوة إلى التوحيد و عرض الدين عليهم؛ ليقبلوا.

ثانيها: حفظ الدين و قواعده بواسطة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و العمدة عدّ هذا من منصب الإمام بلحاظ مرتبته الأخيرة، و هي حمل الناس على الإتيان بالواجبات و ترك المحرّمات و لو بالضرب و الجرح و القتل، و إلّا فالمرتبة الأُولى و الثانية ـ بمعنى الحبّ و الكراهة بالقلب، أو البعث و الزجر بالقول و نحوه ـ وظيفة لجميع الناس، من آمن منهم بالله و اليوم الآخر.

ثالثها: إجراء الحدود و التعزيرات للمتخلّفين عن حدود الله و أحكامه، و هذا المنصب ثابت للإمام قطعاً، و هو الذي عنونوه في الفقه، و اختلفوا في ثبوته لنوّاب الإمام و عدمه، و الفرق بينه و بين سابق أنّ ذلك شرّع دفعاً لمخالفة الناس للأحكام و صوناً عن وقوع العصيان، و هذا شرّع بعد وقوع المخالفة مجازاة و عقوبة و إن كان قد يؤثّر تاثير الأمر و النهي بالنسبة إلى المستقبل.

و رابعها: القضاء بين الناس في الخصومات، و الحكم في ما بينهم في منازعاتهم.

و خامسها: تولّي الأُمور الاقتصادية و المالية بجميع أمواله المربوطة بنفسه بعنوان رئاسته و الأموال المتعلّقة بالمسلمين و حفظها و صرفها في مصارفها، و يدخل فيه

---

۱. يقال: تسنّى لي كذا، أي تيسّر و تأتّى. لسان العرب، ج ۱٤، ص ٤۰٤ (سنا).

التصرّف في الأراضي الخراجية بالتقبيل و الإجارة و البيع أحياناً، و جباية[1] خراجها و المقاسمة[2] مع أهلها و جمع الزكوات و أخذ الأخماس و الأنفال و أخذ الأراضي المحياة بغير إذنه عن أيدي الكفّار و أخذ الجزية عن أهل الجزية و التصرّف في الأموال المجهول مالكها و اللقطة[3] و نحوها، و بالجملة التصدّي لجميع أمور بيت ماله و بيت مال المسلمين.

سادسها: تولّي سياسة الجند من جمع العسكر و تجنيد الجنود و تعيين رؤسائها و الأجراء عليها من بيت المال، و النظر في ترسيم أوضاع الحرب و تولّي أمرها بالمباشرة أو التسبيب، و يدخل فيه الصلح مع الكفّار و تعيين الجزية و شرائطها و الجهاد مع الكفّار ابتداء للدعوة أو دفاعاً، أو القتال مع المسلمين إذا خالفوا الإمام فنكثوا بيعته، أو مرقوا عن طاعته، أو امتنعوا عن قبول الحق.

سابعها: ولايته على النفوس بتعيين العمّال و الرؤساء للأمور العامّة و المتصدّين للأشغال المختلفة الاجتماعية، كنصب القضاة و عزلها و تعيين عاملي الخراج و المقاسمة و الزكاة و الأوقاف العامّة، و من هذا القسم إجبار الممتنعين على أداء حقوقهم و التكفّل لإصلاح حال الأيتام و نصب القيّم لهم و تعيين المتولّي على الأوقاف العامّة، أو عزل متولّيها عند إحراز الخيانة منهم، و الحجر على أهل الإفلاس و المجانين و طلاق زوجة الغائب و غيرها.

[تحقيق حول ولاية الفقهاء و نيابتهم عن الإمام]

إذا عرفت ذلك فنقول: لا إشكال في عدم تحقّق النصب العامّ بمعنى جواز تصدّي كلّ أحد لأمر النيابة، بل يختصّ بأفراد معيّنين مع شرائط خاصّة، و هل لوا حدي الشرائط تولّي جميع تلك الأمور، أو بعضها؟ فيه اختلاف بين الأصحاب، فاللازم التكلّم

---

١. قد تقدّم معنى الجباية في الصفحة ١٩٨ و ٢٠٠.

٢. قد مضى معنى الخراج و المقاسمة من المصنّف ﷺ في الصفحة ٢٦١.

٣. قد تقدّم معنى اللقطة في الصفحة ٢٦٢.

في مقامات ثلاث:

الأوّل: في ذكر الدليل على أصل النصب.

الثاني: في شرائط المنصوب.

الثالث: في المنصوب لأجله و أنّه هل هو جميع المناصب التي يتصدّاها الإمام، أو بعضها؟

[أدلّة أصل النصب]

أمّا الأوّل فقد عرفت دلالة العقل على وجوبه، و يكون ما ورد في ذلك شاهداً على وقوعه، و الوارد في هذا الباب من الأخبار كثير يورث الاطمينان بصدور عدّة منها، مع أنّه بعد ما استقلّ العقل بلزوم النصب و عدم وجدان دليل عليه غيرها، نقطع بصدورها الجملة، و إلّا لزم صدور القبيح عن الحكيم، أو المعصوم، فعن مولانا الصادق: «[إنّ][1] العلماء ورثة الأنبياء، و ذاك أنّ الأنبياء لم يورّثوا درهماً و لا ديناراً».[2]

«العلماء أُمناء الرسل»؛[3]

«مجارى الأُمور[4] بيد[5] العلماء بالله، الأُمناء على حلاله و حرامه»؛[6]

«علماء أُمّتي كأنبياء بني إسرائيل»؛[7]

«إنّ[8] منزلة الفقيه في هذا الوقت كمنزلة الأنبياء في بني إسرائيل»؛[9]

[قال ﷺ: «[إنّ][10] أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاؤوا به»، [ثمّ تلا][11]: ﴿إِنَّ أَوْلَى

---

١. ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر.

٢. الكافي، ج ١، ص ٣٢، باب صفة العلم و فضله و فضل العلماء، ح ٢.

٣. نقله الإمام الصادق ﷺ عن رسول الله ﷺ. راجع: الكافي، ج ١، ص ٤٦، باب المستأكل بعلمه و المباهي به، ح ٥.

٤. في المصدر: «ذلك بأنّ مجاري الأُمور».

٥. في المصدر: «على أيدي».

٦. تحف العقول، ص ٢٣٨. رواه فيه على الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين ﷺ، و يروى عن أمير المؤمنين ﷺ.

٧. الصراط المستقيم، ج ١، ص ١٣١ و ٢١٣؛ عوالي اللآلي، ج ٤، ص ٧٧، ح ٦٧.

٨. في المصدر: - «إنّ».

٩. فقه الرضا ﷺ، ص ٣٣٨، رواه عن العالم ﷺ.

١٠. ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر.

١١. ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر.

ﭐلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾[١]؛[٢]

«اللّهُمَّ ارْحَمْ خُلَفائي،[٣] الّذين يأتون بعدي،[٤] و يروون[٥] حديثي و سنّتي»[٦].

مقبولة عمر بن حنظلة: «انظروا،[٧] إلى رجل[٨] منكم ممّن[٩] قد روى حديثنا، و نظر في حلالنا و حرامنا، و عرف أحكامنا، فيرضوا[١٠] به حكماً؛ فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل[١١] منه فإنّما استخفّ بحكم الله،[١٢] و علينا ردّ، و الرادّ علينا الرادّ على الله، و هو على حدّ الشرك بالله[١٣]».[١٤]

و مشهورة أبي خديجة سالم بن مُكْرَم عن الصادق عليه السلام: «إيّاكم أن يحاكم بعضكم بعضاً إلى أهل الجور، و لكن انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئاً من قضايانا فاجعلوه بينكم؛ فإنّي قد جعلته قاضياً فتحاكموا إليه».[١٥]

و مكاتبة الحِمْيَري في إكمال الدين عن إسحاق بن يعقوب: قال سألت محمّد بن عثمان العَمْري رضي الله عنه أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ، فورد التوقيع بخطّ مولانا صاحب الزمان عليه السلام: «أمّا ما سألت [عنه][١٦] أرشدك الله و ثبّتك ـ إلى أن قال ـ: و أمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا؛ فإنّهم حجّتي عليكم، و

---

١. آل عمران (٣): ٦٨.

٢. نهج البلاغة، ص ٤٨٤، الحكمة ٩٦.

٣. في المصدر: + «قيل: يا رسول الله! و من خلفاؤك؟ قال».

٤. في المصدر: «من بعدي».

٥. في المصدر: «يروون» بدون الواو.

٦. الفقيه، ج ٤، ص ٤٢٠، ح ٥٩١٩.

٧. في الكافي ج ١: «ينظران».

٨. في المصادر: «إلى من كان».

٩. في الكافي ج ٧ و التهذيب: - «ممّن».

١٠. في الكافي ج ١ و التهذيب: «فليرضوا». و في الكافي ج ٧: «فارضوا».

١١. في الكافي ج ١ و ٧: «فلم يقبله».

١٢. في الكافي ج ٧ و التهذيب: «بحكم الله استخفّ».

١٣. في التهذيب: + «عزّ و جلّ».

١٤. الكافي، ج ١، ص ٦٧، باب اختلاف الحديث، ح ١٠، و ج ٧، ص ٤١٢، باب كراهية الارتفاع إلى قضاة الجور، ح ٥؛ تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ٢١٨، ح ٥١٤.

١٥. الكافي، ج ٧، ص ٤١٢، باب كراهية الارتفاع إلى قضاة الجور، ح ٤؛ الفقيه، ج ٢، ص ٢، ح ٣٢١٦؛ تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ٢١٩، ح ٥١٦.

١٦. ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر.

أنا حجّة الله [عليهم][١]».[٢]

هذه مجموع ما ذكروه في المقام لإثبات الولاية و الخلافة للمنصوب من قبل الإمام، و الظاهر أنّه لا مناص عن القول بكون المنساق منها أو من بعضها نصب الخليفة و النائب و لو بقرينة حكم العقل المذكور، فيتأيّد بذلك حكمه، و لا يرد ما قد يستشكل في دلالتها، أو أنّ جميعها أو جلّها ضعيف سنداً، أو أنّ ما يمكن القول باعتبار سنده منها مخدوش دلالة، و بعبارة أُخرى ما هو الظاهر منها غير صحيح، و ما هو الصحيح غير ظاهر؛ لكون حكم العقل قرينة قطعيّة على المراد، فقوله ﷺ: «مجارى الأُمور بيد العلماء بالله»، إلى آخره، و قوله ﷺ: «و أمّا الحوادث الواقعة»، و قوله: «فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً» و غيرها، لم يرد إلّا لتعيين المرجع العامّ للمسلمين من أُمورهم الدينية و الاجتماعية و السياسية، ممّا يرجع في ذلك إلى زعيم القوم و رئيسهم.

قال الفاضل الهمداني في أواخر كتاب الخمس من مصباح الفقيه:

> و لكنّ الذي يظهر بالتدبّر في التوقيع المرويّ عن إمام العصر ﷺ الذي هو عمدة دليل النصب، إنّما هو إقامة الفقيه المتمسّك برواياتهم مقامه بإرجاع عوام الشيعة إليه في كلّ ما يكون الإمام مرجعاً فيه؛ كيلا يبقى شيعته متحيّرين في أزمنة الغيبة.[٣]

ثمّ قال بعد نقل التوقيع المزبور:

> و من تدبّر في هذا التوقيع الشريف يرى أنّه ﷺ قد أراد بهذا التوقيع إتمام الحجّة على شيعته في زمان غيبته بجعل الرواة حجّة عليهم على وجه لا يسع لأحد أن يتخطّى عمّا فرضه الله معتذراً بغيبة الإمام، لا مجرّد حجّية قولهم في نقل الرواية أو الفتوى؛ فإنّ هذا ـ مع أنّه لا يناسبه التعبير بـ«حجّتي عليكم» ـ لا يتفرّع عليه مرجعيّتهم في الحوادث الواقعة التي هي عبارة عن الجزئيات الخارجية التي من شأنها الإيكال إلى الإمام ﷺ، كفصل الخصومات و ولاية الأوقاف و الأيتام و قبالة الأراضي الخراجية التي قصرت عنها أيدي سلاطين

---

١. ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر.
٢. كمال الدين، ص ٤٨٤، الباب ٤٥، ح ٤.
٣. مصباح الفقيه، ج ٣، ص ١٦٠.

الجور [الذين يجوز التقبّل منهم][١]، و غير ذلك من موارد [الحاجة إلى][٢] الرجوع الى الإمام.[٣]

[شرائط المنصوب]

و أمّا [المقام] الثاني ـ أعني شرائط المنصوب ـ فالمستفاد من تلك الأخبار و غيرها أُمور: هي العلم، و العدالة، و الزهد.

أمّا العلم فلأنّه قد جعل موضوعاً للحكم في بعضها و وصفاً للموضوع في بعضها الآخر، و المراد بالعلم هنا العلم بالأحكام الشرعية، و يلازمه العلم بعدّة فنون ممّا لايمكن إظهار النظر في أحكامها إلّا بالاطّلاع عليها و لو بنحو الإجمال، فأقسام العلوم الحادثة في العصور المتأخّرة، كعلم الاقتصاد و علم التشريح و نحوهما، إذ كانت مورداً لفتوى النائب، لزمه التبصّر فيها و الاطّلاع عليها و لو في الجملة.

و له أن يستمدّ في مقام إصدار الفتوى من أنظار أهل تلك العلوم، و يستفيد منهم ما له دخل في تشخيص موضوع الحكم، و من أهمّ ما يلزم النائب العلم و الاطّلاع و لو إجمالاً على أحوال المجتمعات المعاصرة له.

و هذا أمر واضح عند العقل، و لا حاجة فيه إلى التنصيص و التصريح، فغير العالم بأوضاع الخلق و أحوالهم كثيراً ما يقع في طريق خدمة أهل الهوى و الرئاسات؛ فإنّه إذا كثر المكر و الحيل في ما بين الناس، و شاعت الخدعة و الدغل فيهم، و لم يكن النائب العامّ و خليفة الإمام بصيراً بذلك، قادته الشياطين، و اختلسته الطواغيت، و هو يلقى إليهم القياد[٤] من حيث لا يشعر، و يقع في سبيل الخدعة لأهوائهم بعلومه و فتاواه و كتبه و سائر شؤونه، و لعلّه لذلك ورد عن مولانا الصادق عليه السلام في مقام توصيف طلبة العلم و أنّهم ثلاثة أصناف، قال عليه السلام في بيان أوصاف الصنف الذي يطلبه للفقه و العقل:

---

١. ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر.
٢. ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر.
٣. مصباح الفقيه، ج ٣، ص ١٦١.
٤. القِياد: حبل تقاد به الدابّة. لسان العرب، ج ٣، ص ٣٧٣ (قيد).

«يعمل و يخشى وجلاً داعياً مشفقاً، مقبلاً على شأنه، عارفاً بأهل زمانه، مستوحشاً من أوثق إخوانه».[۱] فإذا كان المعرفة لأهل الزمان مطلوباً من طلبة علم الدين، فكيف بمن يتصدّر للأمر، و يتصدّى لشؤون المسلمين، و هو رئيسهم و الحَكَم في ما بينهم؟

و عن مولانا أمير المؤمنين ﷺ: «أيّها الناس إنّ أحقّ الناس بهذا الأمر أقواهم عليه و أعلمهم بأمر الله فيه».[۲]

[بيان الفرق بين علم الإمام و نائبه]

ثمّ اعلم أنّ بين علم الإمام و الخليفة النائب عنه فرقاً من جهات:

الأولى: كون علم المعصوم علناً موهوباً إلهيّاً حاصلاً من قبل الله تعالى بواسطة جبرئيل، كالنبيّ الأعظم، أو من المعصوم الذي كان قبله، كالأئمّة ﷺ، فالقرآن كلّه و معارفه و أحكامه وصل إلى النبيّ الأعظم و منه إلى الأئمّة ﷺ مستقلّاً و بلا تدريس من أحد، كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ○ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ○ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[۳].

و أمّا خلفاء الإمام فعلمهم بالأحكام اكتسابي تحصيلي من الكتاب و السنّة، مستنبط منهما.

الثانية: أنّه لا يتطرّق الخطاء و الشبهة في علومهم، بل هو معصومون عن ذلك كما عرفت، و الخطاء واقع في علوم خلفائهم حتّى في القطعيّات ممّا استنبطوا فضلاً عن الأحكام التي أفادوها من الأمارات الظنّية و الأُصول العمليّة.

الثالثة: أنّه لا حكم ظاهري للنبيّ و الأئمّة في الأحكام الكلّية، بل كلّ ما أخبروا به فهو حكم إلهي واقعي متّخذ عن الملك، ثمّ من اللوح و القلم من العلم الأزلي الإلهي، بل لو قلنا بعلم الإمام بجميع الموضوعات الخارجية فلا حكم ظاهري لهم في الشبهات الموضوعية أيضاً، و هذا بخلاف الخليفة، فترى أنّ رسائلهم العملية مملوّة من الأحكام الظاهرية.

---

۱. الكافي، ج ۱، ص ٤٩، باب النوادر، ح ٥. ۲. نهج البلاغة، ص ۲٤۷، الخطبة ۱۷۳.
۳. الشعراء (۲٦): ۱۹۳ ـ ۱۹٥.

الرابعة: كون علم الخلفاء محدوداً معدوداً قليلا جدّاً بحيث قد لا يكفي لرفع حوائج الأُمّة الإسلاميّة خاصّة في ما إذا تجدّدت الحوائج و حدثت أُمور أحوجتهم إلى استنباط حكم جديد من الأدلّة.

و أمّا العدالة فيدلّ على اشتراطها في النائب أُمور و ليعلم أوّلاً أنّ المراد بالعدالة هنا ليس خصوص ما عرّفه الفقهاء في الفقه في شرائط إمام الجماعة و شاهدي الطلاق و غيرهما بأنّها فعل الواجبات و ترك المحرّمات، أو أنّها ملكة راسخة باعثة على ذينك الأمرين؛[1] فإنّ ذلك تعريف لها بنحو الإجمال، و لا يخلو عن إبهام و نقص، كما يعلم ذلك من إيقاعها أحياناً في مقابل اشتراط الإسلام و الإيمان، و على أيّ حال فهي في اللغة عبارة عن الاستقامة و الاستواء،[2] و المراد بها في المقام استقامة الإنسان من جهات شتّى:

الأولى: من جهة عقائده الباطنية.

و الثانية: من جهة أخلاقه و صفاته النفسية.

و الثالثة: من جهة أعماله الجوارحية.

و الرابعة: من جهة مراعاته حقوق غيره؛ فإنّه بعد ما قلنا: إنّ له نوع تسلّط على النفوس و الأموال، فعليه بعدد كلّ رعية من الرعايا و كلّ مال من الأموال المتعلّقة بهم، حقّ ثابت يجب الوفاء به و الخروج عن عهدته، و هذه هي العمدة في الخليفة المنصوبة و المتولّي لأُمور الناس، و أكثر ما ورد في المقام من الأحاديث ناظر إلى هذه الجهة.

و كيف كان، فالمستفاد من الأدلّة أنّ العدالة واجب التحصيل بنفسها واستقلالاً على جميع الناس، مضافاً إلى كونها شرطاً في أُمور كثيرة، منها التصدّي لمقام النيابة.

أمّا وجوبها نفساً على الكلّ فلأنّه مقتضى وجوب الإيمان و العمل الصالح كما هو واضح، مع أنّه يدلّ عليه أيضاً بنحو العموم قوله تعالى:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[3]؛

---

١. راجع: مجمع الفائدة و البرهان، ج ٢، ص ٣٥١، وج ١٢، ص ٣١١؛ مستند الشيعة، ج ١٨، ص ١٤٥.

٢. راجع: الصحاح، ج ٥، ص ١٧٦١؛ القاموس المحيط، ج ٤، ص ١٣ (عدل).

٣. المائدة (٥): ٨.

و قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[1]؛

و قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾[2]؛

و قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾[3]؛

و قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِ﴾[4]؛

و قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ﴾[5].

و يدلّ على الوجوب في خصوص بعض الموارد قوله تعالى:

﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾[6]؛

و قوله: ﴿فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْ﴾[7].

و أمّا ما يدلّ على اشتراطها في المقام ـ ؛ أعني في النائب و الخليفة عن الإمام ـ فالأدلّة الأربعة:

أمّا العقل فلحكمه الجازم بأنّ من ولّاه الله أمور الناس و جعله مسلّطاً على النفوس و الأموال، لا يكون فاسقاً فاجراً؛ ليفسد في الأرض، و يهلك الحرث و النسل، و الله لا يحبّ الفساد.[8]

و أمّا الكتاب فلفحوى ما دلّ على اشتراطها في موارد كثيرة:

۱. قال تعالى في حاكمي كفّارة الصيد: ﴿لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ﴾[9].

۲. و قال تعالى في شاهدي الوصيّة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾[10].

۳. و قال تعالى في شاهدي الطلاق: ﴿وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾[11].

---

۱. النحل (۱۶): ۹۰.
۲. المائدة (۵): ۴۲.
۳. النساء (۴): ۱۳۵.
۴. الأعراف (۷): ۲۹.
۵. الحديد (۵۷): ۲۵.
۶. النساء (۴): ۵۸.
۷. الحجرات (۴۹): ۹.
۸. اقتباس من الآية ۲۰۵ من سورة البقرة (۲).
۹. المائدة (۵): ۹۵.
۱۰. المائدة (۵): ۱۰۶.
۱۱. الطلاق (۶۵): ۲.

و في روايات إمام الجماعة و شرائطه عن الباقر عليه السلام قال: «لا تصلّ خلف من لا تثق بدينه».[1]

و عن مولانا الجواد عليه السلام قال: «إن كان الذي يؤمّ بهم [أنّه][2] ليس بينه و بين الله طلبة، فليفعل».[3]

فإذا كانت العدالة معتبرة في شهود كفّارة الصيد من الغنم و البقر و الإبل و في شهود الإيصاء بالمال و لو كان نزراً يسيراً و في شهود طلاق المرأة و إمام الجماعة و غيرهما، فكيف لا تعتبر في إمام القوم و زعيم الملّة، و هو يريد التصرّف في النفوس المحترمة و الأموال الجمّة الغفيرة؟! فالأولويّة ثابتة قطعاً.

و لقوله[4] تعالى: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾[5]، فالأمر المتعلّق بالنبيّ بأن يعدل بين الرعيّة أمر لكلّ راع له رعية، كما ورد في الآثار: «كلّكم راع، و كلّكم مسئول عن رعيّته»،[6] و الآية ظاهرة في العدل في الحقوق، و هو القسم الأخير من أقسامه.

و أمّا السنّة فلقول أمير المؤمنين عليه السلام لشريح: «ثمّ واس[7] بين المسلمين بوجهك و

---

١. في المصدر: «لا تصلّ إلّا خلف من تثق بدينه». راجع: الكافي، ج ٣، ص ٣٧٤، باب الصلاة خلف من لا يقتدى به، ح ٥؛ تهذيب الأحكام، ج ٣، ص ٢٦٦، ح ٧٥٥.

٢. ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر.

٣. مستطرفات السرائر، ص ٥٧٠. و عنه في وسائل الشيعة، ج ٨، ص ٣١٧، الباب ١١ من أبواب صلاة الجماعة، ح ١٢.

٤. عطف على قوله عليه السلام: «فلفحوى».

٥. الشورى (٤٢): ١٥.

٦. روي عن النبي الأعظم صلى الله عليه و آله. راجع: الرسالة السعدية للعلّامة الحلّي رحمه الله، ص ١٤٩؛ المصنّف للصنعاني، ج ١١، ص ٣١٩، ح ٢٠٦٤٩؛ سنن أبي داود، ج ٢، ص ١٣، ح ٢٩٢٨؛ سنن الترمذي، ج ٣، ص ١٢٤، ح ١٧٥٧. و في الأخيرين بإضافة «ألا» في أوّله.

٧. «واس» أمر من المواساة، و هو المشاركة و المساهمة، و المعنى: اجعلهم أسوة لا تفضّل بعضهم على بعض في اللحظة و النظرة. راجع: لسان العرب، ج ١٤، ص ٣٥ (أسا)؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٥، ص ١٦٤، الكتاب ٢٧.

منطقك و مجلسك حتّى لا يطمع قريبك في حيفك،[١] و لا ييأس عدوّك من عدلك».[٢]

و قوله ﷺ: «و إنّ أفضل قرّة عين الولاة استقامة العدل في البلاد و ظهور مودّة الرعية».[٣]

و أمّا الإجماع فلما هو مسلّم عند علماء الشيعة من لزوم العدل في النائب قاضياً كان أو مفتياً أو غير ذلك، و يظهر ذلك للمراجع المتتبّع.

و أمّا الزهد فلما مرّ من كلام عليّ ﷺ في النهج: «إنّ الله قد[٤] فرض لأئمّة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضَعَفَة الناس؛ كيلا يتبيّغ[٥] بالفقير فقره».[٦]

و الظاهر أنّ المراد بأئمّة العدل ليس خصوص الإمام المنصوب من قبل الله تعالى، بل كلّ من له الرئاسة و الإمامة بالحقّ في مقابل أئمّة الجور و الظلم من الجبابرة و الطواغيت، و ربما يشهد له التعليل، و هو قوله: «كيلا يتبيّغ»، و التبيّغ هو التسلّط و الغلبة.

و لقوله ﷺ أيضاً: «و قد علمتم أنّه لا ينبغي أن يكون الواليَ على الفروج و الدماء و المغانم و الأحكام و إمامة المسلمين البخيلُ، فتكون في أموالهم نهمته،[٧] و لا الجاهلُ فيضلّهم بجهله».[٨] و لازم اشتراط عدم البخل و النهمة بذل أموال المسلمين لهم و زهادته عنها.

---

١. «في حيفك»، أي في ميلك معه لقربه، و الحَيْف: الميل في الحكم. راجع: النهاية، ج ١، ص ٤٦٩؛ لسان العرب، ج ٩، ص ٦٠ (حيف).

٢. الكافي، ج ٧، ص ٤١٣، باب أدب الحكم، ح ١؛ الفقيه، ج ٣، ص ١٥، ح ٣٢٤٣؛ تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ٢٢٦، ح ٥٤١.

٣. نهج البلاغة، ص ٤٣٣، الكتاب ٥٣.

٤. في المصدر: «تعالى» بدل «قد».

٥. أي يغلب و يقهر، كأنّه مقلوب عن البغي، مثل: جذب و جبذ. راجع: لسان العرب، ج ٨، ص ٤٢٢ (بيغ).

٦. نهج البلاغة، ص ٣٢٥، الخطبة ٢٠٩.

٧. قال ابن أبي الحديد: «النهمة: الهمّة الشديدة بالأمر. قد نهم بكذا، بالضمّ، فهو منهوم، أي مولع به، حريص عليه. يقول: إذا كان الإمام بخيلاً كان حرصه و جشعه على أموال رعيّته، و من رواها: «نهمته» بالتحريك، فهي إفراط الشهوة في الطعام، و الماضي: نهم، بالكسر». راجع: لسان العرب، ج ١٢، ص ٥٩٣ (نهم)؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٨، ص ٢٦٦، ذيل الخطبة ١٣١.

٨. نهج البلاغة، ص ١٨٩، الخطبة ١٣١.

و عن مولانا السجّاد ﷺ في حديث: «إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته و هديه[١] فرويداً لا يغرّنّكم، فما أكثر من نصب الدين فخّاً،[٢] فإن تمكّن من حرام اقتحمه،[٣] و إذا وجدتموه يعفّ[٤] عن المال الحرام فرويداً لا يغرّنّكم،[٥] فما أكثر من ينبو عن المال الحرام،[٦] و يحمل نفسه على شوهاء[٧] قبيحة،[٨] و إذا[٩] وجدتموه يعفّ عن ذلك فرويداً لا يغرّنّكم حتّى تنظروا ما[١٠] عقله، فما أكثر من ترك ذلك أجمع، ثمّ لا يرجع الى عقل متين،[١١] و إذا وجدتم عقله متيناً فرويداً لا يغرّنّكم حتّى[١٢] تنظروا [أ][١٣] مع هواه يكون على عقله، أو[١٤] يكون مع عقله على هواه؟ و كيف محبّته للرئاسات الباطلة و زهده فيها؟».

[إلى أن قال][١٥]: «و لكنّ الرجل كلّ الرجل، نعم الرجل، هو الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله، و قواه مبذولة في رضا الله» [إلى أن قال][١٦]: «فذلكم الرجل نعم الرجل، فيه

---

١. في المصدر: + «و تماوت في منطقه، و تخاضع في حركاته». و أمّا السمت فهو الهيئة الحسنة، أي حسن هيئته و منظره في الدين، و قيل: هو من السمت بمعنى الطريق. و أمّا الهَدْي فهو الطريقة و السيرة. راجع: النهاية، ج ٢، ص ٣٩٧ (سمت)، و ج ٥، ص ٢٥٣ (هدا).

٢. الفخّ: المصيدة التي يصاد بها، معروف، و هو بالفارسيّة: «تله». لسان العرب، ج ٣، ص ٤١ (فخ).

و في المصدر: «فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا و ركوب الحرام منها لضعف نيّته و مهانته و جبن قلبه، فنصب الدين فخّاً لها، فهو لا يزال يختل الناس بظاهره».

٣. يقال: اقتحم الإنسان الأمر العظيم، و تقحّمه، إذا رمى نفسه فيه من غير رويّة و تثبّت. النهاية، ج ٤، ص ١٨ (قحم).

٤. يقال: عفّ عن الحرام يَعِفُّ، أي كفّ. الصحاح، ج ٤، ص ١٤٠٥ (عفف).

٥. في المصدر: + «فإنّ شهوات الخلق مختلفة».

٦. في المصدر: + «و إن كثر».

٧. الشوهاء: القبيحة، من الشَوَه، و هو قبح الخلقة و الوجه. لسان العرب، ج ١٣، ص ٥٠٩ (شوه).

٨. في المصدر: + «فيأتي منها محرّماً».

٩. في المصدر: «فإذا».

١٠. في المصدر: «ما عقدة».

١١. في المصدر: + «فيكون ما يفسد بجهله أكثر ممّا يصلحه بعقله».

١٢. في المصدر: «فإذا».

١٣. في المصدر: - «حتّى».

١٤. ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر.

١٥. في المصدر: «أم».

١٦. ما بين المعقوفين منّا.

فتمسّكوا، و بسنّته فاقتدوا».[1] قال صاحب الوسائل: هذا[2] مخصوص بمن يؤخذ عنه العلم و يقتدى به في الأحكام الدينية كما هو الظاهر، لا بإمام الجماعة.[3]

[بيان المنصوب لأجله]

و أمّا المقام الثالث، و هو بيان ما لأجله النصب، فقد قيل: إنّ نيابة الخليفة من الإمام تختصّ ببيان الحلال و الحرام و القضاء بين الناس؛ إذ لا يستفاد من تلك الأدلّة أزيد من ذلك، و إن كان بيان الأحكام في الإمام يغاير البيان في نائبه من جهة أنّ الإمام يبيّن الأحكام الواقعية في كلّ مورد على ما هو عليه بلا تطرّق أي شكّ و شبهة في ذلك كما مرّ.

و أمّا النائب عنه فله في بيان الأحكام طريقان:

الأوّل: نقل الرواية و الحديث بألفاظ الإمام، أو بنحو النقل بالمعنى، فالإمام ينقل الحكم عن الله، و الراوي ينقل عن الإمام، و يجب على المنقول إليه تصديقه و العمل على وفق ما أخبربه، سواء أفاد العلم بالواقع أم لا، و قد سمّوا هذا في علم الأُصول بالخبر و السنّة، و قسّموه إلى الواحد و المستفيض و المتواتر، و استدلّوا على حجّيّة القسمين الأوّلين و لزوم الأخذ بها بمفهوم آية النبأ[4] و بآية الكتمان[5] و غيرهما من الأدلّة.[6]

الثاني: الإفتاء، و هو الإخبار عن الحكم الذي استظهره من الأدلّة الموجودة عنده، و استفاده من نصوصها أو ظواهرها في ما لم يتيسّر له تحصيل العلم بالأحكام الواقعية، و هو بهذا العنوان فقيه و مفت، و هو الذي استدلّوا لحجّيّته على الجاهل بآية السؤال[7] و

---

۱. ما بين المعقوفين منّا.
۲. الاحتجاج، ج ۲، ص ۵۲ و ۵۳.
۳. في المصدر: «هذا بيان لأعلى مراتب العدالة، لا لأدناها، على أنّه».
٤. في المصدر: + «و الشاهد». راجع: وسائل الشيعة، ج ۸، ص ۳۱۸، ذيل ح ۱۰۷۷۷ عن الاحتجاج.
۵. هي الآية ٦ من سورة الحجرات (٤۹)، و هي قوله تعالى: ﴿يا أيها الّذينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أنْ تُصيبُوا قَوماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمينَ﴾.
٦. هي الآية ۱۵۹ من سورة البقرة (۲)، و هي قوله تعالى: ﴿إنَّ الّذينَ يَكْتُمُونَ ما أنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَ الْهُدىٰ مِنْ بَعْدِ ما بَيَّنّاهُ لِلنّاسِ فِي الْكِتابِ أُولٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللاّعِنُونَ﴾.
۷. راجع: فرائد الأُصول، ج ۱، ص ۲۳۷ و ما بعدها؛ كفاية الأُصول، ص ۲۹۳ و ما بعدها.

ما دلّ على لزوم رجوع الجاهل إلى العالم و غيرهما. و بهذا البيان ظهر لك اندفاع اشكالين:

[إشكال بعض الجهلة و جوابه]

الأوّل: ما يستشكله بعض الجهلة بأنّ الحكم المنزل من السماء إلى النبيّ و المودَع بيده عند الإمام واحد، فكيف وقع الاختلاف بين نوّابه، فيحكم هذا بحكم و ذاك بخلافه و ثالث بخلافهما؟[1]

و قد يؤيّد ذلك بقول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «ترد على أحدهم القضيّة في حكم من الأحكام، فيحكم فيها برأيه، ثمّ ترد تلك القضيّة بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله، ثمّ يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذي استقضاهم، فيصوّب آراءهم جميعاً، و إلههم واحد! و نبيّهم واحد! و كتابهم واحد! أفأمرهم الله سبحانه بالاختلاف فأطاعوه؟! أم نهاهم عنه فعصوه؟! أم أنزل الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه؟! أم كانوا شركاء له، فلهم أن يقولوا، و عليه أن يرضى؟! أم أنزل الله سبحانه ديناً تامّاً، فقصّر الرسول صلى الله عليه و آله عن تبليغه و أدائه؟! و الله سبحانه يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[2]، و فيه تبيان لكلّ شيء،[3] و ذكر أنّ الكتاب يصدّق بعضه بعضاً، و أنّه لا اختلاف فيه، فقال سبحانه: ﴿وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّٰهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاٰفاً كَثِيرًا﴾[4]»،[5] إلى آخره.

[إشكال الأخباريّين و جوابه]

و أمّا الثاني: فهو ما استشكله الأخباريّون على الفقهاء الأُصوليّين من تقبيحهم صدور الفتوى منهم، و قولهم: إنّ إظهار الرأى و الاعتقاد في مسألة من المسائل جرأة على الله تعالى، و ليس لغير النبيّ و الإمام المنصوب من قبله إظهار الرأي بأن يقول: هذا رأيي،

---

١. راجع: هداية المسترشدين، ج ٣، ص ٦٧٣ ـ ٦٧٩. ٢. الأنعام (٦): ٣٨.
٣. اقتباس من الآية ٨٩ من سورة النحل (١٦). ٤. النساء (٤): ٨٢.
٥. نهج البلاغة، ص ٦٠ و ٦١، الخطبة ١٨.

و هذا ممّا أُفتي به، ثمّ يأمر الناس باتّباعه و تقليده، و كلّ ذلك باطل و خلاف ما أنزله الله على رسوله، فهو بدعة، و البدعة في النار.[١]

و الجواب عن الإشكالين أنّه قد ظهر لك أنّ بيان الأحكام في ناحية الإمام عبارة عن إخباراته عن الله تعالى و عن أحكامه الواقعية المكتوبة في اللوح المحفوظ، و أمّا النائب المفتي فحيث إنّ الإمام المنصوب غائب، و لا يمكنه الوصول إلى جميع الأحكام الواقعية بنحو القطع، فإن اتّفق له الوصول إلى الحكم الواقعي بعد الفحص و الاجتهاد فهو مصيب، و إن لم يتّفق له ذلك ـ كما يقع كثيراً ـ فيفتي بما استفاده من ظواهر الأدلّة بظنّ أنّه حكم إلهي واقعي مع احتمال الخطاء أيضاً، و يطلق عليه الحكم الظاهري، فالمجتهد الذي أخبر بالحكم الظاهري لا يدّعي أنّه حكم واقعي إلهي واقعي مطابق لما عند الله و عند وليّه، بل هو يعترف بأنّه لا يستطيع إدراك الواقع، و ألجأته الحاجة إلى تلك الاستفادة و العمل به لنفسه و مراجعيه؛ إذ لا يجوز عقلاً ترك الأحكام الواقعية بالكلّية اعتذاراً بعدم العلم بها، كما أنّه لا يمكن، أو لا يجب الاحتياط التامّ في أطراف محتملاتها؛ لعدم القدرة، أو للزوم العسر و الحرج المنفيّين قطعاً.

و حينئذ فيمكن أن يستفيد المفتي الآخر من ظواهر الأدلّة خلاف ما استفاده الأوّل، و هكذا النائب الثالث و الرابع، فيقع الاختلاف في الفتاوى، و الجميع معترفون بوحدة الحكم الواقعي و كون الاختلاف في الحكم الظاهري، و هو ما استفاده و من الأدلّة، و زعموه حكماً واقعيّاً.

و نتيجة الكلام حينئذ أنّه ليس في كلّ واقعة من أعمال العباد إلّا حكم إلهي واحد، فإن أدركه الجميع و وصلوا إليه قطعاً فهو، و إلّا كان غيره حكماً ظاهريّاً لا مناص لهم عن الأخذ به و العمل على طبقه حفظاً للواقع عن الانطماس و الاندراس إذا أهملوه رأساً، و للنفوس عن الوقوع في العسر و الحرج المنفيّين شرعاً و الموجبين لنفور الناس عن الدين إذا عملوا بالاحتياط التامّ لإدراكه.

---

١. راجع: الفوائد المدنية، ص ١٠٤ و ١٠٥.

و مثل المقام كمثل المريض الذي اجتمع عليه الأطبّاء لمعالجته، فتارة يظهر لهم الحال، و يطّلعون على المرض، و يتوافقون على مداواه، و يعلمون دواءه، و أُخرى لم يتّفقوا على قول، و يزعم كلّ واحد له مرضاً خاصّاً و دواء مخصوصاً، و ثالثة يعترف الجميع بعدم العلم بالمرض، فيداوي كلّ بما يكون مسكّناً فعليّاً للآلام مع اختلافهم في الدواء المسكّن أو وفاقهم، فهاهنا للأطبّاء تكليف، و للمريض تكليف آخر، أمّا الاطباء فلا إشكال في أنّ وظيفتهم ـ إذا لم يحصل لهم الوفاق ـ أن يظهر كلّ منهم ما فهمه من المرض و الدواء، و أمّا المريض فإن حكم عقله في صورة الاختلاف بلزوم ترجيح الأعلم و الأفضل، و إلّا كان مخيّراً في العمل بقول من شاء و أراد، فعلم بذلك جواب الإشكال الأوّل و أنّه ليس لله في كلّ حادثة أحكام مختلفة، بل حكم واحد، و الاختلاف نشأ من عدم القدرة على الوصول إليه.

[بيان أقسام أدلّة الأحكام]

و أمّا كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فليس المراد به نفي الاختلاف و ذمّه مطلقاً، و بيانه أنّ الأحكام الشرعية التي يستفيدها المجتهد من الأدلّة على أقسام ثلاثة:

الأوّل: القطعيات المتّخذة من نصوص الكتاب الحكيم و الروايات المتواترة أو المحفوفة بالقرائن القطعية، و هذا القسم لا اختلاف فيه غالباً بين المجتهدين.

و الثاني: الأحكام المستنبطة من الأمارات و ظواهر الكتاب و السنّة كما عرفت.[١]

الثالث: الأحكام المستفادة من الأُصول العملية الجارية في موارد عدم الأمارات، كالإباحة المدلول عليها بالبراءة و الاستصحاب و غيرها.

و الاختلاف بين الفقهاء لا يكون إلّا في هذين القسمين[٢]، فترى أنّ فقيهاً استظهر من أمارة أو إجراء أصل من الأُصول حكماً خاصّاً، و استظهر الآخر حكماً مخالفاً له، فعلم أنّ منشأ اختلاف الفتيا على الغالب هو العمل بالأمارات و الأُصول العملية، و رفع الاختلاف لا يكون إلّا بترك العمل بهما و الرجوع إلى النصوص القطعية، و حيث إنّها

---

١. في الصفحة ٢٩٦. ٢. أي في القسم الثاني و الثالث.

غير وافية ببيان جميع الأحكام الواقعة و ما يبتلى به الناس منها، فلا مناص عن الرجوع إلى الأمارات و الأُصول، مع أنّه وردت أخبار متواترة آمرة بالرجوع إليها في مقام تشخيص الوظائف و استفادة الأحكام، فراجع أدلّة حجّية خبر الواحد و الأُصول العملية من الاستصحاب و البراءة و قاعدة الطهارة و غيرها.

و على هذا، فهل يمكن توجّه الذمّ و التوبيخ الوارد في كلام عليّ ﷺ إلى هذا النوع من الاختلاف، مع أنّه من اللوازم الحتميّة للعمل بتلك الأمارات و الأُصول؟ كلّا، و لا يكون ذلك قطعاً.

نعم و هاهنا اختلاف في الفتيا بطريق آخر وقع بين طائفة كثيرة من علماء الإسلام، و هو الاختلاف الناشي عن العمل بالقياس و الاستحسان، و هما المنشأ لأغلب الاختلافات الواقعة في ما بينهم، و أنت خبير بأنّهم عاملون بهما في ما إذا لم يكن في المسألة دليل من الكتاب و السنّة النبويّة، و لا يعتنون بأقوال أئمّة أهل البيت، كما أنّهم لا يعتقدون بإمامتهم، فهم ـ مع اعترافهم بحديث الثقلين[١] ـ قد تركوا العمل برواياتهم، و عملوا بالقياس و الاستحسان، فالاختلاف الواقع بينهم ـ كالعمل بمنشأه ـ أمر مبغوض عند الله و رسوله، و لا إشكال في كون كلام عليّ ﷺ راجع إلى ذلك و توبيخاً عليه و ذمّاً لإعراضهم عن التمسّك بما أمر به النبيّ بقوله: «ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا»، ففي موثّقة سماعة بن مهران عن الكاظم ﷺ: «ما لكم و للقياس؟! إنّما هلك من هلك من قبلكم بالقياس...»، [ثمّ قال][٢]: «لعن الله فلاناً؛[٣] كان يقول: قال عليّ و قلت أنا، و قالت الصحابة، و قلت أنا»، ثمّ قال: «أكنت تجلس إليه؟»، فقلت: لا، و لكن هذا كلامه.[٤]

و في صحيحة أبان عن الصادق ﷺ قال: «إنّ السنّة لا تقاس، ألا ترى أنّ المرأة

---

١. نحن قد خرّجنا مصادره من الفريقين في الصفحة ٢٠٠ و ٢١٨.

٢. ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر.

٣. في المصدر: «لعن الله أبا حنيفة».

٤. الكافي، ج ١، ص ٥٧، باب البدع و الرأي و القياس، ح ١٣.

تقضي صومها و لا تقضى صلاتها؟ يا أبان! إنّ السنّة إذا قيست محق[1] الدين».[2]

و في رواية مسعدة بن صدقة عن الباقر عليه السلام عن عليّ عليه السلام قال: «من نصب نفسه للقياس، لم يزل دهره في التباس، و من دان الله بالرأي، لم يزل دهره في ارتماس[3]».[4]

فعلم بما ذكرنا أنّ الاختلاف بين فقهائنا الإمامية لم يقع غالباً إلّا في مؤدّى الأمارات و الأُصول و أنّ الحكم الواقعي الإلهي في تلك الموارد واحد، ليس بمتعدّد و لا مختلف، و الاختلاف إنّما نشأ عن الجهل بها و كيفية اتّخاذ الطريق في الوصول إليها من العمل بالظواهر و إجراء الأُصول و نحوهما، و ذلك من لوازم عدم وجود الحجّة العالم بجميع الأحكام و من نتائج غيبته عنّا، فيرجع الأمر بالآخرة إلى قصورنا و تقصيرنا و عدم جدارتنا للقائه و الكون تحت رايته و اكتساب سعادة الدارين بشريف وجوده.

و يعلم ممّا ذكرنا جواب إشكال الأخباريّين، فإنّ المجتهد المستنبط للأحكام عن الأمارات و الأُصول في الموضوعات التي لا يمكنه الوصول إليها علماً، لا يدّعي كونه حكماً واقعياً إلهياً، و لا كونه نفسه مشرّعاً لأحكام، و لا جاعلاً لها، بل هو يقول: إنّ المستفاد من هذا الكلام الصادر من الله تعالى أو من المعصوم مثلاً هذا المعنى، و إنّ ظاهر هذه اللفظ يعطي هذا الحكم الإيجابي أو التحريمي، و حيث إنّه مأمور شرعاً بالأخذ بتلك الأمارات و الأُصول و العمل علي وفقها كما هو مقتضى حجّية

---

١. «مُحِقَ» مجهولاً، أي أُبطل و مُحي، من المحق بمعنى الإبطال، أو «مَحَقَ» معلوماً، من المَحْق بمعنى النقصان و ذهاب البركة، أو ذهاب الشيء كلّه حتّى لا يرى منه أثر. راجع: شرح أُصول الكافي لصدر المتألّهين رحمه الله، ص ١٩٦؛ شرح أُصول الكافي للعلّامة المازندراني رحمه الله، ج ٢، ص ٣٢١؛ لسان العرب، ج ١٠، ص ٣٣٨ (محق).

٢. الكافي، ج ١، ص ٥٧، باب البدع و الرأي و القياس، ح ١٥.

٣. الارتماس: الانغماس في الماء حتّى يغيب الرأس و جميع الجسد فيه، و المراد به هاهنا الاغتماس في الباطل و الدخول فيه بحيث يحيط به إحاطة تامّة، أي لا يزال دهره منغمساً في الضلال و العمى عن الحقّ. راجع: لسان العرب، ج ٦، ص ١٠٢؛ مجمع البحرين، ج ٤، ص ٧٧ (رمس)؛ مرآة العقول، ج ١، ص ١٩٨.

٤. الكافي، ج ١، ص ٥٨، باب البدع و الرأي و القياس، ح ١٧.

الأخبار، فلا جرم يتّخذ ما استفاده وظيفة إلهيۀ لازم الاتّباع و برنامجاً عـمليّاً واجب الجري على طبقه.

و أمّا عوامّ الناس و بسطائهم فمقتضى القانون العقلائي أو الفطري العقلي، هو رجوع كلّ جاهل في كلّ موضوع و حادثة إلى العالم بحكمه و العارف بالوظيفة فيه، فعليهم أن يقلّدوا في المقام المجتهد المستنبط للأحكام، و هذا أمر غير قابل للخدشة و الإنكار.

و أما ثبوت منصب القضاء للنائب فلما عرفت[1] من دلالة المقبولة و المشهورة.

[قيام النائب مقام الإمام في جميع المناصب]

هذا و الظاهر قيام النائب مقام الإمام في جميع ماله من المناصب إلّا ماشذّ من الأحكام كما لعلّك تعرف، و الدليل عليه أُمور:

الأوّل: ما نقلناه آنفاً من قوله ﷺ: «مجاري الأُمور بيد العلماء بالله، الأُمناء عـلى حلاله و حرامه».[2]

الثاني: مكاتبة الحميري و قد ذكرناها[3] أيضاً عند بيان الدليل على أصل وجوب النصب.

الثالث: أنّ اللازم مقايسة المنصوب بالنصب العام في هذه الأزمنة على المنصوب بالخصوص في زمان حضور الإمام ﷺ، فالنائب في هذا العصر حكمه حكم محمّد بن أبي بكر و ابن عبّاس و مالك الأشتر و غيرهم ﷺ، و أنت إذا لاحظت الكتب التي كتبها الإمام ﷺ إليهم و أورد فيها ما يدلّ على حكمهم و وظائفهم، أذعنت كـلّ الإذعـان و اعتقدت جازماً باتّاً على أنّ له جميع ماللإمام، فهاك قطعات من كلامه ﷺ في كتاب له إلى الأشتر النخعي ـ رضي الله تعالى عنه ـ حين ولّاه على مصر و أعمالها بـعد مـا اضطرب أمر محمّد بن أبي بكر، قال ﷺ:

«و اعلم أنّه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظنّ راع بـرعيّته مـن إحسـانه إليـهم و

---

۱. في الصفحة ۲۸۷.

۲. قد خرّجنا الحديث في الصفحة ۲۸٦.

۳. في الصفحة ۲۸۷.

تخفيف المؤنة عنهم[١]».[٢]

و قال ﷺ: «و أكثر مدارسة العلماء و مناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، و إقامة ما استقام به الناس قبلك».[٣]

و قال ﷺ: «و اعلم أنّ الرعيّة طبقات لا يصلح بعضها إلّا ببعض: الجنود، كتاب العامّة، قضاة العدل، عمّال الإنصاف، أهل الجزية، التجّار و أهل الصناعات، الطبقة السفلى»،[٤] ثمّ قال: «و لكلّ[٥] على الوالي حقّ بقدر ما يصلحه».[٦]

و قال ﷺ: «و ليكن آثر رؤوس جندك عندك[٧] من واساهم في معونته[٨] و أفضل عليهم[٩] من جدته[١٠]».[١١]

و قال ﷺ: «و إنّ أفضل قرّة عين الولاة استقامة العدل في البلاد و ظهور مودّة الرعيّة».[١٢]

---

١. في المصدر: «و تخفيفه المؤونات عليهم».

٢. نهج البلاغة، ص ٤٣١، الكتاب ٥٣.

٣. المصدر.

٤. إلى هنا نقل بالتصرّف في العبارة بالتلخيص. راجع: المصدر، ص ٤٣١.

٥. في الأصل: «و لكن»، و ما أثبتناه من المصدر هو الصحيح.

٦. المصدر، ص ٤٣٢.

٧. أي أفضلهم و أعلاهم منزلة و أحظاهم عندك و أقربهم إليك، من الأثرة بالتحريك، و هو اسم من آثر يؤثر إيثاراً، إذا أعطى و اختار و فضّل و قدّم. راجع: لسان العرب، ج ٤، ص ٨؛ تاج العروس، ج ٦، ص ١٠ (أثر)؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٧، ص ٥٤، ذيل الكتاب ٥٣.

٨. المواساة: المشاركة و المساهمة، و أصلها الهمزة، فقلبت واواً تخفيفاً، و المعنى: ساعدهم بمعونته لهم. راجع: لسان العرب، ج ١٤، ص ٣٦ (أسا).

٩. يقال: أفضل الرجل على فلان و تفضّل، إذا أناله من فضله و أحسن إليه. لسان العرب، ج ١١، ص ٥٢٥ (فضل).

١٠. الجدة: الغنى و الثروة، يقال: وَجَدَ في المال جِدَة، أي استغنى و صار ذا مال، و وجد يجد جدة، أي استغنى و صار ذا مال. لسان العرب، ج ٣، ص ٤٤٦ (وجد).

١١. نهج البلاغة، ص ٤٣٣، الكتاب ٥٣.

١٢. المصدر.

و قال ﷺ: «و لا تصحّ نصيحتهم إلّا بحيطتهم على ولاة الأمر[١] و قلّة استثقال دولهم».[٢]

و قال ﷺ: «ثمّ اختر للحكم بين الناس أفضل رعيّتك في نفسك».[٣]

و قال ﷺ: «ثمّ انظر في أمور عمّالك فاستعملهم اختباراً، و لا تولّهم محاباة[٤] و أثَرة[٥]».[٦]

و قال ﷺ: «ثمّ تفقّد[٧] أعمالهم، و ابعث العيون من أهل الصدق و الوفاء عليهم».[٨]

و قال ﷺ: «و تفقّد أمر الخراج بما يصلح أهله؛ فإنّ في صلاحه و صلاحهم صلاحاً لمن سواهم».[٩]

و قال ﷺ: «ثمّ انظر في حال كتّابك، فولّ على أمورك خيرهم، و اخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك[١٠] و أسرارك بأجمعهم لوجوه صالحي الأخلاق».[١١]

و قال ﷺ: «و اجعل لرأس كلّ أمر من أمورك رأساً منهم».[١٢]

---

١. في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٧، ص ٥٤: «أي بتعطّفهم عليهم و تحنّنهم، و هي الحيطة على وزن الشيمة، مصدر حاطه يحوطه حوطاً و حياطاً و حيطة، أي كلأه و رعاه. و أكثر الناس يروونها: «إلّا بحيْطتهم» بتشديد الياء وكسرها، و الصحيح ما ذكرناه». و راجع: لسان العرب، ج ٧، ص ٢٧٩ (حوط).

٢. نهج البلاغة، ص ٤٣٣، الكتاب ٥٣.

٣. المصدر، ص ٤٣٤.

٤. «محاباة»، أي اختصاصاً و ميلاً منك لمعاونتهم، يقال: حابى الرجلَ حباء و محاباة، أي نصره و اختصّه و مال إليه. راجع: القاموس المحيط، ج ٤، ص ٣١٥ (حبو).

٥. «أثَرَة»، أي إنعاماً عليهم، و هو اسم من آثر يؤثر إيثاراً، إذا أعطى، أو استبداداً بلا مشورة من قولهم: استأثر بالشيء على غيره، أي خصّ به نفسه و استبدّ به. راجع: لسان العرب، ج ٤، ص ٨ (أثر).

٦. نهج البلاغة، ص ٤٣٥، الكتاب ٥٣.

٧. التفقّد: التطلّع و التعرّف. راجع: لسان العرب، ج ٣، ص ٣٣٧ (فقد).

٨. نهج البلاغة، ص ٤٣٥، الكتاب ٥٣.

٩. المصدر، ص ٤٣٦.

١٠. المكائد: جمع المكيدة، أي تدابيرك، من الكَيْد بمعنى التدبير. راجع: لسان العرب، ج ٣، ص ٣٨٤ (كيد).

١١. نهج البلاغة، ص ٤٣٧، الكتاب ٥٣.

١٢. المصدر.

و قال ﷺ: «ثمّ استوص بالتجّار و ذوى الصناعات و أوص بهم خيراً: المقيم منهم، و المضطرب بماله،[١] و المترفّق ببدنه».[٢]

[ثمّ قال][٣]: و إنّ[٤] في كثير منهم ضيقاً فاحشاً و شحّاً قبيحاً و احتكاراً للمنافع و تحكّماً في البياعات، و ذلك مضرّ[٥] للعامّة، و عيب للولاة،[٦] فامنع من الاحتكار، فإنّ رسول الله ﷺ منع منه، و ليكن البيع[٧] سمحاً بموازين العدل.[٨] فمن قارف حُكْرَة[٩] بعد نهيك إيّاه، فنكّل به[١٠] و عاقبه في غير إسراف».[١١]

و قال ﷺ: «ثمّ الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين و المحتاجين».[١٢] [ثمّ قال][١٣]: «و اجعل لهم قسماً من بيت مالك، و قسماً من غلّات صوافي[١٤] الإسلام في كلّ بلد».[١٥]

---

١. المضطرب: المسافر، من الضرب، و هو السير في الأرض، و المراد المتردّد و السائر بماله بين البلدان. راجع: لسان العرب، ج ١، ص ٥٤٤ (ضرب).

٢. أي المكتسب ببدنه، و هو العامل البدوي، قال العلّامة المجلسي رحمه الله: «قوله ﷺ: المترفّق ببدنه، أي أهل الصنائع؛ فإنّهم يتكلّفون نفع الناس و نفع أنفسهم بتجشّم العمل و إتعاب البدن». راجع: بحار الأنوار، ج ٣٣، ص ٦٢٩.

٣. ما بين المعقوفين أضفناه لمقتضى السياق.

٤. في المصدر: «و اعلم مع ذلك أنّ».

٥. في المصدر: «و ذلك باب مضرّة».

٦. في المصدر: «على الولاة».

٧. في المصدر: + «سمحاً».

٨. في المصدر: «بموازين عدل و أسعار لا تجحف بالفريقين من البائع و المبتاع».

٩. «فمن قارف حكرة»، أي واقع احتكاراً و خالطه و داناه و لاصقه و ارتكبه. راجع: لسان العرب، ج ٩، ص ٢٨٠ (قرف).

١٠. «فنكّل به»، أي أوقع به النكال و العذاب عقوبة له. يقال: نكّلتُ بفلان، إذا عاقبته في جرم أجرمه عقوبة تنكّل غيره عن ارتكاب مثله. راجع: لسان العرب، ج ١١، ص ٦٧٧ (نكل).

١١. نهج البلاغة، ص ٤٣٨.

١٢. المصدر.

١٣. ما بين المعقوفين منّا.

١٤. الصوافي: الأمكاك و الأراضي التي جلا عنها أهلها، أو ماتوا و لا وارث لها، واحدها: صافية. النهاية، ج ٣، ص ٤٠ (صفا).

١٥. نهج البلاغة، ص ٤٣٨، الكتاب ٥٣.

فترى أنّه قد فرض مالكاً الأشتر ممّن له رعيّة يجب أن يحسن ظنّه بهم، و له بلاد يلزمه العدل فيها و إصلاح أمرها و إقامة أهلها، و أنّ رعاياه طبقات شتّى، و لكلّ عليه حقّ، و أنّ له جنوداً و رؤساء الجنود، و أنّ من اللازم نصح الرعايا له و عدم استثقالهم دولته، و أنّ له انتخاب القضاة و اختيار العمّال و بعث العيون إليهم، و تفقّد أمر الخراج و المقاسمة،[۱] و إصلاح أُمور الناس، و النظر في حال الكتاب، و مراعاة حال التجّار و ذوي الصناعات، و المنع عن الاحتكار، و عقاب المحتكرين، و التوجّه إلى الطبقة السفلى، و تقسيم بيت المال فيهم، إلى غير ذلك من الأُمور التي ليست إلّا من وظائف نفس الإمام ﷺ، فهو ﷺ قد رتّب الجميع على من عيّنه لتصدّي أُمور ناحية معيّنة، ممّا كان تحت سلطنته.

---

۱. قد بيّن المصنّف ﷺ معنى الخراج و المقاسمة في الصفحة ۲۶۱.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّـهُ وَإِنَّ ٱللَّـهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ○ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ ٱللَّـهَ عَلِيمٌ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾[1].

التفسير

مرجع الإشارة إمّا إلى جميع القصص و الحالات التي حكاها الله عن عيسى من لدن بشارة مريم بولادته إلى توفّيه و رفعه إليه، كما سردت[2] من الآية ٤٥ إلى الآية ٥٥، أو إلى خصوص قصّة المباهلة، و على أيّ تقدير فالقصص ـ بالفتح ـ بمعنى التحديث و النقل، و المعنى أنّ ذاك التحديث حقّ ثابت، مطابق للواقع لا يتطرّق إليه كذب و لا خطأ و اشتباه؛ إذ قد نزل به الروح الأمين على قلب النبيّ الكريم من عند ربّ العالمين.

ثمّ إنّه حيث كان المستفاد من ذاك القصص تولّد عيسى من بشر مثله و اعترافه بعبوديته لربّه، و عدم كونه إلهاً و ربّاً، بيّن تعالى أنّه ما من إله إلّا الله، و الإله مصدر بمعنى العبادة، أو التحيّر،[3] و المراد به هنا المعبود، أو المتحيّر فيه، و مقتضى نفي الجنس حينئذ أنّه ليس غير ذات الله تعالى موجوداً آخر يليق بخضوع جميع أصناف الموجودات لجنابه و عبادة جميع ذوي العقول من الملائكة و الأُناس و الأجنّة و الشياطين له، أو ليس ذات لا تدركه العقول و لا تحوم حوله الأفهام بحقيقته

---

١. آل عمران (٣): ٦٢ و ٦٣.

٢. السرد في اللغة: تقدمة شيء إلى شيء، تأتي به متّسقاً بعضه في أثر بعض متتابعاً. لسان العرب، ج ٣، ص ٢١١ (سرد).

٣. راجع: الصحاح، ج ٦، ص ٢٢٢٣ و ٢٢٢٤ (أله).

و لا بكيفيّة صفاته و سائر جهاته إلّا الله تعالى، فالمراد أنّه لا ينطبق هذان العنوانان إلّا على الله، و قد ذكر الله تعالى لنفسه بعد إثبات وحدانيّته، وصفين: العزّة و الحكمة، و لابدّ أن يعلم قبل ذكر معنى الوصفين أنّ صفات الله تعالى على قسمين: صفات الذات و صفات الفعل.

فالأولى: ما لم يقع تحت إرادته تعالى و لم يكن محكوماً بها، كالعلم و القدرة.

و الثانية: ما يقع محكوماً بالإرادة، كالخلق و الرزق، فإنّه تعالى يريد تارة فيخلق و يرزق، و لا يريد أُخرى فلا يخلق و لا يرزق.

و الفرق بينه تعالى و بين خلقه كالإنسان مثلاً في صفات الذات أنّها فيه غير حادثة، و إلّا لزم سبق عدمها و اتّصافه بالجهل و العجز في بعض الأوقات، و تعالى ربّنا عن ذلك، فهي قديمة بقدم الذات، و أيضاً أنّها متّحدة مع ذاته تعالى، و إلّا لزم تركّبه من صفة و ذات، و ليس الله كذلك، و هذا بخلاف صفاتنا؛ فإنّها حادثة فينا، مسبوقة بالعدم، و هي غير ذاتنا، و لذا نتّصف بها تارة و بعدمها أُخرى.

و هنا فرق ثالث بين صفات الله تعالى مطلقاً و صفات مخلوقه، أنّها بالإضافة إليه تعالى مطلقة غير مقيّدة بقيد في صفات الذات، أو بقيد في الجملة في صفات الفعل، و هي فينا مقيّدة بقيود كثيرة و محدودة بحدود، فهو تعالى عالم بكلّ شيء و قادر على كلّ شيء، و كذلك سميع و بصير بكلّ ما يحقّ أن يسمع و يبصر، و تلك الصفات فى الخلق محدودة بزمان خاصّ و مكان معيّن و متعلّق محدود و نحو ذلك.

و أمّا صفات الفعل فهو تعالى و إن لم يكن خالقاً و رازقاً مثلاً في بعض الأحيان، إلّا أنّه متى كان خالقاً فهو خالق كلّ شيء و رازق كلّ حيّ، بخلاف الخلق و الرزق مثلاً في غيره.

و على هذا فالعزيز إمّا أن يلاحظ بمعنى كونه غالباً بالقوّة، فهو صفة ذات، و إمّا بمعنى فعليّة غلبته على الأعداء و إهلاك الكفّار و تدميرهم[1] في ما مضى و في ما

---

١. التدمير: استئصال الهلاك كالدِمار. لسان العرب، ج ٤، ص ٢٩١ (دمر).

يأتي، فهو صفة فعل، و على أيّ تقدير فهو ملحوظ بنحو الإطلاق، و لذا فسّروه بالغالب غير المغلوب.

و أمّا الحكيم فهو بمعنى ذي الحكمة، و هي إصابة الحقّ بالعلم و العقل كما في مفردات الراغب،[١] فالله تعالى حكيم في جميع أفعاله بمعنى كونها على وفق الحقّ، و كونها كما ينبغي و يليق عقلاً، لا نقص فيها و لا عيب، و ليس شيء منها بحيث يدرك العقل نقصانه و وقوع الغلط و العوج في خلقه و تدبيره و لحاظ كلّ شيء من أجزاء العالم بنفسه و الدقّة في كيفيّته و كمّه و لونه و أعراضه و حالاته، كثمرة من شجر مثلاً، ثمّ لحاظه مع نسبته إلى سائر أجزاء العالم و إضافته إلى ما يقارن وجوده منها من جهة كمال ربطه بها و ربطها به، كملاحظة ارتباط الثمر بالشجر و الخواصّ الموجودة فيه في انتفاع الحيوان به و التقوّي بأكله و استفادة البدن منه و سائر ما يشاهد و يعاين، أو يعلم بالدقّة و التجربة، يورث القطع و اليقين بإتقان الصنع في جميع أجزاء العالم، و هو معنى الحكمة، و كون خالقه و مدبّره عليماً حكيماً؛ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾[٢]، و قال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ○ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[٣].

فالله تعالى أوجد الأشياء على إتقان الصنع في أصل الايجاد، و على تدبير تامّ بعد الايجاد و على ترتّب النفع العامّ الملحوظ من خلقتها و تدبيرها، و كلّ ذلك من الحسن و الإعجاب بمكان لو تأمّلته لم تجد فيه فطوراً[٤] و فتوراً[٥] و رجع إليك بصرك خائباً.

و قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾. ظاهر الكلام أنّ الله تعالى جعل إعراضهم إفساداً، ثمّ حكم بأنّه عليم بذلك، المقصود منه التهديد بالعذاب، و حيث

---

١. المفردات للراغب، ص ١٢٧ (حكم). ٢. السجدة (٣٢): ٧.

٣. الملك (٦٧): ٣ و ٤.

٤. قال الراغب: «أصل الفطر الشقّ طولاً... قال: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾، أي اختلال». المفردات، ص ٣٨٢ (فطر).

٥. الفتور: الضعف و الانكسار، و سكون بعد حدّة، ولين بعد شدّة و ضعف بعد قوّة. راجع: النهاية، ج ٣، ص ٤٠٨؛ المفردات للراغب، ص ٣٧١ (فتر).

إنّ المخاطب في هذه الآيات علماء النصارى و عدّة من أعيانهم و متبوعيهم، و خلافهم في أُصول الدين التي تتبعها أُصول الأخلاق و فروع الشريعة. فلا إشكال في كون تولّيهم عن النبيّ و كتابه سبباً لتولّي التابعين و سائر عوام النصارى في جميع أحكام الدين عن رسول الله ﷺ و يكون ذلك أيضاً سبباً لتولّي أعقابهم متسلسلين إلى ما يعلم الله من الأزمنة. فلا جرم كان إعراضهم إفساداً لأُمّة كبيرة و جيل بعد جيل، و هو أمر عظيم.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1].

التفسير

كان توجّه الخطاب في الآيات السابقة إلى طائفة النصارى و أتباع الإنجيل، و الخطاب هنا لأهل الكتاب جميعاً من اليهود و النصارى، و المقصود دعوتهم إلى ترك الأنداد و رفض الإشراك و الاجتماع على التوحيد، و المراد بالكلمة هنا معناها، و هو الذي فسّر بأمور ثلاثة عدمية لازمة الوجود لأمر واحد، و هو التوحيد اعتقاداً و عملاً.

و الفرق بين تلك الأمور أنّ المراد بالأوّل التوحيد عملاً، و هو العبادة له تعالى و الخضوع لجنابه دون غيره من خلقه، و بالثاني التوحيد اعتقاداً و عدم الإشراك له تعالى قلباً، و هذان الأمران نهي عن الإشراك و حثّ على التوحيد على النحو الكلّي، فالمراد بالثالث النهي عن المصداق المتّخذ إلهاً و المجعول شريكاً، فقوله: ﴿وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً﴾ إشارة إلى ما قالته الطائفتان في حقّ عزير و المسيح[2] و غيرهما.[3]

---

١. آل عمران (٣): ٦٤.

٢. حكاه الله تعالى عنهم بقوله تعالى: ﴿وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَ قالَتِ النَّصارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قاتَلَهُمُ اللّهُ أَنّى يُؤْفَكُونَ﴾. التوبة (٩): ٣٠.

٣. قال الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللّهِ وَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَ ما أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً لا إِلهَ إِلاّ هُوَ سُبْحانَهُ عَمّا يُشْرِكُونَ﴾. التوبة (٩): ٣١.

إن قلت: ما هو معنى تساوي تلك الكلمة بين المسلمين و أهل الكتاب؟ و كيف يصدق هذا التساوي مع ابتعاد الطائفتين عن الإسلام و تفرّق كلّ طائفة إلى فرق كثيرة؟

قلت: معناه تساويها بينهم في حكم العقل و قضاء الفطرة السليمة و في مقتضى أصل دينهم و حقيقة شرعهم؛ إذ لا إشكال في أنّ العقل السليم و كلّ شريعة من الشرايع داعيان إلى التوحيد، و قد نشأ جميع الاختلافات و التفرّق إلى أحزاب و فرق و التشعّب إلى شعوب و قبائل لأجل الانحراف عن الطريق القويم و ما شرعه الله من الشرايع و ما وصّاه للناس بلسان الأنبياء، فالغرض من الآية دعوة أهل الكتاب إلى مقتضى حقيقة الدين و روح جميع الشرائع، و هو التوحيد اعتقاداً و عملاً، و لو أجابوا هذه الدعوة كان مفادها الإذعان بجميع الرسل و جميع الكتب السماوية و منها القرآن، و كانت النتيجة إسلامهم و ترك إشراكهم.

و قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾. و الظاهر أنّ قول بعضهم بربوبية بعض و اتّخاذه ربّاً على قسمين: اتّخاذه ربّاً في في الطاعة.

و الأوّل هو القول بألوهيّته حقيقة بمعنى كونه في مرتبة فوق رتبة الممكن، و من أوصافه وجوب ذاته و قدمها و خلقه الأشياء و رزقه و غير ذلك.

و الثاني هو القول بكونه مخلوقاً ممكناً مع القول بقداسته و بلوغه إلى مرتبة من الكمال بحيث يجب الخضوع له و طاعته في جميع ما صدر منه بلا مطالبة دليل، كاعتقادنا بالنسبة إلى الأنبياء و الأئمّة عليهم السلام.

و يشهد بما ذكرناه قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[1]، فإنّ التفصيل في الآية الشريفة بين الأحبار و الرهبان و بين المسيح في اتّخاذهم ربّاً يعطي اختلاف عقائدهم في المسيح و غيره.

أمّا في الأحبار و الرهبان فالظاهر أنّهم كانوا يطيعونهم في كلّ ما قالوه طاعة مطلقة

---

۱. التوبة (۹): ۳۱.

حتّى مع العلم بفسقهم و مشاهدة ما يصدر منهم من اتّباع الهوى و الميل إلى الرئاسات و تحريف الكتاب و ارتكاب المآثم؛ ففي صحيحة أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله‌ﷺ عن قول الله‌ﷻ: ﴿اتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ﴾ إلى آخره،[١] فقال: «أما و الله، ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، و لو دعوهم إلى عبادة أنفسهم ما[٢] أجابوهم، و لكن أحلّوا لهم حراماً و حرّموا عليهم حلالاً، فعبدوهم من حيث لا يشعرون».[٣]

و عنه عن أبي عبدالله‌ﷺ في الآية، قال: «أما و الله، ما صاموا لهم و لا صلّوا،[٤] ولكنّهم[٥] أحلّوا لهم حراماً و حرّموا عليهم حلالاً فاتّبعوهم».[٦] و في رواية أُخرى: «فكانوا أربابهم من دون الله».[٧]

و أمّا في المسيح فأقوالهم فيه مختلفة، و قد نقل عدّة من المتصدّين لنقل كلماتهم أنّ أُصول أقوالهم ترجع إلى ثلاثة، قال الأُستاذ الطباطبائي في كتابه الميزان ما خلاصته:

> إنّ محصّل ما قالوه أنّ الذات جوهر واحد، له أقانيم[٨] ثلاثة: أقنوم الوجود و أُقنوم العلم، و هو الكلمة و أُقنوم الحياة، و هو الروح، و هذه الأقانيم الثلاث هي الأب و الابن و روح القدس، فالابن ـ و هو أُقنوم العلم ـ نزل إلى الناس من عند أبيه ـ و هو أُقنوم الوجود ـ بمصاحبة روح القدس، و هو أُقنوم الحياة التي بها يستنير الأشياء[٩] انتهى.

ثمّ إنّهم لم يتعرّضوا في الغالب لحال أُقنوم الحياة، و عمدة الكلام في أبحاثهم واقعة

---

١. في المصدر: ﴿وَ رُهۡبَانَهُمۡ أَرۡبَاباً مِنۡ دُونِ اللَّهِ﴾ بدل «إلى آخره».

٢. في المصدر: «لما».

٣. الكافي، ج ٢، ص ٣٩٨، باب الشرك، ح ٧.

٤. في المصدر: + «لهم».

٥. في المصدر: «و لكن».

٦. الكافي، ج ١، ص ٥٢، باب التقليد، ح ٣.

٧. تفسير العيّاشي، ج ٢، ص ٨٦، ح ٤٧. و عنه في وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٣٤، الباب ١٠ من أبواب صفات القاضي و ما يجوز أن يقضي به، ح ٢٨.

٨. الأقانيم: جمع، واحدها: أُقنوم، و هي لفظة سريانية روميّة يستعملها النصارى، و معناها بالعربية: الأصل. راجع: الصحاح، ج ٥، ص ٢٠١٦؛ مجمع البحرين، ج ٦، ص ١٤١ (قنم).

٩. الميزان، ج ٣، ص ٢٨٦، ذيل الآية ٧٩ و ٨٠ من سورة آل عمران (٣).

في كيفية ارتباط الأُقنومين الأوّلين؛ أعني الأب و الابن، فقال الملكانية: إنّ بنوّة عيسى للأب بنوّة حقيقية.[١]

و إنّا لسنا ندري هل يلتزمون بسائر لوازم ذلك من وجود الزوجة المناسبة لمقام الربوبية و الزواج و المواقعة، و أنّه هل انحصر عيسى بالولادة من الإلهين، أو أنّ لهما أولاد أُخر بنون و بنات إلى غير ذلك من اللوازم الفاسدة و غير الممكنة في الواجب؟

و قالت النسطورية: إنّ الأب قد حلّ في الابن، كحلول ضوء الشمس في البلّور و الزجاج الضخيم مثلاً، و قالت اليعقوبية: إنّ الأب قد تنزّل و تجسّد و تجسّم، فصار لحماً و دماً، فتصوّر بصورة الابن، و هو عيسى.[٢]

ثمّ إنّ في الآيات أيضاً إشارة إلى بعض تلك الأقوال؛ قال تعالى:﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ﴾[٣]، و الظاهر أنّ هذا الكلام إشارة إلى الأقانيم الثلاث التي منها الأب، و هو الله في اعتقادهم.

و قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[٤]، ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا﴾[٥]، و في الآيتين إشارة إلى مذهب الملكانية:

و قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[٦]، و هذا إشارة إلى مذهب النسطورية، و يمكن إرادة مذهب اليعقوبية بإرادته الانقلاب.

هذا، و أمّا الأناجيل الموجودة بالفعل فهي مختلفة في المرمى، فيستفاد من بعضها أصل التثليث، و يصرّح بعضها بالحلول و الاتّحاد و ما يدلّ عليه من عباراتها أكثر، ففي إنجيل متّى الأصحاح ۲۸، العدد ۱۹ قوله لتلامذته: اذهبوا[٧] و تلمّذوا كلّ الأمم و عزّوهم[٨] باسم الأب و الابن و روح[٩] القدس.[١٠]

---

١. راجع: التحرير و التنوير، ج ٤، ص ۳۳٤ و ۳۳٥.
٢. راجع: التحرير و التنوير، ج ٤، ص ۳۳٤ و ۳۳٥.
٣. المائدة (٥): ٧٣.
٤. التوبة (٩): ٣٠.
٥. مريم (١٩): ٨٨؛ الأنبياء (٢١): ٢٦.
٦. المائدة (٥): ١٧ و ٧٢.
٧. في المصدر: «فاذهبوا».
٨. في المصدر: «و عمدوهم».
٩. في المصدر: «و الروح».
١٠. الكتاب المقدّس (العهد الجديد)، ص ٥٥.

و في إنجيل يوحنّا، الأصحاح ١٤ العدد ٧ و ما بعده:

لو كنتم تعرفونني[١] لعرفتم أبي أيضاً، و من الآن تعرفونه و قد رأيتموه أيضاً. قال له فيلبس: يا سيدنا[٢]! أرنا الأب و حسبنا.[٣] قال له يسوع: أنا معكم كل هذا الزمان[٤] و لم تعرفني يا فيلبس! من[٥] رآني فقد رأى الأب، فكيف تقول أنت: أرنا الأب؟ أما[٦] تؤمن أنّى في أبي و أبي فيّ[٧]؟! و هذا الكلام الذي أقوله لكم، ليس هو من ذاتي وحدي، بل أبي الحال فيّ، هو يفعل هذه الأفعال، آمنوا، أبي أنا في أبي، و أبي[٨] فيّ.[٩]

و في الأصحاح ١٧ من إنجيل يوحنّا، العدد ٢٠:

تكلّم اليسوع بهذا و رفع عينيه إلى السماء[١٠] فقال: يا أبت[١١]! قد حضرت[١٢] الساعة، فمجّد[١٣] ابنك؛ ليمجدّك ابنك[١٤] ـ ثمّ ذكر دعاء لرسله من تلامذته، ثمّ قال ـ: و لست أسأل في هؤلاء[١٥] فقط، بل و في الذين[١٦] يؤمنون بي بقولهم[١٧] ○ ليكونوا بأجمعهم[١٨] واحداً، كما أنت يا أبت ثابت فيّ،[١٩] و أنا أيضاً[٢٠] فيك.[٢١]

---

١. في المصدر: «قد عرفتموني».

٢. في المصدر: «يا سيّد».

٣. في المصدر: «و كفانا».

٤. في المصدر: «أنا معكم زماناً هذه مدّته».

٥. في المصدر: «الذي».

٦. في المصدر: «ألست».

٧. في المصدر: «أنيّ أنا في الأب، و الأب فيّ».

٨. في المصدر: «الكلام الذي أكلّمكم به، لست أتكلّم به من نفسي، لكنّ الأب في الحال فيّ، هو يعمل الأعمال، صدّقوني أنّي في الأب، و الأب».

٩. الكتاب المقدّس (العهد الجديد)، ص ١٧٥.

١٠. في المصدر: «نحو السماء».

١١. في المصدر: «أيّها الأب».

١٢. في المصدر: «قد أتت».

١٣. في المصدر: «مجّد».

١٤. في المصدر: + «أيضاً».

١٥. في المصدر: «من أجل هؤلاء».

١٦. في المصدر: «بل أيضاً من أجل الذين».

١٧. في المصدر: «بكلامهم».

١٨. في المصدر: «ليكون الجميع».

١٩. في المصدر: «كما أنّك أنت أيّها الأب فيّ».

٢٠. في المصدر: – «أيضاً».

٢١. الكتاب المقدّس (العهد الجديد)، ص ١٧٩ و ١٨٠، إنجيل يوحنّا، الأصحاح ١٧، الرقم ١ و ٢٠ و ٢١.

و في إنجيل يوحنّا في الأصحاح الأوّل، العدد الأوّل:

فى البدء كان الكلمة، و الكلمة كان عند الله، و الله كان الكلمة مذ البدء،[١] كان هذا عند الله[٢] ○ كلّ[٣] به كان، و بغيره لم يكن شيء ممّا كان ○ به[٤] كانت الحياة، و الحياة كانت نور الناس.[٥]

و في الإنجيل، الأصحاح ۸، العدد ٤٢: لكنّي خرجت من الله و جئت، و لم آت من عندي، بل هو أرسلنى.[٦]

و بالجملة منشأ اختلافهم هذه العبارات و نظائرها من الأناجيل، و كثر الاختلاف بينهم و التشتّت و التشعّب، و ينقل أنّ مذاهبهم تبلغ سبعين أو أكثر.

---

١. في المصدر: «و كان الكلمة الله».

٢. في المصدر: «هذا كان في البدء عند الله». ٣. في المصدر: «كلّ شيء».

٤. في المصدر: «فيه».

٥. الكتاب المقدّس (الكتاب المقدّس)، ص ١، إنجيل يوحنّا، الرقم ١ ـ ٤.

٦. المصدر، ص ١٤٥، و العبارة فيه هكذا: «فقال لهم يسوع: لو كان الله أباكم لكنتم تحبّونني؛ لأنّي خرجت من قبل الله و أتيت؛ لأنّي لم آت من نفسي، بل ذاك أرسلني».

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

التفسير

إبراهيم هو النبيّ العظيم و الرسول الكريم خليل الرحمن الذي ذكره الله تعالى في موارد كثيرة من كتابه و أثنى عليه فيه ثناء جميلاً، و ذكره ذكراً حسناً. فمن الأُمور المربوطة به [ما يلي][٢]:

١. ايتاؤه الرشد و كمال العقل و الدراية. ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾[٣].

٢. تبرّيه من أبيه و قومه و نسبتهم إلى الضلالة لأجل عبادة الأصنام، و جعله تلك البراءة كلمة باقية في عقبه؛ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾[٤].

٣. إعطاؤه الحجّة و رفعه درجات؛ ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾[٥].

---

١. آل عمران (٣): ٦٥ ـ ٦٨.
٢. ما بين المعقوفين أضفناه لمقتضى السياق.
٣. الأنبياء (٢١): ٥١.
٤. الزخرف (٤٣): ٢٦.
٥. الأنعام (٦): ٨٣.

٤. احتجاجه على قومه للتوحيد بأفول الكواكب و القمر و الشمس، و احتجاجه على ملك زمانه و جعله محجوجاً؛ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ○ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَـئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ○ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـٰذَا رَبِّى هَـٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَـٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[١].

و قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِيمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَـٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾[٢].

٥. كونه صدّيقاً نبيّاً؛ ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾[٣].

٦. كيده للأصنام و جعلها جذاذة[٤] و إقحامه[٥] القوم في الكلام؛ ﴿فَـجَعَلَهُمْ جُـذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾[٦] إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ○ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ○ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾.[٧]

٧. كيد قومه له بإلقائه في النار و إنجاء الله له؛ ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ﴾[٨].

٨. ﴿قُـلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَـرْدًا وَسَـلَـٰمًا عَـلَىٰٓ إِبْـرَٰهِـيمَ﴾[٩]، ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَـيْدًا فَـجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾[١٠].

---

١. الأنعام (٦): ٧٦ ـ ٧٨.
٢. البقرة (٢): ٢٥٨.
٣. مريم (١٩): ٤١.
٤. يقال: جذذت الشيء، أي كسرته و قطعته. والجذاذ و الجُذاذ: ما تقطّع منه، و ضمّه أفصح من كسره. الصحاح، ج ٢، ص ٥٦١ (جذذ).
٥. أي إدخالهم في ما لا يريدونه، و المراد إسكاتهم و غلبتهم في الحجّة. راجع: لسان العرب، ج ١٢، ص ٤٦٣ (قحم).
٦. الأنبياء (٢١): ٥٨.
٧. الأنبياء (٢١): ٦٣ ـ ٦٥.
٨. الأنبياء (٢١): ٦٨.
٩. الأنبياء (٢١): ٦٩.
١٠. الأنبياء (٢١): ٧٠.

٩. مجيء الرسل إليه و إحضاره العجل الحنيذ[١] لهم و جِداله في استخلاص قوم لوط؛ ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ○ فَلَمَّا رَأَىٰٓ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَ أَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾[٢] إلى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَـٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾[٣].

١٠. بشارة الرسل له و لزوجه بالأولاد؛ ﴿فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ﴾[٤].

١١. اعتزاله عن أُمّته و خروجه و لوط[٥] إلى الأرض المقدّسة؛ ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾[٦]، ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾[٧].

١٢. طلبه الولد من الله و قبول دعاؤه؛ ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ○ فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ﴾[٨].

١٣. حمده لربّه على أن وهبه أولاداً؛ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[٩].

١٤. أمره بذبح ولده في الرؤيا و تصديقه ذلك و مجيء الفداء؛ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ○ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ○ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ○ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ○ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ○ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[١٠].

---

١. الحنيذ، أي المشويّ بين حجرين، و إنّما يفعل ذلك؛ لتتصبّب عنه اللزوجة التي فيه. المفردات للراغب، ص ١٣٣ (حنذ).

٢. هود (١١): ٦٩ و ٧٠.

٣. هود (١١): ٧٤.

٤. هود (١١): ٧١.

٥. في الأصل: «و لوطاً» و الصحيح ما أثبتناه.

٦. الأنبياء (٢١): ٧١.

٧. الصافّات (٣٧): ٩٩.

٨. الصافّات (٣٧): ١٠٠ و ١٠١.

٩. إبراهيم (١٤): ٣٩.

١٠. الصافّات (٣٧): ١٠٢ـ١٠٧.

۱۵. إبقاء الثناء عليه بعده: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ﴾[1].

۱٦. جعلهم أئمّة داعين إلى الخيرات عاملين بالصالحات: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾[2].

۱۷. اختباره بكلمات و إتمامه إيّاهنّ و انتخابه بالإمامة: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[3].

۱۸. دعاؤه لمكّة المكرّمة بالأمن و لأهلها بالرزق: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[4].

۱۹. رفعه و إسماعيل قواعد البيت و دعاؤه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[5].

۲۰. عهد الله إليه و إلى ابنه أن يطهّرا بيته: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[6].

۲۱. طلبه من الله بعث الرسول من أهل مكّة: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[7].

۲۲. اصطفاؤه في الدنيا و صلاحه في الآخرة و إيمانه: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[8]؛

﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾[9]؛

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[10].

---

۱. الصافّات (۳۷): ۱۰۸.
۲. الأنبياء (۲۱): ۷۳.
۳. البقرة (۲): ۱۲٤.
٤. البقرة (۲): ۱۲٦.
٥. البقرة (۲): ۱۲۷.
٦. البقرة (۲): ۱۲٥.
۷. البقرة (۲): ۱۲۹.
۸. البقرة (۲): ۱۳۰.
۹. ص (۳۸): ٤۷.
۱۰. الصافّات (۳۷): ۱۱۱.

٢٣. تسليمه لله تعالى؛ ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[1].

٢٤. كونه أمّة قانتاً لله حنيفاً شاكراً وفيّاً؛ ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2].

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾[3].

٢٥. أمر الله محمّداً ﷺ باتّباع ملّته و إعلامه الناس ذلك؛ ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾[4]؛ ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾[5].

٢٦. أمر الناس بالتأسّي به و باتّباعه؛ ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[6].

و قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إلى آخره. ليست محاجّة اليهود و النصارى في إبراهيم بدعوى كلّ طائفة منهما أنّ إبراهيم كان من أمّة نبيّها عاملاً بشريعته، حتّى يحمل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ﴾ إلى آخره على الجواب عن خطائهم و أنّ إبراهيم كان قبل موسى و عيسى؛ فإنّ ذلك غير محتمل في حقّهم؛ إذ لا إشكال في أنّهم كانوا عالمين بتقدّم عصر إبراهيم و كون بعثته قبل موسى و عيسى.

بل الظاهر بعد التأمّل في ما أجاب الله عنهم بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾،[7] و قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾،[8] أنّ كلّ طائفة منهم كانت تدّعي أنّ إبراهيم كان عاملاً بشرعها بمعنى كون شرع إبراهيم متّحداً متوافقاً مع شرعها، فاليهود تدّعي أنّه كان يهوديّاً، أي آخذاً بشريعة مطابقة لشريعتها، و النصارى أيضاً تدّعي مثل ذلك. و هذا كما ينقل عن المسلمين أيضاً أنّ شريعة إبراهيم مطابقة لشريعة الإسلام و لو في الجملة.

و منشأ التوهّم في كلا الفريقين إمّا كان مزعمة غير مدعومة بحجّة، أو حسبان أنّ

---

١. البقرة (٢): ١٣١.
٢. النحل (١٦): ١٢٠ و ١٢١.
٣. النجم (٥٣): ٣٧.
٤. النحل (١٦): ١٢٣.
٥. الأنعام (٦): ١٦١.
٦. الممتحنة (٦٠): ٤.
٧. آل عمران (٣): ٦٧.
٨. آل عمران (٣): ٦٥.

حقيّة إبراهيم و موسى مثلاً تستلزم وحدة شريعتهما، أو كان ذلك في اليهود لأجل قولهم بعدم إمكان النسخ في الأحكام الشرعية، فيلزمهم القول بوحدة الشريعتين.

و على أيّ تقدير يكون محصّل الجواب عن دعواهم أنّ بعث الرسول و إنزال الكتاب كالتوراة و الإنجيل مثلاً، معناه إنزال الشريعة مستقلّة ناسخة لسابقتها، فنزول التوراة و الإنجيل بعد إبراهيم معناه عدم كونه يهودياً و لا نصرانياً، و ما لعلّه زعموه من استلزام حقّيّة المبعوثين وحدة الشريعتين، منشاؤه جهل الطائفتين بالفرق بين الدين و الشريعة و عدم تعقّلهم ذلك؛ فإنّه لا إشكال في أنّ الدين واحد في جميع الأزمنة و الأعصار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾[1]، و قال: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾[2] إلى آخره، فقد شرع الله للجميع ديناً واحداً.

و أمّا الشريعة فهي متعدّدة بتعدّد أُولي العزم من الأنبياء، قال تعالى:

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[3].

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾[4].

و قوله تعالى: ﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ﴾ إلى آخره. ظاهر الآية أنّ للطائفتين احتجاجاً في بعض الأُمور، صادراً عن علمهم بمتعلّق الحجّة و أنّه ليس بمنكر و لا مذموم، و إنّما الذمّ يتعلّق بهم في ما ادّعوه في حقّ إبراهيم كما ذكر في الآية السابقة، و أحسن ما يقال في توجيه احتجاجهم على ما علموه، هو دعوى النصارى نبوّة عيسى و حقّيّة كتابه و شريعته، فهم يدّعون ذلك عن علم به و يستدلّون له و يحتجّون على إثباته بحجج، و هم فيه مصيبون، و دعوى اليهود عدم بنوّة عيسى لله، أو عدم اتّحاده مع الربّ، أو عدم كونه أحد الثلاثة، هذا و قيل في ذلك مطالب أُخر أغمضنا عن ذكرها.

و قوله: ﴿وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾. الحنيف: المائل إلى الحقّ،

---

۱. آل عمران (۳): ۱۹.
۲. الشورى (٤۲): ۱۳.
۳. المائدة (٥): ٤۸.
٤. الحجّ (۲۲): ٦۷.

و يضادّه الجنيف و هو المائل إلى الباطل، و يلاحظ ذلك في العقائد و الأخلاق و الأعمال الجوارحيّة، و الميل إلى الصواب في كلّ مرحلة منها حنيفة.

و الظاهر أنّ إطلاق هذا الوصف على إبراهيم لأجل كون مقتضى عصره و أهل زمانه طرّاً الفساد و الانحراف و الدعوة إلى الباطل، و الجذب إلى الخرافات في شتى مراتبها و جهاتها، فهو عليه السلام كان بما آتاه الله تعالى من الرشد، حيث قال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ﴾[١]، يتخلّص من كلّ جاذبة في أيّ موضوع إلى الحقّ و الصواب في ذلك المورد، و قد وقع نظير ذلك للنبيّ الأعظم محمّد ﷺ؛ فقد نشأ و برع بين جذبات و اقتضاءات متنوّعة من دعوة قومه إلى الإشراك و الوثنية و عبادة الأصنام و دعوة العادات و الرسوم الفاسدة إلى الرذائل الخلقية و إلى الأعمال المنكرة و الفواحش، فاتّصف بالحنفيّة في جميع ذلك، بتوفيق من الله؛ قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾[٢]، ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾[٣]. و لعلّ المراد بالورز الذي ينقض الظهر هو تلك الاقتضاءات و الجذبات.

و قد استعملت كلمة «حنيف» مفرداً في القرآن الكريم في عشرة موارد، ثمانية منها في وصف إبراهيم الخليل، أو توصيف دينه و ملّته، و وقعت في موردين وصفاً لنبيّنا محمّد ﷺ أو لدينه، و هو مشعر إلى ما ذكرنا؛ قال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٤].

و لا فرق في ما ذكرنا بين وقوعها وصفاً للشخص أو لدينه و طريقته، و قال عليه السلام بعد ما أنكر ربوبية الكواكب و القمر و الشمس: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾[٥].

و قوله: ﴿مُسْلِماً﴾. الإسلام قد يطلق على الإقرار باللسان، سواء حصل معه الاعتقاد في

---

١. الأنبياء (٢١): ٥١.
٢. الشرح (٩٤): ١ـ٣.
٣. الضحى (٩٣): ٦ و ٧.
٤. النحل (١٦): ١٢٠.
٥. الأنعام (٦): ٧٩.

القلب، أم لم يحصل، فهو في المرتبة دون الايمان، و به يحصل حقن دم المسلم، و قد يطلق على مرتبة فوق الايمان؛ فإن الايمان و الاعتقاد قلباً قد لا يوجب العمل. فإذا قوي ذلك بحيث صارت النفس خاضعة لربّها، منقادة لأوامره، سلماً لله تعالى، أُطلق عليه الإسلام. فالإسلام هو المرتبة القويّة الكاملة من الايمان بحيث يستلزم العمل بالأركان، و لعلّ هذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾،[١] فالدين عبارة عن الايمان و العمل كليهما، أو الايمان الملازم له.

و قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾. لعلّه ردّ لدعوى مشركي مكّة حيث يدّعون أنّ إبراهيم الخليل كان منهم، و هم أبناؤه و على دينه، و يمكن كون ذكره إشعاراً ببطلان دعوى الطائفتين من وجه آخر، و المراد أنّكم إن تدّعون أنّ إبراهيم كان يهوديّاً متشرّعاً بالتوراة الحقيقية المنزلة من السماء و كذا الإنجيل، فهي باطلة؛ لنزول الكتابين بعده، و إن ادّعيتم أنّه كان على ما هو الموجود عندكم و على طريقتكم الفعلية الجارية فيكم، فلازمه أن يكون إبراهيم أيضاً مشركاً في الطاعة، أو في العبادة كما أنتم كذلك، لكنّ إبراهيم كان حنيفاً مسلماً و لم يكن منكم.

و قوله: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. ليس المراد بالأولوية هنا التسلّط و الولاية في التصرّف و التدبير كما هو واضح، بل المراد بها القرب من الشيء، من «ولى يلي فلاناً»: دنا منه و قرب، و ليس المراد بالقرب أيضاً القرب المعنوي من جهة كمال الايمان؛ فإنّه لو أُريد ذلك لكان موسى و عيسى أيضاً أوليين به، بل الظاهر أنّ المراد القرب من حيث العمل بشريعته؛ فإنّ إبراهيم كان جائياً بشريعة خاصّة عاملاً بها، و الأقرب إليه من جهة العمل بها هو أتباعه المؤمنين في عصره و مايليه من الأعصار و النبيّ الأعظم محمّد ﷺ و أتباعه و المؤمنون به من أجل أنّ شريعته ﷺ أقرب الشرايع إلى شريعة إبراهيم؛ فإنّ شرع موسى كان يغاير شرع إبراهيم؛ لأجل شموله لبعض الأحكام الخاصّة المرتبطة

---

١. آل عمران (٣): ١٩.

بني إسرائيل، كتحريم صيد السموك يوم السبت: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾[١]، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾[٢]، و كتحريم الطيّبات التي كانت لهم حلالاً: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾.[٣]

و كتحريم بعض الأنعام ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾[٤].

و كذلك شريعة عيسى كانت تغاير شريعة إبراهيم من جهات، كتشريع الرهبانية[٥] فيها: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾[٦].

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[٧]، و كتشريع الزهد الشديد عن الدنيا، كما يحكيه فعل عيسى ﷺ، و تشريع وجوب الحصر أو استحبابه بمعنى ترك التزويج إلى آخر العمر و غير ذلك.

و كان أقرب الشرايع إلى شريعة إبراهيم هو الإسلام، بل يمكن أن يقال: إنّ بين شريعة إبراهيم و الإسلام عموم و خصوص مطلق، و كلّ ما كان من شرعه فهو في الإسلام و لا عكس، و يشير إليه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[٨]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[٩].

---

١. النساء (٤): ١٥٤.
٢. البقرة (٢): ٦٥.
٣. النساء (٤): ١٦٠.
٤. الأنعام (٦): ١٤٦.
٥. قال ابن الأثير: «فيه: لا رَهْبانيّة في الإسلام، هي من رَهْبَنَة النصارى، و أصلها من الرَّهْبة: الخوف، كانوا يترهّبون بالتخلّي من أشغال الدنيا و ترك ملاذّها و الزهد فيها و العزلة عن أهلها و تعمّد مشاقّها، حتّى أنّ منهم من كان يخصي نفسه و يضع السلسلة في عنقه و غير ذلك من أنواع التعذيب، فنفاها النبيّ ﷺ عن الإسلام و نهى المسلمين عنها». النهاية، ج ٢، ص ٢٨٠ (رهب).
٦. الحديد (٥٧): ٢٧.
٧. المائدة (٥): ٨٢.
٨. النحل (١٦): ١٢٣.
٩. النساء (٤): ١٢٥.

و لعلّ ذلك لأجل أنّ إبراهيم عليه السلام كان داعياً للناس إلى الأُصول الاعتقادية و أُمّهات الفروع العملية ممّا تستقلّ به العقول؛ إذ لم يمكن له تشكيل الحكومة و الولاية على المجتمعات التي تقضي تشريع فروع متشعّبة من الشرايع، ثمّ أُضيف إليها في الإسلام أحكام يقرب من ذلك في كونها فطرية عقلانية منطبقة على حال الملأ البشري في كلّ عصر و زمان، كما قال: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[١].

---

١. الروم (٣٠): ٣٠.

قال تعالى: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ۝ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ۝ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

التفسير

الودّ: حبّ الشيء و تمنّي وجوده، و المراد به هنا ليس هو الحالة القلبية محضاً، بل الودّ و الحبّ عملاً، فحبّهم إضلالَ المسلمين هو سعيهم في ذلك و إيجادهم مقدّمات الإضلال؛ ليتحقّق منهم ذلك.

و حيث إنّ المراد بالإضلال هنا هو ما كان ذات الجهات و الأبعاد، أي الإضلال في الاعتقادات الجوانحية و الصفات و الملكات الروحية و الأعمال الجوارحية، و إنّ الحكم المذكور لا يختصّ بزمان خاصّ، كزمان نزول الآية الشريفة، بل الكلام يقتضي عموم المعنى لكلّ عصر و مصر و كلّ زمان و مكان، كما يشهد به العيان، فكلّ ما صدر منهم ممّا كان سبباً لتحريف العقائد و الأعمال عن مسيرها الشرعي الإلهي، فهو مصداق للإضلال، كنشرهم للكتابين المحرّفين في بلاد المسلمين و تبليغهم عقائدهم الباطلة في بلاد المسلمين و دخالتهم في أُمور المسلمين من نشر الكتب المشتملة على عقائدهم و نشر الجرائد اليومية و الأُسبوعيّة و السنويّة المشتملة على الخرافات في المجتمعات الإسلاميّة و بناء الكنائس و المدارس و الأمكنة المعدّة للفحشاء و المنكر

---

١. آل عمران (٣): ٦٩ ـ ٧١.

في البلاد الإسلاميّة و إدخال سائر وسائل الفحشاء في الممالك الإسلاميّة، و غير ذلك من كثير الخيانات و المنكرات التي ملأت بلاد المسلمين، فكلّ ذلك من الإضلال الذي ودّوه و أحبّوه ودّاً عمليّاً و حبّاً خارجياً.

و قوله: ﴿وَ مَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾، أي أنّهم أضلّوا أنفسهم، و ما أضلّوا المسلمين، و هذا إشارة إلى قانون عامّ عالمي و سنّة تكوينية أجراها الله في عباده من رجوع نتائج أعمال الناس إلى أنفسهم، إن خيراً فخيراً، و إن شرّاً فشرّاً.

و حيث إنّ هذا العالم ـ أعني الحياة العاجلة الدنيوية ـ متّصل بعالم الآخرة و الحياة الدائمة الأبدية، فقد يكون الرجوع في هذا العالم ـ و قد يبقى ـ إلى عالم الآخرة، و حينئذ فيتضاعف الجزاء و يزداد و يصير أضعافاً مضاعفة على حسب اختلاف النشأتين في جميع خصوصيّات الحياة و كمال النشأة الأُخروية في كلّ جهات؛ فإنّ الآخرة لهي الحيوان،[1] فالإدراكات الروحية فيها أقوى بمراتب و التلذّذ و التألّم الجسمانية فيها كذلك.

و تشهد على تلك السنّة الإلهية آيات، قال تعالى:

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[2].

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾[3].

إن قلت: إنّ قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّونَ﴾ يشتمل على جملتين: إيجابية و سلبية، و المعنى أنّهم يضلّون أنفسهم، و ما يضلّون المسلمين.

أمّا الجملة الأُولى فهي التي تؤيّدها الكبرى الكلّية المذكورة، فهم قد أضلّوا أنفسهم و جعلوها شقيّة ضالّة تستوجب النار و تنتهي بالآخرة إلى الجحيم، و هو المراد بضلالة النفس إلّا أنّ الكلام في الجملة السلبية، فكيف يصحّ ذلك إذا فرضنا أنّهم أضلّوا عدّة من المسلمين، فأخرجوهم من الإيمان و أوردوهم الكفر و العصيان؟ بل لازم هذا الأمر

---

۱. اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَ مَا هٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. العنكبوت (۲۹): ٦٤.

۲. البقرة (۲): ۲۸٦.   ۳. الروم (۳۰): ٤۱.

كون الجملتين إيجابيتين بأن يقال: إنّهم أضلّوا المسلمين، فأضلّوا أنفسهم.

قلت: حصول الضلالة في المسلمين بإضلال الكفّار على قسمين:

أحدهما: اختيارهم الضلالة عن علم و عمد، و لو كان ذلك بعد دعوة الكفّار و وسوستهم و إغوائهم.

و الثاني: ضلالتهم عن جهل و غفلة بحيث كانوا معذورين في ذلك.

أمّا الأوّل فلا إشكال في أنّ للفعل الحاصل هناك ـ ؛ أعني الضلالة ـ نسبتين: نسبة إلى الضالّ بالأصالة، و نسبة إلى المضلّ بالتبع، كما في سائر موارد نسبة الفعل الواحد إلى المباشر و السبب، و حيث إنّ المباشر هنا فاعل مريد مختار في فعله، و يترتّب عليه عقاب فعله، سوّغ ذلك نفي النسبة عن السبب؛ لضعفها فيه و قوّتها في المباشر.

و هذا كما في نسبة الأعمال القبيحة إلى الإنسان المرتكب لها و إلى الشيطان، و في نسبة الأعمال الصالحة إلى فاعليها و إلى الله تعالى، ألا تلاحظ قوله تعالى في ما يحكي عن الشيطان ممّا يقوله في جهنّم لأتباعه: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾[1]، فترى أنّ الشيطان ينفي اللوم الناشي عن العقائد الفاسدة و الأفعال القبيحة عن نفسه الملازم لنفي نسبة تلك الأفعال عن نفسه، و يظهر أيضاً أنّه لو كان هناك تسلّط عليهم بإكراه أو إجبار لتوجّه اللوم إلى الشيطان كلّاً أو بعضاً؟

هذا كلّه في إثبات النسبة و نفيها، و أمّا العقاب الأُخروي المترتّب على الضلالة المذكورة في الآية و على كلّ فعل قبيح صدر عن المباشر المختار، إذا كان ذلك بأمر من الغير و دعوة و إغواء منه، فلا إشكال في أنّه كما يترتّب على الفاعل المختار في مباشرته العقاب المجعول لذلك الفعل، يترتّب نظيره على الآمر المشير إليه، و الداعي المتسبّب لحصوله، فلاحظ قوله تعالى في حكاية حال أهل النار: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۝ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾[2].

و المراد بضعفين عذاب عمل السادة بالمباشرة و عذابهم بالأمر و الاغواء.

---

١. إبراهيم (١٤): ٢٢.
٢. الأحزاب (٣٣): ٦٧ و ٦٨.

و قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾[1]؛ فإن الآية الشريفة تدلّ على كون عذاب الأمّة الأولى ضعفاً؛ لضلالهم بأنفسهم و إضلالهم المتأخّرين منهم رتبة أو زماناً، التابعين لضلالهم و المقتدين بفعالهم، و عذاب الأمّة المتأخّرة فهو ضعف أيضاً؛ لضلالهم و عونهم المتبوعين في إضلالهم.

و يشهد بما ذكرنا أيضاً ما ورد من أنّ «من سنّ سنّة حسنة فله أجر من عمل بها، و من سنّ سنّة سيّئة فله وزر من عمل بها».[2] و ما ورد من «أنّ الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم»[3] إلى آخره. و هذا يدلّ على عقاب الآمر بالعصيان و الداعي إلى مخالفة الرحمن بالأولويّة.

فتحصّل ممّا ذكرنا أنّ نفي نسبة الضلالة الصادرة من المسلمين إلى الكفّار إنّما هو لأجل ضعف تلك النسبة و قوّة إسناد الفعل إلى المباشر المختار، و هو لا ينافي توجّه العقاب على الكافر المضلّ؛ فإنّ العقاب قد يتوجّه بدون تحقّق الاكتساب أيضاً كما عرفت هذا.

و أمّا في صورة حصول الضلالة في المسلمين بإغواء الكفّار مع كونهم معذورين، فتوجّه الإضلال إليهم أوضح؛ إذ الظاهر أنّ المراد برجوع الإضلال إلى الكفّار رجوع عقابه، و هو النار و عذاب الآخرة، و لا إشكال في أنّه إذا كان ضلال المسلمين عن جهل و غفلة بحيث كانوا معذورين على ما قاله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[4] فلا عقاب عليهم، و العقاب المترتّب على تلك الضلالة مترتّب على الكفّار، فهم قد أضلّوا أنفسهم بإلقائها في الهلكة و العذاب، و لم يوقعوا المسلمين في العذاب.

نعم لو كان المراد بالإضلال جعلهم محرومين عن الفوز و النعم الأُخروية، لم تكن السابقة صادقة؛ إذ الكفّار المضلّين كما حرموا بأنفسهم عن النعم و البركات حرموا الضالّين

---

۱. الأعراف (۷): ۳۸.
۲. راجع: الفصول المختارة، ص ۱۳٦.
۳. نهج البلاغة، ص ٤۹۹، الحكمة ١٥٤.
٤. الإسراء (۱۷): ۱٥.

أيضاً منها؛ فإنّ العذر في الضلالة يكون سبباً لعدم ترتّب العقاب، لا لترتّب الثواب أيضاً.

هذا، و لك أن تقول في جواب الإشكال المذكور: إنّ المراد بالودّ، الحبّ القلبي لا العملي، و إنّ الإخبار عن وجود صفة من الصفات الباطنية في الكفّار فالمراد أنّ في قلبهم حبّ ضلالة الناس و ودّ إيقاعهم في الكفر و العصيان، و حيث إنّ نفس هذا الحبّ رذيلة أخلاقية و عائبة شيطانية و خبث في السريرة الإنسانية، فهم قد أضلّوا أنفسهم بتحصيل هذه الرذيلة، و الفرض أنّه لا تأثير له في حال المسلمين، فلم يضلّوا إلّا أنفسهم و لم يشعروا بمرضهم هذا؛ لحبّهم أنفسهم، و حبّ الشيء يعمي و يصمّ.

و قوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾. الكفر أصله الستر، و يستعمل في الإنكار و الجحد؛ حيث إنّ الجاحد لأمر كأنّه يستره، و هو المراد هنا. و الآية في اللغة: العلامة الظاهرة الحاكية عن شيء غير ظاهر بحيث إذا أُدرك الأوّل فهم الثاني،[١] و قد استعملت في الكتاب الكريم في موارد:

الأوّل: في ما جعله الله و عيّنه لفرض كونه آية و علامة لتوحيده و قدرته و سائر أوصافه، أو نبوّة نبيّه، أو نحو ذلك، و لتسمّ بالآية الخاصّة، و ذلك كمعجزات الأنبياء و سائر الأُمور الخارقة لناموس الطبيعة؛ قال تعالى: في قصّة صالح النبيّ ﷺ: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾[٢].

و قال تعالى في قصّة عيسى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ﴾[٣].

و قال في قصّة عزير: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾[٤].

---

١. راجع: لسان العرب، ج ١٤، ص ٦٢ (أيا).
٢. الأعراف (٧): ٧٣.
٣. المائدة (٥): ١١٤.
٤. البقرة (٢): ٢٥٩.

و قال تعالى في قصّة نوح ﷺ: ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَصْحَـٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَـٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[١]، أي جعلنا الحادثة المذكورة أو نجاة أُولئك القوم آية للناس.

و قال في قصّة موسى ﷺ و فرعون: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَـٰتٍ مُّفَصَّلَـٰتٍ﴾[٢].

و قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[٣].

و قال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾[٤].

المورد الثاني: في مطلق ما خلقه و أنشأه ممّا يستدلّ به العاقل على توحيد الله و سائر أوصافه، أو على المعاد و البعث؛ قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾[٥].

و قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ۝ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾[٦].

و قال: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾[٧].

و قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾[٨].

المورد الثالث: في خصوص الكلمات القرآنية و القطعات منها، و قد يقال: إنّ استعمالها فيها ليس لأجل خصوص وضع تخصيصي أو تخصّصي شرعي في ذلك و إن كان لا يبعد حصوله عند المتشرّعة، بل لكون الآيات المصطلحة و القطعات ـ كنفس الكتاب الكريم ـ آية إلهية و معجزة مثبتة لتوحيده و نبوّة نبيّه؛ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ﴾[٩].

---

١. العنكبوت (٢٩): ١٥.
٢. الأعراف (٧): ١٣٣.
٣. المؤمنون (٢٣): ٥٠.
٤. يونس (١٠): ٩٢.
٥. الروم (٣٠): ٢٢.
٦. الشورى (٤٢): ٣٢ و ٣٣.
٧. الروم (٣٠): ٢٠.
٨. الروم (٣٠): ٢٥.
٩. آل عمران (٣): ٧.

و قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾[١]، ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾[٢]، ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[٣]، ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾[٤].

إذا عرفت ذلك فيمكن أن يكون المراد بالآية في آيتنا المبحوث عنها هو المعنى الأعمّ الشامل لجميع تلك المصاديق؛ فإنّ أهل الكتاب كانوا منكرين للقرآن الكريم، و هو من الآيات الخاصّة الإلهية، أنزله الله تعالى بعنوان الإعجاز، و تحدّى[٥] فيه جميع الناس بقوله: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[٦].

و قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٧].

و قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٨].

فمن ادّعى [أنّ][٩] النبيّ الأعظم لم يأت بمعجزة يجيب[١٠] بها المنكرين و يقحمهم[١١]، كما أتى موسى بن عمران ﷺ بالعصا و اليد البيضاء و عيسى بن مريم بإحياء الموتى و

---

١. آل عمران (٣): ٥٨.
٢. الحجر (١٥): ١.
٣. هود (١١): ١.
٤. ص (٣٨): ٢٩.
٥. المعجز: هو الإتيان بأمر خارق للعادة، مطابق للدعوى، مقرون بالتحدّي، يتعذّر على الخلق الإتيان بمثله في جنسه أو صفته. و التحدّي هو المماراة و المنازعة، و المراد به هنا أن يقول النبيّ الآتي بالمعجز لأُمّته: إن لم تتّبعوني فأتوا بمثل ما أتيت به. و ذلك يخرج به الإرهاص، و هو الإتيان بخارق العادة إنذاراً بقرب بعثة نبيّ تمهيداً لقاعدته؛ فإنّه غير مقرون بالتحدّي، و كذا الكرامات؛ فإنّها غير مقرونة بالتحدّي، و كذا من يدّعي معجزة غيره كاذباً. كذا في إرشاد الطالبين، ص ٣٠٦ و ٣٠٧.
٦. الإسراء (١٧): ٨٨.
٧. البقرة (٢): ٢٣.
٨. هود (١١): ١٣.
٩. ما بين المعقوفين أضفناه بمقتضى السياق.
١٠. في الأصل: «تجبه» و الصحيح ما أثبتناه.
١١. في الأصل: «تقحمهم» و الصحيح ما أثبتناه. و قد مضى معنى الإقحام في الصفحة ٢٩٥.

غيرهما من الأنبياء بغيرها من المعاجز، فقد أخطأ و خبط و أنكر ما هو أوضح من الأمس، نعم ليس الكتاب الكريم مثل تلك المعجزات ممّا يناسب حال العوام و البسطاء من الناس، بل ممّا يدركه أهل النُهى[١] و ذووا الألباب،[٢] و كذا قصّة المعراج و مجيء الملائكة في غزوة بدر و شقّ القمر و نحو ذلك.

و بالجملة فالإنكار من الكفّار كفر بها مع الشهادة و الحضور، و كذلك إنكارهم للآيات العامّة؛ فإنّ أدلّة التوحيد و أدلّة صفات الله تعالى الجلالية و الجمالية هي التي ملأت الآفاق لمن كان له قلب، أو ألقى السمع و هو شهيد،[٣] فالقول بالتثليث و نحو ذلك إنكار لها و هم حاضرون عند الآيات، شاهدون لها، و مثله إنكارهم للآيات القرآنية بما هي كلمات الله.

فظهر أنّ معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أي تحضرون تلك الآيات، و هي بمرأى منكم و منظر و مدرك.

و قوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. خطاب أيضاً لأهل الكتاب من اليهود و النصارى، و اللبس: الخلط، و لبس الحقّ بالباطل يكون تارة في الأصول الاعتقادية، و أُخرى في الأعمال، فالأوّل كما في القول بالتثليث و نحوه، فالقولُ بأنّ الله هو الذي له ابن، أو له شريك، كروح القدس خلطٌ للحقّ بالباطل، و يلازمه كتمانهم الحقّ و عدم معرفتهم ربّهم من حيث الذات و الصفات بما يتيسّر للإنسان معرفته.

و نظير هذا إشراك عبدة الأوثان؛ فإنّهم و إن كانوا قائلين بالله تعالى ـ كما يشهد بذلك قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[٤] و قوله تعالى:

---

١. النُهى: العقل، يكون واحداً و جمعاً، أو هو جمع النُهْيَة، و هو العقل، سمّي بذلك؛ لأنّه ينهى عن القبيح. لسان العرب، ج ١٥، ص ٣٤٦ (نهي).

٢. الألباب: جمع اللُبّ، و هو من كلّ شيء خالصه و خياره، و لبّ الرجل: ما جعل في قلبه من العقل الخالص من الشوائب. راجع: المفردات للراغب، ص ٤٤٦؛ لسان العرب، ج ١، ص ٧٢٩ (لبب).

٣. اقتباس من الآية ٣٧ من سورة ق (٥٠).

٤. لقمان (٣١): ٢٥؛ الزمر (٣٩): ٣٨.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾[١] إلّا أنّ القول بأنّ الأصنام هم الشفعاء عند الله، أو أنّهم يقرّبون الطالب إلى الله زلفى يكون سبباً لكتمان الحقّ، و هو الله؛ فإنّ الإله الذي يكون أقرب الخلق إليه و الشفعاء لديه أحجار و أشجار نحتها الإنسان، ليس هو الله تعالى، فقد صار الحقّ حينئذ مكتوماً.

و أمّا الخلط في الفروع فكمبادات أهل الكتاب؛ إذ الخضوع و العبادة للابن و روح القدس مثلاً عصيان في الحقيقة و ليس عبادة، مضافاً إلى ما يصدر منهم من المنكرات باسم العبادة من أكل العجين المعهود و الشرب الخمر و اللعب و الرقص الخاصّ، فالعبادة التي هي الحقّ الجدير بالإتيان به مكتومة، فهي كصلاة المشركين عند البيت؛ حيث يقول تعالى: ﴿وَ مَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَ تَصْدِيَةً﴾.[٢]

و قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. أي تعلمون خلط الحقّ بالباطل، و تعرفون الحقّ من الباطل؛ لقيام الحجج عليهم بواسطة دعوة النبيّ الأعظم ﷺ و آيات الكتاب الكريم، فلم يكن إعراضهم عنها إلّا لاتّباع الهوى و حبّ الرئاسة و الشهوات.

و لو قيل: إنّه لم يكن يعرف ذلك جميع أهل الكتاب، فكيف إطلاق الكلام و عمومه؟

قلنا: الظاهر أن الخطاب المتوجّه إلى الطوائف، كأهل الكتاب و المشركين و غيرهم في غالب الآيات ـ لولا جميعها ـ ليس إلّا لخصوص المتبوعين من الناس العارفين بالحقّ المميّزين بينه و بين الباطل، و أمّا التابعون المقتدون المتعصّبون في اتّباعهم فغير مخاطبين، و لعلّهم معذورون في عدّة من موارد التكليف؛ لجهلهم قصوراً و اعتقادهم جزماً بما ألقاه إليهم علماؤهم و كبراؤهم.

---

١. الأنعام (٦): ١٠٩؛ النحل (١٦): ٣٨؛ النور (٢٤): ٥٣؛ فاطر (٣٥): ٤٢.

٢. الأنفال (٨): ٣٥.

قال تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآبِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ○ وَلَا تُؤْمِنُوٓا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ○ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[1].

التفسير

قد يوجّه معنى الآيات على نحو يرتبط بعضها ببعض و يكون الجميع مسوقة لبيان غرض واحد، و حاصله أنّ الظرف الأوّل ـ و هو قوله تعالى: ﴿وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾ أي أوّله ـ متعلّق بصلة الموصول؛ أعني قوله: ﴿أُنزِلَ﴾ المذكور لفظاً. و كذا الظرف الثاني متعلّق بفعل مقدّر يفسّره الموصول السابق و صلته، أي: و اكفروا بما أُنزل عليهم آخر النهار، و المراد بـ«الذي أُنزل» حكم خاصّ لا مطلق، فيعلم من مفاد الآية الشريفة أنّ هنا حكماً أنزله الله على المسلمين أوّل النهار و حكماً أنزله آخره، فأوصت طائفة من أهل الكتاب بعضهم بعضاً بالإيمان بالحكم الأوّل و إظهار ذاك الإيمان على المسلمين و بالكفر و الإعراض عن الحكم الثاني، هذا كلّه رجاء أن يرجع المسلمون عمّا اعتقدوا به من الأُصول و الفروع، و على هذا فيكون قوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، تتمّة للكلام السابق و تأكيد للزوم الكفر بالحكم اللاحق و عدم الاعتراف بكونه حقّاً إلّا لأتباع دينهم و لشياطينهم.

ثمّ إنّ هذا القائل ادّعى أنّ الحكم الأوّل عبارة عن وجوب استقبال المسلمين القبلة

---

١. آل عمران (٣): ٧٢ ـ ٧٤.

الأولى ـ و هي بيت المقدس ـ في صلاتهم في المدينة، و الحكم الثاني استقبالهم القبلة الثانية، و هي الكعبة؛ حيث نسخ الله الأولى بعد بضعة عشر شهراً من هجرة النبيّ إلى المدينة، و أمر الناس باستقبال الثانية، و كان زمان نزول النسخ صلاة الظهر أو العصر بعد ما صلّى النبيّ ركعتين، فجاء جبرئيل إلى النبيّ الأعظم، و هو مشتغل بصلاة الجماعة في المسجد، فحوّل وجهه الشريف من مسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، ثمّ تحوّل المأمومون، فصار الرجال مكان النساء و النساء مكان الرجال بمعنى تقدّم صفوفهنّ على صفوفهم، و كان هذا الأمر ـ ؛ أعني تحويل القبلة ـ مذكوراً في التوراة وصفاً للنبيّ الأعظم، و على هذا فقوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾ في محلّ النصب على إضمار «مخافة» أو «كراهة»، و قوله: ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ عطف عليه، و قوله: ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾، جواب عن أمرهم بالكفر بالحكم الثاني و ترك الاعتراف بحقّيّته، كما أنّ قوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ﴾ إلى آخره جواب عن قولهم: ﴿أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتيتُمْ﴾.

فحاصل مفاد الآية حينئذ إنّ الطائفة قال بعضهم لبعض: آمنوا بحكم الاستقبال في الصلاة نحو المسجد الأقصى، و اكفروا به نحو الكعبة، و لا تقرّوا بكون الحكم المذكور ثابتاً في التوراة إلّا لأتباع دينكم حذراً من أن يؤتى المسلمون قبلة مثل ما أُوتيتم، و حذراً من أن يحتجّوا عليكم بذاك الإقرار يوم القيامة.

فأجاب الله تعالى عن سترهم الحكم و إخفائه عن المسلمين بأنّه لم يكن جحدكم حكم الله تعالى و ثبوته في كتابكم إلّا لمنعكم عن هداية الله، مع أنّ الهداية النافذة التي لا يمنع عنها هي هداية الله، و عن حصرهم بعث النبيّ و نزول الكتاب بأنفسهم بأنّ رحمة الله بيده يختصّ بها من يشاء من المسلمين و غيرهم.

هذا ما ذهب إليه بعض[1] في معنى الآية، و اختاره صاحب الميزان[2] دام ظله لكن فيه:

أوّلاً: أنّه ليس هاهنا حكم شرعي خاصّ نزل في أوّل النهار، ثمّ نسخ و نزل خلافه

---

۱. قال به أكثر أهل العلم، مثل مجاهد و ابن عبّاس و غيرهما على ما نقل عنهم في: التبيان، ج ۲، ص ٤٩٩؛ مجمع البيان، ج ۲، ص ۷۷٤؛ مفاتيح الغيب، ج ۸، ص ۲٥۸؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ۲، ص ٥۰ و ٥۱.

۲. الميزان، ج ۳، ص ۲٥۷.

في آخره؛ فإنّ أمر القبلة و لزوم استقبال النبيّ و المسلمين إلى بيت المقدس كان من أوّل بعثة النبيّ الأعظم في مكّة. و قد صلّى هو و المؤمنون إلى القدس ثلاثة عشر عاماً في مكّة و ما يقرب من سبعة عشر شهراً في المدينة. نعم قد كان ﷺ يراعى أحياناً في مكّة استقبال القبلتين: القدس و المسجد الحرام، و بالجملة لا نعرف هنا حكماً نازلاً في أوّل النهار، و لم نعرف وقت نزول الحكم الأوّل عند ابتداء بعثة الرسول ﷺ.

و ثانياً: أنّه لم يكن الحكم الناسخ ـ أي استقبال مكّة ـ في آخر النهار، بل في وسطه؛ إذ المرويّ أنّ جبرئيل آتاه في صلاة الظهر بعد ما صلّى منها ركعتين، فحوّل وجهه إلى الكعبة.

و ثالثاً: جعل الظرف الثاني ـ ؛ أعني قوله: ﴿آخِرَهُ﴾ ـ متعلّقاً بفعل مقدّر بتقدير: و اكفروا بالذي أُنزل عليهم آخره، خلاف الظاهر، بل ظاهره أنّه متعلّق بـ﴿اكْفُرُوا﴾، فيكون مؤيّداً لتعلّق الظرف الأوّل بكلمة ﴿آمِنُوا﴾، و ليس فيه خلاف الظاهر.

و رابعاً: أنّ قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ في مقام تعليل ما حكموا به من الإيمان أوّل النهار و الكفر آخره، فجعل قوله: ﴿أَنْ يُؤْتىٰ أَحَدٌ﴾ و ﴿أَوْ يُحاجُّوكُمْ﴾ أيضاً تعليلاً غير ظاهر.

فالأولى أن يقال في معنى الآيات: إنّ الآية الأُولى مسوّقة لإفادة أمر، و الثانية لبيان أمر آخر، و كلاهما من الأُمور الخفيّة التي كانت بين علماء اليهود و كبرائهم، أخبر عنهما القرآن بنحو الإعجاز إظهاراً لفساد أمرهم و حسدهم و كتمانهم الحقّ المعلوم عندهم.

أمّا الأوّل[1] فهو نوع من التخطّط و الحيل التي رسموها لتضعيف عقائد المسلمين و إرجاعهم عن دينهم بأن يدخل عدّة منهم في الإسلام و يؤمنوا في الظاهر أوّل النهار، ثمّ يكفروا آخره، قائلين بأنّا آمنّا و دخلنا في الدين و قربنا من الإسلام و أحكامه و قوانينه، فلم نر فيها صدقاً و حقّاً و لا ما يليق و يجدر بالقبول، فخرجنا إلى ما كنّا فيه، و قد فعلوا ذلك راجين أن يؤثّر في رجوع من آمن بذاك الدين من المسلمين.

---

١. أي الأمر الأوّل الذي تفيده الآية الأولى.

و أمّا الآية الثانية فالإيمان فيها بمعنى التصديق و الاعتراف لساناً، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١] أي يصدّق المؤمنين و يقرّ بصدقهم، و يؤيّد تعديته باللام، كما في المقام، فالغرض من الآية بيان أمر آخر من أقوالهم في ما بينهم و الكشف عن مكرهم عند ما خلوا إلى شياطينهم[٢]، و هو استيصاء بعضهم إلى بعض أن لا يعترفوا للمسلمين بأمرين مع كونهما معلوماً عندهم، مذكوراً في كتابهم:

الأوّل بعث نبيّ منهم و نزول كتاب و دين عليهم، مثل ما أُوتي اليهود.

و الثاني احتجاجهم يوم القيامة على اليهود بكتابهم و دينهم، حيث أخبر الله تعالى فيه بمجيء النبيّ و حقّيّة كتابه و دينه، فقوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا﴾ عطف على قوله: ﴿آمِنُوا﴾، أي قالت طائفة منهم: لا تؤمنوا إلى آخره، و قوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ إلى آخره، متعلق بقوله: ﴿لَا تُؤْمِنُوٓا﴾، و جملة ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ﴾ معترضة واقعة موقع الجواب عن قولهم، كما أنّ قوله: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ﴾ إلى آخره، أيضاً جواب عن كلامهم؛ فإنّ الثابت فيهم أمران: كتمانهم الحقّ، و العلّة الحقيقية الباطنية في ذلك هو الحسد.

فأجاب عن كتمانهم بأنّ الهداية النافذة المؤثّرة ليست إلّا هداية الله، فكتمانهم لا يدفع مشيّة الله و لا يؤثّر شيئاً.

و أجاب عن حسدهم للمسلمين و لما آتاهم الله تعالى من النبيّ و الكتاب بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ فقولوا ما شئتم و احسدوا ما أردتم، فلا تمنعون فضل الله عمّن أراده الله بالإحسان و لا رحمته عمّن أراده بالرحمة و الامتنان.

ثمّ إنّ تقديم التعليل الأوّل و جعله بنحو الجملة المعترضة، لعلّه لبيان شدّة قبح كتمانهم أو لأمر آخر لا نعلمه. و الآية الشريفة ممّا اعترف عدّة من المفسّرين[٣] بأنّها أصعب آية في القرآن من حيث اللفظ و المعنى، و الله العالم بحقائق تنزيله.

---

١. التوبة (٩): ٦١.

٢. اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَ إِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾. البقرة (٢): ١٤.

٣. مفاتيح الغيب، ج ٨، ص ٢٥٩؛ الجامع لأحكام القرآن، ج ٤، ص ١١٢؛ الصافي، ج ١، ص ٣٤٨.

و قوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾. الفضل عبارة عن الزيادة على قدر الاقتصار، كفضل العلم و المال و الجسم و العمل و غير ذلك، و يكثر استعماله في مطلق النعمة. و الرحمة عبارة عن الصفة القلبية الخاصّة، و تستعمل إذا جعلت وصفاً لله تعالى في ترتيب آثار ذلك، فترجع إلى إنعامه تعالى في الدنيا، أو في الآخرة، أو فيهما.

و قوله: ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾، و كذا قوله: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، فقد يتوهّم منه أنّ تعليق إيتاء الفضل و تخصيص الرحمة بمشيّة الله يدلّ على عدم ملاك و ميزان في ذلك بحسب الواقع و عند العقل، بل له أن يؤتي من لا استحقاق له عند العقل، فيغفر للكافر المسيء و يدخله الجنّة، و يحرّم المؤمن العامل و يورده النار؛ فإنّ الله لا يُسأل عمّا يفعل، و هم يسألون،[1] لكن قد مرّ منّا ما يوضح حقيقة الأمر في نظائر المقام.

ففي الآيتين إن أرجعنا الضمير المستتر في كلمة ﴿يَشَاءُ﴾ إلى الموصول، كان المعنى: إنّ الله يؤتي الفضل و يختصّ بالرحمة من يشاؤهما، فلا فضل و لا رحمة لمن لم يشأهما، و هذا معنى مرجوح، بل ظاهر الكلام رجوعه إلى الله تعالى.

و لا يرد ما ذكرناه من الإشكال؛ إذ تعليق الإعطاء على المشيّة لا يقتضي لغويّة المشيّة و عدم وجود الحكمة في ذلك؛ فقد ثبت بالعقل و النقل امتناع صدور اللغو و اللهو عنه تعالى و كون جميع أفعاله صادرة عن حكمة و صلاح.

و قد عرفت أنّ أُصول نعمه تعالى التي إليها يرجع معنى الفضل و الرحمة، ستّة: ١. نعمة الوجود؛ ٢. و نعمة وسائل البقاء و حفظ الوجود؛ ٣. و نعمة العقل؛ ٤. و نعمة الدين؛ ٥. و نعمة التوفيق للعمل به؛ ٦. و نعمة الثواب و الجزاء لمن عمل به.

و قد اقتضت حكمته تعالى إعطاء الأُوليين لكلّ ما أوجده و أبقاه، و الوسطيّين لجميع ذوي العقول و المكلّفين من الإنس و الجنّ، بل الملك و الشيطان، فهي أخصّ من الأُولى، و الأخيرتين لمن آمن و عمل صالحاً من المكلّفين، فدائرتها أضيق من سابقتها أيضاً، و ليس إعطاؤها في جميع درجاتها إلّا لحكمة و مصلحة و إن لم ندركها أحيانا، أو في غالب مواردها.

---

١. اقتباس من الآية ٢٣ من سورة الأنبياء (٢١).

قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّايُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَادُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1].

التفسير

القنطار هو المال الكثير، أو أربعة آلاف دينار، أو ملأ مسك الثور ذهباً، و قيل فيه غير ذلك،[2] و الدينار هو الذهب المسكوك إذا كان وزنه ١٨ حِمَّصاً، و يطلق عليه الدينار الشرعي، و الدينار المعمول في زماننا هو ما كان وزنه ٢٤ حِمَّصاً، و يطلق عليه الدينار الصيرفي، فإذا نقصت عن وزن الدينار الصيرفي ربعه، ساوى الدينار الشرعي، و إذا زادت على الشرعي ثلثه، ساوى الدينار الصيرفي.

ثمّ إنّ ظاهر الآية أنّها مسوقة لبيان اختلاف في حال أهل الكتاب و أنّ بعضهم عاملون بمقتضى شريعتهم، مؤتمنون، صادقون، و بعضهم خائنون للمسلمين، كاذبون، فالآية كاشفة عن حقيقة الأمر في حقّ كلّ طائفة، و فيها تعليم لزوم الجري على وفق الإنصاف في نقل الحديث عن أحد، أو القضاء في حقّ شخص، أو ملّة و أُمّة؛ فإنّ الغالب علينا في تلك الموارد الجري على خلاف الإنصاف، فنحكم في فرد بما تقتضيه

---

١. آل عمران (٣): ٧٥.

٢. للتعرّف للأقوال في معنى القنطار راجع: لسان العرب، ج ٥، ص ١١٩ (قنطر).

صفاته أو فعاله الغالبة بلا ملاحظة غيرها، و في الأُمّة على طبق حال الأكثرين من دون ملاحظة حال الأقلّين، مع أنّ مقتضى النصفة في كلّ مورد بيان الواقع على ما هو عليه و الكشف عن حقيقة الأمر و واقعه.

ثمّ إنّه هل المراد بالآية أنّ بعض أهل الكتاب من اليهود و النصارى حافظون على الأمانة و بعضاً من الطائفتين غير حافظين، أو أنّ المراد بالبعض الحافظ هو النصارى، و بالبعض غير الحافظ هو اليهود؟ أرجحها الثاني. و يؤيّده قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[1].

و قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ﴾ إلى آخره، بيان لعلّة عدم التأدية في من ائتمن على الدنيا و أنّ ذلك لمزعمتهم الكاذبة و دعواهم الفاسدة، و هي أنّ الله تعالى لم يجعل للأُمّيين سبيلاً عليهم و ذكر الأُمّيين في كلامهم يشعر بأنّ العلّة في تلك الدعوى كونهم أُمّيين، فلهم في المقام دعويان، هما كمقدّمتين انتجتا جواز أكلهم مال المسلمين و عدم التزامهم بردّ أماناتهم: الأولى: أنّ المسلمين أو غير أهل الكتاب أُمّيون.

الثانية: أنّ الله لم يجعل للأُمّيين على أهل الكتاب سبيلاً، فصارت النتيجة عدم تأديتهم ما ائتمنوا عليه.

هذا، و مرادهم بالأُمّيّ إمّا المنسوب إلى الأُمّ، فغرضهم كون المسلمين جاهلين بالكتاب و الدين و سائر العلوم، فكأنّهم باقون على الحالة التي ولدتهم أُمّهم، و اليهود هم العالمون بالكتب المنزلة على الأنبياء و بالقصص و التواريخ و الأنساب و غير ذلك من العلوم المتداولة في ذاك العصر، و هذه ترجع إلى دعوى وجود امتياز لهم على غيرهم امتيازاً كسبيّاً، فصار سبباً لعدم السبيل عليهم.

و إمّا المنسوب إلى أُمّ القرى، و هي مكّة، و غرضهم أنّ أهل مكّة ـ و هم النبيّ الأعظم و سائر المهاجرين عنها إلى مكّة، و هم أعيان المسلمين و ركنهم و أُسس

---

١. المائدة (٥): ٨٢.

قواعدهم و مؤسّس قوانينهم ـ من أولاد إسماعيل النبيّ، و اليهود من أولاد إسحاق، و قد جعل الله السؤدد[١] و الشرف و الرفعة في أولاد اسحاق، و ليس لغيرهم سبيل عليهم، و كم لليهود من هذه الدعاوى! فقد حكى الله عنهم في كتابه قولهم:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾[٢].

﴿قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾[٣].

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[٤].

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾[٥].

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾[٦].

و هذه الدعاوي[٧] ترجع إلى دعوى التفاضل بالامتياز الذاتي و الأصالي.

ثمّ إنّ قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ إمّا تكذيب للدعوى الأُولى لو كان المراد فضلهم الاكتسابي، و إمّا للدعوى الثانية؛ فإنّ الظاهر أنّهم كانوا يسندونها إلى الله، و كانت جزءاً من عقائدهم الدينيّة، و يمكن رجوع التكذيب إلى ما استنتجوه من المقدّمتين، و هو جواز أكلهم وديعة المسلم و الامتناع عن ردّها؛ إذ لو فرضت صحّة المقدّمتين أيضاً لم تنتجا تلك النتيجة؛ إذ الظاهر أنّ وجوبها مطلق غير مقيّد بالتسلّط و عدمه، بل و بالايمان و الكفر و غير ذلك، و قد ورد في عدّة من الروايات[٨] التعرّض له، فراجع.

ثمّ إنّه قد يستشكل في المقام بأنّ الله تعالى ذمّ أهل الكتاب و وبّخهم على دعواهم

---

١. السؤدد، بالهمز، كقنفد في لغة طيّ و كجندب، و سودد بضمّ السين مع فتح الدال و ضمّها، غير مهموز، و الدال زائدة للإلحاق ببناء فعلل، مثل جُنْدَب و بُرْقُع، و هو بمعنى المجد و الشرف. راجع: لسان العرب، ج ٣، ص ٢٢٨؛ تاج العروس، ج ٥، ص ٣٢ (سود).

٢. المائدة (٥): ١٨.

٣. البقرة (٢): ٨٠؛ آل عمران (٣): ٢٤.

٤. آل عمران (٣): ١٨١.

٥. آل عمران (٣): ١٨٣.

٦. المائدة (٥): ٦٤.

٧. في الأصل: «الدعوى» و الصحيح ما أثبتناه.

٨. راجع: مجمع البيان، ج ٢، ص ٧٧٨، ذيل الآية ٧٥ من سورة آل عمران (٣)؛ وسائل الشيعة، ج ١٩، ص ٦٧ ـ ٧٦، الباب ١ و ٢ من أبواب الوديعة.

عدم السبيل للأُمّيّين عليهم، المساوقة مع دعوى فضلهم على المسلمين، بل مع دعواهم التسلّط على أنفس المسلمين و أموالهم؛ فإنّ عدم ثبوت حقّ القصاص عليهم مثلاً إذا قتلوا و عدم مطالبتهم بالمال إذا أتلفوه، يستلزم تلك السلطنة بلا ترديد. فالذمّ و التوبيخ راجع في الحقيقة إلى دعواهم السلطنة على الأُمّيّين، فكيف ثبت نظير هذا الحكم للمسلمين بالنسبة إلى الكفّار غير الذمّيّين في شريعة الإسلام؟ ألا ترى أنّ الأصحاب قد أفتوا بجواز قتل الحربي و أخذ ماله و أنّه لا سبيل للحربي عليه بقصاص في النفس، أو مقاصّة في مال؟

و الجواب أنّ ردّ الله دعوى تسلّط أهل الكتاب على غيرهم لا يستلزم عدم تشريعه تسلّط أحد على أحد، أو طائفة على طائفة أُخرى مطلقاً، بل قد تقتضي المصلحة العامّة في المجتمع جعل السلطنة كذلك و إهدار دماء عدّة و هتك احترام المال لعدّة آخرين.

إن قلت: من هو الحاكم في هذا المضمار؟ و لمن القضاء فيه؟ و ما هو الملاك في تشخيص احترام النفوس و حرمة الأموال؟

قلت: لابدّ من أن يكون الحاكم فيه هو الله تعالى، و هل ذلك إلّا موضوع كسائر الموضوعات التي يجب أن يجعل له حكم و يشرع له قانون؟ و حينئذ نقول: إنّ مقتضى الأدلّة و القواعد هو أصالة الاستقلال في الإنسان و أصالة عدم سلطنة أحد على أحد، بمعنى أنّ الأصل أن يكون كلّ إنسان حرّاً بذاته مستقلّاً بنفسه، له أن يفعل ما يشاء، و لا يكون لأحد من مثله عليه سبيل بالغلبة و الاستخدام و الاستعباد في بدنه، و الاستحمار في فكرته و الاستثمار في أعماله، و الجامع للكلّ منع كلّ إنسان عن استضعاف مثله في شتّى شؤونه و أُموره.

و هذه القاعدة هي التي أمضتها المجتمعات الدولية و جعلتها من أُسّ قوانينها الأصلية في منشورها، و إليها أشار المحقّق الأنصاري ﷺ في كتابه المكاسب في مقام تعرّضه لبيان مناصب الفقيه و أنّها ثلاثة: الإفتاء و القضاء بين الناس و ولاية التصرّف

في الأموال و الأنفس، بمعنى استقلاله بنفسه في التصرّف، أو توقّف تصرّف غيره على إذنه و إناطته بإجازته، قال: و هذا القسم[١] هو المقصود بالتفصيل هنا.[٢] ثمّ قال:

مقتضى الأصل عدم ثبوت الولاية لأحد بشيء من الأمور المذكورة، خرجنا عن هذا الأصل في خصوص النبيّ و الأئمّة عليهم السلام بالأدلّة الأربعة.[٣]

و على هذا فيمكن أن يقال: إنّ هذا الأصل يلازم أصلاً آخر، و هو أصالة الاشتراك و المساواة في التكليف، بمعنى تساوي جميع أفراد الإنسان في مرتبة التشريع، فهم شرع سواء في التكليف بالأصول، و هم متساوون في خطاب الفروع، و لا تفاضل بينهم إلّا في ما أخرجه الدليل كما سيجيء.

و هذا الأصل يقابل أصالة المساواة التكوينية المردودة بالأدلّة و الوجدان؛ فإنّه لا تساوى بين أفراد الإنسان في مراحل التكوين، فهم مختلفون في العقول و جميع الحواسّ الباطنة، و مختلفون في الصفات و الملكات، و مختلفون في الحواسّ الظاهرة، و مختلفون في خصوصيات الأجسام و الهيئات، كما أنّهم مختلفون في الجملة في ما هو خارج عن حيطة الجسم و الروح، كالأولاد و الأموال مثلاً.

و ما قد يترائى في كلمات بعض المستحدثين ـ من دعوى تساوي الإنسان بالفطرة و الذات في جميع الحواسّ الباطنية و الأوصاف النفسانية، و إنّما نشأ الاختلاف من العوارض الخارجية و اختلاف اقتضاء محيط حياته من الآباء و الأقربين و الخلطاء و المعاشرين و غيرهم، و لو فرض في مكان تساوي جميع تلك الجهات من بدء نشء الإنسان لكانوا متساوين في جميع تلك الجهات ـ لم يقم عليه دليل من حكم عقل و شهادة تجربة و اختبار.

إن قلت: كيف تدّعي الاشتراك و المساواة في التشريع مع أنّ الناس مختلفون في غالب الأحكام الشرعية المجعولة من جانب الشارع، كالصلاة و الحجّ و الزكاة و غيرها؛

---

١. قوله: «هذا القسم» لم ترد في المصدر. ٢. المكاسب، ج ٣، ص ٥٤٦.
٣. المصدر.

فإنّ عدّة منها لم تشرع في حقّ الصبيان و المجانين و المرضى و الفقراء و نحوهم؟

قلت: ليس المراد بأصل الاشتراك و المساواة كونها مجعولة في حقّ جميع الناس من غير استثناء، و إلّا لزم خلاف المصلحة و الحكمة في جعلها و تشريعها كما ستعرف؛ فإنّه لمّا كان اللازم لمشرّع القوانين ملاحظة المصلحة في تشريعها، سواء في ذلك الشارع الحكيم، أو غيره ممّن يتصدّي لتقنين القانون على ملّة و أُمّة، فيلاحظ الحكم و الموضوع أوّلاً، و الصلاح و الفساد المترتّب على المتعلّق و الموضوع ثانياً، ثمّ ينشئ الحكم و يرتّبه على الموضوع، فإذا أراد المشرّع إيجاب الحجّ مثلاً، لابدّ له من ملاحظة المصلحة الملزمة في تشريعه، فيرى أنّ المصلحة مترتّبة على عنوان المستطيع من جهة المال و البدن و السرب،[1] لا على جميع الناس، فيجعل الحكم و ينشؤه على ذلك العنوان.

و لازم ذلك خروج عدّة كثيرة عن موضوع التشريع، و لا بأس بذلك؛ فإنّ المدّعى في المقام هو أنّ أصالة الاشتراك و المساواة ملحوظة في العنوان بعد ترتّب الحكم، فلا فرق في وجوبه على المستطيع بين أفراده و لا امتياز فيه بالمكان أو الزمان أو القبائل و الطوائف.

فهاهنا اختلاف في شمول الأحكام من جهة و اتّحاد و تساوٍ فيه من جهة أُخرى، و الأوّل عبارة عن كون الناس مختلفين في انطباق العناوين ذات المصلحة و عدمه، و منشؤه اختلافهم في مراحل التكوين كما عرفت،[2] و الثاني عبارة عن تساوي الواجدين للعنوان الواقع في موضوع الحكم.

و الظاهر أنّ القاعدة المعروفة في علم أُصول الفقه بقاعدة الاشتراك يراد بها هذا المعنى، فترى أنّ المدّعين لكون الخطابات القرآنية مختصّة بالحاضرين في زمن الخطاب، تمسّكوا في تسرية الحكم إلى الغائبين أو الموجودين بعد ذلك الزمان بأنّ

---

١. السرب، بالفتح: الطريق، و بالكسر: النفس. المصباح المنير، ص ٢٧٢ (سرب).

٢. أي قبيل هذا.

جميع المكلّفين مشتركون في الحكم متساوون فيه، فإذا ثبت حكم في حقّ الحاضر المخاطب ثبت في حقّ من سواه، ثمّ أتمّوا الدليل بأنّ المراد اشتراكهم في ما إذا ساووا في الملاك، أي العنوان المتّخذ في لسان الدليل و ظواهر الخطابات، و هذه هي قاعدة المساواة المذكورة.

هذا في نفس الأصل المذكور؛ أعني أصالة عدم السلطنة، و أمّا موارد التخصيص و الاستثناء فهي كثيرة:

منها: موارد تسلّط الأنبياء و الأئمّة و نوّابهم على النفوس و الأموال على اختلاف في سعته و ضيقه كما عرفت.[1]

و منها: موارد تسلّط المسلم على الكافر الحربي نفساً و مالاً.

و منها: تسلّط المولى على عبده.

و منها: تسلّط الأب و الجدّ على الأولاد و أموالهم في الجملة.

و منها: تسلّط الزوج على زوجته كذلك. و غير ذلك من الموارد.

أمّا سلطنة الأنبياء و الأئمّة فقد عرفت ثبوتها لهم بالأدلّة الأربعة، فلابدّ من تخصيص القاعدة بذلك، و سيتّضح لك ملاك التخصيص.

و أمّا سلطنة المسلم على الكافر فهي أيضاً مقتضى الأدلّة الشرعية، مع أنّها توافق حكم العقل و الأصول العقلائية أيضاً؛ فإنّ حكمهم في نظام الدول و الحكومات هو أنّ المتمرّد المعرض عن القوانين الموضوعة لصلاح حال الملّة، إن كان من عقلاء القوم و من أهل الرأي و النظر في الأحكام و القوانين، و كانت مخالفته لأجل تخطئة أهل التقنين و إبطال آرائهم و ما وضعوه من القانون، فالواجب عطف النظر إلى دعواه و قبولها لو كان حقّاً، و إبطالها بالدليل إن كان باطلاً.

و إن كانت المختلفة للقوانين و التمرّد عنها لمجرّد كونها مخالفة لأهوائهم الباطلة و ميولهم الفاسدة و رئاساتهم و شهواتهم، و لم يمكن إصلاحهم بالدعوة إلى الحقّ و

---

١. أي قبيل هذا.

النصح و الموعظة. فاللازم مقاتلتهم و إهدار دمائهم و إباحة أموالهم و نحو ذلك، و هذا ليس يستنكر عند العقل و العقلاء، و قد حكم الشارع بما حكموا به.

ثمّ إنّ كلا التخصيصين قد وقعا في الحقيقة في طريق حفظ تلك القوانين و التمكين من إجرائها في المجتمعات البشرية إلّا أن الأوّل واقع في سلسلة العلل بإيجاد المقتضي، و الثاني برفع الموانع.

فتلخّص ممّا ذكرنا أنّ هنا قواعد ثلاثاً و عدّة مخصصات:

القاعدة الأُولى: أصالة عدم سلطنة أحد على أحد.

و الثانية: أصالة الاشتراك في التكليف و المساواة في التشريع.

و الثالثة: أصالة الاختلاف في التكوين في أبعاده الخمسة.

و أمّا موارد التخصيص فهي كولاية الأنبياء و الأئمّة ﷺ و تسلّط المؤمن على الكافر و غيرهما ممّا عرفت.

هذا كلّه في الأصل الجاري في النفوس و احترامها، و أمّا الأموال فتوضيح الحال فيها يستدعي بيان أُمور:

الأوّل: ذكر الآيات الدالّة على انتساب كلّ شيء إلى الله تعالى ملكاً، كما أنّه كذلك خلقاً و تدبيراً.

الثاني: ذكر ما دلّ منها على أنّ الأرض و ما فيها للناس و مسخّرة لهم.

الثالث: ذكر ما دلّ منها على تحديد تصرّفه بالإباحة.

الرابع: ذكر ما دلّ منها على مالكية الناس لبعض الأشياء ملكاً إضافياً.

الخامس: ذكر ما دلّ على أنّ الأرض و ما عليها يرثها المتّقون و عباد الله الصالحون.

أمّا الأمر الأوّل فيظهر من الكتاب الكريم أنّ الله تعالى هو المالك للأشياء، كما أنّه الخالق لها و المدبّر لأمرها، فالسماء و الأرض و الجماد و النبات و الحيوان كلّها ملكه و جميع ذوى العقول عبيده و أرقّاؤه، و قد أنزل الله تعالى سورة ذكر في أولها عموم

ملكه تعالى، فسمّاها سورة الملك: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[١].

[و تدلّ عليه آيات أُخر، مثل ما يلي][٢]:

١. ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾[٣]؛

٢. ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾[٤]؛

٣. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٥]؛

٤. ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٦]؛

٥. ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾[٧]؛

٦. ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٨]؛

٧. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾[٩]؛

٨. ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾[١٠]؛

٩. ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ○ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ○ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾[١١]؛

١٠. ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾[١٢].

و أمّا الأمر الثاني فتدلّ آيات من الكتاب ـ على اختلاف ألسنتها من حيث العموم و الخصوص ـ على أنّ الأرض و ما عليها كلّها للناس و أنّها خلقت لأجلهم، و يقرب ما دلّ على أنّها مسخّرة للإنسان؛ قال تعالى:

﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾[١٣]؛

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾[١٤]؛

---

١. الملك (٦٧): ١.

٢. ما بين المعقوفين أضفناه لمقتضى السياق.

٣. فاطر (٣٥): ١٣؛ الزمر (٣٩): ٦.

٤. آل عمران (٣): ٢٦.

٥. آل عمران (٣): ١٨٩.

٦. يونس (١٠): ٥٥؛ النور (٢٤): ٦٤.

٧. الرعد (١٣): ١٦.

٨. المنافقون (٦٣): ٧.

٩. الإسراء (١٧): ١١١؛ الفرقان (٢٥): ٢.

١٠. مريم (١٩): ٩٣.

١١. الناس (١١٤): ١ ـ ٣.

١٢. يونس (١٠): ٣.

١٣. الرحمن (٥٥): ١٠.

١٤. طه (٢٠): ٥٣.

﴿ٱلَّذِی جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾[1]؛

﴿هُوَ ٱلَّذِی جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾[2]؛

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾[3]؛

﴿هُوَ ٱلَّذِی خَلَقَ لَكُم مَّا فِی ٱلْأَرْضِ جَمِیعًا﴾[4]؛

﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِیهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[5]؛

﴿وَٱلْخَیْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِیرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِینَةً﴾[6]؛

﴿هُوَ ٱلَّذِیٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِیهِ تُسِیمُونَ ○ یُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّیْتُونَ وَٱلنَّخِیلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾[7]؛

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِی ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾[8]؛

﴿أَنفِقُوا۟ مِن طَیِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾[9]؛

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِی ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ○ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِیلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِیهَا فَوَٰكِهُ كَثِیرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[10]؛

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِی ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِیكُم مِّمَّا فِی بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِیهَا مَنَٰفِعُ كَثِیرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ○ وَعَلَیْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾[11]، و یقرب منهما[12] الآیة ۷۹ و ۸۰[13] من غافر (۴۰)؛

﴿وَءَایَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَیْتَةُ أَحْیَیْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ یَأْكُلُونَ ○ وَجَعَلْنَا فِیهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِیلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِیهَا مِنَ ٱلْعُیُونِ ○ لِیَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾[14]؛

---

۱. غافر (۴۰): ۶۴.
۲. الملك (۶۷): ۱۵.
۳. نوح (۷۱): ۱۹.
۴. البقرة (۲): ۲۹.
۵. النحل (۱۶): ۵.
۶. النحل (۱۶): ۸.
۷. النحل (۱۶): ۱۰ و ۱۱.
۸. النحل (۱۶): ۱۳.
۹. البقرة (۲): ۲۶۷.
۱۰. المؤمنون (۲۳): ۱۸ و ۱۹.
۱۱. المؤمنون (۲۳): ۲۱ و ۲۲.
۱۲. فی الأصل: «منها»، و ما أثبتناه هو الأنسب.
۱۳. هما قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِی جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ○ وَ لَكُمْ فِیهَا مَنَافِعُ وَ لِتَبْلُغُوا عَلَیْهَا حَاجَةً فِی صُدُورِكُمْ وَ عَلَیْهَا وَ عَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾.
۱۴. یس (۳۶): ۳۳ـ ۳۵.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ○ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَـهُمْ فَـمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ○ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ﴾[1]؛

﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[2]؛

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾[3]؛

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْـبَحْرَ لِـتَجْرِىَ ٱلْـفُلْكُ فِـيهِ بِأَمْـرِهِۦ وَلِـتَبْتَغُوا۟ مِـن فَـضْلِهِۦ وَلَـعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ○ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[4]؛

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾[5]؛

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ﴾[6].

و المستفاد من هذه الطائفة هو تسلّط الإنسان على الأرض تسلّطاً خارجيّاً و استيلاؤه عليها استيلاء تكوينيّاً و أنّ مجموع الأرض و ما عليها لمجموع ساكنيها و أنّها أموال عامّة لعامّة هذا النوع، و حيث إنّها سيقت مساق الامتنان دلّت بالالتزام على جواز تصرّفهم فيها كيف شاؤوا و أرادوا، فكانت النتيجة أنّ كل تسلّط و تصرّف تعلّق بها و قدر عليها الإنسان فهو سائغ له و له الرخصة فيه.

و أمّا الأمر الثالث فآيات دلّت على تحديد إباحة التصرّف بعدم اتّباع خطوات الشيطان، أو بالتقوى، أو بعدم الإسراف، أو بعدم الطغيان، أو نحو ذلك:

١. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾[7]؛

٢. ﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾[8]؛

٣. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ

---

١. يس (٣٦): ٧١ ـ ٧٣.
٢. لقمان (٣١): ٢٠؛ الجاثية (٤٥): ١٣.
٣. الحجّ (٢٢): ٦٥.
٤. الجاثية (٤٥): ١٢ و ١٣.
٥. النحل (١٦): ١٤.
٦. إبراهيم (١٤): ٣٢.
٧. البقرة (٢): ١٦٨.
٨. المائدة (٥): ٨٨.

وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ وَلَاتُسْرِفُوٓا إِنَّهُۥ لَايُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۝ وَمِنَ الْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَاتَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ الشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[١]؛

٤. ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَاتُسْرِفُوٓا إِنَّهُۥ لَايُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۝ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَالطَّيِّبَـٰتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْأَيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ الْفَوَٰحِشَ مَاظَهَرَ مِنْهَا وَمَابَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْىَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[٢].

فالحلال هو غير الممنوع من قبل الشرع، و الطيّب هو غير الممنوع من ناحية العقل و الطبع، و الظاهر كونهما مفعولاً مطلقاً، فالمراد: تصرّفوا تصرّفاً مطلقاً غير ممنوع منه، فهذه الآيات دالّة بالمطابقة على قاعدة جواز التصرّف التشريعي المدلول عليها بالالتزام في الآيات السابقة، و المقرونة بها حدود و شرائط تحدّد ذاك الجواز و تقيّده، كقوله تعالى: ﴿وَلَاتَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ الشَّيْطَـٰنِ﴾؛ فإنّ اتّباع الشيطان ـ أي الطاغي المتمرّد عن الطاعة ـ في الأُصول أو الفروع يوجب دخول الإنسان في ما لا يليق شرعاً و لا يحقّ عقلاً.

فيرجع مفاد الآية إلى تجويز كلّ تصرّف سوى ما ورد فيه منع من الشرع، و نظير ذلك كلمة «التقوى» في الآية الثانية؛ فإنّ ذكرها بمنزله تقييد الجواز بها، و معناها الاجتناب عن موارد التحريم، و يقرب منهما قوله: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ﴾ و قوله: ﴿وَلا تُسْرِفُوا﴾ فهماً، و الإسراف هو تجاوز الحدّ في كلّ فعل يفعله الإنسان كما في المفردات.[٣]

و الظاهر أنّ المراد تحديد التصرّفات بعدم خروجها عن الموازين الشرعية و العقلية، فيقرب من القيود السابقة في المرمى، و كذا قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ الْفَوَاحِشَ﴾ إلى آخره؛ فإنّ ذكره بعد الحكم بإباحة كلّ زينة من زينة الدنيا، كتحديد الاباحة بعدم وقوع استعمال الزينة في مسير الحرام و الفواحش.

---

١. الأنعام (٦): ١٤١ و ١٤٢.
٢. الأعراف (٧): ٣١ ـ ٣٣.
٣. المفردات للراغب، ص ٢٣٠ (سرف).

و يتحصّل من هذه الآيات تحديد التصرّف و تقييده و أنّه كما أنّ قدرة الإنسـان تكويناً و تسلّطه خارجاً محدودة غير مطلقة و إن كانت تتزايد و تتكامل، كما يعرف من مقايسة حاله في أوائل عصر تكوّنه مع قدرته الفعلية، فكذلك إباحة تصرّف كلّ فرد من المجتمع الإنساني في الأرض و ما عليها من الأموال العامّة محدودة بحدود، فلم يسوّغ له كلّ ما شاء و أراد من الأكل و الشرب و اللبس و النكاح و غيرها، بل إنّما تتعلّق بالتصرّف الواقع في السبيل المشروع له من ناحية خالقها و واهبها، أو بعدم كونه على نحو ينطبق عليه عنوان اتّباع الشيطان، أو وصف الطغيان، أو الاسراف، أو تـرك التقوى، و يرجع بعض هذه القيود إلى لحاظ المصالح المتعلّقة بالمتصرّف مع قطع النظر عن غيره، و بعضها الآخر إلى ملاحظة حال الغير من جهة عدم وقوع التزاحـم بـين المتصرّفين و مراعاة حقوق سائر أفراد المجتمع، و بعضها الثـالث الى مـلاحظة كـلا الأمرين، و ليس جميع الحدود الواردة في حقّ كلّ فرد مربوطاً بحال غيره و مجعولاً لأجل دفع مزاحمته عنه كما يتوهّم.

و أمّا الأمر الرابع فآيات يستفاد منها الملك الإضافي للناس و أنّ لهم التملّك منها في الجملة و التسلّط على الأراضي و غيرها ممّا عليها سلطنة اعتبارية إضافية.

و ليعلم قبل ذلك أوّلاً[1] أنّ انتزاع الملكيّة الاعتباريّة يكون في الغالب بعد تـحقّق ثلاث مراحل: التسلّط التكويني و الإباحة التشريعية و الإقدام من الإنسان على حيازة شيء و تخصيصه لنفسه، فإذا أمضاه الشارع تحقّق حينئذ عنوان المال المـضاف إلى الشخص، المساوق للملكية الاصطلاحية و الاضافة الاعتبارية التي ذكرناها.

و هي آيات كثيرة تدلّ على المقصود بالالتزام بمعنى دلالتها على أحكام تكشف عن كون أصل ملكية الأشخاص للأموال في الجملة مفروغاً عنه و مفروض الثبوت بحيث لا شبهة فيه و لا ارتياب، كتحريم القرب من مال اليتيم،[2] و أكل أموال الناس

---

١. قوله ﷺ: «أوّلاً»، أي ابتداءً.

٢. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَ لاٰ تَقْرَبُوا مٰالَ الْيَتِيمِ إِلاّٰ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتّٰى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾. الأنـعام (٦): ١٥٢؛ الإسراء (١٧): ٣٤.

بالباطل و إدلاء الأموال إلى الحكّام و أخذ أموال الناس بالإثم،[١] و أكل أموال اليتيم ظلماً،[٢] و أخذ الأموال بالربا،[٣] و إنفاقه رئاءاً،[٤] و حسبان تأثير المال في خلود الإنسان،[٥] و إعطاؤه السفهاء،[٦] و إبطال الصدقة منها بالمنّ.[٧]

و كتجويز القرب من مال اليتيم بالطريق الأحسن[٨]، و الأمر بإيتاء شيء منها العبيد،[٩] و تجويز أخذ رأس المال فى باب الربا،[١٠] و إيجاب الجهاد بها و بالأنفس،[١١] و دفع مال اليتيم إليهم بعد إيناس الرشد،[١٢] و أخذ الصدقة منها للتطهير،[١٣] و مدح جعل

---

١. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَ لاٰ تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ وَ تُدْلُوا بِها إِلَى الْحُكّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوالِ النّاسِ بِالْإِثْمِ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. البقرة (٢): ١٨٨.

٢. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامىٰ ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ ناراً وَ سَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾. النساء (٤): ١٠.

٣. إشارة إلى الآيات التي سيذكرها المصنّف العلّامة ﷺ بعيد هذا.

٤. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿كَالَّذِى يُنْفِقُ مالَهُ رِئاءَ النّاسِ﴾. البقرة (٢): ٢٦٤ و قوله تعالى: ﴿وَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ رِئاءَ النّاسِ وَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ لاٰ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَنْ يَكُنِ الشَّيْطانُ لَهُ قَرِيناً فَساءَ قَرِيناً﴾. النساء (٤): ٣٨.

٥. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مالَهُ أَخْلَدَهُ﴾. الهمزة (١٠٤): ٣.

٦. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَ لاٰ تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوالَكُمُ الَّتِى جَعَلَ اللّٰهُ لَكُمْ قِياماً وَ ارْزُقُوهُمْ فِيها وَ اكْسُوهُمْ وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾. النساء (٤): ٥.

٧. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذىٰ﴾. البقرة (٢): ٢٦٤.

٨. إشارة إلى قوله تعالى الذي خرّجناه تحت الرقم ٢ في الصفحة ٣٥٣.

٩. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتابَ مِمّا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ فَكاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَ آتُوهُمْ مِنْ مالِ اللّٰهِ الَّذِى آتاكُمْ﴾. النور (٢٤): ٣٣.

١٠. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوالِكُمْ لاٰ تَظْلِمُونَ وَ لاٰ تُظْلَمُونَ﴾. البقرة (٢): ٢٧٩.

١١. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفافاً وَ ثِقالاً وَ جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. التوبة (٩): ٤١.

١٢. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَ ابْتَلُوا الْيَتامىٰ حَتّٰى إِذا بَلَغُوا النِّكاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ﴾. النساء (٤): ٦.

١٣. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِها﴾. التوبة (٩): ١٠٣.

الحقّ فيها للسائل.[١]

و كالإخبار عن كونها سبباً للافتنان،[٢] و عن إيراث أموال الكفّار للمسلمين،[٣] و أنّ إعطاءها لبعض ليس مسارعة في الخيرات،[٤] و مدح ايتائها تزكية للنفس و تطهيراً لها[٥]، و غير ذلك من الأحكام المترتّبة على الأموال المضافة إلى الاشخاص، و هي المعبّر عنها بالملك الاعتباري الإضافي، الكاشفة كشفاً قطعيّاً عن إمضاء الشارع تلك الملكية.

و يستفاد ذلك من موارد كثيرة من الكتاب الكريم:

منها: موارد الحثّ على الصدقات و الإنفاقات الواجبة و المندوبة، قال تعالى:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[٦]؛

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ○ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾[٧]؛

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[٨]؛

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾[٩]؛

﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾[١٠]؛

﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾[١١]؛

---

١. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَ فِى أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ لِلسّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ﴾. الذاريات (٥١): ١٩ و قوله تعالى: ﴿وَ الَّذِينَ فِى أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ○ لِلسّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ﴾. المعارج (٧٠): ٢٤.

٢. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَ اعْلَمُوا أَنَّمٰا أَمْوٰالُكُمْ وَ أَوْلاٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَ أَنَّ اللّٰهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. الأنفال (٨): ٢٨ و قوله تعالى: ﴿إِنَّمٰا أَمْوٰالُكُمْ وَ أَوْلاٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَ اللّٰهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. التغابن (٦٤): ١٥.

٣. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيٰارَهُمْ وَ أَمْوٰالَهُمْ وَ أَرْضاً لَمْ تَطَؤُهٰا وَ كٰانَ اللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾. الأحزاب (٣٣): ٢٧.

٤. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَ يَحْسَبُونَ أَنَّمٰا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مٰالٍ وَ بَنِينَ ○ نُسٰارِعُ لَهُمْ فِى الْخَيْرٰاتِ بَلْ لاٰ يَشْعُرُونَ﴾. المؤمنون (٢٣): ٥٥ و ٥٦.

٥. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَ سَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ○ الَّذِى يُؤْتِى مٰالَهُ يَتَزَكّٰى﴾. الليل (٩٢): ١٧ و ١٨.

٦. التوبة (٩): ١٠٣.

٧. الليل (٩٢): ١٧ و ١٨.

٨. البقرة (٢): ٢٧٤.

٩. البقرة (٢): ٢٦١.

١٠. الذاريات (٥١): ١٩.

١١. البقرة (٢): ٢٦٤.

﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾[١].

و منها: موارد بيان حكم مال اليتيم، قال تعالى:

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٢]؛

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾[٣]؛

﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[٤]؛

﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[٥].

و منها: موارد الجهاد بالمال، قال تعالى:

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[٦]؛

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[٧].

و منها: موارد الإرث، قال تعالى:

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾[٨]؛

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾[٩]؛

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم﴾[١٠].

و منها: موارد الوصيّة، قال تعالى:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾[١١]؛

---

١. إبراهيم (١٤): ٣١.
٢. الأنعام (٦): ١٥٢.
٣. النساء (٤): ١٠.
٤. النساء (٤): ٢.
٥. النساء (٤): ٦.
٦. التوبة (٩): ٤١.
٧. التوبة (٩): ١١١.
٨. النساء (٤): ٧.
٩. النساء (٤): ٨.
١٠. النساء (٤): ١٢.
١١. البقرة (٢): ١٨٠.

﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾[١]؛

﴿فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾[٢].

و منها: موارد مختلفة، قال تعالى:

﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾[٣]؛

﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾[٤]؛

﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ﴾[٥]؛

﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾[٦]؛

﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٧]؛

﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾[٨].

و منها: موارد الربا، قال تعالى:

﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾[٩]؛

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾[١٠]؛

﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[١١]؛

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾[١٢]؛

﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾[١٣].

و منها: موارد المعاملات، قال تعالى:

﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾[١٤]؛

---

١. النساء (٤): ١١.
٢. النساء (٤): ١٢.
٣. المدّثّر (٧٤): ١١ و ١٢.
٤. نوح (٧١): ١٢.
٥. النساء (٤): ٢٤.
٦. محمّد ﷺ (٤٧): ٣٦.
٧. المنافقون (٦٣): ٩.
٨. النور (٢٤): ٣٣.
٩. البقرة (٢): ٢٧٥.
١٠. البقرة (٢): ٢٧٦.
١١. البقرة (٢): ٢٧٨.
١٢. الروم (٣٠): ٣٩.
١٣. البقرة (٢): ٢٧٩.
١٤. البقرة (٢): ٢٧٥.

﴿أَنفِقُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾[1]؛

﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾[2]؛

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾[3]؛

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾[4]؛

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا﴾[5]؛

﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ﴾[6]؛

﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾[7].

---

١. البقرة (٢): ٢٦٧.
٢. البقرة (٢): ٢٨٢.
٣. البقرة (٢): ٢٨٢.
٤. النساء (٤): ٢٩.
٥. التوبة (٩): ٢٤.
٦. القصص (٢٨): ٢٧.
٧. القصص (٢٨): ٢٦.

قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ○ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

التفسير

الإيفاء: الأداء و الإعطاء تماماً و كملاً، كما أنّ الاستيفاء الأخذ كذلك،[2] و لم يستعمل في القرآن إلّا متعدّياً بباب الإفعال أو التفعيل، و العهد هو الايصاء و الشرط، و عهد إلى زيد: أوصاه و شرط عليه،[3] و المراد بالعهد هنا الأعمّ من أقسامه الثلاثة، فالأوّل هو العهود الإلهية الحاصلة بينه تعالى و بين عبده، و هي الأحكام الشرعية الأُصولية و الفروعية، فلها نسبة إلى الله و نسبة إلى العبد.

و قد أُطلق العهد على الأحكام الصادرة من الله في مواضع من الكتاب الكريم، قال تعالى:

﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[4]؛

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[5]؛

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[6]؛

---

١. آل عمران (٣): ٧٦ و ٧٧.

٢. راجع: لسان العرب، ج ١٥، ص ٣٩٩ و ٤٠٠ (وفي).

٣. راجع: القاموس المحيط، ج ١، ص ٣٢٠ (عهد).

٤. البقرة (٢): ١٢٥.

٥. يس (٣٦): ٦٠.

٦. طه (٢٠): ١١٥.

﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيَ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَارْهَبُونِ﴾[١].

ثمّ إنّ إيصال ذلك الإيصاء و الشرط إمّا بالحجّة الظاهرة، كالرسل و الأوصياء و إنزال الكتب، كما هو الثابت المحقّق في أغلب الأحكام الشرعية، و إمّا بالحجّة الباطنة؛ أعني العقل الذي يوافق النقل في موارد كثيرة، كما أنّه ينفرد بالحكم أحياناً. فبين قيام الحجّتين و مؤدّاهما عموم من وجه، فقد تقوم الحجّة الظاهرة بحكم و لم يدركه العقل و لم يحكم في مورده بشيء، كأغلب التعبّديات، و قد تقوم الحجّة الباطنة و لا دليل شرعي، كموارد التخيير و الاحتياط في المسائل الفرعية، و قد تقوم الحجّتان و يحكم العقل و النقل بحكم، كقبح الظلم و الكذب و حسن الإحسان و الصدق و غيرهما.

و إيفاء هذه العهود عبارة عن امتثال أحكام الله تعالى جميعاً بإتيان الواجبات الاعتقادية و العملية و ترك المحرمات كذلك و عدم مخالفة شيء منها، كما قال تعالى: ﴿وَ إِبْراهِيمَ الَّذِي وَ فّى﴾[٢]؛ فإنّ الظاهر أنّ المراد توفيته في أداء ما عليه من أحكام الله و حقوقه.

و الثاني:[٣] العهود المتحقّقة بين العبد و نفسه، كإلزام الإنسان شيئاً على نفسه بالعهد و النذر و اليمين و نحوها، فهي عهد و إلزام منسوب إلى العبد، و توفيتها العمل بمقتضاها تامّاً و عدم الحنث بمخالفتهما؛ لئلّا يدخل في قوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾[٤]. و لعلّه قد استعمل في هذا القسم قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ﴾[٥] كما عن ابن عبّاس،[٦] و قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُواْ﴾[٧] و بعض العمومات شامل أيضاً، كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾[٨].

---

١. البقرة (٢): ٤٠.　　٢. النجم (٥٣): ٣٧.

٣. قوله ﷺ: «الثاني» عدل لقوله ﷺ: «فالأوّل هو العهود الإلهية».

٤. الواقعة (٥٦): ٤٦.　　٥. النحل (١٦): ٩١.

٦. الذي نقل عن ابن عبّاس هو أنّه قالك «الوعد من العهد». نعم قال به الرازي. راجع: مجمع البيان، ج ٦، ص ٥٨٩؛ مفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٢٦٣.

٧. البقرة (٢): ١٧٧.　　٨. المؤمنون (٢٣): ٨؛ المعارج (٧٠): ٣٢.

و الثالث: العهود الواقعة بين العباد بعضهم مع بعض، و هي العقود اللازمة و الجائزة، كالبيع و الإجارة و النكاح و المزارعة و المساقاة و نحوها، فهي عهود و التزامات منسوبة إلى العباد؛ فإنّ من يملك ماله بثمن فإنّما يلتزم بإخراج المال عن ملكه و يلزم صاحبه بإعطاء بدله. و الإيفاء بها العمل بمقتضاها و عدم نقضها و فسخها، و لعلّ بعض الآيات وارد في هذا القسم، قال تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ﴾[1]؛

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾[2].

و قد ذكر عدّة من أصحابنا هذه الأقسام في ذيل الآية الأُولى من المائدة، و حملوا العقد في قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾[3] ـ بعد بيان أنّ المراد به العهد ـ على العهود الثلاثة المذكورة.[4]

و قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾. المراد بالتقوى الاتّقاء عن المخالفة في جميع الأقسام المذكورة للعهد، فإن أُريد بها التقوى عملاً، كان عنوان التقوى معلولاً للإيفاء، و إن أُريد بها التقوى قلباً بمعنى الخوف من الله الباعث على الحركة نحو طاعته، كان ذلك علّة للإيفاء.

و حبّ الله عبارة عن إنعامه و تفضّله؛ لأنّك قد عرفت أنّ حبّه تعالى صفة ترجع إلى فعله لمقتضى الحبّ و ترتيب آثاره، فيكون المراد بالآثار هنا هي الآثار المترتّبة بعد حصول صفة التقوى للعبد؛ لأنّه الموضوع للحبّ، فإعطاء الوجود و سائر النعم الدنيوية و بذل نعمة الدين و توفيق قبوله من آثار الحبّ الحاصلة قبل عنوان التقوى، و إبقاء تلك النعم و كذا إعطاء الثواب في الآخرة من آثار الحبّ بعد حصول التقوى، فهي المرادة بهذه الجملة.

---

١. الأنفال (٨): ٥٦.
٢. التوبة (٩): ٤.
٣. المائدة (٥): ١.
٤. راجع: التبيان، ج ٣، ص ٤١٤؛ مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٣٤؛ الميزان، ج ٥، ص ١٥٨.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا﴾. ليس المراد بالاشتراء هنا البيع و لا الشراء؛ لعدم تعلّقه بالثمن بكلّ واحد من المعنيين؛ إذ الثمن لا يباع و لا يشترى، و القولُ بأنّ الباء في قوله: ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ زائدة، و قوله: ﴿ثَمَنًا﴾ منصوب بنزع الخافض، و المعنى: إنّ الذين يبيعون عهد الله بثمن قليل إلى آخره، حملٌ للآية على خلاف ظاهره من جهتين، فالأولى [ما][1] ذهب إليه بعض المفسّرين من كون الاشتراء بمعنى الاستبدال،[2] فالآية تنهى عن استبدال عهود الله بالثمن القليل بمعنى مخالفتها طلباً للمال و الجاه و حبّاً لمتاع الدنيا.

ثمّ إنّ العهد في هذه الآية منسوب إلى الله، فيشمل الأحكام الإلهيّة بلا إشكال، و كذا يشمل ما يوجبه الإنسان على نفسه؛ فإنّه ينسب إلى الله أيضاً، كما في قولك: عاهدت الله أو لله عليّ أن أفعل كذا، و أمّا العهود الواقعة بين الناس بعضهم ببعض ففي شمول الآية لها خفاء، بل الظاهر أنّ الآية مسوقة لبيان خصوص القسم الأوّل من العهود.

و ذلك لما يتراءى من كلمات القوم من حصر مصداق الآية في علماء اليهود و النصارى، حيث حرّفوا التوراة و الإنجيل، و نقضوا عهد الله إليهم في العمل بهما و إبلاغهما و بيانهما للناس و عدم كتمان أحكامهما حفظاً للرئاسة و حبّاً و طمعاً في متاع الدنيا، لكنّ الظاهر ـ مع فرض كون المراد بالعهد خصوص القسم الأوّل ـ أنّ الآية غير منحصرة في أُولئك القوم، فكلّ من خالف حكماً من أحكامه تعالى و تركه حبّاً للمال أو طلباً للجاه و نحو ذلك، فهو قد استبدل عهد الله في كتابه و سنّة نبيّه بثمن بخس، و دخل في معنى الآية، و كم لهؤلاء من نظائر في زماننا هذا.

و حيث إنّ المراد باستبدال العهد الأعم من تغيير أحكام الله تعالى و تحريفها و كتمانها عن أهلها و مخالفتها عملاً و لو مع الاعتقاد بثبوتها، و المراد بالثمن القليل

---

١. ما بين المعقوفين أضفناه لمقتضى السياق.

٢. ذهب إليه الزمخشري في الكشّاف، ج ١، ص ٣٧٦؛ و الشيخ الطبرسي ﵀ في مجمع البيان، ج ٢، ص ٧٧٨، و البيضاوي في أنوار التنزيل، ج ٢، ص ٢٥.

مطلق الانتفاع بشيء من حظوظ الدنيا من الجاه و المال و نحوهما، فيمكن أن يعدّ من مصاديق الآية الطوائف التالية:

١. علماء التوراة و الإنجيل الذين كتموا عن الناس ما أنزل الله في الكتابين من نبوّة محمّد ﷺ و أوصاف النبيّ و كتابه حفظاً لجاههم و حبّاً لمتاع الدنيا، فقد تركوا العهد و نبذوه وراء ظهورهم و استبدلوه بثمن قليل.

٢. الذين حرّفوا أحكام التوراة من أُصولها أو فروعها و وضعوا مكانها أحكاماً أُخر، و هؤلاء أيضاً من أهل الكتاب و علمائهم.

٣. الذين حرّفوا أحكام القرآن و نسخوها و وضعوا مكانها قوانين عصرية أُخرى؛ فإنّهم لم يفعلوا ذلك إلّا طلباً لمقام أو مال، فهم من مصاديق الآية.

٤. الذين أنكروا الوصاية و إمامة أهل البيت و حرّفوها عن مسيرها و أزالوها عن مراتبها التي رتّبها الله و جعلوها لأنفسهم و تقمّصوا بها، أو أعانوا الغاصبين على ذلك و نصروهم و اتّبعوا أهواءهم.

٥. الذين تركوا ما أوجبه الله، أو أخذوا بما حرّمه تعالى، فخالفوا أحكام الله عملاً طمعاً في حطام الدنيا ولو مع الإذعان بحقيقتها، و هؤلاء كثيرون. فمنهم العالم غير الناطق بحقّ، و الصامت عن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر حفظاً لجاهه و مقامه و حظوظه، أو طلباً لتحصيل ذلك.

٦. و منهم الظلمة و أعوانهم، يخالفون أحكام الله بالعصيان و الظلم، و يتمتّعون بذلك من الدنيا و متاعها.

٧. العلماء المتصدّون لمقام و مرتبة ليسوا لهذ أهلاً، فنفسُ التصدّي لذلك المنصب و ما يستتبعه ذلك من تغيير الأحكام و مخالفتها و إتلاف أموال العامّة و الخاصّة و غيرها، استبدالٌ للعهود، و ما يصل إليهم من الحظوظ الدنيوية ثمن قليل في قبال ذلك.

٨. أصحاب التجارات و الإجارات المحرّمة، كبيع الخمر و المسكر و الميتة و آلات اللهو و غيرها، الذين ينتفعون بذلك في إمرار معايشهم، فهم يستبدلون العهود بالمخالفة و يأخذون ثمناً قليلاً.

٩. أرباب الأعمال المحرّمة الذين يأخذون بذلك أجراً من صنّاع ذلك و عمّالها و المعاونين عليها، كصانع الخمر و آلات اللهو و الطرب و أمكنة الفحشاء و المنكرات و البنوك الربوية و العامل في صنعتها و المعين عليها.

١٠. المتصدّون لكتابة الضلالة و طبع كتبها و نشرها و الآخذون في ذلك أجراً و ثمناً قليلاً، و غير ما ذكر من موارد كثيرة، كما قال تعالى في جميع ذلك: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾[١].

ثمّ إنّ استبدال العهد بالثمن القليل قد يستلزم كفر الفاعل، كالأقسام الأربعة الأوّل، و قد يكون سبباً لفسقه، كباقي الأقسام، فعلى الأوّل يكون إطلاقه قوله: ﴿لَاخَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ﴾ محفوظاً محكماً، فإنّه لا نصيب للكافر من رحمة الله في الآخرة، و على الثاني فعدم الخلاق أمر نسبيّ بالإضافة إليه؛ فإنّ الأعمال المحرّمة التي يرتكبها الإنسان في الدنيا يكون نصيب الفاعل منها هو حظوظها الدنيوية، و لا نصيب له من رحمة الله بالنسبة إلى تلك الأعمال في الآخرة، و هذا لا ينافي تحقّق عمل صالح منه يستحقّ به نصيباً فيها، كإيمانه و بعض الصالحات من أعماله.

ثمّ إنّ القول بعموم الآيتين للموارد المذكورة و غيرها لا ينافي ورودهما في أهل الكتاب و علماء اليهود و النصارى، كما يشهد بذلك ما قبلهما من الآيات و ما بعدهما؛ لأنّه لا بأس ببيان حكم كلّيّ يكون مورد الكلام أيضاً من مصاديقه، و هذا المقدار من الربط كاف في كون الآية مذكورة في ضمن آيات أهل الكتاب.

قوله: ﴿وَأَيْمَانِهِمْ﴾، المراد بها الأيمان المقرون بأخذ الكتاب و قبوله و الالتزام ببيان ما فيه و نصرة النبيّ الأعظم، و هذا ثابت في علماء اليهود و النصارى، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّايَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾[٢]، ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾[٣]؛ فإنّ الغالب أنّ أخذ الميثاق لا يكون إلّا بيمين، مع أنّه

---

١. الأحقاف (٤٦): ٢٠.
٢. الأعراف (٧): ١٦٩.
٣. آل عمران (٣): ١٨٧.

يفهم من آيتنا المبحوث عنها أنّ هناك يميناً ثابتاً خولف طلباً للثمن القليل و القدر المتيقّن منه ذلك.

و يمكن أن يكون المراد بالآية أنّهم يشترون، أي يأخذون لسبب ترك العهد و فعل اليمين ثمناً قليلاً، فيشمل اليمين كلّ يمين كاذبة يكون سبباً للوصول إلى شيء من متاع الدنيا.

و بالجملة إن كان المرادُ بالأيمانِ الصادقة، فمصداقها ما قارن التزام أهل الكتاب بأخذه و تبليغه و عدم كتمانه، و إن كان المراد الكاذبة، شملت كلّ يمين كاذبة كان فيها جلب النفع و أخذ الثمن إلّا أنّ ذلك لا يناسب تعلّق الاستبدال به.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ إلى آخره. قد عرفت في ما سبق أنّ كلام الله تعالى يرجع إلى خلق الصوت، فكونه متكلّماً يرجع إلى كونه خالقاً، و يظهر من الآية أنّ الله يكلّم المؤمنين يوم القيامة تشريفاً لهم و حبّاً و إنعاماً إليهم، فلا يكلّم الله هؤلاء الطائفة، و يمكن أن يكون التكلّم كناية عن شمول إنعامه و إحسانه الأُخروي لهم، كما أنّ النظر إليهم كناية عن ذلك؛ فإنّ من كان حاضراً عند عظيم من العظماء إذا لم ينظر إليه و لم يكلّمه، يكشف عن عدم حبّه إليه و إحسانه، بل عن بغضه و سخطه، فالكلامان سيقا بعنوان الكناية عن السخط عليهم، و لا يصغى إلى ما قيل: إنّ الكناية لا تكون إلّا في ما تيسّر فيه الاستعمال الحقيقي، و لا يعقل في حقّ الله تعالى النظر بالعين.[1]

---

۱. قاله الزمخشري في الكشّاف، ج ۱، ص ۳۷۶. و للمزيد راجع: روح المعاني، ج ۲، ص ۱۹۶.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1].

التفسير

اللَّيّ أجوف واوي و ناقص يائي بمعنى الفتل، يقال: لويت يد زيد، أي فتلتها،[2] و الظاهر أنّ علماء الكتابين و قرّاءهما كانوا يقرؤنهما بلحن خاصّ، و إذا حرّفوا شيئاً منهما و وضعوا مكانه كلاماً آخر مظهراً أنّه من الكتاب، قرؤه بلحنه؛ ليكتموا الأمر على السامعين و يشبهوه عليهم، فقال تعالى: ﴿وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ﴾ إلى آخره.

و المراد بالكتاب الأوّل ما كتبوه بأيديهم من مخترعاتهم، و بالثاني و الثالث هو الكتاب الواقعي، و إطلاق الكتاب على التوراة و الإنجيل كإطلاقه على القرآن الكريم بلحاظ كونها مكتوبة في اللوح المحفوظ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ○ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾[3]، و قال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ○ فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾،[4] و هذا بناء على إرادة المكتوب بالفعل من الكتاب، و يمكن في خصوص القرآن أن يراد الكتاب بلحاظ الاستعداد و كونه كتاباً بالقوّة؛ فإنّ إطلاقه على القرآن ـ خاصّة في السور المكّيّة ـ إنّما

---

١. آل عمران (٣): ٧٨.

٢. راجع: المصباح المنير، ص ٥٦١ (لوي).

٣. الواقعة (٥٦): ٧٧ و ٧٨.

٤. البروج (٨٥): ٢١ و ٢٢.

هو بهذا اللحاظ، قال تعالى: ﴿وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[1]، ﴿وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾[2].

ثمّ إنّ الله حكى عنهم أنّهم كذبوا مرّتين: أحدهما في ليّهم الألسنة بالكتاب، و الثاني في تصريحهم أنّه من عند الله، فردّ الأوّل بقوله: ﴿وَ ما هُوَ مِنَ الْكِتابِ﴾ و الثاني بقوله: ﴿وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾، ثمّ بيّن أنّ كذبهم مطلقاً يصدر منهم عن علم.

ثمّ إنّ الآية في مقام الذمّ و التوبيخ الملازم للسخط و الغضب، و الحكم لا يختصّ بمورده، و هو الكلام الباطل الصادر من أهل الكتابين، الواقع موقع كلام الله تعالى و المتلبّس بلباسه من حيث ليّ الألسنة و الصوت الخاصّ، فتشمل الآية كلّ باطل اُلبست عليه ثياب الحق و اُخرج للناس باسمه و بعنوانه:

١. كما في الروايات المجعولة المفتراة على النبيّ و الأوصياء؛ فإنّها باطلة اُلبست لباس الحقّ.

٢. و كما في الكتب الضالّة التي تنشر بعنوان الحقّ، كالتوراة و الإنجيل و كتب الأديان و المذاهب الفاسدة.

٣. و كما إذا اُبرز الإنسان غير اللائق بمقام و مكانة في لباس الحقّ، كخلفاء الجور و علماء المذاهب الباطلة و الرهبانيين و عبّاد الفئة المنحرفة و نحوهم.

٤. و كما في الأزمنة التي تعرف للناس بالشرف و القداسة، كيوم النيروز و المهرجان.

٥. و كما في الأمكنة التي تعرف بالفضيلة و القدس، كالبيع[3] و الكنائس[4] و المقابر المنسوبة إلى أولاد الأئمّة و السادة إذا كانت كذباً لا حقيقة لها، و على هذا فالآية

---

١. الأنعام (٦): ٩٢. ٢. الأنعام (٦): ١٥٥.

٣. البيع، كعنب: جمع البيعة بالكسر، و هي متعبّد النصاري، و قيل: كنيسة اليهود. تاج العروس، ج ١١، ص ٣٥ (بيع).

٤. الكنائس: جمع الكنيسة، كسفينة، و هي متعبّد اليهود، و هي معربة، أصلها: كنشت. و قيل: هي متعبّد النصارى. و قيل: هي متعبّد الكفّار مطلقاً. تاج العروس، ج ٨، ص ٤٥٠ (كنس).

تقارب في المرويّ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[١] و قد ذكرنا في ذيلها ما يناسب ما نحن فيه.

و قوله: ﴿وَ هُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾، بيان إنّ الافتراء و الكذب على الله مذموم موبّخ عليه إذا صدر ذلك عن علم؛ فإنّ الجهل رافع للعقاب سواء كان في الأُصول، أم في الفروع، نعم هو كذلك في ما إذا كان عن قصور، لا عن تقصير.

---

١. آل عمران (٣): ٧١.

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا رَبَّـٰنِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ○ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

التفسير

البشر كالإنسان جنس يطلق على الواحد و الكثير، و الربّاني: المنسوب إلى الربّ، و أُضيف إليه الألف و النون لتأكيد النسبة، فالمراد من له شدّة ارتباط بالله تعالى، و المراد بالحكم هنا الدين و الشريعة، و النبوّة: وصول الوحي إلى الإنسان في المنام.

و توضيح ذلك أنّ هنا عنوانين: أوّلهما النبوّة و الرسالة، و ثانيهما الإمامة؛ فإنّ مجرّد تعلّق الوحي إلى الإنسان و أمره بالتبليغ محقّق لعنوان النبوّة و الرسالة؛ إذ هو منبئ عن الله و مرسل من قبله إلى الناس، و الفارق بينهما هو في كيفية الإيحاء، فالنبيّ يطلق على من أُوحي إليه في المنام، و حصل له اليقين و العلم بكونه من عند الله بعد الاستيقاظ، و الرسول هو الذي ينزل عليه الملك بالوحي، فيراه و يكلّمه، و من شؤون هذه الدرجة لزوم إبلاغ الأحكام إلى من أُرسل إليهم، فقوام العنوانين بالوحي، و اختلافهما في كيفيته.

و الوحي هو الإشارة السريعة الخفيّة، و تعلّقه من الله تعالى إلى أحد لا يلازم نبوّة

---

١. آل عمران (٣): ٧٩ و ٨٠.

الموحى إليه؛ إذ منه ما يكون بوساطة إعداد القوى التكوينية، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ﴾[1] إلى آخره، و هذا موجود في جميع الحيوانات، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[2]، و قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[3]، و منه ما يكون إلهاماً منه تعالى، أو من الملك في القلب من غير حصول العلم بأنّه من عند الله تعالى، كما في قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾[4]، و يكثر نظيره في سائر الناس خاصّة في المؤمنين منهم، فالفارق بين وحي النبوّة و غيرها حصول العلم بأنّ الإلقاء من الله في الأوّل دون الثاني.

و أمّا الإمامة فهي مرتبة زعامة الأمّة و الولاية على أنفسهم و أموالهم، و لا ملازمة بينها و بين النبوّة و الرسالة؛ فإنّ قوامهما كما عرفت[5] بأخذ الأحكام من الله تعالى، ثمّ إبلاغه إلى الناس، و لا يستلزم ذلك الولاية المذكورة، فقد قال تعالى: ﴿وَ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾.[6]

و يظهر من تواريخ الأنبياء و ما ورد فيهم أنّ عدّة كثيرة منهم لم يقوموا إلّا بأمر التبليغ، كهود و صالح و شعيب و لوط، و هم أنبياء و رسل، نعم من تصدّى منهم لزعامة الأمّة و شؤون الإمامة فهو إمام أيضاً، كما قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[7]، و هذه الرتبة قد أعطاها الله إبراهيم بعد نبوّته، بل بعد كبر سنّه و في أُخريات أيّام عمره؛ إذ الظاهر من الآية أنّ الإمامة عرضت عليه حال وجود ذرّيّته، و إنّما حصلت الذرّيّة له بعد كبره؛ حيث يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾[8] و سائر الآيات التي يستفاد ذلك منه.

و على ما ذكرنا فبين عنوان النبيّ و الرسول عموم من وجه، و يشتركان في كونهما

---

۱. النحل (۱٦): ٦٨.
۲. طه (۲۰): ٥۰.
۳. الأعلى (۸۷): ۳.
٤. القصص (۲۸): ۷.
٥. أي قبيل هذا.
٦. النور (۲٤): ٥٤؛ العنكبوت (۲۹): ۱۸.
۷. البقرة (۲): ۱۲٤.
۸. إبراهيم (۱٤): ۳۹.

مأمورين بالإبلاغ، و ما يذكر من الفرق بينهما من أنّ النبيّ من أُوحي إليه الشرع و إن لم يؤمر بتبليغه، فإن أُمر بالتبليغ فهو رسول أيضاً.[١] غير سديد بالنظر إلى ما يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾[٢]؛ فإنّه أُطلق فيها عنوان الإرسال على النبيّ و أنّه إذا أراد إبلاغ شرعه إلى الناس زاحمه الشيطان، ثمّ نصره الرحمان، و هذا لا يكون في النبيّ بالمعنى المذكور.

و على هذا فبين عنوان النبيّ و الرسول و بين الإمام عموم من وجه؛ فإنّ بعض الأنبياء و الرسل ليس بإمام كما عرفت،[٣] و بعض الأئمّة ليس برسول و لا نبيّ، كأئمّتنا ﷺ، و قد يجتمع العنوانان، كما في عدّة من الأنبياء، كإبراهيم و موسى و عيسى و محمّد ﷺ.

و الظاهر أنّ الإمامة منصب أعلى درجة من النبوّة و الرسالة. فكلّ إمام ـ رسولاً كان أم لا ـ أفضل ممّن ليس بإمام و إن كان رسولاً نبيّاً، و لم يثبت أفضليّة الإمام المتّصف بالرسالة من إمام غير متّصف بها مطلقاً.

ثمّ إنّه يشترط في كلا العنوانين أُمور:

أوّلها: العصمة من ارتكاب المعاصي، فلا يرتكب المنتخب بهما معصية أبداً صغيرة أو كبيرة، قبل الانتخاب و الاصطفاء و بعده.

ثانيها: العلم بالأحكام، فلابدّ من علمه بجميع ما يحتاج إليه المرسل إليهم من الأُصول و الفروع و ما يلازمها من العلم بالموضوعات و غيرها.

و أمّا اشتراط كون المعصوم أعلم بكلّ الفنون و العلوم من جميع أهل عصره، فلم يثبت ذلك في الأنبياء و الرسل، نعم دلّت عليه الأدلّة في أئمتنا ﷺ، و يمكن استظهار كونه من آثار الإمامة، قارنت النبوّة، أم لا.

ثالثها: الكمالات النفسية و الفضائل الخلقية؛ فإنّ الظاهر لزوم اتّصاف المعصوم بذلك بأن يكون بالغاً في مراحل الفضيلة أقصاها و من درجات الكمال أسماها بحيث لم

---

١. راجع: روض الجنان، ج ١، ص ٣٤؛ الروضة البهية، ج ١، ص ٢٣٣؛ اللمعة البيضاء، ص ٤٢٦.

٢. الحجّ (٢٢): ٥٢.

٣. أي قبيل هذا.

يمكن عادة سقوطه عنها، و لذلك لم يسمع عزل نبيّ عن نبوّته و سقوط إمام عن إمامته، و هذا هو اللائق بحال سفراء الله و من اختاره رسولاً نبيّاً و إماماً هادياً.

و لنرجع إلى معنى الآية فنقول: إنّ الآية الشريفة و إن كانت في مقام إبراء ساحة المسيح المقدّسة عمّا نسبوا إليه من مقام الربوبية بالأنحاء المختلفة من كونها إلهاً أو ابن اله أو أحد الآلهة الثلاثة، ففي هذا الكلام عود إلى بدء من حكاية حال عيسى و التعرّض لشرح ولادته و حياته و ما نسب إليه من الأُمور غير اللائقة بشأنه إلّا أنّها لا تخلو من الإشارة إلى أمر هامّ و حقيقة راهنة خليقة بالتوجّه إليها و إلفات النظر نحوها، و هو مقايسة حال المنسوبين إليه تعالى و المنصوبين من قبله مع حال مخلوقاته و عباده المتصدّين للرئاسات و نصب الأُمراء و الولاة من الملوك و السلاطين، حيث يختارون لأُمورهم و التصدّى لمناصبهم يوماً، ويعزلون المنتخب فى يوم آخر؛ لانكشاف عدم الجدارة فيه، أو لارتكابه ما ليس له فعله. فالمقصود أنّه لا يسع و لا يمكن إمكاناً وقوعيّاً صدور دعوى الربوبية لنفسه ممّن آتاه الله الكتاب و الحكم و النبوّة.

و قوله: ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ﴾ عطف على قوله: ﴿ثُمَّ يَقُولُ﴾، زيد كلمة النفى فيه للتأكيد، و المعنى: ما كان لبشر هذا شأنه أن يأمركم باتّخاذ الملائكة و الأنبياء أرباباً.

و الحاصل أنّه لا يصدر منه دعوى الربوبية لنفسه و لا الدعوة إلى ربوبية غيره كائناً من كان و لو كان أفضل من خلقه الله و أكرم من برأه، كالملائكة.

و جعل المتعلّق في مسألة دعوى الربوبية الناس بنحو الغيبة، و في مورد الدعوة إلى ربوبية الغير المخاطبين في عصر القرآن؛ لأجل أن ينطبق الكلام على ما كان صدر منهم؛ حيث إنّهم ادّعوا أنّ عيسى دعا الناس إلى عبادة نفسه، و كانوا يطلبون من النبيّ الأعظم تصديق ذاك الأمر و دعوة أُمّته إليه.

و قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[١]، أي بل يقول البشر الذي آتيناه الكتاب و الحكم و النبوّة: كونوا ربّانيّين.

---

١. آل عمران (٣): ٧٩.

و قد ذكرنا أنّ الربّاني من له شدّة ربط بالله تعالى و كمال قرب منه، و حصول ذلك يستلزم كمال الإنسان في أبعاده الثلاثة الروحية: العقائد و الأخلاق و الأعمال، و ذلك غير حاصل إلّا بالسعي البليغ و الجهد الجهيد في إصلاح تلك الجهات، فيزيل به كلّ جهل و ريب في عقائده؛ ليصل الى مرحلة اليقين في جميع مدركاته الدينية، أصولية كانت أم فروعية، و يطهّر من نفسه من كلّ رذيلة خلقية و يجعل مكانها فضيلة نفسية حتّى لا يبقى له عاتبة يؤنّب بها و لا أكرومة ناقصة إلّا أتمّها، و يصلح كلّ عمل، و يجعل أعماله و أوراده ورداً واحداً،[١] و قد ورد في الحديث أنّه تعالى قال: «لم يزل يتقرّب إليّ عبدي بالنوافل، فكنت[٢] سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به»[٣] إلى آخره.

و الحاصل أنّ البشر الذي آتاه الله النبوّة، من شأنه أن يأمر بالتعالي و التكامل من تلك الجهات حتّى يحصل نتيجة ذلك، و هي القرب الشديد إلى الله تعالى.

ثمّ إنّ أمره الناس و حثّهم على الانتساب و الارتباط إلى الله قد يكون لفظياً حاصلاً بالقول و مجرّد الدعوة، و قد يكون فعليّاً عمليّاً بأنّ يرى الناس منه صالح العقائد و الأخلاق، فيستضيئوا بنوره، و يقتسبوا من جذواته، و يروا منه صالح الأعمال فيتّبعوه و يهتدوا بهداه، فيكون ذلك بعثاً حقيقيّاً و أمراً تكوينيّاً، و قد يتحقّق كلا الأمرين، و هذا هو الواقع من الأنبياء و الأئمّة ﷺ.

ثمّ إنّ ظاهر الآية أنّ النبيّ الآمر بذاك يصرّح لهم بعلّة ما يأمر و أنّه لأجل كونهم منتسبين بكتاب الله و مرتبطين به بالتعليم و التعلّم، فالمأمور يشمل جميع المؤمنين

---

١. اقتباس من كلام مولانا أمير المؤمنين ﷺ، حيث يقول في دعاء كميل: «يا ربّ! يا ربّ! يا ربّ! أسألك بحقّك و قدسك و أعظم صفاتك و أسمائك أن تجعل أوقاتي من الليل و النهار بذكرك معمورة و بخدمتك موصولة، و أعمالي عندك مقبولة حتّى تكون أعمالي و أورادي كلّها ورداً واحداً». راجع: مصباح المتهجّد، ص ٨٤٩؛ إقبال الأعمال، ص ٧٠٩؛ المصباح للكفعمي، ص ٥٥٩.

٢. في المصدر: «... و إنّه ليتقرّب إليّ بالنافلة حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنت».

٣. الكافي، ج ٢، ص ٣٥٢، باب من آذى المسلمين و احتقرهم، ح ٧.

بالكتاب من علماء الأُمّة و عوامهم؛ فإنّ العلماء معلّمون للكتاب و عامّة الناس متعلّمون متدرّسون، فالآية توضح أنّ كلّ نبيّ كان يأمر في عصره جميع أُمّته بالارتباط بالله، المدرّسين للكتاب و المتدرّسين له، و هذا حكم كلّي ثابت للأنبياء و أوصيائهم و العلماء العاملين الذين اتّبعوهم بإحسان،[1] فعليهم أن يكونوا كذلك.

و يعلم من لحن الكلام أنّ ذلك الكتاب كتاب لو وقع مورداً للتعليم و التدريس حصل الرقاء في الفرد أو المجتمع العامل، فيكونون ربّانيّين، و حينئذ فلو لم يحصل ذاك الكمال و الربّانية في مجمعنا الإسلاميّة مع أنّهم معتقدون بالكتاب و هو يدرس في ما بينهم و يتدرّس، فلابدّ أن نستكشف عدم وقوع التعليم و التعلّم كما هو المطلوب لله و المرضيّ لجنابه، و من العلوم أنّ الأمر كذلك، كيف و قد رفضوا أغلب أحكام الكتاب رفضاً و تركوه وراء ظهورهم تركاً، فمن تارك لكلّه، و من متعرّض عن بعضه، و من مأوّل لمحكمه، و من متمسّك لمتشابه، فآل أمرهم الى ما ترى.

---

۱. اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَ السّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرينَ وَ الْأَنْصارِ وَ الَّذينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرى تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدينَ فيها أَبَدًا ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظيمُ﴾. التوبة (۹): ۱۰۰.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ۝ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ۝ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۝ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[١].

التفسير

يستفاد من الآيات الشريفة إلفات العقول إلى وحدة الدين الإلهي و وحدة الرسل الذين جاؤوا به، كلّ ذلك في ضوء توحيد الله المنزل للدين و المرسل للأنبياء، و ينتج الإذعان الصحيح بهما وحدة رابعة، و هي وحدة مجتمع المؤمنين؛ فإنّ المؤمنين و المؤمنات بعضهم أولياء بعض، و المؤمنون إخوة و هم يد على من سواهم، ففي الآيات تذكير لوحدات لا بأس بالقول بكونها الغرض الأصيل من سوقها، و هي أنّ الله واحد و الدين واحد و الرسل كلّهم كنفس واحدة، و هذه أُصول مّا، نستنبطه من كلامه تعالى في ضمن الأُمور التالية المستفادة منه:

---

١. آل عمران (٣): ٨١ ـ ٨٥.

الأوّل: بيان أخذ الميثاق من الناس بأيدي الأنبياء و وساطتهم على قبول الكتاب و الحكمة؛ أعني الدين النازل إلى الناس من عنده تعالى.

الثاني: أخذ الميثاق من الناس على نصرهم كلّ رسول جاءهم و صدق ما عندهم من الدين و الكتاب، و يلازم ذلك أخذ الميثاق من الأنبياء أنفسهم على الأمرين، و حينئذ فقد أُخذ ميثاق السابقين على الإيمان باللاحقين.

الثالث: إشهاد الأنبياء على ميثاق الأُمم مع كونه تعالى شاهداً أيضاً.

الرابع: توبيخ المعرضين عن قبول الدين الذي كشف عنه الكتاب و شملته الحكمة.

الخامس: أمر النبيّ الأعظم بقبول دين السابقين من الأنبياء، و يلازمه استفادة أخذ الميثاق من كلّ لاحق على الإيمان بما أُنزل على كلّ سابق و تصديقهم.

السادس: أمر المؤمنين بمحمّد ﷺ بالإيمان بما أُنزل على الأنبياء و تصديقهم.

السابع: أمر النبيّ و المؤمنين بالإذعان بوحدة الرسل من حيث الربّ المرسل و الدين المرسل به.

الثامن: بيان حقيقة الدين و أنّها التسلیم و أنّه لا يقبل من أحد غيره.

فقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۧنَ﴾ إلى قوله ﴿لَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ يدلّ على الأمرين الأوّلين، و تقريب الدلالة أنّه ليس المراد بأخذ الميثاق أخذه في عالم الذرّ كما قد يقال؛[١] فإنّه لا شاهد عليه في الآية الشريفة، فالمراد أخذه في الدنيا.

و الظاهر أنّ إضافة الميثاق إلى النبيّين من الإضافة إلى الفاعل، أي الميثاق الذي أخذه الأنبياء من الأُمم بأمر الله، و اللام في قوله: ﴿لَمَا﴾ توطئة للقسم، و كلمة «ما» موصولة، و هي مبتدأ، خبرها قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾، و الضمير المجرور في قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾، راجع إليها، و الضمير المنصوب في ﴿لَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ راجع إلى الرسول، فالمعنى: أنّ الله أخذ الميثاق من الأُمم بيد الأنبياء على أمرين:

أوّلهما: أن تؤمن بالدين النازل إليهم الذي يحكي عنه الكتاب و تشمله الحكمة.

---

١. راجع: بيان السعادة، ج ١، ص ٢٧٨.

و ثانيهما: أن تنصر الرسول الذي جاء بعد ذلك، فصدّق دينهم و ما جاء به النبيّ السابق.

ثمّ إنّ لازم أخذ هذا الميثاق من الأمم أخذه من الأنبياء أيضاً بلا ريب و إشكال؛ فإنّ النبيّ أحقّ بالإذعان بما جاء به من ربّه و نصرة الرسول الذي يأتي بعده من عند ربّه.

إن قلت: كيف ينصر النبيّ السابق الرسول اللاحق مع أنّ الفرض عدم إدراكه زماناً و حصول برهة بين عصريهما؟ و هذا غير نصرة الأمّة؛ لبقائهم متناسلين حتّى يدركوا النبيّ اللاحق.

قلت: تكون نصرته بإخبار عن مجيئه و حالاته و زمانه و خصوصيّات شريعته، فيكون ذلك كإعداد المكان لنزوله و تهيئة القلوب لقبوله، و أيّة نصرة أتمّ من هذه و أكمل؟!

إن قلت: ما هو المراد بالرسول في الآية؟ و هل هو كلّ رسول لاحق بالنسبة إلى سابقه، أو خصوص الرسول الأعظم محمّد بن عبدالله ﷺ؟

قلت: الظاهر أنّ المراد كلّ رسول لاحق، و لو ورد ما يدلّ على كون المراد به محمّد بن عبدالله ﷺ، فهو بيان لأفضل المصاديق؛ إذ أنّه أخذ الميثاق من كلّ نبيّ لمن بعده مع محمّد ﷺ فالنبيّ الأعظم مورد لميثاق الجميع.

ثمّ إنّ الذي ذكرنا من معنى الآية هو الذي يساعده ما بعدها كما ستعرف، و يعينه أيضاً ما نقل عن مولانا الصادق ؑ من قوله: «أي[1] و إذ أخذ الله ميثاق أُمم النبيّين»،[2] و قد اضطرّ إلى تحسين كلام الإمام ؑ في معنى الآية بعض مفسّري أهل السنّة[3] مع إعراضه في الأغلب عن أحاديث أهل البيت ؑ.

قوله: ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾، الظاهر أنّ هذه المخاطبة إلى آخر الآية واقعة بين الله و بين الأنبياء، و هي تبيّن أخذ الميثاق من الأنبياء أيضاً على ما أخذوه من الأمم، و الاستفهام بمعنى الأمر، و المعنى: أقرّوا أنتم أنفسكم أيضاً بالميثاق الذي أخذتم من الناس و اقبلوا على ذلك عهدي الأكيد.

---

١. في التبيان و المجمع: «تقديره»، و في الجوامع: «أنّ المعنى» بدل «أي».

٢. التبيان، ج ٢، ص ٥١٤؛ مجمع البيان، ج ٢، ص ٧٨٤؛ جوامع الجامع، ج ١، ص ١٨٦.

٣. روح المعاني، ج ٢، ص ٢٠١.

ثمّ قال تعالى لهم ﴿فَاشْهَدُوا﴾ على أنفسكم، أو على العهد المأخوذ من الناس و أنا من الشاهدين له. هذا و لو فرضنا أنّ المخاطبة بين الله و بين الأمم أشكل الأمر في معنى الآية بعدم قبول جميع الأُمم عهد الله و عدم إقرارهم على ذلك إلّا أن يقال بكون الآية بياناً لحال المؤمنين المقرّين بالكتب و الأنبياء. و هذه الآية تشير إلى الأمر الثالث و الرابع من الأمور السابقة.

و قوله تعالى: ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ إلى آخره، أي فمن أعرض من الأُمم بعد تحقّق أمر الميثاق، فهم خارجون عن طاعة الله، و هو كفر؛ لكون الحكم من الأُصول الاعتقادية، و الآية من الشواهد على أنّ الميثاق المذكور لم يكن بين الله و أنبيائه فقط، بل بينه تعالى و بين خلقه، كما حملنا الآية السابقة عليه؛ إذ يبعد وقوع هذا التعبير بالنسبة إليهم خاصّة مع كون الآية التالية أيضاً من تتمّة هذا الكلام.

قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ﴾ إلى آخره. يظهر من الآية الشريفة أنّ المتولّي عمّا آتاه الله من الكتاب و الحكمة للأنبياء، المقصود بها الدين الإلهي، باغ لغير دين الله، و أنّ دينه تعالى هو الإسلام، فمعنى الآية أنّه كيف لم يطلب هؤلاء القوم دين الله الذي هو التسليم له و يبغون غير ذلك، و قد أسلم له تعالى جميع ذوي العقول طوعاً أو كرهاً؟!

إن قلت: ما هو المراد بالإسلام في الآية الشريفة؟ و هل هو دين الإسلام، أو معناه اللغوي؟

قلت: الإسلام هو التسليم، و هو إمّا جبري في مقابل التكوين، أو اختياري في مقابل التشريع.

و الأوّل: عبارة عن خضوع الأشياء و انقيادها على وفق جريان عالم الكون و سيرها في المجرى الذي تقتضيه العلل و الأسباب التكوينية الجارية تحت إرادة الله و أمره، كحركة السيّارات و اختلاف الليل و النهار و جريان الرياح و السحاب المسخّر بين السماء و الأرض و نموّ النباتات و غير ذلك، و لا فرق في [هذا][1] القسم من التسليم بين الجماد و النبات و الحيوان.

---

۱. ما بين المعقوفين أضفناه لمقتضى السياق.

و الثاني: عبارة عن انقياد الموجود المدرك الشاعر في مقابل أوامر الله عن إرادة منه و اختيار، و هذا على قسمين: طوعي و كرهي.

و الأوّل: هو الانقياد عن شوق إلى الطاعة و رغبة.

و الثاني: الانقياد عن خوف العذاب و العقوبة هذا.

و المراد بالإسلام في ما نحن فيه هو التسليم الاختياري في مقابل التكليف بقرينة أنّ الكلام مسوق لتوبيخ الذين تولّوا عن الكتاب و الحكمة و بغوا ديناً آخر، فالكلام في مخالفة التكليف و التسليم في مقابل دون التسليم في مقابل التكوين، مع أنّ جعل موضوع التسليم ذوي العقول ـ كما هو مقتضى كلمة ﴿مَنْ﴾ الموصولة ـ يشهد بذلك، كما أنّ قوله: ﴿وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ يفيد كون الإخبار بالرجوع لبيان محلّ الجزاء، و أنّ الباغي عن الدين و المسلم له طوعاً أو كرهاً مجزيّون بأعمالهم إن خيراً فخير، و إن شرّاً فشرّ، فالكلام في الإسلام التشريعي، و الآية إشارة إلى الأمر الخامس.

قوله: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ إلى آخره. الآية الشريفة تعطي أمر النبيّ الأعظم بالإيمان بالدين الواحد المنزل على الأنبياء، الملازم لتصديق نفس الأنبياء، و لكون الحكم ثابتاً لكلّ لاحق من الأنبياء بالنسبة إلى الماضين منهم، و تفيد أيضاً الأمر بالإذعان بوحدة الرسل، فهي بيان للأمر السادس إلى التاسع ممّا ذكرنا.

و الظاهر أنّ المراد بالأسباط[١] أولاد يعقوب، فتشمل انبياء بني إسرائيل، كيوسف و داود و سليمان و يونس و أيّوب و زكريّا و يحيى و إلياس و غيرهم.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا﴾ إلى آخره. الإسلام لغة هو التسليم[٢] لأمر باطناً و قلباً، أو ظاهراً، و قد يطلق على مجموع الأحكام الأصلية و الفرعية المنزلة من

---

١. قد ذكرنا معنى الأسباط ذيل تفسير الآية ٣٣ من سورة آل عمران (٣).

٢. في اللغة: الإسلام: الانقياد، و أسلم أمره إلى الله: سلّمه و فوّضه. راجع: لسان العرب، ج ١٢، ص ٢٩٣؛ تاج العروس، ج ١٦، ص ٣٥١ (سلم).

قبل الله تعالى، و الدين يستعمل بمعنى الجزاء، كما في قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾،[١] و بمعنى الطاعة، كقوله: ﴿فَادْعُوا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾،[٢] و بمعنى مجموع الأحكام الإلهية بالمعنى المذكور، كقوله: ﴿يا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾.[٣] و قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[٤] إلى آخره.

ثمّ إنّه يمكن أن يكون المراد بالإسلام و الدين هنا معناهما المصدري بمعنى الإسلام[٥] و الطاعة، فالمعنى: من يطلب طاعة غير طاعة الله فلن يقبل منه، لكنّ الظاهر أنّ المراد بالكلمتين هو المجموعة من القوانين الإلهية، و المعنى: من يطلب ديناً و دستورات اجتماعية غير ما أنشأ به الله و أنزله من القوانين فلن يقبل منه.

و قوله: ﴿مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾. استعمال كلمة الخسران يعطي وقوع معاملة يطرأ عليها الربح تارة و الخسران أُخرى، و الأمر في ما نحن فيه كذلك؛ فإنّ العمل بالدين عبارة عن عمل الجوانح و الجوارح، و كلّ العمل سلعة[٦] و متاع يبيعها المؤمن من ربّه، و الثمن هو الجنّة، كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ۝ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[٧] إلى آخره.

و قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[٨] إلى آخره، فالمؤمنون ربحت تجارتهم، و الكافرون أبطلوا بكفرهم المبيع كلّه، فحبطت أعمالهم، و خسروا خسراناً مبيناً، فلا يقيم الله لهم يوم القيامة وزناً.[٩]

---

١. الفاتحة (١): ٤. ٢. غافر (٤٠): ١٤.
٣. البقرة (٢): ١٣٢. ٤. التوبة (٩): ٣٣؛ الفتح (٤٨): ٢٨؛ الصفّ (٦١): ٩.
٥. كذا في الأصل.
٦. السلعة، بالكسر: ما تُجِر به، و المتاع. لسان العرب، ج ٨، ص ١٦٠ (سلع).
٧. الصفّ (٦١): ١٠ و ١١. ٨. التوبة (٩): ١١١.
٩. اقتباس من قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَ لِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً﴾. الكهف (١٨): ١٠٥.

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَـهِدُوٓا أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ○ أُولَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ○ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْـعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ○ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

التفسير

الاستفهام إنكاري، و الغرض النفي و إياس النبيّ الأعظم من هدايتهم، و المراد بالايمان هنا الإذعان قلباً، و بالشهادة الإقرار لساناً، و فعل ﴿شَهِدُوٓا﴾ معطوف علـى الايـمان بتأويل الفعل مصدراً، أو المصدر فعلاً، و المعنى: بعد إيمانهم و شـهادتهم، أو بـعد أن آمنوا و شهدوا، و ذكر مجيء البيّنات لبيان كون إيمانهم و شهادتهم ناشئين عن حجّة و برهان، لا عن غفلة و جهالة، و المراد بالبيّنات الحجج العقلية القائمة على التوحيد و سائر الأُصول العقلية، كالآيات الأنفسية و الآفاقية الحاكية عن التوحيد و المـعاد، و الحجج النقلية، كالكتب النازلة على الأنبياء و المعجزات الصادرة منهم.

ثمّ إنّه يمكن أن يتوهّم أنّه كيف نفى الله الهداية عن القوم مع العلم بثبوتها في حقّهم؛ فإنّ الكتاب الهادي و المعجزات المثبتة لمؤدّاها لم ينقطعا عنهم، لكن نقول: إنّ الهداية ـ على ما عرفت سابقاً ـ على أقسام: عامّة تكوينية، و عامّة تشريعية، و خاصّة تكوينية، و خاصّة تشريعية.

---

١. آل عمران (٣): ٨٦ ـ ٨٩.

و الأُولى هي هداية الله تعالى كلّ حيوان حيّ، أو كلّ موجود حيّ، إلى ما هو صلاحه في بقائه و إدامة وجوده، كما قال موسى: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[1] و قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[2].

و الثانية: هي إنزال الكتب هادية إلى الحقّ و إرسال الرسل داعين إلى الصدق، و الهدايتان عامّتان شاملتان، لا فرق فيهما بين المؤمن و الكافر و الصغير و الكبير، و هما لا تنقطعان عن الحيّ حتّى يهلك و ينعدم.

و الثالثة: هي توفيق الله الشامل لحال عباده و تهيئة أسباب الخير و صالحات العقائد و الأعمال.

و الرابعة: الإلهامات الغيبية و الإلقاءات الملكية في قلوب المؤمنين لإراءة طريق السعادة و الخيرات، و هاتان الهدايتان تنقطعان عن المرتدّ بعد ارتداده، فلا يوفّقهم الله للخيرات، و لا يلهمهم طريق الوصول إليها.

قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى﴾ إلى آخره. الجملة مسوقة كبيان كون الكافر ظالماً غير جدير للهداية، و المراد أنّه ظالم لربّه و لرسوله و ظالم لدينه و للحجج الواقعة في طريق إثبات الدين.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ إلى آخره. اللعنة قد يراد بها السخط و الغضب، فتكون من الصفات، و قد يراد بها الطرد و الإبعاد، فتكون من الأفعال، و قد تستعمل في الإنشاء، فمعناه إنشاء السخط، أو الطرد، نظير الأمر و النهي و التمنّي و الترجّي الإنشائيّات، و على هذا فقد ينشئ القائل لعن أحد من ناحية نفسه، فيقول مثلاً: لعنة الله على زيد، و قد ينشئ اللعن من نفسه و غيره، فيقول: لعنة الله و الملائكة على زيد، و هذا كما في إنشاء الصلاة و السلام على أحد، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾.[3]

---

١. طه (٢٠): ٥٠.
٢. الأعلى (٨٧): ٢ و ٣.
٣. البقرة (٢): ١٥٧.

﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.[١]

﴿وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾.[٢]

﴿وَ سَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلينَ﴾.[٣]

﴿سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[٤].

و قد يقال: إنّ اللعن من المخلوق بمعنى الدعاء و طلب اللعنة من الله في حقّ من يلعنه، و حينئذ فقوله: ﴿أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّـهِ﴾ إن كان جملة إنشائية فمعناها إنشاء الله السخط و الطرد لهم من قبل نفسه و ملائكته و عباده، و إن كانت إخبارية فمعناها الإخبار بتحقّق تلك الصفة أو الفعل من الله تعالى و ملائكته و الناس بالنسبة إليهم.

و الظاهر أنّ المراد بالناس هنا المؤمنون و إن كان قد يقال بالعموم؛ فإنّ الكافر أيضاً يلعن الظالم و المنحرف عن الحقّ و إن لم ير انطباقه على نفسه.

قوله: ﴿خَالِدِينَ فيهَا﴾، أي في اللعنة؛ فإنّ سخط الله لهم أو إبعاده مستمرّ دائم في الدنيا و الآخرة إذا ماتوا كذلك، فلا تخفيف و لا إمهال و لا إنظار.

و قد وقع التصريح بعدم تخفيف العذاب عن الكفّار في موارد من الكتاب الكريم، قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ○ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾[٥]؛

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾[٦]؛

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾[٧].

قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تابُوا﴾ إلى آخره. التوبة هي الرجوع، و توبة العبد من الذنب

---

١. الصافّات (٣٧): ٧٩.
٢. الأنبياء (٢١): ٦٩.
٣. الصافّات (٣٧): ١٨١.
٤. يس (٣٦): ٥٨.
٥. البقرة (٢): ١٦١ و ١٦٢.
٦. فاطر (٣٥): ٣٦.
٧. غافر (٤٠): ٤٩.

كفّه عنه؛ لقبحه، و يتحقّق جوهرها في العبد بأمرين: الندم على ما مضى، و العزم على عدم العود في ما يأتي، قال الراغب:

و هو أبلغ وجوه الاعتذار؛ فإنّ الاعتذار على ثلاثة أوجه: إمّا أن يقول المعتذر: لم أفعل، أو يقول: فعلت لأجل كذا، أو فعلت و أسأت و قد أقلعت.[۱] و هذا الأخير هو التوبة[۲]، إلى آخره.

ثمّ إنّك عرفت أنّ توبة العبد تقع دائماً بين توبتي الربّ، فهو تعالى يرجع إلى عبده بالإحسان حتّى ينتبه العبد بقبح ما فعل و لزوم الرجوع و الانقلاع عنه، فإذا رجع و ندم رجع الله إليه ثانياً بقبوله و ستره ما مضى و تكفيره له و بذل رحمته في ما يأتي؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾،[۳] و قال: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾[٤].

و أثر توبة العبد إزالة استحقاق العقاب و اللوم و حصول القرب إلى الله جبراً للبعد الحاصل بالذنب، فالتوبة مكفّرة و مطهّرة، و هي أتمّ المكفّرات و أبلغها؛ فإنّها تكفّر الصغيرة و الكبيرة حتّى الكفر و الشرك من حين حصول الذنب إلى ما يقرب من الموت.

و ليعلم أنّ المكفّرات كثيرة، نشير هنا الى بعضها بنحو الإجمال:

فمنها: الحسنات؛ فإنّها تكفّر الذنب و تمحوه، و الظاهر أنّ ذلك من لوازم طبيعة الحسنة و آثارها، فكلّ حسنة تؤثّر في تكفير شيء من السيّئات؛ و إن لم يعلم مقداره، و هذا بخلاف الحبط الموجود في السيّئات؛ فإنّه لا عموم له، بل هو من آثار بعض الخطايا المخصوصة، كالحسد و الغيبة و البهت و نحو ذلك، فالكلّيّة ثابتة في ناحية التكفير، و لا كلّية في ناحية الحبط؛ قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[٥].

---

۱. في المصدر: + «و لا راجع لذلك».

۲. المفردات للراغب، ص ۷٦ (توب).

۳. التوبة (۹): ۱۱۸.

٤. المائدة (٥): ۳۹.

٥. هود (۱۱): ۱۱٤.

و منها: المصائب؛ فإنّ المستفاد من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[١] أنّ المصائب الواردة للإنسان إنّما هي عقوبة للذنوب الصادرة عنه، فتكون كفّارة لها و سبباً لغفرانها.

إن قلت: كون المصائب عقوبةً غيرُ ملازم لكونها مكفّرة مسقطة للاستحقاق، فلعلّها عقوبة عجّلت للمذنب قبل العقوبة الأُخروية.

قلت: كلّا، إنّه قد ورد في الأخبار المعتبرة أنّ الله تعالى أجلّ من أن يعاقب عبده بذنب واحد مرّتين،[٢] فالمصائب إحدى المكفّرات إلّا أنّ حدود التكفير و مقداره غير معلوم لنا، هذا و لكنّ الإنصاف إمكان القول بكون ذلك من قبيل تشديد العقوبة، و هو غير منفيّ.

و منها: الحدود و التعزيرات، و فيها ورد أنّ الله لا يعذّب مرّتين بذنب واحد.[٣]

و منها: ترك الكبائر من الذنوب؛ فإنّه كفّارة للصغائر الصادرة من المؤمن، كما أنّ ترك الكبائر و المواظبة على الاجتناب عنها تكفّر ما يقع أحيانا و ندرة و لو كان كبيرة؛ قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾[٤]، أي سيّئاتكم الصغائر، و قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾[٥]، و في الحديث أنّ اللمم ما يصدر عن العبد ندرة، فكأنّه ينزل عليه في بعض الأحوال.[٦]

و منها: دعاء المؤمن في حقّ غيره من المؤمنين بالغفران؛ فإنّها مكفّرة لذنب المدعوّ له، و في الحديث أنّ الدعاء سبب للمغفرة.[٧]

و منها: دخول الأيّام المتبرّكة، كالأعياد الدينية و شهر رمضان و ليلة القدر و غيرها؛

---

١. الشورى (٤٢): ٣٠.
٢. راجع: المحاسن، ج ١، ص ٧، ح ١٨؛ الكافي، ج ٢، ص ٤٤٣، باب في أنّ الذنوب ثلاثة، ح ١ و ٢.
٣. نقل بالمعنى. راجع: الكافي، ج ٧، ص ٢٦٥، باب النوادر، ح ٢٧.
٤. النساء (٤): ٣١.
٥. النجم (٥٣): ٣٢.
٦. نقل بالمعنى. راجع: الكافي، ج ٢، ص ٤٤١ و ٤٤٢، باب اللمم، ح ١ ـ ٦.
٧. نقل بالمعنى. راجع: الكافي، ج ٢، ص ٥٧٩، باب دعوات موجزة لجميع الحوائج للدنيا و الآخرة، ح ٨.

فإنّه قد وردت أحاديث كثيرة أنّ الله يعتق فيها و لبركتها أقواماً كثيرة من النار، و يفكّ أعناقاً من العذاب[1] و هذا هو التكفير.

و منها: كبر سنّ المؤمن و دخوله في سنى الهرم؛ فإنّه أيضاً مكفّر لذنوبه في الجملة كما في الحديث، و إن لم نعلم حدود ما يكفّره الله به.

و منها: سكرات الموت و غمراته؛ فإنّها تكفّر شيئاً من المعاصي لم نعلم مقداره.

و منها: الشفاعة، فإنّه لا إشكال في تحقّقها في الآخرة، و هي ثابتة للأنبياء و الأئمّة و الملائكة المقرّبين و المؤمنين بإذن الله، و هم يشفعون لمن ارتضى الله دينه،[2] و قد ادّخر نبيّنا الأعظم ﷺ شفاعته لأهل الكبائر من أمّته.[3]

و منها: رحمة الله الواسعة و فضله العميم، فيغفر لمن يشاء، و يعذّب من يشاء، و لا يحدّ غفرانه بحدّ، و لا يقيّد بمحلّ التوبة و غيرها من المكفّرات؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[4]، و الآية غير مقيّدة بالتوبة بقرينة عدم غفران الشرك، فالمعنى: و يغفر لمن يشاء و لو لم يكن قد تاب منه، أو حصل من المذنب سائر المكفّرات.

ثمّ إنّه ينبغي التنبيه في باب التوبة على أمور:

الأوّل: أنّ التوبة موضوعها مخالفة الله؛ فإنّها في الاصطلاح عبارة عن الرجوع من الذنب إلى الطاعة، و أمّا أداء حقوق الناس فلا دخل له في حقيقتها، نعم قد يكون ذلك من لوازم التوبة، كما يكون غيره أيضاً منها.

---

١. الكافي، ج ٤، ص ٦٥ـ٦٨، باب فضل شهر رمضان، ح ١ـ٧.

٢. اقتباس من قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾. الأنبياء (٢١): ٢٨.

٣. اقتباس من قوله ﷺ: «ادّخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي». راجع: التبيان، ج ١، ص ٢١٣؛ مجمع البيان، ج ١، ص ٢٢٣، ذيل الآية ٤٨ من سورة البقرة (٢)؛ الجامع لأحكام القرآن، ج ٥، ص ١٦١، ذيل الآية ٣١ من سورة النساء (٤).

٤. النساء (٤): ٤٨ و ١١٦.

و بالجملة حقيقة التوبة يتحقّق بحصول الندم، فتارة لا يحتاج إلى غيره حتّى العزم على العود أيضاً كما في الندم عن الذنب مع عدم القدرة عليه في المستقبل، و أُخرى يحتاج إلى العزم أيضاً، كما في الذنب الذي يقدر على العود إليه، و ثالثة يحتاج إلى إضافة أمر ثالث، كالقضاء في الصلوات المتروكة عمداً و كإتلاف مال الغير عمداً المستلزم لأداء البدل، و رابعة يحتاج الى أمر رابع، كالكفّارة في الصوم الذي أفطره عمداً و كالقتل عمداً؛ فإنّه يحتاج إلى تسليم النفس للقصاص، و الكفّارة الجامعة للخصال الثلاث.

و أمّا فعل ما يشغل الذمّة بحقّ الناس فقط من غير تحقّق الذنب، كإتلاف مال الغير خطأً و القتل كذلك، فلا محلّ للتوبة فيه، نعم أداء حقّ الغير واجب، فلو تركه كان عصياناً محوجاً إلى التوبة.

و يمكن أن يقال: إنّ التوبة أمر انتزاعيّ ينتزع من تحقّق ما ذكر في تلك الموارد، ففي مورد ينتزع من أمر واحد و هو الندم، و في آخر من أمرين، و في ثالث من أُمور ثلاثة و هكذا، و لا يبعد القول بوجود كلا الإطلاقين له.

الثاني: يظهر من بعض الآيات أنّ التوبة مقبولة إذا كان الذنب صادراً عن جهل، ففي غير الصورة لا تقبل التوبة، قال تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[١]؛

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢]؛

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

---

١. النساء (٤): ١٧. ٢. الأنعام (٦): ٥٤.
٣. النحل (١٦): ١١٩.

فإنّ الجهالة إمّا بمعناه الحقيقي، و هو عدم العلم اللازم تقييده حينئذ بالجهل التقصيري؛ إذ لا ذنب لمن عمل بالسوء جاهلاً به قاصراً في جهله، فمفاد الآيات أنّ قبول التوبة إنّما هو في الذنب الصادر عن جهل، دون الصادر عن علم و عمد، و إن كان معنى الجهالة السفاهة، أي العمل الصادر عن غلبة الهوى و الشهوات بحيث نزل علمه عند العقلاء منزلة الجهل، فصار صاحبه كالجاهل، لزم أيضاً تقييد مطلقات الآيات بهذه الصورة.

و الجواب: هو ما يقال في المقام: إنّه يمكن دعوى كون قيد الجهالة توضيحيّاً بمعنى أنّ السوء لا يصدر من الإنسان إلّا عن جهالة، لا بمعنى الجهل بالحكم أو الموضوع الرافع للتكليف، بل بمعنى الغفلة عن عظمة الخالق و عن مفاسد المخالفة و المضارّ المترتّبة عليها في الدنيا و الآخرة؛ إذ لا إشكال في أنّ العارف بجميع جهات الحكم لا يقدم على المخالفة، فالعامل بالسوء لا يعمله إلّا بجهالة.

الثالث: يظهر من بعض الآيات أنّ التوبة تقبل إذا صدر بعد الذنب بلا فصل، أو بغير فصل طويل، و إذا أخّر العبد التوبة إلى أواخر العمر فلا تقبل فيها، قال تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ كَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1]؛

﴿وَ لَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾[2].

و الجواب: أنّ المراد بالقريب هو ما قبل حضور الموت، و يشهد بذلك مقابلة القرب بقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ مع أنّ إطلاق الآيات و الأخبار الواردة في باب التوبة، المحدّدة زمانها بحضور الموت، كافية في كشف المراد من الآيتين.

الرابع: قيل: إنّ التوبة إنّما تؤثّر في تكفير الذنوب غير الشرك، و أمّا الشرك فلا تنفع في تكفيره التوبة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ

---

۱. النساء (٤): ١٧.
۲. النساء (٤): ١٨.

وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[١].

و الجواب: أنّ مقايسة الآيتين مع إطلاقات التوبة الشاملة لكلّ ذنب حتّى الكفر و الشرك تحوجنا إلى أحد أمرين:

أحدهما: تقديم ظهور الآيتين و تقييد إطلاقات قبول التوبة بغير الشرك.

و الثاني: تقديم تلك الظواهر و تقيد الآيتين بغير حال التوبة، و المعنى أنّ في صورة عدم تحقّق التوبة من العبد لا يغفر الله منه الشرك، و يغفر غير ذلك لمن يشاء، سواء في ذلك حال حياته و بعد مماته، و هذا أرجح، بل متعيّن بالنظر إلى روايات كثيرة واردة في قبول التوبة إلى حين حضور الموت و معاينة العبد بعض حالات عالم البرزخ.[٢]

الخامس: قد يستشكل في تشريع التوبة بأنّها سبب لتجرّي الناس على المعاصي؛ إذ بعد ما علم من سعة دائرتها و شمولها للمعاصي الصغيرة و الكبيرة في جميع أيّام العمر، تستلزم جرأة الإنسان على العصيان و وسيلة لتسلّط الشيطان.

و الجواب: أنّ تشريع كلّ حكم تابع للملاك الغالب، فربّ واجب فيه مفسدة مغلوبة لمصلحته، فاللازم حينئذ تشريع الإيجاب، كما أنّ الحرام أيضاً قد يكون فيه مصلحة مغلوبة لمفسدته، فالحكم هو الحرمة لا محالة، ففي المقام لو فرضنا عدم تشريع التوبة للمعاصي و عدم عفوه تعالى عن أيّ جرم و عصيان حتّى الصغائر من الذنوب، فمعنى ذلك أوّلاً عدم قبول الإسلام من أحد الكفّار و [ثانياً][٣] عدم الإذن لدخولهم في الدين، فيكون ذلك نقضاً للغرض من تشريع الشريعة و إرسال الرسل و إنزال الكتب، فمن البيّن أنّ اللازم عقلاً على مشرع الشريعة قبول توبة من تاب عن كفره و ضلاله.

ولو فرضنا الكلام في غير الكفر و الشرك، بل في توبة المؤمن عن معاصيه الفرعية صغارها و كبارها، فعدم القبول فيها يكون سبباً ليأس المجرم من رحمة الله و تجرّيه

---

١. النساء (٤): ٤٨.

٢. راجع: وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٨٦ ـ ٩١، الباب ٩٣ من أبواب جهاد النفس.

٣. ما بين المعقوفين أضفناه لمقتضى السياق.

على ما وقع فيه من المعصية و غيره و على الإصرار و الاستمرار، بل قد ينجرّ ذلك إلى الخروج عن الدين، مع ملاحظة أنّ أغلب أفراد المكلّفين يبتلي بالمعصية لا محالة، فهذه المفسدة ـ ؛ أعني تجرّي العاصي على دوام العصيان، أو على الخروج عن الدين ـ أكثر و أقوى من مفسدة التجرّي الحاصلة من تشريع التوبة.

مع أنّ مسألة العفو عن الذنب أمر عقلائي و سنّة جارية بينهم، يعملون بها و لا ينكرونها، فكيف يكون منكراً من الرؤوف الرحيم الذي كتب على نفسه الرحمة؟![۱] مع أنّ عدم علم الإنسان بالتمكّن من التوبة و احتمال فوتها عنه بنسيانها أو الموت فجأة، مانع عن التجرّي في الجملة.

---

۱. اقتباس من قوله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾. الأنعام (٦): ١٢ و ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾. الأنعام (٦): ٥٤.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ○ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُولَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾[1].

التفسير

هنا أبحاث

الأوّل: أنّ الكفر بعد الايمان هو الذي يسمّى في علم الفقه ارتداداً، و له أحكام كثيرة و آثار دنيوية و أُخروية، لم تتعرّض الآية الشريفة لبعضها، و إجمال الكلام فيها أنّ المرتدّ إن كان أحد أبويه أو كلاهما مسلماً عند انعقاد نطفته و حكم بإسلامه لذلك، ثمّ ارتدّ بعد كبره، يسمّى مرتدّاً فطريّاً، و إن كان أبواه كلاهما كافراً فحكم بكفره، ثمّ أسلم بعد البلوغ، ثمّ ارتدّ عن الإسلام يسمّى مرتدّاً ملّياً، و على التقديرين فهو إمّا رجل أو امرأة.

أمّا المرتدّ الفطري فقد رتّب عليه أحكام: استحقاقه القتل، فيجب على الحاكم، أو لكلّ من اطّلع على حاله قتله، و بينونة زوجته منه و لزوم اعتدادها عدّة الوفاة، و خروج أمواله عن ملكه و انتقالها إلى ورثته المسلمين، و نجاسة بدنه، و عدم صحّة العبادة منه، و حرمة تزويجه المسلمة، و جواز أخذ ما اكتسبه من المال بدون رضاه و غير ذلك، ثمّ إنّه إذا تاب بعد ذلك لم تتغيّر الأحكام الثلاثة الأُول، و يتغيّر الباقي، فيصير بالنسبة إليها مثل المسلم، فتوبة الفطري غير مقبولة من جهة و مقبولة من أُخرى.

---

١. آل عمران (٣): ٩٠ و ٩١.

و أمّا المرتدّ الملّي فينظر ثلاثة أيّام و يستتاب فيها، فإن تاب، و إلّا قتل، و تعتدّ زوجته من حين ارتداده، فإن تاب كان أحقّ بها، و لا تخرج أمواله عن ملكه، تاب، أم لم يتب، نعم لو قتل ورثها المسلم من ورّاثه.

و أمّا المرتدّة الفطرية و الملّيّة فلا قتل لهما، بل تحبسان و تستتابان، فإن لم تتوبا خلّدتا في السجن، و لا تخرج أموالهما عن ملكهما.

الثاني: أنّه يفهم من الآية أنّ الوجه في عدم قبول التوبة هنا هو ازدياد الكفر، فيتوجّه سؤال أنّه ما هو معنى ازدياد الكفر؟ و كيف يكون ذلك؟

فنقول: إن قلنا بأنّ الكفر ـ و هو الإنكار ـ مفهوم ذو مصاديق؛ فإنّ منها الإنكار قلباً، و منها الكفر لفظاً، و منها الكفر عملاً، كقتل النبيّ و الوصيّ و الخروج على الإمام و إلقاء المصحف في النار أو النجس و غير ذلك، و نعوذ بالله منها، فازدياده يكون في الكمّية، كمن أنكر قلباً، ثمّ لفظاً، ثمّ عمل ما يكون كفراً في الكمّية، و هو واضح.

و إن قلنا بأنّه أمر قلبيّ فيمكن أن يكون أيضاً، كجحد الأُصول في القلب متدرّجاً، و أن يكون في الكيفيّة؛ فإنّ الجحد القلبيّ ظلمة و قسوة و رين في القلب، كما أنّ الإيمان نور و ضياء فيه، فازدياده يكون في الشدّة و الضعف، و ما به الازدياد هو العمل المحرّم من صغائر الذنوب و كبائرها، فكما أنّ القلب يستضيء بنور الإيمان و يشتدّ و يتقوّى بالعمل الصالح، فكذا يظلم بالكفر و يتقوّى بالسيّئات حتّى يصل إلى الطبع و الختم و الرين.

الثالث: أنّ ظاهر الآية الشريفة عدم قبول توبة الكافر الذي ازداد كفره، و لكنّ الذي دلّت عليه إطلاقات الأدلّة من الآيات و الأخبار قبولها إلى قرب الموت، بل إلى حضوره بمشاهدة الميّت من آثار الآخرة ما لم يشاهده الأحياء، فيحصل التنافي بين الآيات.

و لو قيل بأنّ فنّ الاستدلال الأُصولي يقتضي تقييد الإطلاقات، فكلّ توبة مقبولة إلّا التي وقعت بعد ازدياد الكفر، فلا منافاة.

قلنا: لا إشكال في دلالة الأخبار بنحو الصراحة على قبولها إلى زمان حضور

الموت مطلقاً حتّى ممّن زاد في كفره، فراجع أخبار البـاب،[١] و لذلك أوّل المـفسّرون ظاهر الآية إلى أنّ المراد عدم تمشّي التوبة ممّن ازداد الكفر حقيقة و أنّه يمنعه كفره ذلك عن الرجوع التامّ و الندم الحقيقي، فلا يتحقّق إلّا التوبة الظاهرية و بنحو النفاق،[٢] و هذا غير بعيد، و لعلّ إليه يشير قوله تعالى في ما بعده: ﴿وَأُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾، أي حتّى حال توبتهم و بعد وقوعها، و لازم ذلك كون التوبة عن نفاق خوفاً، أو رياء، أو لغيرهما.

الرابع: أنّه يظهر من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ إلى آخـره، أنّ الكافر إذا لم يتب عن كفره في الدنيا، فلا مخلص له من شديد العذاب و أليم العقاب في الآخرة، و قد ذكر في الآية أمران ممّا يتوسّل به أهل الدنيا لنجاتهم عن الحوادث و الكوارث:[٣] المال المفدى به للاستخلاص، و الناصر الشافع في الإنجاء، و يلازم ذلك أنّه لا ينفعه أعماله الدنيوية لو فرضنا صدور الخيرات منه، و هذا هو المسمّى بالحبط، فهاهنا أمران، نتعرّض لهما إجمالاً:

الأوّل: أنّ الكافر معذّب في الآخرة و أنّه لا ينفعه الفداء و الشفيع.

الثاني: أنّه لا تنفعه أعماله الصالحة لحبطها و بطلانها، و حيث إنّ موضوع الحكمين عنوان الكافر، سواء أكان كفره بعد الايمان، أم كان أصليّاً، فينبغي أوّلاً[٤] التـوجّه إلى معنى الكفر، و المعروف منه عند الشارع و المتشرّعة أنّه عبارة عمّن أنكر شيئاً مـن أُصول الدين، أو فروعه إذا رجع إلى إنكار أُصوله، و يدلّ عليه في الجملة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَ يرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ أُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[٥].

---

١. خرّجناه في الصفحة ٣٨٩.

٢. راجع: التبيان، ج ٢، ص ٥٢٧؛ مجمع البيان، ج ٢، ص ٣٤٠؛ الكشّاف، ج ١، ص ٤٤٣.

٣. الكوارث: جمع الكارثة، و هي المسبّبة الغمّ الشديد، يقال: كرثه الأمر، إذا غمّه و أثقله و كرثه الأمر، إذا ساءه و اشتدّ عليه و بلغ منه المشقّة. راجع: لسان العرب، ج ٢، ص ١٨٠ (كرث).

٤. قوله ﷺ: «أوّلاً»: يعني ابتداءً.

٥. النساء (٤): ١٥٠ و ١٥١.

و قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[1] و غيرهما من الآيات الكثيرة التي يستفاد من مجموعها المعنى المذكور.

أمّا الأمر الأوّل فالآية المبحوث عنها تدلّ بصريحها على عذابهم في الآخرة و على عدم قبول الفدية منهم، فلا ينفعهم المال، و على عدم الناصر لهم، فلا تنفعهم الشفاعة، و يقرب منها في الدلالة قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾[2].

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾[3].

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[4].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[5].

﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾[6].

في المنافقين: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[7].

﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾[8].

---

١. النساء (٤): ١٣٦.
٢. محمّد ﷺ (٤٧): ٣٤.
٣. يونس (١٠): ٥٤.
٤. الرعد (١٣): ١٨.
٥. المائدة (٥): ٣٦.
٦. المعارج (٧٠): ١١ ـ ١٧.
٧. الحديد (٥٧): ١٥.
٨. الأعراف (٧): ٥٣.

﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ○ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ○ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[1].

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[2].

و أمّا الأمر الثاني ـ ؛ أعني عدم نفع أعمالهم الصالحة لحالهم ـ فنقول في توضيحه: إنّ الخيرات الصادرة من الإنسان على أقسام؛ فإنّها إمّا أن تصدر منه حال إيمانه، أو في حال كفره، و على كلّ تقدير فإمّا أن يموت مؤمناً، أو يموت كافراً. لا إشكال في القسم الأوّل؛ أعني الصادرة منه حال إيمانه مع الموافاة عليه، و أمّا سائر الأقسام فمقتضى الآيات عدم نفع العمل الصادر حال الكفر، مات عليه أو على الايمان، كما أنّ مقتضى الآيات بطلان عمل من مات على الكفر، صدر منه عمله حال كفره أو حال إيمانه. فهنا دعويان:

الأُولى: بطلان العمل حال الكفر.

الثانية: بطلان عمل من مات على الكفر. و تدلّ على الأُولى آيات:

فمنها قوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾[3].

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾[4].

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾[5].

﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُولَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾[6].

و أمّا الثانية فتدلّ عليها الآيات التالية:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[7].

---

١. المدّثّر (٧٤): ٤٦ـ٤٨.
٢. غافر (٤٠): ١٨.
٣. النساء (٤): ١٢٤.
٤. الأنبياء (٢١): ٩٤.
٥. الإسراء (١٧): ١٩.
٦. طه (٢٠): ٧٥.
٧. الأعراف (٧): ١٤٧.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾، ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[1].

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[2].

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ○ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3].

﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[4].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ○ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[5].

و قد مثّل الله تعالی لأعمال الكفّار بأمثلة، فلاحظ الآيات التالية:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾[6].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[7].

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[8].

﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾[9].

---

۱. التوبة (۹): ۶۸ و ۶۹.
۲. الكهف (۱۸): ۱۰۵.
۳. هود (۱۱): ۱۵ و ۱۶.
۴. البقرة (۲): ۲۱۷.
۵. محمّد ﷺ (۴۷): ۸ و ۹.
۶. إبراهيم (۱۴): ۱۸.
۷. النور (۲۴): ۳۹.
۸. النور (۲۴): ۴۰.
۹. البقرة (۲): ۲۶۴.

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[١].

فالمشبّة في الآيات الأربع أعمالهم الحسنة، و في الآية ٤٠ من النور أعمالهم السيّئة، فشبّه الله في سورة إبراهيم أعمالهم بالرماد الواقع في مهبّ الريح العاصف، فلا يبقى من ذلك [شيء][٢]، فالنتيجة أنّهم لا يقدرون منها على شيء، و هذا يشمل جميع أعمالهم الصالحة بذاتها، و في سورة النور بسراب يتراءى في القيعان[٣] و يتخيّل أنّه ماء، و ذكر الظمآن لأجل كون تخيّل الماء منه أقوى من غيره، و هو مع ذلك ساع في الوصول إليه، و هذا حال الكافر بالنسبة إلى أعماله.

و قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾ يمكن أن يكون من تتمّة المثال أو بياناً لحال الممثّل الكافر؛ فإنّ مجيئه إلى عمله عبارة عن موته و وروده إلى عالم الآخرة، فلم يجد عمله و وجد الله مالكاً لذلك اليوم، موفّياً حساب الخلق.

و شبّه تعالى في سورة البقرة نفس من أنفق المال رياء و من لا يؤمن بالله و اليوم الآخر بالصفوان، و هو الأحجار الصافية الملساء،[٤] و شبّه أعمالهم بالتراب الموجود عليها، فإذا نزلت عليها الأمطار الشديدة ذهب التراب بالكلّيّة، فتبقى صلداً[٥] صافياً لا تراب عليه.

و شبّه تعالى في سورة آل عمران انفاق الكافر الذي هو مثال لسائر ما يصدر منه من الخيرات، بالحرث الذي أصابته ريح فيها شدّة و برودة، فأذهبته و أفنته و أهلكته، فلم يبق فيه ما ينفعهم، و التقييد بكون الحرث للقوم الظالمين لاجل أنّ غضب الإهلاك فيهم أشدّ.

---

١. آل عمران (٣): ١١٧.

٢. ما بين المعقوفين أضفناه لمقتضى السياق.

٣. القِيعانُ: جمع القاع، و هو ما انبسط من الأرض، و فيه يكون السراب نصف النهار. و هو من الواو، صارت الواو ياء؛ لكسرة ما قبلها. لسان العرب، ج ٨، ص ٢٠٤ (قوع).

٤. راجع: المصباح المنير، ص ٣٤٤ (صفو).

٥. حجر صَلْدٌ: صلب أملس. الصحاح، ج ٢، ص ٤٩٨ (صلد).

و الآية الثانية في سورة النور تفيد تشبيه أعمالهم السيّئة من كفرهم و عقائدهم الفاسدة و رذائل أخلاقهم و عاداتهم و معاصيهم البدنية ـ بظلمات البحر الزاخر[1] و الأمواج المتراكمة و السحاب الحائل المانع عن ضوء الشمس و نور القمر و الكواكب، فالإنسان المفروض في قعر البحر يكون في ظلمات ثلاث، فهو لا يرى شيئاً حتّى يده التي يقربها من عينه، فالكافر واقع في ظلمات عقائده و أخلاقه و أعماله، فلا يمكن أن يرى شيئاً من حسناته و إن كانت قريبة منه؛ لصدورها منه.

ثمّ إنّ ظاهر الآيات إفادة العموم في الأعمال حتّى آية البقرة؛ لمكان الجمع المضاف ﴿أَعْمَـٰلُهُمْ﴾ و وقوع الجنس في النفي: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾، فلا دليل حينئذ على كون عملهم نافعاً في حقّهم، و هذه الآيات بمثابة التوضيح للحبط المذكور في الآيات السابقة بالأمثلة الموضحة المبيّنة للمقصود.

إن قلت: إنّ الآيات المذكورة تعارضها آيات أُخر تدلّ على عدم خلوّ العمل الصالح الصادر من الإنسان عن ثواب و جزاء، فلاحظ قوله تعالى:

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ○ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ○ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾[2]؛

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾[3]؛

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾[4]؛

﴿إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾[5]؛

﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[6]؛

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾[7]؛

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾[8].

---

۱. البحر الزاخر: الممدود، الكثير الماء و المرتفع الأمواج. لسان العرب، ج ٤، ص ٣٢٠ (زخر).

۲. النجم (٥٣): ٣٩ ـ ٤١.
۳. الزلزلة (٩٩): ٧.
٤. آل عمران (٣): ٣٠.
٥. الإنسان (٧٦): ٢٢.
٦. الكهف (١٨): ٤٩.
٧. طه (٢٠): ١٥.
٨. الإسراء (١٧): ١٩.

قلت: بعض هذه الآيات يدلّ على أنّ العامل يرى عمله، أي يطّلع و يقف عليه، و لا تعرّض فيه للجزاء، فيكون مدلوله نظير قوله تعالى: ﴿مَا لِهَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾[1] و بعضها الآخر و إن كان يدلّ على المجازاة، فكلّ عمل صالح له جزاء و ثواب، و كلّ عمل سيّئ له عقاب، إلّا أنّ نسبة هذه الطائفة إلى ما ذكر من أدلّة اشتراط الإيمان و أدلّة الحبط نسبة المطلق إلى المقيّد و العامّ إلى الخاصّ، أو المحكوم إلى الحاكم، فينتج الجمع بينها أنّ كلّ عمل صالح له جزاء إذا قارن صدوره الإيمان، و لم يحصل ما يكون سبباً لحبطه من الكفر و الشرك، هذا مقتضى العمل بـالأدلّة فـي مرحلة الإثبات.

و أمّا مرحلة الثبوت فيكون النتيجة القول بكون تأثير الخيرات و الصالحات فـي المثوبة بنحو الاقتضاء، و العلّيّة الناقصة المحتاجة في فعلية الأثر إلى تحقّق الشرائط و فقد الموانع، فإذ لا إيمان حين العمل فلا شرط، و إذا ارتدّ بعد الإيمان و مات عليه فقد وجد المانع أو الرفع، فلا مسبّب.

و هذا نظير ما يقال في عكس المسألة، و هو مقايسة إطلاقات أدلّة السيّئات، أو عموماتها المقتضية لتأثيرها في العقوبة بنحو العلّيّة التامّة، كقوله:

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ○ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ○ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[2]؛

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا﴾[3]؛

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾[4]؛

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[5].

﴿وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾[6]؛

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[7]؛

---

١. الكهف (١٨): ٤٩.
٢. النازعات (٧٩): ٣٧ ـ ٣٩.
٣. النساء (٤): ١٤.
٤. النساء (٤): ٩٣.
٥. البقرة (٢): ٢٧٥.
٦. البقرة (٢): ٢٧٥.
٧. النساء (٤): ١٠.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۞ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ﴾[١].

فمقتضى الجمع بينها و بين أدلّة قبول التوبة، أو وقوع الشفاعة القول بكون تلك الأدلّة مقيّدة، أو مخصّصة، أو حاكمة على هذه الآيات، و مآله القول بكون مؤدّى هذه الآيات بنحو الاقتضاء الناقص لا العلّية، و هاهنا أمر ينبغي التنبيه عليه، و هو أن الكفّار ينقسمون إلى طوائف: فمنهم من كفر على علم بالله و بدينه عناداً و تعصّباً، و منهم من كفر عن جهل تقصيريّ لا عذر له فيه، و منهم من هو معذور في كفره[٢]، داخل تحت عنوان المستضعف.

و الظاهر شمول الأدلّة الدالّة على حرمان الكافر من عمله في الآخرة للطائفتين الأوّلتين و انصرافها عن الأخيرة بقرينة ورود التوعيد بالعذاب و النار في بعض تلك الآيات؛ إذ لا إشكال في عدم تعذيب القاصرين، سواء أكانوا قاصرين في الأصول، أم في الفروع، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[٣] و قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾[٤] أي أعلمها، و حينئذ فتبقى أعمالهم تحت الأدلّة العامّة الدالّة على ترتّب الجزاء و المثوبة لكلّ عمل صالح، كما أنّ الأدلّة الدالّة على إشراط تقارن الإيمان بالعمل ناظرة إلى إثبات الجزاء للعمل المقارن للإيمان، لا نفيه عن غيره، فلا مفهوم لها، فيبقى مورد الفرض خارجاً عن شمولها داخلاً تحت إطلاق آيات الجزاء.

ثمّ إنّه بعد ملاحظة نعم الله السابغة في الدنيا و شمولها للبرّ و الفاجر و المؤمن و الكافر، نعماً لا يقدر القادرون قدرها و يعجز العادّون عن إحصائها، يسهل القول بحرمان الكافر الذي فرض صدور الأعمال منه في الآخرة؛ فإنّ ما أنعم الله عليه من النعم ـ و منها القوى المبذولة له في الإتيان بنفس تلك الأعمال ـ يفوق ما عمله أضعافاً مضاعفة.

---

١. الفرقان (٢٥): ٦٨ و ٦٩.

٢. في الأصل: «كفر»، و الصحيح ما أثبتناه.

٣. الإسراء (١٧): ١٥.

٤. الطلاق (٦٥): ٧.

قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ۝ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُوا بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1].

التفسير

الآيات منفصلة عمّا قبلها بحسب الظاهر، فهي مبدأ لأحكام و مقاصد أُخر، و البرّ هو التوسّع في فعل الخير، و هل المراد به برّ الله لعبده و فضله و إنعامه، فيعمّ خير دنياه و صلاح عقباه، فالمقصود أنّ الإنفاق الخاصّ سبب لشمول أنواع النعم في حقّ البارّ؟ أو المراد برّ الإنسان؟ و حينئذ فقد يستشكل بأنّ البرّ منه هو الإنفاق، فيصير المعنى: لن تنالوا الإنفاق إلّا بالإنفاق، لكنّ الظاهر على هذا إرادة البرّ بمعناه الأوسع و هو البرّ الاعتقادي و الخلقي و العملي؛ فإنّه ذو أبعاد أو ذو مصاديق ثلاثة، و يبيّنه قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ لٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ الْمَلاٰئِكَةِ وَ الْكِتٰابِ وَ النَّبِيِّينَ وَ آتَى الْمٰالَ عَلىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبىٰ وَ الْيَتٰامىٰ وَ الْمَسٰاكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ السّٰائِلِينَ وَ فِي الرِّقٰابِ وَ أَقٰامَ الصَّلاٰةَ وَ آتَى الزَّكٰاةَ وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذٰا عٰاهَدُوا وَ الصّٰابِرِينَ فِي الْبَأْسٰاءِ وَ الضَّرّٰاءِ وَ حِينَ الْبَأْسِ أُولٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ

---

١. آل عمران (٣): ٩٢ ـ ٩٥.

أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.[١]

فقد عدّ في هذه الآية البرّ أمراً مركباً من الإيمان بالمبدأ و المعاد و ما بينهما من الأُمور الثلاثة و من العمل، و هو الإنفاق المستحبّ و الصلاة و الزكاة الواجبة، و من الخلق و الملكة الفاضلة، و هو صفة الوفاء و الصبر، و قد أُشير في آخر الآية أنّ تحقّق تلك الأُمور هو الصدق المطلوب من العبد، و هو التقوى المحثوث عليها من جانب الله تعالى.

و قوله تعالى: ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، الموصول فيه عامّ شامل للأموال و الأولاد و الجاه و البدن و الدم، و إنفاق كلّ منها بحسب حاله، فحاصل معنى الآية الأُولى أنّ نيل البرّ بجوانبه و أبعاده لا يتسنّى[٢] لأحد إلّا ببذل ما يملكه و يتسلّط عليه من الأموال و غيرها حتّى المهجة.[٣]

و قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ﴾ إلى آخره، بيان لعلمه الأزلي، و تعلّقه بالإنفاق عبارة عن كمّه و كيفه و علّته وآثاره الدنيوية و جزائه في الآخرة، و التعبير بكلمة «عليم» لبيان أنّ علمه غير مقيّد بزمان دون زمان.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ﴾ إلى آخره. الطعام: كلّ ما يطعم و يؤكل، و قد يستعمل بمعنى البرّ، و الظاهر أنّه كان لغة أهل الحجاز،[٤] و الحلّ: الحلال المرخّص فيه، و إسرائيل: اسم يعقوب النبيّ، قيل: سمّي به؛ لأنّه كان مجاهداً في الله مظفّراً به، و عند أهل التوراة معناه الغالب على الله، الظافر به؛ لأنّه قد صارع الله في ليلة إلى الصباح و ظفر عليه، راجع سفر التكوين من التوراة، الباب ٣٢، العدد ٢٤.[٥]

ثمّ الآيات الثلاث، و هي قوله: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ﴾ إلى قوله: ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ناظرة إلى ردّ اليهود في أمر اعترضوا فيه على النبيّ و المسلمين، و في أمر ادّعوه لتصحيح

---

١. سورة البقرة (٢): ١٧٧.

٢. «لا يتسنّى»، أي لا يتسهّل و لا يتيسّر و لا يتأتّى، يقال: تسنّى لي كذا، أي تيسّر و تأتّى. راجع: لسان العرب، ج ١٤، ص ٤٠٤ (سنا).

٣. المُهْجَة: النفس، و الدم، أو دم القلب، و لا بقاء للنفس بعد ما تراق مهجتها. لسان العرب، ج ٢، ص ٣٧٠ (مهج).

٤. راجع: لسان العرب، ج ١٢، ص ٣٦٤ (طعم).

٥. راجع: الكتاب المقدّس (العهد القديم)، ص ٣٤، الأصحاح ٣٢، الرقم ٢٤ ـ ٣٠.

مزعمتهم في بطلان نسخ الأحكام و عدم إمكانه وقوعاً.

و توضيح ذلك يتوقّف أوّلاً على ملاحظة قوله تعالى في الآية ١٤٦ في سورة الأنعام و هي قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَـٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ﴾، تدلّ هذه الآية على أنّ الله حرّم على اليهود كلّ ذي ظفر من الحيوان، و هو يشتمل الطيور كلّها حتّى المحلّلة لنا، و كذا الوحوش المحلّلة، كالظبي[1] و الغزال و التيس[2] و الجوذر[3] و نحوها، و يشتمل الإبل.

و قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ﴾ إلى آخره، معناه: لم نحرّم هذين النوعين من بين ذي الظفر مطلقاً، بل شحومهما، و لم نحرّم ذلك أيضاً مطلقاً، بل الشحوم القابلة للانفكاك عن اللحم بسهولة، كشحم الالية، و ما يكون في جوف الحيوان سوى ما حملته الظهور مختلطاً باللحوم و ما حملته الحوايا أي الأمعاء محاطة به و سوى المختلط بالعظام.

و ثانياً على ملاحظة قوله تعالى في سورة النساء (٤)، الآية ١٦٠ و ١٦١: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ○ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ﴾، و هذه الآية[4] تدلّ أوّلاً على كون ما حرّمه الله عليهم هو من الطيّبات التي ينبغي أن يكون حلالاً للناس، و ثانياً على أنّها كانت محلّلة لهم في ما قبل التحريم، فطرأ عليها التحريم؛ لأجل ظلمهم أنفسهم و أنبياءهم، و لما ذكر في الآية من الأمور الثلاثة فقد وافقت هذه الآية قوله تعالى في ذيل سابقتها: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَـٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾.

---

١. الظَّبي: الغزال، و ذلك اسمه إذا أثنى؛ لأنّ الظبي لا يزيد على الإثناء، أي لا يزال ثنياً حتّى يموت. راجع: لسان العرب، ج ١٥، ص ٢٣؛ تاج العروس، ج ١٩، ص ٦٤٩ (ظبي).

٢. التَّيس: الذكر من المعز. لسان العرب، ج ٦، ص ٣٣ (تيس).

٣. الجُوذَر و الجُؤذُر، و فيه لغات أُخر: ولد البقرة. و قال الجوهري: «ولد البقرة الوحشيّة». راجع: الصحاح، ج ٢، ص ٦١٠ (جأذر)؛ تاج العروس، ج ٦، ص ١٧٧ (جذر).

٤. أي الآية ١٦٠.

و ثالثاً على إلفات النظر إلى أنّ اليهود كانوا قائلين ببطلان النسخ، سواء أكان نسخ الحكم في الشريعة، أو نسخ نفس الشريعة، و لازم ذلك بقاء الأحكام التي كانت في دين إبراهيم إلى زمان موسى و تصديق موسى جميعها.

و رابعاً على العلم بأنّ يعقوب النبيّ كان قد حرّم على نفسه بعض ما يشتهيه من الأطعمة زهادة عن الدنيا و قربة إلى ربّه، و يقال: إنّه كان لحم الابل، أو لحم الجزور، أو الكبد و الكليتين، أو الشحوم.

و بعد ملاحظة ما ذكرنا يعلم توجّه إشكالين إلى اليهود:

الأوّل: أنّهم كانوا من قبل أهل الظلم و الطغيان و الإثم و العصيان، حتّى أنّه حرّم الله عليهم بذلك شيئاً كثيراً من الطيّبات المحلّلة لغيرهم.

الثاني: بطلان قولهم بالنسخ؛ فإنّ تحريم الطيّبات عليهم عبارة عن نسخ حلّيّتها الثابتة في دين إبراهيم.

ثمّ إنّهم احتالوا في ردّ الإشكالين و توجيه ما هم عليه بإنكار كون حرمة تلك الأشياء حادثة بنزول التوراة و لسان موسى الكليم، بل التحريم كان ثابتاً في دين إبراهيم و شريعته، بل و في الشرايع السابقة أيضاً، فهو حكم ثابت إلهي غير منسوخ، فاندفع بذلك كلا الإشكالين، بل توجّه إشكال إلى النبيّ الأعظم و المسلمين بأنّهم مع تصديقهم ملّة إبراهيم و شرعه، قد اجترؤوا على تناول تلك الأطعمة، فهم مخالفون لما اعترفوا و أقرّوا به من حكم الله الثابت في الشريعتين.

إذا عرفت ما ذكرنا يظهر لك المراد حينئذ من آيتنا المبحوث عنها و أنّ الغرض منها إبطال ما ادّعته اليهود من حرمة الأشياء المذكورة قبل نزول التوراة و في شريعة إبراهيم دعوى بنوا عليها أموراً هامّة، فمعنى الآية الشريفة أنّ جميع الأطعمة كانت محلّلة على بني إسرائيل قبل نزول التوراة حلّيّة ثابتة في شريعة إبراهيم، باقية إلى زمان نزول التوراة سوى ما حرّمه يعقوب النبيّ لنفسه حرمة إنشائية حاصلة بنذر أو عهد، أو حرمة عمليّة بمعنى عزمه على ترك شيء ممّا يحبّه من المآكل ـ كما اتّفق نظيره لنبيّنا محمّد ﷺ حيث قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ

أَزْوَٰجِكَ﴾[١]. فقد ورد في تفسير الآية أنّ النبيّ ﷺ قد عزم أن لا يأكل العسل، أو لا يقارب مارية القبطية ـ، ثمّ حرّمها الله في التوراة على لسان موسى.

و حينئذ فإذا لوحظ نفس تبدّل الحلّيّة إلى الحرمة، ثبت وجود النسخ في الأحكام و بطل دعوى بطلانه، و إذا لوحظ علّة ذلك النسخ و أنّها كانت هي ما ذكر في آية النساء، ثبت أنّ اليهود كانت أمّة ظالمة طاغية مجزية بسيئ أعمالها في الدنيا قبل الآخرة.

ثمّ إنّ مقتضى ظهور الآية أنّ الحلّيّة السابقة، ثمّ تبدّلها إلى الحرمة ثابتة في التوراة مكتوبة فيها، و لذلك قد أُمروا بالإتيان بالتوراة و تلاوتها، و لازم ذلك أنّهم إن أتوا بها و تلوها انكشف بطلان دعواهم و افتضحوا، و إن لم يأتوا بها مع هذه الدعوة الصريحة، انكشف كذبهم على الله و افتراؤهم في دعوى سبق التحريم و عدم عروض التغيّر و النسخ، و لذلك قال: ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ إلى آخره، أي هم الظالمون لموسى و للتوراة و لأُمّة اليهود و لأنفسهم، و في هذا تنبيه على أنّ كلّ من كتم أمراً ثابتاً و حقيقة راهنة ينبغي إظهارها، فهو ممّن ظلم نفسه و أُمّته و اتّباعه و ظلم تلك الحقيقة.

و قوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾. الملّة هنا بمعنى الدين و الشريعة، و الحنيف: المائل إلى الحقّ و الثابت عليه، و الظاهر أنّ الغرض من سوق الآية أنّه لمّا ثبت أنّ النبيّ أخبر عمّا في التوراة بنحو الإعجاز و أنّ الله صادق في ما أمر نبيّه بإبلاغه، لزمهم اتّباع دين الإسلام، و هو في الحقيقة عبارة عن اتّباع ملّة إبراهيم، و إبراهيم هو النبيّ الحنيف في أبعاده المختلفة، أي في عقائده و ملكاته و أعماله.

و قوله: ﴿وَ مَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، أي ليس هو يهوديّاً و لا نصرانيّاً؛ ليكون من المشركين، كما أُشير إليه في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾[٢] إلى آخره؛ فإنّه لو كان كذلك ـ مع ما هو عليه من اعتقاد ببنوّة عزير و عيسى لله تعالى ـ لزم كونه مشركاً.

---

١. التحريم (٦٦): ١.

٢. آل عمران (٣): ٦٧.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ○ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[1].

التفسير

يستفاد من الآيتين و غيرهما من الآيات المربوطة بالمقام أنّ للبيت الشريف أحكاماً و صفات نشير إلى بعضها في ما يلي إجمالاً، ثمّ نفصّلها بعض التفصيل:

الأوّل: أنّه أوّل بيت وضعه الله للناس؛

الثاني: أنّه قيام للناس؛

الثالث: كونه حرماً و حراماً؛

الرابع: وجوب استقباله في الصلاة و رعايته لأُمور أُخر؛

الخامس: وجوب حجّه على جميع الناس و كونه مثابة؛

السادس: وجوب الطواف به؛

السابع: كونه هدى للعالمين؛

الثامن: وجود الآيات البيّنات فيه؛

التاسع: كونه محلّ أمن؛

العاشر: كونه مباركاً؛

---

١. آل عمران (٣): ٩٦ و ٩٧.

الحادي عشر: كفر من ترك حجّه.

ثمّ ليعلم ـ قبل التعرّض لبيانها ـ أنّه قد يقال: إنّ الآية مسوقة لردّ ما ادّعاه اليهود من أنّ أوّل بيت موضوع لعبادة الناس هو المسجد الأقصى،[١] و لم يبيّن القائل وجه الاستدلال إلّا أنّه واضح؛ فإنّ بناء بيت المقدّس بيد سليمان النبيّ قبل الميلاد بما يقرب من ألف و خمس سنين، و أمّا البيت الشريف فهو بناء إبراهيم الخليل بما يقرب من ألفين قبل الميلاد، فالبيت الحرام أقدم بناء من بيت المقدّس.

و أمّا الأحكام المزبورة:

فأوّلها: أنّ البيت الشريف أوّل بيت وضع للناس بمعنى أنّه أوّل بناء بني لكونه محلاً لعبادة الله، كمساجدنا بالفعل، أو يتوجّه الناس في عباداتهم نحوه، أو لكلا الغرضين، و لم يكن إلى ذلك الزمان محلّ خاصّ للعبادة.

و يقرب من الآية مضموناً قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾[٢]، أي وضعناه و بنيناه لهم حال كونه يستوي فيه المتوطّن حوله و الوارد إليه من أمكنة بعيدة في استحقاقهم العبادة فيه، لا أحد أحقّ به من آخر، و قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[٣]، و التبوّؤ: التهيّؤ و الإعداد و تعيين الموضع، و قوله: ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ﴾، أي أوحينا إليه ألّا تشرك و طهّر إلى آخره.

فالآية ممّا يدلّ على كون البناء بيد إبراهيم الخليل، و الآمر به هو الله، و المهندس لبنائه جبرئيل الأمين، كما في بعض الروايات،[٤] و البنّاء إبراهيم الخليل، و العامل تحت يده ابنه إسماعيل، و يكفي هذا في طهارة البيت و اتّصافه بما يذكر القرآن في حقّه من

---

١. قاله الفخر في مفاتيح الغيب، ج ٨، ص ٢٩٥، و أبو حيّان في البحر المحيط، ج ٢، ص ٢٦٧.

٢. الحجّ (٢٢): ٢٥. ٣. الحجّ (٢٢): ٢٦.

٤. راجع: الكافي، ج ٤، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٦، باب حجّ إبراهيم و إسماعيل و بنائهما البيت و من ولي البيت بعدهما ﷺ، ح ١ و ٣ و ٤ و ٦؛ علل الشرائع، ج ٢، ص ٥٨٧ و ٥٨٨، الباب ٣٨٥، ح ٣٢.

الأوصاف و الأحكام. و قوله[١] تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[٢].

إن قلت: يظهر من قوله تعالى نقلاً عن إبراهيم الخليل: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾[٣] إلى آخره، أنّ البيت كان قبل إبراهيم؛ فإنّ الدعاء صدر منه في أوّل ما ورد أرض مكّة و جاء إليها مع زوجه هاجر و ابنه إسماعيل من موطنه الثاني؛ أعني بعض قرى الشامات.

قلت: لا يبعد صدور الدعاء منه بعد بناء البيت، و المراد بذرّيّته إسماعيل و أولاده، و لو فرض كونه قبل بناء البيت، فالمراد بالبيت محلّه المعيّن الذي مضى في علم الله تعالى أن يكون بيتاً له و يقصده عباده بالعبادة.

و يؤيّده ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾[٤] أنّه محلّ في السماء، معدّ لعمرة الملائكة، يقابل البيت الحرام في الأرض.[٥] و لا إشكال في سبق خلق ذلك، و لازم المقابلة سبق إعداد البيت الحرام في الأرض.

و في تفسير الفخر الرازي[٦] الاستدلال على تقدّم بناء البيت على زمان إبراهيم بأنّ مقتضى تشريع الصلاة و السجود للأنبياء قبل إبراهيم هو وجود الكعبة قبله، فإنّهم لو أُمروا بالصلاة و السجود إلى غير الكعبة لزم وضع بيت قبلها، فليست أوّل بيت، و إن أُمروا بالسجود إليها لزم تقدّم بنائها.

و الدليل على تشريع السجود قبل إبراهيم قوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[٧].

---

١. أي يقرب من الآية مضموناً قوله تعالى، إلى آخره. ٢. البقرة (٢): ١٢٧.
٣. إبراهيم (١٤): ٣٧. ٤. الطور (٥٢): ٤.
٥. الكافي، ج ٤، ص ١٩٥ ـ ١٩٧، باب علّة الحرم و كيف صار هذا المقدار، ح ٢.
٦. مفاتيح الغيب، ج ٨، ص ٢٩٦، ذيل الآية ٩٦ من سورة آل عمران (٣).
٧. مريم (١٩): ٥٨.

و لكن فيه ـ مع أنّه لا تعرّض في الآية للصلاة ـ أنّه لا ملازمة بين تشريع الصلاة فضلاً عن السجود و بناء الكعبة بيتاً للعبادة؛ إذ كما أنّ صلاتهم لم تكن فيها فاتحة الكتاب و السور القرآنية، فلا بعد في أن تكون مشروطة بالاستقبال أيضاً، كما في نوافلنا في المحمل و السيّارة و في حال المشي، مع أنّ الأمر بالاستقبال إلى بيت واحد تبيان للزوم الاتّحاد و تسبيب لتحقّق الوحدة بين الملل الإسلاميّة، ثمّ جميع أهل الأرض في زمان يلزمهم الاتّحاد و يضرّهم الافتراق و الانشعاب، و هذه الحكمة لم تكن موجودة في عصر كان الإنسان يعيش فيه التوحّد و التوحّش، نظير الحيوانات، و على أيّ تقدير فلا دليل في ذلك على تقدّم بناء الكعبة، مع ظهور الآيات في كونه بيد إبراهيم الخليل عليه السلام و ابنه.

هذا، و لكن قد ورد في بعض الأخبار ما يظهر منه سبق بناء البيت عن زمان إبراهيم عليه السلام، بل كونه موجوداً مقصوداً بالعبادة منذ زمان آدم النبيّ إلى عصر نزول الآية الشريفة:

ففي الكافي عن مولانا الصادق عليه السلام، قال: «بعث الله جبرئيل فقال: السلام عليك يا آدم التائب من خطيئته، الصابر لبليّته، إنّ الله عزّ وجلّ أرسلني إليك لأُعلّمك المناسك التي تطهر بها، فأخذ بيده، فانطلق به إلى مكان البيت، و أنزل الله عليه غمامة، فأظلّت مكان البيت، و كانت الغمامة بحيال البيت المعمور، فقال: يا آدم خطّ برجلك حيث أظلّت عليك هذه الغمامة، فإنّه سيخرج لك بيتاً من مَهاة (البلّور و كلّ شيء صاف[1])، فيكون[2] قبلتك و قبلة عقبك، [ففعل آدم عليه السلام][3] و أخرج الله عزّ وجلّ له تحت الغمامة بيتاً من مَهاة و أنزل الحجر له[4]»[5] إلى آخره.

و في معتبرة معاوية بن عمّار عن مولانا الصادق عليه السلام، قال: «لمّا طاف آدم بالبيت و انتهى إلى الملتزم، قال له جبرئيل عليه السلام: يا آدم أقرّ لربّك بذنوبك»[6] إلى آخره.

و في الخطبة القاصعة من نهج البلاغة قال عليه السلام: «ألا ترون أنّ الله سبحانه اختبر

---

١. راجع: النهاية، ج ٤، ص ٣٧٧ (مها).
٢. في المصدر: «يكون».
٣. ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر.
٤. في المصدر: - «له».
٥. الكافي، ج ٤، ص ١٩٢، باب في حجّ آدم عليه السلام، ح ١.
٦. المصدر، ص ١٩٤، ح ٦.

الأوّلين من لدن آدم ـ صلوات الله عليه ـ إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضرّ و لا تنفع، و لا تبصر و لا تسمع، فجعلها بيته الحرام الذي جعله قياماً للناس[١]».[٢]

و يمكن الجمع بينها و بين ما ذكرنا من ظهور الآيات في كون البناء محدثاً بيد إبراهيم الخليل بالقول بكون أصل البيت و ما يبتني عليه قواعده موجوداً من زمان آدم، بل قبل ذلك منذ خلق الله الأرض كما يشير إليه بعض الأخبار الواردة في دحو[٣] الأرض[٤] و إن كنّا لا نعلم أصله و جوهره و أنّه هل كان من درّة، أو حجر خاصّ؟ و أنّه هل كان مساوياً مع سطح الأرض، أو أرفع منه بيسير؟ و على أيّ تقدير لم يكن بناء مرفوعاً كما بناه إبراهيم، فأمره الله تعالى ببنائه و رفع قواعده مع ابنه إسماعيل، و هذا وجه جمع حسن.

و ثانيها: كونه قياماً للناس قال الله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[٥].

و القيام و القوام اسم لما يقوم به الشيء، كالسناد و العماد لما يسند إليه الشيء و يعمد. و قيل: هو بمعنى القائم و الثابت الذي لا ينسخ.[٦]

و المراد بالكعبة هنا الأُمور المتعلّقة بها الصادرة في الأمكنة البعيدة و القريبة، كالصلاة المأتيّ بها نحوها، و توجيه الذبائح إليها، و رعاية استقبالها بالنسبة إلى المحتضرين إلى أن يدفنوا، و السفر إليها معتمراً و حجيجاً.

و في بعض الروايات أنّ المراد بكون هذه الأُمور قواماً للناس، كونها قواماً لأمر

---

١. في المصدر: «للناس قياماً».
٢. نهج البلاغة، ص ٢٩٣، الخطبة ١٩٢.
٣. الدحو: البسط و التوسعة، يقال: دحوت الأرض، أي بسطته و وسّعته. النهاية، ج ٢، ص ١٠٦ (دحا).
٤. الكافي، ج ٤، ص ١٩٧ و ١٩٨، باب ابتلاء الخلق و اختبارهم بالكعبة، ح ١.
٥. المائدة (٥): ٩٧.
٦. نسب إلى القيل أيضاً في مجمع البيان، ج ٤، ص ٦٠٤، و روح المعاني، ج ٤، ص ٣١٢، ذيل الآية ١٦١ من سورة الأنعام (٦). نعم قال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٣٤٢، ذيل الآية: «ديناً قيماً، أي قائماً ثابتاً».

معايشهم و معادهم[١]، لا بمعنى وقوع التجارات و التكسّبات بين الحجّاج و أهل مكّة، فيستفيدوا ربحاً و يفيدوا غنائم، و إن كان قد يحصل ذلك؛ لبعد أن يكون هو الغرض من سفر الحجّ و السير إلى الله و إلى شعائره، مع أنّ هذا مربوط بخصوص العمرة بالحجّ، و الآية حاكية عن كون جميع الأمور المتعلّقة بها قواماً للناس.

فالظاهر أنّ المراد أنّ مراعاة ما يرتبط بها من بعيد، سبب لحصول نحو تقارب و اتّحاد بين المسلمين، كما أنّ قصدهم إليها معتمرين و حجّاجاً و تلاقيهم و تعارفهم في الأيّام المعلومات و اشتراكهم في المناسك و الأعمال المخصوصة، سبب لاطّلاع كلّ طائفة منهم على حال الأخرى و معرفة بعضهم بعضاً في مختلف أُمورهم الدينية و الدنيوية و شتّى جهاتها العلمية و السياسية و الاقتصادية، فيتعارفون و يتفاهمون و يتقاربون و يحصل بينهم ائتلاف و اتّحاد، فيتشكّل دولة إسلامية كبيرة، فيتقوّم صلبهم، و يقومون على ساقهم في معارفهم الدينية المغنية عن كلّ ماسواها من أوهام ما عند غيرهم و أحلام، و كذا يستغنون بما يحصّلونه من العلوم الدنيوية المرتبطة بالمعاش، ثمّ يقومون على سوقهم في أمر اقتصادهم و ما يرتبط بذلك من استخراج ما وهب الله لهم من خزائن الأرض و دفائنها و كيفيّة صرفها في مصارفها، ثمّ يتقوّون في إعداد القوى الدفاعية و الجهادية، فيحصّلون العظمة و المجد الإسلاميّة الغابرة التي أضاعوها و أتلفوها باختلافهم و تشتّتهم و افتراق بعضم من بعض و محاربة بعضهم مع بعض.

و ثالثها: كونه حراماً و محرّماً. و أُطلق عنوان الحرام و الحرم في الكتاب الكريم تارة على الكعبة المشرّفة، و أُخرى على المسجد، و ثالثة على مكّة، و رابعة على جميع الحرم:

قال تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾[٢].

و قال تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[٣].

---

١. نقل بالمعنى. راجع: تفسير العيّاشي، ج ١، ص ٣٤٦، ح ٢١١.

٢. المائدة (٥): ٩٧.

٣. الإسراء (١٧): ١.

و قال تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[١].

و قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾[٢].

و قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ﴾[٣].

و قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٤].

و قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾[٥].

ثمّ إنّ الحرمة عبارة عن الممنوعية، و هي على أقسام:

الممنوعية التكوينية، كما في قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾؛[٦]

و الممنوعية العقلية، كالظلم على البريء، و قتل النفس الزكيّة، و الكذب بلا موجب، و الإساءة في مقابلة الإحسان و نحوها؛ فإنّ كلّ ذلك حرام عند العقل.

و الممنوعية الشرعية، كما في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾[٧] إلى آخره، و قوله تعالى: ﴿وَحُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾،[٨] و قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾[٩] و غير ذلك.

و هل المراد بالحرمة في المقام الحرمة التكوينية بمعنى أنّ الله يحفظ تلك الأمكنة عمّا يقصده الجائرون من تخريبها و قتل أهلها و نهب[١٠] أموالها، أو التشريعية كتحريمه تعالى القتال فيها و دخولها بلا عقد إحرام و الاصطياد فيها و قطع شجرها و اختلاء خلاها، أي اقتطاع نبتها و القصاص فيها[١١]؟

و الظاهر إرادة الأعمّ منهما إلّا أنّ الحرمة التكوينية ليست مطلقة، بل هي ثابتة في

---

١. البقرة (٢): ١٤٤ و ١٤٩ و ١٥٠.
٢. إبراهيم (١٤): ٣٧.
٣. النمل (٢٧): ٩١.
٤. القصص (٢٨): ٥٧.
٥. العنكبوت (٢٩): ٦٧.
٦. القصص (٢٨): ١٢.
٧. المائدة (٥): ٣.
٨. النساء (٤): ٢٣.
٩. الأنعام (٦): ١٤٥.
١٠. النهب: الغارة و السلب. لسان العرب، ج ١، ص ٧٧٣ (نهب).
١١. راجع: الكافي، ج ٤، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦، باب أنّ الله عزّ و جلّ حرّم مكّة حين خلق السماوات و الأرض، ح ٢ و ٣، و ص ٢٢٦ و ٢٢٧، باب في قوله تعالى: ﴿وَ مَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾، ح ١ ـ ٣.

الجملة، و قد تحقّقت في بعض الأحيان، كما في قصّة أصحاب الفيل، فقد دفع الله تعالى قاصدي بيته بالسوء بطير أبابيل،[١] ترميهم بحجارة من سجّيل،[٢] فجعلهم كعصف[٣] مأكول.[٤]

و يشهد على عدم عموم المنع التكويني قصّة القرامطة[٥] و نصب الحجّاج ـ عليه لعائن الله ـ المنجنيق و رمي الأحجار به نحو الكعبة المشرّفة و إحراقه أستارها و تخريبه بعض جدرانها.[٦]

و يقرب من هذا المعنى قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَ لَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَ لَا ٱلْهَدْىَ وَ لَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا﴾[٧]. و الشعائر: جمع شعيرة، و هي العلامة، و المراد بها هنا أحكام الله مطلقاً، أو خصوص مناسك الحجّ، و إحلالها عبارة عن الإعراض عنها و عدّها محلّل الترك.

و رابعها: رعاية التوجّه، أو توجيه الغير إليها وجوباً، أو استحباباً في موارد، كحال الصلاة الواجبة و المندوبة و حال احتضار الميّت و الصلاة عليه و دفنه و حال تذكية الحيوان بذبح و نحر و نحوها من الموارد.

و يدلّ على الحكم في الجملة قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ

---

١. قال الراغب: «أي متفرّقة كقطعات إبل، الواحد: إبّيل». و فيه أقوال أُخر. راجع: المفردات للراغب، ص ٨؛ لسان العرب، ج ١١، ص ٦ (أبل).

٢. السِجّيل: حجر و طين مختلط. المفردات للراغب، ص ٢٢٤ (سجل).

٣. العَصْفُ و العَصيفة: الذي يعصف ـ أي يقطع ـ من الزرع، و يقال لحطام النبت المتكسّر: عَصْفٌ. قاله الراغب، و قيل غير ذلك. راجع: المفردات للراغب، ص ٣٣٦؛ لسان العرب، ج ٩، ص ٢٤٧ (عصف).

٤. اقتباس من الآيات ٣ ـ ٥ من سورة الفيل (١٠٥).

٥. القرامطة: جماعة من أهل هجر و بحرين و أحساء، و هم فرقة من الزنادقة الملاحدة، و لهم عقائد و أقوال باطلة، مثل حلّيّة الخمر و عدم الغسل من الجنابة و أنّه لا صوم في السنة إلّا يومي النيروز و المهرجان و غير ذلك. و للتعرّف لأحوالهم و عقائدهم راجع: تاريخ الطبري، ج ١٠، ص ٢٣ ـ ٢٧، و ج ١١، ص ١١٩ و ١٢٠؛ الكامل، ج ٧، ص ٤٩٣ ـ ٥٥١، و ج ٨، ص ٢٠٧ و ٢٠٨؛ تاريخ الإسلام، ج ٢٠، ص ٢٣٢ ـ ٢٣٤.

٦. راجع: تاريخ الإسلام، ج ٥، ص ٣١٠ ـ ٣١٦؛ البداية و النهاية، ج ٢، ص ٢٣٣ و ٢٣٤؛ تاريخ ابن خلدون، ج ٣، ص ٤٩.

٧. المائدة (٥): ٢.

قِبْلَةً تَرْضَـىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾[1].

و خامسها: وجوب حجّه على الناس؛ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[2].

و الحجّ بالكسر و الفتح بمعنى واحد، و هو القصد كما في المفردات،[3] و قد صار عند الشارع و المتشرّعة حقيقة في القصد الخاصّ، و هو قصد بيت الله و ما يتعلّق بذلك على النحو المعيّن، و قد يطلق على نفس الأعمال المخصوصة. و على الأوّل قد تعلّق حقّ الله تعالى بالأمر القلبي المؤثّر في العمل، و على الثاني بنفس العمل الخارجي.

ثمّ إنّ الكلام هل هو إنشاء للحقّ و لتعلّقه بالحجّ، كقول الناذر مثلاً: لله عليّ أن أصوم غداً، أو إخبار عن الحقّ المتعلّق به في ما قبل؟ و على الإخبار فهل هو حكاية عن ثبوت ذلك في اللوح المحفوظ، أو عن ثبوته بتشريع[4] إبراهيم الخليل ﷺ، ثمّ من بعده من الأنبياء؟ الظاهر كونه إخباراً إلّا أنّا لم نعلم زمان حدوث المحكيّ عنه، و لازم تعلّق الحقّ هنا هو الوجوب.

و قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[5]. الرجال: جمع راجل، أي الماشي، و الضامر: البعير المهزول، و يأتين جمع محمول على المعنى، فكأنّه قيل: ضامرات، و الفجّ: الطريق، و العميق: البعيد، و الخطاب إمّا لإبراهيم الخليل ﷺ نظراً إلى ملاحظة ما قبل الآية: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۝ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ﴾.[6]

فتدلّ الآية حينئذ على أنّ إيجاب الحجّ للناس كان في شريعة إبراهيم و بلسانه، و لم يكن قبله، و ما ينقل من حجّ آدم و زيارته مكان البيت لعلّه كان حكماً خاصّاً له، لا

---

١. البقرة (٢): ١٤٤.
٢. آل عمران (٣): ٩٧.
٣. قال الراغب: «أصل الحجّ: القصد للزيارة... خصّ في تعاريف الشرع بقصد بيت الله تعالى إقامة للنسك، فقيل: الحَجّ و الحِجّ، فالحَجّ مصدر، و الحِجّ اسم». المفردات، ص ١٠٧ (حجج).
٤. في الأصل: «بتشريح»، و الصحيح: «بتشريع».
٥. الحجّ (٢٢): ٢٧.
٦. الحجّ (٢٢): ٢٦ و ٢٧.

عاماً للجميع، فالآية من آيات وجوب الحجّ، و يمكن كون الخطاب في الآية للنبيّ الأعظم محمّد ﷺ ففي الآية التفات.

و قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾[١].

أي أشهر الحجّ أشهر معلومات، و هي شوّال و ذو القعدة و ذو الحجّة، و قوله: ﴿فَمَن فَرَضَ﴾، أي أوجب على نفسه ذلك بالإحرام، و المراد أنّه من أحرم بالحجّ في تلك الأشهر فليجتنب عن الأمور المذكورة، فالإحرام سبب لفعلية الوجوب، كما في تكبيرة الإحرام للصلاة، و الرفث: الفحش، أو الجماع، و الفسوق: مطلق المعاصي، و الجدال قول: لا و الله، و بلى و الله، و الآية تدلّ على وجوب الحجّ أيضاً.

و سادسها: وجوب الطواف به؛ قال تعالى خطاباً لإبراهيم ﷺ: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[٢]. و قال: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾[٣].

و قوله: ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ لا يدلّ إلّا على تشريع الطواف الشامل للواجب و المندوب، فلا يدلّ على الوجوب، كما في القيام و الركوع و السجود، نعم الظاهر من قوله: ﴿وَ لْيَطَّوَّفُوا﴾ هو الوجوب إلّا أنّ شمول الطواف للواجب منه و المندوب ربما يكون قرينة على حمل قوله: ﴿وَ لْيَطَّوَّفُوا﴾ على مطلق المطلوبية و القدر الجامع بين الوجوب و الندب.

و سابعها: كونه ـ أي البيت الشريف ـ هدى للعالمين، كما هو المذكور في آيتنا المبحوث عنها، و ذلك الأمور:

الأوّل: قدم بنائه و دوام بقائه؛ فإنّه يهدى المتأمّل إلى ربّه، حيث إنّه تعالى أبقى بيته و محلّ عبادته في العصور المتطاولة سليم البنيان محفوظاً عن الحدثان.[٤]

الثاني: نفس الأعمال الواجبة و المناسك المشروعة المتعلّقة به؛ فإنّ المتأمّل فيها و العامل بها يهتدي إلى ربّه.

---

١. البقرة (٢): ١٩٧.
٢. الحجّ (٢٢): ٢٦.
٣. الحجّ (٢٢): ٢٩.
٤. حَدَثانُ الدهر: نُوَبُه ـ أي نوازله و مصائبه ـ و ما يحدث منه، واحدها: حادث. لسان العرب، ج ٢، ص ١٣٢ (حدث).

الثالث: توجّه النفوس نحوه في صلواتهم و أوقات احتضارهم و موتهم و تـوجيه الذبائح إليه؛ فإنّ جميعها مذكّرة للنفوس و هادية لها إلى الله.

الرابع: هدايةُ الحضور عنده و العملُ لمناسكه الخاصّةِ العالمَ الإسلامي إلى توحيد الكلمة و تقارب القلوب و الأفئدة و رفع الاختلاف و العداوة و البغضاء، و يهديهم أيضاً إلى معرفة إمامهم و العمل بما أمرهم به و نهاهم عنه. فالبيت بذاته هدى للعالمين عامّة، و هدى للمسلمين خاصّة، كما أنّ القرآن هدى للناس عامّة و للمتّقين خاصةً.

و ثامنها: كون البيت شاملاً للآيات البيّنات؛ قال تـعالى: ﴿فـيهِ آيـاتٌ بَـيِّنَاتٌ﴾.[1] و الآيات هي العلائم الدالّة على وجوده تعالى و عظمته و حكمته و على صدق أنبيائه و كتبه و رسله، و قد يقال في تفسير الآيات: إنّها عبارة عن الحوادث الخارقة لناموس الطبيعة الواقعة في البيت أو في حواليه، كقتل أصحاب الفيل، و غور قدمي إبراهيم في الحجر الذي هو المقام إلى الكعبين، و امتناع الطيور عن الاستعلاء على البيت و الطيران من محاذاته إلّا للاستشفاء، و غير ذلك.[2]

لكنّ الظاهر أنّ المراد بالآيات العلائم التي تطمئنّ القلوب بعد ملاحظتها بصدق كون البيت بيت الله تعالى المعمور بأمره لعبادته، كبقائه في أُلوف من السنين معبداً يعبد الله فيه و إليه و ملجأ يأوي إليه كلّ ذي حاجة، و ليس في الأرض محلّ أقدم منه بـقي سليماً من الحوادث، و قد كان أهل الجاهليّة قبل الإسلام يزورونه و يعظّمونه.

و قد قيل: إنّ قول شعيب لموسى عليه السلام: ﴿إِنّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾[3] [يدلّ على ذلك].[4] الحجج: جمع حِجّة، و أُريد بها المـرّة مـن

---

۱. آل عمران (۳): ۹۷.

۲. راجع: التبيان، ج ۲، ص ۵۳۶؛ مجمع البيان، ج ۲، ص ۳۴۸ و ۳۴۹، ذيل الآية ۹۷ من سورة آل عمران (۳).

۳. القصص (۲۸): ۲۷.

۴. ما بين المعقوفين أضفناه بمقتضى السياق. و لم نعثر على القائل، نعم روي مضمونه عن الإمام الصادق عليه السلام. قـال الحلبي: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن البيت، أكان يحجّ قبل أن يبعث النبيّ صلى الله عليه و آله؟ قال: «نعم، و تصديقه في القرآن قول شعيب حين قال لموسى حين تزوّج: ﴿عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾، و لم يقل: ثماني سنين...». راجع: تفسير العيّاشي، ج ۱، ص ۶۰، ح ۹۹.

الحجّ، و كانوا يعدّون عندئذ الأعوام بالحجّة؛ لجريان عادتهم بإيقاعه كلّ سنة.

و على أيّ تقدير فالظاهر أنّ الآيات قد فسّرت بقوله تعالى بعدها: ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ إلى آخر الآية، فالآيات ثلاث:

١. مقام إبراهيم؛

٢. و أمن من دخله؛

٣. و وجوب حجّه و الإتيان بمناسكه.

أمّا الأوّل فلأنّ وجود المقام فيه مذكّر لإبراهيم و نبوّته و من أرسله بالنبوّة و منّ عليه بالرسالة. قد يقال: إنّ كون مقام إبراهيم آية لأجل غوص قدمه الشريف في الصخرة التي قام عليها لأن يغسل رجله زوج إسماعيل عند قدومه من الشام لزيارة ابنه، أو قام عليها لبناء البيت و رفع قواعده، أو لأن يأذن للناس بالحجّ بعد إتمام البناء.[١]

و أمّا الأخيران فلأنّ تشريع الأمن للبيت كجعل الأمن التكويني له في الجملة كما عرفت،[٢] و كذلك إيجاب حجّه و جعل الأحكام الخاصّة للمعتمرين و الحجّاج؛ فإنّه آية تهدي المتأمّل إلى صدق النبيّ الأقدم إبراهيم و الرسول الأعظم محمّد ﷺ في دعويهما النبوّة.

و تاسعها: كونه محلّ أمن، كما ذكره تعالى في آيتنا المبحوث عنها، و يقرب منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾[٣]، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾[٤]، ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٥].

و قد وقع وصف الأمن صفة للبيت تارة، و للبلد أخرى، و للحرم ثالثة، فالجميع أمن، أي ذات أمن، أو الوصف بحال المتعلّق.

---

١. راجع: التبيان، ج ١، ص ٤٥٣؛ البحر المحيط، ج ٣، ص ٢٧١.

٢. ذيل الأمر الثالث.

٣. البقرة (٢): ١٢٥.

٤. البقرة (٢): ١٢٦.

٥. القصص (٢٨): ٥٧.

و هل المراد بالأمن الأمن التكويني كما ذكرنا في كونه حرماً،[١] فلا يقدر أحد على التعدّي له و لمن دخله، فهو أمن من النهب[٢] و الهتك و القتل، و نظيره أمن الطيور و الوحوش و النبات فيه؛ أو الأمن التشريعي، فلا يجوز لأحد هتكه و إيذاء الداخل فيه و إن كان جائزاً بنفسه، كحرمة القصاص فيه و الصيد و غيره، أو الأعمّ من ذلك الظاهر ذلك؟

و عاشرها: كونه مباركاً. و البركة: نموّ الخير و تزايده، أو ثباته و دوامه، و هذا الوصف تارة لأجل كون العبادات الواقعة فيها مباركة كثيرة المثوبة و الأجر، كما روى أنّ الركعة الواحدة في البيت تقابل ألف ألف ركعة في غيره.[٣]

و أُخرى لأنّ التوجّه إليه يكثر و يتزايد و يبقى و يدوم؛ فإنّ الصلوات المأتيّ بها في جميع أقطار الأرض تصلّى إليها، و هي تتزايد بسعة أفراد المسلمين حيناً بعد حين، و تدوم و تبقى على التزايد حتّى تظهر الدولة الحقّه الإلهية، و يملأ صاحبها أرض الله قسطاً و عدلاً،[٤] فيتوجّه جميع من على الأرض إلى البيت الحرام. و أيضاً إنّ الدوام يتصوّر في عدم انقطاع الصلاة نحوه في جميع آنات الليل و النهار؛ فإنّ حركة الأرض توجب حلول أوقات الصلات لجماعات أهل الأرض وقتاً بعد وقت و ساعة بعد ساعة، فلا ساعة إلّا و هم يصلّون، فقوم يصلّون الظهر و آخرون العصر و ثالث المغرب و هكذا، فالصلوات مستمرّة دائمة.

و ثالثة لأجل توجّه البركة الدنيوية و المالية نحو البيت، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٥].

---

١. في الصفحة ٣٢٤ و ٣٢٥، ذيل الأمر الثالث.

٢. النهب: الغارة و السلب. لسان العرب، ج ١، ص ٧٧٣ (نهب).

٣. لم نعثر عليه، نعم روي عنهم﵈ أنّهم قالوا: «الصلاة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة». راجع: الكافي، ج ٤، ص ٥٢٦، باب فضل الصلاة في المسجد الحرام و أفضل بقعة فيه، ح ٥ و ٦.

٤. اقتباس من قوله﵌: «... فيملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت ظلماً و جوراً» راجع: الأمالي للشيخ الصدوق﵀، ص ٤١٩، المجلس ٥٤، ح ٢٤/٥٥٧؛ وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٢٤١، ح ٢١٤٦١.

٥. القصص (٢٨): ٥٧.

و حادي عشرها: كفر من ترك حجّه، قال تعالى: ﴿وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمينَ﴾[١]. و الكفر هو الجحد، أو الستر، و كثيراً ما يستعمل في الأوّل، و استعماله في ترك شكر النعمة لكونه نحواً من جحدها و سترها، و الكفر بالأُصول قد يراد به كفر القلب تارة، و اللسان أُخرى، و العمل ثالثة. و على التقادير فقد يراد الكفر بالأُصول، و قد يراد الفروع، و ينبغي أن يكون المراد به في المقام الكفر بالفروع عملاً، و جزاء الشرط محذوف ناب منابه علة، و التقدير: فلن يضرّ الله شيئاً؛ فإنّه غنيّ عن العالمين.

---

١. آل عمران (٣): ٩٧.

تفسير سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّساءِ قُلِ اللهُ يُفْتيكُمْ فيهِنَّ وَما يُتْلىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ في يَتامَى النِّساءِ اللاّتي لا تُؤْتُونَهُنَّ ما كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفينَ مِنَ الْوِلْدانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتامىٰ بِالْقِسْطِ وَما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ كانَ بِهِ عَليماً﴾[1].

اللغة

الفتوى: إظهار الحكم.[2] ﴿وَما يُتْلىٰ﴾ عطف على ضمير الجمع المجرور. و القسط : العدل و الاستقامة.[3]

المعنى

قوله : ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ...﴾. كان استفتاؤهم في ما يعاملون مع النساء بما لا يستحسنه العقل، و لعلّ ذلك كان سبب تنبّههم و سؤالهم، و هو تحريمهنّ عن الإرث مطلقاً، و عضلهنّ عن النكاح بعد الطلاق، و توريث الأولاد زوجة الآباء و تزويجهم لهنّ، و نكاح أكثر من أربع بالغاً ما بلغ.

و لا تعرّض في الآية لبيان أحكام هذه الأعمال، بل هي مسوقة لإفادة أنّ الإفتاء

---

١. النساء (٤): ١٢٧.

٢. في اللغة: الفتوى: اسم من أفتى العالم، إذا بيّن الحكم. المصباح المنير، ص ٤٦٢ (فتو).

٣. راجع: تاج العروس، ج ١٠، ص ٣٧٨ (قسط).

فيها منحصر بالله تعالى دون غيره؛ فإنّها من قبيل الأحكام الكلّيّة، و تشريعها بيد الله، أو المراد بها بيان أنّ الله سوف يفتيكم فيها.

و قد علم تلك الأحكام من الآيات القرآنيّة، أمّا حكم الحرمان عن الإرث فمن قوله تعالى: ﴿لِلرِّجالِ نَصيبٌ مِمّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّساءِ نَصيبٌ مِمّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصيباً مَفْرُوضاً﴾[1] وغيرها من آيات الإرث.

و أمّا حكم العضل و المنع عن النكاح فمن قوله تعالى: ﴿وَإِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْواجَهُنَّ إِذا تَراضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾[2]، و من قوله تعالى: ﴿وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُمُوهُنَّ﴾.[3]

و أمّا حكم إرث الزوجة فمن قوله تعالى: ﴿وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ﴾.[4]

و أمّا حكم نكاح أزيد من الأربع فمن قوله تعالى: ﴿فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنى وَثُلاثَ وَرُباعَ﴾.[5]

[تحقيق في جواز نكاح الواحد أزيد من واحدة]

و ليعلم أنّ مسألة النكاح و الزواج و جواز نكاح الواحد أزيد من واحدة ـ كبعض الفروع الأُخر من مسائل الزواج ـ قد وقعت بين الأقدمين من نسل الإنسان و الصنف الجديد الناشئين في العصور الأخيرة في طرفي الإفراط و التفريط، فلم يكن لها حدّ في طرف الكثرة عند أكثر الأقدمين، و قد منع النسل المتأخّر على الغالب عمّا فوق الواحدة، و الشرع قد أباح ذلك إلى الأربع مع شرائط خاصّة و ملاحظة حال الإنسان، و الدقّة في أحوال الطائفتين تقتضي ما حكم به الشرع و جواز ذلك إلى ما فوق الواحدة و الاثنين و الثلاث و إن لم ندرك حكمة الحدّ الخاصّ المشروع في طرف الزيادة.

---

١. النساء (٤): ٧.
٢. البقرة (٢): ٢٣٢.
٣. النساء (٤): ١٩.
٤. النساء (٤): ٢٢.
٥. النساء (٤): ٣.

و ذلك بما أنّ طائفة الإناث يصلن إلى حدّ البلوغ الطبيعي في الغالب في السنة العاشرة، و طائفة الذكور في السنة السادسة عشر، و حينئذٍ فلو فرضنا بلداً تولد لهم في سنة واحدة عشرة من الذكور و عشر من الإناث، و في الثانية أيضاً بذلك المقدار، و هكذا إلى عشر سنين، فلنا في السنة العاشرة مأة من الذكور و مأة من الإناث، و البالغ إلى الحُلُم[1] من الإناث عشر.

و على هذا يكون عدد الذكور في السنة السادسة عشر ١٦٠ و الإناث أيضاً ١٦٠، و البالغ حدّ الزواج فيها من الذكور عشرة، و من الإناث سبعون، فلو راموا الزواج في هذه السنة كان لكلّ ذكر سبع أُنثى، و في السنة السابعة عشر يكون الرجال البالغين حدّ الزواج عشرين و الإناث ثمانين، فلكلّ منهم أربع زوجات، و في السنة الثانية عشر الرجال ثلاثون، و النساء تسعون، و لكلّ واحد منهم ثلاث زوجات.

و حيث إنّه لا ينبغي تأخير الزواج للنساء عن الثمانية عشر، فالقسمة من ثلاث، و حيث إنّه لا يمكن لكلّ أحد تزويج ثلاث، بل و اثنتين، فيبقى مجال تزويج الأربع للبعض الآخر باقياً بلا ريب.

و قد رقمنا الجدول التالي لزيادة البصيرة في المورد.

عدد السنين	عدد الذكور البالغين	عدد الإناث البالغات	حصّة كلّ رجل من الإناث
١٦	١٠	٧٠	لكلّ رجل ٧ نسوة
١٧	٢٠	٨٠	لكلّ رجل ٤ نسوة
١٨	٣٠	٩٠	لكلّ رجل ٣ نسوة
١٩	٤٠	١٠٠	لعشرين منهم ٣، و لعشرين ٢
٢٠	٥٠	١١٠	لأربعين ٢، و لعشرة ٣
٢٥	١٠٠	١٦٠	لستّين ٢، و لأربعين ١

---

١. الحُلُم: زمان البلوغ، و سمّي الحُلُم؛ لكون صاحبه جديراً بالحِلْم. المفردات للراغب، ص ١٢٩ (حلم).

٢٦	١١٠	١٧٠	لستّين ٢، و لخمسين ١
٢٧	١٢٠	١٨٠	لستّين ٢، و لستّين ١
٢٨	١٣٠	١٩٠	لستّين ٢، و لسبعين ١
٢٩	١٤٠	٢٠٠	لستّين ٢، و لثمانين ١
٣٠	١٥٠	٢١٠	لستّين ٢، و لتسعين ١
٣١	١٦٠	٢٢٠	لستّين ٢، و للمائة ١
٣٢	١٧٠	٢٣٠	لستّين ٢، و للمائة و عشرة ١
٣٣	١٨٠	٢٤٠	لستّين ٢، و للمائة و عشرين ١
٣٤	١٩٠	٢٥٠	لستّين ٢، و للمائة و ثلاثين ١
٣٥	٢٠٠	٢٦٠	لستّين ٢، و للمائة و أربعين ١
٣٦	٢١٠	٢٧٠	لستّين ٢، و للمائة و خمسين ١
٣٧	٢٢٠	٢٨٠	لستّين ٢، و للمائة و ستّين ١
٣٨	٢٣٠	٢٩٠	لستّين ٣، و للمائة و سبعين ١
٣٩	٢٤٠	٣٠٠	لستّين ٢، و للمائة و ثمانين ١
٤٠	٢٥٠	٣١٠	لستّين ٢، و للمائة و تسعين ١

﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا كُونُوا قَوّامينَ بِالْقِسْطِ شُهَداءَ لِلّهِ وَلَوْ عَلىٰ أنْفُسِكُمْ أوِالْوالِدَيْنِ وَالأقْرَبينَ إنْ يَكُنْ غَنِيًّا أوْ فَقيراً فَاللّهُ أوْلىٰ بِهِما فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوىٰ أنْ تَعْدِلُوا وَإنْ تَلْوُوا أوْ تُعْرِضُوا فَإنَّ اللّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبيراً﴾[1]

اللغة

القَوّام: مبالغة في القيام. و القسط: العدل و الاستواء و الاستقامة.[2] و اللَّي، واويّة العين، يائيّة اللام: الفتل.[3]

المعنى

قوله تعالى: ﴿كُونُوا قَوّامينَ بِالْقِسْطِ﴾. أي سريع القيام به، أو شديد القيام، أو دائم القيام، أو كثير القيام، و هذا أحسن. و حيث إنّ المراد بالقيام بالقسط الإقدام على العدل و العمل به، فيشمل كثرته مصاديق ذلك في مراحلة الثلاث، كالقيام به في العقائد، و القيام به في الأخلاق، و القيام به في الأعمال، فالاعتقاد بالمبدأ و المعاد ـ مثلاً ـ قيام بالقسط في الأفعال الجوانحيّة؛ و الشرك و إنكار المعاد قيام بالظلم و عمل به؛ و التخلّق بالشجاعة و السخاء عمل بالعدل؛ و الاستواء في النفسيّات و الإحسان و الإنفاق ـ مثلاً ـ عمل به في أفعال الجوارح.

---

١. النساء (٤): ١٣٥.

٢. راجع: تاج العروس، ج ١٠، ص ٣٧٨ (قسط).

٣. راجع: المفردات للراغب، ص ٤٥٧ (لوي).

قوله تعالى: ﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾. الشهداء: جمع الشهيد، أو الشاهد، و المراد بكونها لله أن يراعي أمر الله و حكمه في أدائها، فلا يكذب، و لا ينحرف عن الاعتدال.

قوله: ﴿وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ...﴾. أي ولو كانت الشهادة بضرر أنفسكم، أو الوالدين، و المراد بهما كلّ ذكر و لدك، فيشمل الأب و الأجداد و كلّ أنثى، و لذلك فتشمل الأمّ و الجدّات.

قوله: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا...﴾. جوابه قوله: ﴿فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾، أي إن يكن المشهود عليه غنيّاً، أو فقيراً فالله متولّ لأمره أيّ القسمين كان، فلا ينبغي للشاهد أن يعصي الله في شهادته؛ لدفع ضرر عنه، أو جلب خير له.

قوله: ﴿وَإِن تَلْوُوا﴾. أي تلووا ألسنتكم من الصدق في الشهادة إلى الكذب، أو تعرضوا عن أداء الشهادة بكتمانها.

و قوله: ﴿كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾. أي بما تعملون من القيام بالقسط، و بما تعملون من اللّيّ و الإعراض.

قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتابِ الَّذي نَزَّلَ عَلىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتابِ الَّذي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعيداً﴾ [1]

[المعنى]

قوله: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا﴾. إن كان متعلّق الإيمان المقدّر بعد كلمة ﴿آمَنُوا﴾ هو المذكور بعد قوله: ﴿آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾، لزم إشكال الأمر بتحصيل الحاصل.

فدفعوا ذلك بأنّ المراد: يا أيّها الذين آمَنوا في الظاهر، آمِنوا باطناً؛ ليوافق ظاهركم الباطن، أو المراد: يا أيّها الذين آمنوا، أثبتوا على إيمانكم.

و إن كان المتعلّق أمراً وراء متعلّق الإيمان المذكور ثانياً، ففيه أيضاً وجهان:

الأوّل: يا أيّها الذين آمنوا بالتوراة و موسى، آمِنوا بمحمّد و كتابه، أو يا أيّها الذين آمنوا بعيسى و إنجيل آمِنوا بمحمّد و كتابه.

الثاني: أنّ المراد خطاب المؤمنين الذين آمنوا بالله و ما أنزله على نحو الإجمال، كما كان هو الحال في بدء الشريعة، فكانوا يؤمنون بالله و الرسول بنحو الإجمال من غير تحقيق عن جميع ما يجب تعلّق الإيمان [به]، و من دون تحديد ذلك و تعيينه.

فالآية حينئذ مسوقة لبيان تفصيل ما يلزم تعلّق صفة الإذعان به، فقال: آمنوا بالله و القرآن و الكتب السماويّة و الرسل جميعهما، ثمّ فصّل ذلك ثانياً ببيان أنّ الكفر بالأمور المذكورة كلّاً أو بعضاً سبب للضلال و الهلاك، و هي أمور خمس، و لازمه وجوب

---

١. النساء (٤): ١٣٦.

الإذعان بها، و هي الله تعالى و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر، و يدخل في ذكر الله صفاته الجلاليّة و الجماليّة؛ إذ الاعتقاد بالله مع سلب تلك الصفات عنه إنكار له في الحقيقة، مع أنّ الإذعان بها يفهم من سائر الآيات أيضاً. كما أنّه يدخل الإذعان بالإمامة في ذكر الرسول؛ إذ النبيّ هو إمام أيضاً، و ذلك غير منقطع في عصر من الأعصار ـ كما يدلّ عليه السنّة المتواترة[١] ـ و إن كانت النبوّة تامّة مختومة.

فيكون المحصّل من الآية الشريفة وجوب الإذعان بأُمور سبعة: الله تعالى، و صفاته، و ملائكته المدبّرات لعالم التكوين بأمره، و كتبه المعروفة في العالم العلوي لسعادة خلقه المندرجة في اللوح المحفوظ و أُمّ الكتاب الذي لا يمسّه إلّا المطهّرون مِنْ ملائكته المقرّبين، و مَنْ أرسل الله تلك الكتب إليهم لهداية خلقه؛ أعني الرسل، و من كان خليفة للرسل بعدهم في أرضه و بلاده و إماماً و هادياً لعباده؛ أعني الخلفاء و الأوصياء في كلّ دين و عصر، و اليوم الآخر الذي فيه الجزاء و الثواب و العقاب.

ثمّ إنّ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ...﴾ مسوق لبيان أنّ الكفر بكلّ واحد من هذه الأُمور سبب مستقلّ في الخروج عن الايمان، فالواو فيها بمعنى «أو»؛ بشهادة الآيات و الأدلّة الآخر الدالّة على كفر كلّ من أنكر شيئاً منها. هذا في ما عدا الامامة؛ فإنّ المخالف فيها غير مرتّب عليه أحكام الكفر في الدنيا.

قوله: ﴿ضَلالاً بَعيداً﴾. فإنّ مطلق العصيان ضلال و بعد عن الله، و الكفر ضلال أبعد.

---

١. راجع: الكافي، ج ١، ص ١٧٧، باب أنّ الحجّة لا تقوم لله على خلقه إلّا بإمام، و ص ١٧٨ و ١٧٩، باب أنّ الأرض لا تخلو من حجّة، و ص ١٧٩ و ١٨٠، باب أنّه لو لم يبق في الأرض إلّا رجلان لكان أحدهما الحجّة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً﴾.[1]

المعنى

يشهد ظاهر الآية بقرينة ما بعدها أنّها في المنافقين، و أنّهم كانوا يظهرون الإيمانَ عند المؤمنين و الكفرَ عند الكافرين، و كان يتكرّر ذلك منهم، و حيث إنّهم كفّار في الحقيقة كان تكرّر هذه الأمور منهم ازدياداً في كفرهم، فالحكم بأنّ الله لم يغفر لهم؛ لأجل انّهم لايوفّقون للتوبة و الرجوع إلى الإيمان، و لايهديهم الله بتهيئة أسباب التوبة و الإنابة بعد رسوخ الكفر في قلوبهم، و هذا لا ينافي قبول توبتهم لو اتّفق رجوعهم حقيقة و إنابتهم واقعاً، كما هو مقتضى سائر الأدلّة الدالّة على قبول التوبة مطلقاً.

و يمكن حمل الإيمان و الكفر على حقيقتهما، لا على الاظهار لساناً، و المراد أنّه لو تكرّر من أحد الإيمان و الكفر مرّتين، ثمّ استمرّ كفره، و ازداد مدّة مديدة مثلاً، فلن يُغفر له، و لا يهديه الله.

و حينئذ فإمّا أن تحمل الآية على حقيقتها و أنّه لا تقبل توبة من كان هذا حاله ولو اتّفق انّه تاب و أناب فتكون مخصّصة لاطلاق ما دلّ على قبول التوبة مطلقاً.

و إمّا أن يكون المراد أنّ هذا القسم من الإنسان لايتحصّل منه التوبة و الرجوع، و هي مستحيلة عادة في حقّه، فلا يتحقّق منه الرجوع حتّى يتحقّق الغفران من الله، و لا يحصل التوبة من الله في حقّه حتّى يهديه و يهيّئ له أسباب التوبة، فلا تنافي بين هذه الآية و إطلاقات قبول التوبة.

---

١. النساء (٤): ١٣٧.

﴿بَشِّرِ الْمُنافِقينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذاباً أليماً ○ الَّذينَ يَتَّخِذُونَ الْكافِرينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنينَ أ يَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَميعاً﴾.[1]

[المعنى]

و قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنافِقينَ﴾ الآيةَ، يدلّ على كون المراد من الآية السابقة المنافقين.

و قوله: ﴿الَّذينَ يَتَّخِذُونَ الْكافِرينَ...﴾ بيان لوصف من أوصاف المنافقين، غير مختصّ بهم، بل كأنّ ذكره إشعار أو إظهار صريح بأنّ من كان هذا وصفه فهو بحكم المنافق و إن كان مؤمناً غير منافق، فكلّ من مال إلى الكفّار عملاً و اتّخذهم وليّاً و محباً و ناصراً لنفسه ولو لأجل الطمع في دنياه و ابتغاء العزّة و الغلبة و تحصيل الجاه في الدنيا، فحكمه ذلك.

---

١. النساء (٤): ١٣٨ و ١٣٩.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللهِ يُكْفَرُ بِها وَيُسْتَهْزَأُ بِها فَلاٰ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتّٰى يَخُوضُوا في حَديثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جامِعُ الْمُنافِقينَ وَ الْكافِرينَ في جَهَنَّمَ جَميعاً﴾.[1]

اللغة

الخَوض، من باب نصر: الورود في الماء، أو الشروع في ذلك، و يستعار للورود في كلّ أمر، و أكثر استعماله في الورود في أمر يذمّ الشروع و الدخول فيه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّما كُنّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾[2]، و قال: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذي خاضُوا﴾.[3]

المعنى

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ...﴾. أي في هذا الكتاب؛ أعني القرآن، و هذا إشارة إلى ما أنزله تعالى في سورة الأنعام (٦)، الآية ٦٨: ﴿وَإِذا رَأَيْتَ الَّذينَ يَخُوضُونَ في آياتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتّٰى يَخُوضُوا في حَديثٍ غَيْرِهِ وَإِمّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطانُ فَلاٰ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظّالِمينَ﴾، و المستفاد من هذه كون الخطاب للنبي ﷺ، و من الآية المبحوث عنها كون الحكم المنزل متوجّهاً إلى الناس، فيستشم منه أنّ كلّ خطاب في القرآن متوجّه إلى النبيّ فهو في الحقيقة متوجّه إلى الكلّ، كما يقال: «إنّ القرآن نزل[4]

---

١. النساء (٤): ١٤٠.

٢. التوبة (٩): ٦٥.

٣. التوبة (٩): ٦٩.

٤. في المصدر: «نزل القرآن» بدل «إنّ القرآن نزل».

بإيّاك أعني و اسمعي يا جارة[١]»،[٢] إلّا ما كان هناك قرينة الخلاف.

و يعلم من الآية المبحوث عنها أيضاً أنّ المراد بالخوض في آية الأنعام هو الورود في الآيات بنحو الإنكار و الاستهزاء.

ثمّ إنّ هذا الحكم إنّما هو في ما إذا لم يمكن للمكلّف الإنكار و النهي عن الكفر و الاستهزاء، و لم يمكن القتال أيضاً، و إلّا فالحكم هو النهي عن المنكر بمراتبه المعهودة.

و قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾ يدلّ على جواز إنساء الشيطان شيئاً من قلب النبيّ ﷺ فضلاً عن غيره من أفراد الأمّة، ولكنّ الأدلّة العقليّة قائمة بعدم جواز ذلك في حقّ النبيّ ﷺ، و كيف يمكن أن ينسى ﷺ حكم حرمة الجلوس في مجلس العصيان، فيجلس و يستمع الكفر بالآيات و الاستهزاء بها، و لايتوجّه إلى حرمته، مع أنّ أفعاله و أقواله ﷺ مورد لوجوب التأسّي، و قد قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٣]؟! فاللازم حينئذٍ أن نقول بأنّ الخطاب هنا له ﷺ ظاهراً و المراد غيره، كما أنّ الخطاب في آيتنا المبحوث عنها أيضاً لغيره ﷺ.

أو نقول: إنّ الكلام جرى مجرى الفرض و التقدير، و لا ينافي ذلك عدم تحقّقه في حقّه ﷺ، كقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[٤]، و قوله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾[٥].

ثمّ إنّ المراد بالآيات كلّ ما كان آية للتوحيد و النبوّة و المعاد من سور القرآن و معجزات النبيّ ﷺ و الكعبة و الشعائر العظام؛ فإنّ كلّ ذلك من الآيات فالكفر بها و

---

١. قال العلّامة الفيض ﷺ: «هذا مثل يضرب لمن يتكلّم بكلام و يريد به غير المخاطب». و قال العلّامة المازندراني ﷺ: «الجارة، بالتخفيف: ضرّة المرأة، من المجاورة بينهما. و المراد أنّه نزل بعض آيات القرآن ـ و هو أيضاً قرآن ـ على سبيل التعريض، و هو توجيه الخطاب إلى شخص و إرادة غيره؛ لكونه أدخل في النصح و أقرب إلى القبول، أو لغرض آخر». راجع: لسان العرب، ج ٤، ص ١٥٤ (جور)؛ الوافي، ج ٩، ص ١٧٧٠؛ شرح أصول الكافي للعلّامة المازندراني ﷺ، ج ١١، ص ٨١.

٢. حديث شريف، روي عن أبي عبد الله ﷺ، راجع: الكافي، ج ٢، ص ٦٣١، ح ١٤.

٣. الأحزاب (٣٣): ٢١.

٤. الزمر (٣٩): ٦٥.

٥. الحاقّة (٦٩): ٤٤ـ٤٦.

الاستهزاء داخل في مضمون آية البحث.

و قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ...﴾ يدلّ على حرمة الجلوس في مجلس يعصى الله فيه بالكفر، و يمكن استظهار حرمة الجلوس في ما يعصى فيه بسائر المعاصي، كشرب الخمر و القمار و نحوهما.

و هل يختصّ حكم الآية ـ من الإعراض و ترك القعود ـ بالمجلس، أو يعمّ لمن كان في بلد يكفر فيه بالآيات ويستهزأ بها، أو يعمّ المملكة الكذائيّة؟

الظاهر للاختصاص؛ إذ لايستفاد منها الحرمة لمن كان في بلد مثلاً، و يكفر في بلد آخر بينهما بعد فراسخ.

و قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ﴾. أي مثلهم حكماً، و حينئذٍ يشكل الأمر بـأنّه إذا حضر المؤمن مجلساً يكفر فيه بالآيات ،فاللازم الحكم بكفره حقيقة و وجوب قـتله حينئذٍ؛ للارتداد فطريّاً أو مليّاً، و هذا ينافي المستفاد من الأخبار، و لم يكن من طريقة النبيّ ﷺ و عمله، فاللازم كون المثليّة في أصل الإثم و العقاب، لا في كيفيّته و الخلود في النار، أو المراد المثليّة في الكفر إذا كان الاستماع بالكفر مع الرضا به، أو أنّ المراد أنّكم إذا أدمتم هذا العمل، تكونون كفّاراً بسراية اعتقادهم إليكم، فتكونون مثلهم.

و قوله: ﴿إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ...﴾. يظهر منه أنّ بعض مصاديق هذا العمل نفاق، و بعضها كفر، و لعلّ من حضر ذلك المجلس من غير ارتضاء بكفرهم نوع من النفاق، فلا يختصّ المنافق بمن هو كافر واقعاً و أظهر الإسلام، بل يعم من هو مسلم واقعاً و أظهر الكفر، فتأمّل.

قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾[1] .

اللغة

التربّص: الانتظار، يقال: ربص و تربّص، أي انتظر، و بابه «نصر».[2] و الاستحواذ: الغلبة و التسلّط، و استحوذ عليه الشيطان: استولى، من باب «نصر».[3]

المعنى

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ...﴾. المراد بالمتربّصين المنافقون المخالطون بالمؤمنين في المدينة، الذين كانوا يظهرون الإسلام، فهم كانوا في الظاهر مع المؤمنين في مجالسهم و جماعاتهم، و قد كانوا يشاركون معهم في الغزوات و الحروب، و في الباطن مع الكفّار يشجّعونهم و يلقون إليهم أسرار المسلمين، و يضعفون قلوب المؤمنين.

و قد حكى الله تعالى صفة من صفاتهم في هذه الآية، و هي أنّهم كانوا مراقبين منتظرين لحال المسلمين من الغلبة و المغلوبيّة، فإن كان الفتح لهم، قالوا: ألم نكن

---

١. النساء (٤): ١٤١.

٢. راجع: لسان العرب، ج ٧، ص ٣٩ (ربص).

٣. و قال ابن الأثير: «... استحوذ عليهم الشيطان، أي استولى عليهم و حواهم إليه. و هذه اللفظة أحد ما جاء على الأصل من غير إعلال خارجة عن أخواتها، نحو: استقال و استقام». راجع: الصحاح، ج ٢، ص ٥٦٣؛ النهاية، ج ١، ص ٤٥٧ (حوذ).

معكم ـ، أي في الدين، أو في الحرب ـ؛ لينالوا نصيباً من الغنيمة، أو حصّة من الفوائد الواصلة إليهم، كخراج الأراضي و نحوه؟

و إن كانت الغلبة للكفّار قالوا: أ لم نستحوذ عليكم، أي أ لم نغلبكم في الكلام و البحث، و أ لم نمنعكم من الدخول في زمرة المؤمنين و الإيمان بما آمنوا به؛ ليأمنوا بذلك من إيذائهم، أو يستغنموا ممّا غنموا من المسلمين؟

ثمّ إنّ في التعبير عن غلبة المسلمين بالفتح من الله و عن غلبة الكفّار بالنصيب إشعاراً أوّلاً بحسن الأمر الأوّل و فضله و أنّه ينبغي أن يسمّى فتحاً، و خسّة الثاني و أنّه نصيب و شيء قليل، و ثانياً بأنّ الأمر في الأوّل مستند إلى الله تعالى؛ إذ هو بتأييده و رضاه و أمره، و الثاني ليس كذلك؛ إذ هو منهيّ عنه من عنده و مبغوض و إن كان له تعالى تأييد تكويني في حصوله، كما في سائر المعاصي.

و الخطاب في قوله: ﴿يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ للمسلمين و المنافقين جميعاً، فالله يفصل بينهم يوم القيامة، كما قال: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾[1]، ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[2].

و قوله: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ...﴾، نفي تأبيديّ لجعل السبيل و الغلبة للكافر على المؤمن، و ظاهره يقتضي كونه عامّاً للدنيا و الآخرة و من حيث الحجّة و البرهان و من حيث الغلبة الظاهريّة في الحروب و غيرها، إلّا أنّه لا إشكال في تحقّق غلبة الكافر على المؤمن في بعض الأحيان، كما في غزوة أُحد و يوم حنين إذ أعجبتهم كثرتهم فلم تغن عنهم شيئاً،[3] و كما في وقعة الطفّ و الفخّ و غيرها، و كما في موارد قتل الكافر المؤمن و نظائره.

فلابدّ من حمل الآية على نفي السبيل يوم القيامة، كما يشهد له ما قبل هذه الجملة،

---

١. يس (٣٦): ٥٩. ٢. الشورى (٤٢): ٧.

٣. اقتباس من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّٰهُ فى مَواطِنَ كَثيرَةٍ وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إذْ أعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَ ضاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرينَ﴾. التوبة (٩): ٢٥.

أو الحمل على نفي السبيل من حيث الحجّة و البرهان من المؤمن الذي له أهليّة الحِجاج و البيان و المجادلة بالتي هي أحسن.[١]

و أمّا الحمل على نفي الغلبة إذا كان المؤمن كاملاً في ايمانه عاملاً على طبقه ـ كما عن بعض المفسّرين[٢] ـ فغير ظاهر الوجه؛ فإنّه كثيراً ما وقع الغلبة من الكافر على المؤمن مع كماله إيمانه، فأيّ نقص كان في عسكر الحسين عليه السلام في كربلاء؟ و كذا في قتل بني إسرائيل أنبياءهم و غيرهما من الموارد.

---

١. اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَ جادِلْهُمْ بِالَّتی هِیَ أَحْسَنُ﴾ [النحل (١٦): ١٢٥]، و قوله تعالى: ﴿وَ لا تُجادِلُوا أَهْلَ الْکِتابِ إِلاَّ بِالَّتی هِیَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت (٢٩): ٤٦].

٢. صرّح به العلّامة رحمه الله في الميزان، ج ٥، ص ١١٦. و يظهر من بعض التفاسير أيضاً. راجع: أحكام القرآن، ج ١، ص ٦٤١.

قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاَةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَ لاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً * مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لاَ إِلَىٰ هَٰؤُلاَءِ وَ لاَ إِلَىٰ هَٰؤُلاَءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً * إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾[1].

اللغة

الخدعة و المخادعة: إظهار خلاف الواقع و إبداء ضدّ ما يخفيه.[2] و الكُسالى: جمع كَسْلان،[3] كسُكارى و حَيارى جمعاً لسكران و حيران. و المذبذب: المتردّد المتحرّك يميناً و شمالاً، كما في الشيء المعلّق في الهواء.[4] و الدَّرْك بسكون الدال و فتحه: قعر الشيء و آخره، و هو يقابل الدرج، فهذا في النزول، و ذاك في الصعود، فيقال: إنّ الجنّة درجات، و النار دركات، أي لها قعور.[5]

---

١. النساء (٤): ١٤٢-١٤٦.

٢. المفردات للراغب، ص ١٤٣؛ لسان العرب، ج ٨، ص ٦٣ (خدع).

٣. راجع: لسان العرب، ج ١١، ص ٥٨٧ (كسل).

٤. راجع: لسان العرب، ج ١، ص ٣٨٤ (ذبب).

٥. راجع: المفردات للراغب، ص ١٦٧ (درك).

المعنى

قد عدّ الله تعالى في هذه الآيات للمنافق أوصافاً كثيرة، و هي مع الوصف السابق في الآية السابقة ـ ؛ أعني كونه متربّصاً لحال المسلمين، فتارة يطلب الغنم من هؤلاء، و أُخرى من هؤلاء ـ تبلغ عشرة أوصاف.

فالوصف الثاني: قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ﴾، أي يخادعون نبيّه و أولياءه، و ذلك كمخادعة الله تعالى، كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾.[١] و الخدعة أمر مذموم جدّاً، خاصّة إذا كانت مع أولياء الله، ففي الكلام تلويح بفَضاعة أمرهم أوّلاً، و بعظمة الرسول و المؤمنين ثانياً، فكان خدعتهم خدعة الله تعالى.

و الوصف الثالث: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾؛ فإنّ خدعتهم عبارة عن ضِغْث[٢] من أقوالهم الكاذبة و أفعالهم الباطلة، و كلّها ذات و بال عليهم و إثم و عقاب، فتركهم الله و ما عملوا حتّى يلاقوا يومهم الذي يوعدون، و هذا الترك نوع من الخدعة المحلّلة التي تصدر من الحكيم، و لا قبح في ذلك.

و الوصف الرابع: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾، و هذا من لوازم عمل المنافق؛ فإنّه ينشط في العبادة إذا رآه الناس عليها، و يكسل إذا كان وحده.

و الوصف الخامس: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً﴾، و الذكر القليل هو الذكر الظاهري الذي يأتونه بمرأى من الناس، أو الذي قد يحصل لهم في الخلوة بمقتضى عقولهم؛ فإنّ الإنسان لا مناص له من التوجّه أحياناً إلى معبوده و أنّه يخالف أمره، أو يوافقه، و لا إشكال في كونه ذكراً قليلاً لا ينفعهم إلّا لإتمام الحجّة عليهم.

و الوصف السادس: قوله تعالى: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾، أي متردّدين بين الإيمان و الكفر، و ظاهر ذلك أنّ قلوبهم قد تميل إلى الإيمان، و قد تميل إلى الكفر، كما في قوله

---

١. الفتح (٤٨): ١٠.

٢. الضِغْث من الخبر و الأمر: ما كان مختلطاً لا حقيقة له. و الضِغْث: قبضه من قُضْبان مختلفة، يجمعها أصل واحد، مثل: الأَسَل، و الكُرّاث، و الثُمام. لسان العرب، ج ٢، ص ١٦٤ (ضغث).

تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَىٰ حَرْفٍ...﴾.[١]

و يحتمل كونهم مذبذبين في حركاتهم، فتارة يمشون إلى المسلمين، و أُخرى إلى الكفّار، فالمذبذب أبدانهم لا قلوبهم.

و ﴿لا إلى هٰؤُلاءِ...﴾، أي لا ينقطعون إلى المؤمنين بالكلّيّة، و لا إلى الكفّار كذلك.

و الوصف السابع: أنّهم ممّن أضلّهم الله تعالى بتركهم على حالهم وقطع أسباب التوفيق عنهم، و من كان كذلك فلن تجد له سبيلاً، و الخطاب للنبي ﷺ، أو السامع مطلقاً.

و قوله تعالى: ﴿يا أيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا...﴾ بيان لحكمة انحراف المنافقين وعلّة ضلالهم و أنّ كلّ من اتّخذ الكافر وليّاً فأمره يؤول إلى الشقاء و العذاب.

و الوصف الثامن: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنافِقينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النّارِ﴾، و هي الطبقة السابعة منها، و لا مكان فيها أشقّ منها، فهم أشدّ عذاباً من الكفّار، أو مساوون مع أشدّائهم على الدين و على أنبياء الله، و هذا ممّا يشهد به العقل السليم إذا قلنا بأنّ العذاب من نتائج مفاسد الأعمال الدنيويّة؛ إذ لا إشكال في أنّ ضرر المنافقين على الأنبياء و أديانهم كان أكثر من الكفّار، و لم يخسر المسلمون اليوم إلّا في نتائج نفاق الأوّلين، و لم ينحطّ الإسلام و المؤمنون إلّا في جَراء[٢] نفاق المنافقين، و من الآيات القرآنيّة شواهد على ذلك كثيرة يصل إليها المتتبّع فيها.

و الوصف التاسع: قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصيراً﴾، و هذا من نتائج كونهم في الدنيا ممّن تجد لهم سبيلاً.

و قوله: ﴿إِلاَّ الَّذينَ تابُوا﴾، أي رجعوا إلى الله تعالى قولاً بالاستغفار و قلباً بالندم على ما مضى.

﴿وَ أَصْلَحُوا﴾، أي أصلحوا عقائدهم بطرح الأباطيل و رفض الأضاليل و الإذعان بما

---

١. الحجّ (٢٢): ١١.

٢. يقال: فعلت ذلك من جَراك و جَرائك، بالتخفيف، لغة في جرّاك، أي من أجلك. و المعنى: في أثر نفاق المنافقين، أو من أجله. راجع: تاج العروس، ج ٦، ص ١٨٢ (جرر)، و ج ١٩، ص ٢٨٢ (جري).

يجب الإذعان به، و أصلحوا نفسيّاتهم و رذائل أخلاقهم بإزالتها و تحصيل الفضائل مكانها، و أصلحوا أعمالهم بترك القبائح و أخذ المحاسن. فالإصلاح ذات الأبعاد الثلاثة، و هذا جزء آخر للتوبة، أوّلها الرجوع الماحي لما مضى، و آخرها الإصلاح المحصّل لما يأتي.

قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا﴾. و هذا بيان لوسيلة الإصلاح و ما به يتمّ ذلك؛ فإنّ المراد بالاعتصام التمسّك بالكتاب و السنّة و قواعد الشرع الأُصوليّة و الفروعيّة. و لولا ذلك لما أمكن الإصلاح؛ فإنّ المريض لا يقدر على نجاة نفسه من المرض إلّا بأخذ البرنامج من الطبيب؛ ليعمل به، فيصلح نفسه. فالاعتصام أخذ الدستور من الشرع لإصلاح النفس الإنسانيّة.

و قوله: ﴿وَأَخْلَصُوا﴾ مسوق لبيان أنّ إصلاح النفس بهذه الدساتير الغيبيّة الدينيّة ليس كالدواء للمزاج، بل يحتاج إلى القصد و النيّة متقرباً إلى الله، قاصداً جنابه، خالصاً لوجهه الكريم. فالتوبة إقدام أبدئي،[1] و الإصلاح تتميم عملي، و الاعتصام وسيلة و سبب اقتضائي، و الإخلاص شرط شرعي، و بعد تحقّق تلك الأُمور فيكون التائب مع المؤمنين، إلى آخر ما في الآية الشريفه.

---

١. كذا في الأصل، و الظاهر أنّ الصحيح: «ابتدائيّ».

قال تعالى: ﴿لاٰ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلّا مَنْ ظُلِمَ وَكاٰنَ اللهُ سَميعاً عَليماً * إِنْ تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللهَ كاٰنَ عَفُوًّا قَديراً * إِنَّ الَّذينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَ رُسُلِهِ وَيُريدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُريدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذٰلِكَ سَبيلاً * أُولٰئِكَ هُمُ الْكاٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنا لِلْكاٰفِرينَ عَذاٰباً مُهيناً * وَ الَّذينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكاٰنَ اللهُ غَفُوراً رَحيماً﴾[1].

اللغة

الجهر: هو الظهور التامّ وبنحو الإفراط، سواء أكان على حاسّة السمع، أم على حاسّة البصر؛[2] قال تعالى: ﴿سَواٰءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾،[3] و قال: ﴿أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً﴾[4].

المعنى

قوله: ﴿لاٰ يُحِبُّ اللهُ...﴾. أُريد من عدم الحبّ لوازمه من النهي و الجزاء السيّء. و السوء من القول ـ و هو القول السيّء ـ أعمّ من الدعاء على المقول عليه و شتمه و غيبته و البهتان عليه و استهزائه و غير ذلك من النميمة و مدح الظالم و إيذاء المؤمن بالكلام و الكذب.

و قوله: ﴿إِلّا مَنْ ظُلِمَ﴾. أي إلّا جهر المظلوم؛ فإنّه ليس ممّا لايحبّه الله، و كان الله

---

١. النساء (٤): ١٤٨ ـ ١٥٢.

٢. راجع: المفردات للراغب، ص ٢٠٨ (جهر).

٣. الرعد (١٣): ١٠.

٤. النساء (٤): ١٥٣.

سميعاً بمقال المجهر بالسوء مطلقاً، مظلوماً كان أو غيره، كما أنّه سميع لغير القول ممّا شأنه أن يسمع.

﴿عَليماً﴾ بحالهما و قلبهما، و بكون المجهر مظلوماً أو غير مظلوم، و بغير ذلك.

و قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْراً...﴾. أي كلاماً جميلاً، أو عملاً حسناً عباديّاً أو غيره، إنفاقاً أو غيره.

﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾، كالأعمال العباديّة و غيرها المأتيّ بها سرّاً.

﴿أَوْ تَعْفُوا﴾، عن سوء السيّء إليكم، كضرب و جرح و شتم و تضييع حقّ و غير ذلك ممّا يحسن العفو عنه، و منه ترك الجهر بالسوء من القول في موارد جوازه.

﴿فَإِنَّ اللهَ كانَ عَفُوّاً قَدِيراً﴾، و هذا واقع موقع الجزاء، و التقدير: فقد فعلتم حسناً، و تخلّقتم بأخلاق الله تعالى؛ فإنّه عفوّ صَفُوح[١] مع قدرته.

تنبيه

يظهر من بعض الأخبار أنّ من مصاديق الجهر بالسوء ما إذا قيل فيك ما ليس فيك من الخير و الثناء و العمل الصالح، رواه القمّي في تفسيره[٢]. و في الرواية: «احثوا التراب في وجوه المدّاحين».[٣] و في أُخرى: «من مدحك بما ليس فيك فقد ذبحك بغير سكّين»[٤]، كما أنّ من أظهر مصاديقه توصيف الظَلَمَة و الثناء عليهم في ظلمهم أو ـ و لو بنحو الحقّ ـ في ما إذا كان دخيلاً في دوام شوكتهم أو زيادتها.

---

١. الصَفُوح: من أبنية المبالغة. و هو من صفات الله تعالى، و معناه: العَفُوّ عن ذنوب العباد، المعرض عن عقوبتهم تكرّماً. راجع: النهاية، ج ٣، ص ٣٥ (صفح).

٢. راجع: تفسير القمّي، ج ١، ص ١٥٧، ذيل الآية المذكورة.

٣. روي عن رسول الله ﷺ، و العبارة في بعض المصادر هكذا: «احثوا في وجوه المدّاحين التراب». و قد حثى عليه التراب: رماه. راجع: الفقيه، ج ٤، ص ١١، ح ٤٩٦٨؛ الأمالي للشيخ الصدوق؛ ص ٥١٢، ح ٧٠٧؛ مسند أحمد، ج ٦، ص ٥؛ المعجم الكبير للطبراني، ج ٢٠، ص ٢٣٩؛ لسان العرب، ج ١٤، ص ١٦٤ (حثا).

٤. لم نعثر عليه، نعم روي عن أمير المؤمنين؛ أنّه قال: «من مدحك فقد ذبحك». راجع: غرر الحكم، ص ٤٦٦، ح ١٠٧٣٤.

قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ...﴾. الجملات الأربع وقعت بحيث تفسّر كلّ لاحقة منها سابقتها؛ فإنّ المراد بها اليهود و النصارى من أهل الكتاب، فقد حكم الله تعالى أوّلاً بأنّهم كافرون بالله و بجميع الرسل على ما هو مقتضي كلمة الجمع المضاف، فيمكن حينئذٍ توهّم أنّهم لم يكفروا بالله تعالى، فبيّن تعالى بأنّ التفرقة بين الله و رسله في الاعتقاد بمنزلة الكفر بالله، و يمكن حينئذٍ أن يتوهّم أيضاً بأنّهم لم يكفروا بجميع الرسل حتّى يكون سبباً للكفر بالله، فبيّن تعالى أنّ الكفر ببعضهم كالكفر بالجميع، فالإيمان بالبعض و الكفر بالبعض الآخر بحكم الكفر بالجميع.

و قوله: ﴿وَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا﴾ توضيح لما قبله، فحاصل الكلام أنّهم اتّخذوا سبيلاً متوسّطاً بين الإيمان بجميع الأنبياء و الكفر بجميعهم، و هو الإيمان بالبعض و الكفر بالبعض، و هذا بمنزلة الكفر بالجميع، و هو بمنزلة الكفر بالله، فهم قد كفروا بالله و رسله.

قوله : ﴿أُولٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا...﴾. أي لا ينبغي الريب فيه بتخيّل أنّ إيمانهم بالبعض قد أخرجهم عن زمرة الكافرين.

و قوله : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ...﴾. ظاهره كمال الإيمان و استحقاق المثوبة بالإيمان بالله و الرسل و عدم وجود شيء آخر ذي مدخل في الاستحقاق، لكنّه غير مراد قطعاً؛ فإنّ سوق الكلام في مقابل أهل الكتاب المنكرين لبعض الأنبياء فأثبت أنّ الاستحقاق من ناحية الاعتقاد بالنبوّة مشروط بالإيمان بجميعهم، و التبعيض مانع عن تأثير هذا الجزء من المقتضي، أو عن تحقّق هذا الشرط، و أمّا الأجزاء الأُخر أو الشرائط غيرها ـ ، كالإيمان بالملائكة و الكتب و اليوم الآخر ـ فليست محلّاً للكلام هنا.

قوله تعالى: ﴿يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتاباً مِنَ السَّماءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذٰلِكَ فَقالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ فَعَفَوْنا عَنْ ذٰلِكَ وَآتَيْنا مُوسىٰ سُلْطاناً مُبيناً * وَرَفَعْنا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِميثاقِهِمْ وَ قُلْنا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً وَقُلْنا لَهُمْ لاٰ تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنا مِنْهُمْ ميثاقاً غَليظاً * فَبِما نَقْضِهِمْ ميثاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآياتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ قَوْلِهِمْ قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ فَلاٰ يُؤْمِنُونَ إِلّاٰ قَليلاً * وَبِكُفْرِهِمْ و قولهم عَلىٰ مَرْيَمَ بُهْتاناً عَظيماً * و قولهم إِنّا قَتَلْنَا الْمَسيحَ عيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذينَ اخْتَلَفُوا فيهِ لَفي شَكٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّباعَ الظَّنِّ وَما قَتَلُوهُ يَقيناً * بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكانَ اللهُ عَزيزاً حَكيماً * وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلّاٰ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهيداً * فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذينَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبيلِ اللهِ كَثيراً * وَأَخْذِهِمُ الرِّبٰوا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوالَ النّاسِ بِالْباطِلِ وَأَعْتَدْنا لِلْكافِرينَ مِنْهُمْ عَذاباً أَليماً *﴾[1].

اللغة

مرّ معنى الجهر في ذيل الآية ١٤٨.[2] و الصاعقة: مصدر بمعنى الصوت الشديد الجوّيّ،

---

١. النساء (٤): ١٥٣ ـ ١٦١.

٢. قال هناك: «الجهر: هو الظهور التامّ و بنحو الإفراط، سواء أكان على جسّة السمع، أم على حاسّة البصر». و راجع: المفردات للراغب، ص ٢٠٨ (جهر).

فيقارن أحياناً النار و العذاب و الموت، و لذلك قد تستعمل بمعنى الموت، كقوله تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰاوٰاتِ...﴾، [١] و بمعنى العذاب، كقوله تعالى: ﴿أَنْذَرْتُكُمْ صٰاعِقَةً مِثْلَ صٰاعِقَةِ عٰادٍ وَثَمُودَ﴾[٢]، و بمعنى النار، كقوله: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوٰاعِقَ فَيُصِيبُ بِهٰا مَنْ يَشٰاءُ﴾، [٣] كذا قال الراغب. [٤]

و العِجْل: ولد البقرة؛ لاتّصافه بالعجلة قبل أن يكون ثَوْراً. [٥] و العَدْو: التجاوز، [٦] يقال: ما عدوت زيارتك، أي ما جاوزتها. و الطُّور: الجبل. [٧]

المعنى

قوله: ﴿يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتٰابِ...﴾. الظاهر أنّ المراد بهم اليهود، كما يشهد سياق الآيات بعدها.

و قوله تعالى: ﴿أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتٰاباً مِنَ السَّمٰاءِ﴾. أي غير القرآن، و لم يظهر من الآية كيفيّة ما سألوا عنه، و لعلّهم كانوا يطلبون ما كان مكتوباً في الألواح، كتوراة موسى، أو مكتوباً مستقلاً لكلّ واحد من أعيانهم و رجالهم، أو لواحد معيّن من رؤسائهم، فيقنع به الباقون.

و قوله: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذٰلِكَ...﴾. و في الآية ٥٥ و ٥٦ من البقرة (٢) قال: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يٰا مُوسىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّٰى نَرَى اللّٰهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصّٰاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ○ ثُمَّ بَعَثْنٰاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، و قال تعالى في الآية ١٥٥ من الأعراف (٧): ﴿وَاخْتٰارَ مُوسىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقٰاتِنٰا فَلَمّٰا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قٰالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيّٰايَ أَتُهْلِكُنٰا بِمٰا فَعَلَ السُّفَهٰاءُ مِنّٰا﴾. و التعبير بالصاعقة مرّة و الرجفة أخرى غير متناف؛ فإنّه إن كان المراد بالصاعقة الصيحة الشديدة فهو سبب للرجفة التي بمعنى الحركة و الاضطراب الشديد، و هو سبب الموت، و إن كان المراد بها الموت فهو مسبب عن الرجفة.

---

١. الزمر (٣٩): ٦٨.
٢. فصّلت (٤١): ١٣.
٣. الرعد (١٣): ١٣.
٤. المفردات للراغب، ص ٤٨٥ (صعق).
٥. راجع: المفردات، ص ٥٤٩ (عجل).
٦. راجع: المصباح المنير، ص ٣٩٧ (عدو).
٧. لسان العرب، ج ٤، ص ٥٠٨ (طور).

و قوله: ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ...﴾. و هذا هوَ الثاني من الأُمور التي قد عدّها الله من طغيانهم، و قد وقعت عبادة العجل منهم بعد ذهاب موسى من بينهم إلى الطور بمواعدة الله تعالى، و خلّف فيهم أخاه هرون؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ * ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1] و قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ﴾[2].

و البيّنات ما ظهر لهم من معجزة العصا و اليد البيضاء وانجائهم من فرعون و فلق البحر، فكان كلّ فِرْقٍ[3] كالطود[4] العظيم.[5]

و قوله: ﴿فَعَفَوْنَا عَنْ ذَٰلِكَ...﴾. و كيفيّة العفو ما بيّنه تعالى في البقرة (٢): ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾[6].

و قد روي أنّهم أُمروا بأن يقتل بعضهم بعضاً، فقتلوا حتّى بلغ عدد القتلى سبعين ألفاً، فعفا الله عن الباقين.[7] و يحتمل أن يكون المراد بقتل النفس قتل النفس الأمّارة و القوى الشهويّة و البهيميّة و السبعيّة، و لا يكون ذلك إلّا بالندم و العمل بما يقتضيه شرعهم، فلمّا عملوا به تحقّقت التوبة منهم، فقبلها الله.

قوله: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَاناً مُبِيناً﴾. أي حجّة ظاهرة تامّة دالّة على نبوّته من المعجزات المذكورة في القرآن، أو المراد التسلّط الخارجيّ على بني إسرائيل و على مملكة فرعون لو قلنا بأنّ موسى أدرك ذلك.

---

١. البقرة (٢): ٥١ و ٥٢. ٢. الأعراف (٧): ١٤٨.

٣. الفِرقُ: القطعة المنفصلة. المفردات للراغب، ص ٦٣٢ (فرق).

٤. قال الراغب: «الطَّوْد: هو الجبل العظيم، و وصفه بالعظم لكونه في ما بين الأطواد عظيماً، لا لكونه عظيماً في ما بين سائر الجبال». المفردات، ص ٥٢٨ (طود).

٥. اقتباس من قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾. الشعراء (٢٦): ٦٣.

٦. البقرة (٢): ٥٤.

٧. راجع: مجمع البيان، ج ١، ص ٢١٨، ذيل الآية المذكورة.

قوله: ﴿وَرَفَعْنا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثاقِهِمْ...﴾. أي لأجل أن نأخذ الميثاق منهم.

و الظاهر أنّ هذا الكلام عطف على قوله: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى...﴾، فقد ذكر الله تعالى أمرين لبيان أنّ ما سأله آباؤهم الأقدمون أكبر ممّا سأله هؤلاء، و هما سؤال الرؤية و اتّخاذ العجل، و الأمران قد وقعا قبل مجيء التوراة.

ثمّ عطف على ذلك أحد عشر أمراً من قبائح فعالهم و ما جنت أيديهم ممّا عملوه بعد نزول التوراة.

فالأوّل: نقض ميثاق دخول الباب.

و الثاني: نقض ميثاق عدم العَدْو في السبت.

و الثالث: كفرهم بالآيات.

و الرابع: قتلهم الأنبياء.

و الخامس: قولهم: ﴿قُلُوبُنا غُلْفٌ﴾.

و السادس: كفرهم بعيسى.

و السابع: افتراؤهم على مريم.

و الثامن: دعواهم قتل عيسى.

و التاسع: صدّهم عن سبيل الله.

و العاشر: أخذهم الربا.

و الحادي عشر: أكلهم أموال الناس بالباطل.

و قوله تعالى: ﴿وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ﴾ إلى قوله: ﴿يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ كالجملة المعترضة في ما بين الأمور المذكورة، جيء بها ردّاً على دعواهم قتل المسيح عليه السلام، و إيضاحاً لشيء من أحواله عليه السلام.

ثمّ إنّك عرفت أنّ رفع الطور وقع بعد مجيء موسى بالتوراة، فأمرهم بالعمل بما فيها، فامتنعوا، فأنزل الله ملائكة، فرفعوا الطور فوق رؤوسهم؛ ليأخذوا بما في التوراة، و يعملوا به؛ قال تعالى في البقرة: ﴿وَإِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَرَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ

بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا ما فيهِ﴾[١]، و قال في سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ واقِعٌ بِهِمْ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا ما فيهِ﴾[٢].

قوله تعالى: ﴿وَقُلْنا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً﴾. المراد بالباب باب القرية التي أُمروا بالدخول فيها، و هي بيت المقدّس، أو باب المسجد منها. و ﴿سُجَّداً﴾، أي خاضعين، أو ساجدين بعد الدخول؛ قال تعالى في البقرة (٢): ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً...﴾[٣].

قوله: ﴿وَقُلْنا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ...﴾. أي لا تتجاوزوا عمّا أباح الله لكم يوم السبت إلى ما لم يبح، و هو صيد الحيتان.

قوله: ﴿وَأَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً...﴾. أي بأن يعملوا بالتوراة، و من جملتها هذين الأمرين.

قوله: ﴿فَبِما نَقْضِهِمْ...﴾. كلمة «ما» زائدة، و الجارّ متعلّق بمقدّر، أي لعنّاهم، أو استحقّوا العذاب، و نحو ذلك. يقدّر بعد قوله: ﴿مِيثاقَهُمْ﴾، أو بعد قوله: ﴿عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ﴾.

و قد يقال: إنّ الجارّ متعلّق بقوله: ﴿حَرَّمْنا عَلَيهِمْ﴾، وكلمة ﴿فَبِظُلْمٍ﴾ بدل عنه بدل البعض من الكلّ؛ فإنّ بعض الأُمور المذكورة قد وقع بعد تحريم الطيّبات، كقتل الأنبياء، و كفرهم بعيسى، و البهتان على مريم، و دعوى قتل المسيح، و كذا العَدْو في السبت بناء على شمول تحريم الطيّبات لصيد السمك يوم السبت أيضاً. و حينئذٍ فالتقدير: فنقض الميثاق و إتيان هذه الأمور ـ، أي بظلمهم أنفسهم في بعضها ـ حرّمنا عليهم الطيّبات.

ثمّ إنّ معنى قوله: ﴿فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُم﴾، أي من جهة نقضهم ميثاق الأمرين و غيرهما.

﴿وَ كُفْرِهِمْ بِآياتِ اللهِ﴾، أي بمعجزات محمّد ﷺ، أو بمعجزات موسى و عيسى عليهما السلام.

---

١. البقرة (٢): ٦٣. ٢. الأعراف (٧): ١٧١.
٣. البقرة (٢): ٥٨.

﴿وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِياءَ﴾، كعيسى و زكريّا و يحيى و غيرهم.

﴿وَ قَوْلِهِمْ قُلُوبُنا غُلْفٌ﴾، جمع الأغلف، أي الذي في غطاء، فالقلب الأغلف ما لايردّها شيء من المواعظ و الزواجر و العبر. و قد مرّ معنى الطبع في سورة البقرة.

﴿وَ بِكُفْرِهِمْ﴾، أي بعيسى.

﴿وَ قَوْلِهِم عَلى مَرْيَمَ بُهْتاناً عَظِيماً﴾؛ فإنّهم قالوا: إنّها ولدت عيسى من الزنا.

قوله تعالى: ﴿وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ...﴾. ظاهر الآية نفي صدور القتل و الصلب منهم و حصول الشبهة لهم في ذلك.

أمّا القتل و الصلب فهما كناية عن عدم صدور القتل منهم بأيّ نحو كان، و هو لا يلازم رفعه الله حيّاً، بل لعلّه قد أماته، فرفع روحه، إلّا أنّ قوله تعالى: ﴿وَ ما قَتَلُوهُ يَقِيناً بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾، ظاهر بواسطة وحدة الضمائر من حيث المرجع في نفي وقوع القتل على الموجود المعيّن، و هو عيسى ﷺ، و تحقّق الرفع بالنسبة إليه، لا بالنسبة إلى روحه فقط. و يؤيّده ما ورد في تفسير الآية من الروايات[1] الدالّة على أنّه تعالى رفعه إليه حيّاً و إن كان السند فيها مخدوشاً.

و أمّا الشبهة الحاصلة لأهل الكتاب في حقّه، فالظاهر أنّ ذلك بالنسبة إلى أصل قتله و كيفيّته؛ فإنّ المرويّ أنّهم قد اختلفوا بعد وقوع الحرب أو حادثة القتل، فمنهم من ادّعى أنّه أُخذ و قتل و كان كاذباً مستحقّاً للقتل. و منهم من تردّد في تحقّق قتله و قال: لو كان هو عيسى فأين صاحبنا؟ و منهم من قال: إنّ المقتول وجهه وجه عيسى وبدنه بدن صاحبنا. و منهم من قال: صلب الناسوت، و صعد اللاهوت. و كلّهم كانوا شاكّين متردّدين.[2]

و قد روى عليّ بن إبراهيم في تفسيره بسند صحيح عن الباقر ﷺ [أنّه قال]:

---

١. للتعرّف لتلك الروايات راجع: الصافي، ج ١، ص ٥١٨؛ نور الثقلين، ج ١، ص ٥٦٩ و ٥٧٠، ح ٦٥٢ـ٦٥٧، ذيل الآية ١٥٧ و ١٥٨ من سورة النساء (٤).

٢. راجع: الكشّاف، ج ١، ص ٥٨٠؛ تفسير البيضاوي، ج ٢، ص ٢٧٧؛ مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٣٢ و ٢٣٣؛ الأصفى، ج ١، ص ٢٥١، ذيل الآية ١٥٦ و ١٥٧ من سورة النساء (٤).

«إنّ عيسى‌ﷺ وعد أصحابه ليلة رفعه الله إليه، فاجتمعوا إليه عند المساء و هم اثنا عشر رجلاً، فأدخلهم بيتاً، ثمّ خرج عليهم من عين [من] زاوية البيت و هو ينفض رأسه من الماء، فقال: إنّ الله أوحى إليّ أنّه رافعي إليه الساعة و مطهّري من اليهود، فأيّكم يلقى عليه شبحي، فيقتل و يصلب و يكون معي في درجتي؟ فقال شابّ منهم: أنا يا روح الله، قال: فأنت هو ذا، فقال لهم عيسى‌ﷺ: أمّا إنّ منكم لمن يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة، فقال له رجل منهم: أنا هو يا نبيّ الله؟ فقال له عيسى‌ﷺ: أتحسّ بذلك في نفسك؟ فلتكن هو، ثمّ قال لهم عيسى‌ﷺ: أما إنّكم ستفترقون بعدي على ثلاث فرق: فرقتين مفتريتين على الله في النار، و فرقة تتّبع شمعون صادقة على الله في الجنّة، ثمّ رفع الله عيسى‌ﷺ من زاوية البيت و هم ينظرون إليه».

ثمّ قال أبو جعفر‌ﷺ: إنّ اليهود جاءت في طلب عيسى‌ﷺ من ليلتهم، فأخذوا الرجل الذي قال له عيسى‌ﷺ: إنّ منكم لمن يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة، و أخذوا الشابّ الذي أُلقي عليه شبح عيسى، فقتل و صلب، و كفر الذي قال له عيسى‌ﷺ: تكفر قبل أن تصبح اثنتي عشرة كفرة[١].

و هناك روايات كثيرة تدلّ على رفع عيسى‌ﷺ بجسده إلى السماء،[٢] تورث الاطمينان و إن لم يكن السند فيها سالماً.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾. أي و ليس أحد منهم إلّا ليؤمننّ بعيسى، كما أنّ عيسى يكون عليهم شهيداً يوم القيامة، فالضمير المجرور في كلمة ﴿بِهِ﴾ يرجع إلى ﴿عيسى﴾، و أمّا الضمير في قوله: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ فهل هو راجع إلى «أحد»، أو إلى ﴿عيسى﴾؟ ففيه اختلاف.[٣]

---

١. تفسير القمّي، ج ١، ص ١٠٣، ذيل الآية ٥٥ من سورة آل عمران (٣). و عنه في بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٣٣٦ و ٣٣٧، ح ٦.

٢. راجع: البرهان، ج ١، ص ٦٢٧ و ٦٢٨، ح ١٨١٣ ـ ١٨١٥، ذيل الآية ٥٥ من آل عمران (٣).

٣. راجع: جامع البيان، ج ٦، ص ٢٤ ـ ٣١؛ التبيان، ج ٣، ص ٣٨٦ و ٣٨٧؛ مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٣٥، ذيل الآية ١٥٨ من سورة النساء (٤).

و حيث قد عرفت أنّ المراد بأهل الكتاب هنا اليهود، لا الأعمّ منهم و النصارى، كما اختاره عدّة، منهم الأستاذ الطباطبائي في تفسيره الميزان[١]؛ فإنّ في الآيات قرائن على الاختصاص، كما لعلّك تعرف.

فعلى القول برجوع الضمير المضاف إليه الموت إلى الأحد المعلوم من الآية، فالمعنى أنّه ليس أحد من اليهود إلّا و هو مؤمن قبل موته بعيسى ﷺ، و ظاهر العموم يشمل اليهود من حين نزول هذه الآية بقرينة كلمة ﴿لَيُؤْمِنَنَّ﴾ إلى آخر زمان يوجد فيه يهوديّ في الدنيا، و هو ظهور الدولة الحقّة الإسلاميّة و انقراض جميع أهل الأديان بظهور[٢] دين الله على الدين كلّه.

ثمّ إنّه حيث نعلم بأنّ اليهود لم يؤمنوا بعيسى ظاهراً، فاللازم حمل الآية على الإيمان عند معاينة علائم الآخرة و في حالة احتضارهم، فينكشف لديهم الحق عندئذ، و يذعنون بنبوّة عيسى ﷺ في تلك الحالة و إن لم ينفعهم ذلك الإيمان الاضطراري.

و يمكن القول بأنّهم كما يؤمنون بعيسى في تلك الحالة، كذلك يؤمنون بمحمّد ﷺ و الأئمّة ﷺ من بعده، بل كما أنّهم يؤمنون بهم ﷺ، فالنصارى و أهل سائر الأديان و المذاهب أيضاً يؤمنون عند الموت؛ لانكشاف الحقيقة الأُصوليّة لهم عندئذ، إلّا أنّ ذلك الإيمان لاينفع في حقّهم، و ذكر اليهود في الآية فقط لأجل سبق الكلام عن بيان حالهم و عدّ جرائمهم، و بهذا يظهر لك ارتباط الآية الشريفة بما قبله.

فالمحصّل أنّ اليهود كفروا به و ادّعوا قتله، لكنّ كفرهم و دعواهم القتل ظلم و جهل، بل هم يؤمنون به عند دنوّ موتهم و حال احتضارهم.

و يمكن أيضاً القول بأنّ إيمانهم به يحصل بسبب حضوره عندهم عند الموت، كما نعتقد نحن بحضور النبيّ الأعظم و الأئمّة ﷺ عند المؤمنين حال الموت.

و أمّا على القول برجوع الضمير إلى ﴿عِيسى﴾، فالمعنى أنّ اليهود جميعاً يؤمنون

---

١. الميزان، ج ٥، ص ١٣٤، ذيل الآية المذكورة.

٢. الظهور: الغلبة، يقال: ظهر عليه، أي غلبه. راجع: المفردات، ص ٥٤٠ (ظهر).

بعيسى ﷺ قبل موت عيسى ﷺ، و حيث قد عرفت العموم في أفراد أهل الكتاب من حيث الشمول من زمان نزول الآية إلى مدّة بقاء عنوان اليهود، فالمستفاد حينئذٍ حصول إيمان الجميع حال جياة عيسى، و لازم ذلك كون عيسى حيّاً إلى زمان انقراض اليهود و ظهور دولة الإسلام، و يكون ارتباط الآية حينئذٍ بما قبلها واضحاً؛ إذ المعنى أنّهم كيف يدّعون قتله مع أنّهم لا يموتون إلّا و هم يؤمنون به في حياته؟ و كيفيّة إيمانهم على هذا الاحتمال أيضاً نظير الفرض السابق.

ثمّ إنّه قد علم ممّا ذكرنا صحّة ارتباط الآية بما قبلها على تقدير رجوع الضمير المضاف إلى الموت، إلى الأحد أو إلى عيسى، فلا شاهد من حيث السياق لترجيح أحد الاحتمالين.

لكن قد يستدلّ على كون الضمير راجعاً إلى عيسى؛ ليفيد حياته إلى أمد معلوم، بقوله تعالى في آخر الآية: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ بتقريب أنّ ظاهر هذا الكلام كون عيسى شهيداً يوم القيامة على جميع أهل الكتاب، الحدّ الأقلّ من عصره إلى زمان انقراضهم، و المراد بهذه الشهادة مرحلة الأداء، فهو يكون شاهداً على الجميع يوم القيامة بأدائها.[1]

و أمّا كيفيّة التحمّل فالظاهر أنّها هي التي أُشير إليها في الآية ١١٧ من المائدة (٥): ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، و لازم ذلك أنّ الشهادة على الجميع المؤدّاة يوم القيامة هي الشهادة الحاصلة له حال حياته و مادام كان فيهم، و هذا معنى بقائه و عدم موته إلى انقراض أهل الكتاب.

هذا ولكن هنا شهادتان في مرحلة التحمّل:

إحديهما: ما كان طريق تحمّله عاديّاً و على طبق الجريان الطبيعي، كشهادة الإنسان الحيّ لأفعال مجتمعه، فيعلم بحسن عدّة من أفعالهم و قبح عدّة أُخرى، إمّا بإدراك الحواسّ، أو بنحو آخر.

---

١. راجع: التبيان، ج ٣، ص ٣٨٧؛ مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٣٧، ذيل الآية المذكورة.

و ثانيتهما: العلم و الاطّلاع بطريق غير عاديّ، كاطّلاع رسول الله و الأئمّة ﷺ على أفعال المؤمنين في الدنيا بسبب إخبار الملائكة؛ ليكونوا شهداء يوم القيامة، كما يستفاد من بعض الآيات و الروايات، و قد مرّ ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾[1].

و حينئذٍ نقول: لا يبعد أن يكون المراد بقوله وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم الشهادة بالمعنى الأوّل و هو الظاهر من حال عيسى إذ لا نعلم أنّه كان عالماً في ذلك الوقت بحياته إلى الأمد البعيد لكن الله كان يعلم ببقائه و اطّلاعه على أعمال أهل الكتاب بنحو غير عادي فدعوى كون المراد من الشهادة في قوله تعالى و يوم القيامة يكون عليهم شهيداً هي التي ذكرت في آية المائدة دعوى غير ظاهرة الوجه.

---

١. البقرة (٢): ١٤٣.

قوله تعالى : ﴿لٰكِنِ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقيمينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولٰئِكَ سَنُؤْتيهِمْ أَجْراً عَظيماً﴾[1].

المعنى

قوله : ﴿لٰكِنِ الرّاسِخُونَ...﴾. الاستدراك مربوط بقوله: ﴿يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتابِ...﴾، فالمعنى أنّ ذلك السؤال المبتني على الجهل و العناد قد صدر من علمائهم العَنود و أتباعهم الجَهول، و أمّا العلماء منهم الذين رسخوا في علم التوراة المستلزم رسوخهم [في] عملهم و كذا أتباعهم الذين آمنوا بمعارف كتابهم، فهم يؤمنون بما أُنزل إليك و ما أُنزل من قبلك؛ لوجود ما يقنع الناظر على صحّته و ما يستدلّ به على نبوّتك.

و قوله: ﴿وَالْمُقيمينَ﴾ عطف تفسيري و توصيفي، فهو وصف للراسخ و المؤمن، جيء به مدحاً، و لذلك جاز فيه النصب؛ تقول: جاء الحجّاج و الطائفين العاكفين، أي أعني، كما أنّك تقول: الطائفون.

ثمّ إنّ التوصيف بالصلاة و الزكاة بيان و مثال لجلّ العبادات الرابطة بين الإنسان و خالقه و الإنسان و المخلوقين.

و قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ مبتدأ، خبره قوله: ﴿سَنُؤْتيهِمْ﴾، و المعنى أنّ كلّ من آمن بالله و اليوم الآخر، أي آمن بالمبدأ و المعاد و ما بينهما من الاعتقاديّات، سواء في ذلك أهل الكتاب و غيرهم.

---

١. النساء (٤): ١٦٢.

قوله تعالى: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرينَ وَمُنْذِرينَ لِئَلاّ يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكانَ اللهُ عَزيزاً حَكيماً ○ لٰكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِما أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفىٰ بِاللهِ شَهيداً ○ إِنَّ الَّذينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبيلِ اللهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعيداً ○ إِنَّ الَّذينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَريقاً ○ إِلّا طَريقَ جَهَنَّمَ خالِدينَ فيها أَبَداً وَكانَ ذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسيراً ○ يا أَيُّهَا النّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلّٰهِ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَكانَ اللهُ عَليماً حَكيماً﴾[1].

المعنى

قوله: ﴿لِئَلاّ يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ...﴾. الآية توافق في المرميّ آيات:

منها: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنّا أَهْلَكْناهُمْ بِعَذابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقالُوا رَبَّنا لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزىٰ﴾[2]. ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾، أي من قبل محمّد ﷺ. ﴿لَقالُوا﴾ أي يوم القيامة. و الخزي: الهوان و الذلّة.

و منها: قوله: ﴿قُلْ فَلِلّٰهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعينَ﴾[3].

و منها: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لا أَنْ تُصيبَهُمْ مُصيبَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْديهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنا لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنينَ﴾[4]. الخطاب للنبيّ، و المعنى: لو لا

---

١. النساء (٤): ١٦٥ ـ ١٧٠.
٢. طه (٢٠): ١٣٤.
٣. الأنعام (٦): ١٤٩.
٤. القصص (٢٨): ٤٧.

أصابهم العذاب في الآخرة، ثمّ قولهم: ربّنا هلاّ أرسلت إلينا الرسول، لما أرسلناك إليهم. و بعبارة أُخرى: لولا دعواهم اتّباع الآيات على تقدير إرسال الرسل، لما أرسلناك.

قوله: ﴿لٰكِنِ اللهُ يَشْهَدُ...﴾. استدراك عن عدم قبول اليهود نبوّته ﷺ و كتابه و عدم شهادتهم و تصديقهم، فبين تعالى أنّه يشهد و الملائكة يشهدون.

ثمّ إنّ المراد بشهادته تعالى هل هي التكوينيّة؛ أعني المعجزات التي آتاها لنبيه؛ فإنّ ذلك شهادة تكوينيّة لصدق ما أنزله عليه، و مثلها في الشهادة نفس النبيّ الأكرم من حيث أوصافه الكماليّة الشاهدة بصدق دعواه، أو الشهادة القوليّة، كشهادة الأنبياء الماضين على نبوّته ﷺ؟ و يمكن أن يكون قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ نفس تلك الشهادة و متنها، فهي شهادة قوليّة من الله.

ثمّ إنّ قوله: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ إمّا حكاية عن نزول القرآن من علمه الأزلي القديم إلى اللوح المحفوظ، أو منه إلى السماء الدنيا، أو منها إلى قلب النبيّ الأقدس، أو منه إلى قلوب الناس و محيط المجامع الإنسانيّة. و الأولان نزولان دفعيّان، و الأخيران تدريجيّان في مدّة بعثته ﷺ إلى زمان انقطاع الوحي.

و أمّا تقييد الإنزال بالعلم فلعلّ ذلك لإفادة أنّ المنزل في جميع هذه المراحل ـ و هو مجموع الكتاب و الحكمة و العلوم المتعلّقة المرتبطة بذلك ـ مصون عمّا يتصوّر من طريان النقص و الخلل فيه و عروض أيّ باطل و كذب و مَيْن[1] عليه بواسطة خطأ الملائكة الموكّلين بإنزاله، أو النبيّ المبعوث لإبلاغه، أو اختلاط شيء من الباطل فيه بإفساد الشياطين و دخل الأبالسة و الأجنّة، فكلّ ذلك لم‌يكن و لايكون؛ لأن الإنزال كان بعلم الله و بعين الله.

و على هذا فيمكن الاستشهاد بهذه الجملة على مصونيّة الملائكة و الأنبياء على الخطاء و الخلط و الشبهة في بيان الأحكام و إبلاغها.

---

۱. المَيْن: الكذب. لسان العرب، ج ۱۳، ص ۴۲۵ (مين).

و استشهد الأُستاذ الطباطبائي[١] لتأييد المعنى المزبور من الآية بقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً ○ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً ○ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاَتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً﴾[٢]، فالغيب هنا يشمل الأحكام الإلهيّة و الحكمة الموحاة إلى النبيّ ﷺ.

و الظاهر أنّ الضميرين في قوله ﴿مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ راجعان إلى الرسول، و حيث إنّ الرسول مرسل من الله إلى الناس فـ«بين يديه» مرحلة تبليغه الحكم إلى الناس، و «ما خلفه» مرحلة وصول الأحكام إليه من الله، فالرصد الحُفّاظ للوحي و المنزول، يحفظونه في المرتبة السابقة على نزوله إلى النبيّ و في المرتبة اللاحقة، و هي أداؤه إلى الناس.

كلّ ذلك لينطبق علم الله الأزلي المتعلّق بوقوع إبلاغ الرسول و تحقّقه على النحو الأتمّ على الخارج انطباقاً كاملاً، مع أنّ الله محيط بما لدى الرسول و الملائكة و مُحْصٍ له و لكلّ شيء.

و قد يقال: إنّ الضميرين في قوله: ﴿مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ راجعان إلى الملك الآتي بالوحي، المعلوم من السياق، فهو ينزل بالوحي مع عدّة حُفّاظ حافّين به؛ ليعلم الرسول بأنّ الملائكة قد أبلغوا الرسالات تامّاً غير مدخول و لا ملتبس.[٣]

قوله: ﴿وَالْمَلاَئِكَةُ يَشْهَدُونَ...﴾. شهادة الملائكة أيضاً إنشائيّة قوليّة، يحكي عنها قول الله تعالى. و يمكن أن تكون تكوينيّة؛ فإنّ مجيئهم بالوحي إلى النبيّ شاهد عمليّ على النزول و صحّة ما نزل.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ...﴾. الصدّ هو المنع.[٤] و سبيل الله هو العقائد الحقّة و الخُلُق الفاضلة و الأعمال الصالحة. و التعبير بالصدّ يشعر بوجود الاقتضاء في انسلاك الناس تلك الطرق، فيمكن أن يكون المقتضي له الفطرة التي

---

١. راجع: الميزان، ج ٥، ص ١٤١ و ١٤٢، ذيل الآية المذكورة.

٢. الجنّ (٧٢): ٢٦ ـ ٢٨.

٣. نسب إلى القيل في مجمع البيان، ج ١٠، ص ١٥٥، ذيل الآية المذكورة.

٤. في اللغة: الصدّ: الصرف و المنع. راجع: النهاية، ج ٣، ص ١٥ (صدد).

فطرت على التوحيد و سائر المستقلّات العقليّة المعلومة الممضاة في الشرع و العقل السليم الباعث على القبول، و كذا المعجزات و الآيات، فكلّها يقتضي الذهاب إلى تلك السبل، و الكافرون عنها صدودها، و عبّر عن هذا الصدّ بالظلم في الآية التالية.

قوله: ﴿لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ...﴾. إمّا لأنّ هذا النحو من الإثم يمنعهم عن التوبة و الرجوع، فلا يشملهم الغفران، و إمّا لأنّ توبة هؤلاء عبارة عن ردّ المصدودين إلى الإيمان، و هو غير ممكن؛ إذ البعض لا يرجعون، و البعض الآخر قد ماتوا على الكفر، فهؤلاء كالمبدعين في الدين، لا يتوب الله عليهم إلّا إذا ردّوا المعتقدين ببدعهم، أحياء كانوا أو أمواتاً، و هو مستحيل.

قوله: ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ...﴾. فيه بيان أنّ الله يهدي الكافر بعد غلوّه إلى المرتبة البعيدة في الكفر، و ذلك بتهيئة أسباب الشقاوة في حقّه؛ لينال المقام الممكن في دركاته.[1]

قوله: ﴿يا أَيُّهَا النّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ...﴾. الحقّ هو الثابت على طبق ما يقتضيه العقل، فالله هو الحقّ، و خلق السموات و الأرض بالحقّ، أي بالثبوت على مقتضى الحكمة، و المراد به في الآية الأُصول و الأخلاق و الفروع و جميع قواعد الدين؛ فإنّ كلّها ثابتة على وفق الصواب و مقتضى الحكمة و قضاء العقل السليم، فكلّ ذلك خير أيضاً كما هو حقّ، و على ما ذكرنا فيتّصف به الله و ما خلقه من الموجودات، و يتّصف به القول، ككلامه تعالى و العقائد و النفسيّات و الأعمال.

قوله: ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلّهِ ما فِي السَّماواتِ...﴾. أي إن تكفروا فالله غنيّ عنكم، أو فإنّه قادر على تعذيبكم؛ فإنّ له ما في السماوات، إلى آخر قوله تعالى، فأُقيمت علّة الجزاء مقامه.

---

١. الدركات: جمع الدركة، و هي تأنيث الدَرَك بالتحريك، و قد يسكّن، و هي منازل في النار. و الدرك إلى أسفل، و الدرج إلى فوق. راجع: النهاية، ج ٢، ص ١١٤ (درك).

قوله تعالى: ﴿يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا في دينِكُمْ و لا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إلاَّ الْحَقَّ إنَّمَا الْمَسيحُ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إلىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا باللهِ وَرُسُلِهِ و لا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إنَّمَا اللهُ إلٰهٌ واحِدٌ سُبْحانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ وَكَفىٰ بِاللهِ وَكيلاً ○ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً للهِ وَلَا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إلَيْهِ جَميعاً ○ فَأَمَّا الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذاباً أَليماً و لا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَلا نَصيراً ○ يا أَيُّهَا النّاسُ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنا إلَيْكُمْ نُوراً مُبيناً ○ فَأَمَّا الَّذينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ في رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْديهِمْ إلَيْهِ صِراطاً مُسْتَقيماً﴾[1].

اللغة

الغلوّ: التجاوز عن الحدّ. قال الراغب: «يقال [ذلك][2] إذا كان في السعر غَلاء، و إذا كان في القدر و المنزلة غُلُوّ، و في السهم غَلْوٌ»[3] إلى آخره.

و المسيح إمّا بمعنى الفاعل، فسمّي به عيسى؛ لأنّه كان يمسح الأرض بالقدم؛ لكثرة

---

١. النساء (٤): ١٧١ ـ ١٧٥.

٢. ما بين المعقوفتين أضفناه من المصدر.

٣. المفردات للراغب، ص ٦١٣ (غلو).

سفره و سياحته. و إمّا لأنه كان يمسح عين الأكمة[١] و بدن الأبرص، فيبرأ من العاهة.[٢] و إمّا بمعنى المفعول، فهو ممسوح الملك بالبركة، أو ممسوح عنه الصفات الرذيلة، و في الخبر النبويّ: «الدجّال ممسوح اليمنى،[٣] و عيسى ممسوح اليسرى».[٤] و اليمنى كناية عن الصفات الحسنة؛ لشرفها، و اليسرى عن القبيحة. فالمسيح طاهر عن القبائح، و الدجّال [خالٍ] عن الفضائل.

و الاستنكاف: الامتناع و الأَنَفَة و التنحية.[٥]

المعنى

الخطاب في هذه الآيات للنصارى، و غلوّهم إنّما هو في بعض مطالب دينهم، كمسألة نبوّة عيسى و يستلزم الغلوُّ في ذلك، القولَ بغير الحقّ في حقّه تبارك و تعالى، كدعوى الولد له، أو تجزئته بأجزاء، أو حلوله تعالى في البشر، و نحو ذلك ممّا قد تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

و التصريح بكون عيسى ابنَ مريم لنفي كونه ابن الله، كما يدّعيه النصارى و نفي كونه عن أب، كما يزعمه اليهود.

و كونه كلمة الله؛ لأنّه قد تولّد بكلمة «كن» الملقاة نحو مريم، و ظاهر هذا أنّ خلق عيسى في رحم مريم قد حصل بأمر من الله من غير وساطة الأب و القاء النطفة بالمقاربة.

و فيه كلام قد تعرّضنا له في كتابنا دائرة المعارف القرآنية[٦] تحت عنوان «الإنسان». و قيلَ في ذلك وجوه أُخر.

---

١. الأكمه: هو الذي يولد مطموس العين، أي الأعمى. و قد يقال لمن تذهب عينه. المفردات للراغب، ص ٧٢٦ (كمه).

٢. العاهة: الآفة. المصباح المنير، ص ٤٤١ (عوه).

٣. إلى هنا روي في المصادر، و الشقّ الأخير لم نعثر عليه، نعم روى الراغب الخبر بكلاشقّيه. راجع: مسند أحمد، ج ٥، ص ١٦ و ٣٨٣ و ٤٠٥؛ صحيح مسلم، ج ٨، ص ١٩٥.

٤. راجع: المفردات للراغب، ص ٧٦٧ و ٧٦٨ (مسح).

٥. راجع: لسان العرب، ج ٩، ص ٣٤٠ (نكف).

٦. لم نعثر عليه.

و قوله: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ...﴾. الروح و الريح متقاربان في المعنى، فالمراد أنّ عيسى مخلوق بنفحة من الله، أو المراد أنّه سبب حياة تابعيه من الأناسي، فهو كأنّه روح لجامعته الإنسانيّة.

قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ...﴾. المنقول عنهم في هذا الباب أُمور مختلفة، فقد يقال: إنّ معتقدهم على اختلاف مذاهبهم أنّ الإله واحد في أقانيم[1] ثلاثة: الأب و الأمّ و الروح القدس، و المسيح هو الابن، ثمّ اختلفوا في الابن هل هو ذو طبيعة واحدة لاهوتيّة و ناسوتيّة، أم هو ذو طبيعة لاهوتيّة فقط؟ و هل هو قديم كالأب، أو مخلوق؟[2] و غير ذلك من تُرَّهاتهم.[3]

و قوله: ﴿انْتَهُوا...﴾. أي انتهوا و كفّوا عن القول بالتثليث، و خذوا خيراً لكم، و هو التوحيد.

قوله ﴿سُبْحَانَهُ﴾. أي نزّهوه تنزيهاً من وجود الولد له، كيف و له جميع ما في السماوات و الأرض و من جملته عيسى ﷺ؟! فهو مملوك و مخلوق له كسائر مخلوقاته، متّصف بصفات الممكن من حدوثه و تحيّزه و احتياجه و عجزه و زواله و فنائه، فكيف يكون ولداً للواجب المنزّه عن جميع تلك النقائص و غيرها؟! فإنّ الولديّة لا تكون إلّا باشتراكهما في الأوصاف الجلاليّة و الجماليّة.

و يحتمل كون المراد أنّ الله لمّا كان مالكاً لجميع الموجودات، خالقاً لها، مدبّراً لأمرها، فهو غنيّ عن جميع الأشياء مع فقرها إليه، فلا حاجة له إلى اتّخاذ الولد مع قطع النظر عن عدم إمكانه عقلاً.

---

١. قال الجوهري: «الأقانيم»: الأُصول، واحدها: أُقنوم، و أحسبها روميّة». الصحاح، ج ٥، ص ٢٠١٦ (قنم).

٢. للتعرّف لأقوالهم و استيفاء البحث في المسألة راجع: شرح المقاصد، ج ٤، ص ٥٧ ـ ٥٩؛ التحرير و التنوير، ج ٤، ص ٣٣٢ ـ ٣٣٦؛ الميزان، ج ١٠، ص ٢١٩ ـ ٢٢٩، ذيل الآية ١٧١ من سورة النساء (٤).

٣. الترّهات، بفتح التاء و ضمّ الراء المشدّدة و ضمّها، واحدتها: تُرَّهة بضمّ التاء و فتح الراء المشدّدة، و هي الأباطيل، و البواطل من الأُمور، و هي في الأصل الطرق الصغار المتشعّبة عن الطريق الأعظم. راجع: لسان العرب، ج ١٣، ص ٤٨٠ (تره).

و يؤيّد هذا المعنى قوله: ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾، أي مدبّراً لأمور مملكة الوجود و حيطة الإمكان.

ثمّ إنّ قوله: ﴿مَا فِي السَّموات وَ الأَرْضِ﴾ يشمل نفسهما أيضاً؛ فإنّ المقصود بهذا التعبير جميع الموجودات غير ذاته تعالى.

و قوله: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ...﴾. أي لكونه مسيحاً من النقائص الاعتقاديّة و النفسانيّة.

﴿وَ لا الْمَلائِكَةُ﴾. أي لكونهم مقرّبين؛ فإنّ ذلك الكمال يمنعهم عن ذلك الضلال.

﴿وَ مَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبادَتِهِ وَ يَسْتَكْبِرْ﴾. لعل ذكر الاستكبار لبيان أنّ الاستنكاف لأجل الجهل القصوري أو لغيره من الأعذار لا يستلزم العذاب.

و قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذينَ آمَنُوا...﴾. ظاهره أنّ الايمان و العمل الصالح مرتبطان في السببيّة للأجر، و كلّ واحد منهما جزء للسبب، فالايمان بلا عمل غير مجد، كما أنّ العمل بلا إيمان كذلك.

و يؤيّده الآيات الكثيرة المصرّحة بأنّ الجنّة لمن آمن و عمل صالحاً و أنّها أُعدّت للمتّقين. و لا ينافي ذلك ما يدلّ على أنّ المؤمن يدخل الجنّة و لا يخلّد في النار و إن لم يكن له عمل جوارحي أصلاً؛[1] فإنّ ذلك أمر تبعيّ، و الجنّة معدّة للمتّقين، كما أنّ النار أعدّت للكافرين، مع أنّ حظّ المؤمن بلا عمل منها قليل لا يساوي و لا يداني حظّ المؤمن العامل بالصالحات.

و قوله: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾. إطلاق الأجر على ما يثبتهم الله يوم القيامة من الجنّة و النعيم ـ خاصّة مع ضم قوله: ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ـ ظاهر في أنّ العبد بأعماله و حسناته ـ و منها إيمانه ـ يستحقّ الأجر من ربّه، فالمعطى له في الآخرة إمّا أجر، و إمّا فضل، لكن قد يقال: إنّ الواجبات و المحرّمات الشرعيّة و إن كانت مولويّة غير

---

١. راجع: التوحيد، ص ٢٩ و ٣٠، باب ثواب الموحّدين و العارفين، ح ١٧ و ٢٤ و ٢٨ و ٣٠ ـ ٣٢؛ الأمالي للشيخ الصدوق ﷺ، ص ٣٧٢، ح ٤٦٩.

إرشاديّة؛ لعدم العلم بملاكاتها و حكمها، إلاّ أنّ من المعلوم رجوع جميع مصالحها الكامنة إلى العبد، فهي في الحقيقة كالأومر الارشاديّة نظير أوامر الطبيب، فلا استحقاق فيها للأجر و الثواب الأُخروي، و نظيرها المستحبّات و المكروهات.

نعم الواجبات الراجع نفعها إلى غير المأمور ـ كالإنفاق و القضاء و إنقاذ الغريق و نحوها ـ يمكن القول بالاستحقاق فيها، إلّا أنّ الآية غير مختصّة بها.

و يمكن أن يقال: إنّ هذا بالنسبة إلى نفس الأوامر و النواهي الساذجة المتوجّهة إلى المكلّفين بلا تعرّض فيها لذكر الأجر وكيفيّته.

و أمّا مع ملاحظة قوله تعالى: ﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزى إِلَّا مِثْلَها﴾[1]، فلابدّ من القول بالاستحقاق بعد العمل؛ إذ المورد حينئذٍ نظير الجعالة في الفقه، كقوله: «من ردّ فرسي فله كذا»، مع أنّ قوله: ﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها﴾ يدلّ على وجود المثل له أوّلاً و بالذات، و إعطاء الأمثال العشرة ازدياد في مقام الامتنان، و لا معنى حينئذ لأصل إلّا اقتضاء الاستحقاق، كما أنّ جزاء السيّئة أيضاً بالمثل استحقاقي.

و قوله: ﴿وَيَزِيدُهُمْ...﴾. إمّا اشارة إلى التسعة المعهودة الزائدة على المثل، أو هو داخل في التوفية، و الفضل أمر غيرها.

قوله: ﴿قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾. البرهان بيان الحجّة، من «برهن على الشيء»، إذا أقام الحجّة عليه،[2] و المراد به النبيّ الأعظم؛ حيث إنّه بوجوده و معجزاته [و] دعوته مثبت للحقائق الأُصوليّة و الفروعيّة و غيرها.

و النور القرآن؛ لأنّه به ينكشف الطرق الحقّة المستقيمة في جميع مراحلها الاعتقاديّة و الأخلاقيّة و العمليّة عن الطرق الباطلة المنحرفة.

و قوله: ﴿مُبِيناً﴾ وصف للقرآن؛ لظهور كونه كلاماً صادقاً و كتاباً منزلاً من عند الله من حيث ألفاظه و مبانيه و بلاغته في أداء معانيه و إخباراته و إنشاءاته و سائر أبعاده المختلفة.

---

١. الأنعام (٦): ١٦٠.

٢. راجع: لسان العرب، ج ١٣، ص ٥١ (برهن).

و قوله: ﴿وَاعْتَصَمُوا بِهِ﴾. الضمير المجرور راجع إلى الله، و الاعتصام به يرجع إلى الاعتصام بالبرهان و النور المذكورين قبيل الآية، و أمر جميع الناس بالاعتصام به حتّى الموجودين بعد رحلته ﷺ لا يكون إلّا بالاعتصام بوجوده النوعي القائم بين الناس أبداً، و هو الإمام؛ إذ كون النبيّ الأقدس خاتماً للأنبياء معناه ختم النبوّة، لا ختم الإمامة؛ فالنبيّ آخر الأنبياء، و ليس آخر الأئمّة، فالإمامة باقية إلى بقاء الدنيا، كما صرّحت به أخبار أهل البيت عليهم السلام[1] فيجب التمسّك بذيلهم و بالقرآن. و حيث إنّهم أئمّة عدول، و القرآن برنامج عادلة، فتفيد الآية حكماً عظيماً و قيماً ثميناً للاجتماع الإسلاميّة، و هو اتّباع إمام عدل و إجراء حكم عدل، و هل تثبت سعادة النشأتين إلّا بهما.

هذا مع ظهور الإمام العدل في ما بين الجماعة، و أمّا مع غيبته فالتمسّك بسنّتهم ينوب منابهم، لكنّ الضامن للإجراء [لابدّ] أن يكون فرداً، أو قوماً متخلّقين بأخلاقهم، متّصفين بأوصافهم، و أمّا قيام الفرد مقامه فالتجارب الكثيرة و السيرة العالميّة اليوم ينفي ذلك ويثبت فساده فضلاً عن عدم صلاحه.

ثمّ إنّ الرحمة من الله ترتيب آثار صفة الرحمة الملحوظة في الإنسان، و الفضل هو الزايد عمّا يستحقّ و يلزم، و هذان الأمران الظاهر كونهما في الدنيا بقرينة الهداية إلى الصراط المستقيم المذكورة بعدهما، فيستفاد من الآية الشريفة أنّ شمول نعم الله تعالى و درّ رحمته للمجتمع البشريّة في شتّى جهات حياتهم و جميع أبعاد عيشهم، ثمّ تعاليهم و ترقّيهم و وصولهم إلى غاية المدنيّة المتصوّرة للإنسان في دنياهم بحيث تناسب سعادة آخرتهم و تلازمها و تقارنها الذي هو المعبّر عنه بالفضل، لا يكون و لا يمكن إلّا بذلك الاعتصام.

---

١. راجع: الكافي، ج ١، ص ١٧٧، باب أنّ الحجّة لا تقوم لله على خلقه إلّا بإمام، و ص ١٧٨ و ١٧٩، باب أنّ الأرض لا تخلو من حجّة، و ص ١٧٩ و ١٨٠، باب أنّه لو لم يبق في الأرض إلّا رجلان لكان أحدهما الحجّة.

و قوله: ﴿يَهْدِيهِمْ...﴾. أي يديم هدايتهم، أو أنّهم كلّما رقوا درجة من درجات الكمال الحيويّة و المعنويّة، يهديهم إلى أُخرى من الدرجات و السبل الحقّة، و الظاهر أنّ هذا هو المراد في المورد و كذا في قولنا: ﴿اهْدِنا الصرَٰطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾؛[١] فإنّ الإنسان في كلّ حركة و سكون يقع في معرض الانحراف و الاعوجاج، و هو في كلّ ذلك على رأس طريقين: فهو إمّا مهتد، و إمّا ضالّ، كما قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[٢].

---

١. الفاتحة (١): ٦.
٢. البلد (٩٠): ١٠.

قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتيكُمْ فِي الْكَلالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَها نِصْفُ ما تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُها إِنْ لَمْ يَكُنْ لَها وَلَدٌ فَإِنْ كانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثانِ مِمّا تَرَكَ وَإِنْ كانُوا إِخْوَةً رِجالاً وَنِساءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ﴾[1].

اللغة

الكلالة: الإخوة مطلقاً، أو الإخوة من الأمّ فقط، و سمّيت بذلك؛ لكونهم كَلّاً على الوارث، أو لكونهم في حاشية النسب كالإكليل[2] للرأس.[3]

المعنى

قيل: تسمّى الآية بآية الصيف، و الآية الثانية عشر من السورة بآية الشتاء؛ لنزول تلك الآية في الشتاء، و نزول هذه الآية في الصيف.[4]

و قيل: إنّ الآية آخر ما نزلت على النبيّ ﷺ، و إنّ سورة البراءة آخر سورة منزلة.[5]

---

١. النساء (٤): ١٧٦.

٢. الإكليل: شبه عصابة مزيّنة بالجوهر. النهاية، ج ٤، ص ١٩٧ (كلل).

٣. للتعرّف لمعنى الكلالة و الاختلاف فيها راجع: الكافي، ج ٧، ص ٧١، باب وجوه الفرائض؛ الخلاف، ج ٤، ص ٣٤_٣٦، مسألة ٢٦؛ لسان العرب، ج ١١، ص ٥٩٢ _ ٥٩٤ (كلل).

٤. راجع: مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٥٤.

٥. نقل عن البراء بن عازب في جامع البيان، ج ٦، ص ٥٦؛ التبيان، ج ٣، ص ٤٠٧.

و كلا الأمرين مخالفان لما روي عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام.[١]

ثمّ إنّ الآية مسوقة لبيان حكم الكلالة من طرف الأبوين أو الأب، و الآية الثانية عشر من السورة لبيان حكم الكلالة من الأمّ بشهادة اختلاف نصيب الأخ و الأخت مع انفرادهما المذكور في تلك الآية مع نصيبهما المذكور في هذه الآية؛ فإنّ للأخ المنفرد فيها السدس و هنا جميع المال، أو الحكم بأنّه يرث من دون ذكر النصيب، و للأُخت المنفردة فيها السدس و هنا النصف، و بشهادة تساوى نصيب الإخوة و الأخوات عند الاجتماع في تلك الآية، و الاختلاف بكون نصيب الذكر ضعف الأنثى في هذه الآية.

ثمّ إنّ الآية متعرّضة لبيان مسائل:

الأولى: حكم نصيب الأُخت المنفردة عن سائر الورّاث.

الثانية: حكم نصيب الأُختين كذلك.

الثالثة: حكم نصيب الإخوة و الأخوات عند الاجتماع.

الرابعة: حكم نصيب الأخ المنفرد مع إلغاء الخصوصيّة من المرء بحيث يشمل المرأة.

تدلّ الآية على مسائل سبع،[٢] و الآية مطلقة من حيث وجود الأبوين للميّت و عدمه، إلّا أنّه يجب تقييدها بعدمه بدليل خارج، كما أنّها مطلقة بالنظر إلى اجتماع الزوج أو الزوجة مع الإخوة و عدمه، و الاجتماع غير قادح في صورة كون الميّت ذكراً، و أمّا في الأنثى فيعول المال في ما إذا اجتمع الزوج مع الأُختين، و النقص يرد عليهما، و قد ذكر التفصيل في محلّه.

---

١. قد جاء في بعض الروايات أنّ آخر سورة نزلت «إذا جاء نصر الله و الفتح». راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٩، الباب ٣٠، ح ١٢؛ وسائل الشيعة، ج ٧، ص ٣٧١، ح ٩٦٠٩.

٢. كذا في الأصل.

تفسير سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهيمَةُ الْأَنْعامِ إِلَّا ما يُتْلىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ ما يُريدُ﴾.[١]

المعنى

قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ...﴾. في المقام أبحاث:

الأوّل: العقد في اللغة: وصل أحد طرفي الشيء أو الشيئين بالآخر بشدّ و تحكيم، و يستعار لتشديد غيره من الحسيّات، كما يقال: اعتقد العسل و اللبن،[٢] و لتشديد الشيء في المعنويات. فالعزم و التصميم الباطني عقد قلبي، و لذا يطلق على الإذعان الجازم في الأحكام الشرعيّة و غيرها [من] العقائد و المعتقدات.[٣] و تفسيره بالعهد ـ كما ورد في حديث ابن سنان عن مولانا الصادق عليه السلام،[٤] و نقله العامّة عن ابن عبّاس[٥] ـ

---

١. المائدة (٥): ١.

٢. في اللغة: عقد العسل و الربّ و نحوهما يَعْقِد و انعقد، و أعقدته: غلظ. و عقدّت العسل و الكلام و أعقدت. راجع: لسان العرب، ج ٣، ص ٣٩٦ـ٣٩٨ (عقد).

٣. راجع: التبيان، ج ٣، ص ٤١٤؛ مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٥٨، ذيل الآية المذكورة.

٤. راجع: تفسير العيّاشي، ج ١، ص ٢٨٩، ح ٥؛ تفسير القمّي، ج ١، ص ١٦٠، ذيل الآية المذكورة.

٥. نقل عنه و غيره. راجع: جامع البيان، ج ٦، ص ٦٣ و ٦٤؛ أحكام القرآن للجصّاص، ج ٢، ص ٣٦٨؛ تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٤، ذيل الآية المذكورة.

تفسير بالأخصّ و جرى و بيان للمصداق؛ إذ العقد يشمل العهد التعارف و غيره كما عرفت.

الثاني: أنّ للعقد مصاديق:

منها: الأحكام الشرعيّة و التكاليف الإلهيّة الموجّهة إلى الناس؛ فإنّ توجيهها إلى المكلّف و حتمها و تحكيمها عقد من الله و عهد مرتبط بالعبد، سواء قبلها العبد، أم [لا]، و إن كان مع القبول أولى بالإطلاق؛ قال تعالى: ﴿وَقَضىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾،[1] و لذلك أيضاً يطلق عليها عنوان التكليف و الحكم، و يشمل الكلام إلّا حكايته الوضعية و المباحات؛ فإنّها قد أُبرمت و أُحكمت، و قد ورد «أنّ الله يحبّ أن يؤخذ برخصه، كما يحبّ أن يؤخذ بعزائمه».[2]

و منها: ما يفرضه المكلّف عن نفسه و يلتزم به، كما في النذر و العهد و اليمين؛ فإنّ ذلك كلّه يسمّى عقداً؛ لتحكيمه الإنسان على نفسه، و لا ينافي ذلك كون تلك الإنشاءات من قبيل الإيقاع المقابل للعقد؛ إذ العقد ـ بمعنى الإنشائين المرتبطين المسمّيين بالإيجاب و القبول في مقابل الإنشاء الواحد غير المحتاج إلى القبول ـ اصطلاح فقهيّ متأخّر لا تحمل عليه الآية.

و منها: ما يعهده الأفراد و الأشخاص بعضهم مع بعض، فيتعاهدان و يتعاقدان على أمر من الأمور، فيصحّ إطلاق العقد على عمل كلّ منهما؛ لما فيه من تشديد للأمر و تحكيمه.

فهذا يعزم على إخراج المال من ملكه و جعله للغير، و ذلك الغير أيضاً يعزم على مثل ذلك، و يصحّ إطلاقه على الأمر الاعتباري المحصّل من الإنشائين؛ لما فيه من لحاظ ربط أحد الأمرين بالآخر، كربط أحد التمليكين بالآخر في البيع و نحوه.

و منها: تعاهد ملّة مع ملّة و أُمّة مع أُمّة، كالعهود الواقعة في ما بين المسلمين و الكفّار في الصدر الأوّل، و كذا سائر العهود بين الدول العالميّة، فيجب الوفاء بها إذا

---

١. الإسراء (١٧): ٢٣.

٢. وسائل الشيعة، ج ١، ص ١٠٨، ح ٢٦٣.

كانت شرعيّة إسلاميّة. و هذا من أهمّ موارد العقد و مصاديقه، و لذلك لمّا نزلت سورة البراءة أمر الله نبيّه و أصحابه بقتل المشركين حيثما وجدوهم و أهدر دماءهم، و مع ذلك لم يأمرهم بنقض عهودهم، بل قال: ﴿إلاّ الّذينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكينَ ثُمّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إلى مُدَّتِهِمْ إنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقينَ﴾[1].

الثالث: أنّ قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ يشمل الأقسام المذكورة؛ لمكان الجمع الشامل، و لو قلنا بكون اللام في العقود عوضاً عن المضاف و المراد: أوفوا بعقودكم، فإنّ جميع تلك الأقسام مرتبط بالإنسان ربطاً ما، فقوله: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ من مقابلة الجمع بالجمع، و المراد: فليف كلّ إنسان بعقده المرتبط به.

فقد علم ممّا ذكرناه سعة دائرة هذه الجملة، و أنّها تشمل الحثّ على طاعة الله في أوامره و نواهيه، و التسليم له في جميع أحكامه و الانقياد له في الأخذ برخصة و إباحاته، و الحثّ على العمل بما ألزمه كلّ فرد على نفسه من عهوده و نذوره و إيمانه و مواعيده، و الحثّ على الوفاء بما تعاهد عليه و تعاقد مع أبناء نوعه، و لكن ليعلم أنّها قد سيقت بنحو القاعدة الكلّيّة و إعطاء القانون العامّ، يتمسّك به في موارده بعد الفحص عن منافياته؛ لأن تلك المنافيات أيضاً مصداق للعقد و يجب الوفاء به.

الرابع: أنّ تصدير هذه السورة بهذه الجملة العامة الشاملة مع ملاحظة كون السورة آخر ما نزل من عند الله، هل هو لمجرّد تجديد العهد و التوصية من الله تعالى بالنسبة إلى ما مضى من الأحكام و توكيداً له مع كون منطق القرآن بليغاً في جميع ما أدّاه مقروناً بالتبشير التامّ و الإنذار البليغ و تحكيم البيان؛ ﴿إنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ○ وَما هُوَ بِالْهَزْلِ﴾،[2] و ماذا بعد الحقّ إلّا الضلال؟ أو هو مقدّمة و تهيئة ـ مضافاً إلى ذلك ـ لبيان أمر آخر أعظم و أكبر و أهمّ و أخطر، و هي مسألة نصب الخليفة و تعيين الوليّ؟

و بعبارة أُخرى: التعرّض لحكم الولاية العامّة الإنسانيّة و الخلافة الإلهيّة بعد انقضاء عمر النبوّة و انقطاع أمدها و ارتحال النبيّ الكريم الخاتم، لما سبق من سلسلة

---

١. التوبة (٩): ٤. ٢. الطارق (٨٦): ١٣ و ١٤.

الأنبياءﷺ، و لعمري أنّها المسألة الكبرى الجديرة بالإبلاغ و الحريّة بالبيان و الإحكام و تسديد الأمر و تشديد الحكم و إتمام الحجّة بالإعذار و الإنذار بأكثر من جميع ما بلّغه النبيّ الأعظم من أحكام دينه و قواعد سنّته، و يظهر من غالب آيات السورة أنّ لبّ البحث و الغرض الأهمّ فيها هو بيان هذا الأمر و توطيده و تسديده إلى أن آل الأمر إلى بيانه الواضح بقوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ...﴾،[1] كما سيجيء الكلام فيه.

و قد ورد عن مولانا الباقرﷺ في ذيل الآية المبحوث عنها «أنّ رسول الله ﷺ عقد على الناس لعليّ ﷺ بالخلافة في عشرة مواطن، ثمّ أنزل الله: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، أي التي عقدت عليكم لأميرالمؤمنينﷺ».[2]

السادس: تشارك الآية المبحوث عنها في استفادة وجوب الوفاء بالعقود و العهود آيات كثيرة:

منها: قوله تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا﴾[3].

و قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلاً﴾[4].

و قوله تعالى: ﴿بَلىٰ مَنْ أَوْفىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقىٰ فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقينَ﴾[5].

و قوله تعالى: ﴿وَالَّذينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ راعُونَ﴾[6].

و قوله تعالى: ﴿أَوَ كُلَّما عاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَريقٌ مِنْهُمْ﴾[7].

و قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾[8].

و قوله تعالى: ﴿وَما وَجَدْنا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ لَفاسِقينَ﴾[9].

---

١. المائدة (٥): ٦٧.

٢. تفسير القمّي، ج ١، ص ١٦٠؛ نور الثقلين، ج ١، ص ٥٨٣ مع تفاوت يسير.

٣. البقرة (٢): ١٧٧.

٤. الإسراء (١٧): ٣٤.

٥. آل عمران (٣): ٧٦.

٦. المؤمنون (٢٣): ٨؛ المعارج (٧٠): ٣٢.

٧. البقرة (٢): ١٠٠.

٨. الأحزاب (٣٣): ٢٣.

٩. الأعراف (٧): ١٠٢.

قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ...﴾. هذا شروع بيان بعض مصاديق العقد الذي يجب الوفاء به و العمل على طبقه، فبيّن تعالى بعضه في هذه الآية، و جمعاً منه في تاليتها، و عدّة أُخرى في الآية الثالثة.

و البهيمة: قيل: إنّها اسم لكلّ ذي أربع من دوابّ البرّ و البحر.[١]

و عن الزجاج: «كلّ حيّ لا يميّز فهو بهيمة»[٢]، و هذا أوفق بمادّة اللفظ.

و الأنعام: جمع نَعَم، و هو الإبل و البقر و الغنم،[٣] فإضافة البهيمة إلى الأنعام من قبيل إضافة الأعمّ إلى الأخصّ، كقولك: نوع الإنسان.

و قيل: إنّ المراد ببهيمة الأنعام هنا خصوص الأقسام الوحشيّة منها،[٤] فهي محلّلة مطلقاً إلّا ما يتلى من تحريم الميتة منها و من أكلها في حال الإحرام.

و في روايات أهل البيت ﷺ أنّ المراد بها أجنّة[٥] الأنعام في بطن أُمّها بعد أن تمّت خلقها و أشعرت، أو أوبرت،[٦] و الحمل على العموم أولى، فما في الرواية من قبيل بيان بعض المصاديق الخفيّة.

و يدلّ على حلّيّة الأنعام آيات أُخر من الكتاب العزيز:

منها: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾[٧] أي أنشأ و خلق حمولة و فرشاً، و الحمولة: ما يركب و يحمل عليه، كالأبل و البقر.[٨] و الفرش: ما يعدّ للأكل، فيسمن و يفترش للذبح، كالغنم و البقر و المعز.[٩]

---

١. قال به أهل اللغة، مثل الفيّومي في المصباح المنير، ص ٦٥ (بهم).

٢. نقل عنه في مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٥٩؛ لسان العرب، ج ١٢، ص ٥٦ (بهم).

٣. هناك اختلاف بين أهل اللغة. راجع: المصباح المنير، ص ٦١٣ و ٦١٤ (نعم).

٤. نسبه الطبري إلى قوم في جامع البيان، ج ٦، ص ٦٧. و نقله الشيخ الطبرسي ﵀ عن الكلبي و الفرّاء في مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٦٠.

٥. الأجنّة: جمع الجنين، و هو وصف له ما دام في بطن أمّه. المصباح المنير، ص ١١١ (جنن).

٦. راجع: تفسير العيّاشي، ج ١، ص ٢٩٠، ح ١١؛ تفسير القمّي، ج ١، ص ١٦٠، ذيل الآية المذكورة.

٧. الأنعام (٦): ١٤٢.

٨. راجع: لسان العرب، ج ١١، ص ١٧٩ (حمل).

٩. راج: لسان العرب، ج ٦، ص ٣٢٩ (فرش).

ثمّ بيّن الله تعالى أقسام الأنعام بقوله: ﴿ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾[١] إلى أن قال: ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾،[٢] و المراد الذكور منها و الإناث، أو الأهليّة منها و الوحشيّة.

و منها: قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ﴾[٣].

و منها: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أَنْعاماً فَهُمْ لَها مالِكُونَ ○ وَ ذَلَّلْناها لَهُمْ فَمِنْها رَكُوبُهُمْ وَمِنْها يَأْكُلُونَ﴾[٤].

و منها: قوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ وَمِنْها تَأْكُلُونَ﴾[٥].

و الدِفْءُ: خلاف البرد،[٦] أو المراد ما يستدفأ به[٧] من صوفها و وبرها و فضلاتها القابلة للإحراق و سمنها و لبنها المولّد للحرارة في المزاج.

و منها: قوله تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعامَ لِتَرْكَبُوا مِنْها وَمِنْها تَأْكُلُونَ ○ وَلَكُمْ فِيها مَنافِعُ...﴾[٨].

و منها: قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعامِ إِلّا ما يُتْلىٰ عَلَيْكُمْ﴾،[٩] و يظهر من الآية أنّها نزلت قبل المائدة؛ لمكان الاستثناء.

قوله تعالى: ﴿إِلّا ما يُتْلىٰ عَلَيْكُمْ...﴾. قال جلّ المفسّرين: إنّ المراد بهذا الاستثناء مفاد الآية الثالثة الآتية،[١٠] و قد ذكر فيها الميتة و الدم و لحم الخنزير و ما أُهلّ لغير الله به و عدّة أُمور أُخر، لكنّ الأربعة المذكورة فيها أوّلاً قد ذكرت قبل هذه الآيات، و تليت في بعض السور النازلة قبل هذه السورة، كسورة البقرة المدنيّة السابقة على هذه السورة

---

١. الأنعام (٦): ١٤٣.

٢. الأنعام (٦): ١٤٤.

٣. الزمر (٣٩): ٦.

٤. يس (٣٦): ٧١ و ٧٢.

٥. النحل (١٦): ٥.

٦. المفردات للراغب، ص ٣١٦ (دفأ).

٧. يقال: استدفأ: لبس الدِفاء، و هو اسم لما يدفئه من نحو صوف و غيره. راجع: تاج العروس، ج ١، ص ١٥٣ (دفأ).

٨. غافر (٤٠): ٧٩ و ٨٠.

٩. المائدة (٥): ١.

١٠. راجع: جامع البيان، ج ٦، ص ٦٩؛ التبيان، ج ٣، ص ٤١٦؛ الكشّاف، ج ٣، ص ١٢؛ مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٦٠.

نزولاً، و كسورة الأنعام التي هي مكيّة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾[١]. و قال: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾،[٢] إذاً فيكون المراد بـ﴿مَا يُتْلَىٰ﴾ الأقسام السبعة الأخيرة المذكورة في تلك الآية.

قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾. هذا حال من ضمير الجمع المجرور في ﴿لَكُمْ﴾، و هو استثناء آخر قد ذكر بلفظ الحال و سيق لاخراج بعض المصاديق المحرّمة من الأنعام غير الميتة، و هو صيد البرّ لمن كان محرماً، و إلّا فحلّيّة بهيمة الأنعام ـ سواء أُريد بها مطلقها، أو خصوص الأنعام الوحشيّة ـ غير مقيّدة بالاجتناب عن صيد البرّ في حال الإحرام. و الحُرُم كفُتُن: جمع حرام بمعنى المحرَّم.[٣]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ...﴾. أي إنّ الحكم بحلّيّة الأنعام دون غيرها و بحلّيّتها حال الإحلال دون الإحرام، و كذا في غيرهما من موارد الحلّيّة و الحرمة بيد الله تعالى و تحت إرادته؛ ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾،[٤] و لا ينافي ذلك كون حكمه تعالى مسبّباً عن العلم بالصلاح و الفساد، كما في قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَ يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾.[٥]

---

١. النحل (١٦): ١١٥.
٢. الأنعام (٦): ١٤٥.
٣. راجع: لسان العرب، ج ١٢، ص ١١٩ (حرم).
٤. الأنعام (٦): ٥٧.
٥. العنكبوت (٢٩): ٢١.

قوله تعالى : ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللهِ و لاَ الشَّهْرَ الْحَرامَ و لاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلائِدَ و لاَ آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْواناً وَإِذا حَلَلْتُمْ فَاصْطادُوا و لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوىٰ و لاَ تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَديدُ الْعِقابِ﴾[1].

اللغة

الإحلال هنا عدم المبالاة بالشيء و ترك الاعتناء به.[2] و الشعائر: جمع شعيرة، و هي العلامة.[3] و الهَدْيُ: هو ما يسوقه المحرم للذبح و يهديه إلى ربّه.[4] و القلائد: جمع قِلادة، و هي ما يعلّق على العنق، و قد يراد به نفس ما علّقت عليه القِلادة.[5] و الآمّين: القاصدين.[6] و جرمه على فعل: حمله على إتيانه.[7] و الشنآن: العداوة و البغضاء.[8]

---

١. المائدة (٥): ٢.

٢. لم نعثر على التصريح به بين أهل اللغة و غيرهم، نعم يستفاد من تضاعيف كلامهم. راجع: تاج العروس، ج ٧، ص ٣٣ (حلل)؛ التبيان، ج ٣، ص ٤١٨؛ مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٦٤.

٣. راجع: المفردات للراغب، ص ٤٥٦ (شعر).

٤. راجع: المصباح المنير، ص ٦٣٦ (هدي).

٥. راجع: لسان العرب، ج ٣، ص ٣٦٦ (قلد)؛ التبيان، ج ٣، ص ٤١٩.

٦. راجع: المفردات للراغب، ص ٨٧ (أمم).

٧. راجع: مجمع البيان، ج ٢، ص ٢٦٣.

٨. راجع: لسان العرب، ج ١، ص ١٠٣ (شنأ).

المعنى

قوله: ﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللهِ﴾. شعائر الله تعالى كلّ ما فيه علامة ترتبطه بالله و تنسبه إلى الله، فيشمل أُموراً:

الأوّل: الأحكام الشرعيّة و القوانين المنتسبة إلى الله تعالى، و لذا فسّرها بعض بحدود الله.[١]

الثاني: الواجبات الشرعيّة العباديّة، أو مطلقاً، و لأجله فسّرها بعض بمناسك الحجّ و أفعاله.[٢]

الثالث: الأزمنة الشريفة، كشهر رمضان، و يوم الفطر، و الأضحى، و الجمعة، و الغدير و غيرها.

الرابع: الأمكنة المتبرّكة، كبيت الله الحرام، و الحرم، و الصفا، و المروة، و منى، و المشعر، و عرفات، و المساجد، و المشاهد المشرّفة و نحوها.

الخامس: الأشخاص المقرّبون عند الله، المنسوبون إليه، كالأنبياء و الأئمّة عليهم السلام و الملائكة و غيرهم.

السادس: الأشياء الخاصّة المنسوبة إلى الله، كالقرآن الكريم و المصحف و نحوهما.

ثمّ إنّ تحليل الأحكام و الحدود الإلهيّة عبارة عن ترك العمل بها و رفضها، و أمّا تحليل الأزمنة و الأمكنة و غيرهما فعدم رعاية حرمتها و ترك ما ينبغي و يليق في حقّها من حسن المعاملة و مراعاة الحال و الحقّ، فقوله تعالى: ﴿لا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللهِ﴾ كلام عام يشمل جميع ما ذكره بعده، فالمذكور بعده من قبيل التخصيص بعد التعميم.

و تحليل الشهر الحرام يكون بالقتال فيه. و تحليل الهدي ـ و هو الحيوان الذي يهديه الإنسان إلى بيت الله متقرّباً ـ يكون بغصبه و ذبحه في غير محلّه و بيعه مثلاً. و

---

١. نقل عن عطاء و غيره في التبيان، ج ٣، ص ٤١٨؛ مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٦٤.

٢. نقل عن ابن عبّاس و ابن جريح في جامع البيان، ج ٦، ص ٧٢؛ التبيان، ج ٣، ص ٤١٨؛ مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٦٤.

كذلك القلائد، و هي من أفراد الهدي، وذكرت تأكيداً؛ لكونها معلّمة مشعورة.

و تحليل الآمّين إيذاؤهم و قتلهم و أخذ ما في أيديهم و إن كانوا غير مؤمنين، كما وقع في وجه النزول.

قوله: ﴿وَلاَ آمِّينَ﴾. سواء كان من المسلمين، أو الكفّار غير المشركين.

قوله: ﴿وَإِذا حَلَلْتُمْ فَاصْطادُوا﴾. الحلّ و الإحلال: الخروج عن الإحرام، و الأمر بالاصطياد للإباحة؛ لوقوعه بعد الحظر.

قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ...﴾. أي لا يحملنّكم عداوتهم ـ الناشئة من منعهم إيّاكم و صدّكم عن زيارة بيت الله عام الحديبيّة و غيره ـ على الاعتداء عليهم و الظلم لهم.

قوله تعالى: ﴿وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوىٰ و لاَ تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ﴾. البرّ و التقوى واضحان، لكنّهما يلاحظان تارة في مرحلة العقائد، و أُخرى في الصفات النفسيّة، و ثالثه في الأفعال الجوارحيّة، فالإذعان بالتوحيد و التجنّب عن الشرك و التثليث مثلاً برّ و تقوى في العقائد؛ و الاتّصاف بالصبر و الشجاعة و السخاء و الاجتناب عن الجزع و الجبن و البخل برّ و تقوى في الأوصاف النفسانيّة و صفات الروح؛ و إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة و الاجتناب عن المحرّمات برّ و تقوى في الأفعال.

ثمّ إنّ في التعبير بالتعاون دون الإعانة إشعار بأنّه ليس المراد الأمر بالإعانة على برّ الناس و تقواهم فقط، بل المراد لزوم أن يكون التعاون الواقع بين المخاطبين و معاونة بعضهم بعضاً على أساس البرّ و التقوى و مسبّباً عن لحاظهما، فاللازم على مجامع المسلمين أن يتبادروا و يتعاطفوا و يعين بعضهم بعضاً ببذل المال و النصرة بالجاه و تهيئة أسباب العيش المرفّه للمجتمع و إعداد وسائل الرقي الدينيّة و الدنيويّة، كائناً كلّ ذلك على أساس الدين و مراعاة التقوى، و مسبّباً عن قصد الخدمة الدينيّة و تعلية مستوى الحياة الإسلاميّة؛ ليكون ذلك تعاوناً مبنيّاً على البرّ و التقوى و على رعاية الإيمان و الأخلاق الفاضلة و الأعمال الصالحة.

و هذا كغالب الأبنية الدينيّة و الإنفاقات و الصدقات و المجاهرات الاجتماعيّة المذهبيّة في الممالك الإسلاميّة، كبناء المساجد و المدارس و المستشفيات و الطرق و القناطر و المقابر و المكتبات و إعداد القوى و السلاحات الحربيّة؛ لدفع الكفّار و رفع شرورهم و غيرها؛ فإنّ الجميع من التعاون على أساس البرّ و التقوى.

و أمّا البناءات و الأمكنة العامّة المعدّة لرفاه حال الاجتماع في الممالك غير الدينيّة، كما في عصرنا هذا المعدّة غالباً للفحشاء و المنكر، أو المستلزمة ذلك استلزاماً قطعيّاً و إعداد السلاحات و القوى لإفناء الدول الضعيفة و استضعافهم و استبعادهم و نحو ذلك، فكلّ ذلك تعاون على الإثم في ما بينهم و على العدوان لغيرهم.

و قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ...﴾. خطاب للمجتمع الإسلامي، أو لجميع الناس؛ للتحذير عن التعاون على الإثم و العدوان؛ فإنّ هذا العمل من أفحش الظلم و أشدّ المعاصي، ويترتّب عليه من الظلم على العباد و الجور على المستضعفين في البلاد و تضييع الحقوق و إتلاف الأموال و هتك الأعراض و إفناء النفوس و إبادة[1] الملل و إثارة الفتنة و ظهور الفساد في البرّ و البحر بما لا يحوم[2] حوله طائف الفكر و نِطاق البيان.

---

١. الإبادة: الإهلاك. لسان العرب، ج ٣، ص ٩٧ (بيد).

٢. يحوم، أي يدور. راجع: لسان العرب، ج ١٢، ص ١٦٢ (حوم).

قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[١]

اللغة

الإهلال هنا: رفع الصوت.[٢] و «المنخنقة»: من خَنَقَهُ يَخْنُقُه: شدّ على حلقه حتّى مات[٣]. و «الموقوذة»: المضروبة بشدّة، من وقذه، أي ضربه بشدّة.[٤] و «المتردّية»: الساقطة من شاهق و نحوه.[٥] و «النطيحة»: التي نطحها حيوان آخر، أي ضربها بقرنه.[٦] و «النصب» مفرداً: الحجارة التي كانوا يعبدونها، و جمعه: أنصاب، و قد يستعمل جمعاً[٧]. و الاستقسام: القسمة.[٨] و الأزلام: جمع زَلَم، و هو القدح، أي السهم الذي كانوا

---

١. المائدة (٥): ٣.

٢. راجع: لسان العرب، ج ١١، ص ٧٠١ (هلل).

٣. راجع: مصباح المنير، ص ١٨٣ (خنق).

٤. في اللغة: الوَقْذ: شدّة الضرب. وَقَذَهُ يقذه وقذاً: ضربه حتّى استرخى و أشرف على الموت. و موقوذة: قتلت بالخشب. و الموقوذة و الوقيذ: الشاة تضرب حتّى تموت، ثمّ تؤكل. تاج العروس، ج ٥، ص ٤٠٦ (وقذ).

٥. راجع: لسان العرب، ج ١٤، ص ٣١٦ (ردي).

٦. راجع: مصباح المنير، ص ٦١٠ و ٦١١ (نطح).

٧. راجع: لسان العرب، ج ١، ص ٧٥٩ (نصب).

٨. راجع: المفردات للراغب، ص ٦٧٠ (قسم).

يقرعون و يقامرون به.[١] و المخمصة: مصدر بمعنى المجاعة و الجوع[٢]. و التجانف: التمايل إلى القبيح[٣].

• المعنى

في الآية الشريفة أبحاث:

الأوّل: قد بيّن في هذه الآية أحدعشر أمراً من أقسام المحرّمات، فكأنّها مسوقة لبيان استثناء تلك الأمور من قوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[٤]، كما مرّت الإشارة إليه في ذيل الآية المذكورة.

ثمّ إنّ الظاهر أنّ الغرض من الآية ليس إحصاء جميع المحرّمات ممّا يؤكل، أو يشرب، بل و لا إحصاء المحرّم من أنواع الحيوان البريّة و البحريّة؛ فإنّ أقسام غير السموك من الحيوان البحريّة و كذا السموك التي ليس لها فلس حرام، و كذا أقسام جميع الحشرات، و كذا المسوخات و السباع من الدوابّ و الطيور و عدّة من غيرها أيضاً محرّمة، فالآية مسوقة لبيان ما يعتاد أكله من الحيوان أو أجزائه، كالدم، و كذا الخنزير الذي كان معتاد الأكل عند أهل الكتاب و المشركين.

الثاني: أنّ قوله تعالى ﴿حُرِّمَتْ﴾ إمّا إنشاء، أو إخبار عن الأمر الماضي، فعلى الأوّل يكون تأسيساً بالنسبة إلى ما لم يعلم حرمته في ما قبل، كحرمة المنخنقة و ما بعدها من الأمور السبعة، و تأكيداً بالنسبة إلى الأربعة الأول؛ لما عرفت من أنّها ذكرت في عدّة سور نازلة قبل هذه السورة.

و على الثاني فهو إمّا إخبار عن ثبوته في اللوح المحفوظ، أو عن وقوع التحريم في الآيات النازلة قبل هذه الآية، و هي آيات:

منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾[٥].

---

١. راجع: مصباح المنير، ص ٢٥٥ (زلم).
٢. راجع: المفردات للراغب، ص ٢٩٩ (خمص).
٣. راجع: تاج العروس، ج ١٢، ص ١٢٣ (جنف).
٤. المائدة (٥): ١.
٥. البقرة (٢): ١٧٣.

و منها: قوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَجِدُ في ما أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلىٰ طاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْفِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾[1].

و منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزيرِ وَما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ﴾[2].

هذا في الأربعة الأُول من تلك المحرّمات؛ فإنّها قد ذكرت في الكتاب الكريم بهذا الترتيب الخاصّ في المواضع الثلاثة قبل آيتنا المبحوث عنها.

و أمّا البواقي فهي مندرجة تحت عنوان «الميتة» المذكورة في تلك الآيات، أو تحت عنوان «الرُجْز»[3] الذي هو النجس في قوله تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾[4].

الثالث: للميتة إطلاقان:

الأوّل: هو الحيوان الذي خرج روحه بنفسه و بنحو غير القتل، و يسمّى بالميتة حتف أنفه.[5]

و الثاني: هو الذي خرج روحه بغير ذكاة شرعيّة.

فعلى الإطلاق الأوّل تكون متباينة المفاد مع العناوين اللاحقة لها من المنخنقة و الموقوذة و غيرهما، فالعناوين المذكورة في الآية أحد عشر.

و على الثاني تكون عامّة، و تلك العناوين من مصاديقها، فالعناوين في الآية ثلاثة.

و لا يخفى عليك رجحان المعنى الأوّل؛ لكثرة إطلاق الميتة عليه في القرآن و السنّة، و يؤيّده ذكرها في مقابل الأُمور المذكورة، فيمكن القول حينئذٍ بأنّ الآية قد بيّنت جميع أقسام الحيوان المحرّم أكله، فالميتة شاملة لحيوان البرّ و البحر حتّى

---

١. الأنعام (٦): ١٤٥. ٢. النحل (١٦): ١١٥.

٣. الرجز، بالكسر و الضمّ: القَذَر مثل الرجس. و الرجز: عبادة الأوثان، و به فسّر قوله تعالى: ﴿وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾، و قيل: هو العمل الذي يؤدّي إلى العذاب. و أصل الرجز في اللغة: الاضطراب و تتابع الحركات. كذا في تاج العروس، ج ٨، ص ٦٧ (رجز).

٤. المدثّر (٧٤): ٥.

٥. يقال: مات حتف أنفه، و هو أن يموت على فراشه، كأنّه سقط لأنفه فمات، و الحتف: الهلاك، كانوا يتخيّلون أنّ روح المريض تخرج من أنفه، فإن جُرح خرجت من جراحته. النهاية، ج ١، ص ٣٣٧ (حتف).

الحشرات إذا مات بحتف الأنف، و الخنزير مثال لكلّ حيوان غير قابل للتذكية، كالكلب، و ما ذكره بعده مثال لما هو قابل للتذكية ذاتاً، لكنّه لم يذكّ مع الشرائط، و ما ورد عن النبيّ ﷺ من قوله: «ميتان مباحتان: الجراد و السمك»،[١] فالإطلاق مجازيّ، و إلّا فقد ورد أنّ ذكاة السمك إخراجه من الماء حيّاً،[٢] و الجراد ذكاته حيازته.[٣]

الرابع: قوله تعالى: ﴿إِلَّا ما ذَكَّيْتُمْ...﴾، التذكية في الحيوان إخراج روحه على وجه خاصّ، أي بفري الأوداج[٤] الأربعة مع الشرائط و منها قابليّة المحلّ له.

و الاستثناء إمّا عن خصوص العامّ الأخير؛ أعني ما أكل السبع، أو عن الأربعة، أو السبعة الأخيرة؛ إذ يمكن أن يتحقّق العناوين المذكورة مع بقاء الحياة و قابليّتها لاستدراك ذكاتها، كما إذا فرى الأوداج لغير الله و لم يخرج الروح بعد، أو انخنقت، أو وُقذت، أو نُطحت، أو أُكلت و لمّا تخرج الروح، و أمكنت الذكاة.

و يمكن كون الاستثناء منقطعاً، فلا حاجة إلى فرض الحياة في تلك الأشياء.

و في رواية أبي بصير قال: «لا تأكل من فريسة السبع، و لا الموقوذة، و لا المنخنقة، و لا المتردّية إلّا أن تدركه حيّاً، و تذكّيه[٥]». و ظاهرها رجوع الاستثناء إلى الجميع.

ثمّ إنّ ظاهر الآية حرمة الميتة بأقسامها و حلّيّة المذكّى، و أمّا إنّ أيّ حيوان محرّم أكله بالتذكية؟ و أيّاً منه يحلّ؟ فلا تصريح في الآية بذكره، لكن يمكن دعوى العموم في طرف الميتة و المذكّى، و أنّ كلّ حيوان أُهلّ لغير الله به و خُنق و وُقذ يحرم أكله، و كلّ ما ذكّي حلّ؛ لعموم قوله: ﴿وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَ الْمُنْخَنِقَةُ...﴾، فالآية تعطي قاعدة

---

١. مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٧٠، ذيل الآية المذكورة.

٢. مضمون روايات وردت في ذلك. راجع: وسائل الشيعة، ج ٢٤، ص ٧٣ ـ ٧٥، ح ٣٠٠٢٨ ـ ٣٠٠٣٥.

٣. هذا أيضاً مضمون روايات وردت في ذلك. راجع: وسائل الشيعة، ج ٢٤، ص ٨٧ ـ ٨٩، ح ٣٠٠٦٧ ـ ٣٠٠٧٥.

٤. الفَرْيُ: القطع. و الأوداج: هي ما أحاط بالعنق من العروق التي يقطعها الذابح، واحدها: وَدَج بالتحريك. و قيل: الودجان عرقان غليظان عن جانبي ثغرة النحر. راجع: النهاية، ج ٣، ص ٤٤٢ (فرا)، و ج ٥، ص ١٦٥ (ودج).

٥. وسائل الشيعة، ج ٢٤، ص ٣٧، ح ٢٩٩٢٨.

كلّيّة عامّة، و تفيد أنّ جميع الحيوانات تحرم في صورة، و تحلّ في أُخرى، فكلّ ما ثبت حرمة أكله ـ ولو مع التذكية بدليل خارج ـ أخرجناه، و حرّمناه، و ما لم يثبت أحللناه بالتذكية.

و يدلّ على هذا البيان صحيحة زرارة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «كُلْ كلّ شيء من الحيوان غير الخنزير و النطيحة و المتردّية و ما أكل السبع، و هو قول الله عزّ و جلّ: ﴿إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾، فإن أدركت شيئاً منها، و عين تطرف، أو قائمة تركض، أو ذَنَبٌ يُمْصَعُ،[١] فقد أدركت ذكاته، فكله».[٢]

الخامس: الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَ مَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ و قوله: ﴿وَ مَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ أنّ الأوّل هو ما سمّي عليه غير الله صنماً كان، أو نبيّاً، أو مَلَكاً، أو مَلِكاً، أو غيرها، و الثاني ما ذبح بقصد التقرّب إلى النُّصُب، و هي الحجارة الخاصّة التي كانوا يقولون بقداستها، و كلمة ﴿عَلى﴾ تدلّ [على] الاستعلاء، سواء كان حقيقيّاً و وقع الذبح على نفس الحجارة، أو مجازيّاً و كان على جهتها.

فالمحصّل أنّه يشترط في حلّيّة الذبائح عدم قصد التقرّب بذبحه لغير الله، و عدم ذكرهم غير الله عليه، كما أنّه يشترط فيها ذكر اسم الله عليها. و يدلّ على الأمرين الأخيرين آيات:

منها: قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ﴾.[٣]

و منها: قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾.[٤]

و منها: قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾.[٥]

و منها: قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾.[٦]

---

١. المصْعُ: التحريك، يقال: مصعت الدابّة بذنبها تمصع، أي حرّكته من غير عَدْو. لسان العرب، ج ٨، ص ٣٣٧ (مصع).

٢. وسائل الشيعة، ج ٢٤، ص ٢٢، ح ٢٩٨٨٦.

٣. المائدة (٥): ٤.

٤. الأنعام (٦): ١١٨.

٥. الأنعام (٦): ١١٩.

٦. الأنعام (٦): ١٢١.

و منها: قوله تعالى: ﴿وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.[١]

و منها: قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا﴾[٢].

السادس: قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾. الاستقسام بالأزلام إمّا بمعنى طلب القسمة و النصيب بمعنى صلاح الأمر و فساده بالقرعة الواقعة في ما بينهم بالأزلام، أي القداح لا ريش فيها و لا نصل، و المراد تحصيل العلم بها بعاقبة الفعل الذي كانوا يقصدونه من السفر و الزواج و البيع و الشراء و غيرها، فيكتبون على بعضها «أمرني ربّي»، و على بعضها «نهاني ربّي»، فما خرج من القدح يعيّن به نصيبه من الفوز و الحرمان. و ذلك نظير الاستخارات المعمولة في زماننا هذا بعدّة طرق لا دليل على حجّيّتها.

و قد يقال: إنّ المراد به ما كان متداولاً في تلك الأزمنة باستقسام لحم الجزور[٣] و نحوه بالقداح العشرة.[٤]

فعلى ما في بعض الأخبار كان يجتمع العشرة من الرجال، فيشترون بعيراً، و ينحرونه، و يقسمونه ثمانية و عشرين جزء، و كان لهم عشرة أقداح لكلّ واحد اسم معيّن، و لكلّ اسم نصيب خاصّ، فلواحد سهم واحد من اللحم، و للآخر سهمان، و للثالث ثلاثة، و هكذا للسابع سبعة أسهم، و ثلاثة منها لا أنصباء لها. و كانوا يجعلون الأقداح في خريطة، و يخرجونها واحداً بعد واحد، كلّ قدح باسم واحد منهم، فمن خرج له قدح ذو سهم أخذ سهمه من اللحوم المقسومة، و من خرج له قدح أبيض غير متكوب غرم ثلث قيمة البعير، فيأخذ صاحب الأقداح السبعة نصيبهم بالاختلاف، و يغرم الثلاثة الذين ليس لهم نصيب قيمة البعير بالاشتراك. و هذا نوع من المقامرة كانت

---

١. الأنعام (٦): ١٣٨.　　　٢. الحجّ (٢٢): ٣٦.

٣. الجَزور: البعير ذكراً كان أو أنثى، إلّا أنّ اللفظة مؤنّثة، تقول: هذه الجزور و إن أردت ذكراً، و الجمع: جُزُر و جزائر. النهاية، ج ١، ص ٢٦٦ (جزر).

٤. قال به السمرقندي في تفسيره، ج ١، ص ٣٩٢، و نسبه الزمخشري إلى القيل في الكشّاف، ج ١، ص ٥٩٣.

متعارفة في الجاهليّة.[١]

ثمّ إنّ الظاهر من سياق الآية كون المراد بالاستقسام هذا المعنى؛ لقضاء سياق الأُمور المذكورة بذلك، فالمعنى تحريم المأخوذ بالاستقسام بها.

و قوله: ﴿ذٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾. أي تناول ما ذكر في الآية و ما عدّ من المحرّمات فسق و خروج عن طاعة الربّ تعالى.

[تحقيق في نصب الخليفة و الوصيّ يوم غدير خمّ]

السابع قوله: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾.

يستفاد من أخبار أئمّتنا عليهم السلام[٢] و من نزل القرآن في بيتهم ـ و أهل البيت أدرى بما في البيت ـ أنّ هذه الجملات من الآية كلام مستقلّ وقع في موقعه هذا بنحو الاعتراض، و هو بيان لأمر آخر أهمّ و أعظم ممّا قبله و بعده من حرمة بعض الأشياء عند الاختيار و إباحته عند الاضطرار، و الظاهر أنّ هذا اليوم إشارة إلى زمان نزول الآية؛ أعني هذه الجملات، و أنّ المراد باليوم في الجملتين زمان واحد.

قال في المجمع:

> إنّ المرويّ عن الإمامين أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام أنّه إنّما أُنزل بعد ما نصب النبيّ صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام علماً للأنام يوم غدير خمّ منصرفة عن حجّة الوداع، قالا عليهما السلام: «و هو آخر فريضة أنزلها الله تعالى، ثمّ لم ينزل بعدها فريضة».[٣]

و نقل أيضاً عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله لمّا نزلت هذه الآية قال: «الله أكبر على إكمال الدين و اتمام النعمة و رضا الرب برسالتي و ولاية علي بن أبي طالب من بعدي» و قال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه اللّهمّ وال من والاه و عاد من عاداه و انصر

---

١. راجع: الخصال، ص ٤٥٢، ح ٥٧. و عنه في وسائل الشيعة، ج ٢٤، ص ٣٩ و ٤٠، ح ٢٩٩٣٣.

٢. للتعرّف لتلك الأخبار راجع: البرهان، ج ٢، ص ٢٢٣ ـ ٢٤٧، ح ٢٩٠٢ ـ ٢٩٢٦.

٣. مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٧٤.

من نصره و اخذل من خذله»[١]، إلى آخره.

و عن الباقر عليه السلام أيضاً[٢] قال: «كان نزولها بكراع الغميم ـ محلّ بين مكّة و المدينة ـ فأقامها رسول الله بالجُحْفة».[٣]

و قد ذكر علماء السنّة و الشيعة في تعيين المراد من اليوم و تفسير الجملات و ارتباطها بما قبلها و بعدها أموراً لا تسمن و لا تغني من جوع، و أحسن ما وجدت فيه ما ذكره الأستاذ الطباطبائي في ميزانه، و خلاصة مقدار منه:

أنّ الكفّار كانوا يتربّصون الدوائر للمسلمين من جهة أنّ هذا الدين كان يذهب بسوددهم[٤] و يختم على تمتّعهم و أهوائهم، و قد كانوا يأخذون بادي الأمر يفترون عزيمة النبيّ صلى الله عليه و آله بالمال و الجاه، و كان آخر ما يرجونه من زوال الدين أنّه سيموت بموت هذا القائم بأمره و لا عقب له؛ فإنّهم كانوا يرون أنّه ملك بصورة النبوّة و سلطنة في لباس الدعوة و الرسالة، فلو مات، أو قتل انقطع أثره، و مات ذكره و دينه، كالسلاطين الجبابرة؛ فإنّهم مهما بلغ أمرهم من التعالي و ركوب رقاب الناس؛ فإنّ ذكرهم يموت بموتهم، و سلطنتهم تدفن معهم في قبورهم. و يشير إليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[٥].

و اعتلاء كلمة الإسلام أيأستهم عن جميع أمانيّهم و أسباب رجائهم إلّا رجاء واحداً، و هو موت الدين و الدعوة بموته، و ذلك لأنّ كمال الدين من جهة أحكامه و معارفه ـ و إن بلغ ما بلغ ـ لا يقوى بنفسه على حفظ نفسه، و أنّ كلّ سنّة لا تموت إلّا بموت حملتها و حفظتها و القائمين بتدبير أمرها.

فيظهر من ذلك أنّ يأس الكفّار بالكلّيّة إنّما يتحقّق بأن ينصب الله لهذا الدين من يقوم مقام النبيّ صلى الله عليه و آله في حفظه و تدبيره أمره، فيتعقّب ذلك خروج الدين عن مرحلة القيام بالحامل الشخصي إلى مرحلة القيام بالحامل النوعي، و

---

١. نفس المصدر. ٢. أي نقل في المجمع أيضاً.

٣. نقله في المجمع عن تفسير عليّ بن إبراهيم رحمه الله. راجع: تفسير القمّي، ج ١، ص ١٦٢.

٤. السُّودَدُ: الشرف، و قد يهمز و تضمّ الدال، طائيّة. لسان العرب، ج ٣، ص ٢٢٨ (سود).

٥. الكوثر (١٠٨): ٣.

يكون ذلك إكمالاً للدين بتحويله من صفه الحدوث إلى صفة البقاء، و يؤيّده ما ورد أنّ الآية نزلت يوم غدير خمّ.[١] انتهى.

ثمّ إنّه على هذا المعنى يكون ارتباط الفقرتين؛ أعني قوله: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ...﴾ و قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ...﴾ من جهة كون الثانية كالتعليل للأولى و قوله: ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ أي لا تخشوا من غلبة الكفّار و سلبهم دينكم؛ فإنّه لا يكون بعد هذا الزمان، و اخشوني ان أسلب هذه القدرة الحاصلة لكم، و هذا التسلّط على الكفّار الذي منحته إليكم، و من المعلوم أنّ الله لا يغيّر نعمة أنعمها على قوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم،[٢] و في هذا المقام أيضاً افترقوا و تخالفوا و عصوا الرسول في وصيّته، و فارقوا الوصيّ و تركوه وراء ظهورهم، فسلب الله عنهم العظمة و القدرة، و آل أمرهم إلى ما آل إليه اليوم، و إلى الله المشتكى.

و قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾. فإنّ تعيين من يعلم حقايق الدين و أُصوله و فروعه، و يعمل به كما عمل مشرّعه الأعظم و النبيّ الأقدس، و يجاهد في حفظه و تعليمه و نشره و القيام التامّ بحقوقه، من أفضل مصاديق إكمال الشيء، كما أنّ تركه على حاله و إلقائه على عاتق الناس مع ما هم عليه من أهواء مختلفة و ميول و شهوات نقص و أيّ نقص و أيّ تضيّع، فبنصب الخليفة كمال الدين، وبه تمام هذه النعمة.

و منه يظهر معنى قوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً﴾؛ فإنّ الإسلام ـ؛ أعني مجموع القوانين الإلهيّة المسمّى بالدين ـ لا يرضى الله بكونه ديناً للناس إلّا مقروناً بولاية إمام عادل منصوب من الله تعالى، فالقوانين العادلة تحتاج إلى إمام عادل، و هل يصلح الاجتماع البشري إلّا بهذين الأمرين!؟ و هل ترجو و تتمنّى و تترقّب الجوامع المترقّية البشريّة إلّا هاتين النعمتين!؟ و هل يطلب بُصَراء أهل الدنيا طلباً حثيثاً، و يجاهد في تحصيله جهاداً ذات أبعاد و جهات إلّا هذين الغرضين!؟

---

١. راجع: الميزان، ج ٥، ص ١٧٥ ـ ١٨٢.

٢. اقتباس من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾. الرعد (١٣): ١١.

فالدين الحاصل بيد الناس لو كان مجرّداً عن حافظ عادل ـ فضلاً عن أن يتولّى حفظه أئمّة الجور، كمعاوية و يزيد و هارون و المتوكّل العبّاسي و نظرائهم ممّن تقدّمهم و تأخّر عنهم ـ ليس ممّا يرضى الله بكونه ديناً للجوامع، و لهذا قد ورد في أخبار الفريقين عن النبيّ ﷺ: «من مات و لم يعرف إمام زمانه، مات ميتة جاهليّة».[1] فالآخذ لدين الإسلام و العامل به لو لم يعرف من تسلّمه من الله و قبل حفظه و نشره ـ؛ أعني الإمام العدل ـ غير مرضيّ عند الله، و لا يسمن و لا يغني من جوع.

ثمّ إنّ البحث عن مسألة الخلافة الإسلاميّة و لزوم نصب الإمام من الله للناس بحث كلاميّ طويل الذيل، قد أُلّفت في تنقيحها كتب كثيرة من علماء الفريقين، و هي المسألة التي صارت معركة الآراء و العقائد، و ليس يناسب المقام منه إلّا ما يقرب ممّا ذكرناه.

الثامن: قوله: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. المخمصة: مصدر بمعنى خلوّ البطن عن الطعام و ضِماره[2]. و المتجانف: المتمايل إلى الباطل، فالمراد: من دعته الضرورة إلى تناول شيء منها في حال الجوع مع عدم تمايله إلى الإثم، فإنّ الله غفور رحيم.

و هنا أبحاث:

أوّلها: أنّ الآية تشاركها في الحكم المستفاد منها آيات ثلاثة:

قال تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَ لَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[3].

و قال تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَ لَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[4].

---

١. رويت فقرته الأُولى بألفاظ مختلفة. راجع: الكافي، ج ١، ص ٣٧٢، ح ٥، و ص ٣٧٦ و ٣٧٧، ح ١ ـ ٣، و ص ٣٩٧، ح ١، و ج ٢، ص ٢٠ و ٢١، ح ٦ و ٩؛ ثواب الأعمال، ص ٢٠٥؛ تلخيص الشافي، ج ٤، ص ١٣٢؛ مسند أحمد، ج ٣، ص ٤٤٦، و ج ٤، ص ٩٦؛ صحيح مسلم، ج ٦، ص ٢٢؛ صحيح ابن حبّان، ج ١٠، ص ٤٣٤ و ٤٣٥؛ شرح المقاصد، ج ٥، ص ٢٣٩؛ شرح العقائد النسفيّة للتفتازاني، ص ٩٧؛ مجمع الزوائد للهيثمي، ج ٥، ص ٢١٨.

٢. في اللغة: الضمر بالضمّ و بالضمّتين: الهُزال، و لحاق البطن. و الضِمار: مكان، أو واد مُنخفِض يُضْمِرُ ـ أي يغيّب ـ السائر فيه. راجع: تاج العروس، ج ٧، ص ١٣٠ و ١٣٢ (ضمر).

٣. البقرة (٢): ١٧٣.

٤. الأنعام (٦): ١٤٥.

و قال تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَ لاَ عَادٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١].

فيستفاد من ظهور وحدة المرميّ في الآيات أنّ المراد من التجانف إلى الإثم في محلّ الكلام هو كون الآكل باغياً و عادياً.

و قد فسّروا البغي و العدوان بأمور، منها: كونه باغياً على الإمام العدل و عادياً مقدار الضرورة في الأكل.[٢] و بالجملة فأيّ معنى أُريد من العنوانين في تلك الآيات، كان هو المقصود في المقام.

ثانيها: ظاهر الآيات أنّ الاضطرار الذي هو عنوان ثانوي طار على الموضوعات الأوّليّة ـ؛ أعني معروضات الأحكام الواقعيّة ـ موضوع للحكم الثانوي الاضطراري، و يعطي ظواهر الآيات أنّ ذلك الحكم هو الجواز مع أنّه لا إشكال في وجوب الأكل عند الضرورة و خوف التلف، و قد اشتهر أنّ جواز المحرّمات يساوق وجوبها.

و يمكن أن يقال: إنّ المستفاد منها الجواز بالمعنى الأعمّ، و لا ينافي تحقّقه في ضمن الوجوب، مع أنّ الدالّ على الجواز إنّما هو آية البقرة فقط، و أمّا سائر الآيات فالجزاء غير مذكور بنفسه، و المذكور علّته القائمة مقامه، فيمكن القول بأنّ التقدير: «فيجب عليه الأكل» و نحوه من التعابير، مع أنّه يمكن أن يقال: إنّ الاضطرار إن كان بنحو الحرج في الاجتناب فالأكل جائز، و إن كان بنحو يستلزم الاجتناب تلف النفس فالأكل واجب، و لعلّ الآية متعرّضة للأوّل.

ثالثها: ظاهر الآيات ـ كما أنّه ظاهر بعض الأخبار[٣] أيضاً ـ أنّ الاضطرار إذا كان من الباغي و العادي، فلا يجوز تناول المحرّمات.

و هذا مشكل إذا فسّرنا الباغي ببعض المعاني المذكورة له، ككون الباغي الذي

---

١. النحل (١٦): ١١٥.

٢. راجع: التبيان، ج ٢، ص ٨٦؛ مجمع البيان، ج ١، ص ٤٦٧، ذيل الآية ١٧٣ من البقرة (٢).

٣. راجع: الكافي، ج ٣، ص ٤٣٨، ح ٧؛ الفقيه، ج ٣، ص ٣٤٤، ح ٤٢١٣؛ تهذيب الأحكام، ج ٣، ص ٢١٨، ح ٥٣٩، و ج ٩، ص ٨٤، ح ٣٥٤.

يبغي الصيد بَطَراً،[١] و العادي السارق، كما في رواية الفقيه عن عبدالعظيم الحسني، عن مولانا الجواد عليه السلام.[٢]

فهل اللازم القول حينئذٍ بحرمة الأكل عليه و لزوم الإمساك حتّى يموت جوعاً؟ أو نقول: إنّ المفهوم من الآيات وجود الإثم و عدم تحقّق الغفران إذا كان متجانفاً لإثم و باغياً عادياً، لا تحقّق الحرمة، فيكون النتيجة أنّه يجب حينئذٍ الأكل؛ لحفظ النفس مع ترتّب العقاب عليه؟ و لا منافاة بين الوجوب و الإثم إذا كان أمراً غيريّاً أو إرشاديّاً، كما في المتوسّط في الأرض المغصوبة، فيجب عليه الخروج، و يأمره المولى بذلك، و مع ذلك لايسقط عقاب التصرّف في حال الخروج.

و قد روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «من اضطرّ إلى الميتة و الدم ولحم الخنزير فلم يأكل شيئاً من ذلك حتّى يموت فهو كافر».[٣]

رابعها: أنّه ما معنى الغفران من الله في المقام مع عدم كون العمل معصية؟ فنقول: إنّ المراد أنّ الله متّصف بصفة الغفران و الرحمة، وتلك الصفة اقتضت رفع الحرمة في هذا المقام، فتلك الصفة قد تقتضي رفع أثر العصيان و معلوله الذي هو العقاب، و قد تقتضي رفع موضوعه، و هو الحكم الإلزامي الوجوبي أو التحريمي، و يستلزم ذلك عدم تحقّق العقاب.

انتهى الكلام إلى هنا في ليلة الأحد من اليوم العاشر من ذي العقدة الحرام سنة ١٣٩٥ في بلدة كاشمر حينما أُقصيت إليها بيد الجور و العدوان.

---

١. قال الراغب: «البَطَر: دَهَش يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة، و قلّة القيام بحقّها، و صرفها إلى غير وجهها. و قيل غير ذلك. راجع: المفردات، ص ١٢٩؛ لسان العرب، ج ٤، ص ٦٨ (بطر).

٢. الفقيه، ج ٣، ص ٣٤٤، ح ٤٢١٣.

٣. الفقيه، ج ٣، ص ٣٤٥، ح ٤٢١٤.

قوله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ مٰا ذٰا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبٰاتُ وَمٰا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوٰارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمّٰا عَلَّمَكُمُ اللّٰهُ فَكُلُوا مِمّٰا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللّٰهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ سَرِيعُ الْحِسٰابِ﴾[1].

اللغة

الطيب: ما تستلذّه الحواسّ الظاهرة، و ما تستلذّه النفس، فهو قسمان: طيّب ماديّ، و طيّب معنويّ روحي. و الطيّب في نظر الشرع: الحلال. و الطيّب من الإنسان: ما اتّصف بصفة العلم و محاسن الأخلاق و الأعمال.[2] و الجوارح: جمع الجارحة، أي التي تجرح، أو تكسب.[3] و التكليب: تعليم الكلب، أو اقتناؤه و حفظه.[4]

المعنى

في الآية الشريفة أبحاث:

الأوّل: قوله تعالى: ﴿مٰا ذٰا أُحِلَّ لَهُمْ﴾. المراد من الموصول الذي وقع السؤال عن حلّيّته إمّا خصوص المأكولات، أو الأعم منها و ممّا يشرب، أو جميع الأعيان الخارجيّة التي ينتفع بها الإنسان، أو المراد الأفعال الصادرة من الإنسان، أو المراد

---

١. المائدة (٥): ٤. و قال المصنّف في هامش المخطوطة: «شرعنا في كتابة هذا الكرّاس في الليلة إحدى عشرة من ذي القعدة سنة ١٣٩٥ في بلدة كاشمر حينما أقصانا إليها يد الجور و العدوان و أعوان الشيطان».

٢. راجع: المفردات للراغب، ص ٥٢٧ (طيب). ٣. المصدر، ص ١٩١ (جرح).

٤. في اللغة: كلّبته تكليباً: علّمته الصيد، و الفاعل: مُكلِّب و كلّاب أيضاً، و هو صاحبه و الذي يصطاد به. راجع: النهاية، ج ٤، ص ١٩٥؛ المصباح المنير، ص ٥٣٧ (كلب).

الكلمات و الأقوال، أو المراد الأوصاف التي تتّصف بها النفس، فسألوا عمّا ينبغي و يحلّ الاتّصاف به، و عمّا لا يحلّ و ينبغي إزالته، أو المراد العقائد و الأفعال الجوانحيّة ممّا يحلّ الإذعان به، و ينبغي عقد القلب عليه، أو المراد جميع ذلك.

و على أيّ تقدير، فالجواب ناظر إلى ما طاب من ذلك لدى العقلاء و الطبع و لا يستقذرانه، فظهر أنّه لكلّ شيء من الأعيان الخارجيّة و الأفعال و الأقوال و الصفات و العقائد طيّباً لدى العقل و طبع الإنسان السليم طبعه، و خبيثاً يستقذره و يتنفّر عنه، فالطيّب منه حلال، و الخبيث غير حلال.

فظهر أنّ المراد بالطيّب هو ما كان كذلك عند العقل و الطبع، لا الطيّب الشرعيّ، و هو ما أحلّه الله و أباحه؛ فإنّ الآية مسوقة لبيان الحكم الشرعي و ترتيبه على الموضوعات القابلة له، فلا يؤخذ الحكم في موضوعه؛ فإنّه يرجع إلى قوله: «أحلّ لكم ما أحلّ لكم»، و هو غير جائز.

ثمّ إنّ هذه الجملة تعطي قاعدة كلّيّة عامّة بالنسبة [إلى] المأكول و الملبوس و غيرهما ممّا يكون مورداً لانتفاع الإنسان من الأعيان، و تحكم بالحلّيّة و الإباحة، فكلّ شيء من أجزاء هذا العالم يستلذّ منه الحواسّ الخمس بالاستماع و النظر و الذوق و الشمّ و اللمس فهو حلال، و الانتفاع به جائز مباح، فيكون ما دلّ على تحريم بعض المسموعات و المبصرات و غيرها مخصّصة للآية الشريفة.

و كذلك يستفاد منها قاعدة كلية لحلّيّة الأفعال الصادرة من الإنسان و أخلاقه و معتقداته.

إن قلت: ظاهر لفظ «الطيّب» هو المطعوم من المأكول و المشروب، فتعميمه للأفعال و الأخلاق و العقائد خلاف الظاهر، خصوصاً مع ملاحظة ما يذكر بعده من الصيد و طعام أهل الكتاب و نحوه.

قلت: أُطلق «الطيّب» في الكتاب الكريم على أُمور كثيرة، كالمرأة في قوله: ﴿فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ﴾،[1] و على المؤمن و المال و البلد و القول و الكلام و

---

١. النساء (٤): ٣.

الصعيد[1] و الغنيمة و الإنسان و الذرّيّة و المساكن و الريح و الشجرة و الحياة و التحيّة و الكسب و الرزق و غير ذلك. فلامناص عن القول بأنّ طيّب تلك الأشياء باعتبار استحسان الطبع لها، كما أنّ كون الإنسان طيّباً ليس إلّا بلحاظ أخلاقه و عقائده و أعماله، كما يظهر من ملاحظة تلك الآيات.

إذاً فلا بأس بحمل هذه الآية و ما يشابهها في ذكر عنوان «الطيّب» جمعاً ومفرداً مطلقاً وبلا قيد على المعنى العامّ الشامل، و ذكر المصداق الخاصّ بعده لا يدلّ على خصوصيّة المعطوف عليه.

ثمّ إنّ الحكم بحلّيّة جميع ما هو مصداق للطيّب ـ مع كون بعضه واجباً، كالأعمال الواجبة و العقائد الحقّة الأصوليّة ـ من جهة أنّ المراد الحلّيّة بالمعنى الأعمّ.

الثاني: قوله: ﴿وَمٰا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوٰارِحِ مُكَلِّبِينَ...﴾. المعنى: و أحلّ صيد ما علّمتم من الجوارح، أو أنّ الموصول مبتدأ، خبره قوله: ﴿فَكُلُوا﴾. و على أيّ تقدير تشمل كلمة «الجوارح» جميع الحيوان المعلّم الذي يجرح الصيد، أو يكسبه، كالصُقور[2] و البزاة[3] و غير الكلب ممّا يمكن تعليمه، إلّا أنّ قوله: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ يقيّد ذلك، فيكون المعنى: حال كونكم معلّمين للكلاب، أو ذوي كلاب، فالحلّيّة ثابتة في موضوع تعليم الكلاب، لا مطلق الجوارح.

و يدلّ عليه قول الإمام الصادق ﷺ، ففي الوسائل عن أبي بكر الحضرمي قال: سألت أبا عبدالله ﷺ عن صيد البزاة و الصقور و الفهد[4] و الكلب، فقال: «لا تأكل صيد شيء من هذه إلّا ما ذكّيتموه إلّا الكلب المكلّب».[5]

---

۱. معنى الصعيد مختلف في اللغة جدّاً. فقيل: الصعيد: الأرض، و قيل: الأرض الطيّبة، و قيل: هو كلّ تراب طيّب. و قيل غير ذلك. راجع: لسان العرب، ج ۳، ص ۲۵۴ و ۲۵۵ (صعد).

۲. الصُقور: جمع الصَقْر، و هو الطائر الذي يصاد به من الجوارح. لسان العرب، ج ۴، ص ۴۶۵ (صقر).

۳. البُزاة: جمع البازي، و هو من الصقور التي تصيد، و يقال له بالفارسيّة: «باز». راجع: تاج العروس، ج ۱۹، ص ۱۹۹ (بزو).

۴. الفهد: معروف، سبع يصاد به، و يقال له بالفارسيّة: «يوز پلنگ». لسان العرب، ج ۳، ص ۳۳۹ (فهد).

۵. وسائل الشيعة، ج ۲۳، ص ۳۳۹، ح ۲۹۶۹۰.

و فيه أيضاً عنه ﷺ قال: «لأنّ الله تعالى يقول: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾، فما كان خلاف الكلاب فليس صيده بالذي يؤكل إلّا أن تدرك زكاته».[1]

قوله تعالى: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ...﴾. فإنّ الإنسان يفهم مراد آمره و ناهيه بوسيلة كلامه أو إشارته، ثمّ يجري على وفق ما فهمه من فعل أو ترك، فهكذا يعلّم الكلب، فيستفاد من الآية ما هو الموافق للفتوى من كون الكلب بحيث ينسرح إذا سُرح[2]، و ينزجر إذا زجر.

قوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ...﴾. يستفاد من الآية أنّ في حلّيّة الصيد بالحيوان شرائط: الأوّل: كون الجارح كلباً. الثاني: كونه معلّماً. الثالث: كونه معتاد الإمساك لصاحبه، لا متعاد الأكل. الرابع: ذكر اسم الله عليه.

و يمكن استفادة العموم في الصيد من الموصول. و أمّا زمان ذكر الاسم على الصيد و كيفيّته فلا يستفاد من الآية.

قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ...﴾. أي عن عذابه و نكاله في الدنيا و عقابه في الآخرة. و الحساب إمّا مصدر «حسب»، فيكون بمعنى العدّ، أو مصدر «حاسبه»، فيكون بمعنى المحاسبة مع العباد.

فعلى الأوّل فسرعة الحساب كناية عن علمه تعالى بعدد جميع المعدودات، فكأنّه عدّه بسرعة و علّمه.

و على الثاني فسرعة محاسبته في الدنيا مجازاته العباد بأعمالهم الحسنة و السيّئة، و سرعتها بالنسبة إلى الآخرة إمّا بسرعة مجيء وقتها و إن استبطأها الجاهلون، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ○ وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾[3]، أو بسرعة تحقّقها في وقتها مهما كان وقتها.

---

١. وسائل الشيعة، ج ٢٣، ص ٣٤٠، ح ٢٩٦٩١.

٢. التسريح: الإرسال، و الانسراح مطاوع ذلك. راجع: لسان العرب، ج ٢، ص ٤٧٩ (سرح).

٣. المعارج (٧٠): ٦ و ٧.

قال في المجمع:

الوجه الثاني من معاني «سريع الحساب»[١] أن يكون المراد به أنّه يحاسب أهل الموقف في أوقات يسيرة، لا يشغله حساب أحد عن حساب غيره، كما لا يشغله شأن عن شأن. و ورد في الخبر أنّه تعالى يحاسب الخلائق كلّهم في مقدار لمح البصر. و روى بقدر حلب شاة... و روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «معناه أنّه يحاسب الخلق دفعة كما يرزقهم دفعة».[٢]

---

١. في المصدر: «و ثانيها» بدل «الوجه الثاني من معاني سريع الحساب».

٢. مجمع البيان، ج ٢، ص ٥٢، ذيل الآية ٢٠٢ من سورة البقرة (٢).

قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1].

اللغة

مرّ معنى الطيّب في الآية السابقة. و الطعام لغة: مصدر بمعنى الذوق، و قد يستعمل بمعنى المطعوم، أي ما يتناول للطعم.[2] و قد اشتهر في السنّة المتشرّعة استعماله في الحبوبات، أو خصوص البُرّ منها. و الإحصان: التحفّظ، فكأنّه اتّخذ لنفسه حصناً.[3] و السفاح: الزنا.[4] و الأخدان: جمع خِدْن، أي المصاحب، و أكثر ذلك يستعمل في من يصاحب شهوة.[5] و الحبط: الإبطال.[6]

---

١. المائدة (٥): ٥.

٢. في اللغة: الطعام: اسم جامع لكلّ ما يؤكل. و قد طَعِمَ يَطْعَمُ طُعْماً، فهو طاعم، إذا أكل، أو ذاق. و قد طعمه طَعْماً و طَعاماً و أطعم غيره. راجع: لسان العرب، ج ١٢، ص ٣٦٣ و ٣٦٤ (طعم).

٣. في اللغة: أصل الإحصان: المنع. و المرأة تكون محصنة بالإسلام و بالعفاف و الحرّية و بالتزويج. يقال: أحصنت المرأة، فهي مُحْصِنة و مُحْصَنة. و كذلك الرجل. النهاية، ج ١، ص ٣٩٧ (حصن).

٤. راجع: النهاية، ج ٢، ص ٣١٧ (سفح).

٥. راجع: المفردات للراغب، ص ٢٧٧ (خدن).

٦. يقال: حَبِطَ عَمَلُه و أحبطه صاحبه، إذا عمل عملاً، ثمّ أفسده. و حَبِطَ عملُه حَبْطاً: بطل ثوابه. راجع: لسان العرب، ج ٧، ص ٢٧٢ (حبط).

المعنى

قوله: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ...﴾. أي أتمّ الأحكام الدالّة على حلّ الطيّبات بنزول هذه السورة، و قد مرّ كيفيّة استفادة القاعدة الكلّيّة من هذه الجملة في الآية السابقة، فما يذكر بعدها من مصاديقها.

و قوله: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ...﴾. ظاهر الآية أنّه يحلّ للمسلمين من الكفّار كلّ ما يسمّى طعاماً، رطباً أو يابساً، مطبوخاً أو غير مطبوخ؛ لأنّ الطعام في اللغة عامّ لذلك كما مرّ، إلّا أنه قد يدّعى كون المراد به البُرّ خاصّة، فعن لسان العرب أنّ أهل الحجاز إذا أطلقوا الطعام، أرادوا به البُرّ خاصّة.[1] و عن الخليل: العالي في كلام العرب أنّ الطعام هو البرّ خاصّة،[2] إلى آخره.

و قد يدّعى كون المراد به الحبوبات مطلقاً.[3]

و في الخبر: عن سماعة، عن الصادق عليه السلام قال: سألته عن طعام أهل الذمّة ما يحل منه؟ قال: «الحُبوب».[4]

و عن أبي الجارود، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: سألته عن قول الله: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَ طَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾؟ قال: «الحُبوب و البُقول».[5]

و في آخر عن الصادق عليه السلام قال في تفسير الآية: «كان أبي يقول: إنّما هي الحبوب و أشباهها».[6]

و ظاهر الروايات كونه أعمّ من البرّ، و حينئذ فإمّا أن نقصّر في معناه على ما يستفاد من الروايات، أو نقول بالعموم، لكن نخصّصه بما حرمته ـ مع قطع النظر عن كون صاحبه كافراً ـ كالميتة و الدم و لحم الخنزير و ما أهلّ لغير الله به و النجس و المغصوب و غيره من المحرّمات.

---

١. راجع: لسان العرب، ج ١٢، ص ٣٦٤ (طعم).
٢. العين، ج ٢، ص ٢٥ (طعم).
٣. راجع: النهاية، ج ٣، ص ١٢٦ (طعم).
٤. الكافي، ج ٦، ص ٢٦٣، ح ١ و ٢.
٥. المصدر، ص ٢٦٤، ح ٦.
٦. تهذيب الأحكام، ج ٩، ص ٦٤، ح ٢٧٠؛ الاستبصار، ج ٤، ص ٨١، ح ٣٠٣.

و بعبارة أُخرى: الآية مسوقة لدفع توهّم حرمة طعام الكافر على المسلم من جهة كونه كافراً مخالفاً للدين محرم الموادّة في الكتاب الكريم؛ حيث إنّهم قد فهموا من حثوث الكتاب و نصوص السنّة لزوم ترك القربى منهم و التودّد لهم، فورد الترخيص بهذا المقدار.

و يؤيّد البيان قوله تعالى: ﴿وَ طَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾؛ فإنّه ليس المراد به بحسب الدقّة تشريع حلّيّة طعام المسلم للكافر، بل المراد جواز المعاملة معهم و القربى منهم بهذا المقدار. و لا يخفى انّ السرّ في تجويز هذا المقدار من القرب منهم رجاء أن ينتشر الدعوة الإسلاميّة فيهم، و يكون ذلك ذريعة لميلهم إلى الإسلام، لا أن يميل المسلمون إليهم، و يتخلّقوا بأخلاقهم.

قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ...﴾. أي و أُحلّ لكم المحصنات من المؤمنات بالعقد الدائم و الموقّت، و المراد بهنّ هنا العفائف؛ حيث أحصنّ أنفسهنّ عن السِفاح. و تقييد الموضوع بالإحصان استحبابي أخلاقي، و إلّا ففي روايات الباب ما يدلّ على الجواز.

و قد روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «لا يحرّم الحرام الحلال».[1] و التفصيل في الفقه.

قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ...﴾. المحصنات: العفائف كما مرّ. و الآية تدلّ على جواز نكاح الكتابيّة سواء كان بالعقد الدائم أو بالانقطاع، و إطلاق الأُجرة لا يدلّ على الثاني؛ فإنّ المهر في الدائم أيضاً كأنّه أجرة؛ لما ورد أنهنّ مستأجرات.[2]

و قد يقال بأنّ الآية معارضة[3] بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾[4] و

---

١. سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٦٤٩، ح ٢٠١٥؛ عوالي اللئالي، ج ٢، ص ٢٧٢، ح ٣١، و ج ٣، ص ٣٣٠، ح ٢٠٩.

٢. راجع: الكافي، ج ٥، ص ٤٥٢، ح ٧؛ تهذيب الأحكام، ج ٧، ص ٢٥٩، ح ١١٢٠؛ الاستبصار، ج ٣، ص ١٤٧، ح ٥٣٨.

٣. نسب إلى أصحابنا في التبيان، ج ٣، ص ٤٤٦؛ مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٨٠.

٤. البقرة (٢): ٢٢١.

قوله تعالى: ﴿وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ﴾[١]. و العِصَم: ما يعتصم به من رابطة النكاح و النسب و نحوهما.[٢] و الكوافر: الكافرات،[٣] و المراد عدم جواز تحصيل المؤمن علقه النكاح بينه و بينهنّ، أو إبقائها لو كانت حاصلة.

لكنّ الظاهر أنّ المشركات في اصطلاح القرآن لا تشمل أهل الكتاب، فالآية الأُولى مختلفة الموضوع مع هذه الآية، و المراد من الآية الثانية المشركات كما يظهر من ملاحظة سياقها.

مع أنّه لو كان المراد بالآيتين الأعمّ، لزم تخصيصها بالآية المبحوث عنها.

مع أنّه لو كانت متعارضات فآية المائدة متأخرة نزولاً، و قد ورد أنّ هذه السورة ناسخة غير منسوخة.[٤] و التفصيل في الفقه.

قوله: ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسافِحِينَ﴾. حال من ضمير الجمع في قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾، و قد مرّ أن تقييد الحلّ بالإحصان و بما بعده من القيدين أخلاقيّ، و فيه حثّ على النكاح الحلال و التزام صفة الإحصان و ترك السفاح، و الظاهر أنّ الإحصان هنا مطلق حفظ النفس. و قوله: ﴿غَيْرَ مُسافِحِينَ﴾، أي مجاهرين بالزنا.

و قوله: ﴿و لا مُتَّخِذِي أَخْدانٍ﴾. أي غير مسرّين له، فالغرض الزجر عن الزنا زجراً أكيداً بأن لا يقع جهاراً و سرّاً.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمانِ...﴾. المراد بالإيمان هنا إمّا الفعليّ القلبيّ؛ أعني الاعتقاد بالله و بما أنزله و بما يجب الاعتقاد به من العقائد الأُصوليّة، أو المراد الدين و شرايع الإسلام.

فعلى الأوّل فالكفر به عبارة عن ترك العمل به بالكلّيّة، فكأنّه قد ستر في محلّه من القلب، و لم ينكشف بشيء من الأعمال الصالحة الكاشفة عنه، بل قد سترت بالإقدام

---

١. الممتحنة (٦٠): ١٠.

٢. و العصم: جمع العصمة. راجع: لسان العرب، ج ١٢، ص ٤٠٥ (عصم).

٣. راجع: المصباح المنير، ص ٥٣٥ (كفر).

٤. راجع: تفسير العيّاشي، ج ١، ص ٢٨٨، ح ٢.

على المعاصي، و خاصّة الموادّة مع الكفّار و تولّيهم و الصحبة معهم، فهذا العمل يكون سبباً لحبط الأعمال الصالحة الماضية منه، أو لبعض الأعمال الصالحة المقارنة أيضاً.

فالآية في مقام بيان أنّ الفور بالمعاصي سبب لحبط الحسنات كلّها، أو أنّ ذلك سبب لزوال الايمان، و هو موجب لبطلان الأعمال كلّه، نظير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُا السُّوآىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ﴾[1].

فقد ورد في الرواية أنّ عبيد بن زرارة سأل الصادق عليه السلام عن هذه الآية؟ فقال عليه السلام: «ترك العمل الذي أقرّ به، من ذلك أن يترك الصلاة من غير سُقْم و لا شُغْل».[2]

و عن الثاني يكون الجملة مسوقة لبيان حكم الارتداد عن الدين، كما في غيرها من الآيات المشابهة.

---

١. الروم (٣٠): ١٠.

٢. راجع: الكافي، ج ٢، ص ٣٨٤، ح ١٥ تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٩٦، ح ٤١.

قوله تعالى : ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضى أَوْ عَلى سَفَرٍ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْديكُمْ مِنْهُ ما يُريدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلٰكِنْ يُريدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١] .

اللغة

المرافق: جمع مِرْفَق، أي الموصل بين الساعد و العضد.[٢] و الكعب: العظم الناتي فوق القدم.[٣] و قيل: العظمان الناتئان في جنبي القدم.[٤] و التيمّم: القصد لغة[٥]، و في اصطلاح المتشرّعة: عمل خاصّ يؤتى بقصد القربة، رافع للحدث، أو مبيح للصلاة.[٦] و الصعيد: وجه الأرض، أو التراب خاصّة[٧]. و الطيّب: ما لا يتنفّر عنه الطبع.[٨] و الحَرَج: الضيق.[٩]

---

١. المائدة (٥): ٦.

٢. راجع: الصحاح، ج ٤، ص ١٤٨٢ (رفق).

٣. هذا قول الإماميّة. راجع: مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٨١.

٤. هذا أحد الأقوال. راجع: مصباح المنير، ص ٥٣٤ و ٥٣٥ (كعب). و لتحقيق الحال في معني الكعب راجع: الحبل المتين، ص ١٨ ـ ٢٢.

٥. راجع: لسان العرب، ج ١٣، ص ٢٢ (يمم).

٦. راجع: منتهي المطلب، ج ٣، ص ١٤٦؛ الحدائق الناضرة، ج ٤، ص ٣٧٠.

٧. معنى الصعيد مختلف في اللغة جدّاً. راجع: لسان العرب، ج ٣، ص ٢٥٤ و ٢٥٥ (صعد).

٨. راجع: لسان العرب، ج ١، ص ٥٦٣ (طيب).

٩. راجع: مصباح المنير، ص ١٢٧ (حرج).

المعنى

قوله تعالى: ﴿إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا...﴾. أي إذا تحرّكتم نحوها، و هي كناية عن إرادتها، و حيث قد علم أنّ الملاك في وجوب التوضّي تحصيل الطهارة المعنويّة التي هي الشرط للصلاة، كما يظهر من قوله تعالى: ﴿لِيُطَهِّرَكُمْ﴾، فالأمر بالاغتسال إنّما هو بالنسبة إلى من لم يكن يتوضّأ من قبل، فهو ساقط عن الذي حصّل الطهارة، فكأنّه تعالى قال: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ...﴾ إن كنتم محدثين غير متوضّئين.

و يعلم من قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا﴾ قيد آخر للكلام، و هو «إن لم تكونوا جنباً»، فالمحصّل: إذا أردتم الصلاة وكنتم محدثين بغير الجنابة، فاغسلوا، وبهذا يعلم فساد ما يقال بأنّ الآية تدلّ على تكرار الطهارة لكلّ صلاة ولو كان متطهّراً قبل إرادة الصلاة،[١] مع أنّ روايات الباب[٢] قد أوضحت المراد من الآية.

و قوله: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ﴾. كلمة ﴿إلى﴾ بيان حدّ المغسول و أنّه ليس إلى المنكب مثلاً، فالآية ساكتة عن كيفيّة ألغسل و بيان حدّه و مبدئه و منتهاه.

و إلى هذا البيان ذهب أغلب علماء الفريقين، و لذا يجوّزون البدأة في الغسل من المرفق و الأصابع قائلين بأنّها ليست لبيان حدّ الغسل؛ ليستفاد منها أنّ منتهى الغسل المرفق، مع أنّه على فرض الظهور فقد أوضحت الأخبار الصحاح كيفيّة التوضّي عندنا، فرفعت إجمال الآية، أو بيّنت المراد منها و لو كان على خلاف ظاهرها.

و لا دلالة في الآية أيضاً على دخول الغاية في المغيّى و عدمه، و لذا ذهب عدّة من العلماء إلى عدم وجوب غسل المرفق،[٣] و قال بعضهم بالوجوب احتياطاً.[٤]

و قوله: ﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ...﴾. الباء التبعيضيّة تدلّ على كون المسح ببعض

---

١. نقل عن عكرمة و غيره في التبيان، ج ٣، ص ٤٨٨؛ مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٨٢.

٢. راجع: البرهان، ج ٢، ص ٢٥٥ ـ ٢٦٢، ح ٢٩٦٩ ـ ٢٩٩٧.

٣. راجع: فقه القرآن، ج ١، ص ١٥ و ١٦؛ مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٨٣.

٤. راجع: منتهى المطلب، ج ٢، ص ٣٧؛ روض الجنان، ج ٢، ص ٩٩؛ مدارك الأحكام، ج ١، ص ٢٠٦.

الرأس، و قد دلّت به الأخبار[١] أيضاً.

قوله: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾. هو عطف على محلّ الرؤوس، و هذا النحو من العطف استعمال كثير الوقوع في لسان العرب، مع أنّ تناسب المعنى أيضاً يقتضي ذلك؛ فإنّ الظاهر منها إيجاب غسلتين و مسحتين، أو غسلات ثلاث و مسحات ثلاث، فالقول بأنّه عطف على ﴿وُجُوهَكُمْ﴾ غير ظاهر لفظاً، و مستبعد معنى.[٢] و الأخبار تدلّ على أنّ المراد بالكعب هنا العظم الناشز على القدم.[٣]

قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا﴾. الآية متّحد المرمى مع قوله: ﴿وَلاَ جُنُباً إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾[٤].

فهاهنا مطلوب واحد أُطلق عليه التطهّر في هذه الآية و الاغتسال في آية النساء، و العنوانان متقاربا المعنى في اللغة، و لا يدلّان إلّا على استعمال الماء للتطهير، إلّا أنّ الدليل دلّ من الخارج على أنّ المراد بهما الاغتسال الخاصّ بقصد القربة، و قد جعل في المقام شرطاً للدخول في الصلاة و في آية النساء شرطاً لجواز المكث في المساجد، فمعنى الآية حينئذ: إذا قمتم إلى الصلاة و كنتم جنباً فاغتسلوا غسل الجنابة.

ثمّ إنّه لا يستفاد منها كيفيّة غسلها إلّا أنّ الأخبار وافية في بيانها.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ...﴾.

[تحقيق في لزوم الطهارة الترابية]

لا يخفى عليك أنّ للزوم تحصيل الطهارة الترابيّة مقتضياً و شرطاً. فالمقتضي أحد الأمرين: الحدث الأصغر، و هو المعبّر عنه في الآية بالمجيء من الغايط، و الحدث الأكبر، و هو المعبّر عنه بملامسة النساء، و الشرط عدم القدرة على استعمال الماء

---

١. راجع: الكافي، ج ٣، ص ٢٩ و ٣٠، ح ١ ـ ٤.
٢. راجع: مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٨٥.
٣. راجع: تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٩٨ ـ ٣٠٠، ح ٥٠ و ٥١ و ٥٥ و ٥٦؛ الكافي، ج ٣، ص ٣٠ و ٣١، ح ٦ و ٧.
٤. النساء (٤): ٤٣.

المعبّر عنه بعدم وجدان الماء، فوجوب الطهارة يتوقّف على تحقّق المقتضي و الشرط.

هذا و قد ذكر المرض و السفر في الآية مقدّمة لتحقّق الشرط؛ إذ كان عندئذ يغلب عدم وجدان الماء مع حصول ذينك الأمرين، فهما موضوعان محقّقان للشرط، فكأنّه تعالى قال: و إن لم تتمكّنوا من الماء لأجل المرض، أو لم تتمكّنوا منه لأجل السفر، فتيمّموا. و ذكر الحدث الأصغر و الأكبر لبيان تحقّق المقتضي، و عطف أحدهما على الآخر بـ«أو» الدالّة على التفصيل لكون كلّ واحد منهما مقتضياً برأسه. و يترتّب على ما ذكرنا لزوم اجتماع أحد الأمرين الأوّلين مع أحد الأخيرين حتّى تتمّ العلّة التامّة لوجوب الطهارة الترابيّة.

إذا عرفت ما ذكرنا علمت أنّ الصحيح في كيفيّة استفادة المطلب من الآية جعل كلمة «أو» في قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنكُمْ﴾ بمعنى الواو، و جعل قوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا﴾ قيداً للمرض و السفر؛ لغلبة استلزامهما ذلك، فمع ملاحظة كون قوله: ﴿وَإِنْ كُنتُمْ مَرْضَىٰ﴾ عطفاً على قوله: ﴿فَاغْسِلُوا﴾ ينتظم المعنى، و يتّضح المرمى، و يكون المحصّل: إذا قمتم إلى الصلاة و كنتم مرضى أو على سفر بحيث لم تتمكّنوا من الماء مع كونكم محدثين بالأصغر أو بالأكبر، فتيمّموا صعيداً طيّباً.

هذا، و لو قلنا ببقاء كلمة ﴿أَوْ﴾ على معنى التفصيل و كون ﴿لَمْ تَجِدُوا﴾ قيداً لكلّ واحد من الأمور الأربعة، كما أنّه ظاهر الآية، أُشكل استفادة المطلب منها من جهتين:

الأُولى: ظهورها في سببيّة المرض أو السفر مع عدم الماء للتيمّم، سواء أ كان محدثاً بالأصغر، أو الأكبر، أم لم يكن.

و الثانية: لزوم لغويّة ذكر المرض و السفر؛ فإنّ الأمرين الأخيرين مع عدم الماء يوجب التيمّم، سواء كان مريضاً، أو مسافراً، أم لم يكن.

و العجب من الأُستاذ الطباطبائي، حيث ذهب في تفسيره إلى كون كلمة ﴿أَوْ﴾ الثانية للتفصيل و عدم تقييد للأمرين الأوّلين مقيّدين بأحد الأخيرين، قال في ضمن كلامه على الآية:

إنّ قوله ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ شقّ برأسه يبتلي به الإنسان اتّفاقاً، و يغلب عليه فيه

فقدان الماء، فليس بمقيّد بقوله: ﴿أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُم﴾ إلى آخره، بل هو معطوف على قوله: ﴿فَاغْسِلُوا﴾، و التقدير: إذا قمتم إلى الصلاة، و كنتم على سفر، و لم تجدوا ماء، فتيمّموا. فحال هذا الفرض في إطلاقه و عدم تقيّده بوقوع أحد الحدثين حال المعطوف عليه؛ أعني قوله: ﴿إذا قُمْتُم إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا﴾ إلى آخره، فكما لم يحتج إلى التقييد ابتداء، لم يحتج إليه ثانياً عند العطف.[1] انتهى.

و أنت خبير بلزوم تقييد هذه الجملة بوقوع أحد الأمرين، كما قلنا بذلك في الجملة المعطوف عليها أيضاً، و إلّا فسد المعنى كما عرفت.

ثمّ إنّ قوله تعالى: ﴿وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْضى﴾ إلى قوله: ﴿ما يُرِيدُ الله﴾ قد ذكر بعينه في ضمن الآية ٤٣ من سورة النساء (٤)، غير أنّ كلمة ﴿مِنْهُ﴾ غير مذكورة هناك.

قوله تعالى: ﴿ما يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ...﴾. قد استفيد من الآية الشريفة حكمان تكليفيّان، واقعيّان، أوّليّان، مقدّميّان، هما وجوب الوضوء على المحدث بالأصغر مقدّمة للصلاة، و الغسل على المحدث بالأكبر كذلك، و حكم تكليفي اضطراري مقدّمي، و هو وجوب التيمّم مع فقدان الماء، فقد بيّنت الآية أحكام الطهارات الثلاث، و الآية ٤٣ من النساء (٤) قد تعرّضت لحكم التيمّم فقط، فقوله: ﴿ما يُرِيدُ اللهُ﴾ مسوق لبيان أنّ جعل تلك الأحكام و إيجاب تلك الأفعال ليس لإيجاد الضيق على المكلّفين، فلم يقصد من تشريعها ذلك و إن أوجبه قهراً، و يقتضي طبع التكليف و العمل على ما هو ظاهر الآية، بل المقصود منها حصول للمكلّفين.

و الظاهر أنّ المراد ليس خصوص الطهارة البدنيّة الحاصلة باستعمال الماء؛ فإنّها غير متحقّقة في الطهارة الترابيّة، بل الأعمّ منها و من النظافة الباطنة و النزاهة الروحيّة، و بذلك يمكن القول بأنّ الطهارات الثلاث أسباب تكوينيّة تؤثّر في الأمر المسبّبي التكويني البدني أو الروحي، و كونها أسباباً شرعيّة لأجل أنّه كشف عنها الشارع ببيانه،

---

١. الميزان، ج ٥، ص ٢٢٦.

و نظير ذلك غالب الطهارات الشرعيّة، أو جميعها، و كذا القذارات.

و قوله: ﴿لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ...﴾. فإنّ جعل الأحكام تتميم لنعمة جعل الدين و تشريع الشريعة، كما أنّ تطهير النفوس بهذا المقدار الحاصل بالطهارات الثلاث تتميم للكمال التامّ و الرقيّ الكامل للنفوس البشريّة؛ فإنّ في العمل بكلّ حكم من الأحكام مرتبة من تطهير النفس و ترقّيها و تزكيتها و تعاليها إلى أن تنتهي إلى رتبة النفس المطمئنّة رزقنا الله نيلها، و رزقنا ما يترتّب عليه من خطابه تعالى: ﴿ارْجِعي إلىٰ رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً ○ فَادْخُلي في عِبادي ○ وَادْخُلي جَنَّتي﴾[1].

و الحاصل أنّ هنا أحكاماً تشريعية من الله، و أفعالاً تتحقّق بها الإطاعة من العبد، و مصالح و آثاراً تترتّب على الطاعة، وكلّ ذلك نعمة من الله تعالى، فقوله: ﴿لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ﴾ يمكن أن يكون إشارة إلى كلّ واحدة من المراتب، أو يكون إشارة إلى الجميع. و شكر كلّ نعمة منها هو إظهارها و المقابلة بالإحسان بما يناسبها. فشكر الأحكام امتثالها عملاً، و شكر الأعمال العلم بأنّ القدرة على إتيانها بتوفق الله و بالتشكّر لساناً، و كذلك شكر الجزاء و الثواب.

[عدم دلالة الآية الشريفة على قاعدة «لا حرج»]

ثمّ إنّه قد يستدلّ في المقام بقوله تعالى: ﴿ما يُريدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ على القاعدة الفقهيّة المعروفة بـ«قاعدة لا حرج»، و حيث إنّ الظاهر أنّ هذه الآية غير دالّة على تلك القاعدة لم نستدلّ بها لذلك؛ لما عرفت من أنّ المعنى أنّه ليست العلّة الغائيّة في جعل هذه الأحكام إيقاع العباد في الحرج، بل العلّة تطهيرهم و تتميم النعمة عليهم، و ذلك لا تقتضي عدم ترتّب الحرج على الحكم قهراً وتبعاً و باقتضاء طبع الفعل، أي بنحو ترتّب العاقبة لا الغاية.

نعم يدلّ على القاعدة قوله تعالى في آخر الحج: ﴿وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[2]، و سيجيء البحث عنه إن شاء الله.

---

١. الفجر (٨٩): ٢٨ ـ ٣٠.
٢. الحجّ (٢٢): ٧٨.

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[1].

المعنى

النِعْمة بالكسر: الحالة الحسنة، و بالفتح: التنعّم، فالأُولى من بناء الحالة، كـالجِلْسَة، و الثانية من بناء المرّة، كالضَرْبة؛[2] قال تعالى: ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾[3].

و قد تطلق النِعْمة بالكسر على ما أنعمه الله على عباده من صنوفه المتكثّرة، و يمكن إدراج الجميع تحت أصول ستّة:

الأوّل: نعمة الوجود، الثاني: ما به يحفظ الوجود و يبقى و يستمر كجميع لوازم الحياة، الثالث: نعمة العقل، الرابع: نعمة الدين، الخامس: نعمة التوفيق على العمل بالدين، السادس: نعمة الثواب و الجزاء الأُخروي.

و الظاهر أنّ المراد بالنعمة في الآية هي نعمة الدين و أخذ الميثاق على أخذها و الإذعان بها و العمل على طبقها، و الميثاق قسمان: تكويني و تشريعي، و سيجيء معناه في ذيل الآية ١٢.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾. أي في حفظ الميثاق و عدم نقضه كلّاً أو بعضاً. و «ذات الصدور» عبارة عن تصوّرات القلوب و تصديقاتها و حبّها و بغضها و إيمانها و كفرها و جميع أفعالها و أوصافها و ملكاتها.

---

١. المائدة (٥): ٧.
٢. راجع: المفردات للراغب، ص ٨١٤ (نعم).
٣. الدخان (٤٤): ٢٧.

قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1].

اللغة

القوّام: مبالغة في القيام بالشيء و حفظه.[2] و القسط: النصيب، فقد يراد به إعطاء نصيب الغير، فينطبق على معنى العدل. و قد يراد أخذ قسطه، فيكون بمعنى الجور؛ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[3]، و نظيره الإقساط.[4] ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾، أي لا يحملنّكم.[5] و الشنآن: العداوة و البغضاء.[6]

المعنى

قوله تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾. القيام له هو الحركة بداعي تحصيل رضاه، فيعمّ جميع الأفعال المأتيّ بها كذلك من الأفعال العباديّة الفرديّة و الاجتماعيّة. و هيئة المبالغة إمّا لبيان لزوم المسارعة فيه، فالمعنى: كونوا مسارعين في القيام لله، أو لبيان الشدّة، أي كونوا أشدّاء فيه، أو لإفادة الكثرة فيه، أي كونوا كثيري القيام لله، أو للدوام، و المعنى: فليكن ذلك دائمياً، أو لإفادة جميع تلك الجهات.

---

١. المائدة (٥): ٨.

٢. راجع: المفردات للراغب، ص ٦٩٠ (قوم).

٣. الجنّ (٧٢): ١٥.

٤. راجع: المفردات للراغب، ص ٦٧٠ (قسط).

٥. راجع: مجمع البيان، ج ٢، ص ٢٦٣، ذيل الآية ٢ من سورة المائدة (٥).

٦. راجع: لسان العرب، ج ١، ص ١٠٣ (شنأ).

و قوله: ﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ...﴾. مراعاة القسط في الشهادة إمّا في مرحلة التحمّل، أو الأداء، و يمكن إرادة كلتا المرحلتين.

و قد مرّ تفسير بعض جملات الآية في الكلام على الآية الثانية.

[تحقيق في معنى العدل لغة]

قوله تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ...﴾. العدل في الأصل ـ كما يستفاد من كتب اللغة ـ: الاستقامة و الاستواء، يقال: عدل السهم و نحوه: قوّمه.[١] و قال في القاموس: «إنّه ضدّ الجور، و ما قام في النفس أنّه مستقيم».[٢] و حيث إنّ الجور هو الميل و الانحراف، و يقال:[٣] عدل عن الطريق، أي مال، فالعدل الاستقامة، و عدم الانحراف، و الميل. و قال فيه أيضاً: الاعتدال: توسّط حال بين حالين في كمّ أو كيف، و كلّ ما تناسب فقد اعتدل، و كلّ ما أقمته فقد عَدَلْتَه [و عَدَّلْتَهُ]. و عدل عنه: انحرف. و عدل إليه:[٤] رجع».[٥] انتهى.

و ما قاله الطريحي في المجمع: «إنّ العدل في اصطلاح أهل الكلام[٦] هو العلوم المتعلّقة بتنزيه الله[٧] عن فعل القبيح و الإخلال بالواجب»[٨]، يرجع إلى ما ذكرنا؛ إذ فعل القبيح و الإخلال بالواجب هو الجور و الانحراف عمّا ينبغي.

و إطلاق العدل على التسوية بين الشيئين، كقولهم: عدل فلاناً بفلان، أي سوّى بينهما و عدّل، و كذا إطلاقه على الإنصاف، كقولهم: عدل بينهما، أي أنصف، وعدل الشعر: أي سوى بين المصراعين منه[٩]، الظاهر أنّه يرجع أيضاً إلى المعنى الأوّل بإطلاق

---

١. راجع: لسان العرب، ج ١١، ص ٤٣٣ (عدل).
٢. القاموس المحيط، ج ٤، ص ١٣ (عدل).
٣. في الأصل: «كما يقال»، و الصحيح ما أثبتناه.
٤. في المصدر: «و عدل عنه يعدل عدلاً و عدولاً: حاد، و إليه عدولاً».
٥. القاموس المحيط، ج ٤، ص ١٣ (عدل).
٦. في المصدر: «و عند المتكلّمين» بدل «إنّ العدل في اصطلاح أهل الكلام».
٧. في المصدر: «بتنزيه ذات الباري».
٨. مجمع البحرين، ج ٥، ص ٤٢١ (عدل).
٩. راجع: مصباح المنير، ص ٣٩٦ (عدل).

كنائي؛ فإنّ لازم التسوية في قسمة شيء بين اثنين مثلاً هو الاستقامة و عدم الميل عن أحدهما إلى الآخر.

و قد يطلق العدل على العادل و يستوي فيه حينئذ المفرد و الجمع و المذكّر و المؤنّث، يقال: رجل عدل، و امرأة عدل، و رجال عدل، و نسوة عدل. و قد يطلق على المثل و النظير، كالعِدْل بالكسر.[١]

و قال الراغب: العدل بالفتح: التماثل في المعنويّات، و بالكسر: في الأُمور الظاهرة المحسوسة.[٢]

هذا كلّه في معنى العدل لغة.

[تحقيق في العدل الإلهيّ و بيان مراحله الأربع]

و قد اشتهر في الألسن أنّ العدل هو الأصل الثاني من أُصول الدين و أركانه و قواعد المذهب و بنيانه.

فنقول: إنّ توصيف الربّ تعالى بأنّه عادل، إنّما هو بلحاظ الاستقامة و الاستواء في أفعاله تعالى، فالعدل صفة من صفات الفعل و لا من صفات الذات، فالمعنى أنّ أفعاله تعالى كلّها صادرة منه بنحو الاستقامة، لا جور فيها، و لا انحراف عن قضاء العقل السليم و موافقة الحكمة البالغة.

فهو عادل في مراحل أربع: في خلقه، و رزقه، و تشريعه، و جزائه.

فالأوّل ـ ؛ أعني العدل في الإيجاد ـ فكلّ ما أوجده تعالى و خلقه و أنشأه فهو بمقتضي الحكمة و على وفق حكومة العقل السليم، و لا ينافي ذلك اختلاف حقايق الموجودات و اختلاف أوصافها في الكيفيّة و الكمّيّة و سائر الأعراض، كانقسامها إلى الجماد و النبات و الحيوان و الإنسان، و انقسام الأنواع إلى الأصناف المختلفة؛ فإنّ لزوم الاختلاف في الخلق كان باقتضاء الحكمة البالغة، و إلاّ لم يتحقّق النظم، و لم

---

١. راجع: لسان العرب، ج ١١، ص ٤٣١ و ٤٣٣ (عدل).

٢. نقل بالمعنى. راجع: المفردات للراغب، ص ٥٥١ (عدل).

ينتظم التدبير بعد الخلق. و الجَرْيُ العملي على وفق الحكمة و الإيجادُ على طبقها كان عدلاً في الإيجاد، و الجري على خلافه جوراً في الإيجاد و انحرافاً فيه.

فالإيجاد واقع على الاستواء على قطب النظام التامّ و الحكمة البالغة، قال تعالى: ﴿ما تَرىٰ في خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِنْ تَفاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرىٰ مِنْ فُطُورٍ ○ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[1]، فمعنى عدم التفاوت في الخلق وقوع الجميع على طبق الحكمة، و عدم الفطور عدم الخلل فيه عند العقول السليمة و العيون المبصرة.

و في نهج البلاغة: «وَ لَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ؛ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ، مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ؛ لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ وَ غَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ، وَ مَا الْجَلِيلُ وَ اللَّطِيفُ، وَ الثَّقِيلُ وَ الْخَفِيفُ، وَ الْقَوِيُّ وَ الضَّعِيفُ فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاء»[2].

فهذا عدل إلهي في الإيجاد.

و أمّا الثاني: فهو تعالى عادل في الرزق، و نعني بالرزق هنا معناه الأعمّ، و هو الإعطاء لكلّ موجود ما يليق بحاله، و يقتضيه بقاؤه المقدّر و دوامه المحدود، كالماء للنبات، و الهواء و الغذاء للحيوان، و العقل و العلم للإنسان إلى غير ذلك من أصناف الرزق و أقسامها التي لا يقدر المخلوق تقديره وعدّه، و المربوب حُسبانه[3] و إحصاءه، قال موسى ﷺ: ﴿رَبُّنَا الَّذي أَعْطىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدىٰ﴾[4] و قوله: ﴿الَّذي خَلَقَ فَسَوّىٰ﴾[5].

و لا ينافي العدلَ في الرزق أيضاً زيادةُ ما بذله لبعض من المخلوق على ما بذله للآخر، و كثرةُ ما أنعم لموجود من وسائل الحفظ و البقاء على ما أنعم على آخرين؛ إذ قد عرفت أنّ العدل هو الاستقامة في الصنع و العمل، فكما اقتضى ذلك اختلاف

---

١. الملك (٦٧): ٣ و ٤.

٢. نهج البلاغة، ص ٢٧١، الخطبة ١٨٥.

٣. الحُسْبان: الحساب. لسان العرب، ج ١، ص ٣١٤ (حسب).

٤. طه (٢٠): ٥٠.

٥. الأعلى (٨٧): ٢.

الموجودات في الحقائق الجنسيّة و النوعيّة، و لم يكن ذلك منافياً للعدل، بل كان هو العدل بعينه بالنظر إلى خلق هذا العالم الذي لا يبقى و لا يدوم و لا ينتظم إلّا بذلك الاختلاف، فكذلك إعطاء كلّ وجود ما يقتضيه ويحفظ به بقاؤه، و إلّا كان جوراً و انحرافاً عن طريقة الحكمة، كما إذا بذل الأب العادل لكلّ واحد من ولده مقدار متساوياً من الغذاء و اللباس مع كونهم متفاوتين في الأكل و الجثّة، و كما إذا أُريد اعطاء البِتْرول[1] للسيّارات بالتساوي مع اختلافها في الصغر و الكبر، و الحاجة، نعم لو كان المراد من العدل التساوي، كان ذلك خلاف العدل، لكن عرفت أنّه ليس كذلك.

و يشهد ذلك قوله: ﴿الَّذي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ○ وَالَّذي قَدَّرَ فَهَدىٰ﴾[2]، و قال تعالى حكاية عن قول موسى ﷺ: ﴿رَبُّنَا الَّذي أَعْطىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدىٰ﴾[3]، فالمراد بالهداية في الموضعين إيصال كلّ خلق إلى رزقه المناسب، و إيصال رزقه له بهداية الخلق إلى الرزق هداية تكوينيّة، سواء تخلّلت الإرادة من ناحية المهتدي، كما في ذوات الشعور، أم لم تتخلّل، كما في غيرها.

و أمّا الثالث ـ؛ أعني عدله في التشريع ـ فهو تعالى عادل في تشريعه الدين و الشرائع التي أنزلها على أنبيائه، و بلّغها بهم إلى المكلّفين، فقد راعى سبحانه فيها الاستقامة و الاعتدال في ما أوجبه و حرّمه و أحبّه و كرهه و غيرها ممّا جعله و أنشأه، فعدم التشريع أصلاً جور و بخل، و التشريعُ على غير النحو شرعه بتحريم الواجبات الفعليّة و إيجاب المحرّمات كذلك، جورٌ و انحراف و خروج عن الاعتدال و الاستواء، و كذا تشريع أكثر ممّا شرعه بحيث يكون حرجاً و عسراً، أو فوق طاقة المكلّفين جورٌ و اعتساف.[4]

فتشريعُ ما يكون مصلحاً لحالهم، ضامناً لصلاح دنياهم و سعادة عقباهم، موافقاً

---

١. البِتْرُول: معرّب پِتْرُول، و هو النفط. و المراد به هنا ما تحترق به السيّارات، و تقول له بالفارسيّة: «سوخت».

٢. الأعلى (٨٧): ٢ و ٣.   ٣. طه (٢٠): ٥٠.

٤. الاعتساف: الظلم، من العسف، و هو في الأصل: أن يأخذ المسافر على غير طريق و لا جادّة و لا عَلَم. و قيل: هو ركوب الأمر من غير رويّة، فنقل إلى الظلم و الجور. راجع: النهاية، ج ٣، ص ٢٣٧ (عسف).

لحال عقولهم و نفوسهم و أبدانهم عدلٌ و استقامة على طريق العقل و سبيل الحكمة. و في هذه المرحلة أيضاً لا ينافي اختلاف المكلّفين في مصاديق التكليف و كثرته في حقّ البعض دون البعض، كالأنبياء و الأئمّة؛ فإنّهم أكثر تكليفاً من غيرهم، و كذا شدّة الحكم في حقّ بعض بالنسبة إلى آخر، كالعلماء و الجهّال. فذلك كلّه ليس بخارج عن الاعتدال، و ليس ظلماً و لا جوراً؛ فإنّه من مصاديق إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه، فالاستقامة في التشريع و الاستواء فيه اقتضت اختلاف المكلّفين فيه واختلاف التكليف.

و نظير التكاليف الواقعيّة الأوّليّة المشروعة بالأصالة القوانين و الأحكام الجزائيّة المجعولة لحفظ تلك الأحكام عن الزوال و الضياع وصونها عن المحو و الاندراس؛ فإنّ الله تعالى كما قد جعل لكلّ شيء حدّاً، فقد جعل لمن تعدّى تلك الحدود حدّاً. فقد لوحظت الحكمة و المصلحة في تشريع الحدود الجزائيّة من التعزيرات و الحدود المعيّنة لكلّ عصيان و مخالفة، فتشريع الحدود أيضاً ثابت على وفق الاستقامة و الاعتدال، لا إفراط فيه و لا تفريط، و لا انحراف فيه عمّا هو الحقيق بالجعل، و لا جور؛ لأن اختلافها بملاحظة اختلاف عللها عين العدل.

و هذا عدل إلهي تشريعي.

و أمّا الرابع ـ: أعني عدله في الجزاء ـ فهو سبحانه عادل في مجازاته على الأعمال من حسناتها و سيّئاتها، فيجازي المحسن بالإحسان و المسيء بالعقاب و الخذلان، و يتفضّل على الحسنة بعشر أمثالها، و لا يجزي السيّئة إلّا بمثلها. فسنّة الله تعالى في هذه المرحلة أيضاً سنّة عادلة مستقيمة موافقة للحكمة و اقتضاء النظام العامّ و الصلاح التامّ. و الاختلاف الموجود في مرحلتي الثواب و العقاب ـ بكثرة بذل الثواب لطائفة و قلّته لآخرين، و زيادة العقاب لعدّة و قلّته لآخرين بتناسب اختلاف العاملين و الأعمال و الامكنة و الأزمنة و نحوها ـ يكون من مصاديق إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه بلا جور و حيف[1] و انحراف و ميل.

و هذا عدل إلهيّ جزائيّ، و هو كلّه في عدل الله تعالى.

---

١. الحَيْف: الجور و الظلم. راجع: المصباح المنير، ص ١٥٩ (حيف).

[تحقيق في عدل المعصوم ﷺ و بيان مراحله الخمس]

و أمّا العدل في المعصوم فهو أمر آخر غير العدل الملحوظ في ناحية الخالق تعالى في مراحله الأربع؛ إذ المعصوم ليس بخالق الأشياء، و لا رازقه، و لا بمشرّع للدين و الشرايع، و لا مجازٍ بالجزاء بالثواب و العقاب، فعدل المعصوم ـ ؛ أعني الأنبياء و الأئمّة ﷺ أيضاً ـ يكون في مراحل خمس غير المراحل الملحوظة في عدله تعالى:

الأولى: عدله في التبليغ، و هو عبارة عن رعايته الاستقامة في التبليغ من الله و بيان الأحكام و إيصالها إلى المكلّفين بحيث لا ينقص، و لا يزيد، و لا يجور، و لا يحيف، فزيادته فيها و نقصه عنها أو نسيانه أو خطاؤه جور و اعتساف و خروج عن الاعتدال في التبليغ إلى الانحراف و الباطل.

و هذا هو عدل المعصوم في التبليغ و نشر الأحكام.

الثانية: عدله في إجراء القوانين الجزائيّة، كالتعزيرات و الحدود المعينّة المشروعة لحفظ ثغور الأحكام و الحماية عن حماها؛ لئلّا يتغلّب عليها متغلّب، و لا يخون لها خائن، فيجب أن يكون عدلاً في إجرائها، غير خائف و لا جائر بزيادتها في حقّ محكوم و نقصها أو إسقاطها عن آخر؛ لهوى، أو حميّة، أو رياء، أو عصبيّة.

و هذا عدل المعصوم في الحدود.

الثالثة: عدله في الدعوة، فلابدّ من كونه عادلاً في مرحلة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، مستقيماً في العمل عليها و اجرائهما بنحو التدرّج في مراتبهما من القلبيّة و اللسانيّة و العمليّة برفق و تصاعد و تدرّج إلى أن يصل إلى الضرب و الجرح و القتل و الحرب و الجهاد و الإهلاك و الإبادة[1] و الاستيصال، فإيفاء كلّ هذه المراتب على عاتق المعصوم، و عليه الاعتدال و الاستقامة في ذلك كلّه، كما قام به النبيّ الأعظم و الأئمّة المعصومون ﷺ.

فهذا عدل المعصوم في الدعوة.

---

١. الإبادة: الإهلاك. لسان العرب، ج ٣، ص ٩٧ (بيد).

الرابعة: عدله في الحقوق، فالمعصوم لابدّ من أن يكون عادلاً في الحقوق الفرديّة و الاجتماعيّة، و يدخل في ذلك رعايته الاستقامة في حقوق اُمراء الجند، و حقوق العساكر و الجيوش، و حقوق العلماء الناشرين للدين و القضاة العدل، و حقوق التجّار و الكسبة و أرباب الصنائع و الحرف، و حقوق الرعايا و الزرّاع و أصحاب المواشي و غيرهم من صنوف المسلمين الذين يعيشون تحت سلطنته، و يجرون على حكمه، فيبذل لكلّ ذي حقّ حقّه، و يمنع الباغي عن بغيه و الطاغي عن طغيانه، و ينصر المظلوم، و يأخذ حقّه من الظالم.

و هذا عدل المعصوم في الحقوق.

الخامسة: عدل المعصوم في الأموال و كيفيّة جمعها و جِبايتها[1] و تقسيمها، كأموال الزكاة، فيجبيها عن أربابها، و يقسمها في مستحقّيها من الأصناف، و أموال الخَراج و المقاسمة[2] و عوائد الأراضي الخَراجيّة و منافعها، و أموال الوقوف العامّة و الخاصّة و النذور العامّة و غيرها ممّا يتعلّق بعامّة المسلمين، أو بطائفة خاصّة منهم. و كذلك الأموال المتعلّقة بالمعصوم بعنوان حقّ الرئاسة العامّة الإلهيّة، كالأخماس الحاصلة من الأجناس التي يتعلّق بها الخمس، و كالأنفال المتعلّقة بالإمام العدل، و إرث من لا وارث له و نحو ذلك.

فيجب على المعصوم أن يكون عدلاً في جبايتها وتقسيمها و إيصالها إلى مستحقّيها من غير حَيْف و جور و انحراف عن طريق العدل المعدّة له بحكم النقل و العقل، فلا يؤثر[3] البعض، و يحرم الآخرين، و لا يدّخرها لنفسه و أقربائه، و لا يحفظه في مورد القسمة، و لا يقسمه في موارد لزوم الحفظ.

و هذا عدل المعصوم في الأموال.

---

۱. الجباية: الجمع، يقال: جبيتُ المال و الخَراج أجبيه جباية، أي جمعته. المصباح المنير، ص ۹۱(جبي).

۲. في مسالك الأفهام، ج ۳، ص ۱٤۲: «المقاسمة: حصّة من حاصل الأرض تؤخذ عوضاً عن زراعتها. و الخراج: مقدار من المال يضرب على الأرض أو الشجر حسب ما يراه الحاكم».

۳. «يؤثر»، من الإيثار، و هو الإعطاء، و التفضيل، و التقديم، و الكلّ يناسب المقام. راجع: لسان العرب، ج ٤، ص ۷ و ۸(أثر).

[تحقيق في عدل سائر الناس و بيان أقسامه الأربع]

و أمّا العدل في الأفراد و الأشخاص، فهو أيضاً على أقسام: عدلهم في الاعتقاد، و عدلهم في الأخلاق و الملكات، و عدلهم في العمل، و عدلهم في الاجتماع.

أمّا العدل الاعتقادي فهو أن يتّخذوا في إذعاناتهم و عقائدهم طريقاً وسطاً معتدلة مستقيمة، لا جور فيها، و لا حَنْف[1] عن الحق و لا جَنَف[2]، فالإذعان بالتوحيد طريق وسط، و عدم الاعتقاد بالمبدأ، أو القول بأرباب متفرّقين[3] و آلهة إلّا الله[4] هو الشرك، و كذلك سائر العقائد الحقّة اللازم إذعانها و عقد القلب عليها، فالعدل في العقائد الاستواء فيها و الجري على وفق قضاء العقول و حكم الألباب السليمة.

و أمّا العدل الأخلاقي فهو عبارة عن الاتّصاف بالفواضل و الفضائل و الأكارم[5] و المكارم[6] و التخلّق بالآداب الكريمة و الأُكرومة الجميلة، و قد بيّن في علم الأخلاق أنّ الصفات الفاضلة كلّها صفات متوسّطة بين مرتبتي الإفراط و التفريط، معتدلة مستقيمة، كالشجاعة و السخاء و الرحمة و غيرها، و الصفات الرذيلة كلّها أوصاف انحرافيّة و جور عن الحق و إفراط و تفريط قبيحان.

و أمّا العدل في العمل فهو عبارة عن إيجاد الأفعال على وفق ما يرتضيه الربّ، و يقتضيه العقل، و عن الجري في مسير القانون المرعى فيه العدالة، فالعدل في العمل هو العمل بالعدل التشريعي و المشي على الدُستور[7] المستوي و السبيل المستقيم.

---

١. في الأصل: «حيف»، و الصحيح ما أثبتناه. و الحَنْف: الميل عن الشيء. راجع: تاج العروس، ج ١٢، ص ١٥١ (حنف).

٢. الجَنَف: الميل و الجور. لسان العرب، ج ٩، ص ٣٣ (جنف).

٣. اقتباس من الآية ٣٩ من سورة يوسف (١٢).

٤. اقتباس من الآية ٢٢ من سورة الأنبياء (٢١).

٥. الأكارِم: جمع كِرام، و كِرام: جمع كريم: تاج العروس، ج ١٧، ص ٦١٣ (كرم).

٦. المكارم: جمع المَكرُمة، و هو فعل الكرم. و الأكرومة: المَكرُومة. راجع: لسان العرب، ج ١٢، ص ٥١٢، ٥١٣ (كرم).

٧. الدُستور: اسم النسخة المعمولة للجماعات، كالدفاتر التي منها تحريرها، و يجمع فيها قوانين الملك و ضوابطه، فارسيّة معرّبة، و الجمع: دساتير. تاج العروس، ج ٦، ص ٤٠٦ (دستر).

[تحقيق في العدل و بيان الاختلاف فيه]

ثمّ إنّه قد اشتهر بين عدّة من المسلمين و ألسنة طائفة من الخواصّ ـ فضلاً عن العوامّ ـ عدّ العدل من الأُصول الاعتقاديّة، و قد اختلف في ذلك كلمات القوم، فقال بعض علماء أهل السنّة بعدم كونه من الأُصول و عدم لزوم الاعتقاد به،[1] كالمعتزلة[2] منهم.

و الظاهر أنّ العدل المختلف فيه و مورد النفي و الإثبات هو عدل الله تعالى بأقسامه المذكورة، و النافون له غير مخالفين في الحكم، بل في الموضوع، فلا يقولون بأنّه يجوز الظلم في حقّه تعالى، بل لايتحقّق ظلم أصلاً في فعله تعالى، فكلّ ما فعله عين العدل، فلو أدخل الأنبياء و المؤمنين في النار و المشركين في الجنّة، كان ذلك عدلاً؛ لأنّ الملك له، و الأمر إليه، يفعل ما يشاء، و يحكم ما يريد، و لا يسأل عمّا يفعل و هم يسألون.[3]

و ظاهر هذا المقال كون كلامهم في العدل الجزائي، الّا أنّ لازمه إنكاره مطلقاً و بجميع أقسامه. و على أيّ تقدير فهو كلام باطل، و تعالى الله عن ذلك، و مآله إلى سلب الإدراك عن العقل و عزله عن منصب الحكم و القضاء؛ فإنّه يدرك بالعيان دركاً غير قابل للترديد و التشكيك أنّ هاهنا فعلاً حسناً قابلاً لأن يمدح به فاعله، و فعلاً قبيحاً قابلاً لأن يذمّ به عبداً كان الفاعل له، أو ربّاً و خالقاً، فيدرك الموضوع و الحكم من غير ريب و شبهة، فإلقاء النبيّ الذي لم يذنب ذنباً في النار و تعذيبه منكر لذي العقل، قبيح عند العقل، و إكرام الكافر الذي لم يترك جناية إلّا ارتكبها و إدخاله الجنّة كذلك، فلا يصدر من حكيم عادل عالم إلّا إذا عزلنا العقل عن قابليّة الحكم و القضاء.

---

۱. قال به الأشاعرة. راجع: شرح الأُصول الخمسة، ص ۸۲ و ۳۰۲ ـ ۲۱۱؛ شرح المقاصد، ج ٤، ص ۲۸۲ و ما بعدها؛ شرح المواقف، ج ۸، ص ۱۸۱ و ما بعدها.

۲. قوله ﷺ: «كالمعتزلة» مثال للمنفيّ لا النفي؛ فإنّ المعتزلة يعتقدون بالعدل كالإماميّة. راجع: نهج الحقّ، ص ۷۲ و ما بعدها؛ كشف المراد، ص ٤۱۷ ـ ٤۲۲.

۳. من قوله ﷺ: «لأنّ الملك له» إلى هنا اقتباس من الآيات التالية: آل عمران (۳): ۱۸؛ المائدة (۵): ۱؛ الأنعام (٦): ۷۳؛ الأعراف (۷): ٥٤؛ الأنبياء (۲۱): ۲۳؛ الحجّ (۲۲): ۱۸؛ فاطر (۳۵): ۱۳؛ الزمر (۳۹): ٦؛ التغابن (٦٤): ۱.

و لو كان كذلك لما ثبت لنا ربّ و إله و جنّة و نار؛ فإنّ كلّ ذلك قد ثبت بقضاوة العقل و درك الألباب السليمة. فالملك له تعالى، و الأمر إليه، إلّا أنّا نعلم بعدم تصرّفه في ملكه إلاّ بالعدل، و عدم تحقّق أمر منه بالجور، و هو يفعل ما يشاء إلّا أنّ فعله يقع حسناً، ويصدر على طبق الحكمة، و هو لا يسأل عمّا يفعل، أي لا يقدر أحد أن يؤاخذه بما فعل؛ لأنّه لا أحد فوقه قابلاً للمؤاخذة، و لا فعل صادر منه قابلاً للخدشة.

و بالجملة، الظاهر أنّ العدل الذي من أُصول الدين عندنا هو العدل الإلهيّ بأقسامه الأربعة، فالواجب الاعتقاد بذلك، و هذه صفة من صفات الله تعالى، يجب الإذعان [بها]، نظير سائر صفاته من علمه و رحمته و كونه سميعاً بصيراً قادراً و غيرها، و تخصيصها من بين الصفات لوجود المنكر لها من بين الفرق الإسلاميّة.

و أمّا العدل في المعصوم فهو أيضاً مما يجب الإذعان به بجميع مراتبه، إلّا أنّ الظاهر أنّه أمر آخر من المعتقدات اللازمة. وعدّ العدل أصلاً ثانياً من أُصول الدين قبل النبوّة يشهد بما ذكرناه.

ثمّ إنّ الأمر في الآية المبحوث عنها بالعدل أمر بالمكلّفين، فإذا كان المخاطب أعمّ من المعصوم و غيره، كان المأمور به بالنسبة إليه العدل بأقسامه الثمانية، و بالنسبة إلى غيره العدل بأقسامه الثلاثة، و الطلب هنا للقدر المشترك بين الوجوب و الندب؛ لكون بعض مصاديق العدل استحبابيّاً، كالمندوبات من العقائد و الأخلاق و الأعمال.

و قوله تعالى: ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾. بيان عامّ لإيفاء قاعدة كلّيّة، و حكم جامع، و هو أنّ كلّ عدل أقرب إلى التقوى؛ إذ في كلّ عدل نوع تحصّن عن الانحراف و الجور، ففيه تقوى و تحفظ عن السقوط في المهالك، و هذا جار في جميع أقسام العدل الصادر من البشر و مصاديقه المختلفة، كما عرفت.

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ○ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[1].

المعنى

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾. الجملة إمّا إنشائيّة، و إمّا اخبارية عن الوعدات الماضية في السور النازلة قبل هذه السورة، أو عمّا كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ، و هو الوعد السابق على خلق الإنسان.

و عطف قوله: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ على الإيمان يفيد كون المقتضي لشمول الغفران من الرحمان وبذل الأجل العظيم أمرين: الإيمان الحاصل في القلب، و العمل الصادر بالجوارح، و قد بيّن الله تعالى هذا المعنى في القرآن الكريم في آيات كثيرة.

ثمّ إنّ متعلّق الإيمان غير مذكور هنا، كغالب الآيات المتعرّضة للإيمان، و قد قلنا: إنّ المستفاد من عدّة آيات أنّ متعلّقه أُمور سبعة، فراجع الآية ١٧٧ من البقرة (٢)، و الآية الآخرة منها، و الآية ١٣٦ من سورة النساء (٤)، و قد بيّنّا ذلك عند الكلام على آية النساء، فراجع.

قوله: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. ما وعده الله تعالى من ترتّب الأمرين إمّا أن يلاحظ في الدنيا، و إمّا في الآخرة، و إمّا في كلتا النشأتين. و على الأوّل قد يلاحظ ذلك بالنسبة إلى حال كلّ فرد من أفراد المؤمنين، و قد يلاحظ بالنسبة إلى ملّة و أُمّة، كعدّة من المؤمنين، أو جميعهم.

---

١. المائدة (٥): ٩ و ١٠.

و لا إشكال في أنّ المسلمين اليوم إذا آمنوا إيماناً صحيحاً حقيقيّاً، و عملوا بتكاليفهم اللازمة، و هي الأعمال الصالحة، يغفر الله لهم، و يستر عليهم ما مضى من سقطاتهم و غفلاتهم و معاصيهم، و يعطيهم الأجر العظيم بردّ شوكتهم الغابرة، و قطع أيدي الأجانب عنهم، و قلب تدابيرهم إليهم، و ردّ كيدهم و مكرهم على أنفسهم، و هذان أمران من نتائج الايمان و العمل.

و يمكن أن يقال: إنّه لمّا لم يؤثّر الايمان القلبي بلا مقارنة العمل في نيل المسلمين إلى أهدافهم الدنيويّة، فأمر الآخرة أيضاً كذلك، كما هو ظاهر الآيات.

ثمّ إنّه إن كان المراد بعملهم الصالحات عملهم بجميعها بحيث لا يشذّ عنهم منها صالح، كما هو ظاهر الجمع المحلّى باللام، فالكلام مفقود المصداق، اللّهمّ إلّا المعصوم من نبيّ أو إمام، و على فرض إرادته فليس له ذنب حينئذ حتّى يشمله غفران الله، و إن كان المراد بالصالحات الجنس الشامل للقليل و الكثير، فالمسلمون جلّهم كذلك و لم يؤجروا في الدنيا ـ كما نشاهد ـ بأجر عظيم دنيوي إلّا أن يحمل الكلام على الاخرة.

لكنّ الأولى حمل الجمع على الاستغراق العرفي، فحصول العصيان من المؤمن نادراً ـ و هو اللّمَم ـ غير ضائر، و هذا هو المراد من الآية، فلو كان المسلمون جميعهم كذلك لرتّب على فعلهم غفران الذنوب و الأجر العظيم في دنياهم وعقباهم.

و قوله تعالى: ﴿كَفَرُوا وَكَذَّبُوا﴾. عطف التكذيب بالآيات لبيان أنّ الكفر بما هو كفر ـ ولو كان عن قصور ـ لا يوجب الجحيم، بل الكفر عن علم و تكذيب للبيّنات وعناد عن الحقّ هو الموجب للنار.

قوله تعالى : ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ○ وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ ميثاقَ بَني إِسْرائيلَ وَبَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقيباً وَقالَ اللهُ إِنّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبيلِ﴾[1].

اللغة

همّ الشيء: أراده و قصده.[2] و النقيب: سيّد القوم و عريفهم و ضمينهم، و أصله من النقب، أي الخرق و الفحص؛[3] قال في المجمع: «نقيب القوم كالكفيل و الضمين، ينقّب عن الأسرار و مكنون الأضمار».[4] انتهى. و التعزير: الإعانة، و التقوية.[5]

المعنى

قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ...﴾. ظاهر الكلام وقوع قصد من الكفار على بسط اليد على المسلمين بإغارة[6] و هجمة و إتلاف أموال و قتل نفوس، بل استيصال أصل و إبادة[7]

---

١. المائدة (٥): ١١ ـ ١٢.

٢. راجع: لسان العرب، ج ١٢، ص ٦٣٠ (همم).

٣. راجع: تاج العروس، ج ٢، ص ٤٤٦ (نقب).

٤. مجمع البحرين، ج ٢، ص ١٧٥ (نقب).

٥. راجع: لسان العرب، ص ٤، ص ٥٦٢ (عزر).

٦. الإغارة على القوم: دفع الخيل عليهم، و الإغارة أيضاً: النهب. راجع: لسان العرب، ج ٥، ص ٣٦ (غرر).

٧. الإبادة: الإهلاك. لسان العرب، ج ٣، ص ٩٧ (بيد).

فرع و نسل، إلّا، أنّ الله تعالى كفّهم عن ذلك إمّا بصرف قلوبهم، أو إدخال الخوف عليهم، أو غلبة المسلمين عليهم في الحروب و غيرها، و لا إشكال في تكرّر هذا الأمر منهم، وردّ الله تعالى كيدهم في كلّ مرّة بحيث كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله.

و الغرض من ذكر ذلك و الامتنان به على الأُمّة الإسلاميّة هو التنبيه على لزوم المحافظة للميثاق و التحذير عن نقضه، كما نقض اليهود و النصارى.

و لا يبعد أن يكون الغرض الأهمّ و المرمى الأقصى هو توكيد أمر الولاية و التخويف عن نقضها؛ فإنّ ذلك خطب جليل، و به قوام أُسّ الدين و حفظ نظامه و صون دوامه و بقائه، و لم يرد على الأُمّة الإسلاميّة من الانكسار و الانحطار و الاختلاف و التباغض و التعادي و الذلّة و الهوان إلّا في جَراء[1] ذلك الأمر، فبالجريّ أن يؤكّد و يوثق و يحذّر عن نقضه و يخوّف.

و قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾. أي في حفظ ميثاق الدين و ما به قوامه، و هو عهد الله على الولاية و العلّة المبقية للدين.

و قوله: ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾. التوكّل: تفعّل من الوكول، و هو التفويض و التسليم، يقال: و كل الأمر إليه: فوضّه إليه، و ألقاه على عاتقه، و اكتفى به. و التوكّل إن عدّي باللام و قيل: توكّل له، أي قبل الوكالة، و ضمن القيام به؛ و إن عدّى بـ«على» و قيل: توكّل عليه، فالمعنى: اعتمد عليه، و طلب تولّيه لأمره.[2]

[تحقيق في معنى التوكّل]

ثمّ إنّ المراد بالتوكّل على الله تعالى ـ الذي قد وقع الحثّ عليه في الكتاب الكريم في مواضع عديدة، و في الأخبار الكثيرة الظافرة[3] ـ ليس إيكال الأمر إلى الله في ما هو وظيفة العبد من العمل و السعي في حوائجه الدنيويّة و الأُخرويّة كما قد يتوهّمه

---

١. يقال: فعلت ذلك من جَرّاك و جَرائك، بالتخفيف، لغة في جرّاك، أي من أجلك. و المعنى: في أثر ذلك الأمر، أو من أجله. راجع: تاج العروس، ج ٦، ص ١٨٢ (جرر)، و ج ١٩، ص ٢٨٢ (جري).

٢. راجع: مصباح المنير، ص ٦٧٠ (وكل).

٣. راجع: الكافي، ج ٢، ص ٦٣ ـ ٦٧، ح ١ ـ ٨.

الجاهل بمرمى المطلب، بل الاعتماد عليه تعالى و التفويض إليه في ما لا يتيسّر إلّا من قبله، و لا يوجد إلّا لمشيّته، بعد أن عمل الإنسان ما هو على عـاتقه مـن مـقدّمات المقصود. فالزارعُ، عليه أن يلقي الحبّ، و يواريه تحت الأرض، و يسقيه، و يتعاهده، و يتّكل على ربّه في حصول النتيجة؛ إذ أكثر شرائط الغرض الأقصى و دفع موانعه منوط بإرادة الله و مشيئته. و كذا المريضُ، عليه أن يشرب الدواء المناسب، و يحتمي[1] عمّا يضرّه، و يتّكل على الله تعالى في حصول الشفاء.

قال في مجمع البحرين: «التوكّل على الله: انقطاع العبد إليه في جميع ما يأمله من المخلوقين. و قيل: ترك السعي في ما لا يسعه قدرة البشر، فيأتي بالسبب، و لا يحسب انّ المسبّب منه، كحديث: اعقل و توكّل[2]».[3]

ثمّ إنّ ذكر التوكّل في المورد لبيان أنّ اللازم على المؤمنين أن يتمسّكوا بمعالم دينهم، و يعملوا بها، و لا يتركوها مخافة عن الأعداء، و لا يضعفوا، و لا يجبنوا و إن مات النبيّ المدبّر لأمره الحافظ لحدوده و ثغوره، فعليهم العمل بعهد الدين و ميثاق الإسلام، و على الله تعالى حفظهم عن شرور أعاديهم، كما كفّ أيديهم عنهم بعد أن همّوا ببسط اليد.

و قوله: ﴿مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾. الميثاق ميثاقان:

عقلي، و هو المعاهدة التكوينيّة بين الله و بين عبده بالنسبة إلى التوحيد و المعاد و سائر ما يحكم العقل به من المسائل الأُصوليّة و الفروعيّة؛ فإنّ خلق العالم بحيث يشمل على الآيات الأنفسيّة و الآفاقيّة دعوة تكوينيّة من الربّ تعالى على ما تقضيه الآيات، و تدلّ عليه الحجج الكونيّة من وجود الباري تعالى و من علمه و قدرته و من أمـر النبوّة العامّة و المعاد و نحوها، و ادراك العقل تلك الشواهد و شهادة تلك البيّنات قبول تكويني و تعهّد للميثاق طبعي، و هذا جار في جميع الأزمنة و جميع الأديان، فـهذا الميثاق مأخوذ من الإنسان منذ خلقه الله، و وهبه نعمة العقل و الإدراك، إلّا أنّ مورده

---

١. يقال: حَمَى المريضَ ما يضرّه حِمْيَةً: منعه إيّاه، و احتمى هو مـن ذلك و تـحمّى: امـتنع. لسـان العـرب، ج ١٤، ص ١٦٨ (حما).

٢. عوالي اللئالي، ج ١، ص ٧٥، ح ١٤٩.

٣. مجمع البحرين، ج ٥، ص ٤٩٣ (وكل).

في المستقلّات العقليّة من الأُصول و الفروع، كما عرفت. و هذا النوع من الميثاق عامّ بالنسبة إلى المؤمن و الكافر.

و ميثاق سمعي و نقلي، و هو المعاهدة الإنشائيّة القوليّة بدعوة الأنبياء أُممهم إلى قبول نبوّته و دينه و كتابه، و قبول المؤمن ذلك بالإيمان بما دعاه إليه و التصديق به و قوله: سمعنا و أطعنا. و هذا يختصّ بما آمن من الناس.

قوله: ﴿وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً﴾. أي أمرنا موسى بأن يبعث من الأسباط الاثني عشر اثني عشر رجلاً كالطلائع، يتجسّسون، و يأتون بأخبار أرض الشام و أهلها و الجبّارين، و اختار من كلّ سبط رجلاً يكون لهم نقيباً.

قوله: ﴿وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ...﴾. كون الربّ تعالى مع عبده في هذه الموارد كناية عن شمول ألطافه و نصرته و توفيقه إليه في مقابل عدم شمول ذلك النسبة إلى الكافر و عدوّ الله. و أمّا المعيّة بمعناها الظاهري ـ و هي إحاطته تعالى بعباده و بجميع خلقه إحاطة ذاتيّة و علميّة ـ فلا تختصّ بالمؤمن، بل الله تعالى متساوي النسبة في أُموره الذاتيّة و صفات ذاته إلى جميع خلقه؛ قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً﴾[١].

و قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾[٢].

و قال تعالى: ﴿وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[٣].

و قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[٤].

و قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾[٥].

و قال أميرالمؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «داخل في الأشياء لا بالممازجة، و خارج عن الأشياء لا بالمباينة».[٦]

---

١. النساء (٤): ١٢٦. ٢. الإسراء (١٧): ٦٠.

٣. البقرة (٢): ١٩. ٤. آل عمران (٣): ١٢٠.

٥. الطلاق (٦٥): ١٢.

٦. لم نعثر عليه في النهج و لا في غيره. نعم قال عليه السلام في النهج: «مع كلّ شيء لا بمقارنة، و غير كلّ شيء لا بمزايلة». و روي عنه عليه السلام في غيره أنّه قال: «داخل في الأشياء لاكشيء داخل في شيء، و خارج من الأشياء لاكشيء خارج من شيء». راجع: نهج البلاغة، ص ٣٩، الخطبة ١؛ الكافي، ج ١، ص ٨٦، ح ٢.

و قال ﷺ: «لم يقرب من الأشياء بالتصاق، و لم يبعد عنها بافتراق»[١].

و قال ﷺ: «لم يحلل في الأشياء فيقال: هو فيها كائن، و لم ينأ[٢] عنها فيقال: هو منها بائن».[٣]

و قال ﷺ: «الشاهدِ لا بمماسة، و الغائبِ[٤] لا بتراخي مسافة».[٥]

و قال ﷺ: «بأنَّ من الأشياء بالقهر لها و القدرة عليها، و بانت الأشياء منه بالخضوع له و الرجوع إليه»[٦].

و قوله: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ﴾. تقديم إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة على الإيمان بالرسل لعلّه لما ينقل عنهم من كونهم قائلين بهما و مواظبين عليهما، لكنّهم كانوا ينكرون رسل الله، فيتركون عونهم، فكأنّه تعالى قد بيّن أنّهما لا يتمّان إلّا بالإيمان بالرسل إيماناً تامّاً بتعقّبه العمل عليه، و في رأس جميعها موارزتهم[٧] و عونهم و الجهاد معهم.

ثمّ إنّ الآية قد تعرّضت بعد الإيمان الذي هو فعل قلبيّ لأمور أربعة: الصلاة، و الزكاة، و الجهاد، و الصدقة، فيمكن كون الصلاة مثالاً لكلّ عمل عبادي رابط بين الخلق و خالقه، و الزكاة لكلّ حقّ واجب رابط بين العباد بعضهم مع بعض، و القرض لكلّ إحسان مندوب و إنفاق مستحبّ في سبيل الله و إصلاح حال العامّة.

فلو عملت الأُمّة بهذه الأمور، صلحت حياتهم في دنياهم، و حالهم في عقباهم، و الحافظ المتكفّل لجميع ذلك و ضمنيه الكافل لدوامه هو الجهاد الذي يشمل الدعوة إلى الدين و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و ذلك قوله: ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾. و نتيجة هذه الأُمور ما بيّنه تعالى بقوله: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ﴾ إلى آخره.

---

١. نهج البلاغة، ص ٢٣٢، الخطبة ١٦٣.

٢. «لم ينأ»، أي لم يبعد، من النأى بمعنى البعد. راجع: الصحاح، ج ٦، ص ٢٤٩٩ (نأي).

٣. نهج البلاغة، ص ٩٦، الخطبة ٦٥.

٤. في المصدر: «و البائن».

٥. نهج البلاغة، ص ٢١١، الخطبة ١٥٢.

٦. المصدر.

٧. الموازرة: المعاونة، و حمل ثقل الآخر، من الوِزْر بمعنى الثقل. راجع: المفردات للراغب، ص ٨٦٨ (وزر).

قوله تعالى : ﴿فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ لَعَنّاهُمْ وَجَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمّا ذُكِّرُوا بِهِ ولا تَزالُ تَطَّلِعُ عَلىٰ خائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ○ وَمِنَ الَّذِينَ قالُوا إِنّا نَصارىٰ أَخَذْنا مِيثاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَالْبَغْضاءَ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ﴾.[1]

اللغة

اللعن: الطرد، و الإبعاد على سبيل السخط.[2] و القسوة: الشدّة، و الغلظة.[3] و التحريف: صرف الشيء عن وجهه و إمالته، يقال: حرّف القول، أي غيّره عن مواضعه، و جعله على طرف من الاحتمال.[4] و الصفح: ترك التثريب[5] و التأنيب،[6] و هو أبلغ من العفو؛ فقد يعفو الإنسان، و لا يصفح.[7] و النصارى: جمع نَصْران، أتباع دين المسيح، سمّوا بذلك؛ لقول عيسى ﷺ: ﴿كُونُوا أَنْصارَ اللّهِ﴾[8]، و قيل: لانتسابهم إلى قرية يقال لها نصران.[9]

---

١. المائدة (٥): ١٣ ـ ١٤.
٢. راجع: المفردات للراغب، ص ٧٤١ (لعن).
٣. راجع: لسان العرب، ج ١٥، ص ١٨١ (قسو).
٤. راجع: المفردات للراغب، ص ٢٢٨ (حرف).
٥. التثريب: التعيير، و الاستقصاء و المبالغة في اللوم و العتاب. راجع: الصحاح، ج ١، ص ٩٢؛ المصباح المنير، ص ٨١ (ثرب).
٦. التأنيب: المبالغة في التوبيخ و التعنيف. النهاية، ج ١، ص ٧٣ (أنب).
٧. راجع: المفردات للراغب، ص ٤٨٦ (صفح).
٨. الصفّ (٦١): ١٤.
٩. راجع: المفردات للراغب، ص ٨٠٩؛ لسان العرب، ج ٥، ص ٢١١ (نصر).

و الإغراء: التهييج، و الالصاق.[١] و العداوة: المنافاة، و التباعد.[٢] و البغضاء: نفار النفس عن الشيء، ضدّ الحبّ.[٣]

البيان

قوله: ﴿فَبِما نَقْضِهِمْ ميثاقَهُمْ﴾. قد تعرّض سبحانه في الآيتين لشيء من حال اليهود و حال النصارى. أمّا اليهود فبيّن أنّهم نقضوا الميثاق، و هو المعاهدة التكوينيّة و التشريعيّة الواقعة بينهم و بين الله تعالى في قبول نبوّة موسى و كتابه و الإذعان بما أنزله الله إليه و العمل على وفقه، فنقضوها بعبادة العجل، و نسبة المعصية إلى موسى ﷺ، و تحليل السبت، و قتل الأنبياء، و أكل السحت[٤] و الربا، و أكل أموال الناس بالباطل، و غير ذلك.

قوله تعالى: ﴿لَعَنّاهُمْ﴾. ذكر الله تعالى أُموراً خمسة جزاء لما نقضوا من الميثاق، فالأوّل سبب للثاني، و الإسناد في الثاني بالواسطة، و هما سببان للثلاثة الأخيرة.

و اللعن من الله قد يكون لفظيّاً إنشائيّاً، كقوله تعالى: ﴿ألا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظّالِمينَ﴾.[٥] و قد يكون عمليّاً تكوينيّاً، و هو قطع أسباب الرحمة و التوفيق عن الإنسان، أو تهيئة وسائل الشقاء و الانغمار في الباطل استدراجاً، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتّى إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾.[٦]

قوله: ﴿وَجَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً﴾. القلب لغة: تصريف الشيء من وجه إلى وجه، و سمّي به قلب الإنسان؛ لكثرة تقلّبه.[٧] و الظاهر أنّ المراد به في موارد استعماله في الكتاب الكريم و كذا في روايات أهل البيت ﷺ ليس ما هو المصطلح له عند العامّة أو

---

١. راجع: لسان العرب، ج ١٥، ص ١٢١ (غرا).

٢. راجع: المفردات للراغب، ص ٥٥٣؛ مجمع البحرين، ج ١، ص ٢٨٤ (عدا).

٣. راجع: المفردات للراغب، ص ١٣٦ (بغض).

٤. السحت: الحرام الذي لا يحلّ كسبه؛ لأنّه يسحت البركة، أي يذهبها. النهاية، ج ٢، ص ٣٤٥ (سحت).

٥. هود (١١): ١٨.

٦. الأنعام (٦): ٤٤.

٧. راجع: المفردات للراغب، ص ٦٨١ (قلب).

الأطبّاء، بل يراد به الروح، كما أنّه قد يطلق على العلم و على العقل.

و نقل الطريحي ﷺ عن بعض أهل التحقيق[1] أنّه لطيفة ربّانيّة روحانيّة، لها بهذا القلب تعلّق، تسمّى تارة بالقلب، و أُخرى بالنفس، و أُخرى بالروح، و بالإنسان أيضاً، و هو المدرك العالم العارف، و هو المخاطَب و المطالَب و المعاقَب، و له علاقة مع القلب الجسداني. و قد تحيّر أكثر الخلق في وجه إدراك علاقته، و أنّ تعلّقه يضاهي تعلّق الأعراض بالأجسام، أو الأوصاف بالموصوفات، أو تعلّق المستعمل للآلة بالآلة، أو تعلّق المتمكّن بالمكان، و شبه ذلك.[2] انتهى.

ثمّ إنّه تعالى قد ذكر في الكتاب الكريم أوصافاً كثيرة للقلب منها: كرائم الصفات و فضائلها، و منها رذائل الأخلاق و قبائحها.

فمن صفاته الحسنة:

الإيمان: ﴿أُولئِكَ كَتَبَ في قُلُوبِهِمُ الإيمانَ﴾[3].

الهداية: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[4].

و الطمأنينة و السكينة: ﴿إلّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإيمانِ﴾[5].

و التقوى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللهِ فَإنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[6].

و الرحمة: ﴿وَ جَعَلْنا في قُلُوبِ الَّذينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَ رَحْمَةً﴾[7].

و الوَجَل من الله: ﴿إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[8].

و الخشوع: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ﴾[9].

و التعقّل: ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها﴾[10].

---

١. هذا البعض هو الغزالي. راجع: إحياء العلوم الدين، ج ٨، ص ٥ و ٦.

٢. نقل بالتصرّف و التلخيص، يشبه النقل بالمعنى. راجع: مجمع البحرين، ج ٢، ص ١٤٨ (قلب).

٣. المجادلة (٥٨): ٢٢.

٤. التغابن (٦٤): ١١.

٥. النحل (١٦): ١٠٦.

٦. الحجّ (٢٢): ٣٢.

٧. الحديد (٥٧): ٢٧.

٨. الأنفال (٨): ٢؛ الحجّ (٢٢): ٣٥.

٩. الحديد (٥٧): ١٦.

١٠. الحجّ (٢٢): ٤٦.

و الإخبات: ﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾[١].
و اللين: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ﴾[٢].
و الألفة: ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾[٣].
و من صفاته الرذيلة:
الإثم: ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾[٤].
و الغفلة: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾[٥].
و المرض: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾.[٦]
و الختم: ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾.[٧]
و الطبع: ﴿يَطْبَعُ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾.[٨]
القفل: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٩].
و التكنّن: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾[١٠].
و الغلفة: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾[١١].
و الزيغ: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾[١٢].
و العمى: ﴿وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[١٣].
و الاشمئزاز: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[١٤].

---

١. الحجّ (٢٢): ٥٤.
٢. الزمر (٣٩): ٢٣.
٣. آل عمران (٣): ١٠٣.
٤. البقرة (٢): ٢٨٣.
٥. الكهف (١٨): ٢٨.
٦. البقرة (٢): ١٠؛ المائدة (٥): ٥٢؛ الأنفال (٨): ٤٩؛ التوبة (٩): ١٢٥؛ الحجّ (٢٢): ٥٣؛ النور (٢٤): ٥٠؛ الأحزاب (٣٣): ١٢ و ٦٠؛ محمّد ﷺ (٤٧): ٢٠ و ٢٩؛ المدّثّر (٧٤): ٣١.
٧. البقرة (٢): ٧.
٨. الأعراف (٧): ١٠١.
٩. محمّد ﷺ (٤٧): ٢٤.
١٠. فصّلت (٤١): ٥.
١١. البقرة (٢): ٨٨.
١٢. التوبة (٩): ١١٧.
١٣. الحجّ (٢٢): ٤٦.
١٤. الزمر (٣٩): ٤٥.

و الغِلّ: ﴿وَلا تَجْعَلْ في قُلُوبِنا غِلاًّ لِلَّذينَ آمَنُوا﴾[١].

و الريب: ﴿وَارْتابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ في رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[٢].

و الإباء: ﴿وَتَأْبىٰ قُلُوبُهُمْ﴾[٣].

و النفاق: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفاقاً في قُلُوبِهِمْ﴾[٤].

و التقطّع: ﴿إِلّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾[٥].

و الصرف: ﴿صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾[٦].

و الإنكار: ﴿قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾[٧].

و اللهو: ﴿لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾[٨].

و الغمرة و الانغمار: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ في غَمْرَةٍ مِنْ هٰذا﴾[٩].

و الحميّة: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذينَ كَفَرُوا في قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾[١٠].

و التشتّت: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَميعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتّىٰ﴾[١١].

و الرين: ﴿كَلاّ بَلْ رانَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾[١٢].

و ليعلم أنّ كلّ صفة حسنة و خُلُق جميل نُسب في الكتاب الكريم إلى الإنسان، أو إلى الناس، أو إلى عنوان «النفس» و «الشخص» و «المؤمن» و نحو ذلك، فهو منسوب إلى القلب في الحقيقة، و يمكن عدّه صفة له. و كذا كلّ رذيلة خُلُقتّه وصفة خبيثة نسب إلى أحد العناوين المنطبقة على الإنسان، يصحّ انتسابه إلى القلب؛ إذ قد عرفت وحدة المراد من عنوان «القلب» و «الروح» و «النفس»، و هو الإنسان في الحقيقة.

و قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ﴾. و التحريف على أقسام كثيرة، و المراد به هنا

---

١. الحشر (٥٩): ١٠.
٢. التوبة (٩): ٤٥.
٣. التوبة (٩): ٨.
٤. التوبة (٩): ٧٧.
٥. التوبة (٩): ١١٠.
٦. التوبة (٩): ١٢٧.
٧. النحل (١٦): ٢٢.
٨. الأنبياء (٢١): ٣.
٩. المؤمنون (٢٣): ٦٣.
١٠. الفتح (٤٨): ٢٦.
١١. الحشر (٥٩): ١٤.
١٢. المطفّفين (٨٣): ١٤.

إمّا تغيير معنى كلمات التوراة و الإنجيل وتأويلها بما أرادوا من مقتضى ميولهم و آرائهم و أهوائهم، أو تحريف نفس الكلمات بحذف شيء منها، أو زيادة شيء عليها؛ ليتغيّر المعنى، و ينطبق على مرادهم.

قوله: ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾. أي مقداراً كثيراً من ألفاظ كتابهم، أو نصيباً وافراً من أحكام دينهم، ففات بذلك ما لا يحصى من سعادتهم في حياتهم و بعد موتهم.

و المراد بما نسوه إمّا شيء من الأُصول الذي بدّلوه بما يضادّه، كالقول ببقاء دينهم إلى الأبد و خاتميّة نبيّهم و دوام كتابهم، و كقول اليهود بأنّ عزير ابن الله تعالى، و النصارى بأنّ المسيح ابن الله تعالى[1]، و إمّا من فروع دينهم، و ذلك كثير.

و قوله: ﴿خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾. أي خيانة، أو طائفة خائنة، و الأمثلة موجودة في كتب التواريخ، فكم لهم من الكذب و نقض العهد و مظاهرة الكفّار و غيرها.

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾. أي عن القليل ماداموا على ترك الخيانة و بذل الجِزْية،[2] أو عن الخائنين ماداموا على العمل بشرائط الذمّة؛[3] فإنّ الآية نازلة في أواخر عمر النبيّ ﷺ، و قد كان الإسلام عندئذٍ حاكماً على أغلب أهل الحجاز، و كانت اليهود و النصارى يعيشون تحت راية الإسلام بالعمل بالذمّة.

قوله: ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا﴾. كيفيّة أخذ الميثاق من النصارى و نسيانهم الحظّ الذي ذكّروا به، قد علم من الآية ١٢.

و قوله: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾. الظاهر أنّ المراد بالعدواة هنا المنافاة و المنافرة العمليّة و بالبغضاء القلبيّة، فالثانية علّة للأُولى، أو المنافرة الخارجيّة في أوائل

---

١. نقل الله تعالى القولين في الآية ٣٠ من سورة التوبة (٩).

٢. قال العلّامة ﵀: «الجزية: هي الوظيفة المأخوذة من أهل الكتاب؛ لإقامتهم بدار الإسلام في كلّ عام، و هي فِعْلة من جزى يجزي، إذا قضى الله تعالى». و قال ابن الأثير: «هي عبارة عن المال الذي يعقد للكتابي عليه الذمّة، و هي فِعْلة من الجزاء، كأنّها جزت عن قتله». راجع: منتهى المطلب، ص ٩٥٩؛ النهاية، ج ١، ص ٢٧١ (جزا).

٣. الذمّة: العهد، و الأمان، و الضمان، و الحرمة، و الحقّ. و سمّي أهل الذمّة؛ لدخولهم في عهد المسلمين و أمانهم. النهاية، ج ٢، ص ١٦٨ (ذمم).

أمرهم، أورثت البغضاء في نفوس اللاحقين المتناسلين بحيث دبّت و نشبت في القلوب، و أوقدت نار الحروب. و على أيّ تقدير، كان سبب ذلك اختلافهم في الدين و انقسامهم بفرق كثيرين.

و أُصول الانشعابات ثلاثة: اليعقوبيّة، و هم القائلون بألوهيّة عيسى، كما يأتي في الآية ١٧؛ و النَسطوريّة، و هم القائلون بأنّه ابن الله؛ و المَلْكانيّة و هم القائلون بالتثليث و أنّه ثالث ثلاثة: الله و عيسى و مريم، و هم الروم.[١]

قوله: ﴿إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ﴾. إن قلت: إنّ هذا الكلام يدلّ على بقاء الطائفتين: اليهود و النصارى إلى يوم القيامة لو كان المراد العداوة و البغضاء الواقعة في ما بينهما، أو بقاء النصارى إذا كان المراد عداوتهم و بغضاء بعضهم مع بعض، مع أنّ من مذهبنا معاشر الإماميّة تبدّل الأديان بعد ظهور الإمام الموعود بدين واحد و الشرايع المختلفة بشريعة الإسلام و انقراض تابعيها، فلا يهود حينئذٍ و لا نصارى حتّى يتعادوا و يتباغضوا.

قلت: الحكم بذلك إمّا تعليقيّ، و المراد أنّهم لو بقوا إلى يوم القيامة لبقيت العداوة بينهم.

أو يقال: إنّ قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ وَدينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدّينِ كُلِّهِ﴾[٢] و قوله تعالى: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دينَهُمُ الَّذِي ارْتَضىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَني لا يُشْرِكُونَ بي شَيْئاً﴾[٣] و غيرهما ممّا يدلّ على مذهب الإماميّة، معناه كون الحكومة العالميّة عندئذ بيد الإمام العدل المنصوب من الله، و الدين الحاكم على المجتمع البشري هو الإسلام، فيكون أهل سائر الأديان و أتباع غير الإسلام من الشرائع عايشين تحت راية الإسلام، عاقدين للذمّة، مؤدّين للجزية، فالإسلام حينئذ دين قد ظهر و غلب على الأديان كلّها، و

---

١. للتعرّف لأحوالهم و عقائدهم و المؤسّسين لتلك الفرق الثلاث. راجع: الملل و النحل، ج ١، ص ٢٢٢ـ٢٢٨.

٢. التوبة (٩): ٣٣؛ الفتح (٤٨): ٢٨؛ الصفّ (٦١): ٩. ٣. النور (٢٤): ٥٥.

الخليفة المتمكّن من إجراء دينه المرضيّ لله هو خليفة الله العدل المسلّط على الجميع، لا أنّه لا يبقى أهل دين و شريعة. و يؤيّد ذلك قوله تعالى في آخر آية النور: ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ﴾.

و قوله: ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ﴾. أي في الدنيا بعد ظهور الدولة الإلهيّة، أو في الآخرة و يوم الحساب.

قوله تعالى: ﴿يا أَهْلَ الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثيراً مِمّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثيرٍ قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتابٌ مُبينٌ ۝ يَهْدي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْديهِمْ إِلىٰ صِراطٍ مُسْتَقيمٍ﴾[1].

البيان

قوله: ﴿يا أَهْلَ الْكِتابِ﴾. الخطاب للطائفتين، أي اليهود و النصارى. و الكتاب هاهنا و إن أُريد به الجنس الشامل للأعمّ من التوراة و الإنجيل و غيرهما، إلّا أنّ سياق الكلام يشهد بكون المراد به الكتابين، و الخطاب للطائفتين.

قوله: ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثيراً﴾. أي من الأُمور التي لها دخل في إثبات رسالته و حقّيّة كتابه، و ممّا يقتضيه حدوث الوقايع و طروّ الحاجة. و البيان أعمّ من كونه بالكتاب و بالسنّة.

فمن ذلك: كتمانهم بشارة موسى و عيسى مجيئه و بعثته، فأخبر تعالى به في قوله: ﴿الَّذينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَالْإِنْجيلِ﴾[2]، فحرّفوا الكتابين، و أسقطوا ذلك عنهما، و هو المراد من الإخفاء هنا.

و نظير ذلك إخفاء النصارى إخبار عيسى و بشارته برسالة النبيّ الأعظم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قالَ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يا بَني إِسْرائيلَ إِنّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْراةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[3].

---

١. المائدة (٥): ١٥ـ١٦.
٢. الأعراف (٧): ١٥٧.
٣. الصف (٦١): ٦.

و منه: كتمانهم بعض أوصاف النبيّ الأعظم ﷺ و أصحابه الراكعين الساجدين الثابتين على الايمان و العمل الصالح؛ قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾[١].

و منه: ما أخبر الله عنهم بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾[٢]، بناء على أنّ معرفتهم أوصاف النبيّ و عرفانهم له حتّى صار كأنّه من أولادهم، حاصلة من كتابهم و كونها مندرجة فيها، لا من أخبار نبيّهم، و إلّا لبعد اختصاص المعرفة بعلمائهم، و لكانوا جميعاً عارفين به، و ذلك يلازم إيمان الأكثرين.

و منه: كتمانهم حدّ الزاني المحض، حيث راجعوا فيه النبيّ، فحكم ﷺ بالرجم، فأنكروا كون الحكم ذلك، فأفشاه الله ببيان النبيّ الأعظم، و الحكم ليس مذكوراً في القرآن، بل ممّا بيّنه النبيّ ﷺ بالوحي، لكنّه ثابت الآن في التوراة الدائرة بين اليهود في الأصحاح الثاني و العشرين من سِفر التثنية.[٣]

و قوله: ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾. قيل:[٤] كفقدان التوراة ذكر المعاد من رأس، و كيف يمكن أن لا يكون ذلك في التوراة الأصليّة مع كونه من أهمّ الأُصول الاعتقاديّة!؟ و قد ذكر في الكتاب الكريم بما يربو على ألف مورد.

و كاشتمال التوراة على نسبة التجسّم و الجهل إلى الله تعالى ـ و نعوذ بالله ـ، و نسبة الحلول في مكان و المشي و الحركة إليه تعالى، ونسبة الفجور إلى النبيّ الكريم لوط ﷺ، و كنسبة شرب الخمر إلى عيسى في الإنجيل، و غير ذلك من أُمور كثيرة شحن الكتابان بهما ممّا لا يرتضيه العقل، فيعلم أنّ ذلك من تحريف أتباعهما.

و قوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾. المراد بالنور النبيّ الأعظم، أو القرآن

---

١. الفتح (٤٨): ٢٩. ٢. البقرة (٢): ١٤٦؛ الأنعام (٦): ٢٠.

٣. راجع: الكتاب المقدّس (العهد القديم)، ص ٣١٤ و ٣١٥، الرقم ١٣ ـ ٣٠.

٤. القائل هو العلّامة الطباطبائي ﷺ، في الميزان، ج ٥، ص ٢٤٤.

الكريم، و قد أُطلق النور على القرآن في موارد أُخر، كقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾[١]؛ ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ النُّورِ الَّذِى أَنْزَلْنَا﴾[٢] و أُطلق على النبيّ كلمة «السراج المنير»،[٣] و لم يطلق النور، لكنّ الإطلاق صحيح ولو لم يقع في سائر الموارد، و قد روي في قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾[٤] أنّ المراد مثل نبيّه.[٥]

و المراد بالكتاب المبين القرآن و إن صحّ احتمال كون المراد به أيضاً النبيّ؛ فإنّ الإنسانَ مطلقاً، أو الكامل منه ـ فضلاً عن النبيّ الأعظم المنحصر بالفرد في الإنسانيّة ـ و جميع ما يتصوّر في موجود ممّا خلقه الله من الحسن و الكمال و الرفعة و المقام و الجلال، كتابٌ كبير تدوينيّ إلهي، فيه أبواب و فصول و مطالب غامضة و حقائق و دقائق و أسرار و رموز لا يعرفها إلّا خالقه، و لا يحيط بها إلّا من آلفه و دوّنه.

قوله: ﴿يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ﴾. الباء في قوله ﴿بِهِ﴾ للسببيّة، و الضمير المجرور راجع إلى النور، أو إلى الكتاب. و يفهم من الآية الشريفة أنّ هنا هادياً بالتسبيب، و هادياً بالمباشرة، و من تقع له الهداية، و سبلاً تقع إليها الهداية، فالأوّل هو الله تعالى، و الثاني النور أو الكتاب، و الثالث من اتّبع رضوان الله، و الرابع سبل السلام.

و حينئذ فإن كان المراد برضوان الله العقائد الحقّة الصحيحة و كرائم الأخلاق و محاسن الأعمال، كما أنّه لابدّ من أن يكون المراد بسبل السلامة أيضاً هذه الأُمور الثلاثة، كان محصّل الكلام أنّ النبيّ أو القرآن يهدي الإنسان الذي حصل فيه الهداية إلى سبلِ السلام سبلَ السلام، و هذا بيان لتحصيل الحاصل.

فاللازم حينئذ أن يقال: إنّ المراد بمن اتّبع رضوان الله من له قابليّة الاتّباع و استعداده، لا الفعليّة، كما في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[٦]، أي هذا الكتاب هاد لمن له استعداد التقوى ببقاء فطرته السليمة و عقله الموهوب على حاله و عدم استتاره تحت أستار العصبيّة و العناد.

---

١. الأعراف (٧): ١٥٧.
٢. التغابن (٦٤): ٨.
٣. الأحزاب (٣٣): ٤٦.
٤. النور (٢٤): ٣٥.
٥. راجع: التبيان، ج ٧، ص ص ٤٣٧؛ مجمع البيان، ج ٧، ص ٢٥٠.
٦. البقرة (٢): ٢.

فمعنى الآية أنّ هداية النبيّ، أو الكتاب إلى الأحكام الأُصوليّة و فضائل النفس و محاسن الأفعال إنّما تتحقّق في حقّ النفوس الحيّة المستعدّة لاتّباع الرضوان، لا المقتولة بسيف العصبيّة العمياء و العناد و الطغيان.

هذا و لكنّ استعمال الفعل الظاهر في الفعليّة في معنى القوّة غير ظاهر، و إن كان ذلك صحيحاً في اسم الفاعل و نحوه.

أو يقال: إنّ المراد إدامة الهداية بالنسبة إلى من اتّبع الرضوان.

أو يقال: زيادة الهداية بالنسبة إلى من اتّبع أصلها.

أو يقال: إنّ المراد بسبل السلام طرق الجنّة في القيامة؛ إذ لعلّ لكلّ جنّة طريقاً، فيهديه الله إلى تلك السبل.

و قوله: ﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾. الظلمات هي العقائد الباطلة، و الخُلُق الرذيلة، و الأعمال القبيحة، و النور ما يقابل جميع ذلك، فالنور ينطبق على المراد باتّباع الرضوان و سبل السلام في ما مرّ، فالكلام تأكيد للجملة السابقة، أو أنّ السابقة راجعة إلى من لم يدخل في الظلمات، فشملته العناية الربوبيّة من أوّل أمره، و هداه النبيّ و الكتاب إلى سبل السلام.

و هذه الجملة راجعة إلى من دخل الظلمات، فاتّصف بالإذعانات الفاسدة و الخلق السيّئة و قبائح الأعمال، إلّا أنّها كانت لقصور في الشخص، أو عدم بلوغ دعوة نبيّ الله و كون الزمان زمان الفترة، أو بُعد محلّه عن مواطن العلم و المعارف، لا من جهة انغماره في الشهوات عناداً و تعصّباً و امتناعاً عن قبول الحقّ.

ثمّ إنّ ذكر الظلمات بلفظ الجمع و النور مفرداً ـ مع أنّ مقابل كلّ أمر كان رضى لله و سبيل السلام و نوراً، أمر آخر هو منحوط ممقوت و سبيل الهلاك و ظلمة ـ فيه خفاء.

لكن يمكن أن يقال: إنّه إن لوحظ كلّ حكم و سبيل بالاستقلال و في مقابل سبيل آخر، فهي متعددة يصحّ إطلاق السبل على الجميع، و كذا إطلاق الأنوار؛ و إن لوحظ الجميع من الأُصول و الفروع و الأخلاق شيئاً واحداً؛ لوحدة الغرض منها، و هو

الوصول إلى قربه تعالي، كان أمراً وحدانياً، فكأنّ الجميع طريق واحد موصل، و هو المسمّى بالدين و الإسلام، و حيث كانت الشرايع الباطلة في مقابله متعدّدة، كان هذا نوراً، و تلك ظلمات.

و قوله: ﴿بِإِذْنِهِ﴾. إمّا قيد للإخراج، أو له و للهداية المذكورة في الجملة السابقة، و على أيّ تقدير هو بيان لحقيقة راهنة[1] أوضحها الله في موارد كثيرة من القرآن، و هي أنّ هداية النبيّ أو الكتاب إلى سبل السلام، و كذا الإخراج من الظلمات، لا تتحقّق إلّا باذن من الله إمّا تشريعاً، كأمر النبيّ بذلك، أو تكويناً بتوجيه التوفيق نحو العبد و تسبيبه الأسباب الأُخر غير الدعوة، ولو لا ذلك لما أمكن لأحد الاهتداء و قبول النور.

و قوله: ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. هذا تأكيد للكلام السابق و بيان لكون اتّباع الرضوان و سبل السلام و النور كلّها عناوينَ مختلفةً، و حقيقتها عبارة عن الصراط المستقيم، موصل إلى قرب الرؤوف الرحيم.

---

١. «راهنة» أي ثابتة دائمة؛ يقال: رَهَنَ الشيءُ يَرْهَنُ رُهوناً: ثبت، و دام، فهو راهن. راجع: المصباح المنير، ص ٢٤٢ (رهن).

قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذينَ قالُوا إنَّ اللهَ هُوَ الْمَسيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئاً إنْ أرادَ أنْ يُهْلِكَ الْمَسيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَميعاً وَلِلهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُما يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَاللهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ○ وَقالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصارىٰ نَحْنُ أَبْناءُ اللهِ وَأَحِبّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَلِلهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَإلَيْهِ الْمَصيرُ﴾[1].

اللغة

المسيح: فعيل من المسح، سمّي به عيسى بن مريم، و هو إمّا بمعنى الفاعل؛ لكون عيسى ماسحاً في الأرض، أي ذاهباً فيها، و كان من قوم في زمانه يسمّون المشّائين و السيّاحين؛ لسيرهم في الأرض، أو لكونه يمسح ذا العاهة[2] من الأكمه و الأبرص، فيبرأ، أو بمعنى المفعول؛ لكونه ممسوحاً بالبركة من الملائكة. و قيل غير ذلك في معناه.[3] و مريم: أمّ عيسى، اسم أعجمي.[4]

التبيان

قوله : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذينَ قالُوا إنَّ اللهَ هُوَ الْمَسيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾. النصارى ينقسمون بتقسيم ابتدائي إلى طوائف ثلاثة: اليعقوبيّة، و هم القائلون باتّحاد الربّ تعالى مع عيسى بنحو الحلول أو غيره. و النَسطوريّة، و هم القائلون بأنّ المسيح ابن الله. و المَلْكانيّة القائلين

---

١. المائدة (٥): ١٧ و ١٨.
٢. العاهة: الآفة. المصباح المنير، ص ٤٤١ (عوه).
٣. راجع: المفردات للراغب، ص ٧٦٧ و ٧٦٨ (مسح).
٤. المصدر، ص ٧٦٦ (مريم).

بأنّ الله ثالث ثلاثة: الأب و الابن و روح القدس، و نعوذ بالله من جميع ذلك.[١]

و هذه الآية ظاهرها إرادة الطائفة الأولى منهم.

و قوله: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾[٢] إشارة إلى الطائفة الثانية.

و قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾[٣] بيان للطائفة الثالثة.

و قوله: ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾. أي فمن يتسلّط على شيء من أُمور الله و ممّا له التصرّف فيه و فعله؟ أو فمن يملك شيئاً من خلقه و يتسلّط عليه مستقلاً من الله و خارجاً عن قدرته؟

ثمّ إنّ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ﴾ إلى آخر الآية أربع جملات مع متعلّقاتها، و هي بمنزلة البرهان على بطلان دعوى النصارى و كفرهم، فالجملة الأُولى تفيد أنّ الله تعالى قادر على إهلاك عيسى و أمّه و جميع الناس، مسلّط على ذلك. و الثانية و الثالثة بمنزلة التعليل للأُولى، فكأنّه قال: فإنّ جميعهم مملوكون لله كسائر أجزاء العالم، و مخلوقون له على حسب مشيئته. و الرابعة كالتعليل للثلاثة.

فيتحصّل من المجموع أنّ عيسى محكوم مدبّر بإرادة الربّ تعالى؛ لأنّه مملوك له، مخلوق بإرادته، و الموجود المسلّط عليه المملوك المخلوق لا يكون إلهاً و ربّاً.

[تحقيق في البُنُوّة و الخُلّة المدّعاتان لليهود]

و قوله: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾. أي نحن أدعياء[٤] الله تعالى و كأبنائه من جهة القرب و التشريف، و لا نُقاس بغيرنا، و غرضهم عدم تعذيبهم كسائر الناس و إن فعلوا، ما فعلوا، و ليس المقصود أنّهم أبناء الله تعالى، كنفس عيسى و عزير، كما يشهد بذلك مذهبهم و إضافة كلمة الأحبّاء و قوله تعالى في جوابهم: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ﴾ إلى آخره.

---

١. للتعرّف لأحوال هذه الفرق و عقائدهم و المؤسّسين لها، راجع: الملل و النحل، ج ١، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٨.

٢. التوبة (٩): ٣٠. ٣. المائدة (٥): ٧٣.

٤. الأدعياء: جمع الدَعِيّ، و هو الذي يتبنّاه الإنسان. راجع: مجمع البيان، ج ٨، ص ١١٩، ذيل الآية ٤ من سورة الأحزاب (٣٣)؛ لسان العرب، ج ١٤، ص ٢٦١ (دعا).

ثمّ إنّ ظاهر الجواب يدلّ على تسليم أنّه لو كان أحد ابناً لله و حبيباً له، لا يعذّبه بذنوبه، فأبطل دعواهم البنوّة و المحبّة بوقوع التعذيب بالذنوب.

إن قلت: إنّ ذلك غير جائز؛ فإنّ تعذيب المذنب بذنبه ممّا يقتضيه العقل السليم، فلا يمكن نفيه و لو عمّن اتّخذ ابناً و حبيباً.

قلت: الذي يحكم به العقل هو استحقاق المذنب للعقاب، و لا إشكال في ذلك؛ لأنّ الذنب هتك للمولى و حرمته و طغيان له و خروج عن زيّ الرقّيّة، و كلّ تلك العناوين قبيحة عند العقل، و أمّا فعليّة العذاب و عدم شمول عفو الله تعالى فليست ممّا يحكم به العقل، و ظاهر الآية تسليم أنّهم لو كانوا أبناء لما ترتّب العقاب على ذنوبهم، لا أنّهم لا يستحقّون ذلك.

و لا يبعد القول بأنّه لو اختار الله أحداً بالبنوّة التشريفيّة و الخُلّة، جاز العفو عن ذنوبه قضاء لحقّ البنوّة و تمييزاً للأدعياء عن غيرهم.

هذا مع أنّ المفهوم من الآية هو الأمر التعليقيّ بمعنى أنّه لو كان أحد ابناً و حبيباً له لعفي عنه، و لا دلالة على وقوعه خارجاً، فلا ينافي القطع بعدم الوقوع.

ثمّ الظاهر أنّ المقتضي لنفي فعليّة العذاب اجتماع عنواني البنوّة و الخلّة لا كالواحد من العنوانين بالاستقلال، فلا دلالة فيها على عدم فعليّة التعذيب في حقّ الحبيب فقط؛ ليورد عليه بأنّا نعلم أنّ الله يعذّب العبد بذنوبه كائناً من كان، مع أنّه لا يبعد القول بذلك بعين التقريب المذكور في ذي العنوانين.

و يمكن أن يكون محصّل الجواب أنّكم لو كنتم أبناء و أحبّاء لَما أذنبتم ذنوباً أورثت تعذيبكم، فحيث تحقّق العذاب فأنتم كاذبون.

ثمّ إنّ قوله: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ﴾ بصيغة المضارع يدلّ على وقوع التعذيب مستمرّاً، و قد عرفت أنّ التاريخ شاهد بوقوع المَثُلات[1] على الطائفتين في مدى الأعصار السابقة.

و لو قيل: إنّ المَثُلات النازلة لا تدلّ على عدم البنوّة و الخلّة؛ فإنّ ذلك يصيب المؤمن و الكافر و الصالح و الطالح، كما هو واضح.

---

١. المَثُلات: المُثلَة، و هي نِقْمة تنزل بالإنسان، فيجعل مثالاً يرتدع به غيره. المفردات للراغب، ص ٦٧٠ (مثل).

فالجواب: أنّ الله تعالى يحكم بأنّ تلك الحوادث حاصلة من ناحية ذنوبهم و جزاءُ سيّئٍ بمثل سيّئتهم، و لا تعرّض في الآية لدليل هذا الحكم، فاللازم تتّبع التواريخ و الفحص عن الحوادث و التطلّع على أعمالهم و فعالهم حتّى يتبيّن جواهر ذاتهم و حالات مجتمعهم و خصائص نفسيّاتهم و أعمالهم و أفعالهم، فيعلم بأنّ الحوادث الشاملة لهم هل هي مِنْحَة[١] و عطيّة من الله تعالى لترفيع درجاتهم، كالأنبياء و المرسلين و الشهداء و الصالحين، أو هي من نتائج أعمالهم و ظلمهم و طغيانهم و فسادهم و إفسادهم؟ و المطّلع على ذلك يسهل له القضاوة و إدراك ما رامه تعالى بقوله: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾، فظهر أنّ المراد بتعذيبهم هو التعذيب الدنيوي.

و قد يقال: إنّ المراد تعذيبهم في الآخرة؛ فإنّهم قالوا: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلاَّ أيّاماً مَعْدُودَةً﴾[٢]، فحاصل الجواب أنّكم إن صدقتم لما عذّبكم في الآخرة حتّى بالقدر الذي أقررتم به؛ فإنّه لا يعذّب أبناءه و أحبّاءه في الآخرة.

و قوله: ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ﴾. الظاهر أنّ المراد به بيان كون الغفران و التعذيب بيده، لا بيد غيره، و ليس المراد أنّ ملاك الغفران و التعذيب هو مشيئته و إرادته، فله أن يعذّب الأنبياء و الصالحين، و يغفر للكافرين، و يدخلهم الجنّة.

و قوله: ﴿وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰاوٰاتِ﴾ بيان للملكيّة الإشراقيّة.

و قوله: ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾. بيان للإماتة و الحشر. و هذا نظير ما ورد أنّ كلمة «لا إله إلّا الله» إقرار بالملك، و «إنّا إليه راجعون» إقرار بالهُلْك.[٣]

و يتحصّل من قوله: ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ...﴾ أنّكم مخلوقون كسائر خلقه، محكومون بإرادته كسائر المكلّفين، مملوكون له كسائر ملكه من السماء و الأرض و ما بينهما، راجعون إليه بعد الموت كسائر من يميته و يحييه، فالجميع سواء في الحكم و العمل و الجزاء.

---

١. المِنْحَة: يطلق على كلّ عطاء. راجع: المصباح المنير، ص ٥٨٠ (منح).

٢. البقرة (٢): ٨٠.

٣. لم نعثر عليه، نعم روي عن أمير المؤمنين ﷺ أنّه قال: «إنّ قولنا: ﴿إِنَّا لِلّٰهِ﴾ إقرار على أنفسنا بالمُلْك، و قولنا: ﴿وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ إقرار على أنفسنا بالهُلْك». نهج البلاغة، ص ٤٨٦، الحكمة ٩٩.

قوله تعالى: ﴿يا أَهْلَ الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا ما جاءَنا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

اللغة

الفترة: سكون بعد حدّة، و لين بعد شدّة، و ضعف بعد قوّة.[2]

البيان

قوله تعالى: ﴿قَدْ جاءَكُمْ﴾. المخاطب مطلق أهل الكتاب، و لا يدلّ خطابهم على اختصاص الرسول بهم لمّا دلّ الدليل من الكتاب و السنّة على العموم. و حذف متعلّق البيان لوضوحه، فهو كلّ ما يحتاج إليه الإنسان من أُموره الدينيّة و الدنيويّة المرتبطة بالدين؛ قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[3].

و قوله: ﴿عَلىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾. أي على سكون و انقطاع من الرسل؛ لأنّ الرسل كانت تترى[4] إلى أن رفع عيسى، فحصلت الفترة بينه و بين محمّد ﷺ، و هي مدّة ستمأة

---

١. المائدة (٥): ١٩.

٢. ما ذكره المصنّف ﵀ معنى الفُتُور. و الفَتْرة: الانكسار و الضعف. و الفترة: ما بين كلّ رسولين من رسل الله ﷺ من الزمان الذي انقطعت فيه الرسالة. راجع: المفردات للراغب، ص ٦٢٢؛ لسان العرب، ج ٥، ص ٤٤ (فتر).

٣. الجمعة (٦٢): ٢.

٤. «تترى»، أي متواترين متتابعين و تراً بعد وتر ـ و الوتر: الفرد ـ و واحداً بعد واحد، أو متفرّقاً غير متواترين، من

سنة، أو خمسمأة على ما عن تفسير البرهان أنّ نافعاً سأل الباقر عليه السلام عن الفترة بين الرسل، قال عليه السلام: «أمّا [في] قولي فخمسمائة سنة، و أمّا [في] قولك فستّمائة سنة».[1]

[تحقيق حول الفترة بين الرسل عليهم السلام]

ثمّ إنّ ظاهر الآية جواز خلوّ عصر أو اعصار طويلة عن بعث الرسول و ترك الناس على حالهم و لو بعد تمام الحجّة عليهم بالرسول السابق و كتابه و دينه، و هذا غير مسألة الحجّة و الإمام الذي قد ورد في الأخبار المتواترة عدم خلوّ الأرض منه و لو ساعة[2]، كان ظاهراً مشهوراً، أو باطناً مغموراً.[3]

و بهذه الآية يمكن الجمع بين ما دلّ من الآيات على بعث الرسل و النذر في كلّ أُمّة و بين ما دلّ منها على عدم مجيء نذير إلى قريش و الملّة التي بعث النبيّ الأعظم فيهم.

أمّا الطائفة الأُولى ـ ؛ أعني ما دلّ على بعث الرسل إلى كلّ أُمّة ـ فقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذا جاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[4].

و قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾[5].

و قال تعالى: ﴿وَما كانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرىٰ حَتّٰى يَبْعَثَ في أُمِّها رَسُولاً﴾[6].

↩ التواتر، أو من المواترة، و هي المتابعة مع فترات. راجع: النهاية، ج ١، ص ١٨١ (تتر)؛ لسان العرب، ج ٥، ص ٢٧٦؛ المصباح المنير، ص ٦٤٧ (وتر).

١. البرهان، ج ٢، ص ٢٦٥، ح ٣٠٠٨.

٢. راجع: الكافي، ج ١، ص ١٧٨ و ١٧٩، ح ١ ـ ١٣.

٣. اقتباس من قول أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تخلو الأرض من إمام قائم بحجّة الله، إمّا ظاهر مشهور، و إمّا خائف مغمور». نور الثقلين، ج ٢، ص ٤٨٤، ح ٢٤.

٤. يونس (١٠): ٤٧.

٥. غافر (٤٠): ٥.

٦. القصص (٢٨): ٥٩.

و قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرىٰ كُلَّ ما جاءَ أُمَّةً رَسُولُها كَذَّبُوهُ﴾[١].

و قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنا بِكَ عَلىٰ هٰؤُلاءِ شَهِيداً﴾[٢]، بناء على أنّ المراد بالشهيد النبيّ بقرينة مقابتلهم بالنبيّ الأعظم في الشهادة على أُمّته.

و قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[٣].

و قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنا هٰاتُوا بُرْهٰانَكُمْ﴾[٤].

و قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ﴾[٥].

و قال تعالى: ﴿وَما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَها مُنْذِرُونَ﴾[٦].

و قال تعالى: ﴿إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هٰادٍ﴾[٧]، بناء على أنّ المراد بالهاد النبيّ ﷺ.

و أمّا الطائفة الثانية ـ؛ أعني ما دلّ على عدم مجيء النذير إلى قريش، أو إلى أهل مكّة و ما حولها، أو مطلقاً و إن كان ظاهر الآيات خاصّاً ـ فقوله تعالى: ﴿وَلٰكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾[٨].

و قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾[٩].

و قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ فَهُمْ غافِلُونَ﴾[١٠].

فوجه الجمع و ان كان بالنظر إلى القواعد الأُصوليّة تخصيص الطائفة الأُولى بالثانية بالقول بأنّ الله قد بعث في كلّ أُمّة رسولاً و شاهداً و نذيراً غير قريش، أو غير أهل مكّة و ما حولها، إلّا أنّ ذلك غير مرضيّ عند العقل السليم و بالنظر إلى شمول رحمة الله تعالى لعباده على وجه سواء، و هو قرينة على عدم التخصيص.

فاللازم الجمع بينهما بحملِ الطائفةِ الثانية على إرادة عدم مجيء النذير المراد بـه

---

١. المؤمنون (٢٣): ٤٤.
٢. النساء (٤): ٤١.
٣. النحل (١٦): ٨٩.
٤. القصص (٢٨): ٧٥.
٥. فاطر (٣٥): ٢٤.
٦. الشعراء (٢٦): ٢٠٨.
٧. الرعد (١٣): ٧.
٨. القصص (٢٨): ٤٦.
٩. السجدة (٣٢): ٣.
١٠. يس (٣٦): ٥ و ٦.

النبيّ أو الرسول في مرتبة من الزمان طويلة بالنسبة إلى الفواصل الزمانيّة في ما بين الأنبياء الماضين بحيث حصلت الفترة من الرسل، كما تصرح بذلك الآية المبحوث عنها، و الطائفةِ الأُولى على عدم خلوّ أُمّة من الأمم عن رسول و شريعة و لو كان الفصل بينه و بين من يليه طويلاً.

و لازم ما ذكرنا أنّ قريشاً و غيرهم قد بعث لهم رسول، و أُوتوا شريعة، و لا بأس بالالتزام بذلك، و الظاهر أنّ رسولهم هو عيسى عليه السلام؛ و لذلك قد روي أنّه قد كان في ما بينهم حجج من أوصياء عيسى،[1] و يشهد بذلك أنّ النبيّ ﷺ قد عامل مع نصارى نجران و غيرهم من النصارى القاطنين حول مكّة و ما يقربها معاملة أهل الكتاب، و ذلك آية كون عيسى مبعوثاً إليهم.

و يمكن القول بأنّ نبيّهم كان إبراهيم عليه السلام، و كان الواجب عليهم الاعتقاد بنبوّته و شرعه، كما يتراآى من بعض التواريخ أنّه قد كان في ما بينهم المعتقدين بنبوّته و دينه، و لا ينافي ذلك ناسخيّة دين موسى و عيسى؛ لاحتمال كون ذلك في حقّ من ثبت ذلك عنده.

و الحاصل أنّه كان وظيفة كلّ أُمّة الاعتقاد بالنبيّ السابق و الجري على شريعته مادام لم يثبت عندهم نبيّ لاحق، فقريش كانوا كذلك بالنسبة إلى دين إبراهيم عليه السلام.

[بيان امتناع خلوّ زمان عن وجود الحجّة و الإمام]

هذا كلّه بالنسبة إلى الرسل و الأنبياء، و إنّ المحصّل من الآيات جواز خلوّ زمان أو أزمنة عن وجود النبيّ و الرسول و إن كان لا يخلو عن شرع و دين، و أمّا امتناع خلوّ الزمان عن وجود الحجّة و الإمام ـ: أعني من يكون معصوماً عن الزلل و حجّة من الله تعالى على خلقه، سواء أكان هو الرسول المبعوث إلى الناس، أو كان خليفة له وصيّاً من قبله، و على الثاني كان ظاهراً مشهوراً، أو باطناً مغموراً ـ فهو الذي تدلّ عليه آيات و عدّة وافرة من الأخبار، فهاك نبذاً من ذلك:

---

١. راجع: كمال الدين، ص ٢٢٦، ح ٢٠.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[١].
قال تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ﴾[٢].
قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٣].

و هاهنا أحاديث جمّة تدلّ على أنّ المراد بهذه الآيات عدم خلوّ الأرض من المعصوم مطلقاً.

فعن الصادق ؈: «إنّ جبرئيل نزل على محمّد ﷺ يخبر عن ربّه ﷻ فقال له: يا محمّد، لم أترك الأرض إلّا و فيها عالم يعرف طاعتي و هداي، و يكون نجاة في ما بين قبض النبيّ إلى خروج النبيّ الآخر، و لم أترك[٤] إبليس يضلّ الناس و ليس في الأرض حجّة و داعٍ إليّ، و هاد إلى سبيلي، و عارف بأمري، و إنّي قد قضيت لكلّ قوم هادياً أهدي به السعداء، و يكون حجّة على الأشقياء».[٥]

و عن الباقر ؈: «و الله ما ترك الأرض منذ قبض الله آدم إلّا و فيها إمام يهتدى به إلى الله، و هو حجّة الله على عباده، و لا تبقي الأرض بغير[٦] حجّة الله على عباده».[٧]

و عن الباقر[٨] ؈: ﴿وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٩]، قال: «إمام[١٠] هاد لكلّ قوم في زمانهم»[١١].

و عن السجّاد ؈: «و لم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجّة لله فيها... ، و لو لا ذلك لم يعبد الله»[١٢] إلى آخره.

---

١. الرعد (١٣): ٧.
٢. الزخرف (٤٣): ٥.
٣. القصص (٢٨): ٥١.
٤. في المصدر: «و لم أكن أترك».
٥. علل الشرائع، ج ١، ص ١٩٦، الباب ١٥٣، ح ٧.
٦. في المصدر: «بغير إمام».
٧. بصائر الدرجات، ص ٥٠٥، الباب ١٠، ح ٤.
٨. روي في المصادر عن الإمام الصادق ؈.
٩. الرعد (١٣): ٧. و في المصادر: «عن محمّد بن مسلم قال: قلت لأبي عبد الله ؈ في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾».
١٠. في المصادر: «كلّ إمام».
١١. الإمامة و التبصرة، ص ١٣٢، ح ١٣٩؛ كمال الدين، ص ٦٦٧، الباب ٥٨، ح ٩.
١٢. الأمالي للشيخ الصدوق ؒ، ص ٢٥٣، ح ٢٧٧؛ كمال الدين، ص ٢٠٧، الباب ٢١، ح ٢٢.

و عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «اللّهمّ لا تخلو[١] الأرض من حجّة لك على خلقك ظاهر، أو خافٍ مغمور؛ لئلّا تبطل حججك و بيّناتك».[٢]

و عن الصادق عليه السلام: «لو كان الناس رجلين لكان أحدهما الإمام». و قال: «إنّ آخر من يموت الإمام؛ لئلّا يحتجّ أحدهم على الله عزّ و جلّ تركه بغير حجّة[٣]».[٤]

و عن الصادق عليه السلام: «إنّ الله لم يدع الأرض إلّا و فيها عالم يعلم الزيادة و النقصان في الأرض، و إذا[٥] زاد المؤمنون شيئاً ردّهم، و إذا نقصوا أكملهم[٦]».[٧]

تفسير القمّي: «[قوله]: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[٨]، قال: لكلّ زمان إمام».[٩]

تفسير القمّي: «[قوله]: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾[١٠] استفهام، أي أ ندعكم[١١] مهملين لا نحتجّ عليكم برسول،[١٢] أو بإمام، أو بحجج».[١٣]

تفسير القمّي:[١٤] ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾،[١٥] قال عليه السلام: إمام بعد إمام».[١٦]

و بالجملة الروايات في هذا المعنى كثيرة جدّاً متواترة توجب القطع للمراجع، و يظهر من عدّة منها[١٧] أنّ الله لا يدع الإنسان العاقل الباحث عن أُصول دينه و فروعه بحيث لا تصل يده إلى من يتعلّم منه، و يهتدي بهداه، فهو يصل إليه و لو بعد فحصه و تجسسه، لا أنّ الحجّة و الإمام يظهر في كلّ زمان، و يدعو الناس إلى نفسه؛ فإنّ ذلك خلاف ما نشاهده، و لا تدلّ الأحاديث أيضاً لذلك، و مع الحمل على ما ذكرنا أيضاً

---

١. في المصدر: «لا تخل».
٢. علل الشرائع، ج ١، ص ١٩٥، الباب ١٥٣، ح ٢.
٣. في المصدر: «بغير حجّة لله عليه».
٤. علل الشرائع، ج ١، ص ١٩٦، الباب ١٥٣، ح ٦.
٥. في المصادر: «فإذا».
٦. في المصادر: «أكمله لهم».
٧. بصائر الدرجات، ص ٣٥١، الباب ١٠، ح ١؛ علل الشرائع، ج ١، ص ١٩٩، الباب ١٥٣، ح ٢٢.
٨. فاطر (٣٥): ٢٤.
٩. تفسير القمّي، ج ٢، ص ٢٠٩.
١٠. الزخرف (٤٣): ٥.
١١. في المصدر: «ندعكم» بدون همزة الاستفهام.
١٢. في المصدر: «برسول الله صلّى الله عليه و آله».
١٣. تفسير القمّي، ج ٢، ص ٢٨١.
١٤. في المصدر: «... عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله».
١٥. القصص (٢٨): ٥١.
١٦. تفسير القمّي، ج ٢، ص ١٤١.
١٧. كما يظهر من الروايات التي نقلها المصنّف رحمه الله.

لابدّ من كون الأمر غالبيّاً، و إلّا فلا إشكال في وجود أمكنة في الدنيا لا يتيسّر لساكنيها الوصول إلى الإمام أو من نصبه و لو كان باحثاً حثيثاً[١] و مجدّاً جسيساً،[٢] كبعض بلاد الكفر اليوم خاصّة في روسيا و نحوه.

ثمّ إنّ مفاد الروايات في بيان الشخص الذي لا تخلو الأرض منه مختلف، ففي بعضها أنّه الإمام، و في بعضها أنّه الحجّة، أو الخليفة، أو العالم، أو من يظهر الحق، أو من يحفظ الدين عن الزيادة و النقصان،[٣] و الظاهر أنّ المراد واحد هو العالم المعصوم المنصوب من قبل الله على عباده، و إن كان لا يبعد كونه أعمّ من ذلك.

و قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جاءَكُمْ بَشيرٌ وَنَذيرٌ...﴾، المعنى ظاهر.

---

١. «حثيثاً»، أي مسرعاً حريصاً. راجع: لسان العرب، ج ٢، ص ١٣٠ (حثث).

٢. الجسيس: المتفحص الباحث. راجع: تاج العروس، ج ٨، ص ٢٢٤ (جسس).

٣. قد مرّت هذه العناوين في ضمن الأحاديث التي نقلها المصنّف، و للمزيد راجع: الكافي، ج ١، ص ١٧٨ و ١٧٩، ح ١ ـ ١٣.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فيكُمْ أَنْبِياءَ وَ جَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَ آتاكُمْ ما لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعالَمينَ ○ يا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَ لا تَرْتَدُّوا عَلىٰ أَدْبارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرينَ ○ قالُوا يا مُوسىٰ إِنَّ فيها قَوْماً جَبّارينَ وَإِنّا لَنْ نَدْخُلَها حَتّىٰ يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنّا داخِلُونَ ○ قالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذينَ يَخافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبابَ فَإِذا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ ○ قالُوا يا مُوسىٰ إِنّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَداً ما دامُوا فيها فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلا إِنّا هاهُنا قاعِدُونَ ○ قالَ رَبِّ إِنّي لا أَمْلِكُ إِلّا نَفْسي وَأَخي فَافْرُقْ بَيْنَنا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفاسِقينَ ○ قالَ فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعينَ سَنَةً يَتيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفاسِقينَ﴾[1].

المعنى

قوله: ﴿وَإِذْ قالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ﴾. الظاهر أنّ هذا الخطاب و التذكير وقع من موسى لقومه بعد نجاتهم من سيطرة فرعون و استقلالهم بالتصرّف في أموالهم و أنفسهم، و ذلك بعد برهة من عبورهم البحر و رجوع موسى عن الطور بالتوراة و نزول المنّ[2] و

---

١. المائدة (٥): ٢٠ ـ ٢٦.

٢. المَنّ: هو شبه عسل كان ينزل على بني إسرائيل في التيه. و قيل غير ذلك. راجع: لسان العرب، ج ١٣، ص ٤١٨؛ تاج العروس، ج ١١، ص ٥٤٧ (منن).

السَلْوى[١] و انفجار الحجارة لهم باثنتي عشرة عيناً و غير ذلك، فلم يبق لهم من نعم الدين إلّا و قد تمّت، و من نعم الدنيا إلّا و قد كملت، و رضي الله لهم التهوّد ديناً، و التوراة كتاباً، و النبيّين العظيمين موسى و هارون نبيّاً و رسولاً.

و يلوح من سياق الآيات أنّ الأمر الهامّ الباقي بعد ذلك كلّه هو الجهاد الابتدائي تحت نظر نبيّهم و باتّباع إمامته و زعامته و دخول بيت المقدس و ما والاها من الأمكنة المباركة التي كانت من سوالف الأزمنة وسوابق الأيّام محلّاً لبعث الأنبياء و مهبطاً للوحي موطناً للصالحين، ثمّ وقعت في أيدي الظلمة، و صارت محلّاً للمنكر و الفحشاء و مسكن الفجرة و الفسقاء.

قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾. هذا تذكير للنعم الماضية حثّاً لهم على إنجاز ما يريد ابلاغه إليهم من الجهاد في سبيل الله و محاربة أهل القدس و الشام و غيرهما، كما سيأتي، و المراد بالنعمة جنسها الشامل لسوابغ ما أنعم عليهم و روافغ[٢] ما منحهم.

و قوله: ﴿إِذْ جَعَلَ فيكُمْ أَنْبِياءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً﴾. أمّا الأنبياء فالظاهر إرادة الأعمّ ممّن كانوا قبل موسى و بعده؛ فإنّهم كانوا من أولاد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، و هم من أكابر الأنبياء، و منهم يوسف و عدّة من الأنبياء من أولاد يعقوب، بل قيل: إنّ الأسباط الاثني عشر كانوا أنبياء. و أمّا الذين بعثوا بعد موسى ﷺ فهم كثيرون جدّاً حتّى انتهوا إلى عيسى، و بعده أيضاً إلى ما بقرب من مأة سنة، كالرسل الثلاث الذين أُرسلوا إلى أنطاكيّة، ثمّ حصلت الفترة إلى أن بعث الله النبيّ الأقدس من قريش.

و أمّا جعلهم ملوكاً فالظاهر أنّ الملوك هنا جميع مَلْك بالفتح فالسكون بمعنى صاحب الملك، لا جمع المَلِك بمعنى السلطان الذي يطلق على المتصرّف بالأمر و النهي المختصّ بسياسة الناطقين كما في المفردات؛[٣] فإنّهم لم يكونوا جميعاً ملوكاً

---

١. السَلْوى: طائر، و قيل غير ذلك. راجع: لسان العرب، ج ١٤، ص ٣٩٥ (سلا).

٢. الرّوافغ: جمع الرافغة، أي الواسعة الطيّبة. و الرافغة أيضاً: النعمة. و المراد النعم الواسعة الطيّبة. راجع: تاج العروس، ج ١٢، ص ٢٥ (رفغ).

٣. المفردات للراغب، ص ٧٧٤ (ملك).

بهذا المعنى، فالمراد تذكير ما منّ الله عليهم بإعطاء الملك من أرض و عَقار[1] و ماء و خدم و حَشَم.[2]

ففي الآية الشريفة إشارة إلى بيان الأصل الأصيل و الركن الوثيق في قوام حياة الملّة حياة ذات أبعاد و أحناء، مهنّأ فيها سعادة الدنيا و نعم الآخرة، و هما وجود الإمام العدل القيّم المطاع، و الوسائل الحيويّة من شتّى نعم الدنيا و لوازم العيش الهنيء، و لا ينال ملّة رقاها الملائم لحالها، و لا تستقل، و لا تستقيم، و لا تقوم على ساقها، و لا تقدر على دفع أعدائها و محو كيدهم و منع شرورهم إلّا بذينك الأمرين.

و قوله: ﴿وَآتاكُمْ ما لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعالَمينَ﴾. كإهلاك أعدائهم، و فلق البحر لهم، و إيراثهم أرضهم و ديارهم، و إنزال المنّ[3] و السلوى[4] عليهم، و تفجير الماء لهم من الحجر، و تظليل الغمام عليهم، و غير ذلك.

و المراد بالعالمين عالمي زمانهم، أو مطلقاً إلى يوم القيامة، و لا ينافي تفضيلُهم على الأمم جميعاً من هذه الجهات فضلَهم على الأمم مطلقاً؛ إذ يمكن وجود جهات أُخر في أمّة أُخرى أكثر و أفضل من تلك الجهات، و الترجيح و التفضيل يلاحظ في الشيء بعد ملاحظة جميع أبعاده و شتّى أوصافه.

و قوله: ﴿يا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ﴾. قيل: المراد بها بيت المقدس، و هو المسمّى بالعبري بأُورشليم، أي بلد السلامة.[5]

و كان بلد أُورشليم قبل داود النبيّ تحت تصرّف اليبوسين؛ فغلب عليهم داود النبيّ، و استولى عليه، و جعله مقرّ سلطنته، ثمّ بنى فيه ابنه سليمان النبيّ المسجد الأقصى، و زاد بذلك على عِظَم البلد و قدره.

---

١. العقار بالفتح: كلّ ملك ثابت له أصل، كالدار و النخل. و ربما أُطلق على المتاع. المصباح المنير، ص ٤٢١ (عقر).

٢. الحَشَم: خدم الرجل. و فسّرها بعضهم بالعيال و القرابة. المصباح المنير، ص ١٣٧ (حشم).

٣. المَنّ: هو شبه عسل كان ينزل على بني إسرائيل في التيه. و قيل غير ذلك. راجع: لسان العرب، ج ١٣، ص ٤١٨؛ تاج العروس، ج ١٨، ص ٥٤٧ (منن).

٤. السَّلْوى: طائر. و قيل غير ذلك. راجع: لسان العرب، ج ١٤، ص ٣٩٥ (سلا).

٥. راجع: قاموس الكتاب المقدّس، ص ١٢٩؛ إمتاع الأسماع، ج ١٢، ص ٣٥٦.

و يقال: إنّ عدّة كثيرة من أنبياء بني إسرائيل كانوا قاطنين فيه، و يعظون الناس في ساحات ذلك البلد و شوارعه و سِكَكه،[1] و البلد له شرف و قداسة عند المسلمين أيضاً، كما هو كذلك عند اليهود و النصارى؛ إذ كان قبلة للمسلمين طيلة إقامة النبيّ ﷺ في مكّة و بعد الهجرة إلى المدينة أيضاً إلى ما يقرب من ستّة أشهر، ثمّ حوّلت إلى الكعبة المعظّمة، و إليه انتهى معراج النبيّ الأعظم الأرضيّ ليلة أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الواقع فيه، ثمّ منه إلى السماوات على ما في بعض الأخبار.[2]

و حينئذ فالمرادُ بالأرض المقدّسةِ المطهّرةُ من الشرك و الكفر، و في التنزيل الكريم: ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾[3].

و قال تعالى أيضاً: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾؛[4] فإنّ المراد بالبركة خير الدنيا و إقامة شعائر الدين.

و قيل: المراد بالأرض المقدّسة الشام و الأُردُنّ[5]. و قيل غير ذلك.

و قوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، أي أوجب الله، أو كتب في اللوح المحفوظ، و المراد: أوجب دخولها و تصرّفها و إقامة شعائر التوراة فيها.

و الخطاب للطائفة من غير ملاحظة أشخاص المخاطبين؛ فإنّه قد هلك أغلب المخاطبين في التيه[6]، فدخلها النسل اللاحق.

ثمّ إنّ المكتوب عليهم الموعود هنا هو ما سبق إخباره من الله تعالى لموسى، أو إخبار موسى لقومه؛ قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ

---

١. السِكَك: جمع السِكّة، و هي الزُقاق، و الطريق المصطفّة من النخل. المصباح المنير، ص ٢٨٢ (سكك).

٢. راجع: مجمع البيان، ج ٦، ص ٢١٦، ذيل الآية ١ من سورة الإسراء (١٧).

٣. الإسراء (١٧): ١.

٤. الأعراف (٧): ١٣٧.

٥. لم نعثر عليه، نعم روي عن قتادة أنّه قال: «هي الشام». و عن الكلبي و الزجّاج و الفرّاء: «هي دمشق و فلسطين و بعض الأردنّ». و هناك أقوال أُخر. راجع: جامع البيان، ج ٦، ص ٢٢٣ و ٢٢٤؛ التبيان، ج ٣، ص ٤٨٣؛ مجمع البيان، ج ٣، ص ٣٠٨؛ تفسير الرازي، ج ١١، ص ١٩٧، ذيل الآية ٢١ من سورة المائدة (٥).

٦. التِيه: المفازة، أي الفلاة التي لا ماء فيها، يُتاه و يتحيّر فيها. راجع: الصحاح، ج ٦، ص ٢٢٢٩ (تيه).

﴿أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ ○ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾،[١] و الأرض هنا هو المحيط الشامل للأرض المقدّسة و مصر و غيرها. و قال: ﴿قالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلّٰهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾[٢]، و قوله: ﴿عَسىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾[٣].

و نقل عن التوراة في سِفر التكوين أنّه لمّا مرّ إبراهيم بأرض الكنعانيّين، ظهر له الربّ و قال: لنسلك أُعطي هذه الأرض.[٤]

و عنه أيضاً: «في ذلك اليوم قطع الربّ مع أبرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك أُعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات».[٥]

و عن سِفر تثنية الاشتراع:

الربّ إلهنا كلّمنا في حوريب[٦] قائلاً: كفاكم قعود في هذا الجبل ○ تحوّلوا، و ارتحلوا، و ادخلوا جبل الأموريّين و كلّ ما يليه من القفر[٧] و الجبل و السهل و الجنوب و ساحل البحر أرض الكنعانيّين[٨] و لبنان إلى النهر الكبير نهر فرات[٩] ○ انظروا[١٠] قد جعلت أمامكم الأرض، ادخلوا، تملّكوا الأرض التي أقسم الربّ لآبائكم إبراهيم و إسحاق و يعقوب أن يعطيها لهم و لنسلهم من بعدهم.[١١]

و حيث إنّ التوراة محرّفة بلا ترديد و ريب، فالوعدات غير حجّة، و لعلّها آمال و أُمنيّات في صدور اليهود، أُدرجت فيها حثّاً لأهلها على التغلّب على المسلمين، و كم من مكر و خِداع و تحريف و ضِياع رآه المسلمون منهم، كيف ولو فتّشت الأمر

---

١. القصص (٢٨): ٥ و ٦.

٢. الأعراف (٧): ١٢٨.

٣. الأعراف (٧): ١٢٩.

٤. الكتاب المقدّس (العهد القديم)، ص ١٩، الرقم ٧.

٥. المصدر؛ ص ٢٣، الرقم ١٨.

٦. أي جبل حوريب الذي يدعى أيضاً جبل سيناء. راجع: قاموس الكتاب المقدّس، ص ١٤٤.

٧. في المصدر: «العربة».

٨. في المصدر: «الكنعانيّ».

٩. في المصدر: «الفرات».

١٠. في المصدر: «انظر».

١١. الكتاب المقدّس (العهد القديم)، ص ٢٧٧، الرقم ٦ و ٨.

لتجدنّهم أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا؟

و قوله: ﴿وَلا تَرْتَدُّوا عَلىٰ أَدْبارِكُمْ﴾. أي لا ترجعوا إلى مصر، أو لا ترجعوا عن حكم الله، و لا تخالفوا أمره بدخول الأرض المقدّسة.

و في مجمع البيان:

لمّا عبر موسى البحر، و هلك فرعون، أمرهم الله بدخول الأرض المقدّسة، فلمّا نزلوا على نهر الأُردُنّ، خافوا الدخول، و كانوا ستّمأة ألف، فاختار موسى منهم اثني عشر نقيباً، و بعثهم إلى الأرض المقدّسة، فعاينوا من عظم شوكتهم و قوّتهم أمراً عجيباً، فلمّا رجعوا أمرهم موسى بكتمان الأمر عن الناس، فأخبروا إلّا يوشع بن نون و كالب بن يوقنا، فلمّا فشا الخبر في الناس، همّوا بالرجوع إلى مصر، فشكا موسى إلى ربّه، فتاهوا في تلك الأرض أربعين سنة في مسيرة تسعة فراسخ، أو ما يقرب منها، و كان مع ذلك ينزل الله عليهم المنّ[1] و السلوى[2]، فمات موسى في التيه وله ١٢٠ سنة، و مات هارون قبله بسنة، و كان الأمر في أزمنة سلطنة فريدون و منوجهر في إيران، ثمّ بقي يوشع ـ و عمره حينئذ ١٢٦ [سنة] ـ مدبّراً لأمر بني إسرائيل إلى أن توفّي بعد ٢٧ سنة، فكان عمره ١٥٣ سنة.[3]

قوله تعالى: ﴿يا مُوسىٰ إِنَّ فيها قَوْماً جَبّارينَ﴾. الجبّار: الذي يجبر الناس على ما يريد، و هو يقع وصفاً لله تعالى أيضاً، فكونه جبّاراً إمّا من جهة أنّ ذاته الشريفة تدعو العارف بها إلى الخضوع له و التعظيم، و إما لأنّه يجبرهم على طبق إرادته جبراً تكوينيّاً، كتدبيره تعالى أمر الجماد بتحويله عن حال إلى حال، و أمر النبات بتنميته و تربيته، و أمر الحيوان بهدايته التكوينيّة إلى ما هو الأصلح له، أو جبراً تشريعيّاً

---

١. المَنّ: هو شبه عسل كان ينزل على بني إسرائيل في التيه. و قيل غير ذلك. راجع: لسان العرب، ج ١٣، ص ٤١٨؛ تاج العروس، ج ١١، ص ٥٤٧ (منن).

٢. السَّلْوى: طائر. و قيل غير ذلك. راجع: لسان العرب، ج ١٤، ص ٣٩٥ (سلا).

٣. نقل بالتصرّف و التلخيص. راجع: مجمع البيان، ج ٣، ص ٣٠٨ و ٣٠٩، ذيل الآية المذكورة.

بالإيجاب و التحريم.[١] و القهّار هو الغالب على من ناواه،[٢] فهو أخصّ من الجبّار.[٣]

و قوله: ﴿وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا﴾. نفيهم الدخول بكلمة «لن» يدلّ على شدّة إبائهم إلّا أنّه يظهر من قولهم ﴿فَإِنْ يَخْرُجُوا...﴾ أنّ ذلك في صورة عدم خروج الجبّارين، فالامتناع هنا مشروط، و كذا في قولهم في التالية: ﴿مَا دَامُوا فِيهَا﴾.

و قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا﴾. قيل: إنّ المراد بالرجلين يوشع و كالب[٤]، فقالا ذلك خطاباً لقوم موسى، و خوفهما إمّا كان من الله تعالى، فالمراد به درجة خاصّة و كمال مخصوص في إيمانهم، استحقّوا بذلك إطلاق اسم الخائف من الله عليهم، و لا يكون ذلك إلّا بعد تصحيح العقائد و تصفية النفس و تزكيتها و الممارسة على الآداب الدينيّة برهة من الزمان، كما قال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾.[٥] و هذه نعمة من الله لا يعطيها إلّا من أحبّ، و المال يعطيه من أحبّ و أبغض؛ و لذلك قال تعالى: ﴿أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا﴾.

و إمّا كان من قومهم؛ لأجل ما عرفوا جهلهم و دأبهم في إنكار الحق و إعمال العصبيّة، كما ورد أنّهم رجموهما بالحجارة بعد سماع هذا القول منهما.[٦]

و إمّا كان من الجبّارين؛ حيث رأياهم على قوّة و شوكة.

و على أيّ تقدير، فتوصيفهما بالإنعام عليهما يدلّ على فضل لهم، و يكفي فيه إظهارهم الحقّ و حثّهم الناس على الجهاد مع وجود الخوف، فكان إيمانهم غالباً على

---

١. للتعرّف لمعاني الجبّار و صفاً للّه تعالى و لغيره. راجع: التبيان، ج ٣، ص ٤٨٤ و ٤٨٥؛ المفردات للراغب، ص ١٨٢ ـ ١٨٥ (جبر)؛ مجمع البيان، ج ٣، ص ٣١٠.

٢. قاله الشيخ الطبرسي ﵀ في مجمع البيان، ج ٣، ص ٣١٠. و ناواه، أي عاداه. قال الجوهري: «و أصله الهمز؛ لأنّه من النوء، و هو النهوض. راجع: الصحاح، ج ٦، ص ٢٥١٧ (نوي).

٣. في اللغة: القهر: الغلبة و الأخذ من فوق على وجه التذليل. و قهره: غلبه. و يقال: قهره، إذا أخذه قهراً من غير رضاه. و القاهر و القهّار: من صفاته تعالى، قهر خلقه بسلطانه و قدرته، و صرفهم على ما أراد طوعاً و كرهاً. و القاهر: هو الغالب على جميع خلقه. تاج العروس، ج ٧، ص ٤٢٧ (قهر).

٤. قاله الطبري و غيره. راجع: جامع البيان، ج ٦، ص ٢٣٩؛ الكشّاف، ج ١، ص ٦٠٤.

٥. الحجر (١٥): ٩٩.

٦. راجع: تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٤٠.

هواهم، و عقولهم حاكمة على ميول أنفسهم.

قوله: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبابَ فَإِذا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غالِبُونَ﴾. المراد باب المدينة، أو باب الحرب، أي اشرعوا في الجهاد، و حكمهم بالغلبة بتّاً إمّا لما سمعوه من وعد الله تعالى بلسان موسى و بيان التوراة، أو لما علموا من خوف الجبّارين؛ فإنّهم مع وصف الجبابرة قد سمعوا بلا ريب سطوة النبيّ العظيم موسى و إنجاءه بني إسرائيل و غلبته على فرعون و قومه في مقام الخصام و إظهار المعاجز و ما أصاب فرعون و ملأه من الغرق و الذلّة و الهوان، فأوجد ذلك في أنفسهم صغاراً و خوفاً، أو أنّهما كانا نبيّين أو وصيّين، فعلما ذلك بوحي أو إلهام.

قوله: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا﴾. قد مضى أنّ التوكّل عليه تعالى وكول الأمر إليه بعد إيجاد ما يتيسّر للعبد فعله من مقدّمات المقصد، لا الإيكال إليه ما يجب فعله عليه، كما قد يتوهّمه الجاهل.

و قوله: ﴿قالُوا يا مُوسىٰ إِنّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَداً ما دامُوا فِيها﴾. يظهر من الآية أنّه لم يؤثّر فيهم أمر موسى و حثّه على الدخول و ما وعظهم الرجلان المنعم عليهما من الله إلّا في خلاف المطلوب و السير قهقري، فنفوا دخولهم و قبول أمر نبيّهم و إجابة أمر الله تعالى بأشدّ من الأوّل؛ حيث أضافوا إليه كلمة ﴿أبداً﴾.

قوله: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلا﴾. ملاحظة حال اليهود ـ على ما يستفاد من الكتاب الكريم و الأخبار الواردة، بل و ظاهر كتابهم أيضاً ـ تورث الاطمينان بأنّهم كانوا أمّة مجسّمة قائلين بتجسّم الربّ، و إن تنزّلنا عن ذلك فهم لم يستطيعوا الإذعان بربّ غير جسم، و كان اعترافهم بالله تعالى بدعوة موسى عليه السلام أمراً ظاهريّاً تعبديّاً، مترقبين وجدان إله متجسّد، راجين وجود من يدعوهم إلى ذلك، فيلبّوه مذعنين، و يهطعوا[١] إليه مسرعين، و لا يبرحوا معتكفين.

---

١. يقال: هَطَعَ يَهْطَعُ و أهطع: أقبل على الشيء ببصره، فلم يرفعه عنه، و أقبل مسرعاً خائفاً، لا يكون إلّا مع خوف؛ أو نظر بخشوع؛ أو مدّ عنقه و صوّب رأسه. و المُهْطِع: الذي ينظر في ذلّ و خشوع. لسان العرب، ج ٨، ص ٣٧٢ (هطع).

فلاحظ قوله تعالى: ﴿فَقالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً﴾؛[١] فإنّ الجهرة هو الظهور التامّ على حاسّتي السمع و البصر.[٢]

و قوله: ﴿يا مُوسَى اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[٣].

و قوله: ﴿قالَ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغيكُمْ إِلهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعالَمينَ﴾[٤].

و قوله: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظالِمُونَ﴾[٥].

و قوله: ﴿وَأُشْرِبُوا في قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾[٦].

قوله: ﴿قالَ رَبِّ إِنّي لا أَمْلِكُ إِلّا نَفْسي وَأَخي﴾. أي لا سلطنة لي و لا استيلاء إلّا عليها، ثمّ إنّ تغاير المسلّط و المسلّط عليه في أمثال المورد اعتباري، فالأوّل هو الإنسان، أي الروح بما أنّه مدرك عاقل مطيع لربّه خاضع لأوامره، و الثاني هو الروح و النفس بما أنّه ذو هوى مُردية[٧] و شهوات مهلكة مُوبِقة.[٨]

و بعبارة أُخرى: المسلّط هي القوّة العاقلة بجنودها الإلهيّة، و المسلّط عليه هي القوّة الحيوانيّة الجاهلة بحزبها الشيطانيّة.

و قوله: ﴿وَأَخي﴾ إن كان عطفاً على النفس فهو منصوب المحلّ، فالمراد أنّ موسى مسلّط على نفسه و على أخيه، و إن كان عطفاً على الفاعل في ﴿لا أَمْلِكُ﴾ فهو مرفوع المحلّ، و المراد: و إنّ أخي أيضاً لا يملك إلّا نفسه.

[بيان حول الحصر في الآية الشريفة]

ثمّ إنّه كيف يستقيم حصر موسى السلطنة على نفسه و أخيه مع كون الرجلين اللذين يخافان الله، مطيعين له منقادين؟ بل كيف نعقل عدم وجود عدّة ـ و لو قليلة ـ مجيبة

---

١. النساء (٤): ١٥٣.
٢. راجع: المفردات للراغب، ص ٢٠٨ (جهر).
٣. الأعراف (٧): ١٣٨.
٤. الأعراف (٧): ١٤٠.
٥. البقرة (٢): ٥١ و ٩٢.
٦. البقرة (٢): ٩٣.
٧. المُردية: المهلكة و المسقطة. راجع: لسان العرب، ج ١٤، ص ٣١٦ (ردي).
٨. المُوبقة: المهلكة. و أوبقه: حبسه. راجع: تاج العروس، ج ١٣، ص ٤٧١ و ٤٧٢ (وبق).

لدعوته، آخذة بقوله، عاملة لأمره؟

و لما ذكرنا قال البيضاوي: «لم يبق معه من يثق به[١] غير أخيه،[٢] و الرجلان المذكوران و إن كانا يوافقانه، لم يثق عليهما». قال: «و يجوز أن يراد بـ ﴿أَخِي﴾ من يواخيني في الدين»[٣] إلى آخره.

و يبعد الوجه الأوّل قول الله تعالى في حقّهما: ﴿يَخافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا﴾، و الوجه الثاني أنّه خلاف ظاهر لفظة «أخ» مع استعمالها في موارد في أخيه هارون.

و قال الأستاذ الطباطبائي: «إنّ المراد[٤]: ربّ إنّي أبلغت، و أعذرت، و لا أملك في إقامة أمرك إلّا نفسي، و كذلك أخي».

قال:

> و يتبيّن بهذا البيان[٥] أنّ مقتضى هذا الحال أن يتعرّض موسى عليه السلام في شكواه إلى ربّه لحال نفسه و أخيه، و هما المبلّغان عن الله تعالى، و لا يتعرّض لحال غيرهما من المؤمنين و إن كانوا غير متمرّدين، إذ لا شأن لهم في التبليغ و الدعوة، و المقام إنّما يقتضي التعرّض لحال مبلّغ الحكم، لا العامل الآخذ المتسجيب له.[٦] انتهى.

و لا يخفى عليك أنّ شكوى موسى إلى ربّه إنّما كان لمخالفة الأمّة أمر ربّهم و نبيّهم و عدم تأثير الحثّ الأكيد و دعوة النبيّ و ما وعظهم به صلحاء القوم، كالرجلين و غيرهم في حقّهم، فكانت صعوبة الأمر و العقدة التي لا تنحلّ في مقام إجراء الحكم، لا تبليغه و تشريعه، و لا إشكال في أنّه كما كان يملك نفسه و أخيه في هذه المرحلة، كان يملك المؤمنين غير المتمرّدين و الفرقة المنقادين أيضاً، فهذا الجواب عن إشكال الحصر أيضاً لا يسمن و لا يغني.

---

١. في المصدر: «موافق يثق به».
٢. في المصدر: «غير هارون عليه السلام».
٣. تفسير البيضاوي، ج ٢، ص ٣١٢.
٤. في المصدر: «فكان مقتضى هذا الحال أن يقول» بدل «إنّ المراد».
٥. في المصدر: «بهذا البيان أوّلاً».
٦. الميزان، ج ٥، ص ٢٩٣.

قوله: ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾. ظاهره طلب التفرقة في ما بين نفسه و أخيه و أتباعه المنقادين و بين القوم الفاسقين أي الخارجين عن طاعة الله و رسوله، و لا يظهر منه مرماه الباتّ و أنّه كان يدعو على قومه بالهلاك و الدِمار،[1] أو على نفسه بالخروج عن مجتمعهم إلى محلّ آخر، أو بالموت.

و يبعد الأخير أنّه لا ينبغي للنبيّ العظيم موسى طلب الموت لأخيه و سائر أُمّته المطيعين له.

و حيث إنّه يظهر من لحن بعض الآيات أنّ الله قد وعدهم الظفر على أعدائهم و التسلّط على الأرض المقدّسة و على أرض مصر، فلا يبعد أن يكون الغرض من دعاء موسى ﷺ تجزئة ملّته و تفريق المطيع عن العاصي و إهلاك العاصين، أو إبعادهم و تنجيز عداته في حقّه و حقّ المطيعين، و قد تحقّق هذا الأمر في الخارج بعد موت موسى ﷺ و ارتحاله.

و قوله: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾. أي أنّهم ممنوعون من دخول الأرض المقدّسة أربعين سنة، فالتحريم تكويني، لا تشريعي، و لا ينافي ذلك ما وعدهم الله و كتبه من أنّهم يدخلونها؛ فإنّ الوعد للأُمّة الإسرائيليّة من غير دخل الأشخاص، و قد نقل أنّه قد هلك في التيه جميع القائلين: ﴿لَنْ نَدْخُلَهَا﴾، ثمّ فتحها يوشع من النسل اللاحق منهم.[2]

قوله: ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾. التيه: موضع الحيرة، و التائه: الواقع في الحيرة،[3] فكان القوم متحيّرين في ذلك المحلّ طِيلة تلك المدّة، و ظاهر الكلام لا يقتضي كون ذلك بنحو الاعجاز و الأمر الخارق للعادة.

و لعلّ مخالفتهم لأمر الله و وقوع الاختلاف بينهم أورثت توقّفهم، ثمّ اشتغلوا في المحلّ بتجارة و اكتساب و زراعة و غيرها، فحصل التوطّن هناك من غير إرادة و

---

١. الدِمار: استئصال الهلاك. لسان العرب، ج ٤، ص ٢٩١ (دمر).

٢. راجع: البدء و التاريخ، ج ٣، ص ٨٧ و ٨٨.

٣. راجع: المفردات للراغب، ص ١٦٩ (تيه).

اعتزام إلّا أنّ المنقول في التواريخ المؤيّد بالأخبار الواردة عن الفريقين أنّ الله تعالى أتاهم و حيّرهم في مسيرة ستّة فراسخ، أو ما يقرب ذلك في تلك المدّة الطويلة.[١]

قال أبو عبدالله الصادق ﷺ: «كانوا إذا أمسوا نادى مناديهم: الرحيل،[٢] فيرتحلون بالحُداء[٣] و الزجر حتّى إذا سحروا[٤] أمر الله الأرض فدارت بهم، فيصبحوا في منزلهم الذي ارتحلوا منه، فيقولون: قد أخطأتم الطريق، فمكثوا بهذا أربعين سنة، و نزل عليهم المنّ[٥] و السَلْوى[٦] حتّى هلكوا جميعاً إلّا رجلين يوشع بن نون و كالب بن يوقنا و أبناءهم، و كانوا يتيهون في نحو أربع فراسخ، فإذا أرادوا أن يرتحلوا يبست[٧] ثيابهم عليهم و خفافهم». قال ﷺ: «و كان معهم حجر إذا نزلوا ضربه موسى بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، لكلّ سِبْط[٨] عين، فإذا ارتحلوا رجع الماء إلى الحجر، و وضع الحجر على الدابّة».[٩] الخبر.[١٠]

قوله: ﴿فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ﴾. أي لا تأسف عليهم؛ لأنّهم خارجون عن طاعة الله، و هذا تأييد لكلام موسى، حيث سمّاهم فاسقين.

---

١. راجع: السنن الكبرى للنسائي، ج ٦، ص ٤٠٦؛ تفسير القمّي، ج ١، ص ١٦٥؛ الاختصاص، ص ٢٦٥؛ مجمع الزوائد للهيثمي، ج ٧، ص ٦٦.

٢. في المصدر: «أمسيتم، الرحيل».

٣. يقال: حدا الإبلَ حُداءً كغراب: زجرها خلفها و ساقها. و حَدَوْتُ الإبل حَدْواً: حثثتها على السير بالحُداء، و هو الغناء لها. راجع: لسان العرب، ج ١٤، ص ١٦٨؛ المصباح المنير، ص ١٢٥ (حدو).

٤. في المصدر: «أسحروا».

٥. المَنُّ: هو شبه عسل كان ينزل على بني إسرائيل في التيه. و قيل غير ذلك. راجع: لسان العرب، ج ١٣، ص ٤١٨؛ تاج العروس، ج ١١، ص ٥٤٧ (منن).

٦. السَلْوى: طائر. و قيل غير ذلك. راجع: لسان العرب، ج ١٤، ص ٣٩٥ (سلا).

٧. في المصدر: «ثبت».

٨. السِبْط: واحد الأولاد، و هي الأولاد خاصّة. و قيل: أولاد الأولاد. و قيل: أولاد البنات. النهاية، ج ٢، ص ٣٣٤ (سبط).

٩. الاختصاص، ص ٢٦٥ و ٢٦٦.

١٠. ليس للخبر تتمّة.

قوله تعالى : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ○ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ○ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ○ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ○ فَبَعَثَ اللهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ○ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[1] .

اللغة

القُربان: ما يتقرّب به إلى الله، و تعارف إطلاقه على الذبيحة خاصّة.[2] وباء إليه يبوء، أي رجع.[3] و طوّع الشيء: جعله منقاداً، و طوّعت له نَفْسُه كذا: سهّلت و رخّصت له فعله.[4] و بحث [في] الأرض حفرها.[5] و السَوْأة: العورة، و كلّ ما ينكر ظهوره و يقبح.[6] و وارى

---

١. المائدة (٥): ٢٧ ـ ٣٢.

٢. راجع: المفردات للراغب، ص ٦٦٤ (قرب).

٣. راجع: لسان العرب، ج ١، ص ٣٦ (بوأ).

٤. راجع: لسان العرب، ج ٨، ص ٢٤٢ (طوع).

٥. راجع: مصباح المنير، ص ٣٢ (بحث).

٦. راجع: النهاية، ج ٢، ص ٤١٦ (سوأ).

الشيء مواراة: أخفاه.[١]

البيان

قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ...﴾. يستفاد من الآيات المربوطة بهذه القصّة أُمور، أهمّها الإعلام بغريزة الحسد في الإنسان و سوء عاقبة اتّباعها و ترتيب الأثر على وفق اقتضائها، فيستعقب الندامة و الخسران في الدنيا و العذاب و الحرمان في الآخرة، و قد يكون الخلود في النار، و نعوذ بالله منها.

قوله: ﴿ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾. ظاهر لفظة «آدم» ـ كما يستفاد من إطلاقات الكتاب الكريم ـ هو أنّها علم شخص لأبينا آدم النبيّ المصطفى و من علّمه ربّه علم الأسماء،[٢] لا اسم جنس، و لا علم لشخص آخر عايش في بني إسرائيل، و يستفاد ذلك من الروايات الآتية أيضاً، و فيها أنّ اسم الولدين هابيل و قابيل، و في التوراة: هابيل و قايين.[٣]

و قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ إشارة إلى ما وقع في التوراة المحرّفة، و أنّه ليس حقّاً مطابقاً للواقع.

قوله: ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً ـ إلى قوله ـ: مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾. في أخبار الباب اختلاف في وجه تقريب القربان إلى الله تعالى، فمن بعضها أنّ الوجه فيه اختلافهما في الوصيّة، حيث أوصى آدم إلى ابنه هابيل، و أودع عنده ودائع الوصاية، فعن الصادق ﷺ في حديث: «فأوحى الله[٤] إلى آدم أن يدفع الوصيّة و اسم الله الأعظم إلى هابيل، و كان قابيل أكبر منه، فبلغ ذلك قابيل، فغضب فقال: أنا أولى بالكرامة و الوصيّة، فأمرهما أن يقرّبا قرباناً بوحي من الله إليه، [ففعلا]،[٥] فقبّل الله قربان هابيل، فحسده قابيل، فقتله»[٦] إلى آخره.

و في بعضها الآخر أنّ الوجه اختلافهما في اختيار الزوجة، و أنّ آدم لما زوّج هابيل أخت قابيل و توأمته[٧]، و زوّج قابيل أُخت هابيل و توأمته، و كانت أُخت قابيل أجمل

---

١. راجع: لسان العرب، ج ١٥، ص ٣٨٩ (وري).

٢. إشارة إلى الآية ٣١ من سورة البقرة (٢).

٣. راجع: الكتاب المقدّس (العهد القديم)، ص ٧ ـ ٩، الرقم ١ ـ ٢٥.

٤. في المصدر: «إنّ الله تبارك و تعالى أوحى».

٥. ما بين المعقوفتين أضفناه من المصدر.

٦. تفسير العيّاشي، ج ١، ص ٣١٢، ح ٨٣.

٧. التوْأم: اسم للولد يكون معه آخر في بطن واحد، و الأُنثى: توأمة. المصباح المنير، ص ٧٩ (تأم).

من أُخت هابيل، حسده قابيل على زوجته فقتله.[١]

ثمّ إنّه كان قربان هابيل ـ على ما في الأخبار[٢] ـ أفضل ماله، و هو الكبش السمين، و قربان قابيل أخسّ ماله، و هي الحنطة الرديّة، و كانت علامة المقبول عندئذٍ مجيء نار و إحراقها القربان، و إن لم يعلم من الآية الشريفة أنّه ماذا كان القربان؟ و كيفما تحقّق القبول و الرد؟

[بيان أنّ التقوى شرط قبول الأعمال]

و قوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾. فيه دعوى أنّه من المتّقين، و أنّ القبول ينحصر بهم، و حيث إنّ ظاهر الآية تصديق ما قاله هابيل، فيعلم أنّه كان رجلاً متّقياً. إلّا أنّ التقوى أمر ذات وجوه و أبعاد؛ إذ هو التحفّظ عن القبائح و عمّا لا يليق في مرحلة العقائد و الأخلاق و العمل، فالاجتناب عن العقائد الفاسدة تقوي اعتقادي، و عن الخلق الرذيلة تقوي نفسي، و عن الأعمال القبيحة تقوي عملي، و لعلّ هابيل كان واجداً لجميع تلك المراحل.

هذا بالنسبة إلى صغرى ما ادّعاه، و أمّا الكبرى فإن كان المراد التقوى الاعتقادي، فالحصر مسلّم؛ إذ هو القدر المتيقّن من اللفظ، و لا إشكال في اشتراط قبول الأعمال بالإيمان حدوثاً و بقاء، و أنّ الكفر سبب لحبط الأعمال، قارنه، أو تأخّر عنه حتّى توفّي عليه.

و إن كان المراد مطلق التقوى فلازمه اشراط قبول كلّ عمل عبادي بترك جميع المعاصي، أو بترك جميع الرذائل الخلقيّة، أو جميع الأمرين.

و يظهر من بعض الأخبار[٣] أنّ القبول مشروط بترك بعض الصفات، أو بعض المعاصي، كالحسد و العجب و غيبة المؤمن، كما أنّه يظهر من بعضها الآخر[٤] أنّ المراد بشرطيّة التقوى العمليّ في القبول التجنّب عمّا له دخل في العبادة من الأجزاء و

---

١. راجع: التبيان، ج ٣، ص ٤٩٣؛ مجمع البيان، ج ٣، ص ٣١٥، ذيل الآية ٢٧ من سورة المائدة (٥).

٢. راجع أيضاً: الكافي، ج ٨، ص ١١٣ ـ ١١٥، ح ٩٢. ٣. راجع: الكافي، ج ٢، ص ٣٠٦ و ٣٠٧، ح ١ ـ ٧.

٤. راجع: المصدر، ص ٤٧، ح ٣.

الشرائط و ترك الموانع، كما يظهر ذلك من الروايه الواردة عن مولانا الصادقعليه السلام حين إذ رأى المتسمّي بالعالم أنّه سرق رغيفين[١] و رمّانتين، فتصدّق بهما رجاء أنّ سرقة أربعة أشياء يحسب معاصي أربع، و التصدّق بها يحسب أربعين حسنة، فتسقط الأربع من أربعين، و الباقي ربح رابح للسارق، فأبطل الصادق عليه السلام قوله بأنّه إنّما يَتَقبّل من المتّقين.[٢]

قوله: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ...﴾. المراد ببسط اليد للقتل تهيئة مقدّماته، فمراد هذا القائل أنّ الإقدام الابتدائي للقتل بإعداد مقدّماته لا يكون و لا يتحقّق منه أبداً؛ لأنّه عصيان لله، لا أنّ الدفاع عن نفسه في المورد المقتضي لذلك لا يتحقّق منه؛ إذ هو أمر طبعي فطري و مطلوب من ناحية العقل و الشرع أيضاً.

و هذا نظير الجهاد الابتدائي و الجهاد الدفاعي، فلو فرضنا حرمة الأوّل في زمان؛ لعدم تحقّق شرطه، فلا يلازم حرمة الثاني، بل هو واجب و مطلوب. و يشهد لما ذكرنا قوله: ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾، و لم يقل: لأدافع عن نفسي. و كذا قوله: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾، و سيجيء معناه.

و قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾. هذا ظاهر في كونه في مقام التعليل، فكأنّه علّل ترك قتل أخيه بالخوف عن ربّ العالمين، فالعلّة هو كونه ربّاً للناس، و الربّ هو الملك المدبّر، للأمر المجازي، و لازم التدبير و التربية أن يجازي للفعال الصادرة عنهم بما يقتضيه، و يليق بها، و يناسبها.

قوله: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾. أي أُريد أن ترجع إلى ربّك متلبّساً ومتحمّلاً بإثمي و إثمك.

[تحقيق في تحمّل القاتل وزر المقتول]

و مقتضى هذا الكلام انّ المقتول كان عالماً بأنّ القاتل ظلماً يتحمّل عن المظلوم جميع معاصيه، فيرجع إلى ربّه حاملاً لوقرين، وازراً لوزرين، و ليس المراد بالإثمين إثم

---

١. الرغيف: الخُبْزَة، يقال: رغف العجين، أي جمعه بيده مستديراً، فالرغيف فعيل بمعنى مفعول. راجع: لسان العرب، ج ٩، ص ١٢٤؛ المصباح المنير، ص ٢٣١ (رغف).

٢. راجع: معاني الأخبار، ص ٣٣ـ٣٥، ح ٤.

القتل، أو إرادة القتل من الطرفين؛ إذ لا إثم على المقتول غير المريد للقتل.

و أمّا ما ورد في بعض الأخبار من أنّ المتسابّين، البادي منهما أظلم، وزره و وزر صاحبه عليه،[١] فمع أنّه قد تحقّق العصيان فيه من كليهما، مورده حصول القصد من كلا الطرفين، و ليس مورد الآية كذلك، فالمراد من الإثم سائر المعاصي، كما ورد في عدّة أخبار أنّ معاصي المظلوم تحمل على الظالم، فيطالب بها يوم القيامة.[٢]

إن قلت: إنّ حمل أوزار المقتول على القاتل ينافي قوله تعالى: ﴿وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ﴾،[٣] و قد ذكرت هذه الجملة في الكتاب العزيز في خمسة مواضع، و قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعىٰ﴾[٤]. و قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً و لا تُجْزَوْنَ إِلَّا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٥]، و قوله تعالى: ﴿ذٰلِكَ جَزَيْناهُمْ بِما كَفَرُوا وَهَلْ نُجازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾،[٦] و غير ذلك من الآيات.

قلت: في ترتّب المجازاة الأُخرويّة على الأعمال الدنيويّة من الحسنات و السيّئات وجوه و أقوال:

منها: أنّ ذلك ـ، أي الثواب و العقاب الأُخرويان ـ من الآثار الوضعيّة التكوينيّة للأفعال المتحصّلة في الدنيا، كالغذاء المضرّ و الدواء النافع، فيورث الفعل الحسن أو السيّء حالة مستعدّة في النفس، تتحقّق لها الفعليّة في عالم الآخرة بصورة الثواب و التلذّذ بالنعم، أو بصورة العقاب و الألم.

و منها: أنّ ذلك حكم جعلي تشريعي، كالعقوبات و الحدود و التعزيرات الدنيويّة، فإنّها أحكام تشريعيّة عقلائيّة بنى العقلاء عليها حفظاً لنظام الاجتماعات عن اختلاله و وقوع الهَرْج[٧] و المَرْج[٨] فيه، فالمجازات الأُخرويّة حكم الهي تشريعي بتلك المثابة.

---

١. الكافي، ج ٢، ص ٣٢٢، ح ٣، و ص ٣٦٠، ح ٤. ٢. راجع: كنز العمال، ج ٣، ص ٥٠٦، ح ٧٦٤٢ ـ ٧٦٤٤.

٣. الأنعام (٦): ١٦٤؛ الإسراء (١٧): ١٥؛ فاطر (٣٥): ١٨؛ الزمر (٣٩): ٧.

٤. النجم (٥٣): ٣٩. ٥. يس (٣٦): ٥٤.

٦. سبأ (٣٤): ١٧.

٧. الهَرْجُ: الفتنة، و الاختلاط، و القتل. راجع: الصحاح، ج ١، ص ٣٥٠ (هرج).

٨. المرج: الخلط، و الفتنة المشكلة، و الفساد. راجع: لسان العرب، ج ٢، ص ٣٦٥ (مرج).

فعلى الوجه الأوّل ترتّب جزاء سيّئات المقتول على القاتل غير ممكن عند العقل، كعدم انتقال الصفات النفسيّة للمقتول و عوارض جسده إلى قاتله.

و أمّا على الثاني فهو ممكن؛ إذ لا مانع عند العقل و لا قبح عند العقلاء في إلزام القاتل على تحمّل حقوق المقتول ممّا كان عليه من قبل الناس، أو من قبل الله تعالى، و عليه فتكون الأخبار الدالّة على حمل القاتل أوزار المقتول مؤيّدة للوجه الثاني، و حينئذ فيحسب وزر المقتول وزراً لقاتله، و سعيه في القتل سعياً في نقل أوزاره إلى نفسه و كون عمله عملاً له. فيندرج في مفاد الآيات التي استدلّ بها المستشكل.

ثمّ إن إرادة المقتول تحمّل أخيه إثمه مع إثمه ليس من قبيل إرادة أن يكون أخوه ظالماً قاتلاً للنفس المحقونة؛ ليستشكل عليه بأنّه كيف أراد الأمر المنكر و أحبّه مع أنّه كان من المتّقين؟ و لا من قبيل تسليم النفس للقاتل ظلماً؛ لينكر أيضاً بأنّه انظلام قبيح و ترك للدفاع عن النفس، و هو واجب.

بل الظاهر من فحوى الكلمات و أخبار الباب أنّ أمره كان دائراً بين المحذورين: إمّا أن يتهيّأ لقتل أخيه، فيرصد له و يقتله قبل أن يصل أخوه إليه من جهة عمله بأنّه قد أراد قتله لا محالة، و هذا قصاص قبل تحقّق الجناية حرام.

و إمّا أن يترك ذلك، و يكل الأمر إلى الله تعالى، و يتحفّظ على نفسه مهما تيسّر، فإن لم يقدر عليه فقتل، كان معذوراً عند ربّه مظلوماً، و هذا أيسر الطريقين عند العقل و الشرع، فاختار ذلك، و عمل بما هو الوظيفة له، و هذا معنى قوله: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾.

و قوله: ﴿فَتَكُونَ﴾ أي فينتج لك ذلك دخول النار و صيرورتك من أصحابها.

و قوله: ﴿وَذٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾. أي النار جزاء الظالمين، و الظالم و إن كان مطلقاً شاملاً للظالم بنفسه و غيره و للظالم في العقائد و الصفات النفسيّة و الأعمال الجوارحيّة، إلّا أنّ الظاهر أنّ القضيّة ليست كليّة ملحوظة فيها أبعادها الثلاثة، بل هي أشبه بالمهملة، و المتيّقن منها الظلم للغير بقتل و نحوه بقرينة المقام و المورد.

و قوله: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾. قد يقال: إنّ مقتضى الفرق بين الإفعال و التفعيل ـ بدلالة الهيئة في الأوّل على دفعيّة وقوع المادّة و [في] الثاني على تدريجيّته ـ أن يكون المراد أنّ ترخيص النفس للقتل و تسهيله قد وقع تدريجاً و بعد مدّة من حصول الوساوس و تصوّر المحاذير و ملاحظة عاقبة الأمر، ثمّ العزم و الإرادة، و هذا ليس ببعيد من عمل الإنسان، خاصّة في ما كان أمراً هامّاً بدويّاً غير مسبوق بوقوع الأمثال و حصول التجارب. و يمكن كون «طوّعت» فعلاً لازماً، و المعنى: أطاعت له نفسه في قتل أخيه.[1]

قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾. أي بعثاً تكوينيّاً إلهاميّاً بإيداع تلك الغريزة في ذاته؛ حيث إنّه حيوان بحّاث في الأرض نبّاش؛ لأن يجد فيها ما يرتزق به، أو يدفن فيها رزقه، و هذا كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً...﴾[2]، أو بعثاً إراديّاً بتعليمه ذلك؛ ليعلّمه القاتل، كقول الهدهد لسليمان: ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[3].

ثمّ إنّ الظاهر أنّ البحث في المورد كان لدفن الغراب الذي قاتل صاحبه،[4] فقتله، كما يظهر من الرواية،[5] و إن أمكن إرادة مجرّد البحث؛ لالتفات القاتل بذلك إلى لزوم الدفن.

و قوله: ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي﴾. أي ليريه الله ذلك، أو ليريه الغراب. و على الثاني فالمراد: ليقع روية القاتل عليه من غير قصد بذلك من الغراب، فاللام للعاقبة، أو ليعلّمه ذلك، فكان الأمر بنحو الإعجاز بناء على القسمين المذكورين في البعث، فالبعث و البحث و الإراءة متلازمات في الحمل على التكوين و الإعجاز.

قوله: ﴿سَوْأَةَ أَخِيهِ﴾. إطلاق السوأة إمّا لكونه عرياناً لا ثوب عليه، أو لكونه مقتولاً

---

١. هذا شيء استنبطه العلّامة الطباطبائي ﷺ من كلام الراغب. راجع: المفردات للراغب، ص ٥٢٩ ـ ٥٣١ (طوع)؛ الميزان، ج ٥، ص ٣٠٦.

٢. النحل (١٦): ٦٨.

٣. النمل (٢٧): ٢٢.

٤. في الأصل: «تقاتلا» بدل «قاتل صاحبه»، و الصحيح ما أثبتناه.

٥. راجع: تفسير القمّي، ج ١، ص ١٦٦. و نقله عن الأصمّ في مجمع البيان، ج ٣، ص ٣١٨.

بنحو فضيع كان يكره قائله أن يراه أحد، أو لحدوث التعفّن فيه ببقائه أيّاماً.

قوله: ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ...﴾. هذا دعاء على نفسه بطلب الهلاك؛ فإنّ الويل الهلاك، و قد يستعمل عند التحسّر، [١] و كيف كان، يدلّ على كثرة تحمّله التعب في إخفاء جنازة أخيه و عدم وجدانه سبيلاً إليه، فتأسّف عند تنبّهه و تعلّمه عن الغراب.

و في الكلام أيضاً دلالة على كون المراد من آدم و ابنيه المذكورين في هذه القصّة هو آدم المصطفى و ابناه المعروفان بهابيل و قابيل، لا الذين ادّعي كونهم من طائفة بني إسرائيل، [٢] و إلّا فكيف يجهل القائل كيفيّة دفن الميّت؟ و الاستفهام في ﴿أَعَجَزْتُ﴾ إنشائي بداعي التحسّر أو التعجّب.

و قوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾. هل المراد بندمه الندم على ذنبه و جرأته على ربّه، و كلّ ندم توبة، فهو تائب، و كلّ تائب مغفور له؟ أو المراد ندمه على عمله؛ لاستتباعه مشقّة كثيرة و بغض والديه و سائر أرحامه و أقربائه، أو لاستلزامه عدم نيله بما أراده بقتل أخيه من حيازة مقامه و تزويج زوجته.

و بالجملة ندمه على ما فاته من أمور دنياه و شهوات نفسه، لا ما أصابه من جرأته على الربّ تعالى و عصيانه و طغيانه، وجهان:

فمن تفسير العيّاشي عن زرارة، عن أبي جعفر ﷺ قال: ذكر ابن آدم القابيل، [٣] قال: فقلت له: ما حاله؟ أمن أهل النار هو؟ فقال «سبحان الله، الله أعدل من ذلك أن يجمع عليه عقوبة الدنيا و عقوبة الآخرة» [٤].

إلّا أنّه يظهر من الروايات شدّة شقائه و عدم توبته، [٥] بل قد روي أنّه قد هيّأ بعد ذلك

---

١. راجع: المفردات للراغب، ص ٨٨٨؛ لسان العرب، ج ١١، ص ٧٣٨ (ويل).

٢. ادّعاه الحسن و الجُبّائي و أبو مسلم. راجع: التبيان، ج ٣، ص ٤٩٩؛ مجمع البيان، ج ٣، ص ٣١٨.

٣. في المصدر: «قاتل».

٤. تفسير العيّاشي، ج ١، ص ٣١١، ح ٨١.

٥. راجع: الكافي، ج ٦، ص ٤٣١، ح ٣؛ تفسير العيّاشي، ج ١، ص ٣٠٩، ح ٧٨؛ مستدرك الوسائل، ج ٨، ص ١٤٦، ح ٩٢٥٣.

بوسوسة الشيطان محلاً للنار، و جعله معبداً، فعبدها رجاء أن تقبل قربانه،[١] و أنّه ملعون إلى يوم القيامة[٢] و أنّ كلّ دم أُهريق بغير حقّ و يهراق إلى يوم القيامة، فله من إثمه و عقابه نصيب.[٣]

ثمّ إنّه يظهر من هذه الآيات تشريع عدّة من الأحكام الشرعيّة في تلك الأزمنة، و أنّهم كانوا عارفين بها، معتقدين عليها، متعبّدين بها:

منها: وجوب الاعتقاد بالتوحيد.

و منها: مطلوبيّة التقرّب إليه تعالى بالعمل القربي.

و منها: اشتراط التقوى في قبول الأعمال العباديّة.

و منها: حرمة قتل النفس بغير حقّ.

و منها: انتقال ذنوب المقتول و آثامه إلى القاتل.

و منها: وجوب الإذعان بيوم المعاد.

و منها: أنّ جزاء الظالم النار في الآخرة.

[ذكر إشكالين هامّين و الجواب عنهما]

و قوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾. قد استشكل على ظاهر الآية بأمرين:[٤]

الأوّل: أنّ الظاهر رجوع الإشارة إلى الحادثة الواقعة بين ابني آدم، و أنّ ظاهر الكتابة هو الإيجاب و التشريع، كما هو مقتضى تعديتها بـ«على»، و حينئذ نقول: أيّ رابطة و تسبّب بين وقوع تلك الحادثة في عصر آدم النبيّ و بين تشريع الحكم بالتساوي؛ أعني تساوي قتل نفس واحدة و من في الأرض جميعاً و كتابته على بني

---

١. راجع: علل الشرائع، ج ١، ص ٣، الباب ٢، ح ١.

٢. راجع: تفسير العيّاشي، ج ١، ص ٣١١، ح ٨٠.

٣. راجع: قصص الأنبياء للراوندي، ص ٧٥، ح ٥٤؛ بحار الأنوار، ج ١١، ص ٢٤٣، ح ٣٤.

٤. راجع: تفسير الرازي، ج ١١، ص ٢١١؛ الميزان، ج ٥، ص ٢٩٩ و ٣٠٠.

إسرائيل؛ فإنّ قبح ذلك و فساده يقتضي تشريع التحريم مطلقاً منذ وقوع الحادثة إلى الأبد و في جميع الشرايع و في متن الدين الإلهي المستمرّ في الأزمنة، لا لخصوص بني إسرائيل؟

الثاني: أنّه كيف حكم باستواء قتل النفس الواحدة و قتل جميع الناس؟ و هل تلك التسوية لوحظت في الحكم التكليفي؛ أعني الحرمة، أو في الآثار الوضعيّة الدنيويّة الراجعة إلى خصوص القاتل من القصاص أو الدية، أو في الآثار الراجعة إلى الاجتماع البشري من فوت منافع وجود المقتول من حفظ عائلته و منافعه الواصلة منه إلى مجتمعه، أو في الآثار الأُخرويّة و العقاب في النار، أو في جميع تلك الآثار؟

و بالجملة كيف يمكن عند العقل تحقّق التساوي بين قتل نفس و نفسين فضلاً عن تساوي نفس و جميع من في الأرض؟

و **الجواب عن الأوّل** يتّضح بتقديم أُمور:

الأوّل: ملاحظة حال الحادثة الواقعة ـ ؛ أعني القتل عدواناً و بغير حقّ ـ مع ملاحظة علل وقوعه و أسباب حدوثه من حبّ الجاه و المال و حبّ النساء و الحسد و التكبّر عن قبول الحقّ و غيرها من رذائل الصفات التي كانت في القاتل.

الثاني: ملاحظة ابتلاء بني إسرائيل بأكثر تلك الصفات و أسباب تلك الحادثة و وقوع نظائر الحادثة فيهم، كما يشهد به قوله تعالى: ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾[1]، و قوله: ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾[2] و قوله: ﴿وَ قَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾.[3]

الثالث: أنّ المراد بالكتابة هنا البيان و الإعلام، و تعديته بـ«على» بلحاظ أنّ فيه مشقّة و صعوبة عليهم.

و الدليل عليه أنّ ما أُشير إليه في الآية ـ و هو تساوي قتل الواحد مع قتل الكلّ،

---

١. النساء (٤): ١٦١. ٢. المائدة (٥): ٦٢ و ٦٣.

٣. آل عمران (٣): ١٨١؛ النساء (٤): ١٥٥.

الظاهر في إرادة التساوي في المفسدة، أو العقاب الأُخروي ـ ليس من قبيل الأحكام الإنشائيّة القابلة للجعل، بل هو راجع إلى مرتبة العلل و الأسباب؛ أعني المفاسد و المصالح، و هي أُمور تكوينيّة تابعة لتحقّق أسبابها تكويناً، فمعنى كتابة ذلك على بني إسرائيل بيانها لهم بياناً كان فيه[١] عليهم شاقّاً؛ لأنّه نحو تشديد في التكليف.

الرابع: أنّ الأمر المذكور في الآية ـ ؛ أعني تماثل قتل الواحد و قتل الجميع في المفسدة ـ أمر واقعيّ على ما عرفت، غير مرهون الوجود بعصر و زمان، و الواجب عقلاً على الحكيم العالم بالمصالح و المفاسد هو جعل الحكم التكليفي المناسب للملاك و إبلاغه على العباد، و أمّا بيان نفس الملاك و المناط فلا يجب عليه، نعم له البيان و الإعلام أحياناً؛ لغرض خاصّ، كالحثّ على العمل، أو الردع عن الارتكاب.

إذا عرفت ما ذكر، فمعنى الآية أنّ تلك الحادثة ـ ؛ أعني القتل ظلماً مع ملاحظة عللها الموجبة لوقوعها و ملاحظة تحقّق تلك العلل في بني إسرائيل المقتضية لتكرّر مسبّبها فيهم ـ أوجبت أن نكتب في التوراة و نبيّن مفسدة من مفاسدها؛ لينتهوا و يزدجروا، و إن كان ذلك لم يقع مؤثّراً في نفوسهم؛ حيث إنّه جاءتهم رسلنا بالبيّنات، ثمّ إنّ كثيراً منهم ذلك قد أسرفوا في القتل.

و الحاصل أنّ الآية تفيد اختصاص كتابة هذه المفسدة و بيان الفلسفة ببني إسرائيل، و أمّا الحكم الإلهي المسبّب عن هذه العلّة فهو حكم عامّ لجميع الأُمم و الملل.

و الجواب عن الثاني: أنّه لا إشكال في عدم تساوي الأمرين في الحرمة، و لا في أثر الوضعي الدنيوي، و لا في العقاب الأُخروي.

و حينئذ فقد قيل في توجيه المراد من الجملة وجوه:

أوّلها: أنّ المراد: من قتل نبيّاً أو إماماً في عصر من الأعصار، فكأنّما قتل جميع الناس الموجودين في ذلك العصر، فالمعصوم تساوى نفسه نفس جميع من عاصره، كما أنّ من أحيا نبيّاً أو إماماً بإنجائه من موت أو قتل، فكأنّما أحيا جميع من عاصره، و

---

١. كذا في الأصل.

التشبيه حينئذ في الجزاء الأُخروي من العقاب و الثواب.[١]

و هذا الجواب لا دليل على بطلانه، كما أنّه لا دليل على صحّته مع قطع النظر عن الآية، و الآية مجملة من هذه الجهة، غير ظاهرة فيه.

ثانيها: أنّ المراد: من قتل نفساً، فسنّ بذلك قتل النفس في المجتمع البشري، فقتل في جَراء[٢] ذلك ألف نفس مثلاً، فكأنّما قتل جميع أُولئك الألف في استحقاق العقاب الأُخروي، كما أنّ من أحيا إنساناً من موت أو قتل، و سنّ ذلك في الاجتماع، فكأنّما أحيا جميع من تسبّب به لحياته فالمراد من الناس في الجملتين الذين قتلوا بسنّته و الذين أحيوا بها.[٣]

و قد روى عن النبيّ ﷺ: «من سنّ سنّة حسنة فله أجر من عمل بها، و من سنّ سنّة سيّئة فله وزر من عمل بها».[٤]

ثالثها: أنّ المراد هو التساوي و سنخ العذاب الأُخروي و الدخول في محلّ خاصّ من النار و نار مخصوصة، يرد فيها كلّ من قتل نفساً ظلماً، لا أنّهم يستوون في كيفيّة العذاب و كميّته.[٥]

و قد ورد بهذا المضمون روايات، فعن الفقيه عن أبي عبدالله ؑ في تفسير الآية قال: «هو واد في جهنّم، لو قتل الناس جميعاً كان فيه، و لو قتل نفساً واحدة كان فيه».[٦]

---

١. هذا الوجه نقل عن ابن عبّاس. راجع: التبيان، ج ٣، ص ٥٠١؛ مجمع البيان، ج ٣، ص ٣٢٢.

٢. يقال: فعلت ذلك من جَراك و جَرائك بالتخفيف، لغة في جرّاك، أي من أجلك. و المعنى: في أثر ذلك. راجع: تاج العروس، ج ٦، ص ١٨٢ (جرر)، و ج ١٩، ص ٢٨٢ (جري).

٣. هذا الوجه هو اختيار أبي عليّ الجبّائي و الطبري. راجع: جامع البيان، ج ٦، ص ٢٧٨؛ التبيان، ج ٣، ص ٥٠١؛ مجمع البيان، ج ٣، ص ٣٢٠.

٤. يشبه النقل بالمعنى. راجع: الفصول المختارة للشريف المرتضى ؒ، ص ١٣٦؛ سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٧٤، ح ٢٠٣؛ التبيان، ج ١، ص ١٨٧، و ج ٣، ص ٥٠٢؛ كنز العمّال، ج ١٥، ص ٧٨٠، ح ٤٣٠٧٩.

٥. قال به العلّامة الطباطبائي ؒ في الميزان، ج ٥، ص ٣٢٢. و هناك وجوه أُخر غير هذه الوجوه الثلاثة. فللتعرّف لها راجع: جامع البيان، ج ٦، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٨.

٦. الفقيه، ج ٤، ص ٩٤، ح ٥١٥٩.

و عن معاني الأخبار عن الباقر عليه السلام في تفسير الآية قال: «يوضع في موضع من جهنّم، إليه منتهى شدّة عذاب أهلها، لو قتل الناس جميعاً كان إنّما يدخل ذلك المكان، و لو قتل واحداً كان إنّما يدخل ذلك المكان». قلت: فإن قتل آخر؟ قال: «يضاعف عليه»[١].

و قوله: ﴿وَلَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُنا بِالْبَيِّناتِ...﴾. المراد منهم رسل بني إسرائيل و أنّهم مع تلك الوعيدات قد أسرفوا في القتل، بل في قتل الأنبياء.

---

١. معاني الأخبار، ص ٣٧٩، باب نوادر المعاني، ح ٢.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ○ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1].

الإيضاح

[قوله تعالى]: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ﴾. الآية مسوقة لبيان الجزاء الدنيوي و الأُخروي كليهما، و هي تدلّ على عدم سقوط الثاني باستيفاء الأوّل، و سيجيء الكلام فيه.

و المحاربة مع الله إمّا يراد بها الحرب الحقيقي بأخذ السلاح و نحوه، فالمراد المحاربة مع نبي أو إمام أو كلّ من يدافع عن دين الله و كتابه بترخيص من الشرع، أو يراد الحرب مجازاً، كعصيان الله جهاراً؛ فإنّه قد أُطلق عليه الحرب في الجملة، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ﴾،[2] أو مطلق معصية الله.

و الظاهر أنّ كلّ ما يصحّ إطلاق محاربة الله عليه، يصحّ إطلاق محاربة الرسول أيضاً.

و قوله: ﴿يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً﴾. أي مفسدين، أو للفساد، و المراد أنّهم يسعون في إفساد عقائد الناس، أو أخلاقهم، أو أعمالهم، أو بالإخلال بالأمن العامّ، أو المراد الإفساد في التجارات و إيجاد الاختلال في سوق المسلمين، أو سائر مصاديق الاقتصاد، أو غير ذلك ممّا يصحّ إطلاق الإفساد في الأرض عليه.

و قوله تعالى: ﴿أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ...﴾. تعدية القتل و الصلب و القطع

---

١. المائدة (٥): ٣٣ و ٣٤. ٢. البقرة (٢): ٢٧٩.

بواسطة باب التفعيل ـ مع كونها متعدّية بنفسها ـ لإفادة الشدّة إمّا في الحكم، فالوجوب هنا آكد، أو في الموضوع بتشديد في مقدّماته أو نفسه، أو بتسريع في ذلك.

و المراد بالقطع من خلاف ـ على ما توضحه الروايات[1] ـ أن يكون قطع كلّ من اليد و الرجل من خلاف الجانب الذي قطع منه الأُخرى، كاليد اليمنى مع الرجل اليسرى، أو العكس. و المراد بالنفي التبعيد من بلد إلى آخر.

ثمّ إنّ المستفاد من ظاهر الآية سببيّة كلّ واحد من الأُمور السابقة من أقسام المحاربة و الإفساد لترتّب الأُمور المذكورة جزاء بنحو التخيير، إلّا أنّ ما ورد من السنّة النبويّة ﷺ قولاً و عملاً و كذا الأخبار الصادرة من أئمّة أهل البيت عليهم السلام يقتضي عدم إرادة ذلك الظاهر على إطلاقه؛ فإنّه ﷺ لم يجر تلك الأُمور في حقّ المفسدين للعقائد و الأخلاق و العصاة في الأعمال و غيرهم، و حينئذٍ فينحصر السبب في المأخوذ في الحرب و في من أفسد الأمن العامّ، سواء في البلد، أو في خارجه، كقطّاع الطريق، و كذا يدخل فيه اللصّ الوارد في بيت و نحوه. و لازم ذلك انطباق عنوان محاربة الله و الرسول و الساعي في الأرض بالفساد على هؤلاء الأفراد، و لا بأس بذلك، كما يشهد به الخبر الآتي عن مولانا الرضا عليه السلام.

فعن الكافي عن مولانا الصادق عليه السلام قال: «كان أبي عليه السلام يقول: إنّ للحرب حكمين: إذا كانت الحرب قائمة لم تضع أوزارها،[2] و لم يُثخَنْ أهلها،[3] فكلّ أسير أُخذ في تلك الحال، فإنّ الإمام فيه بالخيار، إن شاء ضرب عنقه، و إن شاء قطع يده و رجله من خلاف بغير حَسْم،[4] و تركه يتشحّط في دمه[5] حتّى يموت، و هو قول الله تعالى:

---

١. لم نعثر على رواية توضيح ذلك، نعم قال به بعض المفسّرين، مثل الحسن و غيره. راجع: جامع البيان، ج ٩، ص ٣١؛ التبيان، ج ٤، ص ٥١٠؛ مجمع البيان، ج ٤، ص ٣٣٣، ذيل الآية ١٢٤ من سورة الأعراف (٧).

٢. أوزار الحرب و غيرها: أثقالها و آلاتها، واحدها: وِزْرٌ. تاج العروس، ج ٧، ص ٥٨٩ (وزر).

٣. «لم يُثخَنْ»، أي لم يُغلَب و يُقهَرْ، و لم يُثقَلْ بالجراح. راجع: لسان العرب، ج ١٣، ص ٧٧ (ثخن).

٤. الحسم: القطع. و يقال: حسم العرق، أي قطعه، ثمّ كوّاه؛ لئلّا يسيل دمه. لسان العرب، ج ١٢، ص ١٣٤ (حسم).

٥. «يتشحّط في دمه»، أي يتخبّط فيه، و يضطرب، و يتمرّغ فيه. النهاية، ج ٢، ص ٤٤٩ (شحط).

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ...﴾[١]».

و عن مولانا الباقر ﷺ في حديث: «و من شهر السلاح[٢] في مصر من الأمصار،[٣] و ضرب و عَقَرَ[٤] و أخذ المال و لم يقتل، فهو محارب، فجزاؤه جزاء المحارب، و أمره إلى الإمام»[٥] إلى آخره.

ثمّ إنّ التخيير بين تلك الأربع و إن كان ظاهر بعض الأخبار[٦] إلّا أنّه تفسّره أخبار أخر و تبيّن أنّ كلّ واحد منها جزاء لأمر خاصّ، فعن مولانا الرضا ﷺ سئل [عن][٧] قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ...﴾: فما الذي إذا فعله استوجب واحدة من هذه الأربع؟ فقال ﷺ: «إذا حارب الله و رسوله، و سعى في الأرض فساداً، فقتل، قتل به، و إن قتل و أخذ المال، قتل و صلب، و إن أخذ المال و لم يقتل قطعت يده و رجله من خلاف، و إن شهر السيف، و حارب[٨] الله و رسوله، و سعى في الأرض فساداً، و لم يقتل، و لم يأخذ المال، نفي من الأرض».[٩]

ثمّ إنّ ظاهر الآية بيان نفس الحدّ الواجب و تشريع الحكم الجزائي على المحارب، و لا تعرّض فيها على من يجريه، إلّا أنّه لا إشكال في أنّه ليس من الأمور العامّة و داخلاً تحت عنوان المعروف الذي أذن الشارع في فعله لكلّ أحد، بل هو من الأمور التي ينبغي إرجاعه إلى الحكّام، و يرجع فيها كلّ ملّة إلى رئيسهم، فالأمر في ذلك إلى الإمام العدل في حال حضوره، و في حال الغيبة، كزماننا هذا، فهو على المنصوب العامّ من قبله إن قلنا بوجود المنصوب، و قد أُشير إليه في الخبر الأوّل الذي مرّ آنفاً. و في

---

١. الكافي، ج ٥، ص ٣٢، ح ١.
٢. «شهر السلاح»، أي أبرزه. راجع: النهاية، ج ٢، ص ٥١٥ (شهر).
٣. في المصدر: «في غير الأمصار».
٤. يقال: عقره، أي جرحه. و عقر البعير بالسيف، أي ضرب قوائمه به. المصباح المنير، ص ٤٢١ (عقر).
٥. الكافي، ج ٧، ص ٢٤٨، ح ١٢.
٦. مضت تلك الأخبار قبيل هذا.
٧. ما بين المعقوفتين أضفناه من المصدر.
٨. في المصدر: «فحارب».
٩. الكافي، ج ٧، ص ٢٤٦ و ٢٤٧، ح ٨.

صحيحة بريد بن معاوية قال: سألت أبا عبدالله ﷺ عن قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾، قال: «ذلك إلى الإمام، يفعل [به][1] ما يشاء»، قلت: فمفوّض ذلك إليه؟ قال: لا، و لكن نحو الجناية[2]».[3]

قوله: ﴿ذٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا...﴾. يستفاد منها عدم سقوط عذاب الآخرة بإجراء المجازاة الدنيويّة، لكن في بعض الأخبار: «إنّ الله تعالى أجلّ شأناً من أن يعاقب عبده بذنب واحد مرّتين».[4]

و يمكن أن يقال هنا: إنّ المحارب على ما فصّلناه على أقسام، فمنهم كافر، و منهم مسلم، فإنّ الذي يحارب النبيّ و الإمام لا إشكال في كونه باغياً محكوماً بالكفر، فإذا توفّي عليه بلا توبة، عذّب بجميع ذنوبه، و أمّا المحارب الذي لم يحكم بكفره فكاللصّ[5] و قاطع الطريق.

قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا...﴾. و التوبة حينئذٍ تسقط حكم لزوم القتل لعلّة المحاربة، و أمّا القتل قصاصاً عن دم المقتول فهو غير ساقط بالتوبة، كضمان المال، بل الحكم فيه راجع إلى وليّ الدم، فإمّا أن يقتل، أو يعفو، أو يأخذ الدية.

و هذا بخلاف التوبة بعد القدرة؛ فإنّها لا تسقط القتل، فلو عفا وليّ الدم، قتله الإمام للحرب، و بالجملة التوبة قبل القدرة تسقط القتل و الصلب في الجملة، و تسقط القطع من خلاف و النفي من الأرض، و يبقى ضمان المال مطلقاً و القتل قصاصاً إذا اختاره وليّ الدم، فقوله: ﴿أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يشمل غفران الذنب الدنيوي أيضاً.

---

١. ما بين المعقوفتين أضفناه من المصدر.

٢. في مرآة العقول، ج ٢٣، ص ٣٨٣: «لا ينافي هذا الخبر القول بالتخيير؛ إذ مفاده أنّ الإمام يختار ما يعلمه صلاحاً بحسب جنايته، لا بما يشتهيه. و به يمكن الجمع بين الأخبار المختلفة».

٣. الكافي، ج ٧، ص ٢٤٦، ح ٥.

٤. يشبه النقل بالمعنى؛ فإنّه روي بألفاظ شتّى. راجع: الكافي، ج ٢، ص ٤٤٣، ح ١؛ المعجم الأوسط للطبراني، ج ٥، ص ٢٨١.

٥. في الأصل: «كاللصّ» بدون الفاء، و الصحيح ما أثبتناه.

قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسيلَةَ وَجاهِدُوا في سَبيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ○ إِنَّ الَّذينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَميعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذابِ يَوْمِ الْقِيامَةِ ما تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذابٌ أَليمٌ ○ يُريدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النّارِ وَما هُمْ بِخارِجينَ مِنْها وَلَهُمْ عَذابٌ مُقيمٌ﴾[1].

اللغة

قال الراغب: الوسيلة: «التوصّل إلى الشيء برغبة، فهي[2] أخص من الوصيلة؛ لتضمّنها معنى[3] الرغبة»[4] إلى آخره. و المجاهدة: تحمّل المشقّة، أو تحميل الأمر على النفس طوعاً أو كرهاً.[5] و الافتداء بالشيء: استنقاذ النفس به من المكروه.[6]

البيان

قوله: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا...﴾. ملاك الخطاب عامّ و إن كان نفسه خاصّاً بالمؤمنين.

و التقوى في غالب موارده يستعمل في التحفّظ ذات الأبعاد الثلاثة؛ أعني التقوى و الاعتقادي و الأخلاقي و العملي.

---

١. المائدة (٥): ٣٥_٣٧.

٢. في المصدر: «و هي».

٣. في المصدر: «لمعنى».

٤. المفردات للراغب، ص ٨٧١ (وسل).

٥. في اللغة: الجهد بالفتح و الضمّ: الطاقة و المشقّة، و قيل: الجهد بالفتح: المشقّة، و بالضمّ: الوسع. و الاجتهاد: أخذ النفس ببذل الطاقة و تحمّل المشقّة. و الجهاد و المجاهدة: استفراغ الوسع في مدافعة العدوّ. راجع: المفردات للراغب، ص ٢٠٨؛ تاج العروس، ج ٤، ص ٤٠٧ (جهد).

٦. راجع: تاج العروس، ج ٢٠، ص ٤٢ (فدي).

و المراد بابتغاء الوسيلة هو طلب كلّ طريق يوصل الطالب إليه تعالى من عقائد صحيحة و صفات فاضلة و أعمال صالحة.

و حينئذ يكون الفرق بين الجملة الأُولى و الثانية أنّ متعلّق الأمر في الأُولى هو ترك القبائح و الرذائل في مراحلها الثلاث و تخلية الباطن و الظاهر من القذارات المعنويّة و تصفيتها، و في الثانية هو أخذ المحاسن و الفواضل في مراحلها الثلاث و تحلية الباطن و الظاهر بحلية الكمالات الإنسانيّة و الصفات الجماليّة العقلانيّة.

و حيث إنّ كلتا الجهتين تحتاجان إلى المجاهدة الأكيدة و الجهاد الأتمّ و تحمّل مرتبة الصبر، أُضيفت إليهما الجملة الثالثة، و هي قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾، أي و تحمّلوا المشاقّ في العمل بالتقوى و ابتغاء الوسيلة، و هما المرادان من السبيل المنسوب إلى الله.

قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. استعمال كلمة «لعلّ» في كلامه تعالى لإفادة الترجّي الإنشائي بداعي بيان المطلوبيّة، فكأنّه قال: أنا أطلب فلاحكم، و المراد بالفلاح الفوز و الظفر بالبغية[1] و النَّجاح[2] في السعي، و يشمل السعادة الدنيويّة و الأُخرويّة.

ثمّ إنّ الأوامر الأربعة ـ؛ أعني الأمر بالتقوى و ابتغاء الوسيلة و الجهاد و الفلاح ـ كلّها أوامر إرشاديّة، نظير قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾؛[3] فإنّ التقوى عنوان كلّي لترك المحرّمات، و ابتغاء الوسيلة عنوان لفعل الواجبات و المندوبات، و الجهاد عنوان أعمّ منهما، و كذا الفلاح، و كلّها عناوين محسّنة يحكم العقل بلزومها نظير عنوان الطاعة.

و قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى آخر الآيتين مسوق لبيان أنّ السبب في فلاح الإنسان في دنياه و عقباه ينحصر في الأمرين اللذين أوجبنا الجهاد في تحصيلهما، و

---

١. البغية، بالكسر: الحاجة التي تبغيها، أي تطلبها، و ضمّها لغة. و قيل: بالكسر الهيئة، بالضمّ الحاجة. المصباح المنير، ص ٥٧ (بغي).

٢. النجاح: الظفر بالشيء. لسان العرب، ج ٢، ص ٦١١ (نجح).

٣. النساء (٤): ٥٩؛ المائدة (٥): ٩٢؛ النور (٢٤): ٥٢؛ محمّد ﷺ (٤٧): ٣٣؛ التغابن (٦٤): ١٢.

إن لم يحصّلهما أو أحدهما الإنسان، وفات ذلك منه في الدنيا، لم يمكن الاستدراك في الآخرة و لو بذل ما بذل.

و حيث إنّ فوت الأمرين ذو مصاديق كثيرة ـ بعضها مستلزم للكفر، كفوت التقوى و الوسيلة الاعتقاديّين، و بعضها مستلزم للفسق، كفوت التقوى و الوسيلة الخُلقيين أو العمليين، و قد يمكن تحقّق الفلاح الأُخروي لمن فاتا عنه بوسيلة الشفاعة و شمول مغفرة الرحمان ـ قيّد اليأس عن الفلاح بتحقّق عنوان الكفر فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى آخره.

قوله: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾. يشمل الموصول نفس الأرض؛ أعني هذه الكرة الجوالّة الدائرة حول الشمس؛ أعني سطحها القابل للسكنى فيه، و يشمل مياهها من الأنهار و البحار، و يشمل النبات و الأشجار و المعادن و جميع الحيوان، بل و من عليها من الإنسان بأن يكونوا عباداً له، أو جنداً و عسكراً، أو ولداً له ذُكْراناً و إناثاً، أو أحبّاء أعواناً و أنصاراً.

و بالجملة لو فرضنا إنساناً مالكاً لما ذكرنا و سلطاناً كما ذكرنا، و أُضيف إليه مثله؛ ليفتدي به و يستخلص به نفسه، لم يكن ذلك منه مقبولاً، و يتنجّز في حقّه العقاب.

قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ﴾. يدلّ على الخلود، نظير كلمة «الخالد». و المقيم: هو الدائم أيضاً.

قوله تعالى : ﴿وَالسّارِقُ وَالسّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما جَزاءً بِما كَسَبا نَكالاً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزيزٌ حَكيمٌ ○ فَمَنْ تابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحيمٌ ○ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَاللهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ﴾[1].

البيان

قوله: ﴿السّارِقُ وَالسّارِقَةُ﴾. تقديم الذكور هنا، أي آية السّرقة، و الإناث في قوله تعالى: ﴿الزّانِيَةُ وَالزّاني فَاجْلِدُوا...﴾[2]، و هي آية الزنا، جرى على مقتضى الغلبة المولودة عن اختلاف حال الرجال و النساء؛ إذ مقتضى السرقة فيه أشدّ، و تحقّق الزنا من جانبها أيسر؛ لتوقّفه في الغالب على إرادتها.

و الوصفان مطلقان شاملان لكلّ إنسان صدر منه فعل السّرقة، خرج منه ما خرج بالدليل، كالصبيّ و المجنون و المُكْرَه و الجاهل بالحكم أو الموضوع، و نحو ذلك ممّا بيّن في محلّه.

[زمام الأمور العامّة بيد ولاة الأمر و حكّام الأمّة]

قوله : ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما﴾. ظاهر الخطاب أنّه متوجّه إلى جميع الناس بنحو الوجوب الكفائي، فلكلّ أحد إجراء ذلك الحدّ لمن ارتكب ذنب السّرقة، إلّا أنّه لا إشكال في عدم كون ذلك مراداً؛ إذ إحالة هذه الأمور ممّا يرجع فيه كلّ قوم إلى رئيسهم.

---

١. المائدة (٥): ٣٨ ـ ٤٠.
٢. النور (٢٤): ٢.

و بعبارة أُخرى: [إحالة] الأُمور العامّة ـ غير المأخوذة بها شخص خاصّ، أو صنف خاصّ ـ إلى جميع المكلّفين يستلزم نوعاً من الهَرْج[١] و المَرْج[٢] و اختلال النظام و إثارة البغضاء و العداوة في المجتمع، كما في سائر أقسام الحدود و التعزيرات و في بعض مراتب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و كما في أخذ الوجوه الماليّة من أربابها و صرفها في مصارفها و غير ذلك. فالأمر متوجّه إلى ولاة الأمر و حكّام الأُمّة و زعمائها المتصدّين لأُمورها؛ أعني النبيّ الأعظم و الأئمّة من بعده و المنصوبين من قبلهم نصباً خاصّاً أو عامّاً.

و الاستشكال في جواز تصدّي نوّاب الإمام في عصر الغيبة و عدمه بحث فقهي لا يناسب المقام، إلّا أنّه إذا قلنا ببقاء شرع النبيّ ﷺ إلى يوم القيامة، فلازمه بقاء ما يكون حافظاً لحدوده و ثغوره من تعيين النوّاب و إحالة هذه الأُمور إليهم.

قوله: ﴿أَيْدِيَهُمَا﴾. أي أيدي السارق و السارقة. و القطع المأمور به كما يحصل بقطع اليد الواحدة من كلّ سارق و سارقة، كذلك يحصل بقطع كلتيهما، إلّا أنّ المراد الأوّل.

ثمّ إنّ المراد باليد هنا هل هي الأنامل؛ لإطلاق اليد عليها، كما في قولك: «كتبت بيدي»، أو الأصابع، أو مجموع الكفّ فالقطع من المفصل، أو ما دون المرفق فالقطع من المرفق، أو ما دون المَنْكِب فالمقطع من المنكب؟ وجوه لا دلالة في الآية على أحدها بالخصوص، فظاهرها جواز كلّ ذلك و كفايته في الامتثال، إلّا أنّ الوارد في أحاديث الباب يعيّن المراد و أنّ الواجب هو قطع الأصابع الأربع من أُصولها وترك الكفّ؛ ليسجد بها لربّه. و كذلك لا دلالة في الآية على نصاب القطع، لكنّ الرواية تعيّنه.

فعن تفسير البرهان في ذيل الآية عن التهذيب عن أبي إبراهيم ﵇ قال: «تقطع يد السارق و يترك إبهامه و راحته،[٣] و تقطع رجله و يترك عَقِبُهُ يمشي عليها».[٤]

---

١. الهَرْجُ: الفتنة، و الاختلاط، و القتل. راجع: الصحاح، ج ١، ص ٣٥٠ (هرج).

٢. المرج: الخلط، و الفتنة المشكلة، و الفساد. راجع: لسان العرب، ج ٢، ص ٣٦٥ (مرج).

٣. في التهذيب: «و صدر راحته».

٤. تهذيب الأحكام، ج ١٠، ص ١٠٣، ح ٣٩٩. و عنه في البرهان، ج ٢، ص ٢٩٥، ح ٣٠٨٦.

و عن تفسير العيّاشي في حديث طويل نقله عن ابن أبي داود المفتي قال: إنّ سارقاً أقرّ على نفسه بالسَرقة، و سأل الخليفة (المعتصم) تطهيره بإقامة الحدّ عليه، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه، و قد حضر محمّد بن علي ﷺ. فسألنا عن القطع، في أيّ موضع يجب أن يقطع؟ قال: فقلت: من الكُرْسُوع.[١] [قال: و ما الحجّة في ذلك؟ قال: قلت: لأنّ اليد هي الأصابع و الكفّ إلى الكرسوع؛][٢] لقول الله في التيمّم: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾[٣]، و اتّفق معي على ذلك قوم.

و قال آخرون: بل يجب القطع من المرفق. قال: و ما الدليل على ذلك؟ قالوا: لأنّ الله لمّا قال: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾[٤] في الغسل، دلّ ذلك على أنّ حدّ اليد هو المرفق.

قال: فالتفت إلى محمّد بن علي فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟ فقال: «قد تكلّم القوم فيه يا أميرالمؤمنين». قال: دعني بما تكلّموا به، أيّ شيء عندك؟ قال: «اعفني عن هذا يا أمير المؤمنين». قال أقسمت عليك بالله لمّا أخبرت بما عندك فيه، فقال: «أمّا إذا أقسمت عليّ بالله أنّي أقول: إنّهم أخطأوا فيه السنّة؛ فإنّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع، فتترك الكفّ». قال: و ما الحجّة في ذلك؟ قال: «قول رسول الله ﷺ: السجود على سبعة أعضاء: الوجه، و اليدين، و الركبتين، و الرجلين، فإذا قطعت يده من الكُرْسُوع أو المرفق، لم يبق له يد يسجد عليها، و قال الله تبارك و تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾؛ يعني [به][٥] هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها، ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[٦]، و ما كان لله لم يقطع».

قال: فأعجب المعتصم ذلك، فأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكفّ. قال ابن أبي داود: قامت قيامتي، و وددت[٧] انّي لم أكُ حيّاً.[٨] إلى آخره.

---

١. الكُرْسُوع: طرف الزَنْد الذي يلي الخنْصِر، و هو الناتئ عند الرُسْغ. الصحاح، ج ٣، ص ١٢٧٦ (كرسع).

٢. ما بين المعقوفتين أضفناه من المصدر.

٣. النساء (٤): ٤٣؛ المائدة (٥): ٦.

٤. المائدة (٥): ٦.

٥. ما بين المعقوفتين أضفناه من المصدر.

٦. الجنّ (٧٢): ١٨.

٧. في المصدر: «و تمنّيت».

٨. تفسير العيّاشي، ج ١، ص ٣١٩ و ٣٢٠، ح ١٠٩.

و في هذا الحديث أنّ ابن أبي داود تسبّب لقتل الجواد ﷺ حسداً.

قوله: ﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللهِ﴾. نصب ﴿جَزَاءً﴾ و ﴿نَكَالاً﴾ للتعليل، فالقطع جزاء لعلمهم، نكال من عند ربّهم، و النكال: هو الصنيع الذي يحذّر به، و يكون عبرة للغير.[1] و ظاهره عدم ترتّب العذاب الأُخروي على الفعل بعد القطع.

﴿وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. أي غالب غير مغلوب، فله الأمر بالقطع و القتل، و فاعل على طبق الحكمة، لا يتعدّى عن مقتضي صلاح الفرد و المجتمع، و ليس كسائر من غلب على أمر، أو على أحد فيُفْرِط تارة، و يفرّط أُخرى.

[تحقيق في التوبة]

قوله: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ...﴾. التوبة: هو الرجوع إلى الشيء، و التوجّه و العناية نحوه،[2] و معناها واحد نسبت إلى الله تعالى أو إلى عبده، و المراد بها هنا الندم قلباً، و الرجوع إليه جناناً.

و المراد بالإصلاح ترتيب آثاره عملاً من الإقلاع عن مورد الندم بالكليّة، و الإتيان بالقضاء، و الكفّارة، و تسليم النفس للقصاص، و أداء الدية، و ضمان المال في المتلفات، و غير ذلك من الآثار.

و في الآية الشريفة إشعار بأنّ التوبة ندم و عمل، فإذا تحقّقا ترتّب عليهما توبة الربّ تعالى، و هو رجوعه إليه بالغفران بالنسبة إلى ما مضى، و الاحسان في ما يستقبل.

و قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. قال الطبرسي ﷺ: «فيه دلالة على أنّ قبول التوبة تفضّل من الله».[3] انتهى.

أقول: حيث إنّ توبة العبد نعمة من الله تعالى، لا تحصل له إلّا بسبق رجوع الله إليه

---

۱. راجع: النهاية، ج ۵، ص ۱۱۷ (نكل).

۲. في اللغة: التوبة: الرجوع من الذنب. راجع: لسان العرب، ج ۱، ص ۲۳۳ (توب).

۳. مجمع البيان، ج ۳، ص ۳۳۲.

بهذه النعمة و إلهامه التوبة و توفيقه لها، كما أنّ قبول توبته بعد الندم أيضاً نعمة أُخرى من الله و رجوع ثان منه إلى عبده، فلا جرم كان توبة العبد بين توبتين من ربّه.

و لا إشكال في أنّ التوبة الأُولى من الله تفضّل و امتنان، و أمّا الثانية فمع قطع النظر عمّا وعد الله لعبده من قبول توبته، تفضّل أيضاً، و بعد الوعد يكون بنحو الاستحقاق، نظير استحقاق الإنسان أجراً على العمل بإجارة أو جُعالة.

قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ...﴾. فالسارق و المسروق و المسروق منه، كسائر أجزاء العالم ملك له تعالى بملكيّة حقيقيّة إشراقيّة، فله التصرّف فيها بما شاء و أراد، و منه الحكم بقطع السارق و السارقة قبل أن يتوبا، فهما من شاء الله تعذيبه و غفران ذنبهما إذا تابا و أنابا، و هما من شاء العفو عنه، و التصرّف يحتاج إلى القدرة، و هو على كلّ شيء قدير.

قوله تعالى : ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذينَ يُسارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذينَ قالُوا آمَنّا بِأَفْواهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذينَ هادُوا سَمّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَواضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتيتُمْ هٰذا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً أُولٰئِكَ الَّذينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظيمٌ ○ سَمّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جاؤُكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطينَ ○ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْراةُ فيها حُكْمُ اللهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَما أُولٰئِكَ بِالْمُؤْمِنينَ﴾[1] .

الإيضاح

ظاهر الآيات أنّ النبيّ ﷺ قد عرضه الحزن و الاستياء[2] من فعال طائفتين: المنافقين، و اليهود. فنهاه الله عن التألّم و التحزّن، و بيّن له أنّ الله تعالى أراد تعذيبهم و سلب التوفيق عنهم؛ لكثرة عصيانهم و شدّة طغيانهم؛ فإنّهم بين جاهل متنسّك،[3] متقلّد أقبح التقليد، و

---

١. المائدة (٥): ٤١ ـ ٤٣.

٢. يقال: استاء بوزن استاك، افتعل من السوء، و هو مطاوع ساء. يقال: استاء فلان بمكاني، أي ساءه ذلك. النهاية، ج ٢، ص ٤١٦ (سوأ).

٣. يقال: تنسّك، أي تعبّد نُسكاً، و النُسُك: العبادة، و الطاعة، و كلّ ما تقرّب به إلى الله. تاج العروس، ج ١٣، ص ٦٥٧ (نسك).

عالم منحرف عن الحقّ، محرّف للكتاب، أكّال بالدين.

قوله تعالى: ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾. السرعة في الكفر ـ نظير السرعة في سائر ما يكون خُلقاً للإنسان أو غرضاً له، كالحسد و الحرص و جمع المال ـ عبارة عن السعي التامّ في ترتيب الآثار عليه و الجري على وفقه و الاجتهاد فيه، فتنطبق المسارعة على كثرة مخالفتهم حكم الله و شدّة مبارزتهم مع نبيّه و كتابه، و إطلاق المسارعة لأجل اجتماعهم على مفاد السرعة و تسارعهم في ذلك و تسابقهم.

قوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا﴾. يعني أنّهم طائفتان: المنافقون الذين آمنوا باللسان دون الجنان، و اليهود.

قوله: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾. ذكر لمصداق من مصاديق مسارعة اليهود، و لم يذكر لمسارعة المنافقين شيء، و لعلّ العمدة في المقام بيان شيء من حال اليهود، و أمّا المنافقون فقد بيّن كثير من رذائل أوصافهم و قبائح فعالهم في أوائل سورة البقرة و في سورة المنافقين و غيرهما من الموارد الكثيرة.

ثمّ إنّ ظاهر الآية كاشف عن وقوع حادثة خاصّة ظهرت فيها شيء من خبث باطنهم و كفرهم.

ففي المجمع في شأن نزول الآيات ما خلاصته:

أنّ امرأة من خيبر ذات شرف بينهم زنت مع رجل من أشرافهم، و هما محصنان،[1] فكرهوا رجمها، فأرسلوا عدّة إلى المدينة يسألوا النبيّ عن ذلك طمعاً في أن يأتي لهم برخصة؛ حيث إنّ الحكم في توارتهم هو الرجم، فقالوا: يا محمّد أخبرنا عن الزاني و الزانية إذا أحصنا، ما حدّهما؟ فقال ﷺ: «و هل ترضون بقضائي في ذلك؟»، قالوا: نعم، فنزل جبرئيل بالرجم، فأخبرهم بذلك، فأبوا أن يأخذوا به، فقال جبرئيل: اجعل بينك و بينهم ابن صوريا، فرضوا به، فأرسلوا إليه، فأتاهم فقال النبيّ: «أنشدك الله الذي لا إله إلّا هو، هل تجدون

---

١. أصل الإحسان: المنع، و المرأة تكون محصنة بالإسلام و بالعفاف و الحرّيّة و بالتزويج، و هي مُحْصِنة و مُحصَنة. و كذلك الرجل، و المحصن بالفتح يكون بمعنى الفاعل و المفعول. راجع: النهاية، ج ١، ص ٣٩٧ (حصن).

الرجم على من أحصن؟». قال ابن صوريا: نعم. فقال النبيّ ﷺ: «فماذا كان أوّل ما ترخّصتم؟». قال: كنّا إذا زنى الشريف تركناه، و إذا زنى الضعيف أقمنا عليه الحدّ. فحصل الاختلاف. فقلنا: تعالوا نجتمع فلنضع شيئاً دون الرجم يكون على الشريف و الوضيع، فوضعنا الجلد و التحميم، و هو تسويد الوجه و الحمل على الحمار و الإطافة. ثمّ إنّ اليهود لم يقبلوا ذلك، إلّا أنّ النبيّ أمر بهما فرجما عند باب مسجده.[1] إلى آخره.

[ذكر أوصاف عوام اليهود و علمائهم]

و قد ذكر الله في الآية و صفين لعوامهم، و ثلاثة أوصاف لعلمائهم:

قال تعالى: ﴿سَمّٰاعُونَ لِلْكَذِبِ...﴾. أي أنّ جهّال اليهود يستمعون أكاذيب علمائهم سماعاً كثيراً أو سريعاً، و المراد سماعاً يقارن العمل، فاللام في قوله: ﴿لِلْكَذِبِ﴾ للتقوية، أو أنّهم يستمعون جميع ما تقول؛ لأن يكذبوا عليك، أو لأن يكذّبوك، فإنّ «كذب» قد يستعمل متعدّياً.

و قوله: ﴿سَمّٰاعُونَ﴾. لقوم آخرين، هم علماؤهم الذين أرسلوا إلى النبيّ ﷺ، و لم يأتوا بأنفسهم. و هذا هو الوصف الأوّل من أوصاف علماؤهم.

قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوٰاضِعِهِ﴾. أي كلم التوراة بعد ثبوته و إدراجه و كتابته فيها بأمر الله و بيد النبيّ العظيم موسى ؑ. و هذا الوصف الثاني.

قوله: ﴿يَقُولُونَ...﴾. أي أمرهم العلماء بقبول قول النبيّ ﷺ إذا حكم بالجلد، و تركه إذا حكم بالرجم، و هذا الوصف الثالث.

و هذا الحكم ـ أي الرجم للزاني ـ موجود في التوراة الدائرة بين اليهود فعلاً، ففيها في الأصحاح الثاني و العشرين من سِفر التثنية من التوراة العربيّة المطبوعة في كمبروج سنة ١٩٣٥ [الرقم] ٢٢: «إذا وجد [رجل] مضطجعاً مع امرأة زوجة بعل، يقتل الاثنان: الرجل المضطجع مع المرأة، و المرأة، فتنزع الشرّ من إسرائيل».[2] و لا دلالة فيه على

---

١. مجمع البيان، ج ٣، ص ٣٣٤.
٢. الكتاب المقدّس (العهد القديم)، ص ٢٧٧.

إحصان الزاني، إلّا أنّ إطلاقه يشمله.

قوله: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ...﴾. الفتنة هنا الحادثة التي تكون سبباً لاختبار الإنسان و خوضه في الباطل و الكفر و استحقاق العذاب؛ فإنّ وقوع الزنا بين أشرافهم و حكم علمائهم بخلاف ما أنزل الله عليهم و قبول الجهّال ذلك منهم وردّهم قول النبيّ ﷺ و قول عالمهم ابن صوريا، كلّها حوادث مُرّة أورثت غورهم في كفرهم، و ذلك استدراج قد كشف عن أنّ الله لم يرد تطهيرهم.

و قوله: ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ﴾. أي لن تتسلّط على أمر من أموره مستقلاً بذلك عن الله، مانعاً عن إرادته تعالى. و يظهر من الكلام أنّ النبيّ كان طالباً لإصلاح أمرهم و هدايتهم، و كان يتحزّن لذلك كما مرّ، فالكلام إلى آخر الآية كأنّه بيان لعلّة ما أمره الله من عدم الحزن.

و قوله: ﴿لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ﴾. أي من قذارة الكفر و خباثة الأخلاق الرذيلة و درن الأعمال القبيحة، فكلّ من تلك الأُمور أورثت نوعاً من القذارة في نفوسهم، و لم يرد الله تطهيرها بإرادة تكوينيّة حتميّة،، و إن أراده بإرادة إنشائيّة، كما سيجيء في الآية ٤٨.

ثمّ إنّ توبيخ عوام اليهود و جهّالهم ـ على ما فسّرنا السمّاعين به ـ و توعيدهم بالخزي و العذاب مع أنّ الجاهل معذور عقلاً، إمّا لأجل أنّ المسألة كانت أُصوليّة اعتقاديّة، و هي القول ببقاء نبوّته و دوام دينه و كتابه و إنكار نبوّة النبيّ الأعظم و كتابه، فجهلهم فيها تقصيريّ، و التقليد فيها باطل يعذّب فاعله.

و إمّا لأنّهم قد علموا بكذب علمائهم في المسألة و تحريفهم التوراة، فقلّدوهم تعصّباً لهم و لدينهم، و إن كانت المسألة فرعيّة.

و إمّا لأنّهم لمّا رأوا من علمائهم الفسق و الفجور في موارد كثيرة، فلم يكونوا معذورين في التقليد، كما في الخبر الوارد عن مولانا الصادق ؑ.[1]

و قوله: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ...﴾. تكرار الوصف العوام تأكيداً لقبح هذا النحو من الاستماع.

---

١. راجع: الكافي، ج ١، ص ٥٣، ح ١ و ٣.

و قوله: ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾. وصف رابع لعلمائهم لبيان أنّ منشأ تحريف الكتاب هو الطمع الدنيوي و أخذ الرشوة و أكل الحرام؛ فإنّ السُحْت أصله الاستيصال، و يطلق على الرشوة و الحرام.[١]

و الوصفان كلاهما لليهود من حيث لحاظهم طائفة واحدة و جواز إسناد وصف البعض أو فعله للكلّ، و بهذا الوجه أُسند إليهم أيضاً قوله: ﴿فَإِنْ جَاؤُكَ﴾ مع أنّ الجائي بعضهم.

قوله: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ...﴾. و في الكلام تخيير للنبيّ الأعظم بين الأمرين: الحكم بينهم بالقسط، و ترك الحكم بالكلّيّة، فيفيد النهي عن موافقتهم و الوعد بعدم إضرارهم عليه لو اختار الحكم بالقسط المخالف لميلهم.

قوله: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾. القسط كما مرّ يطلق على النصيب بالعدل، و قد يطلق القسط على أخذ قسط غيره، فيكون بمعنى الجور، و الإقساط أن يعطي قسط غيره، و ذلك إنصاف و عدل.[٢]

قال في المجمع: و الضابط أنّ ما كان من «قسط» فهو بمعنى الجور، و ما كان من «أقسط» فهو بمعنى العدل،[٣] انتهى.

و المراد من الإقساط هنا العدل في مرحلة الاعتقاد، فيعتقد بما هو الحقّ، و ينكر ما هو الباطل. و العدل في مرحلة الصفات النفسانيّة، فيتّصف بالمكارم، و يتنحّى عن المعايب. و العدل في الكلام، فيقول العدل، و يجتنب الباطل. و العدل في القضاء، فيقضي بالحقّ دون الجور. و العدل في العمل، فيعمل بالمعروف، و يزدجر عن المنكر.

و في تذييل الآية الشريفة بهذه الجملة إشارة إلى وجود مراحل الجور و الاعتساف[٤] فيهم، فنفاقهم و كفرهم و إنكارهم نبوّة النبيّ المبعوث إليهم و كتابه جور

---

١. راجع: النهاية، ج ٢، ص ٣٤٥ (سحت). ٢. راجع: المفردات للراغب، ص ٦٧٠ (قسط).

٣. مجمع البحرين، ج ٤، ص ٢٦٨ (قسط).

٤. الاعتساف: الظلم، من العسف، و هو في الأصل: أن يأخذ المسافر على غير طريق و لا جادّة و لا عَلَم. و قيل: هو ركوب الأمر من غير رويّة، فنقل إلى الظلم و الجور. راجع: النهاية، ج ٣، ص ٢٣٧ (عسف).

في الاعتقاد، و وصف كونهم سمّاعين للكذب حُرَصاء على أكل السحت جور في الأخلاق، و قولهم بخلاف التوراة و قولهم: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هٰذا فَخُذُوهُ...﴾ جور في الكلام، و حكمهم بالجلد للزاني المحصن دون القتل جور في القضاء، و السعي الصادّ منهم في خلال هذه القضايا جور في العمل.

قوله: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ...﴾. «كيف» سؤال عن كيفيّة الشيء المسؤول عنه و حالاته و خصوصيّاته، و المراد هنا إنشاء استفهام أو تعجّب بداعي استبعاد ما صدر منهم من ترك العمل بما هو مكتوب في كتابهم مع الاعتقاد بحقّيّته و الرجوع إلى النبيّ الأعظم مع عدم الإيمان به، و فيه توجيه المخاطب إلى علل وقوع ذلك و أسباب حصوله من جهل عدّة، و حبّ الرياسة و الحرص على المال و العصبيّة العمياء من آخرين.

و قوله: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ...﴾. أي من بعد أن علموا بأنّ فيها حكم الله، أو من بعد ما حكمت بحكم الله الموافق لها.

و قوله: ﴿وَما أُولٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾. أي ليسوا مؤمنين بالتوراة؛ لأنّ المخالفة للاعتقاد و الإيمان يجعله بمنزلة العدم، أو بمؤمنين بك يا محمّدﷺ، فعدم إيمان العوام للجهل، و عدم إيمان علمائهم ـ مع أنّهم كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم[١] ـ للعناد و الحسد و حبّ الرئاسة و حبّ المال.

---

١. اقتباس من الآية ١٤٦ من سورة البقرة (٢)، و الآية ٢٠ من سورة الأنعام (٦).

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ○ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ○ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ○ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1].

اللغة

[بيان حول التوراة]

التوراة: أسفار[2] موسى ﷺ الخمسة، أو العهد القديم، كلّه تشتمل على أحكام و قوانين من الأخلاقيّات و الأمور الحيويّة، بدئ فيها بقضيّة خلق السماوات و الأرض، و ختم بموت موسى ﷺ قبل تسخير كنعان بيد بني إسرائيل، و هي تشتمل على خمسة أسفار، أي كتب و دفاتر:

---

١. المائدة (٥): ٤٤ ـ ٤٧.

٢. الأسفار: جمع السِفْر، و هو الكتاب الذي يُسفر ـ أي يكشف ـ عن الحقائق. المفردات للراغب، ص ٤١٢ (سفر).

الأوّل: سِفْر التكوين: يبحث عن خلق العالم و الموجودات إلى زمان استقرار بني إسرائيل بمصر.

الثاني: سِفْر الخروج: يبحث عن كيفيّة خروج العبريّين من مصر.

الثالث: سِفْر اللاويين: يبحث عن الأحكام الشرعيّة و الفروع الدينيّة.

الرابع: سِفْر الأعداد: يبحث عن عُدّة بني إسرائيل و قواهم و تجهيزاتهم.

الخامس: سِفْر التثنية: فيه تكرير من حال اللاويين و بعض الأحكام الفرعيّة.

ثمّ إنّ التوراة أنواع مختلفة، و لكلّ قوم من اليهود نوع منها قالوا بصحّته و عدم صحّة غيره. و الكلام الحكيم قد صرّح في موارد كثيرة بكون هذه التوراة الدائرة بين اليهود فعلاً ليست عين الكتاب النازل على موسى، بل وقع فيها تحريفات كثيرة، نعم فيها شيء من الأصل غير معيّن المقدار، و التتّبع التامّ الحاصل من علماء الطبيعة من اليهود أنفسهم و النصارى قد قضى قضاء باتّاً على طبق ما أفاده الكتاب الكريم، فحكموا بأنّ الأسفار الخمسة كلّها قد اُلفت بعد موسى بيد غيره، و أنّ أزمنة تأليفها مختلفة بقرن أو قرون متعدّدة، فقد أدّى التحقيق التاريخي بأنّ التوراة قد انعدمت و فنت في الحروب الأوّليّة الواقعة في فلسطين.

قال هورن:

إنّ النسخة الأصليّة من التوراة و الألواح العشرة كانت بعد موسى عند علماء بني إسرائيل محفوظ في صندوق الشهادة، و كان موسى ﷺ أوصى إليهم أن يخرجوها بعد كلّ برهة من الصندوق و يقرأوها على بني إسرائيل. فلمّا اشتعلت نائرة الحروب بعد ذلك، انعدمت النسخة و الصندوق، فعزم رجل مسمّى بعزرا على تأليف التوراة آخذاً لها عمّا تيسّر من أفواه الناس و مكاتبهم و ما حفظوا منها بظهر القلب من العبارات و المطالب.[1]

و صرّحوا بشهادة الحفريات الجديدة أنّ الأسفار الخمسة ليست لقرن واحد و لا

---

١. لم نعثر على كتاب هورن. و لكن للمزيد راجع: إمتاع الأسماع، ج ٤، ص ١٦١ ـ ١٧٠.

تأليفاً لشخص واحد، فقد أُلف بعضها، كسِفْر الخروج قبل الميلاد بتسعة قرون، و سِفْر التثنية بثمانية قرون، و سِفْر اللاويين بخمسة، و قد أُدرج فيها و دُسّت[١] أشياء أُخر من عادات و رسوم كانت في الأزمنة المقارنة للتأليف، و أحكام أُخر من المذاهب المختلفة المقارنة لذلك. و الكلام في ذلك طويل، فليراجع إلى مظانّها، و لم يكن عندي في وقت كتابة هذه الكرّاس[٢] إلّا شيء يسير.

و الربّاني: المنسوب إلى الربّ بإضافة الألف و النون، و الربّ: مصدر بمعنى التربية، أو بمعنى المربّي، فعلى الأوّل معناه الإنسان المنسوب إلى تربية نفسه و تزكيتها، أو تربية الناس و تطهيرهم، و على الثاني المنسوب إلى الله تعالى، كالرجل الإلهي.

و الربّ: هو الله؛ فإنّ التربية عبارة عن إنشاء الشيء حالاً بعد حال إلى أن يصل إلى كماله الممكن، فالمربّي بقول مطلق الشامل لتربية الجماد و النبات و الحيوان و الإنسان و الملك هو الله تعالى، و كلّ من سواه إذا ربّى شيئاً فهو ربّ مقيّد محدود إضافي، ومع ذلك فتربيته آلية لا استقلاليّة.

و هذا نظير سائر الأوصاف المنسوبة إلى الله تعالى و إلى الناس، كالعالم و القادر و الخالق و الرازق و السميع و البصير و غيرها؛ فإنّها في الحكيم تعالى أوصاف مطلقة عامّة شاملة، لا قيد فيها، و في غيره مقيّدة خاصّة محدودة، هذا مع قطع النظر عن اختلاف حقايقها المنسوبة إلى الله مع المنسوبة إلى عباده.

و يمكن أن يكون الربّاني منسوباً إلى ربّان كعطشان بمعنى المربيّ أيضاً.[٣]

و بالجملة الربّاني هو العالم بما في التوراة المؤمن به، و العامل بعلمه.

و الأحبار: جمع حبر بالكسر و الفتح، أصله بمعنى الأثر المستحسن، و يطلق على العالم؛ لبقاء أثر علمه في القلوب و الكتب و أثر عمله في نفوس العباد و في الأرض و

---

١. يقال: دسّه يدُسُّه دَسّاً، إذا أدخله في الشيء بقهر و قوّة. راجع: لسان العرب، ج ٦، ص ٨٢ (دسس).

٢. الكُرّاس و الكرّاسة: للجزء من الصحيفة، و مجموعة صغيرة دون الكتاب. راجع: تاج العروس، ج ٨، ص ٤٤٤ (كرس).

٣. راجع: المفردات للراغب، ص ٣٣٦ و ٣٣٧ (ربب).

البلاد.[١] و المراد به هنا العالم فوق الربّانيّ.

و **التقفية**: الاتباع و جعل الشيء تابعاً لآخر.

[بيان حول الإنجيل]

و **الإنجيل**: أصله يوناني بمعنى البشرى،[٢] و يدّعي النصارى أنّه ما كتبه بإلهام من الله القدّيسون متىّ و مرقس و لوقا و يوحنّا عن حياة المسيح و تعليمه.

و إجمال ما قيل في حقّ الإنجيل أنّه بعد مضيّ قرن أو قرنين من غيبة المسيح كانت تجتمع عدّة من أتباع الإنجيل و المنتظرين رجعة المسيح للنظر و التفكير في إحياء أحكام الإنجيل و دين المسيح و إعانة الفقراء و المساكين، فاتّسعت دائرة اجتماعهم برهة بعد برهة، فانقلبت هيئة متشكّلة من رؤساء و مرؤوسين، و كان من أهمّ هواهم أنّهم عزموا في أوائل القرن الرابع بعد الميلاد على تجديد النظر في حال الأناجيل و الرسائل و التواريخ، و كان يبلغ عددها عندئذ ١٦٠ إنجيلاً، كانت تقرأ في محافلهم، و تدرس في مدارسهم، فاختاروا منها ٢٧ كتاباً سمّوا الجميع بالعهد الجديد في مقابل كتب اليهود المسمّاة بالعهد القديم، و لمجموع كتب العهدين قداسة عندهم، إلّا أنّ عملهم على العهد الجديد.

ثمّ إنّ تلك الكتب و الرسائل لم يكتب واحد منها في زمان عيسى؈، بل دوّنت بعده بيده عدّة من أتباع دين المسيح، و لذلك كانت متخالفة و مشكوك الحال حتّى بين معتقديها، فانعقد المجلس العامّ من علماء كاتوليك سنة ١٠٤٦، فحرّموا التشكيك في أمر الكتب و تكفير من شكّ فيها، أو في شيء منها.

و يشهد التتبّع و الفحص ـ كما صرّح به عدّة من علماء التحقيق و الاطّلاع على الآثار ـ أنّ دين المسيح قد امتزج في أطوار حياته و أزمنة سيره بأباطيل و أساطير كانت من عقائد أهل مصر الأقدمين و أهل بابل و أهل إيران و يونان و غيرهم؛ لتفرّق أتباعه أيادي سبا و تلوّن كلّ طائفة بلون المحلّ الذي توطّنوا فيه.

---

١. راجع: المفردات للراغب، ص ٢١٥ (حبر).   ٢. راجع: التحقيق، ج ١، ص ١٥٧ ذيل مادّة (إنجيل).

البيان

قوله: ﴿فيها هُدىً وَنُورٌ﴾. التفكير في الكلمتين للتنويع، أي نوعاً من الهداية و النور يناسب حال أهل التوراة و مقتضى عقولهم و أحلامهم و زمانهم و جمعيّتهم؛ فإنّ من عدل الله أن يعطي كلّ شيء خلقه، و يهدي كلّ خلق إلى ما يصلحه و يناسبه. ومتعلّق الهداية العقائد الحقّة و الخلق الجميل و العمل الصالح و غير ذلك من حقائق و معارف دنيويّة و أُخرويّة. و النور هو العلوم و الحقائق التي بها تزول الشبهات و ظلمات الجهل، و الفرق بينهما أنّ بيان الحقائق و المعارف هداية، و نفس المعارف و العلوم نور.

﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾. أي أنبياء بني إسرائيل، أوّلهم موسى، و آخرهم عيسى، أو جميع الأنبياء حتّى عيسى و نبيّنا محمّد ﷺ؛ فإنّهما أيضاً كانا يحكمان بها في الجملة.

[وجه توصيف الأنبياء ﷺ بالإسلام]

و توصيف النبيّين بالإسلام لأجل أنّ التسليم إلى الله تعالى و الانقياد له ـ الذي هو روح الدين و حقيقته، و باقي الأحكام كالجسم له و البدن ـ كان موجوداً فيهم بمرتبته الكاملة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ﴾[1]، أي أنّ روح الدين التسليم، فحيث إنّهم واجدون لحقيقة ما أراده الله من الإنسان بالنحو الأكمل، و لا فضيلة للإنسان أشرف و أعلى و أرفع و أسمى من ذلك، وصفهم الله بذلك، مع أنّهم ـ مع كونهم مرسلين من عند الله ـ أنبياء من قبله تعالى، قد انقادوا بأخذ كتاب غيرهم و العمل به و إبلاغه، و هذا خضوع و تسليم تامّ يليق بيانه و إظهاره، فوصفهم الله تعالى بهذا الوصف.

و يمكن أن يقال: إنّ الإسلام بمعنى الدين المركّب من الأُصول و الفروع ديناً إلهيّاً واحداً من بدو حدوث الشرايع إلى ختامها، و لا تعدّد فيه، و حقيقته عبارة عن عدّة أحكام أُصوليّة و أمّهات الأحكام الفروعيّة الموجودة في جميع الأزمان و في ضمن

---

١. آل عمران (٣): ١٩.

جميع الشرايع، و ذلك كالمادّة للشرايع، و الاختلاف بالزيادة و النقصان باقتضاء العقول و اختلاف الزمان إنّما هو في غير تلك الموادّ، فمادّة الشرايع الدين الذي هو الإسلام، و الهيئة الخاصّة الحاصلة لها بتناسب الأعصار هي الشريعة، فالأنبياء كانوا مسلمين جميعاً، أي متديّنين بدين واحد، متشرّعين بشرايع مختلفة.

قوله: ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ﴾. أي يحكم بها الربّانيّون و الأحبار.

قوله: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ﴾. كلمة «ما» في قوله: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا﴾ موصولة يبيّنها قوله ﴿مِنْ كِتَابِ اللهِ﴾، و الأولى جعلها بدلاً من الهاء المجرورة في قوله ﴿يَحْكُمُ بِهَا﴾؛ لإفادة أنّ حكمهم بها لأجل الاستحفاظ. و قيل: إنّ الجارّ متعلّق بالأحبار، و المعنى: العلماء بما استحفظوا من كتاب.[1]

و المراد بالحفظ المطلوب إمّا حفظ العبارات عن ظهر الغيب، أو حفظ المعاني المقصودة في القلب، أو الحفظ بالاستنساخ في القراطيس و نحوها، أو الحفظ عملاً في ما بينهم و بين الله، أو حفظ أحكامه في ما بين الناس بإبلاغهم و تبشيرهم و إنذارهم، أو حفظه عن الأعداء و المخالفين؛ لئلّا يحرّفوه و يبطلوه، أو الحفظ بجميع تلك المراتب.

ثمّ إنّ الضمير المرفوع في قوله: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا﴾ إمّا راجع إلى الأنبياء فقط، أو إليهم و إلى الربّانيّين و الأحبار، و لا وجه لرجوعها إلى الأخير فقط؛ لعدم استقرار المعنى.

و تفاوت مصداق الحفظ في الأنبياء و العلماء لا يضرّ بالمعنى؛ فإنّ الجميع مأمورون بالحفظ، كلّ على حسب حاله و استعداده.

و يعلم ممّا ذكرنا أنّ نسبة الأنبياء غير صاحب الشريعة إلى النبيّ السابق صاحب الشرع نسبة أئمّتنا ﷺ مع النبيّ الأعظم؛ حيث إنّه ﷺ كالعلّة المحدثة للشريعة، و هم كالعلّة المبقية، و هذا هو المراد من الاستحفاظ المنسوب إلى الأنبياء.

قوله: ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾. أي هم شهداء على صدقه عند الناس بسبب علمهم به

---

١. قال به الشيخ ﷺ و الشيخ الطبرسي ﷺ. راجع: التبيان، ج ٣، ص ٥٣٣؛ مجمع البيان، ج ٣، ص ٣٤٠.

و عملهم على وفقه، أو هم شهداء عند الله غداً على طاعة الناس و مخالفتهم بمقدار ما شاهدوا و علموا، أو أنهم شهداء عند الله يوم القيامة بجميع ما عليه المكلّفون في عصرهم من عقايد و أخلاق و أعمال من ظواهر وبواطن و أسرار، و ذلك بتعليمهم من الله لهم و إخباره تعالى في الدنيا؛ ليشهدوا بها في الآخرة، كما ورد بذلك روايات[١] في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[٢].

و هذا مختصّ بالأنبياء، و لا يعمّ الربانيّين و الأحبار.

قوله: ﴿فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ﴾. الظاهر أنّ الخطاب لعلماء اليهود، و يظهر من الكلام أنّ وجه انحرافهم عن حكم التوراة وتحريفهم لها، أو العمدة في وجهه الخوف من الناس و الطمع في حُطام الدنيا،[٣] فبيّن الله لهم أنّهم قد استحفظوا التوراة، ثمّ نهاهم عن مخالفتها خوفاً من ظالم، أو طمعاً في مال أو جاه، و هما قليلان بلغا ما بلغا.

و قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾. ظاهر الآية هو كفر كلّ من أعرض عن حكم الله تعالى، و لم يعتن به، و لم يحكم على طبقه، سواء في ذلك الحكم الأُصولي المرتبط بالقلب و الواجب عقد القلب عليه، أو الحكم العملي المربوط بالأركان و الواجب عمله، و سواء أ حكم على خلافه أم لا.

و يتراآى من المفسّرين عدم الإذعان بالإطلاق و كأنهم أرسلوا لزوم التقييد إرسال المسلّمات، فمنهم من حمل الموصول على اليهود،[٤] و منهم قيّد عدم الحكم بالاستهانة بحكم الله و إنكاره،[٥] و هكذا.

و لا يخفى عليك أنّ كون المورد اليهود لا يخصّص الحكم الوارد، و كذا كون حكمهم مقروناً بإنكار حكم النبيّ الأعظم و تكذيبه.

---

١. راجع: البرهان، ج ٢، ص ٨٣٩ـ ٨٤٥، ح ٤٦٩٢ـ ٤٧٢٦.

٢. التوبة (٩): ١٠٥.

٣. الحُطام: ما تكسّر من الشيء اليبس. و حطام الدنيا: كلّ ما فيها من مال يفنى و لا يبقى. راجع: لسان العرب، ج ١٢، ص ١٣٨؛ التحقيق، ج ٢، ص ٢٤٥ (حطم). ٤. نقل عن الجبّائي في مجمع البيان، ج ٣، ص ٣٤٧.

٥. نسب إلى الفيل في جامع البيان، ج ٦، ص ٣٥٠.

و الذي يمكن أن يقال: إنّه لا بأس بالقول بأنّ المراد بعدم الحكم بما أنزل الله، الحكم بغير ما أنزل، كما يشهد به سياق الآية و الروايات الواردة في تفسيرها، و أمّا التخصيص بغير ذلك و التقييد بقيود آخر فلا مسرح في ذلك.

فعن مولانا الصادق عليه السلام قال: «من حكم في درهمين بغير ما أنزل الله فقد كفر، و من حكم في درهمين فأخطأ، كفر».[1]

و عن بعض أصحابه قال: سمعت عمّاراً يقول على منبر الكوفة: ثلاثة يشهدون على عثمان أنّه كافر، و أنا الرابع، و إنّما[2] أسمّي الأربعة، ثمّ قرأ هؤلاء الآيات في المائدة: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، و الظالمون و الفاسقون.[3]

و عن أبي بصير، عن جعفر بن محمّد عليه السلام قال: «قال عليّ عليه السلام: من قضى في درهمين بغير ما أنزل الله، فقد كفر».[4]

و عن النبيّ صلى الله عليه و آله: «من حكم في درهمين بحكم جور، ثمّ جبر عليه، كان من أهل هذه الآية: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾»، فقلت: و كيف[5] يجبر عليه؟ فقال: «يكون له سوط و سجن، فيحكم عليه، فإن رضي بحكمه، و إلّا ضربه بسوطه، و حبسه في سجنه».[6]

و عن الباقرين عليهما السلام: «من حكم في درهمين بغير ما أنزل الله عزّ و جلّ ممّن له سوط أو عصاً، فهو كافر بما أنزل الله عزّ و جلّ على محمّد صلى الله عليه و آله».[7]

ثمّ إنّه إذا لزم التقييد في إطلاق الآية، فليتعبّد بما يستفاد من الروايتين الأخيرتين، و هو الاستقلال بالحكم على خلاف حكم الله و إجراؤه بين الناس، سواء أكان التقنين من نفسه، أو أخذه من غيره، فتشمل الآية الدول الإسلاميّة المقنّنة على ضدّ القرآن

---

١. تفسير العيّاشي، ج ١، ص ٣٢٣، ح ١٢١.
٢. في المصدر: «و أنا».
٣. قوله عليه السلام: «و الظالمون و الفاسقون»، إشارة إلى الآية ٤٥ و ٤٧ من سورة المائدة (٥). و راجع: تفسير العيّاشي، ج ١، ص ٣٢٣، ح ١٢٣.
٤. تفسير العيّاشي، ج ١، ص ٣٢٣، ح ١٢٤.
٥. في المصدر: «يابن رسول الله و كيف».
٦. تفسير العيّاشي، ج ١، ص ٣٢٣، ح ١٢٠.
٧. الكافي، ج ٧، ص ٤٠٧، ح ١.

و المجرية له بسوط و سجن، أو الآخذ له من سائر الدول غير الإسلاميّة و الإجبار على طبقه.[١]

قوله تعالى[٢]: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾.

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾، أي أثبتنا و فرضنا على اليهود في التوراة أنّ النفس تقابل النفس، فيُقتل النفس القاتلة بدلاً عن النفس المقتولة. و الآية مطلقة من حيث القصاص، فتشمل صورة وقوع القتل بنحو العمد و شبه العمد و الخطأ المحض، كما أنّها تشمل النفسين المتكافئتين في الإسلام و الكفر و الحرّيّة و الرقّيّة و الأُبوّة و البنوّة، و غير المكافئين فيها، و حينئذ فيمكن القول بأنّ الحكم كان في التوراة مطلقاً من الجهات المذكورة، و القول بأنّ الغرض الحكاية الإجماليّة دون التفصيليّة.

و على أيّ تقدير، فالحكم مقيّد في شرعنا بقيود أفادتها الأخبار[٣] الصادر عن أهل بيت الوحي و التنزيل، و هي أنّ القصاص مختصّ بصورة القتل العمدي دون شبه العمد و الخطأ المحض، و بصورة التكافؤ في الإسلام فلا يقتل المسلم بكافر، و التكافؤ في الحريّة و الرقّيّة فلا يقتل الحرّ بالرقّ، و عدم الأُبوّة و البنوّة فلا يقتل الأب بالابن، و يقتد أيضاً بما إذا لم يكن القتل الأوّل جائزاً شرعاً، كالقتل قصاصاً، أو في مقام الجهاد في بعض موارده، أو في مقام الدفاع عن النفس و العرض و المال، أو لإجراء الحدود و نحو ذلك.

و قوله: ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ...﴾. يجري فيها

---

١. قال المصنّف حين انتهى ما كتبه في الأصل إلى هنا: «تمّ بحمد الله ليلة الحادي عشر من ذي الحجّة ١٣٩٥ في كاشمر».

٢. قال المصنّف في هامش الأصل: «شرعنا فيه في ليلة ١٣ من ذي الحجّة سنة ١٣٩٥ أيّام إقصائنا إلى بلدة كاشمر، وها أنا في المدرسة المسمّاه «مدرسة حاج شيخ» رجاء الفرج بعد الشدّة، أو الارتحال إلى دار البقاء، مترقّباً لأمر الله، متربّصاً بين إحدى الحسنيين».

٣. راجع أبواب القصاص في النفس من وسائل الشيعة، فإنّ فيها الكفاية في المسألة.

ما ذكرنا في النفس من كون الآية مطلقة، فلابدّ من تقييدها بما قيّدنا به النفس حرفاً بحرف.

و المراد بالأُذن هو عضو السماع، لا قوّته، كما أنّ في قصاص السنّ يجب مراعاة التساوي في صنف الأسنان، كالضواحك بالضواحك، و الطواحن بالطواحن.

و قوله: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾. أي في كلّ جرح قصاص، كجرح الشفتين و اليدين و الرجلين و الذكر و الأُنثيين. ويقيّد الحكم أيضاً بغير المأمومة و الجائفة[١] في الرأس، و الرَضّ[٢] و الكسر في العظم، و غرز الرمح[٣] و السكين في البدن، و نحو ذلك. و التفصيل في الفقه.

قوله: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَـهُ﴾. أي إذا تصدّق وليّ الدم بقصاصه، أو تصدّق المجروح بقصاص جرحه بأن عفيا عن القاتل و الجاني، يكون العفو كفّارة لذنوب العافي، فالضمير في قوله: ﴿لَـهُ﴾ يرجع إلى العافي، أو المراد أنّ عفوه يكون كفّارة للجاني؛ فإنّه بمنزلة الاستيفاء و القصاص، فالضمير يرجع إلى الجاني، و معنى الكفّارة حينئذ سقوط القَوَد[٤] عن الجاني، لا سقوط المؤاخذة الإلهيّة الدنيويّة بالجمع بين الكفّارات الثلاث من العتق و الصيام ستّين يوماً و إطعام ستّين مسكيناً، و لا المؤاخذة الأُخرويّة بالخلود في جهنّم، كما هو ظاهر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فيهَا﴾[٥].

قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾. أي سواء أكان ذلك في موارد القصاص المذكورة، أو في غيرها من موارد الأحكام التكليفيّة الإيجابيّة و التحريميّة و الوضعيّة،

---

١. المأمومة: هي الجراحة التي تبلغ أُمّ الدماغ. و الجائفة: هي التي تصير في جوف الدماغ. راجع: الكافي، ج ٧، ص ٣٢٩، ذيل ح ١٢.

٢. الرضّ: الكسر، أو الدقّ الجريش. راجع: لسان العرب، ج ٧، ص ١٥٤ (رضض).

٣. غرز الرمح و نحوه: إدخاله في البدن. راجع: تاج العروس، ج ٨، ص ١١٦ (غرز).

٤. القَوَد: القصاص و قتل القاتل بدل القتيل. النهاية، ج ٤، ص ١١٩ (قود).

٥. النساء (٤): ٩٣.

فهم الظالمون لأنفسهم و لغيرهم.

قوله: ﴿وَقَفَّيْنا عَلىٰ آثارِهِمْ بِعيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾. أي و أتبعنا على آثار النبيّين الذين أسلموا و الربانيّين و الأحبار، عيسى بن مريم، و الإتباع إمّا في الزمان، و هو ظاهر، أو في الدين، أي جعلنا عيسى تابعاً لأُولئك الأنبياء في الدين الواحد النازل على المتقدّمين، فعيسى يتّبعهم في قبوله، كما سيجيء في الآية التالية إن شاءالله.

[ذكر وصفين في الآية الشريفة لعيسى ﷺ]

ثمّ ذكر تعالى لعيسى وصفين:

الأوّل: كونه مصدّقاً للتوراة، إمّا لأصل التوراة، كتصديق القرآن لها، أو أنّ دعوة عيسى هي دعوة موسى بلا فرق و تفاوت.

و الثاني: إيتاؤه الإنجيل، و هو الكتاب المنزل عليه، الطاري عليه التغيير و التحريف، كالتوراة على ما سمعت.

[ذكر أوصاف ثلاثة لإنجيل]

و قد وصف الله الإنجيل بأوصاف ثلاثة:

الأوّل: أنّ فيه هدى و نور، كما مرّ تفسيرهما آنفاً في توصيف التوراة بهما.

الثاني: أنّه مصدّق للتوراة المتقدّمة عليه بالمعنى الذي صدّقها عيسى ﷺ.

الثالث: قوله: ﴿وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾، الظاهر كون الموعظة عطفاً تفسيريّاً؛ لإفادة أنّ هداية إنجيل تزيد على التوراة بكثرة وجود العبر و العظات فيه، و كون الغرض الأهمّ من تشريع شرع عيسى إرجاع الناس من الانغمار في الدنيا و لذّاتها و شهواتها إلى الآخرة و الزهد و الانخلاع عن الدنيا و الانقلاع عنها، و قد كانت بنو إسرائيل عندئذ خائضين في الشهوات، غائضين في حبّ المال و الجاه.

و الآية الثانية واضحة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ عَمّا جاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً وَلَوْ شاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَلٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ في ما آتاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَميعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فيهِ تَخْتَلِفُونَ ○ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ ما أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّما يُريدُ اللهُ أَنْ يُصيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثيراً مِنَ النّاسِ لَفاسِقُونَ ○ أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1].

البيان

﴿وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ﴾. قد مرّ أنّ نزول القرآن مراحل أربع، نزل في مرحلتين منها إنزالاً دفعيّاً، و في مرحلتين تنزيلاً تدريجيّاً، فالنزول من مقام علم الله الأزلي إلى اللوح المحفوظ نزول دفعي.

أمّا كونه نزولاً فلانّ كلّ ما صدر من الواجب فهو ممكن، و الواجب في مرتبة عالية، و الممكن في مرتبة نازلة.

[بحث حول إطلاقات النزول في القرآن الكريم]

و بهذا الاعتبار أُطلق النزول في الكتاب الكريم على أُمور:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَما نُنَزِّلُهُ إِلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[2].

---

١. المائدة (٥): ٤٨ ـ ٥٠.
٢. الحجر (١٥): ٢١.

و قال: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ما يَشاءُ﴾[١].

و قال: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعاساً﴾[٢].

و قال: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣].

و قال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ ما أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَراماً وَحَلالاً﴾[٤].

و قال: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ﴾[٥].

و قال: ﴿يا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً﴾[٦].

و قال: ﴿وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾[٧].

و أمّا كونه دفعيّاً فلظهور بعض الروايات الواردة في خلق اللوح و انتقاش جميع الأشياء فيه.[٨]

و يشير إلى ما ذكرنا من كون القرآن نازلاً إلى اللوح المحفوظ قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ○ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[٩].

و النزول من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا نزول دفعيّ أيضاً، يشهد به ما ورد في تفسير سورة القدر، فعن الكافي نقلاً عن حفص بن غياث، عن أبي عبدالله ﷺ قال: «نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثمّ نزل في طول عشرين سنة»[١٠] إلى آخره.

و عنه، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله ﷺ قال: «أنزلت[١١] التوراة في ستّ مضت من شهر رمضان، و نزل الإنجيل في اثني عشر[١٢] ليلة مضت من شهر رمضان، و نزل الزبور

---

١. الشورى (٤٢): ٢٧.
٢. آل عمران (٣): ١٥٤.
٣. التوبة (٩): ٢٦.
٤. يونس (١٠): ٥٩.
٥. الزمر (٣٩): ٦.
٦. الأعراف (٧): ٢٦.
٧. الحديد (٥٧): ٢٥.
٨. راجع: معاني الأخبار، ص ٢٣، ح ١؛ علل الشرائع، ج ١، ص ١٩، الباب ١٧، ح ٢.
٩. البروج (٨٥): ٢١ و ٢٢.
١٠. الكافي، ج ٢، ص ٦٢٩، ح ٦.
١١. في المصدر: «نزلت».
١٢. في المصدر: «اثنتي عشرة».

في ليلة ثماني عشر[١] مضت من شهر رمضان، و نزل القرآن في ليلة القدر».[٢]

و المراد النزول الثاني، كما هو واضح.

و النزول من البيت المعمور إلى قلب النبيّ الأعظم ﷺ نزول تدريجيّ، و إن شئت فسمّه تنزيلاً واقعاً في مدّة ثلاثة و عشرين سنة، أو عشرين سنة؛ قال الله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾[٣].

و النزول من قلب النبيّ الأعظم إلى أسماع الأمّة و قلوبهم و مجتمع المسلمين نزول تدريجيّ في مدّة نزوله السابق.

و الظاهر أنّ المراد بالنزول في آيتنا المبحوث عنها هو النزول الثالث، كما في نظائر هذه الآية ممّا أُسند النزول فيه إلى النبيّ ﷺ، لا إلى الناس.

فقد ظهر ممّا ذكرنا أنّ المراد بالكتاب هنا هو القرآن، و الألف و اللام فيه للعهد حضوريّاً أو خارجيّاً.

[أوصاف ثلاثة للقرآن الكريم]

و قوله تعالى: ﴿بِالْحَقِّ﴾. وصف الله الكتاب بأوصاف ثلاثة:

أوّلها: قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾، أي نزله بنحو الحقّ و الغرض الصحيح العقلاني، لا بنحو اللعب و الباطل، فإنّ الغرض منه هداية جميع الملل الإنسانيّة إلى كمالها الممكن في الدنيا و الآخرة، و لا مهمّة فوق ذلك.

و ثانيها: قوله: ﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾، و المراد بالكتاب الثاني جنسه الشامل للتوراة و الإنجيل و غيرهما من الكتب السماويّة المنزلة على الأنبياء، فالقرآن يصدّق كونها من قبل الله و الجائين بها أنبياء مبعوثين من ناحية الله.

---

١. في المصدر: «عشرة».

٢. الكافي، ج ٤، ص ١٥٧، ح ٥.

٣. الشعراء (٢٦): ١٩٣ و ١٩٤.

و ثالثها: قوله: ﴿وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾، و المهيمن على الشيء: الرقيب الحافظ و المدبّر له.[1] و في هذا التوصيف إشارة إلى أنّ تصديق القرآن للكتب السماويّة ليس بمعنى قبولها مع ما تشتمل عليه بنحو الإطلاق، بل مع النظر فيها و المراقبة فيها من جهات:

منها: التعرّض فيها، كما صرّح به في موارد.

و منها: بيان أمدها و أنّ كلّ سابق منها منسوخ بمجيء اللاحق، كما يستفاد من قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[2]، و قوله تعالى: في ما يأتي ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾، و قوله: ﴿وَ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَ آتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾[3]؛ فإنّ لازم وجود الشرايع و مجيء النبيّ اللاحق بالكتاب نسخ الشريعة السابقة و كتابه.

و منها: ملاحظة حال الشريعة الأخيرة بالنسبة إلى زمان القرآن، و الحكم بنسخها بالنسبة إليه بمعنى إبقاء عدّة من أحكامها و إمضائها و إزالة عدّةٍ أُخرى و الحكم بانقضاء أمدها؛ فانّ نسخ الشريعة لشريعة أُخرى معناه رفع المجموع، لا رفع الجميع، فالقرآن كتاب مهيمن للكتب السابقة، و رقيب و ناظر إلّا أنّ أكثر ما تعرّض بالنفي و الإثبات إنّما هو لحال الكتابين التوراة و الإنجيل.

و قوله: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ الفاء للتفريع، و ضمير الجمع إمّا راجع إلى اليهود و النصارى؛ لسبق الكلام عن كلتا الطائفتين، أو إلى الناس؛ لكون الكتاب نازلاً إليهم، و على التقديرين فالمعنى أنّه لمّا أعطاك الله الكتاب المهيمن للكتب الناظر لها، فيجب عليك الحكم على طبقه للطائفتين، سواء أكان موافقاً لكتابهم، أم مخالفاً، و كذا لجميع الناس قضاء لحقّ الرقابة و الهيمنة، و ليس لك اتّباع أهوائهم، ﴿عَمَّا جَاءَكَ﴾، أي معرضاً عمّا جاءك من الحقّ.

ثمّ إنّه قيل: إنّ لازم هذا التقرير مخالفته لما مرّ من قوله تعالى: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ

---

۱. راجع: تاج العروس، ج ۱۳، ص ۴۳۷ (همن). ۲. البقرة (۲): ۱۰۶.
۳. المائدة (۵): ۴۶.

أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾؛[١] إذ مفاد ذلك التخيير بين أن يحكم و يترك، و مفاد هذا إيجاب الحكم عليه.[٢]

لكنّ الظاهر عدم المخالفة؛ فإنّ المراد هنا ليس إيجاب الحكم، بل إيجاب كونه على وفق هذا الكتاب، دون الكتب السابقة، لعلّة كونه مهيمناً. فيبقى التخيير المستفاد من تلك الآية سليماً غير معارض، و النتيجة أنّك إن حكمت فلابدّ أن تحكم بما أُنزل إليك في هذا الكتاب.

قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾. الشرعة في الأصل: مورد الناس إلى الماء للاستسقاء منه، ثمّ استعير للطريقة الإلهيّة.[٣] و المنهاج: الطريق الواضح.[٤]

قال الراغب في قوله: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾:

فذلك إشارة إلى أمرين:

أحدهما: ما سخر الله تعالى عليه كلّ إنسان من طريق يتحرّاه[٥] ممّا يعود إلى مصالح العباد و عمارة البلاد... .

الثاني ما قيّض له[٦] من الدين و أمره؛ به ليتحرّاه اختياراً ممّا تختلف فيه الشرايع و يعترضه النسخ،[٧] إلى آخره.

[وجه إطلاق الشريعة و المنهاج على الطريقة الإلهيّة]

ثمّ إنّ إطلاق الشريعة على الطريقة الإلهيّة بملاحظة نفعها الكثير، كالشريعة الموصلة إلى الماء، و إطلاق المنهاج بلحاظ وضوحها و استوائها.

و الجعل في الآية أيضاً إمّا تكويني و إمّا تشريعي، فالآية الشريفة تحتمل معنيّين:

الأوّل: أنّ الله تعالى جعل لكلّ إنسان طريقاً موصلاً إلى النفع، واضحاً في أُموره

---

١. المائدة (٥): ٤٢.

٢. القائل هو أبو عليّ الجبّائي على ما نقل عنه في التبيان، ج ٣، ص ٥٤٤؛ مجمع البيان، ج ٣، ص ٣٤٩.

٣. راجع: لسان العرب، ج ٨، ص ١٧٥ و ١٧٦ (شرع). ٤. لسان العرب، ج ٢، ص ٣٨٣ (نهج).

٥. يقال: تحرّيت الشي: قصدته. و تحرّيت في الأمر: طلبت. المصباح المنير، ص ١٣٣ (حري).

٦. يقال: قيّض الله له قريناً: هيّأه، و سبّبه من حيث لا يحتسبه. لسان العرب، ج ٧، ص ٢٢٥ (قبض).

٧. المفردات للراغب، ص ٤٥٠ (شرع).

الحيويّة و معاشه الدنيويّة و حفظ وجوده و رفاه عيشه جعلاً تكوينيّاً بإيداع الشعور و الإدراك فيه وهدايته إلى آماله.

[الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق]

و إذا تأمّلت في حال الناس ظهر لك أنّ لكلّ فرد من الإنسان طريقاً يخصّه في كيفيّة حياته، لا يُشابه طريق أحد من أبناء نوعه شباهة تامّة، ولو كانا متّحدي الصنف في الشغل و الأعمال و المهنة، و يمكن القول بذلك حتّى في الشرعيّات، فلكلّ أحد طريق خاصّ في الوصول إلى ربّه و القربى منه، لا يتّحد مع طريق غيره، و لذلك قيل: إنّ الطرق إلى الله بعدد أنفس الخلائق.[1]

الثاني: أنّ الله تعالى جعل لكلّ ملّة من الملل طريقة دينيّة و شريعة إلهيّة متناسبة لحال أفرادها، محدودة بحدود عقولها و تفكيرها و اقتضاء زمانها و مكانها جعلاً تشريعيّاً بإرسال الرسل و إنزال الكتب و هداية العقول و الإلهام في النفوس، فيعلم من ذلك تعدّد الشرايع البشريّة، و قد مرّ أنّ الدين واحد، و الشرايع متعدّدة.

و الظاهر أنّ المراد بالآية هو المعنى الثاني بقرينة ما بعدها.

قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾. ليس المراد الوحدة النوعيّة؛ لتحقّقها في المخاطبين بلا إشكال، بل الوحدة من حيث الشريعة بأن ينزع للإنسان في عصوره المتسلسلة شريعة واحدة، و يكلّفهم بالعمل بها، و يكون بعث الرسل بنحو تترى[2]؛ لحفظ تلك الشريعة، فالمرسل الأوّل كالعلّة المحدثة للشيء، و الباقون كالعلّة المبقية، حافظون، راصدون، مراقبون.

---

١. معروف عند العرفاء. راجع: الفتوحات المكيّة، ج ٢، ص ٣١٧؛ شرح فصوص الحكم للجندي، ص ٩٧ و ٤٤٠؛ شرح فصوص الحكم للكاشاني، ص ١٥٠؛ شرح فصوص الحكم للقيصري، ص ٢٩٦؛ جامع الأسرار، ص ٨ و ٩٥ و ١٢١.

٢. «تترى»، أي متواترين و متتابعين وتراً بعد وتر ـ و الوتر: الفرد ـ و واحداً بعد واحد، أو متفرّقاً غير متواترين، من التواتر أو المواترة. و هو المتابعة مع فترات. راجع: لسان العرب، ج ٥، ص ٢٧٦ (وتر).

لكنّ هذا المعنى لم يكن و لم يشأء الله جعله؛ لقوله تعالى: ﴿وَلٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾، أي لم نجعلكم أُمّة واحدة متشرّعة بشرع واحد، بل أُمماً كثيرة، و لكلّ أُمّة شرع مشروع من قبله تعالى.

و ذلك ليمتحنكم و يختبركم في ما آتاكم، و هل المراد بالموصول هي الشريعة، أي لنختبر كلّ أُمّة بشريعته، أو المراد به العقول و القوى البشريّة و الاستعدادات الخاصّة الكامنة فيهم في جميع مراحل حياتهم الدنيويّة و الأُخرويّة؛ لأنّها لا تخرج من الاستعداد إلى الفعليّة إلّا بتعدّد الشرايع النازلة و اختلافها في شتّى نواحي أحكامها و قوانينها الانفراديّة و الاجتماعيّة العباديّة و غير العباديّة؟

فلا يحصل الكمال الممكن للإنسان و رقاه إلى مراتبه اللائقة به و الجديرة لنيله إلّا بالتعليم الإلهيّ و الهداية الربوبيّة و تشريع القوانين و تقنين الشرايع، فكلّما حصل له رقى من مرتبة إلى أُخرى بمرور العصور بهداية قواهم الطبيعيّة و عقولهم الفطريّة و دلالة القوانين الإلهيّة، لزم تشريع شرع آخر يناسب كماله، و ذلك كالصفوف المختلفة لدراسة الأطفال و الأوادم[1] في المدارس التحصيليّة، و اختلاف الكتب و الوظائف باختلاف الصفوف، فلو عيّن للجميع وظيفة واحدة مع اختلاف الأفهام و الدرجات، لم يحصل الاختبار، و لم يظهر جواهر الرجال،[2] و لم تخرج الاستعدادات من القوّة إلى الفعليّة. فاختبار ما آتى الله الناس و منحهم من القوى المستعدّة في العقول و الإدراك و صفات النفس و حالات الروح و السعادة و الشقاوة، لا يحصل إلّا بتشريع شرايع مختلفة لكلّ ملّة على مقتضى حالها.

و لازم هذا التقرير اختلاف الشرايع باختلاف الأمكنة أيضاً، كاختلافها بحسب الأزمنة، إلّا أنّ المعلوم لنا وجود الاختلاف بتبادل الزمان، و أمّا المكان فلم يظهر من

---

١. الأوادم: جمع آدم. راجع: تاج العروس، ج ١٦، ص ١١ (أدم).

٢. اقتباس من كلام أمير المؤمنين ؛ «في تقلّب الأحوال علم جواهر الرجال». نهج البلاغة، ص ٥٠٧، الحكمة ٢١٧.

الآثار شيء، فدعوى عدم وجود شريعتين في عصر واحد قطعاً غير ظاهرة.

قوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾. تفريع الكلام على سابقه ظاهر؛ فإنّه قد ظهر أنّ اختلاف الشرايع إنّما هو لنيل الانسان إلى كماله الممكن في مراحل وجوده، فعليه أن يتقبّل ما شرّعه تعالى لهدايته و إيصاله إلى كماله. فالمراد بالخيرات الخيرات في العقائد و أفعال الجوانح، و الخيرات في الملكات الفاضلة، و الخيرات في الأعمال الصالحة، و غير ذلك من علوم و حكم و كمال لائق له.

قوله: ﴿إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً﴾. أي مرجع اليهود و النصارى و المسلمين، فينبّأ أهل كلّ ملّة و شريعة بسبب اختلافهم مع آخرين، و أنّ الباقين على الشريعة المنسوخة مبطلون، مسؤولون و مأخوذون، معذّبون، و هم اليهود بعد ابتعاث عيسى عليه السلام، و الجميع بعد ظهور الإسلام.

قوله: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ...﴾. هذا عطف على قوله ﴿الْكِتَابِ﴾، و التقدير: و أنزلنا إليك أن تحكم بينهم، و التكرار للتأكيد، و لعلّه مقدّمة لقوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ...﴾، أي إن أعرضوا عمّا دعوت إليه من الدين و الكتاب و عمّا حكمت به في جواب سؤالهم أنّ الله يريد أن يعذّبهم و يَفْجَعَهُمْ[1] ببعض أجرامهم؛ فإنّ جزاء الجميع غير ممكن في الدنيا؛ إذ منه ما يقتضي الخلود في النار و نحو ذلك.

ثمّ إنّ ما عذّبهم الله به هو إهلاك عدّة من اليهود و النصارى بيد المسلمين و إجلاء[2] عدّة أُخرى، كبني نضير، و غير ذلك من العذاب و النكال الواقع عليهم في الأزمنة المتأخّرة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله إلى يومنا هذا.

قوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾. أي ليس الفسق و الخروج عن الطاعة منحصراً بكثير منهم، بل الناس جميعاً أكثرهم[3] خارجون عن طاعته؛ فإنّ الإنسان لفي

---

١. يقال: فجعه كمنعه: أوجعه، كفجّعه تفجيعاً، شدّد للمبالغة. تاج العروس، ج ١١، ص ٣٣٤ (فجع).
٢. الإجلاء: الإخراج من البلد، و المنع، و الطرد. راجع: الصحاح، ج ٦، ص ٢٣٠٤؛ النهاية، ج ١، ص ٢٩١ (جلا).
٣. كذا في الأصل.

خسر إلّا الذين آمنوا،[١] قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[٢].

[بحث في إمكان وقوع المعصية عقلاً عن المعصوم ﷺ، لا وقوعه اختياراً]

ثمّ إنّه قال الرازي في تفسيره ما هذا لفظه:

قال أهل العلم: هذه الآية تدلّ على أنّ الخطأ و النسيان جائزان على الرسول؛ لأنّ الله قال: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾.[٣] التعمّد في مثل هذا غير جائز على الرسول، فلم يبق إلّا الخطأ و النسيان،[٤] إلى آخره.

و لا يخفى عليك أنّه ليس متعلّق النهي في قوله: ﴿وَاحْذَرْهُمْ﴾ الخطأ و النسيان في الافتتان، بل متعلّقه الافتتان بالاختيار، و النهي عن ذلك يدلّ على إمكان وقوع ذلك عقلاً، و لا إشكال في إمكان وقوع المعصية عن المعصوم، و إلّا لما أمره الله بأمر، و لا نهاه بنهي، و لسقط عنه التكليف، و لما استحقّ الثواب و الأجر على فعل الحسنات و ترك السيّئات، و كلّ ذلك خلاف المقطوع به.

فالصواب القول بالإمكان إلّا أنّا نقطع بعدم ارتكابه العصيان مع القدرة و الاختيار؛ لسموّ ذاته عن الجرأة على الله و إلهام الله الترك لو اتّفق له الغفلة و النسيان، و ذلك كالإنسان الذي يتمكّن من قتل نفسه بالسمّ و غيره مع عدم وجود دواعي القتل فيه، لا يقتل نفسه بلا إشكال، مع أنّ ذلك لا يخرج عن اختياره، كيف و لا يزيد المعصوم من الإنسان عن الله تعالى؟ فإنّ الظلم في حقّه ممكن بالإمكان الذاتي، و إلّا لزم عجزه و إن لم يمكن وقوعاً، فالآية غير دالّة على إمكان الخطأ و النسيان، و غير ناظرة إليهما أيضاً، بل على إمكان الفعل الاختياري.

قوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ...﴾. الاستفهام للتوبيخ، و حكم الجاهليّة هو الحكم المنشأ عن العقائد الباطلة و الرذائل النفسانيّة من العصبيّة و العناد و التكبّر و الجور و

---

١. اقتباس من الآية ٢ و ٣ من سورة النصر (١٠٣).
٢. سبأ (٣٤): ١٣.
٣. المائدة (٥): ٤٩.
٤. تفسير الرازي، ج ١٢، ص ١٤.

غيرها، و بالجملة كلّ حكم صدر في مقابل ما حكم الله تعالى فهو حكم الجـاهليّة؛ لاستناده إلى الجهل.

و الضمير في ﴿يَبْغُونَ﴾ راجع إلى اليهود، أو كلّ من يبغي الحكم على طبق ميله، ففي الآية الشريفة توبيخ لكلّ فرد و ملّة و جامعة بشريّة تركوا حكم الله الثابت عليهم بمقتضى الدين القيّم و الشريعة الثابتة في حقّهم و عصرهم، و تمسّكوا بغير ذلك، سواء و ضعوه و شرّعوه على وفق عقولهم و هوى نفوسهم، أو أخذوه ممّن وصفه لذلك، فكلّ ذلك حكم الجاهليّة.

و قوله: ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾. اللام بمعنى عند، أي إنّ حسن ما حكم الله بـه و كـونه أرجح من حكم الجاهليّة و أحسن منه و أتقن، ثابت عند من له صفة اليقين بـربّه و بصحّة ما أنزله على رسوله ﷺ و كمال ما شرّعه لعباده.

قوله تعالى : ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارىٰ أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمينَ ○ فَتَرَى الَّذينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسارِعُونَ فيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشىٰ أَنْ تُصيبَنا دائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلىٰ ما أَسَرُّوا في أَنْفُسِهِمْ نادِمينَ ○ وَيَقُولُ الَّذينَ آمَنُوا أَهؤُلاءِ الَّذينَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خاسِرينَ ○ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرينَ يُجاهِدُونَ في سَبيلِ اللهِ وَلا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللهُ واسِعٌ عَليمٌ﴾.[1]

اللغة

الاتّخاذ ـ كما في المجمع ـ : الاعتماد على الشيء لإعداده لأمره.[2]

و وليّ الشيء: هو القريب إليه، المتّصل به في المكان، أو في غيره.[3]

قال الراغب :

الوَلاء و التوالي: أن يحصل شيئان فصاعداً حصولاً ليس بينهما، ما ليس منهما

---

١. المائدة (٥): ٥١ ـ ٥٤.

٢. في المصدر: «في إعداده في أمر». راجع: مجمع البحرين، ج ٣، ص ١٧٦ (أخذ).

٣. راجع: تاج العروس، ج ٢٠، ص ٣١٠ (ولي).

و يستعار ذلك للقرب من حيث المكان، و من حيث النسبة، و من حيث الدين، و من حيث الصداقة و النصرة و الاعتقاد[١] إلى آخره.

و تولّاه: اتّخذه وليّاً.

و الدائرة: هو الخط المحيط، و الدورة و الدائرة في المكروه، كما يقال: الدولة، في المحبوب.[٢]

و الحبط: الذهاب و البطلان،[٣] قال الراغب:

حبط العمل على أضرب: أحدها: أن تكون الأعمال دنيويّة، فلا تغني في القيامة شيئاً.

و الثاني: أن تكون أعمالاً أُخرويّة لكن لم يقصد بها صاحبها وجه الله.

و الثالث: أن تكون أعمالاً صالحة، ولكن بإزائها سيّئات توفّي عليها، و ذلك هو المشار إليه بخفّة الميزان،[٤] إلى آخره.

و الأذلّة: جمع ذلول بمعنى الخاضع المطيع، و هو من باب ضرب، و مصدره الذِلّ بالكسر، أي السهولة و الخضوع، و الذي من باب «نصر» فمصدره الذُلّ بالضم بمعنى الهوان، و وصفه: ذليل، و جمعه: أذلّاء.[٥]

و الأعزّاء: جمع عزيز، أي الغالب غير المغلوب، أو الغالب مطلقاً.[٦]

الإيضاح

قوله: ﴿لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ...﴾. أي لا تعتمدوا عليهم بقرب الخلطة و المودّة و الانتصار، و الشاهد على إرادة هذا المعنى اعتذار المؤمنين بعد المسارعة فيهم بقولهم: ﴿نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾، فيعلم أنّهم كانوا يوادّونهم، و ينتصرون بهم، فنهي عن ذلك.

قوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾. أي في الخلطة و الموادّة و الانتصار؛ فإنّهم في مرحلة

---

١. المفردات للراغب، ص ٨٨٥ (ولي).
٢. راجع: المفردات للراغب، ص ٣٢١ (دور).
٣. راجع: النهاية، ج ١، ص ٣٣١ (حبط).
٤. المفردات للراغب، ص ٢١٦ (حبط).
٥. راجع: تاج العروس، ج ١٤، ص ٢٥٢ (ذلل).
٦. راجع: النهاية، ج ٣، ص ٢٢٨ (عزز).

مقابلتهم مع المسلمين كالملّة الواحدة المتحابّة المتوازرة، و إن كان بينهم اختلاف في بعض الأُمور المذهبيّة، فقد أثبت التجارب و أوضحت حوادث الزمان أنّهم مع كمال مضادّتهم و مخالفتهم في ما بينهم، قد اتّحدوا و تعاهدوا و تعاضدوا على إطفاء نور الإسلام و إبطال شوكة المسلمين و قطع أعراقهم و قمع[١] أُصولهم و جذوذهم.[٢]

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾. ظاهر الكلام الحكم بكفر من تولّاهم بموادّة و انتصار كفراً حقيقيّاً ترتّب عليه آثاره جمعاً، و لو كان المتولّي غير معتقد بما اعتقدوا به، و يستفاد من الأدلّة الفقهيّة التي تبيّن حدود الإيمان و الكفر عدم كون هذا القرب موجباً للكفر الذي له آثار خاصّة دنيويّة و اجتماعيّة و آثار أُخرويّة، فاللازم الحكم بكون التنزيل في بعض الآثار، كجواز قطع المسلمين روابطهم عنهم، أو إخراجهم عن ديارهم، أو حرمانهم عن الغنائم و سائر ما للمسلمين من منافع الأراضي الخراجيّة و الزكوات و غيرها، أو عدم انعقاد إجارتهم للكفّار، و عدم حصول الأمن تباينهم.

[تعريف الكافر و ما يترتّب عليه من الأحكام]

و توضيح الحال في الكافر موضوعاً و حكماً على نحو الاختصار، أنّهم قد عرّفوا الكافر في الفقه بأنّه مطلق من لم ينتحل[٣] ديناً و شريعة، أو انتحل بما لا يحلّ الانتحال به في زمانه، أو أنكر بعض ما ثبت في الدين بحيث انجرّ إلى إنكاره، أو تكذيب النبيّ المشرّع له.[٤]

و الظاهر أنّ هذا اصطلاح خاصّ للفقهاء في مقام بيانهم الموضوع في الجملة، أو

---

١. القَمْعُ الضرب بالمِقْمَعة، و هي سوط من حديد معوجّ الرأس، أو خشبة يضرب بها الإنسان على رأسه. راجع: تاج العروس، ج ١١، ص ٤١٠ (قمع).

٢. كذا في الأصل.

٣. يقال: فلان ينتحل مذهب كذا و قبيلة كذا، إذا انتسب إليه. و انتحله و تنحّله، إذا ادّعاه، و هو لغيره. راجع: تاج العروس، ج ١٥، ص ٧١ (نحل).

٤. راجع: الدروس الشرعية، ج ٢، ص ٥١؛ كشف اللثام، ج ٩، ص ٣٤٦ و ٣٤٧؛ رياض المسائل، ج ٢، ص ٨٠.

القدر المتيقّن بالنسبة إلى ما يترتّب عليه الأحكام الكثيرة في الفقه؛ فإنّ الظاهر أنّ ما عرّفوه به موضوع لجميع الأحكام المذكورة في خلال الكتب الفقهيّة:

١. من كونها مانعاً عن جواز تقليده في الأحكام الشرعيّة.

٢. و كونه مانعاً عن صحّة عباداته و بطلانها مع اتّصافه به.

٣. و عدم وجوب تجهيزه من تغسيله و تحنيطه و تكفينه و الصلاة عليه و دفنه في مقابر المسلمين، بل حرمة جميع ذلك إذا قصد التشريع.

٤. و نجاسة بدنه وسؤره.

٥. و حرمة دخوله المسجد الحرام، بل و سائر المساجد.

٦. و حرمة بيع المصحف و العبد المسلم منه، و وجوب أخذهما منه لو استولى عليهما.

٧. و جواز بيع المشتبه ماليّته منه.

٨. و عدم جواز الاقتداء به في الجماعة بمعنى قادحيّته[1] في العدالة.

٩. و جواز إعطاء حصّة خاصّة من الزكاة له.

١٠. و جواز الحرب معه، أو وجوبه.

١١. و جواز حيازة أمواله بعنوان الغنيمة.

١٢. و جواز اسرقاقه و استرقاق أولاده وذراريه.

١٣. و جواز أخذ أمواله بغير الغنيمة من أنواع الحيل.

١٤. و جواز لعنه وسبّه وغيبته.

١٥. و جواز قتله في الجملة.

١٦. و حرمة وقف شيء عليه أو على أولاده.

١٧. و جواز أخذ الربا منه.

١٨. و وجوب أخذ خمس الأرض التي اشتراها من مسلم.

---

١. يقال: قدح فلان في فلان قدحاً: عابه و تنقّصه. و منه: قدح في نسبه و عدالته، إذا عيّبه و ذكر ما يؤثّر في انقطاع النسب و ردّ العدالة. المصباح المنير، ص ٤٩١ (قدح).

١٩. و حرمة التقرّب إلى الله بصلته و التصدّق له و الدعاء و الاسترحام له.
٢٠. و حرمانه عن إرث المسلم و لو كان أقرب له من غيره.
٢١. و حرمة تزويج المسلمة له مطلقاً، و حرمة تزويج المسلم به في الجملة.
٢٢. و خروج زوجته عن حبالته بإسلامها و عدم إسلامه.
٢٣. و خروج أمواله عن ملكه بارتداده.
٢٤. و وجوب قتله بالارتداد فطريّاً مطلقاً و مليّاً في الجملة.
٢٥. و حرمة ذبيحته ونجاستها.
٢٦. و حرمة صيده الحيوان البرّيّ إذا مات بذلك.
٢٧. و عدم قتل المسلم بقتله و لو كان ذمّيّاً معاهداً.

و غير ذلك من الأحكام الكثيرة المترتّبة عليه في الفقه، إلّا أنّ له إطلاقات في الآيات و الروايات يترتّب عليها بعض تلك الأحكام، و قد لا يترتّب عليها شيء منها.

[موارد إطلاق الكفر في الكتاب]

فقد أُطلق في الكتاب الكريم:

على منكر ولاية علي ﷺ: ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ إِنَّ اللهَ لاٰ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ﴾[١].

و على الساحر: ﴿وَلٰكِنَّ الشَّياطينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النّاسَ السِّحْرَ وَما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبابِلَ هارُوتَ وَمارُوتَ وَما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتّى يَقُولاٰ إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاٰ تَكْفُرْ﴾[٢].

و أُطلق الكفر:

على ترك الحج: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمينَ﴾[٣].

و على الأعمال السيّئة: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾[٤].

و على كفران النعمة: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَميدٌ﴾[٥].

---

١. المائدة (٥): ٦٧.
٢. البقرة (٢): ١٠٢.
٣. آل عمران (٣): ٩٧.
٤. الروم (٣٠): ٤٤.
٥. لقمان (٣١): ١٢.

و على النسيء:[١] ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾[٢]
و على الاشتغال بالملاهي: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ﴾[٣].
و على ترك التقوى: ﴿أَنِ اتَّقُوا اللهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلّهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ﴾[٤].
و على إنكار بعض الأحكام: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[٥].
و على إنكار النعمة: ﴿وَبِنِعْمَتِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾[٦].
و على القتال في الأشهر الحرم: ﴿قِتالٌ فيهِ كَبيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ﴾[٧].
و على الحكم بغير ما أنزل الله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ﴾[٨].

[موارد إطلاق الكفر في الأخبار]

و أُطلق في الأخبار الصادرة عن أهل البيت ﷺ بعدّة كثيرة إلّا أنّ جلّها أو كلّها داخل في المفهوم الذي عرّفه الفقهاء، فأُطلق على المشبّه و الناسب لله تعالى فعلاً محرّماً[٩].

و على الجبريّ و التفويضي[١٠].
و على القائل بالتناسخ[١١].
و على مدّعي المكان لله تعالى[١٢].
و على منكر قدرة الله تعالى[١٣].
و على الشاكّ في الله و رسوله[١٤].

---

١. النَّسء: تأخير في الوقت، و منه النسيء الذي كانت العرب تفعله، و هو تأخير بعض أشهر الحرم إلى شهر آخر. المفردات للراغب، ص ٨٠٤ (نسأ).
٢. التوبة (٩): ٣٧.
٣. الأحقاف (٤٦): ٢٠.
٤. النساء (٤): ١٣١.
٥. البقرة (٢): ٨٥.
٦. النحل (١٦): ٧٢.
٧. البقرة (٢): ٢١٧.
٨. المائدة (٥): ٤٤.
٩. وسائل الشيعة، ج ٢٨، ص ٣٣٩، ح ٣٤٩٠٤.
١٠. المصدر، ص ٣٤٠، ح ٣٤٩٠٧.
١١. المصدر، ص ٣٤١، ح ٣٤٩٠٩ و ٣٤٩١٠.
١٢. المصدر، ص ٣٤٤، ح ٣٤٩١٩.
١٣. المصدر، ح ٣٤٩٢٠.
١٤. المصدر، ص ٣٤٦، ح ٣٤٩٢٥.

و على المجسّم[١].

و على منكر الإمام ﷺ مطلقاً، أو منكر القائم منهم ﷺ[٢].

و على مدّعي حياة الحسين ﷺ و أنه غائب سوف يظهر[٣].

و على الحروريّة[٤].

ثمّ إنّه يمكن القول بأنّ الكفر ذو مراتب كثيرة، كما أنّ الايمان كذلك فبعض المراتب النازلة المتوسطة من الأوّل يجتمع مع البعض كذلك من الثاني قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[٥].

قوله: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. فالمتولّي للكفّار ظالم لنفسه، و ظالم لمن وصل ضرره إليه من المؤمنين الموجودين في زمانه و في الأزمنة المتأخّرة عنه.

قوله: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾. للقلب أوصاف كثيرة و صفات حسنة و رذيلة، مرّ بيانها إجمالاً في ذيل الآية ١٤ من السورة.

و المراد بالمرض هنا الكفر و النفاق، أو الشكّ و الريب؛ فإنّ المشار إليهم بالآية كانوا كذلك.

و المراد بالمسارعة فيهم إمّا المسارعة في موادّتهم و الاستنصار بهم، و هي مورد النهي السابق، أو المراد أنّ مسارعتهم إنّما هي حالكونهم داخلاً في الكفّار حقيقة، فهؤلاء في ما بين أُولئك، فما فيه المسارعة محذوفة، و لعلّه كلّ ما يسارع فيه أُولئك من الفساد و إثارة الحروب و نشر الأباطيل و غير ذلك.

---

١. المصدر، ص ٣٤٦ و ٣٤٨، ح ٣٤٩٢٩ و ٣٤٩٣٣.

٢. المصدر، ص ٣٤٤، ح ٣٤٩٢١، و ص ٣٤٩، ح ٣٤٩٣٥.

٣. المصدر، ص ٣٥١، ح ٣٤٩٤٢.

٤. المصدر، ص ٣٥٥ و ٣٥٦، ح ٣٤٩٥٧، و ٣٤٩٥٨. و قال ابن الأثير: «الحروريّة: طائفة من الخوارج، نُسبوا إلى حروراء بالمدّ و القصر، و هو موضع قريب من الكوفة، كان أوّل مجتمعهم و تحكيمهم فيها، و هم أحد الخوارج الذين قاتلهم عليّ كرّم الله وجهه، وكان عندهم من التشدّد في الدين ما هو معروف». و قال العلّامة المجلسي ﵀: «و لا خلاف في ذلك بين الأصحاب». راجع: النهاية، ج ١، ص ٣٦٦ (حرر)؛ مرآة العقول، ج ١٦، ص ٨١.

٥. يوسف (١٢): ١٠٦.

و قوله: ﴿يَقُولُونَ نَخْشىٰ أَنْ تُصيبَنا دائِرَةٌ﴾. أي حوادث سيّئة تدور على الأمم و الملل من قتل و سبي و استعباد و استرقاق، يقال: دائرة تدور، و دائلة تدول، فاعتذروا من المسارعة في الكفّار بالخشية عن انقلاب الزمان و انتقال الدولة إلى الكفّار و نزول الدائرة على المسلمين، و كان الاعتذار بذلك مقروناً بإظهارهم الايمان، و الآية تثبت كونه صوريّاً و عدم دخول الإيمان في قلوبهم؛ فإنّهم منهم.

قوله: ﴿فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾. «عسى» كلمة موضوعة للترجّي، فقيل: إنّ استعمالها في معناها يستلزم عجز المستعمل و جهله، كقوله: عسى الله أن يشفي المريض، فمعناها أنّ متعلّقها مطلوبة غير مقدور عليها و غير معلومة، فإذا وقعت في كلام الربّ تعالى استعملت في مجرّد المطلوبيّة، و تجرّدت عن لازمها،[١] لكنّ الظاهر أنّها وضعت لإنشاء الترجّي بأيّ قصد كان، فتستعمل في كلام الله في الإنشاء مع وعد الإيجاد، فكأنّه قال: فسوف يأتي الله.

و المراد بالفتح، قيل: هو إجلاء[٢] بني النضير، أو قتل بني قريظة، أو فتح مكّة، فتكون الآية، أو هي مع آيات حفّتها من جوانبها نازلة قبل سورة المائدة.

و المراد بالأمر من عند الله ظهور نفاق المنافقين المسارعين في الكفّار.

قوله: ﴿فَيُصْبِحُوا عَلىٰ ما أَسَرُّوا في أَنْفُسِهِمْ نادِمِينَ﴾. أي فيندموا على نفاقهم الباعث على مسارعتهم في الكفّار؛ فإنّ غلبة المسلمين يصير سبباً لوضوح أمرهم و بطلان مزاعمهم المذهبيّة و كذا ظهور نفاقهم.

قوله: ﴿وَيَقُولُ﴾. بالرفع جملة استينافيّة، أو بالنصب عطفاً على «يصبحوا». و «جهد الايمان» مفعول مطلق بغير لفظ فعله، أي أقسموا أشدّ إيمانهم و أغلظه، و المعنى واضح.

ثمّ إنّه يقرب أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ﴾ إلى آخر الآيتين أنّ المراد بالفتح فتح قلوبهم بالايمان، و بالأمر من عند الله موتهم، فالمعنى أنّه سوف يأتي

---

١. لم نعثر على القائل، نعم يمكن استظهاره من تضاعيف كلامهم. راجع: التبيان، ج ٣، ص ٥٥١؛ مجمع البيان، ج ٣، ص ٣٥٤؛ المفردات للراغب، ص ٥٦٦ (عسي).

٢. الإجلاء: الإخراج من البلد. راجع: لسان العرب، ج ١٤، ص ١٤٩ (جلا).

في حقّهم أحد الأمرين، و كلاهما سبب لندمهم. و قوله: ﴿وَيَقُولُ﴾ كلام ابتدائي بيان لكيفيّة لقاء المسلمين معهم يوم القيامة، متعلّق بقوله: ﴿أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾، و الخطاب فيه من بعض المسلمين إلى بعضهم، و الإشارة الى المنافقين.

و قوله: ﴿حَبِطَتْ﴾. إمّا من قول الله تعالى، أو هو أيضاً من تتمّة كلام المسلمين.

قوله: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾. المخاطب في الآية الشريفة المؤمنون الموجودون عند زمان الخطاب.

و ظاهر قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ﴾ أنّ أُولئك القوم غير موجودين وقت الخطاب، فقد وعد الله تعالى إتيان ملّة بصفات خاصّة، و حيث إنّ ذلك كلّيّ قابل الانطباق على كثيرين، فاللازم القول بدخول كلّ من وجد بعد نزول الآية و اتّصف بالأوصاف المذكورة تحتها.

[ذكر أوصاف القوم الموعود إتيانهم]

فنقول حينئذ: ما هي تلك الأوصاف؟ و من هم المتّصفون بها؟ أمّا الأوصاف فهي ستّة:

الأوّل: أنّ الله تعالى يحبّهم، و حيث إنّ هذه الصفة لا يعقل وجودها في الله بالمعنى الموجود فينا؛ فإنّ حقيقته انجذاب النفس نحو الشيء و التشوّق إليه، و يلازمه ترتيب آثار خارجيّة من كلام حسن و إنعام و إحسان ودفع شرّ و ضرّ و نحو ذلك، فإذا استعمل في الله تعالى كان المراد ترتيب آثار تلك الصفة. فحبّ الله لأحد توجيه الخطاب الليّن إليه و بذل الإنعام و التوفيق لنيله ما يحبّ و يرضى و دفع الشرور عنه و نصرته على أعدائه، لينتج كلّ ذلك قربه منه تعالى و نيله السعادة الأُخرويّة.

الثاني: أنّهم يحبّون الله تعالى كحبّهم سائر الأُمور و سائر الأشياء، وينتج ذلك في حقّهم امتثال أوامره و نواهيه من الأُصول و الفروع، ويلازم ذلك حبّ أوليائه و أحبّائه و حبّ شعائره و كلّ عمل يوصله إلى قربة؛ فإنّ من أحبّ شيئاً أحبّ آثاره.

و هذه صفة في الإنسان ليس فوقها صفة في الفضيلة و الكمال و النفع العائد لحاله،

و في الأدعية الواردة عن أهل البيت عليهم السلام: «اللّهمّ إنّي[١] أسألك حبّك، و حبّ من يحبّك، و حبّ كلّ عمل يوصلني إلى قربك».[٢]

الثالث: أنّهم أذلّة على المؤمنين، و هي جمع ذَلول، أي السهل الليّن المنقاد، فهم خاضعون لإخوانهم المؤمنين، لا يتكبّرون، و لا يتعزّزون، خافضون لهم الأجنحة، الصافحون عنهم، و الماشون على الأرض هوناً، و إذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً، و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا: سلاماً.[٣]

الرابع: أنّهم أعزّة على الكافرين، جمع عزيز، أي الشديد الغالب، فهم المعادون أعداء الله، لا يعطفون عليهم، و لا يميلون نحوهم، و لا يوادّونهم، و لا يحبّونهم.

و قد قال النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله «تخلّقوا بأخلاق الله»،[٤] فهم متخلّقون بأخلاقه تعالى، والله بالنسبة إليهم هو العزيز الجبّار المتكبّر، و القهّار الكبير المتعال، و المهلك المنتقم، قاصم الجبّارين، مُبير[٥] الحائرين، مدرك الهاربين، نَكال[٦] الظالمين، قهر بعزّته الأعزّاء، و تواضع لعظمته العظماء.[٧]

الخامس: أنّهم يجاهدون في سبيل الله. الجهاد: تحمّل المشاقّ، أو تحميل أمر على النفس تكرهه، فيشمل كلّ ما تحمله الإنسان في طريق مرضات الله من تحصيل العقائد الصحيحة الحقّة و رفض العقائد الباطلة، و كذا تصفية النفس و إزالة رذائلها و تحليتها بالفضائل، و كذا ترك المحارم من الأعمال و إتيان المحابّ منها، فيدرج الجهاد مع

---

١. «اللّهمّ إنّي» لم ترد في المصدر.

٢. الصحيفة السجّادية، ص ٤١٤، الرقم ١٩٠؛ بحار الأنوار، ج ٩١، ص ١٤٩.

٣. من قوله تعالى: «و الماشون» إلى هنا اقتباس من الآية ٦٣ و ٧٢ من سورة الفرقان (٢٥).

٤. لم نعثر عليه في الجوامع الروائيّة، نعم نقل في بعض المصادر مرسلاً. راجع: تفسير الرازي، ج ٧، ص ٧٢ و ج ٩، ص ٧٢، و ج ١١، ص ٥٨؛ بحار الأنوار، ج ٥٨، ص ١٢٩.

٥. المُبير: المُهلك. راجع: النهاية، ج ١، ص ١٦١ (بور).

٦. النكال: اسم من نكل به ينكل من باب «قتل» نكلة قبيحة: أصابه بنازلة. مجمع البحرين، ج ٥، ص ٤٨٧ (نكل).

٧. هذه الفقرات مقتبسة من الرواية. راجع: تهذيب الأحكام، ج ٣، ص ١١٠، ح ٢٦٦.

العدوّ في الأخير من هذه الأُمور، و يحتمل إرادته فقط من هذا الوصف.

السادس: أنّهم لا يخافون من لوم لائم، لائم لهم في عقائدهم و في أخلاقهم و ملكاتهم النفسانيّة و في أعمالهم، كان اللائم من أعدائهم، أو أقربائهم، و ذلك لأنّ علمهم بحقيقة أهدافهم و كمالها و حسنها و لزوم اتّباعها و إدراكهم ذلك بحكم العقل و قضاء اللبّ، قد كشف لهم الستور، و أراهم جواهر الأُمور، فعاينوا ما ينبغي اتّباعه عمّا لا ينبغي، فلا يؤثّر في حقّهم لومة أيّ لائم جاهل، و لا استهزاء أيّ غافل مستهزئ.

[بيان وجه التناسب بين تلك الأُوصاف]

هذا، ثمّ إنّ وجه التناسب بين الأوصاف أنّ الأوّلين يرجعان إلى لحاظ الارتباط بينهم و بين ربّهم بالمحابّة من الطرفين، و الثالث يرجع إلى كيفيّة معاملتهم مع إخوانهم و أحبّائهم، و الرابع إلى معاملتهم مع أعدائهم، و الأخيرين إلى بيان العلّة و أنّ تلك الصفات لا تحصل إلّا بالمجاهدة مع النفس في الباطن و عدم الخوف من الخارج.

[من هم المتّصفون بهذه الأُوصاف]

و أمّا المتّصفون بها الذين وعد الله تعالى إتيانهم، أي خلقهم و إيجادهم على وجه الأرض، فلا إشكال في عدم انطباقه على من يدّعيه بعض المفسّرين[1] من أنّ المراد أبوبكر و أصحابه؛ حيث حاربوا المرتدّين، أو أنّهم عمر بن الخطّاب و أصحابه و غيرهم ممّن ذكروا.

أمّا أولاً فلأنّ هؤلاء الجماعة قد كانوا في زمن نزول الآية، و قد مرّ أنّ ظاهر الآية تكوّنهم بعدها.

و أمّا ثانياً فلأنّه كيف ينطبق الأوصاف المذكورة على خالد بن وليد و أصحابه

---

١. هم الحسن و قتادة و الضحّاك و ابن جريج، على ما نقل عنهم في التبيان، ج ٣، ص ٥٥٦؛ مجمع البيان، ج ٣، ص ٣٥٨.

الذين أرسلهم أبوبكر إلى مالك و قومه، فقتل مالك بن نويرة، لضغينة[١] جاهليّة كانت بينهم، و قارب زوجته ليلة قتله، ثمّ أسرهم، و أتى بهم المدينة، مع أنّهم كانوا مسلمين، و قد استدعى عمر إجراء الحدّ على خالد، فأنكره أبوبكر قائلاً: إنّه سيف سلّه رسول الله ﷺ. فراجع القضيّة تجد الأمر على خلاف ما رووه و أروه، و تقطع عندئذ بعدم انطباق القوم في الآية على القوم المذكورين و أنّ بينهما بعد المشرقين.

و في المجمع: «و قيل: هم أميرالمؤمنين ﷺ و أصحابه حين قاتل من قاتله من الناكثين و القاسطين و المارقين». قال: «و روى ذلك عن عمّار و حذيفة و ابن عبّاس، و هو المروي عن أبي جعفر و أبي عبدالله ﷺ»[٢] إلى آخره.

و لا إشكال في كون عدّة كثيرة من أصحاب علي ﷺ الذين نشأوا بعد النبيّ، فصحبوا عليّاً ﷺ، كانوا متّصفين بالصفات المذكورة، فالآية قابلة الانطباق عليهم، ولا بأس في كون بعضهم من أصحاب النبيّ؛ إذ الانطباق يدور مدار الغالب.

و هنا عدّة أُخرى و قوم آخرون ورد في روايات الفريقين أنّهم المعنيّون بالآية، فهم من مصاديقها الواضحة، فقيل: إنّهم الفرس، و روي أنّ النبيّ سئل عن هذه الآية، فضرب بيده على عاتق سلمان، فقال: «هذا و ذووه»، ثمّ قال: «لو كان الدين معلّقاً بالثريّا لتناوله رجال من أبناء فارس».[٣]

[انطباق الآية على علماء الشيعة أشدّ انطباق]

و لا يخفى عليك أنّ الارتداد عن الدين كما يكون بإنكار التوحيد و النبوّة و المعاد، كذلك بإنكار الولاية، فإنّه لا إشكال في كونه من الدين و من مهامّ أركانه، فالمرتدّ شامل لكلّ من خالف الولاية، فيكون القوم الذين يأتيهم الله هم القائلون بخلافة علي ﷺ مع الاتّصاف بتلك الأوصاف، فتنطبق الآية حينئذ أشدّ الانطباق على علماء

---

١. الضّغينة: الحقد. لسان العرب، ج ١٣، ص ٢٥٥ (ضغن).

٢. مجمع البيان، ج ٣، ص ٣٥٨.

٣. المصدر.

التشيّع و معتقديه العاملين بما علموا و عرفوا من فارس و غيرهم.

و قوله ﷺ: «هم هذا و ذووه»، أي سيكون سلمان ممّن يؤمن بالولاية، ثمّ قومه الذين يتولّدون في الأزمنة المتأخّرة، يؤمنون بما ارتدّ الناس عنه بعد النبيّ.

و ورد في أحاديث أهل البيت ﷺ أنّ المراد بالآية مهديّ هذه الأمّة ﷺ و أصحابه،[١] فيأتيهم الله متّصفين بالأوصاف المزبورة، و هذا الوجه أحسن الوجوه و أقواها و أوضح مصاديق الآية بالنظر إلى روايات أهل البيت، الذين نزل القرآن في بيتهم.

قوله تعالى: ﴿ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشاءُ﴾. أي ما ذكر من الصفات من مصاديق فضل الله و إحسانه، يؤتيه من يشاء، و لا يشاء إلّا بعلم و حكمة، لا عبثاً و باطلاً، و نعوذ بالله، فمن سبقت له المقدّمات من قبول الحقّ و التسليم لأمره و الاستعداد من ناحيته، شمله فضله تعالى؛ ﴿مَنْ كانَ يُريدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ في حَرْثِهِ﴾[٢] ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾[٣] ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[٤].

﴿وَاللهُ واسِعٌ عَليمٌ﴾. واسع الذات، و واسع الصفات من القدرة و العلم و الإحسان و الفضل.

---

١. راجع: تفسير القمّي، ج ١، ص ١٧٠.
٢. الشورى (٤٢): ٢٠.
٣. الطلاق (٦٥): ٢.
٤. التغابن (٦٤): ١١.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ○ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[1].

الإيضاح

قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ...﴾. الوليّ قد يجيء بمعنى المحبّ، و قد يجيء بمعنى الناصر، كما أنّه يكثر استعماله بمعنى الزعيم المدبّر للأمر، الواجب طاعته.[2]

[بيان المراد بالوليّ في الآية الشريفة و الاستدلال بها على ولاية أمير المؤمنين ﷺ]

و الخطاب متوجّه للناس ظاهر في مغايرة المخاطبين مع من جعلت له الولاية، و الحصر يفيد اختصاص الولاية بالله و الرسول و بالمؤمن المتّصف بصفتين: إقامة الصلاة، و إيتاء الزكاة حال ركوعها، فيظهر حينئذٍ أنّ المراد بالوليّ هنا ليس المحبّ، أو الناصر؛ إذ لا معنى لحصر محبّ المؤمنين، أو ناصرهم بهؤلاء الثلاثة، بل المؤمنون جميعاً بعضهم محبّ البعض الآخر و ناصره، مع أنّ الملائكة أيضاً يحبّون المؤمنين و ينصرونهم، كما نصروهم ببدر و غيره من المواقف، كيف و قد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَ لاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي

---

١. المائدة (٥): ٥٥ و ٥٦.

٢. راجع: المفردات للراغب، ص ٨٨٥؛ لسان العرب، ج ١٥، ص ٤٠٦ (ولي).

كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[١] .

[و قال]: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾[٢]

و قال : ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[٣] .

و قال : ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[٤] .

و قال : ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[٥] .

و قال : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾[٦] .

و قال : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[٧] .

و المستفاد من هذه الآيات أنّ الملائكة تحبّ المؤمنين و تنصرهم، فالحصر على إرادة هذين المعنيين غير صحيح، و الحصر الإضافيّ خلاف الظاهر، لا يصار إليه بغير قرينة صارفة.

فالوليّ هنا بمعنى المتولّي لأُمور المؤمنين، المدبّر لها، كولاية الله و ولاية رسوله ﷺ، و على هذا فمن المراد بالذين آمنوا المتّصفين بالوصفين؟ و هل هو الكلّي الصادق على الكثيرين، فكلّ من آمن وصلّى وتصدّق في ركوعه فهو كالرسول الأعظم في ولايته على المؤمنين و زعامته و تدبير أُمورهم و وجوب طاعته عليهم، أو ليس ذلك مراداً؛ لأنّه تتسع حينئذٍ دائرة الأولياء، بل يتّحد الوليّ و المولّى عليه في موارد غير محصورة، فالمراد الخاصّ و إن كان الكلام عامّاً؟

و حينئذ نقول: لا ينطبق هذا القسم إلّا على أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ؛ لأنّه هو المجمع عليه عند الفريقين[٨] في اتّصافه بالوصفين، فقد كان مصلّياً، و السائل

---

١. فصّلت (٤١): ٣٠ و ٣١.
٢. آل عمران (٣): ١٢٤.
٣. آل عمران (٣): ١٢٥.
٤. الأنفال (٨): ٩.
٥. الأنفال (٨): ١٢.
٦. الشورى (٤٢): ٥.
٧. الأحزاب (٣٣): ٤٣.
٨. راجع: أحكام القرآن للجصّاص، ج ٢، ص ٥٥٧؛ جامع البيان، ج ٦، ص ٣٨٩؛ أسباب نزول الآيات للواحدي، ←

في المسجد ملحّ في الطلب، مصرّ في السؤال، قد ملّ منه، و لم يجبه أحد، فمدّ علي ﷺ يده إليه، و هو في الركوع، فأعطاه الخاتم، و كان النبيّ يرى الحال، و ينظر إلى فعل ابن عمّه، فنزلت.

و بالجملة، الآية الشريفة واضحة الدلالة في كون المراد بالولاية ولاية الأئمّة و الزعامة و التدبير، و في كون القسم الأخير ممّن له الولاية شخصاً خاصّاً ذكرت الأوصاف بعنوان الإشارة إليه، مع أنّ روايات الباب تعيّن المقصود، و لا نطيل البحث عن ذلك هنا؛ فقد أُلّفت فيه من الكتب عشرات و مآت من الفريقين، و أدّىٰ علماء الشيعة و محقّقوهم في بيان الحقيقة حقّ المطلب، فأفادوا، و أجادوا في ما أفادوا، فللّه تعالى دُرّهم، و على حامل أعباء[1] الولاية الكبرى ـ صلوات الله عليه و على أهل بيته ـ الشفاعة الحسنة في أجرهم.

ومن عجيب الأمر ما صنعه بعض علماء السنّة، أنّه بعد ما ذكر استدلال الشيعة بالآية على ولاية أميرالمؤمنين ﷺ مستشهدين له بالأخبار الواردة، أجاب عن ذلك بقوله: «و الظاهر ما ذكرنا»، [أي] الولاية بمعنى المحبّة و النصرة، ثمّ قال: «و على هذايكون دليلاً على أنّ الفعل القليل في الصلاة لا يبطلها، و أنّ صدقة التطوّع تسمّى زكاة»[2] إلى آخره.

قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ...﴾. أي و من قبل الولاية المزبورة ولاية الله و ولاية الرسول و المؤمنين المتّصفين بالوصفين، فقد دخل في حزب الله، و حزب الله هم الغالبون في مرحلة الحجّة و البرهان، أو في آخر الزمان تحت لواء الإمام العدل المنتظر، أو هم الغالبون في الآخرة في مقام المخاصمة يوم يقوم الحساب، و يحكم الله في ما فيه يختلفون.

↔ ص ١٣٣؛ تفسير العيّاشي، ج ١، ص ٣٢٨، ح ١٣٩؛ تفسير القمّي، ج ١، ص ١٧٠؛ تفسير فرات الكوفي، ص ١٢٦؛ التبيان، ج ٣، ص ٥٥٩؛ مجمع البيان، ج ٣، ص ٣٦٢.

١. الأعباء: جمع العِبْء بالكسر، و هو الحمل و الثقيل من أيّ شيء كان. لسان العرب، ج ١، ص ١١٧ (عبأ).

٢. قاله البيضاوي في تفسيره، ج ٢، ص ٣٣٩ و ٣٤٠.

قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذينَ اتَّخَذُوا دينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفّارَ أَوْلِياءَ وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ ۝ وَإِذا نادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوها هُزُواً وَلَعِباً ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾.[1]

البيان

الخطاب عامّ للمؤمنين الموجودين في عصر الخطاب و في هذا العصر و في ما ياتي إلى يوم القيامة، و خاصّ بمن يبتلي بالكفّار و موادّتهم و موالاتهم، و الولاية المنهيّة هنا هي الموادّة باطناً و ترتيب آثارها خارجاً من المعاشرة بالصداقة، كمعاشرة المؤمنين بعضهم مع بعض، فالنهي حينئذ إمّا مولويّ تحريميّ؛ لوجود المفسدة الأكيدة في ذلك، أو هو إرشاديّ إلى تلك المفاسد، كقوله: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ ناراً خالِداً﴾[2].

و يظهر الثمرة في حرمة العِشْرة[3] بالأمور المباحة ـ كالاختلاف إليهم و حضور مجامعهم و عيادة مرضاهم و غير ذلك ـ و عدمها، فعلى النهي المولوي يحرم ذلك كلّه؛ لصدق اتّخاذهم وليّاً، و على الإرشاد لا يحرم ذلك، و لا يترتّب على الولاية إلّا ما انجرّت إليه من الترديد في الدين، أو الكفر به، أو الوقوع في المعاصي التي يرتكبونها و التخلّق بأخلاقهم الرذيلة، و كذا سراية عقائدهم و أفعالهم القبيحة إلى أولادهم و أقربائهم.

---

١. المائدة (٥): ٥٧ و ٥٨.　　　٢. النساء (٤): ١٤.

٣. العِشْرَة: المخالطة. لسان العرب، ج ٤، ص ٥٧٤ (عشر).

و الظاهر كون النهي مولويّاً، و كون تلك المفاسد علّة لذلك، كما أنّها علّة لحكم الشارع بنجاسة أبدانهم و فضلاتها بناء على القول بها.

و في الآية الشريفة شواهد على التحريم، و هي التأكيدات المستفادة منها، كإشعار الخطاب بنحو توصيف المخاطبين بالايمان و بيان أنّهم قد اتّخذوا دينكم هزواً و لعباً، و الأمر بتقوى الله، و تعليق التقوى بالايمان، فمن لم يتّق الله بأن اتّخذهم أولياء، فليس بمؤمن.

و إنّهم قد اتّخذوا الصلاة أيضاً هزواً و لعباً، مع أنّها عمل عباديّ و خضوع في قبال الربّ تعالى، و حسنه غير خاف على من اعتقد بالربّ تعالى.

قوله: ﴿اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً﴾. الهُزْء بالهمز و الواو: المَزْح، و الاستهزاء.[١] و اللعب: هو الفعل الصادر عن غير قصد صحيح عقلاني.[٢] فالكفّار قد اتّخذوا الدين ـ ؛ أعني المجموع المركّب من الأُصول و الأخلاق و الفروع ـ أُموراً غير قابلة للاعتناء بها، جديرة بالهزء، حريّة باللعب. و ذكر هذه الصلة في الكلام وصفاً للكفّار تعليل للحكم، و حكمة للتحريم، و أنّه كيف يمكن و يليق بالمؤمنين اتّخاذهم أولياء و هم بهذا الوصف و الخليقة.

قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾. أي عن عذابه المترتّب على هذه الولاية.

قوله: ﴿وَإِذا نادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ﴾. هذا بيان مصداق لهزئهم بالدين و لعبهم به. و المراد بالنداء هنا الأذان، كما في قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللهِ﴾[٣].

و قوله: ﴿اتَّخَذُوها﴾. أي اتّخذوا المناداة، أو الصلاة.

و قوله: ﴿لا يَعْقِلُونَ﴾. أي حقيقة هذا العمل الخاصّ و آثارها و نتائجها و منافعها

---

١. راجع: المفردات للراغب، ص ٨٤١؛ تاج العروس، ج ١، ص ٢٨٥ (هزأ).

٢. في اللغة: اللَعِبُ و اللَعْب: ضدّ الجدّ. و قال الشيخ الطبرسي؛: «اللعب: الأخذ على غير طريق الحقّ». راجع: مجمع البيان، ج ٣، ص ٣٦٤؛ لسان العرب، ج ١، ص ٧٣٩ (لعب).

٣. الجمعة (٦٢): ٩.

الشخصيّة و النفسيّة و الاجتماعيّة؛ فإنّهم لو عقلوها لخضعوا لها طوعاً أو كرهاً.

إن قلت: إن كانوا غير عاقلين، فكيف التكليف بها؟ و لماذا يعاقبون عليها؟

قلت: عدم تعقّلهم ذلك لإعراضهم عن التأمّل و التدبّر، فلم يهتدوا إليه باختيار، مع أنّ ترك أصل الدين و إنكار النبوّة و الكتاب مع تمام الحجّة عليهم فيها، يكون حجّة على ما فاتهم من فروعها، ولو لم يلتفتوا و لم ينتهوا، فكلّ حكم فرعيّ تركوه جهلاً و خالفوه مع الغفلة عنه، أو القطع بخلافه، إذا كان ذلك مسبّباً عن إنكار النبوّة و الكتاب بحيث لو آمنوا و اتّبعوا لنالوه و أطاعوه، فهم في ذلك مقصّرون معذّبون، نعم لو كان الحكم الفرعيّ الذي خالفوه و تركوه بحيث لم يمكنهم الوصول إليه، و لو فرضنا الإيمان و الإذعان و العمل بمقدار من أحكامه، فهم بالنسبة إليه قاصرون معذورون.

قوله تعالى : ﴿قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنّا إِلّا أَنْ آمَنّا بِاللهِ وَما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فاسِقُونَ ○ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنازِيرَ وَعَبَدَ الطّاغُوتَ أُولٰئِكَ شَرٌّ مَكاناً وَأَضَلُّ عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ﴾.[1]

اللغة

نقم من زيد: عاقبه، و نقم منه عمله: كرهه، و عابه، و أنكره أشدّ الإنكار.[2] و المثوبة و الثواب واحد يطلقان في الخير و الشرّ، لكنّ الأكثر المتعارف في الخير.[3] و اللعن، قال الراغب: «هو الطرد و الإبعاد على سبيل السخط، و ذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة، و في الدنيا انقطاع من قبول رحمته و توفيقه، و من الإنسان دعاء على غيره»،[4] انتهى. و الغضب: حالة خاصّة في الحيوان توجب ثوران دم القلب و إرادة الانتقام، و إذا استعمل في الله تعالى صار بمعنى إرادة الانتقام محضاً.[5]

هذا، و قد يستعمل كلّ واحد من اللعن و الغضب إنشائيّاً بداعي إظهار البعد و المبغوضيّة.

الإيضاح

قوله : ﴿يا أَهْلَ الْكِتابِ﴾. الظاهر أنّ المراد أهل الكتابين: اليهود و النصارى.

---

١. المائدة (٥): ٥٩ و ٦٠.

٢. راجع: المصباح المنير، ص ٦٢٣ (نقم).

٣. راجع: المفردات للراغب، ص ١٨٠ (ثوب).

٤. المصدر، ص ٧٤١ (لعن).

٥. راجع: المصدر، ص ٦٠٨ (غضب).

[ذكر ما عابه أهل الكتاب على المسلمين و الجواب عنه]

و المراد بالآية ذكر ما عابوه على المسلمين و الجواب عنه.

أمّا الأوّل فإنّهم لم ينكروا إلّا إيمان المسلمين بالله، و بما أُنزل على محمّد ﷺ من القرآن و غيره، و بما أُنزل على الأنبياء الماضين من الكتب السماويّة و غيرها؛ فإنّهم لم يؤمنوا بجميع ما أُنزل، فأنكروا نبوّة محمّد ﷺ و كتابه.

و قوله: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ﴾. الظاهر أنّه عطف على كلمة ﴿بِاللهِ﴾ و المعنى: تعيبون من اعتقادنا بفسق أكثركم و خروجكم عن طاعة الله تعالى بإنكار النبيّ الأعظم و كتابه.

و أمّا الثاني ـ ؛ أعني الجواب ـ فهو قوله: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ...﴾، و المعنى أنّه لو كان الإيمان بالله و بجميع ما أنزله شرّاً عندكم و في حُسْبانكم،[١] فالأولى أن تنظروا إلى ما صدر منكم معاشر اليهود من الشرور، فقال: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكَ مَثُوبَةً﴾، أي بشرّ من إيماننا جزاء و عاقبة، فالمثوبة هنا بمعنى الجزاء السيّء، أو بشرّ من ذلك المؤمن.

﴿مَنْ لَعَنَهُ اللهُ﴾، أي عقائد من لعنه الله، أو نفس من لعنه الله إلى آخره، و هم طائفة اليهود؛ حيث لعنهم الله، و أبعدهم عن رحمته، و غضب عليهم، و مسخهم قردة و خنازير؛ لأجل عبادتهم العجل و مخالفتهم.

قوله: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾. عطف على الصلة في ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللهُ﴾. و الطاغوت: هو الطاغي لله، المتمرّد عن طاعته،[٢] و المراد هنا الشيطان، أو هوى النفس، أو السامري، أو من تمرّد عن أمر الله و رسوله في قضية دخول الأرض المقدّسة، أو أحبارهم الذين حرّفوا كتابهم، و غيّروا شريعتهم.

قوله: ﴿أُولٰئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ...﴾. أي مكانهم شرّ؛ فإنّه في دركات النار، و كونهم أضلّ بلحاظ ضلالتهم في الأصول، فهو أقبح من الضلالة في الفروع، و الضلالة أمر

---

١. الحُسْبان، بالضمّ: الحساب. النهاية، ج ١، ص ٣٨٣ (حسب).

٢. راجع: مجمع البحرين، ج ١، ص ٢٧٥ (طغا).

مشكل، أو أنّهم ضالّون في مرحلة العقائد و الأخلاق و الأعمال، فذكر اسم التفضيل بلحاظ الكثرة.

و ﴿سَواءِ السَّبِيلِ﴾ من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي الطريق المستقيم، و حيث إنّ الطريق المستقيم متعدّدة المصاديق بالنظر إلى العقائد و الملكات و الأعمال، فالضلال يكون كذلك، مع أنّ الطريق المستقيم و لو كان واحداً، فالضلالة كثيرة، و لذلك قال: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ﴾[1].

---

١. البقرة (٢): ٢٥٧.

قوله تعالى : ﴿وَإِذا جاؤُكُمْ قالُوا آمَنّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِما كانُوا يَكْتُمُونَ ○ وَتَرىٰ كَثِيراً مِنْهُمْ يُسارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ ○ لَوْ لا يَنْهاهُمُ الرَّبّانِيُّونَ وَالْأَحْبارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ ما كانُوا يَصْنَعُونَ﴾.[1]

اللغة

الإثم: هو الإبطاء عن الخير، فيطلق على الذنب؛ لتأثيره في الحرمان عن الخيرات.[2] و العدوان: التجاوز، و يطلق على تجاوز الإنسان عن أوامر الله، أو عن حقوقه و حدوده.[3] و السُحت في الأصل: الاستيصال، و الإهلاك، فيطلق على الرشوة، أو يطلق على الحرام؛ لتأثير في قطع الخيرات و التوفيق عن مرتكبه.[4] و الربّاني: المنسوب إلى الربّ بمعنى الله، كالروحاني، أو إلى الربّ بمعنى التربية، فهو يربّي نفسه بالفضائل و الآداب، أو يربي الناس بالتربيّة الدينيّة.[5] و الأحبار: جمع حبر بالكسر و الفتح، أي العالم الذي له الأثر في ما بين الناس،[6] و قد مرّ بعض الكلام فيهما .

التبيان

قوله : ﴿وَإِذا جاؤُكُمْ قالُوا آمَنّا﴾. بيان لحال عدّة من المنافقين من اليهود، أو الأعمّ منهم و من غيرهم .

---

١. المائدة (٥): ٦١ ـ ٦٣.
٢. راجع: المفردات للراغب، ص ٦٣ (أثم).
٣. راجع: التبيان، ج ٣، ص ٥٧٧؛ مجمع البيان، ج ٣، ص ٣٧٣؛ لسان العرب، ج ١٥، ص ٣٣ (عدا).
٤. راجع: النهاية، ج ٢، ص ٣٤٥ (سحت).
٥. راجع: المفردات للراغب، ص ٣٣٦ (ربب).
٦. راجع: لسان العرب، ج ٤، ص ١٥٧ (حبر).

و قوله: ﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾. أي دخلوا على النبيّ كافراً، و خرجوا من عنده كذلك، أو دخلوا في كلّ عمل عملوه، و خرجوا منه مقروناً بالكفر، فهم يتقلّبون في الكفر، أو دخلوا به في شهور عمرهم و سنينها، و خرجوا به.

قوله: ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ﴾. أي من أنفسهم، أو من الملائكة الموكّلين بهم.

قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾. من كفرهم في عقائدهم، و أخلاقهم الرذيلة في نفوسهم، و أفعالهم القبيحة الصادرة من كلّ منهم، و ما يدبّرونه من الحيل و الخدائع على المسلمين في ما بينهم.

قوله: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيراً مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾. المراد بكثير من اليهود، أو من المنافقين، إما عوامهم و جهّالهم غير عدّة قليلة لم يسلّموا؛ لخوفهم، و لم يسارعوا في الإثم و العدوان؛ للاعتقاد بدينهم و يؤيّده قوله: ﴿لَوْ لَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ...﴾.

أو المراد عدّة من أشرافهم و ملأهم[1] و مُترفيهم؛[2] فإنّهم المسارعون في الإثم و العدوان في ما بينهم، و المعاندة مع المسلمين؛ ليطفئوا نور الله بأفواههم حفظاً لرياستهم و الانغمار في شهواتهم و اتّباع أهوائهم.

أو عدّة من أحبارهم و علمائهم بالملاك المزبور، و لذلك حرّفوا كتاب الله، و غيّروا أحكامه.

و المراد بمسارعتهم في الإثم إلى آخره، كثرة صدوره منهم و إصرارهم في ذلك محبّين متولّهين.

[تفسير الإثم و العدوان و السحت]

ثمّ إنّ الآية متعرّضة لأُمور ثلاثة:

الإثم، و الظاهر أنّ المراد به هنا المعصية الصادرة باللسان من الإفتاء بغير ما أنزل الله.

---

١. الملأ: الرؤساء، سمّوا بذلك؛ لأنّهم مِلاء بما يحتاج إليه. لسان العرب، ج ١، ص ١٥٩ (ملأ).

٢. المُترِف: المتنعّم المتوسّع في ملاذّ الدنيا و شهواتها. النهاية، ج ١، ص ١٨٧ (ترف).

و قول الهُجْر[١] و سبّ المؤمنين، بل و تكذيب النبيّ الأعظم و الافتراء له و إنكار كتابه، أو الاستهزاء به، و نحو ذلك من معاصي اللسان بقرينة قوله تعالى في ما بعد: ﴿عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾.

و العُدْوان، و هو التجاوز عن حقوق الله و حدوده في ما بينهم و بين الله، و في ما بينهم و بين الناس، فيشمل المعاصي المتعلّقة بحقّ الله و حقوق الناس.

و أكل السُحْت، و هو تخصيص لأمرهمّ من حقوق، كأكلهم أموال الناس بالرشا و غير ذلك.

و قد يقال: إنّ المراد بالعدوان هو أكل السحت، فالعطف فيه تفسيريّ بقرينة ذكر القسمين فقط في الآية التالية.

و لا بأس به و إن أمكن أن يقال: إنّه قد ذكر في الآية الأوّلَ و الآخرَ من تلك؛ ليندرج الوسط في ما بين ذلك، كما في قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ﴾،[٢] أي و بما بينهما من الأمور الاعتقاديّة.

[توبيخ علماء اليهود]

قوله: ﴿لَوْ لاٰ يَنْهٰاهُمُ الرَّبّٰانِيُّونَ...﴾. هذا توبيخ لعلمائهم؛ لجهة تركهم النهي عن المنكر الذي يفعل بمرأى منهم و مسمع، و الظاهر أنّ هؤلاء الطائفة لم يكونوا مرتكبين للإثم و العدوان، فعصيانهم المؤدّي لتوجّه الذمّ إليهم هو السكوت عن النهي و تركه في محلّ وجوبه، و ذلك ممّن له قدرة و شوكة بحيث يؤثّر نهيه في دحض الباطل[٣] و ترك المناهي، ذنب عظيم، و لذلك أكّد الذمّ بقوله: ﴿لَبِئْسَ مٰا كٰانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

---

١. الهُجْر، بالضمّ: القبيح من الكلام، و الفحش في المنطق. تاج العروس، ج ٧، ص ٦٠٦ (هجر).

٢. آل عمران (٣): ١١٤؛ التوبة (٩): ٤٤.

٣. دَحْض الباطل: زَلَقُه، أي زَلَلُهُ و عدم ثباته. راجع: لسان العرب، ج ٧، ص ١٤٨ (دحض).

قوله تعالى: ﴿وَقالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِما قالُوا بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَالْبَغْضاءَ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً وَاللهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.[1]

اللغة

الغلّ: القيد، و المغلول: هو المجعول في القيد،[2] و يكنّى به عن العجز و عن البخل و عن الفقر و نحو ذلك. و قد مضى أنّ العداوة و البغضاء متقاربان، فما يظهر في الخارج و يصل من العدوّ إلى عدوّه عداوة، و ما يعقد عليه القلب بغضاء.

الإيضاح

[ذكر علل لقول اليهود ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾ و الجواب عنها]

قوله: ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾. قولهم ذلك إمّا لأنّهم لمّا سمعو أنّ الله قد قضى كلّ شيء من الخلق و الرزق و غير ذلك، وكتبه في اللوح المحفوظ، قالوا: إذن فَيَدُهُ مغلولة، و هي في حكم المقيّد، و لا يقدر على فعل؛ لأنّه قد قضى الله الأمر، وجفّ القلم، فأرادوا بالكلام الكناية عن عدم تصرّفه في العالم، أو عدم قدرته على ذلك.

و إما لأنّهم لا يرون النسخ في الشريعة، و أنه يستحيل من الله تعالى نسخ شريعة و إحداث أُخرى، و كذا نسخ بعض الأحكام في شريعة واحدة.

---

١. المائدة (٥): ٦٤.

٢. راجع: لسان العرب، ج ١١، ص ٥٠١ (غلل).

و لعلّ ذلك من جهة الإشكال المشهور المعنون في علم الأصول من أنّ النسخ مستلزم للجهل، و تعالى ذلك عنه.

و قد أُجيب عن ذلك بأجوبة، و برهن على إمكانه بل وجوبه و لزومه، و على هذا الوجه فمعنى قوله تعالى: ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾ تنزيل لدعواهم بمنزلة دعوى غلّ اليد.

و إمّا لأنّهم قد قحطوا، و تلفت عنهم السماء، فضاقت عليهم معيشتهم، فلم يمطر السماء، و لم تنبت الأرض. فأصابهم جَدْب[١] و بلاء، فتكلّموا بذلك كناية عن عجز الله، أو بخله تعالى الله عن ذلك علوّاً.

و إمّا لأنّهم قد سمعوا بعض الآيات القرآنيّة الدالّة على استنصار الربّ تعالى و طلبه الجهاد في سبيله و النصرة لدينه، أو إيجابه الانفاق في سبيله، أو استقراضه من عباده، كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ﴾[٢]، ﴿وَجاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهادِهِ﴾[٣] ﴿وَجاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ في سَبيلِ اللهِ﴾[٤]، ﴿مَنْ ذَا الَّذي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾[٥]، ﴿أَقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾[٦] و غير ذلك.

ثمّ إنّه يظهر من قوله تعالى: ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ﴾ أنّ المراد أحد المعنيين الأخيرين.

و قوله: ﴿غُلَّتْ أَيْديهِمْ﴾. إنشاء بداعي استحقاقهم للعذاب المشابه؛ فإنّ مرجع دعواهم على الاحتمال الأوّل و الثاني العجز، و على الثالث البخل، و على الرابع الفقر، أو أنّ الكلام إخبار عن وقوعها في حقّهم، فهم عجزاء و بخلاء و فقراء، أو إخبار عن أنّ الغلّ سيقع بمعناه الحقيقي في حقّهم يوم القيامة و في نار جهنّم، فاستعمل الماضي، و أُريد المستقبل، كقوله تعالى: ﴿إِذا وَقَعَتِ الْواقِعَةُ﴾[٧].

و اللعن: الطرد، و هو أيضاً إمّا إنشاء بداعي كونهم مبغوضين عند الله، مبعدين عن قربه تعالى، أو إخبار عن الماضي، أو المستقبل، كالجملة السابقة عليها.

---

١. الجَدْب: هو المحْل وزناً و معنى، و هو انقطاع المطر و يبس الأرض. المصباح المنير، ص ٩٢ (جدب).

٢. محمّد ﷺ (٤٧): ٧. ٣. الحجّ (٢٢): ٧٨.

٤. التوبة (٩): ٤١. ٥. البقرة (٢): ٢٤٥؛ الحديد (٥٧): ١١.

٦. الحديد (٥٧): ١٨؛ المزّمّل (٧٣): ٢٠. ٧. الواقعة (٥٦): ١.

قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾. قد عرفت أنّ مرجع كلامهم إلى دعوى البخل، أو دعوى الفقر لله تعالى، و حينئذ فلو كان المقصود من قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ردّ الدعوى الأُولى، فالأمر ظاهر؛ إذ معنى الكلام حينئذ أنّ له غاية الجود و كمال الفضل و الإحسان، فكيف يكون بخيلاً؟! و ذلك لدلالة تثنية كلمه «اليد» عليه.

و إن كان المراد ردّ الدعوى الثانية فالمقصود أنّه كونه جواداً غايته لا يمكن أن يكون فقيراً، و هذا البيان مبنيّ على كون تثنية اليد كناية عن كمال الجود كما قلنا.

و قد يقال: إنّ معنى اليد النعمة، و إتيانها تثنية لإفادة نعمة الدنيا و الآخرة، أو النعم الظاهرة و الباطنة، كقوله تعالى: ﴿وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً﴾[١].[٢]

و يقال أيضاً: إنّ المراد باليد القوّة و القدرة، و المراد قدرته تعالى على اعطاء الثواب و إجراء العقاب.[٣]

و هذا لا يناسب كون الكلام جواباً عن إيراد البخل و الفقر.

و قوله: ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾. و قد علم من الخارج من آيات الكتاب و غير الآيات أنّ إنفاقه و كيفيّة إنفاقه عبارة عن إعطائه كلّ موجود حيّ ما يستحقّه في حفظ حياته و دوام وجوده، كالماء و الهواء للنبات و الشجر و سائر الحيوان، و الغذاء و اللباس و المسكن و نحوها للحيوان و الإنسان، و العلوم و المعارف و الحكم و البصيرة و الإدراك للحيوان و الجنّ و الملك؛ قال تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[٤]، و قال: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ○ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[٥].

ثمّ إنّ مراعاة حدّ الاستحقاق و مقدار الإعطاء و زمانه و مكانه و دوامه و انقطاعه داخل في كيفيّة الإنشاء، فحاصل المعنى أنّ الله ينفق ـ [و] هو المنفق ـ لكلّ شيء رزقه، و أنّه هو العالم بكيفيّة الإنفاق من جميع الجهات؛ فإنّه يعطي كلّ ذي فضل

---

١. لقمان (٣١): ٢٠.
٢. نسب إلى القبل في التبيان، ج ٣، ص ٥٧٩.
٣. نقل عن الحسن. راجع: التبيان، ج ٣، ص ٥٨١؛ مجمع البيان، ج ٣، ص ٣٧٨.
٤. طه (٢٠): ٥٠.
٥. الأعلى (٨٧): ٢ و ٣.

فضله،[١] و كلّ شيء عنده بمقدار؛[٢] ﴿وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾.[٣]

ثمّ إنّ كون هذا الكلام جواباً عن دعوى اليهود أنّه تعالى بعد إن أعرض عن دعواهم الباطلة بكلمة «بل»، أثبت على نفسه الإنفاق على طبق مشيّته، فعلم في ضمن هذا البيان العامّ أنّ المقصود أنّ منع المطر و السماء و إمساك النعمة و الرخاء و إيجاد الجَدْب[٤] و البلاء ليس للبخل عن الإحسان، أو الفقر و الفقدان، بل لأجل إرادة أخذهم بمعاصيهم، و أنّ الاستقراض من عباده أيضاً للامتحان و الاختبار؛ ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يَحْيىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾.[٥]

قوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً﴾. الكثير منهم هم المعاندون الذين لم يقبلوا الدين، و لم ينقادوا للحقّ، و القليل منهم هم الذين آمنوا، و قبلوا، و أطاعوا.

و إسناد زيادة الطغيان و الكفر إلى ما أنزله الله من الكتاب و المعجزات و سائر الأحكام الصادرة بلسان النبيّ ﷺ من قبيل إسناد المسبّب إلى شرطه مع وجود المقتضي؛ فإنّ السبب الأصيل في ازدياد طغيانهم و كفرهم خبث سريرتهم و عنادهم و تعصّبهم الباطل، و إلقاء الكلام الحقّ و إراءة المعاجز إليهم شرط لحصول المعلول، فكلّما جاءت آية، أو ظهرت معجزة، ازداد لهم طغيان، و تخطوا خطوة إلى الكفر و العصيان، فحالهم كحال المريض، كلّما ازدادوا من أكل الغذاء المفيد الصحيح، ازدادوا مرضاً و ضعفاً.

إن قلت: إذا كان الأمر كذلك، فما الداعي لإنزال الآيات إليهم و إظهار المعجزات لهم؟ فهل ذلك إلّا زيادة لشقائهم و خوضهم في الكفر و الفسق؟ و ما النتيجة في ذلك؟

---

١. اقتباس من الآية ٣ من سورة هود (١١). ٢. اقتباس من الآية ٨ من سورة الرعد (١٣).

٣. الحجر (١٥): ٢١.

٤. الجَدْب: هو المحْل وزناً و معنى، و هو انقطاع المطر و يبس الأرض. المصباح المنير، ص ٩٢ (جدب).

٥. الأنفال (٨): ٤٢.

قلت: يتوجّه الإشكال إذا كان نزول الآيات و إتيان المعجزات لأجلهم خاصّة و منحصراً بهم، و ليس كذلك؛ فإنّ من حكمة الله تعالى إنزال ما يهتدي به الناس، و ينتفع به الطباع المستعدّة، و يصل به الإنسان إلى أيّ مرقى ممكن من مراقي الكمال و درجات الإنسانيّة و لو كان ذلك سبباً لشقاء عدّة منهم بسوء اختيارهم، و هذا كالماء الجاري، أو المطر يجريه الله في الأرض الميتة؛ ليخرج به المرعى و جنّات من نخيل و أعناب، و مع ذلك فهو سبب لحدوث النبات ذي الشوك و نموّ الخَضِر غير النافع.

قوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾. أي بين اليهود و النصارى، أو بين اليهود بعضهم مع بعض، و لازم بقاء تلك الحالة بينهما إلى يوم القيامة بقاء الطائفتين، أو طائفة اليهود إلى القيامة، أي نفخة الصور الأُولى و أوّل أزمنة حدوث ذلك اليوم، و قد مرّ أنّه يظهر من الآيات بقاؤهم تحت سيطرة الحكومة الإسلاميّة مع العمل بشرائط الذمّة.[1]

قوله: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾. أي أشعلوا النار لها، أخمدها[2] الله تعالى، و الإيقاد إمّا بتهيئتهم مقدّماتها و تعاقدهم و تحالفهم في ما بينهم، أو بينهم و بين المشركين، و إمّا بالتجمّع و التعسكر و الحملة على المسلمين.

و لعلّ من قبيل الأوّل ما أطفأها الله بيد النبيّ الأعظم و وصيّه في غزوة خيبر و قتل اليهود و إجلاء[3] بني النضير و بني قَينُقاع و قتل بني قريظة و استيصال شَأفَتهم،[4] و من الثاني وقعة الأحد و غزوة الخندق؛ حيث تحزّبت فيها الأحزاب على إبادة[5] المسلمين

---

١. الذمّة: العهد و الضمان و الأمان و الحرمة و الحقّ. راجع: لسان العرب، ج ١٢، ص ٢٢١ (ذمم).

٢. يقال: خمدت النار، أي ماتت فلم يبق منها شيء. قيل: سكن لهبها و بقي جَمرها، و أخمدتها بالألف. المصباح المنير، ص ١٨١ (خمد).

٣. الإجلاء: الإخراج من البلد، و المنع، و الطرد. راجع: الصحاح، ج ٦، ص ٢٣٠٤؛ النهاية، ج ١، ص ٢٩١ (جلا).

٤. الشَأفة: قرحة في القدم، إذا قطعت مات صاحبها، و الشأفة: الأصل. و شأفة الرجل: أهله و عياله. تاج العروس، ج ١٢، ص ٢٩٣ و ٢٩٤ (شأف).

٥. الإبادة: الإهلاك. لسان العرب، ج ٣، ص ٩٧ (بيد).

و اجتثاث[1] أُصولهم و جذوذهم، و لعلّه كان ما يشابه ذلك منهم قبل ظهور الإسلام في العصور المتمادية منذ زمن ظهور عيسى بن مريم إلى زمان طلوع الإسلام، فقد وقعت في تلك الأزمنة حروب أوقدت نارها اليهود.

قوله: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً﴾. أي للفساد، و يشمل سعيهم لإفساد العقائد و الأخلاق و الأعمال، و الإفساد بالإخلال بالأمن العامّ و إيقاد الحروب، فالسعي في الفساد أعمّ من إيقاد الحرب.

﴿وَ اللَّهُ لاٰ يُحِبُّ الْفَسٰادَ﴾[2]. أي يبغضه، كما هو كثير الاستعمال.

---

١. الاجتثاث: قطع الشيء من أصله. لسان العرب، ج ٢، ص ١٢٦ (جثث).

٢. البقرة (٢): ٢٠٥.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ○ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[1].

البيان

الآيتان تتعلّقان بحال أهل الكتاب، فالأولى بيان لحالهم إذا آمنوا بالنبيّ الأعظم، و عملوا بدينه و كتابه، و ما يترتّب على ذلك من نتائج رابحة في دنياهم و آخرتهم.

و الثانية شارحة لإيمانهم الصحيح بدينهم و العمل على وفق كتابهم على ما هما عليه من التحريف و التغيير، و أنّه يترتّب على ذلك رفاه عيشهم في دنياهم وسعة رزقهم و نزول النعمة عليهم من فوق رؤوسهم و فيضانها من تحت أرجلهم و إن لم يؤمنوا بمحمّد ﷺ و كتابه و دينه.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾. قد مرّ أنّ الظاهر أنّ المراد بهم خصوص أهل التوراة و الإنجيل؛ لما يستفاد من موارد سائر الخطابات.

﴿آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾. آمنوا بما يجب الإيمان به من الأُصول السبعة التي مرّ بيانها، و اتّقوا عمّا يجب الاجتناب عنه من العقائد الباطلة و الأخلاق الرذيلة و الأعمال المحرّمة.

و الحاصل أنّهم لو صاروا مؤمنين صالحين، فيترتّب عليه غفرانُ سيّئاتهم جميعاً في

---

١. المائدة (٥): ٦٥ و ٦٦.

الدنيا؛ إذ «الإسلام يَجُبّ[١] ما قبله»،[٢] و الايمان يكفّر الخطيئات، و دخولُ الجنّة في الآخرة، و هو معنى قوله تعالى: ﴿لَكَفَّرْنا عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ﴾.

فالسيّئات عامّة و خاصّة، عامّة للكبائر و منها الإشراك و الصغائر جميعاً، و خاصّة بما قد مضى منهم قبل الإسلام. و يمكن التعميم لما يستقبل منه بالنسبة إلى اللَمَم[٣] و الصغائر؛ فإنّها مكفرّة بترك الكبائر؛ لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَواحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ﴾[٤] و قوله: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ﴾[٥].

قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ وَالْإِنْجِيلَ وَما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾. قد ذكرنا أنّ الظاهر من هذه الآية إقامتهم أحكام الكتابين و عملهم بما فيهما، و المراد بما أُنزل إليهم ما ورد عن نبيّهم، كالكتاب و السنّة في شرعنا. و حاصل هذا المعنى أنّ عمل كلّ ملّة بشريعتهم عملاً تامّاً خالصاً غير مشوب بكفر و عصيان ـ أيّة شريعة كانت و لو منسوخة بشريعة أتمّ و أكمل و أتقن ـ سبب لدُرور النعم[٦] عليهم و رفاه حالهم و سعة بالهم و رَخاءهم[٧] و خِصْبهم،[٨] و يظهر الثمرة في قبول الشرع الناسخ الأتمّ في مزايا أُخر من مراحل كمال الإنسانيّة و الرقى الروحي و الخلق الفاضلة المعنويّة و الدرجات الأُخرويّة و الزيادة في مزايا الحياة الدنيويّة.

---

١. الجَبُّ: القطع، و المعنى: أنّ الإسلام يقطع و يمحو ما كان قبله من الكفر و المعاصي و الذنوب. راجع: النهاية، ج ١، ص ٢٣٤ (جبب).

٢. هذا حديث روي عن النبيّ ﷺ. راجع: الخلاف، ج ٥، ص ٤٦٩؛ عوالي اللئالي، ج ٢، ص ٥٤، ح ١٤٥، و ص ٢٢٤، ح ٣٨. و عنه في مستدرك الوسائل، ج ٧، ص ٤٤٨، ح ٨٦٢٥.

٣. اللَمَمُ: مقاربة المعصية، و يعبّر به عن الصغيرة، و يقال: فلان يفعل كذا لَمَماً، أي حيناً بعد حين. المفردات للراغب، ص ٧٤٦ (لمم).

٤. النجم (٥٣): ٣٢.

٥. النساء (٤): ٣١.

٦. دُرور النعم: كثرتها و سيلانها. راجع: لسان العرب، ج ٤، ص ٢٧٩ (درر).

٧. الرَخاء: سعة العيش. العين، ج ٤، ص ٣٠٠ (رخو).

٨. الخِصْب: النماء و البركة، و هو خلاف الجَدْب. المصباح المنير، ص ١٧٠ (خصب).

بحث قصير حول نظريّة التطوّر

من حيث استفادتها من آيات الكتاب الكريم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾.[1]

«اللَّهَ اللَّهَ فِي الْقُرْآنِ لَا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ»[2]

[تمهيد]

قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[3]

التفسير

اعلم أنّ الله تعالى قد أخبر في الآيات السابقة أنّ عيسى مخلوق بكلمة الله، و أنّه ابن مريم، و أنّه رسول صاحب معجزات، و أنّه مصدّق للتوراة، و أنّه مقرّ بالعبوديّة و المربوبيّة.

ثمّ ذكر هنا أنّه مثل آدم في الخلقة من تراب، و أمر نبيّه بأن يدعو كلّ من حاجّه فيه إلى المباهلة.

و يظهر من هذه الآيات أنّ أهل الإنجيل لم يقبلوا ما أخبر به القرآن في حقّ عيسى، فأنكروه كلاًّ أو بعضاً، إلّا أنّه لايظهر منها ما يدلّ على الذي خالفوا فيه القرآن، لكن يظهر من قوله تعالى: ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾[4] أنّهم خالفوا القرآن في حكمه بأنّ عيسى عبد مربوب و رسول من عندالله، كما تشهد به الروايات أيضاً؛ فإنّهم كانوا يدّعون أنّ الله هو المسيح بن مريم، أو أنّ المسيح هو ابن الله، أو أنّه ثالث ثلاثة.[5]

---

١. العنكبوت (٢٩): ٢٠.

٢. نهج البلاغة، ص ٤٢٢، الوصيّة ٤٧.

٣. آل عمران (٣): ٥٩.

٤. آل عمران (٣): ٦٤.

٥. راجع: تفسير القمّيّ، ج ١، ص ٢٨٩؛ تفسير العيّاشي، ج ٢، ص ٣١٢، ح ١٤٥.

و يظهر من الروايات أيضاً أنّ دليلهم علىٰ ما ادّعوه هو أنّه موجود من غير أب، فلابدّ و أن يكون إلهاً.[١]

فالآية المبحوث عنها هنا تكتفي في ردّهم و تخطئة أوهامهم بالإشارة إلى تشبيه عيسى بآدم، و مفادها أنّه كما خلق الله آدم من تراب، ثمّ قال له: كن، فكذلك خلق عيسى من تراب، ثمّ قال له: كن، فلو كان هذا النحو من الخلقة مقتضياً للقول بالألوهية، لكان آدم أيضاً إلهاً، بل كان كلّ من يشترك معه في التكوّن من تراب إلهاً أيضاً.

و قد يسأل: ما هو المقصود من خلق آدم من تراب؟ و ما هو المراد بقوله تعالى له: كن؟[٢]

فنجيب: أنّه ينبغي التأمّل و التعمّق في الآية الشريفة من حيث دلالتها على كيفية خلق آدم النبيّ؛ إذ ليس في الكتاب الحكيم ما يدلّ على ذلك غيرها، بل كلّ ما ورد فيه في كيفية الخلقة و أنّ مبدءها التراب[٣]، أو الماء[٤]، أو الطين[٥]، أو طين لازب[٦]، أو الحمأ المسنون[٧]، أو الصلصال[٨]، أو صلصال كالفخّار[٩]، أو العلق[١٠]، أو العَجَل[١١]، أو السلالة[١٢]،

---

١. راجع: الإرشاد، ج ١، ص ١٦٧؛ إعلام الورى، ج ١، ص ٢٥٥؛ قصص الأنبياء للراوندي، ص ٣٥٢.

٢. راجع: تفسير القمّي، ج ١، ص ٢٨٩؛ تفسير العيّاشي، ج ٢، ص ٣١٢، ح ١٤٥.

٣. الكهف (١٨): ٣٧؛ الحجّ (٢٢): ٥؛ الروم (٣٠): ٢٠؛ فاطر (٣٥): ١١؛ غافر (٤٠): ٦٧.

٤. الفرقان (٢٥): ٥٤.

٥. الأنعام (٦): ٢؛ الأعراف (٧): ١٢؛ المؤمنون (٢٣): ١٢؛ السجدة (٣٢): ٧؛ ص (٣٨): ٧١ و ٧٦.

٦. الصافّات (٣٧): ١١. و «طين لازب»، أي يلزق باليد؛ لاشتداده. المصباح المنير، ص ٥٥٢ (لزب).

٧. الحجر (١٥): ٢٦ و ٢٨ و ٣٣. و الحَمَأُ: الطين الأسود المنتن. لسان العرب، ج ١، ص ٦١ (حمأ). و المسنون: المصبوب، أو المصوّر، و قيل غير ذلك. راجع: البحر المحيط، ج ٦، ص ٤٧٦؛ تاج العروس، ج ١٨، ص ٢٩٩ (سنن).

٨. الحجر (١٥): ٢٦ و ٢٨ و ٣٣. و الصلصال: الطين اليابس الذي يَصِلُّ من يبسه، أي يصوّت. لسان العرب، ج ١١، ص ٣٨٢ (صلل).

٩. الرحمن (٥٥): ١٤. و الفخّار: الطين المشويّ، و قبل الطبخ هو خزف و صلصال. المصباح المنير، ص ٤٦٤ (فخر).

١٠. العلق (٩٦): ٢. و العَلَق: الدم الجامد الغليظ. و قيل غير ذلك. لسان العرب، ج ١٠، ص ٢٦٧ (علق).

١١. الأنبياء (٢١): ٣٧.

١٢. المؤمنون (٢٣): ١٢؛ السجدة (٣٢): ٨. و السُلالَةُ: ما انسلّ من الشيء، أي انتزع، و المراد به هنا: الصفو الذي يُسلّ من الأرض. و قيل: السُلالة كناية عن النطفة، تَصَوّر دونه صفو ما يحصل منه. راجع: المفردات للراغب، ص ٤١٨؛ لسان العرب، ج ١١، ص ٣٣٩ (سلل).

أو الماء المهين [١]، أو الماء الدافق [٢]، أو منيّ يُمنى [٣]، أو النطفة [٤]، أو النطفة إذا تُمنى [٥]، أو المضغة [٦]، أو العلقة [٧]، أو غيرها، فهو راجع إلى كيفيّة خلق الإنسان و البشر بما هو نوع خاصّ، و إلى النسل المتكوّن منه تدريجاً، و لامساس لها بآدم بما هو فرد معيّن و جزئيّ حقيقيّ من ذلك النوع، كما تشهد به ظواهر تلك الآيات.

[الأقوال في خلق آدم و الإنسان]

و بعد هذا فإنّنا نقول: إنّ في خلق آدم و الإنسان أقوال مختلفة و مذاهب متقابلة، بعضها سابق قديم، و بعضها لاحق حادث:

أحدها: ـ و هو القول لأقدم المنسوب إلى أكثر الإلهيّين أو جميعهم ـ أنّ أوّل فرد مخلوق من نوع الإنسان هو أبونا آدم، خلقه الله من تراب بأن خلطه بالماء، فجعله طيناً. فصوّره بصورة غير مسبوقة بمثل و شبيه، و هي صورة الإنسان. [٨]

ثمّ نفخ فيها من روحه، فتمثّلت بشراً سويّاً ذا أعضاء و أُصول، و أحناء و وصول،

---

١. السجدة (٣٢): ٨؛ المرسلات (٧٧): ٢٠. و الماء المهين، أي القليل الضعيف. لسان العرب، ج ١٣، ص ٤٢٥ (مهن).

٢. الطارق (٨٦): ٦. و الماء الدافق، أي السائل بسرعة. المفردات للراغب، ص ٣١٦ (دفق).

٣. القيامة (٧٥): ٣٧. و «منيّ يُمنى»، أي يُقدَّر بالعزّة الإلهية ما لم يكن منه، و كذلك قوله: «النطفة إذا تُمنى». راجع: المفردات للراغب، ص ٧٧٩ (مني).

٤. النحل (١٦): ٤؛ الكهف (١٨): ٣٧؛ الحجّ (٢٢): ٥؛ المؤمنون (٢٣): ١٣ و ١٤؛ فاطر (٣٥): ١١؛ يس (٣٦): ٧٧؛ غافر (٤٠): ٦٧؛ القيامة (٧٥): ٣٧؛ الإنسان (٧٦): ٢؛ عبس (٨٠): ١٩. و النطفة: الماء الصافي، و يعبّر بها عن ماء الرجل. المفردات للراغب، ص ٨١١ (نطف).

٥. النجم (٥٣): ٤٦.

٦. الحجّ (٢٢): ٥؛ المؤمنون (٢٣): ١٤. و المُضْغَة: القطعة من اللحم قدر ما يُمْضَغ و لم يُنْضَج. جعل اسماً للحالة التي ينتهي إليها الجنين بعد العلقة. المفردات للراغب، ص ٧٧٠ (مضغ).

٧. الحجّ (٢٢): ٥؛ المؤمنون (٢٣): ١٤؛ غافر (٤٠): ٦٧؛ القيامة (٧٥): ٣٨. و العَلَقَة: المنيّ ينتقل بعد طوره فيصير دماً غليظاً متجمّداً. المصباح المنير، ص ٤٢٦ (علق).

٨. راجع: مجمع البيان، ج ٣، ص ٥؛ المنار، ج ٤، ص ٣٢٣ ـ ٣٣٢؛ الميزان، ج ٤، ص ١٤٢ ـ ١٤٤، ذيل الآية ١ من سورة النساء (٤).

فصارت إنساناً كاملاً تامّاً شاعراً مريداً مختاراً متكلّماً ناطقاً. ثمّ خلق من جنسه زوجه حوّاء، فتوالدا و تناسلاً و تكاثرا حتّى الآن، فكلّ من يسمّى إنساناً فهو من نسلهما، و هما أوّل الموجودين من هذا النوع المسمّى بالإنسان تارة و بالبشر أُخرى، قد كوّنهما الله تعالى، و أوجدهما وجوداً إعجازيّاً.

و الظاهر أنّ هؤلاء قائلون بما يشبه هذا المقال في خلق سائر أنواع الحيوان، فقد خلق الله من كلّ نوع منها فرداً أوّليّاً من تراب و طين، فأحياه بنفخ الروح فيه، و خلق من جنسه زوجه، فتوالدا حتّى كثرا. و هكذا الكلام في أقسام النباتات و أنواع الأشجار.

و بالجملة، المخلوق الأوّل من كلّ من الإنسان، بل و سائر أنواع الحيوان و جميع أقسام النباتات، خلقه الله تعالى بنحو الإعجاز و الإبداع في التكوين ـ على ما نشاهده اليوم ـ من غير جري على سنّة التدرّج في الخلقة، ثمّ تكوّن و تحقّق سائر الأفراد بنحو الجريان على قانون الحياة الفعلية و السنّة الجارية الإلهية من تولّد الحيوان من نطفة و علقة و مضغة، و نموّ النباتات بانفلاق الحبّة و خروج النبت، و لم يتولّد من كلّ نوع إلّا أفراد ذاك النوع و أشخاصه.

و على هذا القول، فهذا العالم ـ أي عالم النبات و الحيوان ـ عالم ساكن راكد غيرمتحوّل و لامتغير، بل هو باق على حاله منذ خلقه الله إلى يومنا هذا و إلى الأبد، أو إلى ماشاءالله، و يكون بقاؤه بتولّد الأولاد من الآباء و الأُمّهات متسلسلين متناسلين، فلم يحصل تغيير في كيفيّة النوع بما هو نوع و كميّة الأفراد حسبما تقتضيه صروف الأزمنة و تبادل الأمكنة و اختلاف الليل و النهار و الحرارة و البرودة، كاختلاف أصناف الإنسان في اللون و نحوه بحسب الظروف و الأمكنة المختلفة.

كما أنّه على هذا يكون كلّ نوع من أنواع الحيوان و أصناف النبات قسماً مستقلّاً غيرمرتبط بالقسم الآخر و لا متحدّر منه، و هذا ما يسمّى بـ «فيكسيسم»، أي القول بالثبوت و البقاء و عدم التغيّر.

[القول بالتطوّر]

الثاني: القول بأنّ نوع الإنسان كان موجوداً قبل خلق آدم و حوّاء بآلاف السنين، إن لم يكن بالملايين.[١]

و أرباب هذا القول يدّعون أنّ الإنسان ـ فضلاً عن آدم ـ لم يوجد بنفسه و بهذا الشكل و الهيئة بوجود ابتدائي مستقلّ على سبيل الإعجاز و خرق النواميس الطبيعية، بل قد انقلب من نوع آخر قريب منه في الهيئة و الصورة و عوارض الروح و صفاتها؛ فإنّ نوع الإنسان و جميع أنواع الحيوان ـ عند هؤلاء ـ ما هي إلّا فروع و أفنان ترجع إلى أصل واحد، و شعوب و قبائل تعود إلى عرق و دم واحد أيضاً.

فنوع الإنسان مثلاً عند هؤلاء ترجع أصنافه و قبائله و شتات أقسامه و أشخاصه إلى خلق واحد، و هو جنس الموجود الحيّ الأوّليّ المسمّى بخليّة «سلّول»، و هو الذي تكوّن ابتداءً من الماء و الطين و الحمأ المسنون، الحاصل في بعض المستنقعات[٢] بعد غيض مياهها أو قلّتها.

ثمّ بتكثّر تلك الجراثيم و تركّبها، تولّد بعض الحيوانات البحرية، و هي المسمّاة بالحيوانات الأوّلية؛ لقلّة أعضائها و أجزائها، ثمّ تولّدت منها الحيوانات ذات الحياتين: البرّيّة و البحريّة، ثمّ البريّة، و كلّما كثرت وتناسلت حصل فيها التكامل في الأعضاء و الأوصاف، و تجدّدت لها شعب و فروع، فصارت أنواعاً مختلفة و أصنافاً شتّى، و كانت تلك التغييرات و تبديل نوع بنوع آخر و قسم بقسم غيره، تحصل في أزمنة طويلة متباعدة، تعدّ بمآت الملايين من السنين.

ثمّ لم تزل تتغيّر الأنواع، و يتبادل بعضها ببعض، و يتحوّل نوع إلى نوع و صنف إلى صنف بأسباب تكوينية و علل طبيعية، حتّى انتهى الأمر إلى حدوث الإنسان و تكوّن هذا النوع الخاصّ، فالإنسان أكمل الأنواع الماضية أعضاءً، و أتمّها أحناءً، و أحسنها

---

١. راجع: في ظلال القرآن، ج ٤، ص ٢١٤٣، ذيل الآية ٢٦ من سورة الحجر (١٥)؛ المنار، ج ٤، ص ٣٢٣ ـ ٣٣٢؛ الميزان، ج ٤، ص ١٤٣ و ١٤٤، ذيل الآية ١ من سورة النساء (٤).

٢. المستنقع: مجتمع الماء، يقال: استنقع الماء في الغدير، أي اجتمع و ثبت. الصحاح، ج ٣، ص ١٢٨٧ (نقع).

تقويماً، و هو و سائر الأنواع الحيوانية الموجودة بالفعل، المنشعبة إلى شعب مختلفة، و المتفرعة إلى فروع متمايزة، كلّ ذلك يرجع إلى أصل واحد مشترك، فالجميع آباء و أولاد و بنوا أعمام و أخوال.

و بالجملة، كلّها أُصول ترجع إلى الواحد، و فروع تتولّد منها الكثرات، و كان كلّ نوع سابق منها أقلّ أجزاء و أعضاء من لاحقه، بسيطاً غيرمعقّد بالنسبة إليه، و يسمّى هذا القول بـ«ترانسفورميسم»، أي القول بتغيّر الأنواع و تبدّلها.

و سبب ذلك التحوّل عند أرباب هذا القول هو التغييرات الحاصلة في وجه الأرض و قشرها الأعلى و في شرائط حياة الحيوان الموجود فيه، و أُمور أُخرى طبيعية تورث تغيّر النفوس الساكنة فيها، كما تورث ذلك في جميع أنواع النباتات، فيحصل التنازع في البقاء، و ينجرّ ذلك إلى الانتخاب الطبيعيّ، و هو يقابل الانتخاب الصناعيّ الحاصل في النبات و الحيوان إذا وقعاً تحت تأثير تربية الإنسان.

و تكون النتيجة بعد مضيّ برهة من الزمان هي تغيّر أشكال النبات و صور الحيوان، و قد لوحظ ذلك و شوهد في النباتات و الحيوانات الأهليّة المغايرة للوحشية في نوعها، و ليس ذلك إلّا لتأثير التربية فيها، فسمّوا ذلك بالانتخاب الصناعيّ.

فالعالم ـ أي عالم النباتات و الحيوانات ـ يسير على وفق هذا القانون بلاتوقّف، بل هو كالنهر الجاري، لايقف، و لا يسكن.

[تنبيهات هامّة]

ثمّ إنّ من الأحرى قبل الخوض في الاستدلال بالآيات، التنبيه على أُمور:

الأوّل: أنّهم ـ بعدما قبلوا بهذه الدعوى و أنّ الإنسان ينتهي إلى الآباء الأقدمين من أنواع الحيوان ـ لم يقدروا على معرفة النوع الأخير المتولّد منه الإنسان، و الحلقة المتّصلة به من سلسلة الأنواع المتبادلة، فادّعى بعضهم ـ كداروِن و من يحذو حذوه[1] ـ

---

١. راجع: في ظلال القرآن، ج ٤، ص ٢١٤٣، ذيل الآية ٢٦ من سورة الحجر (١٥)؛ موسوعة الفلسفة للبدوي، ج ١، ص ٤٧٣ و ٤٧٤؛ الموسوعة العربية، ج ٩، ص ١٤١ ـ ١٤٣.

أنّه نوع من القردة أشبهها بالإنسان، و اعترف آخرون بعدم اطّلاعهم على الحلقة المفقودة بينها و بين الإنسان، و خبط بعضهم في تقرير الأمر[١] خبط عشواء.[٢]

و يظهر ممّا نقل عن دارون أنّه لم يكن يعتقد بالله تعالى، و إن نقلوا عنه خلافه أيضاً.[٣]

و قد أخذ عدّة آخرون من الطبيعيين بهذا القول، و جعلوه مستنداً لنفي تأثير عامل و سبب غيبيّ في هذا العالم، و أنكروا وجود الباري تعالى، و أسندوا الحوادث إلى نفس الطبيعة، فأعمى الله تعالى أبصارهم عن مشاهدة ما هو أظهر من العيان إذا نظر الناظر بعين غير مرمودة.[٤]

الثاني: أنّه بناء على هذا القول، لمّا انتهى التكامل المسبّب عن التغيّر و التبدّل إلى تشكّل الإنسان بهذه الصورة، وهبه الله تعالى العقل و الصفات الإنسانية، إلّا أنّه كما لم يعلم كيفيّة انتهاء التبدّل إلى الإنسان، و لا عرف النوع الذي تحدّر[٥] منه، فكذلك لم يعلم وقت حلول العقل فيه و حصول التكلّم و النطق له.

و عليه فقد كان آدم أيضاً من جملة هذا النوع و من افراده، متولّداً في ما بينهم من أب و أمّ كغيره، و كذلك أمّنا حوّاء، و حينئذ فمن المحتمل قريباً أنّه تعالى قد اصطفى آدم من بينهم بإعطائه خصيصة العقل و تعليمه الأسماء، و كذا زوجه حوّاء.

و يحتمل أيضاً أنّ العقل كان مفاضاً على البشر من أوائل حدوث صورة الإنسان

---

١. راجع: في ظلال القرآن، ج ١، ص ٣٠٠ و ٣٠١، ذيل الآية ٢٥٩ من سورة البقرة (٢)، و ج ٤، ص ٢١٤٢ ـ ٢١٤٤، ذيل الآية ٤٥ ـ ٤٨ من سورة الحجر (١٥)؛ المنار، ج ٤، ص ٣٢٣ ـ ٣٣٠، ذيل الآية ١ من سورة النساء (٤).

٢. الخبط: ضرب البعير الشيء بخفّ يده. و العشواء: الضعيفة البصر، و من أمثالهم السائرة: هو يخبط خبط عشواء، يضرب مثلاً للمتحيّر الذي يركب رأسه ولا يتهمّ لعاقبته، كالناقة التي لاتبصر ما أمامها، فهي تخبط بيديها كلّ ما مرّت به، و ذلك أنّها ترفع رأسها فلا تتعهّد مواضع أخفافها. راجع: لسان العرب، ج ٧، ص ٢٨١ (خبط)، و ج ١٥، ص ٥٧ (عشا).

٣. راجع: موسوعة الفلسفة للبدوي، ج ١، ص ٤٧٤.

٤. الرَمَد: وجع العين و انتفاخها. لسان العرب، ج ٣، ص ١٨٥ (رمد).

٥. «تحدّر»، أي تنزّل. لسان العرب، ج ٤، ص ١٧٢ (حدر).

فيه، كسائر الصفات الإنسانيّة التي تختصّ بالإنسان، و لا توجد في غيره، كما يقال: إنّ الدكتور «پاولف»[١] قد أثبت بالتجارب الفيزيولوجية ـ [و هو] علم وظائف الأعضاء ـ اختلاف كيفية الإدراكات الدماغية في الإنسان و الحيوان[٢]، و على هـذا، فـقد كـان الناس عقلاء قبل آدم الصفيّ أيضاً، ثمّ اصطفى الله تعالى آدم بتعليم الأسماء و إسجاد الملائكة له.

الثالث: أنّه لايلزم من الالتزام بهذا القول إنكار الصانع تعالى، و إن كان أكثر القائلين به هم المنكرون له؛ إذ القول بتحوّل شيء إلى شيء في هذا العاليم ـ سواء أ كان التحوّل في الأنواع، أم في الأصناف، أم في غيرهما، كما هو المشاهد بالعيان فـي الجـملة ـ لايستلزم القول باستقلالها في وجودها و عدم حاجتها إلى موجد و خالق.

فلو كان القول بالتبدّل و التطوّر مساوقاً لإنكار الصانع تعالى، جرى الكلام بعينه في كلّ فرد من أفراد الإنسان، و كلّ مصداق من الحيوان و النبات، و كان القائل بأنّ زيداً مخلوق دفعة و إعجازاً موحّداً، و القائل بتبدّله من النطفة و العـلقة ـ مـثلاً ـ مـنكراً للصانع، و القائل بأنّ الشجرة المعيّنة النابتة في دار زيد قد نبتت بنحو دفعيّ موحّداً، و بأنّها نبتت من نواة أو حصاة منكراً لله تعالى، و ليس الأمر كذلك قطعاً، و الفارق غير ثابت كذلك، بل الاختلاف بنفسه قد ذكر دليلاً على وجود الصانع الحكيم في الكتاب الكريم في موارد كثيرة:

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ ٱلسَّماوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾[٣]؛

و قال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّماواتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَافِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ... وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَاحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّماءِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٤]، فالألسنة تبدّلت و تطوّرت

---

١. «پاولُف ايوان پتروويچ» (١٨٤٨ ـ ١٩٣٦ م): عالم روسي فيزيولوجي، عـالم بـعلم النـفس التـجريبيّ، اُستاذ آكادمي الطبّ العسكري، و مدير قسم الفيزيولوجية بمركز الطبّ التجريبيّ بلنينكراد. حاز على جائزة نوبل سنة ١٩٠٤ م بتحقيقات حقّقها حول غدد الهاضمة. راجع: دائرة المعارف فارسي، ج ، ص ٥٢١.

٢. راجع: دانش‌نامهٔ دانش گستر، ج ٥، ص ١٣٧. ٣. الروم (٣٠): ٢٢.

٤. البقرة (٢): ١٦٤.

من نوع إلى نوع، و الألوان تغيّرت كذلك، فكانت آية لوجوده تعالى و قدرته.

و قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا﴾[١]؛

و قال: ﴿يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً﴾[٢]؛

و قال: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ○ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾.[٣]

فتكون الثمرة من الشجرة و خروج الزرع من الحبوب و هياجه[٤]، ثمّ صيرورته غثاء[٥] أحوى[٦]، تطوّرات وتبدّلات جعلت آية و علامة، فلو فرضنا تبدّل أنواع الحيوان أيضاً، كان آية لقدرته و علمه، لاسبباً لإنكار وجوده، و نعوذ بالله منه.

و لا فرق بين تبادل الأنواع بتصرّم نوع و حدوث نوع آخر و بين تبادل الأفراد، فلا دلالة في أحد الأمرين على الاستقلال و عدم الحاجة إلى صانع و مدبّر.

و حينئذ فالقول بتبادل الأنواع ليس مساوياً للقول بإنكار الواجب تعالى، فأيّة طريق من الطريقين سلكناها، لم يكن لنا من ناحية العقل قدح و ردع.

و إنّما الكلام في ما تدلّ عليه الأدلّة النقلية في مقام الإثبات، و أنّ مقتضاها من الكتاب و السنّة هو القول الأوّل، أو الثاني؟

فالمنكر للصانع العليم لابرهان له على دعواه، و ماذا يكون جوابه إذا سألناه عن خالق الموجودات الأوّلية، سواء أ كان المخلوق الأوّل من الإنسان آدم، أم كان هو أيضاً من نسل الإنسان، و قد انتهت سلسلة نسبه إلى الموجودات الحيّة الأوّليّة؟

الرابع: أنّه ينبغي إلفات النظر إلى أمر هامّ، و هو أنّ أصل مسألة التكامل و التطوّر في أنواع النبات و الحيوان، لعلّه صار في العصور الأخيرة من الأمور المسلّمة

---

١. فاطر (٣٥): ٢٧.
٢. الزمر (٣٩): ٢١.
٣. الأعلى (٨٧): ٤ و ٥.
٤. يقال: هاج البقل هِياجاً، أي يبس و اصفرّ و طال. لسان العرب، ج ٢، ص ٣٩٦ (هيج).
٥. الغُثاء: الهالك البالي من ورق الشجر، الذي إذا خرج السيل رأيته مخالطاً زبده. لسان العرب، ج ٥، ص ١١٦ (غثا).
٦. «أحوى»، أي شديد السواد. المفردات للراغب، ص ٢٧١ (حوا).

عند جماعة من أرباب هذا القول و عند علماء الطبيعة و معرفة الأرض، إلّا أنّ كون الإنسان ـ ؛ أعني هذا النوع الخاصّ ـ مخلوقاً مستقلّاً غير مرتبط بتلك الأنواع، أو كونه متّصلاً بها متحوّلاً منها.

و على التقدير الثاني، كون النوع الأخير ـ الذي انقلب عنه إلى حالته الفعلية ـ هو القرد و السعدان، أو غيره من الأنواع، فذلك كلّه مختلف فيه في ما بينهم، و غير مبرهن عليه عند الجميع.

و بعبارة أُخرى: عندهم أُصول مسلّمة قبلوها، و فروع مختلف فيها لم يبرهنوا عليها، و ليس في الكتاب الكريم ما يضادّ المعلوم المبرهن عليه عندهم، و ما يخالف الأمر المجرّب لديهم، و هو وجود التطوّر في النبات و الحيوان غير الإنسان.

إذاً فلو دلّت الآيات على القول الأوّل في خلق الإنسان و آدم، لم يكن عندهم ما يكون برهاناً على خلافه، كما أنّه لو دلّت على القول الثاني، كانت مؤيّدة لبعض ما ادّعوه في المقام.

هذا حال الكتاب الكريم، و أمّا التوراة فحيث قد صرّحت بكيفية خلق الأشياء من النبات و الحيوان والإنسان[1]، و لكن بما يخالف ما انتهى إليه علماء الطبيعة من تجاربهم الكثيرة، و التحقيقات العلمية في حال الأرض و ما عليها من الآثار القديمة، و منها الفسائل الملقوطة من داخل الأرض و أجواف قشرتها الأعلى، فلا جرم صار ذلك سبباً لإعراض أُولئك العلماء عنها، ثمّ رفض مذهبهم و الإعراض عن دينهم بالكلّيّة.

الخامس: أنّ اللازم للمتتبّع ناشد الحقيقة[2] هو تخلية ذهنه عن مسموعاته المختلفة التي لاتساعده على البرهان، و عمّا أُلقته إليه الظنون و الأوهام، كما أنّ من اللازم عليه أن يتوجّه بكلّيّته إلى الكتاب الكريم خاصّة، و إلى ماصحّ صدوره من أهل بيت الوحي

---

١. راجع: الكتاب المقدّس (العهد القديم)، ص ٣ ـ ٦، الفصل ١ و ٢ من سفر التكوين.

٢. ناشد الحقيقة: طالبها. راجع: لسان العرب، ج ٣، ص ٤٢١ (نشد).

حتّى لاتشوب الأوهام و الأحلام[١] بما استفاده من الظواهر.

السادس: أنّ السبب في إجمال الكلام في بيان مرمى القائلين بالتطوّر، هو أنّه ليس الغرض في المقام ذكر مذاهب القوم على التفصيل، و بيان ما استدلّ كلّ طائفة على مذهبها من الحجج، و اختيار قول و الاستدلال له بما يناسب المدّعى؛ فإنّ لذلك أهلاً و محلّاً آخر. فقد دوّن في هذا الموضوع تآليف كثيرة من علماء الطبيعة و غيرهم.

بل الغرض أخذ موارد الاتّفاق من مسائل البحث، و الإشارة إلى بعض موارد الخلاف، ثمّ عرض ذلك على الكتاب الكريم؛ ليظهر مايطابقه منها و ما يخالفه.

إن قلت: إذا أخذت ما ادّعوا ثبوته جزماً، و أقاموا عليه البرهان، و ثبت عندنا أيضاً حقّيّته، فعرضته على كتاب الله، ثمّ وجدت الكتاب نافياً له، حاكماً ببطلانه، فماذا تصنع؟ و كيف المخلصُ حينئذ عن العويصة؟

قلت: كلّا، لايكون في كتاب ربّنا ما يخالف العقليّ القطعيّ، و لا ما أثبتته المشاهدة و التجارب العلمية، فإذا ثبت شيء من ذلك بنحو القطع، فلا جرم نجد الكتاب موافقاً له، غير مباين و لا مغاير، غاية الأمر انكشاف جهلنا بالحال و خطائنا في الاستظهار، لوكنّا ذاهبين إلى خلافه.

و هذا أمر هامّ خليق بالتوجّه إليه و إلفات النظر نحوه في نظائر المقام، ألا ترى أنّ علماء الإسلام كانوا قبل ظهور علم الهيئة الحديث، و إذعانهم بمسائل العلم القديم، يستظهرون من الكتاب الكريم مسائله، و يدّعون ظهور عدّة من الآيات فيها، فلمّا ظهر العلم الجديد، انكشف بطلان جمّ من مسائل القديم، انكشف كون الظهور المقبول ناشئاً من قرائن خارجية وهمية، و تبيّن وجود ظواهر أتمّ و أبين توافق مسائل العلم الجديد؟

إن قلت: لو كان الأمر كما ذكرت، لم يبق لنا وثوق و اطمينان على الظواهر القرآنية، و ينسدّ باب الاستظهار، و لا يمكننا الاستفادة منها، فلابدّ في استنتاج كلّ حكم شرعي، أو

---

١. الأحلام: جمع الحُلم بمعنى الرؤيا. لسان العرب، ج ١٢، ص ١٤٥ (حلم).

حكم آخر من سائر العلوم، ترك الظواهر و طلب النصوص، و هي قلائل لاتفي بالمقاصد.

قلت: أمّا في الأحكام الشرعية فليس علينا، بل و لايمكننا كشف الواقع قطعاً، و الوصول إلى ما أدرجه الله تعالى في اللوح المحفوظ، و إنّما علينا أخذ ما أعطته ظواهر الكتاب و العمل به، مع الاستعانة في تحصيله منها بالآثار الواردة عن أهل البيت، و يكون هذا حالنا إلى أن تظهر حكومة العدل الإلهية، و يقوم بالسيف من عنده علم الكتاب، فيبيّن للناس ما نزّل إليهم من ربّهم، و يمكّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم.

و أمّا في غيرها من العلوم و المعارف المرتبطة بأُمور الدنيا و الآخرة، كمورد كلامنا و نظائره، فلنا التأمّل و التعمّق في الكتاب المبين لكشف حاله و استنباطه، فما أفادت نصوصه القطع به أخذنا ما آتته و كنّا من الشاكرين، و ما لم نجد له نصّاً يفيد القطع، فلا بأس أيضاً بالتمسّك بظواهره و الحكم بكون الواقع هو ما أفادته، و لم نرتكب أمراً منكراً.

إذاً فيتسنّى[1] لنا في مسألتنا التمسّك بظاهر الآيات المربوطة بالمقصد و استنتاج المطلب، و ليس الغرض في المقام ـ كما توهّم ـ تأويل ظاهر الكتاب و تطبيقه على ما ادّعاه أهل التطوّر.

إن قلت: هب أنّك زعمت أنّ الكتاب لاينافي دعوى القوم، كلّاً أو بعضاً، و رأيت له ظهوراً فيه، فحملت الكتاب عليه، فكيف الحال إذا انكشف في ما يأتي بطلان ذلك و كون ما أذعنت به وهماً باطلاً و أضغاث أحلام؟[2] أ فلا يكون ذلك و هناً لظواهر الكتاب و سبباً لسقوطها عن الحجّية و جواز التمسّك بها رأساً؟

قلت: خلق الإنسان و مبدؤه و ما بدئ منه أمر ثابت محقّق، كخلق السماء و الأرض و الجانّ و الحيوان، و قد تعرّض الكتاب الحكيم لبيانه، كغيره من حوادث التكوين.

قلنا: البحث و الفحص في ذلك و استظهار مسائله و فروعه من ظواهر الكتاب،

---

١. تسنّى: تهيّأ و تأتّى. لسان العرب، ج ١٤، ص ٤٠٤ (سنا).

٢. أضغاث: جمع الضغث، و هو قبضة حشيش مختلط رطبها بيابسها. و قيل غير ذلك. و الأحلام: جمع الحُلم بمعنى الرؤيا. و «أضغاث أحلام»: أخلاط منامات؛ لأنها تشبه الرؤيا الصادقة، و ليست بها. و قيل غير ذلك. راجع: المصباح المنير، ص ٣٦٢؛ لسان العرب، ج ٢، ص ١٦٣ (ضغث).

كاستنباط حركة الشمس و القمر و غيرهما منها، فهل تمنعنا عن النظر فيها، و تسدّ علينا باب الاستنباط و الاستظهار؟ و لماذا هو و قد قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾؟[١]

نعم هنا أمر آخر لابدّ من التوجّه إليه، و هو أنّه لايسوغ لنا الانفراد بالاستظهار من الكتاب، و ترك السنة النبويّة و أهل بيته الكرام رأساً، كما هو دأب إخواننا أهل السنّة.

فلا يجوز للمستظهر و المستنبط الحكمُ بشيء من مفاهيمه و معارفه بلا مراجعتها؛ إذ قد يكون فيها ما يبيّن مجمل الكتاب أو مبهمه، أو ما يخصّصه، أو يقيّده، أو يصرفه عن ظاهره.

فإذا ثبت بالعلم ورود شيء عن أهل البيت، فاللازم أخذه و التصرّف في ظاهر الكتاب؛ إذ بعد فرض أنّ السنّة هي التي آتاها الرسول، و أنّ الله قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[٢]، يؤول الرجوع إلى السنّة في استفادة معنى من الكتاب إلى تفسير الكتاب بالكتاب، و هو معنى التمسّك بالثقلين الذي أمرنا به النبيّ الأعظمﷺ.[٣]

هذا، فإذا انكشف في ما يأتي من العصور خطاؤنا في الاجتهاد، فلايكون ذلك وهناً للكتاب، كما توهّمت، بل يظهر بطلان استنتاجنا، لابطلان شيء من الكتاب الحكيم الذي لايأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه.

[مقامات خمس]

إذا عرفت جميع ما ذكرناه، فبالحريّ أن نتعرّض بنحو الإجمال لبيان الآيات المرتبطة

---

١. محمدﷺ (٤٧): ٢٤.

٢. الحشر (٥٩): ٧.

٣. للتعرّف لمصادر الحديث الشريف من الخاصّة و العامّة راجع: البرهان، ج ١، ص ٢٠ ـ ٢٩، ح ٥٤ ـ ٨٦، و ص ٦١ ـ ٦٤، ح ١٨٦ ـ ٢٠٢.

بالمقام، فنتكلّم في مقامات:

المقام الأوّل

في ذكر ما يمكن أن يستشهد، أو يؤيّد به القول بالتطوّر و التكامل و انتهاء سلسلة أنواع الموجودات الحيّة بعد كمالها إلى نوع الإنسان.

فمن القرآن الكريم آيات:

١. منها: ما يدلّ على أنّ بدء خلق الموجودات الحيّة أجمع ـ من النبات و الحيوان و الإنسان ـ كان من الماء، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾.[1]

و الآية ظاهرة الدلالة على أنّ جميع الموجودات الحيّة ـ نباتاً أو حيواناً و منها الإنسان ـ مخلوقة من الماء؛ إذ الجعل هو الخلق، فيثبت حينئذ من مدّعى القائلين بالتكامل، و لو حملنا الماء على خصوص النطفة و المنيّ، لم تشمل النباتات مع أنّها عامّة شاملة.

٢. و منها: ما هو قريب من الآية السابقة في المرمى، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾.[2]

و حمل الماء على خصوص نطفة الذكر خلاف ظاهر الآية، فالآية حينئذ غير آبية عن الانطباق، أو هي أقرب انطباقاً على القول بأنّ مبدأ تكوّن الحيوان هو الماء بواسطة مزجه بالتراب، مع وجود الموادّ المستعدّة الموجودة فيهما.

و تقديم الماشي على بطنه من الحيوان، لعلّه لأجل أنّ أوضح أنواعه الأسماك التقدّمة في الخلقة، ثمّ غيرها من الحيوانات البرّيّة الزاحفة، و المراد بـ ﴿مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ الإنسان و الطيور و بعض القردة.

و القائل بكون الإنسان ممتازاً عن سائر أبناء جنسه، يلزمه إخراجه عن عموم الآية، مع ظهور قوله: ﴿عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ في الشمول له، كما أنّ من حمل كلمة ﴿الْمَاءِ﴾ على

---

١. الأنبياء (٢١): ٣٠.	٢. النور (٢٤): ٤٥.

خصوص النطفة، يلزمه ـ مضافاً إلى ارتكاب خلاف الظاهر ـ إخراج الأفراد الأوّليّة من الأنواع ـ ذكورها و إناثها ـ عن العموم.

٣. و منها: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾.[١]

و هذه الآية من أحسن ما يمكن الاستدلال به على هذا القول، فقد ذكر الله تعالى أنّه خلق الإنسان أوّلاً قبل أن يصوّره، ثمّ صوّره ـ بعد مدّة من الزمان غيرمعلومة لنا بقرينة كلمة ﴿ثُمَّ﴾ ـ بصورة الإنسان، ثمّ أمر الملائكة بعد مدّة بالسجود لفرد منه، فالخلق الأوّل هو تكوينه من الماء و التراب و إحياؤه، و لايكون ذلك إلّا في ضمن نوع أو أنواع، فيعرف من الآية أنّه قد مرّت على الناس أحوال و مراحل:

الأُولى: حالهم بعد الخلق و قبل التصوّر بصورة الإنسان.

و الثانية: حالهم بعد حصول الصورة الإنسانية لهم و قبل انتخاب آدم من بينهم.

و الثالثة: حالهم عند انتخاب آدم من بينهم و بعده، و أمر الملائكة بالسجود له. و هذه المرحلة في الحقيقة راجعة إلى بيان حال آدم، كما سيجيء.

و قد أُشير إلى الحالة الأُولى ـ؛ أعني بدء الخلقة و كيفيتها و ما خلق الإنسان منه ـ في آيات كثيرة، سيجيء جملة منها عن قريب إن شاءالله، كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً وَ أَجَلٌ مُسَمًّى عِندَهُ﴾.[٢]

و المراد بالمخاطبين نوعهم؛ إذ كلّ واحد من الأفراد لم يخلق من الطين و إن أُطلق عليه أحياناً أنّه خلق من تراب.

و قوله ﴿قضى أجَلاً﴾، يراد به أنّه حتمه و أثبته تكويناً، و مدّته معلومة عنده، و لعلّ هذا الأجل هو المدّة الفاصلة بين بدء الخلق من الطين إلى تحقّق صورة الإنسان و تشكّل هذا النوع الخاصّ.

و قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِن طِينٍ لَازِبٍ﴾[٣]؛

---

١. الأعراف (٧): ١١. ٢. الأنعام (٦): ٢.

٣. الصافّات (٣٧): ١١.

و قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً﴾.[١]

هذا كلّه ممّا يبيّن حال هذا النوع قبل أن يتصوّر بصورة الإنسان.

و أما **الحالة الثانية** ـ؛ أعني الإنسان بعد حصول الصورة الإنسانية له و قبل أن ينتخب آدم من بين أفراده ـ فلم نجد من الآيات ما يدلّ عليها صراحة، لكن يمكن أن تشير إليها الآيتان التاليتان:

[الآية] الأولى: قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ﴾.[٢]

فلو قلنا بثبوت النبوّة لآدم الصفيّ من أوّل أزمنة هبوطه ـ كما لعلّه الظاهر من بعض الروايات[٣] ـ فدلالة الآية على المقصود واضحة؛ فإنّ ظاهرها مضيّ زمان على الناس قبل بعثة الأنبياء، كانوا فيه أمّة واحدة.

و المراد بوحدة الناس فيه ـ على ما ذهب إليه عدّة من المفسّرين[٤]، و فسّرته الأخبار[٥] ـ هو كونهم بلاشريعة و أحكام سماويّة، متروكين على طبق عقولهم و مقتضى إدراكاتهم، فتنطبق الآية على المقصود.

ثمّ إنّ المراد بالاختلاف الأوّل في الآية الشريفة هو الاختلاف الدنيويّة السابقة على بعث الأنبياء، و الناشئة عن اجتماعهم و تمدّنهم و اشتراكهم في شؤون حياتهم؛ إذ لايعقل أن تعيش أمّة متكاثرة ذات ميول و أهواء و لايحصل فيهم اختلاف في دنياهم، و بالثاني الاختلافات الدينية الحاصلة بعد بعثة الأنبياء و نزول الكتاب، أي الانشعابات المذهبية المتكوّنة عن الاختلاف في الكتاب.

فالضمير في كلمة ﴿فِيهِ﴾ الأولى راجع إلى الموصول المراد به أمور الدنيا، و في

---

١. الفرقان (٢٥): ٥٤. ٢. البقرة (٢): ٢١٣.

٣. راجع: البرهان، ج ٣، ص ٧٨٢ ـ ٧٨٤، ح ٧٠٦٢ و ٧٠٦٣.

٤. راجع: مجمع البيان، ج ٢، ص ٥٤٤؛ مفاتيح الغيب، ج ٦، ص ٣٧٤؛ البحر المحيط، ج ٢، ص ٣٦٣؛ الصافي، ج ١، ص ٢٤٤ و ٢٤٥، ذيل الآية المذكورة.

٥. راجع: تفسير العيّاشي، ج ١، ص ١٠٤، ح ٣٠٥؛ البرهان، ج ١، ص ٤٥٠ و ٤٥١، ح ١١٠٤ ـ ١١٠٨.

كلمة ﴿فِيهِ﴾ الثانية إلى الكتاب أو الحقّ، كما يؤيّده ما بعدها من جملات الآية.

و على هذا، فقوله تعالى: ﴿وَإِن مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ﴾[1] بيان لحال الأمم بعد الاختلاف الأوّل، و إشارة إلى عموم البعث و نزول الكتاب لكلّ قوم و أُمّة.

و الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.[2]

ظاهر الآية توافقها مع الآية السابقة في المرمى، و أنّ المراد بوحدة الناس هو كونهم متروكين على مقتضى فطرتهم الأوّلية غير مكلّفين بشريعة، سواء أُريد بالاختلاف فيها هو الأوّل، أو الثاني على ما عرفت، و إن كان الراجح في النظر إرادة الاختلاف الأوّل؛ إذ لو كان المراد الثاني لكان التقدير: «فبعث الله النبيين بالكتاب و الشرايع فاختلفوا»، إذاً فتنطبق الآية على ما انطبقت عليه سابقتها.

و على هذا يكون المراد بقوله: ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ﴾ هو ما جرت عليه سنّة الله تعالى من عدم إهلاكه أُمّة قبل أن يبعث إليهم رسولاً، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾.[3]

نعم لو كان المراد بالاختلاف اختلافهم في الكتاب و الدين، كان المراد به عدم تعجيل العقوبة و القضاء عليهم بلا إمهال؛ فإنّه قد سبق منه تعالى الوعد بإمهال العاصين و المجرمين، قال تعالى:

﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُولِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾[4]؛

﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾[5]؛

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾[6]؛

---

١. فاطر (٣٥): ٢٤.
٢. يونس (١٠): ١٩.
٣. الإسراء (١٧): ١٥.
٤. المزّمّل (٧٣): ١١.
٥. الطارق (٨٦): ١٧.
٦. يونس (١٠): ١١.

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِل لَهُمْ﴾.[١]

٤. و منها: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ○ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾.[٢]

و الظاهر أنّ المراد بالبشر هو نوعه، لا الفرد الخاصّ منه، و التنوين فيه تنوين الإعراب، كقول الشاعر: «أسد عليّ و في الحروب نَعامة».[٣] و يشهد له كون الحكم المترتّب عليه في الآية عين الحكم الذي رتّب على النوع و الطبيعة في الآيات السابقة.

إن قلت: إنّ رجوع الضميرين المجرورين في قوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ﴾ و قوله: ﴿فَقَعُوا لَهُ﴾ إلى البشر المذكور، يعيّن كونه خصوص آدم؛ فإنّه لاإشكال في كون الذي نفخ فيه الروح، و أُمرت الملائكة بالسجود له، هو آدم.

قلت: لاباس بارتكاب الاستخدام في الضمير بعد أن علم من آيات كثيرة كون المخلوق من الطين و الحَمَأ المسنون[٤] هو الإنسان بنوعه، فتكون الآية نظيرة قوله تعالى في الأعراف: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾[٥]، فالمعنى في ما نحن فيه: فإذا سوّيت النوع و نفخت الروح في آدم الذي هو فرد منه، فقعوا إلى آخره.

٥. و منها: قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ ○ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾.[٦]

و الآية كسابقتها؛ فإنّ الخلق من الطين ـ و هو الوصف المنتسب في هذه الآية إلى البشر ـ هو الوصف المنسوب بعينه في آيات كثيرة إلى نوع الإنسان، فتكون قرينة على كون المراد بالبشر هنا هو الإنسان؛ أعني النوع و الطبيعة لاخصوص آدم الصفيّ.

---

١. الأحقاف (٤٦): ٣٥.
٢. الحجر (١٥): ٢٨ و ٢٩.

٣. صدر بيت، عجزها: «فتخاء تنفر من صفير الصافر»، و هي مع أُخرى لعمران‌بن حطان السدوسي، عيّر بهما الحجّاج حين هرب في بعض حروبه مع شبيب من غزالة. راجع: حياة الحيوان الكبرى، ج ٢، ص ٢٥٢.

٤. الحمأ: الطين الأسود المنتن. و المسنون: المصوّر، أو المصبوب، و قيل غير ذلك. لسان العرب، ج ١، ص ٦١ (حمأ)؛ تاج العروس، ج ١٨، و قيل غير ذلك.

٥. الأعراف (٧): ١١.
٦. ص (٣٨): ٧١ و ٧٢.

فالآية على القول الثاني ـ؛ أعني نظريّة التطوّر ـ أدلّ. فيقرب انطباق معنى التسوية حينئذ على إجرائه في مسير التكامل حتّى ينتهي إلى الصورة الإنسانية؛ ليتهيّا لنفخ الروح فيه بالمعنى الذي عرفت.

٦. و منها: قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾[١]

يمكن أن يكون المراد ببدء خلق الإنسان إلى آخره خلق آدم، ثمّ تسويته و تصويره، فتنطبق الآية على القول الأوّل، و أن يكون المراد بدء خلقة كلّ كائن حيّ، ثمّ إجراءه في طريق التكامل، ثمّ تسويته بتصويره على صورة الإنسان، ثمّ نفخ روح العقل فيه، و لذا قال بعده: ﴿وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ﴾[٢] إلى آخره.

و هذا أولى؛ لأنّه يقع حينئذ قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾ في محلّه؛ فإنّ المخلوق الابتدائي ـ من أيّ صنف أو نوع كان ـ يكون بقاؤه بواسطة التناسل و الخلق من ماء مَهين[٣] ـ الذي أُريد به المنيّ من كلّ حيوان ـ متدرّجاً في الكمال حتّى ينتهي إلى درجة التسوية.

و هذا بخلاف الحمل على الوجه السابق؛ فإنّه يلزم ذكر بقاء نسله بالتوالد من المنيّ قبل تسويته و نفخ الروح فيه.

و بالجملة، الآيات غير آبية ـ لولم تكن ظاهرة ـ الانطباق على سير الإنسان في مراحله الثلاث أو الأربع: تكوّنه من الطين، و بقائه بعده بالتناسل، إلى أن يتصوّر بصورة الإنسان، إلى نفخ الروح فيه، ثمّ حاله بعد نفخ الروح فيه. و ذكر كلمة «ثمّ» لبيان تحقق الفواصل الزمانية بين الحالات، و السُلالة ما يستخرج من الشيء صفواً، و الماء المهين: منيّ الذكر و الأُنثى.

و الظاهر أنّ المراد بالسلالة حينئذ [في] الحيوانات المنويّة، المتولّد منها الحيوان، «إسپرماتوزوئيد» و «أوول».

فيقرب حينئذ كون نفخ الروح هنا عبارة عن إعطاء مقام النبوّة و علم الأسماء، أو

---

١. السجدة (٣٢): ٧ ـ ٩.   ٢. السجدة (٣٢): ٩.

٣. المَهين: القليل الضعيف. لسان العرب، ج ١٣، ص ٤٢٥ (مهن).

إعطاء العقل ـ على احتمال ـ للإنسان، و إطلاق الروح على العلم و المعارف الحقّة حسن صحيح؛ فإنّ الروح هو مادّة الحياة و وسيلتها، و هي على قسمين: روح الأجساد، و هي التي تكون سبباً لحياتها، و روح النفوس، و هي العلوم و المعارف الدينية التي بها تحيا النفوس الإنسانية.

و لعلّ من هذا القبيل قوله تعالى: ﴿وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾[١]؛ فقد أُطلق هنا على الكتاب الكريم و الدين و الشريعة.

و قال: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾.[٣]

و قال: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾.[٤]

٧. و منها: قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَذْكُوراً ○ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ○ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾.[٥]

كلمة «هل» للاستفهام التقريري، فيؤول المعنى إلى قوله: «قد أتى على الإنسان»، و لذا فسّرها عدّة من المفسّرين بمعنى «قد».

و قوله: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾، أي كان شيئاً غيرمذكور؛ لظهور كون النفي في الكلام متعلّقاً بالقيود المندرجة فيه، فحاصل معنى الآية حينئذ أنّ هذا لنوع كان في برهة من أيّام الدهر شيئاً غيرمذكور و لا معروف، فينطبق مفاد الآية على النوع الإنساني من أوّل أزمنة تشكّله بصورة بعد انقلابه عمّا قبله من النوع إلى أن صار معروفاً مذكوراً.

ثمّ الظاهر أنّ المراد بعدم كونه مذكوراً عدم ذكره عند الملائكة و في الملأ الأعلى،

---

١. الشورى (٤٢): ٥٢.
٢. غافر (٤٠): ١٥.
٣. النحل (١٦): ٢.
٤. المجادلة (٥٨): ٢٢.
٥. الإنسان (٧٦): ١ ـ ٣.

و إلّا فلم يكن عندئذ أحياء من ذوي العقول؛ ليذكر في ما بينهم.

و في بعض الأخبار: «يابن آدم[١]... اذكرني في ملئك[٢]، أذكرك في ملإ خير من ملاء الآدميّين».[٣]

و حينئذ فيمكن أن يقال: إنّ أوّل زمان ذكر فيه الإنسان، هو ذكره في ملأ الملائكة، إمّا حين ارتكابهم ـ؛ أعني بني الإنسان ـ الفساد في الأرض و سفكهم الدماء قبل اصطفاء آدم، أو قبل تولّده، أو حين اصطفائه و اختياره و إعطاء مقام النبوّة أو العلم له، فعرف عند الملأ الأعلى، و ذكروه بالعظمة، و على أيّ حال فقد أتى على الإنسان حين من الدهر و هو غير معروف في السماء و عند الملإ الأعلى، و كان في هذه المدّة في مسير التغيّر و التبدّل من نوع إلى نوع؛ ليصل إلى حال الإنسانية.

و الحين: مدّة من الزمان قليله أو كثيره، و قد يقال بأنّه مدّة طويلة[٤]، و الدهر هو الزمان الطويل الذي لا يدرى له بداية و لانهاية.[٥]

إن قلت: لماذا لايكون المراد بالإنسان خصوص آدم، و الزمان الذي لم يذكر فيه هو حين كان سلالة من طين[٦] و طين لازب[٧] و صلصال كالفخّار[٨]، و بالجملة قبل

---

١. في المصادر: «يا عيسى».

٢. الملأ: الجماعة. و قيل: أشراف القوم و وجوههم و رؤساؤهم و مقدّموهم، الذين يرجع إلى قولهم. لسان العرب، ج ١، ص ١٥٩ (ملأ).

٣. الكافي، ج ٢، ص ٥٠٢، باب ذكرالله عزّوجلّ في السرّ، ح ٣ و ح ٨، ص ١٣٨، ح ١٠٣.

٤. راجع: التبيان، ج ١، ص ٢٠٥ و ٢٠٦؛ أنوار التنزيل، ج ٥، ص ٢٦٩، ذيل الآية ١ من سورة الإنسان (٧٦).

٥. راجع: تاج العروس، ج ٦، ص ٤٢٧ (دهر).

٦. إشارة إلى الآية ١٢ من سورة المؤمنون (٢٣)، و الآية ٨ من سورة السجدة (٣٢). و السّلالة: ما انسلّ من الشيء، أي انتزع. و المراد به هنا الصفو الذي يسلّ من الأرض. و قيل: السلالة كناية عن النطفة، تصوّر دونه صفو ما يحصل منه. راجع: المفردات، ص ٤١٨؛ لسان العرب، ج ١١، ص ٣٣٩ (سلل).

٧. إشارة إلى الآية ١١ من سورة الصافّات (٣٧). و «طين لازب»، أي يلزق باليد؛ لاشتداده. المصباح المنير، ص ٥٥٢ (لزب).

٨. إشارة إلى الآية ١٤ من سورة الرحمن (٥٥). و الصلصال: الطين اليابس الذي يَصِلُّ من يبسه، أي يصوّت. لسان ↩

حياته بنفخ الروح فيه؟ أو لماذا لايكون المراد حال كون الإنسان نطفة[١] و علقة[٢] و مضغة[٣] إلى أن يتولّد و يتعرّف؛ لينطبق على القول الأوّل؟

قلت: كلا الاحتمالين خلاف الظاهر؛ فإنّ إرادة الفرد الخاصّ من النوع، و كذا إخراج بعض الأفراد منه خلاف ظاهره، فحصر الإنسان في آدم، أو في غيره، أو إخراجه منه غير مستحسن.

و يوضح ما ذكرناه من المعنى أنّ الملائكة و إن سمعوا اسم البشر و الإنسان قبل أن يبدأ الله تعالى خلق هذا النوع، إلّا أنّه ـ؛ أعني الإنسان لم يكن مذكوراً عندهم بالأوصاف و الأفعال حسنها أو قبيحها، و إنّما عرفوه بالصفات و السمات بعد أن رأوا أفراده قد أفسدوا و سفكوا الدماء، أو بعد أن أعلن الله في الملأ الأعلى أنّه يريد اتّخاذ الخليفة في الأرض منهم.

فآيات سورة الحجر تدلّ على أنّ الله عند ما أخبر الملائكة بخلق البشر، لم‌يكونوا مسبوقين بذلك الاسم و العنوان فضلاً عن صفاته، فلم يتعرّضوا حينئذ بشيء.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ○ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾.[٤]

فظاهرها أنّ الإعلان بالخلقة إنّما هو قبل البدء بها، بخلاف قوله تعالى في سورة

↔ العرب، ج ١١، ص ٣٨٢ (صلل). و الفخّار: الطين المشويّ، و قبل الطبخ هو خزف و صلصال. المصباح المنير، ص ٤٦٤ (فخر).

١. إشارة إلى الآيات التالية: النحل (١٦): ٤؛ الكهف (١٨): ٣٧؛ الحجّ (٢٢): ٥؛ المؤمنون (٢٣): ١٣ و ١٤؛ فاطر (٣٥): ١١؛ يس (٣٦): ٧٧؛ غافر (٤٠): ٦٧؛ القيامة (٧٥): ٣٧؛ الإنسان (٧٦): ٢؛ العبس (٨٠): ١٩. و النطفة: الماء الصافي، و يعبّرون عن ماء الرجل. المفردات للراغب، ص ٨١١ (نطف).

٢. إشارة إلى الآيات التالية: الحجّ (٢٢): ٥؛ المؤمنون (٢٣): ١٤؛ غافر (٤٠): ٦٧؛ القيامة (٧٥): ٣٨. و العلقة: المنيّ ينتقل بعد طوره فيصير دماً غليظاً متجمّداً. المصباح المنير، ص ٤٢٦ (علق).

٣. إشارة إلى الآية ٥ من سورة الحجّ، و الآية ١٤ من سورة المؤمنون (٢٣). و المُضْغَة: القطعة من اللحم قدرما يُمضغ و لم ينضج. المفردات للراغب، ص ٧٧٠ (مضغ).

٤. الحجر (١٥): ٢٨ و ٢٩.

البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَاءَ﴾؛

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ ٱلْأَسْماءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلاَئِكَةِ﴾؛

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾؛

﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ﴾؛

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾.[1]

فإنّ ظاهر هذه الآيات أنّ الإعلان باتّخاذ الخليفة كان بعد وجود أفراد الإنسان في الأرض، بل و بعد إفسادهم و سفكهم الدماء؛ و لذا اعترضوا على خلقه عند استماعهم قول الله بأنّه سوف يجعل في الأرض خليفة، فقد كان الإنسان إذن مذكوراً عند الملائكة قبل إعلان انتخاب آدم للخلافة، حتّى لو قلنا: إنّ الحاصل قبل الانتخاب هو علمهم بحال الإنسان و إن لم يذكروه و لم يتكلّموا عن أحواله، و إنّما ذكروه عند انتخابه خليفة.

و على أيّ تقدير فقد كان الإنسان شيئاً غيرمذكور في برهة من الزمان، ثمّ صار مذكوراً في جملة من أحواله و أفعاله.

ثمّ إنّه هذا البيان يكون قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا﴾[2] إلى آخره تفصيلاً لما أبهم أوّلاً، فبيّن تعالى فيه كيفية خلق هذا الإنسان من بدو شروعه فيه إلى وصوله إلى مرحلة كونه مذكوراً معروفاً، فالمراد بالإنسان في الآية الثانية هو النوع و الطبيعة الخاصّة دون خصوص الأفراد، و المراد بالنطفة هو الماء مطلقاً، أو الماء القليل.

و في الخطبة ٤٨ من نهج البلاغه: «و قد رأيت أن أقطع هذه النطفة إلى شرذمة[3]

---

١. البقرة (٢): ٣٠ ـ ٣٤.

٢. الإنسان (٧٦): ٢.

٣. الشِرْذِمَةُ: الجمع القليل من الناس. و قد يستعمل في الجمع الكثير إذا كان قليلاً بالإضافة إلى من هو أكثر منهم. المصباح المنير، ص ٣٠٨ (شرذم).

منكم موطّنين أكناف دجلة».[١]

و في الخطبة ٥٩ قال في حقّ الخوارج: «مصارعهم دون النطفة، و الله لايُفلت[٢] عشرة، و لايهلك منكم عشرة».[٣]

و الأمشاج: جمع مَشَج بفتحتين، أو مشيج بمعنى المختلط، فالأمشاج بمعنى المختلطات[٤]، فلا مانع من أن يقال: إنّ توصيف النطفة بها توصيف بحال المتعلّق، أي أنّ أجزاءها و أبعاضها مختلطات، إشارة إلى كثرة الأجزاء و اختلاط بعضها مع بعض، و هذه النطفة هي الماء الذي اختلط به أجزاء الطين و الحماء المسنون، فتكوّنت منها الخلايا، فالأنواع الأولية، فالثانوية.

و هكذا الابتلاء الاختبار، و في تفسير الميزان: «هو[٥] نقل الشيء من حال إلى حال، و من طور إلى طور، كابتلاء الذهب في البُوتَقة[٦]»[٧]، و استعمال كلمة المضارع الدالّة على الاستمرار، يعطي كون الابتلاء مستمرّاً من بدء الشروع في خلقته من الطين إلى أن جعل سميعاً بصيراً، و حيث إنّ منتهى الابتلاء جعله سميعاً بصيراً ـ، أي عالماً شاعراً ـ يتّضح حينئذ كونه تكوينياً، كما يشهد به التفسير المزبور.

ثمّ إنّه يمكن أن يراد بقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ إعطاء القوّة العاقلة له؛ فإنّ السمع و البصر طريقان إلى القوّة العاقلة و إدراكاتها، و ليس المراد نفس السمع و البصر، و هما القوّتان الموجودتان في جميع الحيوانات.

فالمراد جعل الإنسان عاقلاً شاعراً قبل أن ينتخب من بين أفراده آدم الصفيّ

---

١. نهج البلاغة، ص ٨٧.

٢. الإفلات: التخلّص من الشيء فجأة من غير تمكّث. لسان العرب، ج ٢، ص ٦٦ (فلت).

٣. نهج البلاغة، ص ٩٣.

٤. راجع: لسان العرب، ج ٢، ص ٣٦٧ (مشج).

٥. في المصدر بدل «هو»: «الابتلاء».

٦. البُوتَقَة: البُوطة، و هي التي يذيب فيها الصائغ و نحوه من الصُّنّاع، و هو معرّب، أصله: «ته». تاج العروس، ج ١٠، ص ٢٠٦ (بوط).

٧. الميزان، ج ٢٠، ص ١٢١، ذيل الآية ٢ من سورة الإنسان (٧٦).

بالخلافة الإلهية، و أن يراد بقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ هدايته إلى السبيل المؤدّي إلى الله، و هو الطريقة ذات الأبعاد الثلاثة من العقائد الحقّة و الأخلاق الفاضلة و الأعمال الصالحة؛ فإنّها هي التي تتضمّن سعادة سالكها، و توصله إلى الله و مرضاته، فيكون المراد بهذا الكلام إعطاء الدين للإنسان باصطفائه بالنبوّة أو الخلافة و كونه حجّة على أهل زمانه.

[تفسير الآيات بناء على القول الأوّل]

هذا كلّه في بيان معنى الآيات الشريفة و تطبيقها على نظريّة التطوّر، و أمّا بناء على القول الأوّل، فقد فسّرها أهله[1] بأنّ المراد بالإنسان الأفراد بعد تكوّن الفرد الأوّل بنحو الإعجاز، أي أولاد آدم، و بالنطفة المنيّ، و بالأمشاج المتحصّل من اختلاط منيّ الرجل و المرأة، أو لأنّ كلّ واحد من المائين مختلط و مركّب من موادّ مختلفة، و المراد بالابتلاء تقليبه من حال إلى حال، من نطفة إلى علقة، و هكذا إلى أن يجعله ذاعقل، و يعطيه الدين و الحكمة.

و هذا التوجيه ليس بذاك البعيد غير أنّه يستلزم أوّلاً: التفصيل في استعمال لفظ الإنسان في الآيتين بجعل الأوّل مستعملاً في الطبيعة، و الثاني في الأفراد.

و ثانياً: جعل قوله: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾ بمعنى: لم يكن شيئاً، فلم يكن مذكوراً، و قد عرفت أنّه خلاف ظاهر الكلام.

و ثالثا: تخصيص الإنسان الثاني و إخراج آدم و حوّاء منه، و هو خلاف الأصل.

٨ و منها: قوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ○ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ○ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ○ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ○ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾.[2]

ظاهر لفظ الإنسان النوع الخاصّ، فالآية نظيرة قوله: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾.[3]

و المراد بالنطفة الماء، أو المنيّ، و تنوينها يدلّ على نوع خصوصيّة فيها.

---

١. راجع: الكشّاف، ج ٤، ص ٦٦٥ و ٦٦٦؛ مجمع البيان، ج ١٠، ص ٦١٤ و ٦١٥؛ أنوار التنزيل، ج ٥، ص ٢٦٩.

٢. عبس (٨٠): ١٧ ـ ٢١. ٣. العصر (١٠٣): ٢.

و المراد بالتقدير تعيين الحدود و تبين كمية الشيء.

و المراد بالسبيل هنا طريق عيشه في الدنيا و كماله و سعادته في النشأتين.

فمعنى الآية بناء على كون النطفة بمعنى الماء: أنّ الله خلق نوع الإنسان من ماء خاصّ ـ و لعلّه الماء المختلط بالحمإ المسنون و الأجزاء الأرضية، و الذي صار منه تولّد الموجودات الحيّة ـ فقدّره بأن نقله من حال إلى حال حتّى انتهى إلى صورة الإنسان و التشكّل بشكله.

ثمّ إنّه تعالى يسّره سبيل حياته الدنيوية و عيشه فيها بأن وهبه العقل و الإدراك، و هداه سبيل سعادته و قربه إلى مرضاة ربه بأن بعث من جنسه الأنبياء، و أعطاهم الدين و الكتاب.

و لو قلنا بأنّ المراد بالنطفة خصوص المنيّ، فالمراد بالإنسان أفراده، و حينئذ فعلى القول بالخلقة الدفعية الإعجازية في آدم و حوّاء يلزم تخصيص الإنسان، أو تقييد إطلاقه بغيرهما، و على القول بالتكامل لا تقييد و لا تخصيص، و الأصل عدمهما عند الشك.

٩. و منها: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِن طِينٍ ○ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ○ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾.[١]

السُلالة بالضمّ: ما يسلّ و يستخرج من الشيء[٢]، كالكُناسة و القُلامة[٣]، و قد مرّ الإشارة إلى ذلك آنفاً.

[اختلاف المفسّرين في المراد بالإنسان]

و اختلف المفسّرون في المراد بالإنسان هنا، فذهب بعضهم إلى أنّ المراد به خصوص آدم الصفيّ[٤]؛

---

١. المؤمنون (٢٣): ١٢ ـ ١٤.
٢. راجع: لسان العرب، ج ١١، ص ٣٣٩ (سلل).
٣. القُلامة: اسم ما قُلِمَ ـ أي قُطِعَ ـ من الظُفُر. لسان العرب، ج ١٢، ص ٤٩١ (قلم).
٤. راجع: التبيان، ج ٧، ص ٣٥٣؛ أنوار التنزيل، ج ٤، ص ٨٣؛ الجامع لأحكام القرآن، ج ١٣، ص ١٠٩.

و آخرون إلى أنّ المراد هو بنو آدم، و لايشتمل آدم و حوّاء[١]؛

و استظهر ثالث أنّ المراد به معناه الحقيقي، أي النوع و طبيعة الإنسان[٢]، و يرجّح هذا بأنّه لاداعي إلى حمله على خصوص فرد أو أفراد بعد إمكان إرادة المعنى الحقيقي.

فالمراد بالآية الأُولى أنّ الله خلق النوع الإنسانيّ من الشيء الذي استلّه من الطين و استخرجه منه، و هو الأجزاء الأرضية الطينية المخلوطة بالماء، المتولّد منها الخلايا، ثمّ الأنواع، ثمّ النوع الإنساني.

فهذه الآية كاشفة عن بدء خلق النوع، كما أنّ الآيتين بعدها حاكيتان عن بقاء الأنواع بسبب التزوّج و التناسل، فمعنى «جعلناه نطفة» إنّنا في أزمنة بقائه جعلناه على نحو النطفة و العلقة، و هكذا.

و أمّا حمل الكلام على أنّ المراد بخلق النوع من الطين خلق آدم منه، فإنّه إذا خلق بنوآدم من آدم، و هو من الطين، صدق أنّ هذا النوع مخلوق من الطين.

و لعلّ هذا المعنى هو مراد الأُستاذ الطباطبائي في تفسيره الممتّع الميزان، حيث قال:

> و ظاهر السياق أنّ المراد بالإنسان هو النوع، فيشمل آدم و من دونه، و يكون المراد بالخلق الخلق الابتدائي الذي خلق به آدم من الطين، ثمّ جعل النسل من النطفة، و تكون الآية و ما بعدها في معنى قوله: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِن مَاءٍ مَهِينٍ﴾[٣].[٤]

فهو بعيد، و أقول: العجب منه ـ دام ظلّه ـ كيف ألغى في تفسيره الآية معنى السلالة بالكلّيّة؟! مع أنّه نفسه نقل عن المجمع[٥] معناها قبيل هذا الكلام، لكنّه أسقطها في إيضاح معنى الآية، فأوجب الخلط و التغيير في معنى الآية، و كم من فرق بين قوله تعالى:

---

١. راجع: مجمع البيان، ج ٧، ص ١٦٢؛ مفاتيح الغيب، ج ٢٣، ص ٢٦٤ و ٢٦٥.

٢. راجع: جوامع الجامع، ج ٣، ص ٦٧؛ أنوار التنزيل، ج ٤، ص ٨٣؛ في ظلال القرآن، ج ٤، ص ٢٤٥٨؛ روح المعاني، ج ٩، ص ٢١٦.

٣. السجدة (٣٢): ٧ و ٨.

٤. الميزان، ج ١٥، ص ١٩، ذيل الآية ١٢ من سورة المؤمنون (٢٣).

٥. مجمع البيان، ج ٧، ص ١٦٧.

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾[١] و قوله: ﴿مِن سُلَالَةٍ مِن طِينٍ﴾، فما اختاره من المعنى مبنيّ على عدم ملاحظة كلمة «السلالة»؛ فإنّ آدم لم يخلق من السلالة على مذهبه، بل من الطين، و الإنسان ـ كما عرفت ـ خلق من السلالة المتّخذة من الطين.

المقام الثاني

في ذكر ما يستدلّ به على القول الأوّل أي القول بأنّ أوّل إنسان خلقه‌الله هو آدم الصفيّ، فهو الفرد الأوّل من بين هذا النوع، و الفرد الثاني زوجه حوّاء، ثمّ بثّ‌الله منهما سائر أفراد الإنسان إلى الآن.

و هو عدّة آيات:

[ذكر الآيات الدالّة على القول الأوّل]

منها: الآيات المصرّحة بأنّ الناس كلّهم مخلوقون من نفس واحدة، و ذكر معها في بعض الآيات زوجها أيضاً، و لا إشكال في أنّه ليست النفس الواحدة إلّا آدم الصفيّ، و ليس زوجها إلّا أُمّنا حوّاء:

١. قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾.[٢]

أي خلقكم من آدم، فمنكم من هو مستقرّ بالفعل في أصلاب الآباء و أرحام الأُمّهات، و منكم من هو مستودع في القبور إلى يوم النشور، أو منكم من هو مستقرّ في أصلاب الآباء، و مستودع في أرحام الأُمّهات، أو من هو مستودع في الأصلاب، مستقرّ في الأرحام، أو غير ذلك من المحتملات التي أوردها المفسّرون.

و ذهب أرباب القول بالتطوّر في معنى الآية إلى أنّ الخطاب شامل لجميع أفراد هذا النوع[٣] بجعل الأفراد الماضين الغابرين، و من لم يوجد منهم بالفعل من المستقبلين

---

١. السجدة (٣٢): ٧. ٢. الأنعام (٦): ٩٨.

٣. لم نعثر عليه ذيل الآية المذكورة، نعم يمكن أن يستفاد ذلك ممّا جاء في المنار، ج ٤، ص ٣٢٢ـ٣٢٧، ذيل الآية من سورة النساء (٤).

مفروضي الوجود كالحاضرين، فيشمل الخطاب آدم و حوّاء و من بعدها.

و حينئذ فلا بأس بأن يراد من النفس الواحدة ما ذكروه من الموجودات الحيّة الأوّلية المسمّاة بالسلّول أو الخلايا؛ فإنّها نفس واحدة تكوّنت الأحياء جميعها منها، فتركّبت و تكثّرت، فتصوّرت بصورة نوع و نوع إلى أن صار إنساناً.

ثمّ إنّ المنشأ من تلك النفس و الأنواع المتبادلة المتولّدة منها، كان مختلفاً من حيث البقاء، فمنه ـ أي من المنشأ الواقع في طريق التكامل ـ ما كان مستمرّاً ثابتاً في عصور تعدّ بالملايين، و منه ما كان سريع الانقضاء و الانقراض.

فمعنى الآية الشريفة: أنّكم مخلوقون من النفس الواحدة، إلّا أنّ من أنواعكم المتبادلة من قد استقرّ على وجه الأرض برهة طويلة، و منها من بقي محدوداً موقّتاً مستودعاً، فاسم الفاعل مستعمل في الموردين في الماضي، و لا بأس به.

و ليس الغرض دعوى صراحة الآية، أو ظهورها في هذا المعنى، بل المدّعى أنّها ليست بظاهرة في المعنى الأوّل بالخصوص؛ لتكون دليلاً عليه، كما هو مقصود الخصم، فنهاية الأمر أنّها لا ظهور لها في أحد المعنيين بالخصوص، فلايصحّ الاستدلال بها عليه، بل هي قابلة الانطباق على كلا القولين.

فدعوى ظهورها في الأوّل نشأت من أنس الذهن به؛ للشهرة الخارجية، مع أنّهم اختلفوا في تفسير المستقرّ و المستودع، فذهبوا إلى مالا يرتضيه الفهم السليم.

هذا مع أنّ هنا جواباً عن هذه الآية، مشتركاً بينها و بين ما يسانخها ممّا سنذكره، و هو أنّه لو سلّمنا كون المراد بالنفس الواحدة آدم و بزوجها حوّاء، لم تكن الآيات منافية للقول بالتطوّر؛ فإنّ القائل به أيضاً لاينكر انتهاء نسب الموجودين من الأناسيّ إلى آدم و حوّاء؛ فإنّ الظاهر أنّه ـ على هذا القول ـ بعد ما اصطفى الله آدم بإعطائه العقل أو العلم، بقي نسله العقلاء، و تكثّروا، و ورثوا الأرض، و استولوا عليها، و انقرضت سلسلة غيره من أبناء نوعه، إمّا لكونهم غير عقلاء، فلم يقووا على دفع مزاحمات الحياة، كأغلب الأنواع المتبادلة المنقرضة، أو لأسباب أُخر لانعرفها، كما يقال نظير ذلك في حقّ نوح النبيّ، حيث يدّعى عدم بقاء المؤمنين الذين ركبوا معه الفلك، و انقرض

نسلهم، فصار نوح أباالبشر بعد آدم بحيث تنتهي سلسله الموجودين من الأناسي إليه.

و بالجملة انتهاء الموجودين إلى آدم و حوّاء أمر، و كونه أوّل فرد من هذا النوع، مخلوق بالاستقلال من تراب أمر آخر، و الآيات تثبت الأوّل، و لانزاع فيه، و لاتثبت الثاني، و هو المختلف فيه و المقصود بالإثبات.

٢. و قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾.[١]

توجيه الآية الشريفة لإثبات القول الأوّل هو توجيه سابقتها بعينه، لكنّه قد يقال عليه بأنّ المخاطب بكلمة «الناس» و ضمائر الخطاب في الآية الشريفة الأفراد بنحو العموم الاستغراقي، لا النوع و طبيعة الإنسان، قضاءً لحقّ وضع تلك الألفاظ، فالمخاطب هو المصاديق أينما وجدت، و حيثما تحقّقت، سواء في ذلك المعدومون و الموجودون؛ لأنّ الخطاب إنشائي، و هو أمر اعتباري تعرضه الفعلية عند اجتماع شرائطها، فقد يجعل المتكلّم مخاطبه أفراد النوع الواحد و يخاطبهم، و إن لم يكن الخطاب فعليّاً إلّا في حقّ البعض.

و على هذا، فإن لوحظت الأفراد بنحو العامّ المجموعي، كان المفاد بيان كون مجموع الأفراد مخلوقة من نفس واحدة و زوجها، فيقع الإجمال في معنى «النفس الواحدة»، و يجيء الاحتمالان السابقان، فلا تدلّ الآية على مدّعى الخصم.

و إن لوحظت بنحو العامّ الاستغراقي، كان المعنى أنّ الله قد خلق كلّ فرد منكم من نفس واحدة و زوج مخلوق من جنسه، فالآية مسوقة لبيان مبدأ نشو الأفراد، فلايبعد حينئذ أن يراد بالنفس الواحدة الموجود الحي الكائن في نطفة الأب (إسپرماتوزوئيد)، و بالزوج مماثله الذي هو البويضة في نطفة المرأة؛ فإنّه يحصل من تركّبهما فرد من هذا النوع، و هكذا، فيحصل التكاثر في النسل ذكراناً و إناثاً.

---

١. النساء (٤): ١.

و على هذا أيضاً لاتدلّ الآية على مطلوب المستدلّ، مع أنّك قد عرفت الجواب عنها لو فرضت دلالتها.

تنبيه: [في ذكر الأقوال في بثّ أولاد آدم]

و بالمناسبة فإنّنا نشير إلى أنّ في كيفيّة بثّ الله أولاد آدم منه و من حوّاء و تكثير نسلهما ثلاثة أقوال:

الأول: أنّ ذلك كان بالتزاوج بين أولاد آدم بعضهم مع بعض[١]؛ لكون ذلك جائزاً عندئذ؛ فإنّ تحريم الزواج بين الأخ و الأُخت حكم من أحكام الشرايع، و لم تكن في ذلك الزمان شريعة؛ فإنّ أوّل شريعة نزلت كانت شريعة نوح، كما يظهر من الكتاب الكريم[٢] و الأخبار الواردة.[٣]

و لو فرضنا ثبوتها في ذلك الزمان، فلم تكن الأشياء يسيراً من أُمّهات المسائل الأُصولية و الفروعية، أو ما يساوي المستقلّات العقلية، و أمر الزواج بين الأخ و الأُخت ليس بتلك المثابة، مع أنّ الاضطرار حكمة قد تقتضي رفع التحريم، كما تقتضي أحياناً رفع الوجوب، و قد وردت عدّة روايات[٤] دالّة على هذا البيان.

الثاني: أنّ الزواج كان بين أولاد آدم و بين غلمان الجنّة و حورها، أو الأجنّة، فحصل من ذلك بقاء نسل آدم و حوّاء[٥]، و ورد فيه أيضاً أخبار بعضها معتبر، فراجع الوسائل، كتاب النكاح، باب تحريم الأُخت من المحرّمات النسبية.[٦]

---

١. راجع: مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٨٣؛ الجامع لأحكام القرآن، ج ٦، ص ١٣٤، ذيل الآية ٢٧ من سورة المائدة (٥)، الميزان، ج ٤، ص ١٤٤ و ١٤٥، ذيل الآية ١ من سورة النساء (٤).

٢. مثل ما يظهر من هذه الآية الكريمة المذكورة. راجع: الميزان، ج ٤، ص ١٤٤، ذيل الآية ١ من سورة النساء (٤).

٣. راجع: قرب الإسناد، ص ٣٦٦، ح ١٣١١؛ الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٤؛ مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٨٣، ذيل الآية من سورة المائدة (٥).

٤. راجع: قرب الإسناد، ص ٣٦٦، ح ١٣١١؛ الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٤.

٥. راجع: الجامع لأحكام القرآن، ج ٦، ص ١٣٤ و ١٣٥، ذيل الآية ٢٧ من سورة المائدة (٥).

٦. وسائل الشيعة، ج ٢٠، ص ٣٦٤ ـ ٣٦٦، باب تحريم الأُخت مطلقاً.

الثالث: أنّ الزواج كان بين أولاد آدم و بين سائر أفراد نوعه من الذكور و الإناث الموجودين آنئذ، بناء على مذهب التطوّر و التكامل[١]، و الإشكال بناء عليه يكون منحلاً بنفسه.

[ذكر آيات تأييداً للقول الأوّل]:

و قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً﴾[٢] الآية.

و تقريب الاستدلال بها على القول الأوّل واضح، و عليه يلزم حمل قوله ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ على الزوجين من أفراد الإنسان، إمّا بنحو القضية الطبيعية، أو الاستغراق العرفي، فيكون ربطه بأوّل الآية خفيّاً غيرمأنوس، بخلاف ما لو حملنا صدر الآية على المبنى الآخر. و الجواب السابق يجري هنا أيضاً.

و قال تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِنَ ٱلْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ﴾.[٣]

و الاستدلال بها ظاهر، و يجري فيها بعض الأجوبة السابقة أيضاً.

و منها: الآيات التي خاطب الله بها الناس جميعاً بقوله: ﴿يَابَنِي آدَمَ﴾ الملازم لكونه أباً للنوع الإنساني؛ إذ لو كان الأمر كما يفرضه أصحاب القول بالتكامل، لزم انتساب عدّة منهم إلى غير آدم، فلا يكون ذلك الخطاب صحيحاً، بل و في بعضها تصريح بكون أبوي هذا النوع هما آدم و حوّاء، و هذه الآيات كثيرة:

قال تعالى: ﴿يَابَنِي آدَمَ لاَيَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِنَ ٱلْجَنَّةِ﴾[٤]؛

﴿يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ﴾[٥]؛

---

١. راجع: المنار، ج ٤، ص ٣٢٤، ذيل الآية ١ من سورة النساء (٤).

٢. الأعراف (٧): ١٨٩.

٣. الزمر (٣٩): ٦.

٤. الأعراف (٧): ٢٧.　　　　٥. الأعراف (٧): ٢٦.

﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾[١]؛
﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾[٢]؛
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾.[٣]

فالآيات ظاهرة في أنّ والد هذا النوع و أباهم هو آدم الصفيّ، و أُمّهم هي زوجه، فيظهر بها بطلان القول الآخر.

لكن قد عرفت أنّ أقصى ما تدلّ عليه هذه الآيات هو انتهاء نسب المخاطبين من الإنسان، أو الموجودين منهم إلى آدم الصفيّ، و ذلك أمر غيركون آدم أوّل فرد من النوع مخلوق بالاستقلال، و لعلّ القائلين بالتطوّر يقبلون ذلك، كما أشرنا إليه.

و منها: قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾.[٤]

الصلصال: الطين اليابس[٥]، و الفخّار: الخزف و الجِرار[٦]، سمّي به؛ لتصوّته بالضرب عليه، كما يتكلّم الإنسان الفخور بنفسه إذا لم يتواضع له، و قوله: ﴿كالفخّار﴾ وصف للصلصال.

و معنى الآية ـ على هذا ـ أنّ الله خلق الإنسان من طين يابس كالخزف، و لم يكن ذلك إلّا ما صوّره الله تعالى من الطين بصورة آدم، فنفخ فيه الروح، و حيث إنّ الله تعالى قد ذكر في مقام خلق الإنسان خلق آدم الصفيّ، فيعلم من ذلك أنّه أوّل من خلق و أبدع من النوع الإنساني.

لكن يمكن أن يقال: إنّ الصلصال قد استعمل في اللغة بمعنى الطين المتغيّر، فإنّ «صلصل» من «صلّ»، و يقال: صلّ اللحم، أي فسد و تغيّر.[٧]

و قوله: ﴿كَالْفَخَّارِ﴾ متعلّق بقوله: ﴿خَلَقَ﴾، و الغرض تشبيه خلق الإنسان بخلق

---

١. الأعراف (٧): ٣٥.
٢. يس (٣٦): ٦٠.
٣. الإسراء (١٧): ٧٠.
٤. الرحمن (٥٥): ١٤.
٥. راجع: لسان العرب، ج ١١، ص ٣٨٢ (صلل).
٦. المصدر، ج ٥، ص ٤٩ (فخر). و الجِرار: جمع الجَرّة، و هي إناء من خزف. المصدر، ج ٤، ص ١٣١.
٧. المصدر، ج ١١، ص ٣٨٢ (صلل).

الفخّار، أي خلق الإنسان كما يخلق الفخّار، فكما أنّ التراب يصبّ عليه الماء فيصير طيناً، ثمّ يجعله صنّاع الفخّار في طريق التسوية، فيصوّره بأيّة صورة وَ أيّ لون شاء و أراد، فكذلك مزج الله التراب بالماء فصار طيناً لازباً، فجعله في سبيل التسوية حتّى صيّره إنساناً كاملاً.

فالآية لاتكون دليلاً على القول الأوّل، كما لاتدلّ على الثاني أيضاً، بل هي حينئذ مجملة من هذه الجهة، محتملة لكلا القولين.

و منها: آيتنا المبحوث عنها، و هي قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.[١]

و هي أقوى ما استدلّ، أو يمكن الاستدلال به على القول الأوّل، و تقريب الاستدلال بها على هذا القول هو أنّ ظاهر الآية الشريفة أنّ آدم خلقه الله من تراب، أي صوّره منه، ثمّ قال له: كن إنساناً حيّاً، فصار كذلك، و هذا هو المطلوب.

و يمكن أن يورد عليه أنّه على هذا يحصل الإجمال في التشبيه؛ فإنّنا بعد ما علمنا بأنّ عيسى لم يخلق من التراب ابتداء، كخلق آدم، بل هو مخلوق في الرحم من نطفة و علقة حتّى صار جنيناً، ثمّ وليداً ـ كما استظهرناه سابقاً ـ فلا يبقى معنى حينئذ لتشبيه عيسى بآدم، مع كون ظاهر الكلام أنّ وجه المشابهة بينهما هو الخلق من التراب، المستفاد من قوله: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ إلى آخره، و أنّ الأمر بالتكوّن و الوجود موجّه إليه.

[تقريب الآية على مذهب التطوّر و التكامل]

و قد ذكروا في مقام الإجابة عن هذا أنّ وجه الشبه هو لازم عملية الخلق، و هو كونها من غير وساطة الأب و الأمّ، و يكون حاصل معنى الآية أنّ عيسى كآدم في عدم تولّده من أب، و حيث كان الكلام في مقام الردّ على النصارى و الذين كانوا يعتقدون بألوهيّة المسيح على نحو من الأنحاء الثلاثة التي أُشير إليها في آيات الكتاب الكريم[٢]، كان هذا جواباً لهم بالنقض، و أنّه لو كان عدم الأب للمسيح موجباً لربوبيّته، للزم كون آدم أيضاً ربّاً و إلهاً.

---

١. آل عمران (٣): ٥٩.

٢. النساء (٤): ١٧١؛ المائدة (٥): ٧٣.

هذا، و تقريب معنى الآية على المعنى الثاني هو أنّه لا إشكال في مماثلة عيسى لآدم على هذا القول في التكوّن من تراب و غذاء و نطفة و علقة إلى الولادة فما بعدها، و لاإشكال أيضاً في أنّ الله قد وهب لعيسى العقل و العلم و الإدراك، أو وهب تلك الأُمور مع النبوّة في أوائل تولّده على نحو الإعجاز و الخرق لناموس التكوين، و آدم أيضاً كذلك في العقل و العلم، أو العلم و النبوّة.

فوجه التشبيه في الآية هو المماثلة في الخلقة و العلم، و معنى قوله ﴿كُنْ﴾، أي كن عاقلاً عالماً، أو عالماً نبيّاً.

إن قلت: على هذا فإنّ عيسى يكون مشابهاً في الخلقة لكلّ فرد من أفراد الناس، فما هي الفائدة في تخصيص آدم هنا؟ ثمّ ما هو الوجه في هذا التشبيه؟

قلت: الوجهُ في ذكر الخلقة من التراب حينئذ كونُه توطئة للتشبيه المقصود بالأصالة، مع الإشارة إلى بطلان ما ارتكز في أذهانهم من كون خلق عيسى و تكوّنه قد وقع على غير طريق السنّة الإلهية في خلق الإنسان، بل و ما ارتكز لديهم من كون آدم أيضاً كذلك.

فحاصل معنى الآية حينئذ أنّ عيسى مثل آدم، فكما أنّه تعالى بعد ما خلق آدم من التراب، كسائر أفراد الأناسيّ، نفخ فيه روح العقل و العلم، أو العلم و النبوّة بنحو الإعجاز، فكذلك عيسى نفخ فيه روح العقل و العلم، أو العلم و النبوّة، و لعلّه كان بعد تولّده و في حال طفوليّته، فتخيّل أنّ عيسى مخلوق إعجازي خارج عن سنّة التكوين غيرصحيح، و تخيّل أنّ علمه و نبوّته سبب لربوبيّته منقوض بآدم.

هذا غاية تقريب الآية على مذهب التكامل، ذكرناه و قرّبناه كذلك دفعاً لمنافاة الآية لهذا القول لو فرض ثبوته على نحو القطع، فلايرتاب القائلون به في الكتاب الكريم، كما وقع ذلك بالنسبة إلى التوراة و الإنجيل.

[ذكر الأخبار الدالّة على القول الأوّل]

و منها: الأخبار الواردة في كيفيّة خلق آدم الصفيّ و زوجه، الدالّة على القول الأوّل:

ففي البحار، المجلد ١١ نقلاً عن العيون[١]، عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

---

١. بل نقله عن علل الشرايع، ج ١، ص ١٤، الباب ١٠، ح ١.

«إنّما سمّي آدمُ آدمَ؛ لأنّه خلق من أديم الأرض».[١]

و الرواية صحيحة، لكن لادلالة فيها على هذا القول، كما أنّها لاتدلّ على الثاني أيضاً.

و عن الحلبي أيضاً، عن الصادق، قال: «إنّ القبضة التي قبضها الله عزّوجلّ من الطين الذي خلق منه آدم، أرسل إليها جبرئيل أن يقبضها، فقالت الأرض: أعوذ بالله أن تأخذ منّي شيئاً، فرجع إلى ربّه»، إلى أن قال: «فأرسل إليها ملك الموت، فتعوّذت بالله يأخذ منها شيئاً، فقال ملك الموت: و أنا أعوذ بالله أن أرجع إليه حتّى أقبض منك»، قال: «و إنما سمّي آدمُ آدمَ؛ لأنّه خلق من أديم الأرض».[٢]

و في خبر قصص الأنبياء: قال: إنّه تعالى حين إرسال جبرئيل، أمره أن يأخذ منها إن شاء، و أمّا في عزرائيل، فأمره على الحتم.[٣] و الرواية صحيحة.

و في تفسير القمي عن الصادق: «إنّ الله تبارك و تعالى خلق آدم من الماء العذب، و خلق زوجته من سنخه، فبرأها من أسفل أضلاعه، فجرى [بذلك الضلع][٤] بينهما النسب و السبب[٥]».[٦]

و الرواية في تفسير عليّ‌بن إبراهيم، و نسبة الكتاب إليه غير ثابتة، و هي موافقة أيضاً لما في أوّل التوراة.[٧]

و ما رواه في قصص الأنبياء عن الصادق، قال: «كانت الملائكة تمرّ بآدم، أي بصورته، و هو ملقى في الجنّة من طين، فتقول: لأمر ما خلقت؟».[٨]

---

١. بحارالانوار، ج ١١، ص ١٠٠، ح ٤. و «أديم الأرض»: وجهها. و أديم كلّ شي ظاهر جلده. و الأدْمة: السمرة. و الآدم من الناس: أسمر. لسان العرب، ج ١٢، ص ١١ (أدم).

٢. علل الشرايع، ج ٢، ص ٥٧٢، الباب ٣٨٥، ح ٩. و عنه في بحارالأنوار، ج ١١، ص ١٠٣، ح ٩.

٣. نقل بالمعنى. قصص الأنبياء للراوندي، ص ٤٢، ح ٤. و عنه في بحارالأنوار، ج ١١، ص ١١٣، ح ٣٤.

٤. مابين المعقوفين أضفناه من المصدرين.

٥. قوله: «النسب و السبب» نقل بالمعنى و التصرّف.

٦. راجع: تفسير القمي، ج ٢، ص ١١٥، ح ٦. و عنه في بحارالأنوار، ج ١١، ص ١١٢، ح ٣١.

٧. الكتاب المقدّس (العهد القديم)، ص ٦، الفصل ٢١ ـ ٢٥ من سفر التكوين.

٨. قصص الأنبياء، ص ٤١، ح ٣. و عنه في بحارالأنوار، ج ١١، ص ١١٣، ح ٣٣.

و كتاب القصص قد نسب إلى القطب الراونديﷺ و ربما ينسب إلى فضل الله عليّ بن عبيدالله الحسني الراوندي.

و في تفسير عليّ بن إبراهيم، عن عمرو بن أبي المقدام: «فاغترف ربّنا تبارك و تعالى غرفة بيمينه من الماء العذب الفرات[١] ـ و كلتا يديه يمين ـ، فصلصلها[٢] في كفّه فجمدت، ثمّ قال: منك أخلق النبيّين و المرسلين و عبادي الصالحين، ثمّ اغترف غرفة أُخرى من الماء المالح، فصلصلها في كفّه فجمدت، ثمّ قال: منك أخلق الجبّارين و الفراعنة، ثمّ خلط الماءين، ثمّ كفأهما[٣] قدّام عرشه، و هما سُلالة[٤] من طين، فخلق الله آدم، فبقى أربعين سنة مصوّراً، و كان يمرّ به إبليس اللعين فيقول: لأمرما خلقت؟ لئن أمرني الله بالسجود لهذا لعصيته، ثمّ نفخ فيه، فلمّا بلغت فيه الروح إلى دماغه عطس»[٥] إلى آخره.

أقول: عمرو بن أبي المقدام مختلف فيه، مع أنّ الرواية من تفسير علي بن إبراهيم، و هي موافقه لما عند العامّة، و مشتملة على ما ظاهره التجسيم، و هي غريبة المضمون، سيّما بملاحظة ما صدر من إبليس.

و عن العيون[٦]، عن عليّ بن سالم، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبداللهﷺ، قال: قلت له: لأيّ علّة خلق الله آدم من غير أب و أمّ، و خلق عيسى من غير أب، و خلق سائر الناس من الآباء و الأُمّهات؟[٧] فقال: «ليعلم الناس كمال قدرته» إلى آخره.

---

١. الفُرات: أشدّ الماء عُذوبة. لسان العرب، ج ٢، ص ٦٥ (فرت).

٢. «فصلصلها»، أي صفّاها و جعلها بحيث يصوّت، مجاز. راجع: تاج العروس، ج ١٥، ص ٤١٠ (صلل).

٣. «كفأهما»، أي قلبهما. راجع: لسان العرب، ج ١، ص ١٤٠ (كفأ).

٤. السُلالة: ما انسلّ من الشيء، أي انتزع، و المراد به هنا الصفو الذي يسلّ من الأرض. راجع: المفردات للراغب، ص ٤١٨؛ لسان العرب، ج ١١، ص ٣٣٩ (سلل).

٥. نقل بالتقطيع و التخليص. راجع: تفسير القمي، ج ١، ص ٣٧ ـ ٤١، و عنه في بحارالانوار، ج ١١، ص ١٠٣ ـ ١٠٥، ح ١٠.

٦. بل نقله في البحار عن العلل.

٧. علل الشرايع، ج ١، ص ١٥، الباب ١٢، ح ١، و عنه في بحارالانوار، ج ١١، ص ١٠٨، ح ١٦، مع تفاوت يسير.

أقول: عليّ‌بن سالم هو عليّ بن حمزة[١] البطائني أحد عُمُدَ الواقفة. «جش، ست».[٢]

و قال العلّامة في الخلاصة عنه: «لعنه الله أصل الواقف، و أشدّ الخلق عداوة للوليّ من بعد أبي إبراهيم».[٣]

و قال الكشّي: قال الكاظم‌ؑ في حقّه: «أنت و أصحابك شبه حمير[٤]».

و قال الرضاؑ: «أُقعد في قبره، فسئل عن الأئمّة حتّى انتهى إليّ، فوقف، فضرب على رأسه ضربة امتلأ قبره ناراً».[٥]

العيّاشي عن سلمان الفارسيؓ قال: «[إنّ][٦] الله لمّا خلق آدم فكان أوّل ما خلق عيناه، فجعل ينظر إلى جسده كيف يخلق؟ فلمّا حانت و لم يتبالغ الخلق في رجليه، أراد القيام فلم يقدر، و هو قول الله تعالى: «خُلق الإنسان عجولاً[٧]». و إنّ الله لمّا خلق آدم و نفخ فيه، لم يلبث أن تناول العنقود[٨] فأكله[٩]». و الرواية غير مسندة.

و في نهج البلاغة عن مولانا أميرالمؤمنينؑ في الخطبة الأُولى من خطبهؑ: «ثمّ جمع سبحانه من حزْن الأرض و سَهْلها و عَذْبها و سَبَخها تربةً سنّها بالماء حتّى خلصت، و لاطها بالبلّة حتّى لَزَبَتْ، فجبل منها صورة ذات أحناء و وصول و أعضاء و فصول، أجمدها حتّى استمسكت، و أصلدها حتّى صلصلت، لوقت معدود، و أجل[١٠] معلوم، ثمّ نفخ فيها من روح فمثلت إنساناً ذا أذهان يجليها، و فِكَر يتصرّف بها، و

---

١. في المصدرين: «أبي حمزة».

٢. رجال النجاشي، ص ٢٤٩، الرقم ٦٥٦؛ الفهرست للشيخ الطوسيؒ، ص ٩٦، الرقم ٤٠٨.

٣. خلاصة الأقوال، ص ٣٦٣، الرقم ١. اعلم أنّ العبارة ليست للعلّامةؒ، بل نقله عن ابن الغضائري. راجع: رجال ابن الغضائري، ص ٨٣، الرقم ١٠٧.

٤. اختيار معرفة الرجال، ج ٢، ص ٧٠٦، ح ٧٥٧، مع تفاوت يسير.

٥. المصدر، ص ٧٠٥، ح ٧٥٥.

٦. مابين المعقوفين أضفناه من المصدر.

٧. اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَكانَ الإِنْسانُ عَجُولاً﴾. الإسراء (١٧): ١١.

٨. ما ترجم أهل اللغة العنقود، بل اكتفوا بقولهم: «معروف». و هو الذي يقال له بالفارسية: «خوشه».

٩. تفسير العيّاشي، ج ٢، ص ٢٨٣، ح ٢٦. و عنه في بحارالأنوار، ج ١١، ص ١١٩، ح ٤٩، مع تفاوت يسير.

١٠. في المصدر: «أمد».

جوارح يختدمها، و أدوات يقلّبها، و معرفة يفرق بها بين الحقّ و الباطل».[١]

أقول: الحَزْن، كفلس: ما غلظ من الأرض، و السهل ضدّه[٢].

و السَبَخ بفتحتين: ما ملح من الأرض، ضدّ العَذْب[٣].

و سنّها بالماء، أي ليّنها و ملّسها[٤].

و لاطها، أى خلّطها[٥].

و لزبت: التصقت[٦].

و جبل: خلق و فطر[٧].

و الأحناء: جمع حِنْو، أي الطرف[٨].

و الوُصول: الموصولات[٩].

و الاستمساك: التصاق البعض بالبعض حتّى يستحكم[١٠].

و أُصلدها، أي جعلها صلباً متيناً[١١].

و صلصلت، أي يبست[١٢].

و «لوقت» متعلّق بـ«جبل»، أي خلقها لأجل معيّن عنده.

و مثلت: قامت منتصبة[١٣].

و الإنصاف ظهورها في القول الأوّل، فلامناص حينئذ عن القول به، و لعلّ المتتبّع يجد ما يؤيّدها.

---

١. نهج البلاغة، ص ٤٢، الخطبة ١.
٢. راجع: المصباح المنير، ص ١٣٤ (حزن).
٣. راجع: المصدر، ص ٢٦٣ (سبخ).
٤. راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد، ج ١، ص ٩٧.
٥. راجع: شرح نهج البلاغة لابن ميثم ﷺ، ج ١، ص ١٧٠.
٦. راجع: لسان العرب، ج ١، ص ٧٣٨ (لزب).
٧. راجع: لسان العرب، ج ١١، ص ٩٨؛ المصباح المنير، ص ٩٠ (جبل).
٨. راجع: لسان العرب، ج ١٤، ص ٢٠٤ (حنا).
٩. قال ابن ميثم ﷺ: «الوُصول: جمع كثرة للوصل، و هي المفاصل». شرح نهج البلاغة له، ج ١، ص ١٧٠.
١٠. لعلّه ﷺ أخذه من قولهم: «استمسك به، أي احتبس، و اعتصم به». راجع: القاموس المحيط، ج ٣، ص ٤٣٥ (مسك).
١١. راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد، ج ١، ص ٩٧.
١٢. راجع: المصدر.
١٣. راجع: المصباح المنير، ص ٥٦٤ (مثل).

المقام الثالث

في ذكر الآيات التي لاظهور لها في أحد القولين، و يمكن حملها على كلّ منهما؛ لمكان إجمال فيها قابل للتفسير، و إبهام قابل للتوضيح بقرينة الآيات الأُخر، فحملها أهل القول الأوّل على بيان كيفية بقاء نسل الإنسان بالتوالد بعد حدوث الإنسان الأوّل، و أهل القول الثاني على بيان بدء الإنسان و غيره من الوجودات الحيّة الأوّلية التي انتهت إليها سلسلة نسب ذوات الأرواح.

و منشأ الاختلاف غالباً كلمة «النطفة»؛ لاستعمالها في الماء و في منيّ الرجل و المرأة خاصّة[1]، و كلمة «المنيّ»، فإنّها بمعنى المقدّر من منى الشي: قدره، و يطلق على ماء الرجل و المرأة أيضاً[2]، و كذا العلقة؛ فإنّها تستعمل بمعنى الطين التي يعلق، أو كلّ شيء يعلق، و بمعنى الدم خاصّة.[3]

١. قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾[4]؛

٢. و قال تعالى: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾[5]؛

٣. و قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾[6]؛

٤. و قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ○ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾[7]؛

٥. و قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾[8].

يحتمل كون المراد بهذه الآية بيان بدء خلق الإنسان من تراب، ثمّ من الماء الذي

---

١. راجع: المصباح المنير، ص ٦١١ (نطف).

٢. راجع: تاج العروس، ج ٢٠، ص ٢٠٠ (مني).

٣. راجع: القاموس المحيط، ج ٣، ص ٣٦١ (علق).

٤. النحل (١٦): ٤.

٥. الكهف (١٨): ٣٧.

٦. يس (٣٦): ٧٧.

٧. النجم (٥٣): ٤٥ و ٤٦.

٨. فاطر (٣٥): ١١.

هو السُلالة[١] من طين، فخلق الله من هذه السلالة الموجودات الحيّة على شكل خليّة، ثمّ الأنواع، و جعلها أزواجاً حفظاً لبقائها، ثمّ كان حمل الأنثى و وضعها بمرأى و منظر من الله، و هو يعلمه و يطّلع عليه.

و يحتمل أيضاً أن يكون المراد مرحلة استمرار النوع، و ذلك بأن يكون خلق كلّ فرد منه بواسطة غذاء مصدره التراب، ثمّ من نطفة واقعة في الرحم، فتكون ذكراً تارة، و أُنثى أُخرى، و الله يعلم ما تحمل الأمّ و ما تضعه.

٦. و قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ○ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ○ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[٢].

فمن المحتمل أن يكون المراد خلقه على شكل الأحياء الأوّلية على هيئة الإنسان، فعدله، أي جعله مستقيم القامة، و استمرّ في مسير التكامل، و ركّبه صوراً شتّى مبهمة لنا غير معلومة، حتّى أنهاه إلى التسوية و التعديل، كما أنّه يحتمل كون المراد خلق الفرد في الرحم و تسويته و تعديله بعد خروجه من الرحم و تركيبه فيه بأيّ صورة أراد و شاء.

و على هذا فلا نظر للآية إلى أحد القولين، كما أنّه يحتمل أن يكون المراد بخلق الإنسان و تسويته ـ إلى آخره ـ خلق جدّه من طين و تسوية، فتنطبق على قول الإلهيّين الأقدمين.[٣]

٧. و قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾[٤] أي من طين لازب[٥]، أو من دم جامد في الرحم.[٦]

---

١. السُلالة: ما انسلّ من الشيء، أي انتزع، و المراد به الصفو الذي يسلّ من الأرض. و قيل: السلالة: كناية عن النطفة، تصوّر دونه صفو ما يحصل منه. راجع: المفردات للراغب، ص ٤١٨؛ لسان العرب، ج ١١، ص ٣٣٩ (سلل).

٢. الانفطار (٨٢): ٦ ـ ٨.

٣. راجع: مجمع البيان، ج ٣، ص ٥؛ المنار، ج ٤، ص ٣٢٣ ـ ٣٣٢؛ الميزان، ج ٤، ص ١٤٢ ـ ١٤٤، ذيل الآية ١ من سورة النساء (٤).

٤. العلق (٩٦): ٢.

٥. «طين لازب»، أي يلزق باليد؛ لاشتداده. المصباح المنير، ص ٥٥٢ (لزب).

٦. راجع: لسان العرب، ج ١٠، ص ٢٦٧ (علق).

المقام الرابع

في ذكر الآيات التي لها ظهور في أنّها مسوقة لبيان حال الإنسان في بقاء نسله و كيفية توالده و تناسله مع قطع النظر عن كيفية حدوثه في أوّل الأمر.

كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾.[1]

و قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾.[2]

و قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾.[3]

فإنّ الإنصاف أنها أحسن انطباقاً على بيان حال الأفراد في مرحلة البقاء من حمل صدرها على كونه في مقام بيان الموجود الأوّليّ الحيّ، سواء أكان ذلك آدم النبيّ، أو غيره من الموجودات الحيّة، و ذيلها على حال الأفراد في مرتبة البقاء.

و قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَاءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾[4]،

و قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِن مَنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾.[5]

تنبيه: يستفاد من الآيات الواردة في بيان حال الفرد مع انضمام التجارب الطبيعية، أنّ مراحل سير الفرد الإنسانيّ بين المبدأ و المنتهى هي على النحو التالي:

١. التراب؛ ٢. الغذاء؛ ٣. الدم الحاصل من الغذاء؛ ٤. المنيّ؛ ٥. العلقة[6]؛ ٦. المُضْغَة[7]؛

---

١. الحجّ (٢٢): ٥.
٢. المؤمنون (٢٣): ١٢ـ ١٤.
٣. غافر (٤٠): ٦٧.
٤. الطارق (٨٦): ٥ـ٧.
٥. القيامة (٧٥): ٣٦ـ ٣٩.
٦. العلقة: المنيّ ينتقل بعد طوره فيصير دماً غليظاً متجمّداً. المصباح المنير، ص ٤٢٦ (علق).
٧. المُضْغَة: القطعة من اللحم قدرما يمضغ و لم ينضج. المفردات للراغب، ص ٧٧٠ (مضغ).

٧. العظام؛ ٨. العظام المكسوّة باللحم؛ ٩. الجنين الحي؛ ١٠. الوليد؛ ١١. الرضيع؛ ١٢. الفطيم؛ ١٣. الصبيّ؛ ١٤. البالغ؛ ١٥. الكهل؛ ١٦. الشيخ؛ ١٧. الميّت؛ ١٨. التراب.

المقام الخامس

في الإشارة الإجمالية إلى الآيات الحاكية عن أحوال آدم الصفيّ، في غير مسألة الخلقة.

فإنها و إن كانت خارجة عن مورد البحث الّا أنّ فيها ما يؤيّد المطلوب، أو ما يمكن أن يكون دالّاً عليه أو على خلافه. فاللازم إلفات النظر إليها، و هي غير متعرّضة لكيفية خلق آدم بالخصوص، مع أنّ الخلق لو كان على النحو المعروف لكان هو و أحواله المتعلّقة به من أبدع أُمور الخلقة، و أعجب من تعلميه الأسماء و غيره، و لكان الأحرى التعرّض له كراراً، كما في نظائره من قصص الأنبياء، و إليك تلك الآيات:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1] إلى آخره.

فأخبر تعالى فيها بانتخابه الخليفة له في الأرض، ثمّ نقل اعتراض الملائكة بما يظهر منه سبق وجود الأناسيّ على وجه الأرض عندئذ و ارتكابهم الفساد و سفك الدماء.

و إن[2] قيل في وجه علم الملائكة بحال البشر المنتخب منه الخليفة: إنّهم لمّا رأوا جوهر الخليفة مركّباً من أُمور سفلية و علوية و غرائز و ملكات، أدركوا بطبعهم و علموا بحدّ سهم الصائب أنّ هذه الطبيعة بهذا النحو من التركيب، إذا وجدت فلامحالة تكون مصدراً للفساد و سفك الدماء.[3]

ثمّ إنّ الإخبارَ بجعل الخليفة في الأرض في هذه الآية غيرُ الإخبار الذي في سورة الحجر، و هو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾.[4]

فيعلم من ملاحظة هذه الآيات أنّه تعالى أخبر الملائكة أوّلاً ـ قبل أن يخلق

---

١. البقرة (٢): ٣٠.
٢. «إن» وصليّة.
٣. نقل بالمعنى. و القائل هو العلّامة الطباطبائي ﷺ. راجع: الميزان، ج ١، ص ١١٥، ذيل الآية ٣٠ من سورة البقرة (٢).
٤. الحجر (١٥): ٢٨ و ٢٩.

الإنسان ـ بأنّه يخلقه من صلصال[١] من حمأ[٢] مسنون[٣]، و بأنّه سوف يسوّيه على ما سبق بيانه، فأمرهم بأنّه إذا نفخ الروح فيه ـ، أي في بعض الأفراد منه ـ أن يسجدوا له، و حيث إنّ الإنسان لم يكن موجوداً عند هذه المخاطبة، لم يصدر من الملائكة اعتراض على إيجاب السجود له، و ظاهر الآيات في سورة البقرة[٤] أنّ الله أخبرهم ثانياً ـ بعد خلق الإنسان في الأرض و مرور زمان من خلقه، و مقتضى ذلك صدور الفساد و الأعمال القبيحة منهم، كما عرفت في ذيل قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[٥]، و بعد مشاهدة الملائكة أعمالهم ـ بأنّه سوف يجعل و يصطفي لنفسه خليفة في الأرض، فعلموا أنّه ليس إلّا من جنس الأناسيّ الساكنين فيها، فاعترضوا على ذلك بما حكاه الله تعالى عنهم.

و يظهر بما ذكرنا أيضاً أنّ وقت السجدة و زمانها في آية الحجر[٦] مبهم غيرمعيّن، فسّرته و عيّنته آيات البقرة، فعلم أنّ زمانها بعد اختبار آدم و الملائكة بسؤالهم عن أسماء االمسمّيات، فأتمهنّ آدم و جهلتها الملائكة، كما أنّ الله أجمل وقت السجود أيضا في الآيات التالية:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِنَ ٱلسَّاجِدِينَ﴾.[٧]

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾[٨]؛

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[٩]؛

---

١. الصلصال: الطين اليابس الذي يَصِلُ ـ، أي يصوّت ـ من يبسه. لسان العرب، ج ١١، ص ٣٨٢ (صلل).

٢. الحمأ: الطين الأسود المنتن. لسان العرب، ج ١، ص ٦١ (حمأ).

٣. المسنون: المصبوب، أو المصوّر، و قيل غيرذلك. راجع: البحر المحيط، ج ٦، ص ٤٧٦؛ تاج العروس، ج ١٨، ص ٢٩٩ (سنن).

٤. البقرة (٢): ٣٠ـ٣٤.

٥. البقرة (٢): ٢١٣.

٦. الحجر (١٥): ٢٩.

٧. الأعراف (٧): ١١.

٨. الإسراء (١٧): ٦١.

٩. الكهف (١٨): ٥٠.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾.[١]

و يظهر أيضاً من جعل الأمر بالسجود عقيب نفخ الروح فيه في سورة الحجر، و جعله بعد تعليم الأسماء في سورة البقرة أنّ المراد بنفخ الروح هو روح العلم و تعليم أسماء المسمّيات.

فذلكة

مجموع الآيات التي ذكرت دليلاً على الأقوال أو تاييداً لها؛ لمناسبات اُخر، على طوائف.

الطائفة الأولى

ما ذكر دليلاً على القول بالتطوّر

و هي الآيات التالية.

١. ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ ٱلسَّماوَاتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ﴾.[٢]

٢. ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَاءٍ فَمِنْهُم مَن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾.[٣]

٣. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِنَ ٱلسَّاجِدِينَ﴾.[٤]

و ما ورد تأييداً لهذه الآية هي الآيات التالية:

٤. ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً وَ أَجَلٌ مُسَمَّىً عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾.[٥]

٥. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾.[٦]

٦. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً﴾.[٧]

٧. ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِن طِينٍ لاَّزِبٍ﴾.[٨]

---

١. البقرة (٢): ٣٤؛ طه (٢٠): ١١٦.

٢. الأنبياء (٢١): ٣٠.

٣. النور (٢٤): ٤٥.

٤. الأعراف (٧): ١١.

٥. الأنعام (٦): ٢.

٦. الحجر (١٥): ٢٦.

٧. الفرقان (٢٥): ٥٤.

٨. الصافّات (٣٧): ١١.

٨. ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ﴾.[١]

٩. ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.[٢]

١٠. ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُولِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾.[٣]

١١. ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾.[٤]

١٢. ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾.[٥]

١٣. ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِل لَهُمْ﴾.[٦]

تتمّة أدلّة التكامل:

١٤. ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ○ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾.[٧]

١٥. ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ ○ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾.[٨]

١٦. ﴿ٱلَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلإِنسَانِ مِن طِينٍ ○ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ مِن مَاءٍ مَهِينٍ ○ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُوحِهِ وَ جَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمع وَٱلأَبْصَار وَٱلأَفْئِدَةِ﴾[٩]

١٧. ﴿وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَابُ وَلاَ ٱلإِيمَانُ﴾[١٠]

و استشهدنا هنا بآيات:

١٨. ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلاَئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾.[١١]

١٩. ﴿يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾.[١٢]

---

١. البقرة (٢): ٢١٣.
٢. يونس (١٠): ١٩.
٣. المزّمّل (٧٣): ١١.
٤. الطارق (٨٦): ١٧.
٥. يونس (١٠): ١١.
٦. الأحقاف (٤٦): ٣٥.
٧. الحجر (١٥): ٢٨ و ٢٩.
٨. ص (٣٨): ٧١ و ٧٢.
٩. السجدة (٣٢): ٧ـ٩.
١٠. الشورى (٤٢): ٥٢.
١١. النحل (١٦): ٢.
١٢. غافر (٤٠): ١٥.

٢٠. ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾.[١]

تتمّة أدلّة التكامل:

٢١. ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ○ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ○ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.[٢]

٢٢. ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ○ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ○ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ○ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ○ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾.[٣]

٢٣. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ○ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ○ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾.[٤]

الطائفة الثانية

الآيات التي استدلّ بها على القول المشهور

و هي عدّة آيات:

٢٤. ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾.[٥]

٢٥. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾.[٦]

٢٦. ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ﴾.[٧]

٢٧. ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾.[٨]

---

١. المجادلة (٥٨): ٢٢.
٢. الإنسان (٧٦): ١ ـ ٣.
٣. عبس (٨٠): ١٧ ـ ٢١.
٤. المؤمنون (٢٣): ١٢ ـ ١٤.
٥. الأنعام (٦): ٩٨.
٦. النساء (٤): ١.
٧. الأعراف (٧): ١٨٩.
٨. الزمر (٣٩): ٦.

٢٨. ﴿يَابَنِي آدَمَ لاَيَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِنَ الْجَنَّةِ﴾.[١]

٢٩. ﴿يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ﴾.[٢]

٣٠. ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾.[٣]

٣١. ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.[٤]

٣٢. ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾.[٥]

٣٣. ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ○ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَارِجٍ مِن نَارٍ﴾.[٦]

٣٤. ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.[٧]

الطائفة الثالثة

الآيات المتشابهة بحسب الظاهر، القابلة للحمل على كلّ من القولين، أو على معنى آخر لاينافي القولين.

و هي الآيات التالية:

٣٥. ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾.[٨]

٣٦. ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾.[٩]

٣٧. ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾.[١٠]

٣٨. ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ○ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾.[١١]

٣٩. ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلاَ تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾.[١٢]

---

١. الأعراف (٧): ٢٧.
٢. الأعراف (٧): ٢٦.
٣. الأعراف (٧): ٣٥.
٤. يس (٣٦): ٦٠.
٥. الإسراء (١٧): ٧٠.
٦. الرحمن (٥٥): ١٤ و ١٥.
٧. آل عمران (٣): ٥٩.
٨. النحل (١٦): ٤.
٩. الكهف (١٨): ٣٧.
١٠. يس (٣٦): ٧٧.
١١. النجم (٥٣): ٤٥ و ٤٦.
١٢. فاطر (٣٥): ١١.

٤٠. ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾.[١]

٤١. ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾.[٢]

الطائفة الرابعة

الآيات الحاكية عن حال الأفراد و كيفية بدء خلقها من دون نظر إلى مبدإ خلق النوع.

و هي عدّة آيات:

٤٢. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾.[٣]

٤٣. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾.[٤]

٤٤. ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾.[٥]

٤٥. ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾.[٦]

٤٦. ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾.[٧]

---

١. الانفطار (٨٢): ٦ـ٨.

٢. العلق (٩٦): ٢.

٣. الحجّ (٢٢): ٥.

٤. المؤمنون (٢٣): ١٢ـ١٤.

٥. غافر (٤٠): ٦٧.

٦. الطارق (٨٦): ٥ـ٧.

٧. القيامة (٧٥): ٣٦ـ٣٩.

الطائفة الخامسة

الآيات الحاكية عن حال آدم الصفيّ و زوجه

و هي الآيات التالية:

٤٧. ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ○ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هٰؤُلاَءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ○ قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ○ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ○ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.[1]

٤٨. ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ○ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾.[2]

٤٩. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾.[3]

٥٠. ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾.[4]

٥١. ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾.[5]

٥٢. ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ○ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هٰذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ﴾.[6]

تمّ البحث، و الحمدلله أوّلاً و آخراً و ظاهراً و باطناً.

---

١. البقرة (٢): ٣٠ـ ٣٤.
٢. الحجر (١٥): ٢٨ و ٢٩.
٣. الأعراف (٧): ١١.
٤. الإسراء (١٧): ٦١.
٥. الكهف (١٨): ٥٠.
٦. طه (٢٠): ١١٦ و ١١٧.

الفهارس العامّة

١. فهرس الآيات ٧٠٧

٢. فهرس الأحاديث ٧٦٥

٣. فهرس الأعلام ٧٧٣

٤. فهرس الأديان، و المذاهب، و الفِرق، و الجماعات ٧٧٩

٥. فهرس الأمكنة ٧٨٤

٦. فهرس الكتب الواردة في المتن ٧٨٦

٧. فهرس المنابع و المآخذ ٧٨٨

٨. فهرس المطالب ٨٠٣

(١)

فهرس الآيات

متن الآية	رقم الآية	الصفحة
الفاتحة (١)		
﴿ملك يوم الدين﴾	٤	٣٨٠
﴿اهدنا الصرط المستقيم﴾	٦	٤٦٧
البقرة (٢)		
﴿هدى للمتقين﴾	٢	٥٤١
﴿ختم الله على قلوبهم﴾	٧	٥٣٤
﴿في قلوبهم مرض﴾	١٠	٥٣٤
﴿الله يستهزئ بهم و يمدهم في طغيـنهم يعمهون﴾	١٥	٦٧
﴿و الله محيط بالكافرين﴾	١٩	٥٢٩
﴿و إن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا...﴾	٢٣	٣٣٣
﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾	٢٩	٢٥٠، ٣٥٠
﴿و إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض...﴾	٣٠	١٣٤، ٦٧٧، ٦٩٧، ٧٠٤
﴿و علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة...﴾	٣١	٦٧٧، ٧٠٤
﴿قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا...﴾	٣٢	٦٧٧، ٧٠٤
﴿قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم...﴾	٣٣	٦٧٧، ٧٠٤

﴿وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ...﴾	٣٤	٦٧٧، ٦٩٩، ٧٠٤
﴿وَ قُلْنَا يَـا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾	٣٥	٦٠
﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم...﴾	٣٨	١٦٢
﴿وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَآ...﴾	٣٩	١٦٢
﴿وَ أَوْفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَ إِيَّـٰىَ فَارْهَبُونِ﴾	٤٠	٣٦٠
﴿وَ إِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ...﴾	٥١	٤٤٨، ٥٦٣
﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	٥٢	٤٤٨
﴿وَ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ...﴾	٥٤	٤٤٨
﴿وَ إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللهَ...﴾	٥٥	٤٤٧
﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	٥٦	٤٤٧
﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا...﴾	٥٨	٤٥٠
﴿وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَ رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ...﴾	٦٣	٤٤٩
﴿وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِى السَّبْتِ﴾	٦٥	٣٢٥
﴿قَالَ ـ موسى ـ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَـٰهِلِينَ﴾	٦٧	٥٧
﴿قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾	٨٠	٣٤٣، ٥٤٧
﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أَحَـٰطَتْ بِهِ...﴾	٨١	١٧٨
﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾	٨٥	٦٢٤
﴿وَ أَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾	٨٧	١٥٥
﴿وَ قَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾	٨٨	٥٣٤
﴿وَ لَمَّا جَاءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ...﴾	٨٩	١٢٢
﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾	٩٢	٥٦٣
﴿وَ أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾	٩٣	٥٦٣
﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾	١٠٠	٤٧٦
﴿وَ لَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ...﴾	١٠٢	٦٢٣

﴿ما يَوَدُّ الّذينَ كَفَرُوا مِنْ أهلِ الكِتابِ وَ لا المُشرِكينَ...﴾	١٠٥	٦٣، ٢٥١
﴿ما نَنسَخْ مِنْ آيةٍ أوْ نُنسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أوْ مِثْلِها﴾	١٠٦	٦١٢
﴿وَ قالُوا اتَّخَذَ اللّهُ وَلَداً سُبْحانَهُ...﴾	١١٦	٨٨
﴿بَديعُ السَّماواتِ وَ الأرضِ وَ إذا قَضى أمراً...﴾	١١٧	٨٨، ١٠٦
﴿وَ إذِ ابْتَلى إبْراهيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ...﴾	١٢٤	٣٢٠، ٣٧٠
﴿وَ إذْ جَعَلْنَا البَيْتَ مَثابَةً لِلنّاسِ وَ أمْناً... وَ عَهِدْنا إلى﴾	١٢٥	٤٦، ٣٢٠، ٣٥٩، ٤١٧
﴿وَ إذْ قالَ إبْراهيمُ رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً...﴾	١٢٦	٣٢٠، ٤١٧
﴿وَ إذْ يَرْفَعُ إبْراهيمُ القَواعِدَ مِنَ البَيْتِ...﴾	١٢٧	٤٦، ٣٢٠، ٤٠٨
﴿رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِن ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً...﴾	١٢٨	٤٦، ١٣٩
﴿رَبَّنا وَ ابْعَثْ فيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ...﴾	١٢٩	٤٦، ٣٢٠
﴿وَ لَقَدِ اصْطَفَيْناهُ فِي الدُّنْيا وَ إنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصّالِحينَ﴾	١٣٠	٣٢٠
﴿إذْ قالَ لَهُ رَبُّهُ أسْلِمْ قالَ أسْلَمْتُ لِرَبِّ العالَمينَ﴾	١٣١	٣٢١
﴿يا بَنِيَّ إنَّ اللّهَ اصْطَفى لَكُمُ الدّينَ فَلا تَمُوتُنَّ...﴾	١٣٢	١٠٠، ٣٨٠
﴿قُولُوا آمَنّا بِاللّهِ وَ ما أُنزِلَ إلَيْنا وَ ما أُنزِلَ إلى إبْراهيمَ...﴾	١٣٦	١٦٣
﴿وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النّاسِ...﴾	١٤٣	١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٤، ٤٥٥
﴿قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ...﴾	١٤٤	٤١٢، ٤١٣
﴿الّذينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ...﴾	١٤٦	١٢٢، ٥٤٠
﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرامِ﴾	١٤٤، ١٤٩ و ١٥٠	٤١٢
﴿أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ﴾	١٥٧	٣٨٢
﴿إنَّ الّذينَ كَفَرُوا وَ ماتُوا وَ هُمْ كُفّارٌ أُولئِكَ عَلَيْهِمْ...﴾	١٦١	٣٨٣
﴿خالِدينَ فيها لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذابُ...﴾	١٦٢	٣٨٣
﴿إنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الأرضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ...﴾	١٦٤	١٨٧، ٢٧٣، ٦٦٢
﴿يا أيُّهَا النّاسُ كُلُوا مِمّا فِي الأرضِ حَلالاً طَيِّباً...﴾	١٦٨	٢٦٨، ٣٥١
﴿إنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ المَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الخِنْزيرِ...﴾	١٧٣	٤٨٥، ٤٩٣

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ...﴾	١٧٧	٣٦٠، ٤٠١، ٤٧٦
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ...﴾	١٨٠	٣٥٦
﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾	١٨٥	١٣٣
﴿وَ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾	١٨٨	١١١
﴿وَ أْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾	١٨٩	٢١١
﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ...﴾	١٩٧	٤١٥
﴿وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾	٢٠٥	٦٤٩
﴿وَ لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾	٢٠٨	٢٦٨
﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ...﴾	٢١٣	٤٣، ٢٢٨، ٦٧٠، ٧٠٠، ٦٩٨
﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَ صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ... وَ مَن يَرْتَدِدْ...﴾	٢١٧	١٨٢، ٣٩٦، ٦٢٤
﴿وَ لَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾	٢٢١	٥٠٣
﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ...﴾	٢٢٥	٢٦
﴿وَ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ...﴾	٢٣٢	٤٢٤
﴿وَ الْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ...﴾	٢٣٣	١٩٦
﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾	٢٤٥	٦٤٥
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾	٢٤٦	١٢٩
﴿وَ اللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾	٢٤٧	٦٣
﴿وَ قَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَ الْحِكْمَةَ﴾	٢٥١	٩٨، ١٢٩
﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ... وَ أَيَّدْنَاهُ﴾	٢٥٣	٥٠، ١٥٥
﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَ يُؤْمِن بِاللَّهِ...﴾	٢٥٦	٢٦٨
﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾	٢٥٧	٦٤٠
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ... وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي...﴾	٢٥٨	٢٥٨ ٦٥، ٦٦، ٣١٨
﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا...﴾	٢٥٩	٣٣١
﴿وَ لَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾	٢٦٠	٧٨

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾	٢٦١	٣٥٥
﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَ ٱلْأَذَىٰ... وَ ٱللَّهُ لَا يَهْدِى...﴾	٢٦٤	٦٥، ٣٥٥، ٣٩٦
﴿أَنفِقُوا مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَ مِمَّآ أَخْرَجْنَا...﴾	٢٦٧	٣٥٠، ٣٥٨
﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَ يَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾	٢٦٨	٨٢
﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَ مَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ...﴾	٢٦٩	٩٨
﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَ ٱلنَّهَارِ﴾	٢٧٤	٣٥٥
﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ...﴾	٢٧٥	١٧٨، ١٧٩، ٣٥٧، ٣٩٩
﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا وَ يُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾	٢٧٦	٣٥٧
﴿ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَ ذَرُوا مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	٢٧٨	٣٥٧
﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ...﴾	٢٧٩	٣٥٧، ٥٨٠
﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ...﴾	٢٨٢	٣٥٨
﴿وَ مَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾	٢٨٣	٥٣٤
﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ وَ إِن تُبْدُوا...﴾	٢٨٤	٢٥، ٢٧، ٦٣
﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ...﴾	٢٨٥	٥١، ١٦٣
﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ عَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾	٢٨٦	١٧٧، ١٨٠، ٣٢٨

آل عمران (٣)

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ ...﴾	٧	٢٢٩، ٢٣٠، ٢٤٨، ٣٣٢
﴿وَ ٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾	١٣	١٢٦
﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَ ٱلْمَلَائِكَةُ ...﴾	١٨	١٣٣
﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾	١٩	٥١، ١٠٠، ١٦٢، ٣٢٢، ٣٢٤، ٦٠٢
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ...﴾	٢١	١٧٥، ١٨٢
﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَ ٱلْآخِرَةِ...﴾	٢٢	١٧٤، ١٧٥، ١٨٢

﴿قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾	٢٤	٣٤٣
﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَـٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾	٢٥	١٥٠
﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ...﴾	٢٦	٣٤٩، ٦٣٢٦
﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾	٣٠	٣٩٨
﴿فَاتَّبِعُونِي﴾	٣١	٣٩
﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾	٣٤	٥٠
﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾	٣٥	٥٤
﴿وَ كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾	٣٧	٥٣
﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَ هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾	٣٩	٨٢
﴿وَ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ﴾	٤٢	٨٢
﴿وَ مَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ....﴾	٤٤	٦٢، ٥٣
﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ...﴾	٤٥	٧٤
﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ...﴾	٥٣	١٣٢
﴿مَكَرَ اللهُ﴾	٥٤	١٥٠
﴿وَ جَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	٥٥	١٦٧
﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾	٥٧	١٨٢
﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَـٰتِ وَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾	٥٨	٣٣٣، ١٨٤
﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ...﴾	٥٩	٧٠٢، ٦٨٨، ١٨٧
﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَ أَبْنَآءَكُمْ وَ نِسَآءَنَا...﴾	٦١	٦٠
﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾	٦٤	٦٥٥
﴿وَ مَآ أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَ الْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ﴾	٦٥	٣٢١
﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَ لَا نَصْرَانِيًّا﴾	٦٧	٤٠٥، ٣٢١
﴿يَـٰأَهْلَ الْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَـٰطِلِ...﴾	٧١	٣٦٨
﴿إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾	٧٣	٦٣

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَآءُ﴾	٧٤	٦٣
﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَ اتَّقَىٰ فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾	٧٦	٤٧٦
﴿وَ لَـٰكِن كُونُوا رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ...﴾	٧٩	٣٧٢
﴿وَ إِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم...﴾	٨١	٥١، ٩٨، ١١٥
﴿وَ مَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾	٨٥	١٠٠، ١٦٢
﴿وَ ٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾	٨٦	٦٥، ٦٦
﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ...﴾	٩٣	١١٦
﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ... وَ لِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ...﴾	٩٧	٤١٤، ٤١٦، ٤١٩، ٦٢٣
﴿وَ ٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَ لَا تَفَرَّقُوا...﴾	١٠٣	٢٠١، ٥٣٤
﴿يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الآخِرِ﴾	١١٤	٦٤٣
﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ...﴾	١١٧	٣٩٧
﴿إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾	١٢٠	٥٢٩
﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾	١٢٤	٦٣٣
﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾	١٢٥	٦٣٣
﴿وَ مَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾	١٢٦	١٢٧
﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾	١٢٩	٦٤
﴿وَ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَ يَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾	١٤٠	١٤٦
﴿أَ فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾	١٤٤	٢١١
﴿وَ كَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ...﴾	١٤٦	١٦٧
﴿وَ مَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا...﴾	١٤٧	١٦٧
﴿فَآتَاهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَ حُسْنَ ثَوَابِ ٱلْآخِرَةِ﴾	١٤٨	١٦٧
﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَ هُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ﴾	١٥٠	١٢٦
﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً﴾	١٥٤	٦١٠
﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ...﴾	١٥٩	١٩٦

﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ﴾	١٦٣	٥٠
﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَـٰبَ...﴾	١٦٤	٩٨
﴿وَ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَٰتًا...﴾	١٦٩	٧٣
﴿وَ لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوٓا أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ...﴾	١٧٨	٤٠
﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ...﴾	١٨١	٣٤٣، ٥٧٦
﴿الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا...﴾	١٨٣	٢٦، ٣٤٣
﴿وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَـٰقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾	١٨٧	٣٦٤
﴿وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَـٰوَٰتِ وَ الْأَرْضِ﴾	١٨٩	٣٤٩
﴿وَ إِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ...﴾	١٩٩	١٠٣

النساء (٤)

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...﴾	١	٦٨٤، ٧٠١
﴿وَ ءَاتُوا الْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ وَ لَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ...﴾	٢	٣٥٦
﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَ ثُلَاثَ وَ رُبَاعَ﴾	٣	٤٢٤، ٤٩٧
﴿وَ لَا تُؤْتُوا السُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ الَّتِى جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا﴾	٥	٢٥١
﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوٓا إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾	٦	٣٥٦
﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَٰلِدَانِ وَ الْأَقْرَبُونَ...﴾	٧	٣٥٦، ٤٢٤
﴿وَ إِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَـٰمَىٰ...﴾	٨	٣٥٦
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ الْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا...﴾	١٠	٣٥٦، ٣٩٩
﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ...﴾	١١	٣٥٧
﴿وَ لَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَمْ يَكُن لَهُنَّ...﴾	١٢	٣٥٦، ٣٥٧
﴿وَ مَن يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ...﴾	١٤	٣٩٩، ٦٣٥
﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوٓءَ...﴾	١٧	٣٨٧، ٣٨٨
﴿وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰ...﴾	١٨	٣٨٨

﴿وَ لاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾	١٩	٤٢٤
﴿وَ لاَ تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾	٢٢	٤٢٤
﴿وَ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَ بَنَاتُكُمْ﴾	٢٣	٤١٢
﴿وَ أُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا...﴾	٢٤	٣٥٧
﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾	٢٩	٣٥٨
﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ...﴾	٣١	١٧٦، ٣٨٥، ٦٥١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾	٣٣	١٤٦
﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰؤُلَآءِ...﴾	٤١	١٣٩، ٥٥٠
﴿وَ لاَ جُنُباً إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ... فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ...﴾	٤٣	٤٣ ٥٠٨، ٥٨٩
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ...﴾	٤٨	١٧٩، ٣٨٦، ٣٨٨
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ...﴾	٤٨	
﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾	٤٩	٦٣
﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ وَ ٱلْحِكْمَةَ﴾	٥٤	٩٨
﴿وَ إِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾	٥٨	٢٩٢
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ... ﴾	٥٩	٢٣٥، ٢٣٦، ٢٦٧، ٥٨٥
﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَ قَدْ أُمِرُوٓا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾	٦٠	٢٦٨
﴿فَأُولَـٰئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّينَ...﴾	٦٩	١٤٦
﴿وَ أَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾	٧٩	١٠٥
﴿وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً...﴾	٨٢	٢٩٧
﴿وَ مَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا﴾	٩٣	١٧٨، ٣٩٩، ٦٠٧
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ...﴾	٩٧	١٧٣
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِالْحَقِّ...﴾	١٠٥	٢٢٨
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ...﴾	١١٦	١٧٩، ٣٨٦
﴿وَ مَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَـٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ...﴾	١١٩	٢٦٨

﴿يَعِدُهُمْ وَ يُمَنِّيهِمْ وَ مَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَـٰنُ...﴾	١٢٠	٨٢
﴿وَ مَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ...﴾	١٢٤	٣٩٥
﴿وَ مَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ وَ هُوَ مُحْسِنٌ...﴾	١٢٥	١٠٣، ٣٢٥
﴿وَ كَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطاً﴾	١٢٦	٥٢٩
﴿أَنِ اتَّقُوا اللهَ وَ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ﴾	١٣١	٦٢٤
﴿يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّٰمِينَ بِالْقِسْطِ...﴾	١٣٥	٢٩٢
﴿وَ مَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ...﴾	١٣٦	٣٩٤
﴿وَ لَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾	١٤١	١٣٠، ١٦٧
﴿إِنَّ الْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خَـٰدِعُهُمْ﴾	١٤٢	٦٦، ١٤٨
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ...﴾	١٥٠	١٦٣، ٣٩٣
﴿أُولَـٰئِكَ هُمُ الْكَـٰفِرُونَ حَقًّا وَ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ...﴾	١٥١	١٦٣، ٣٩٣
﴿وَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ...﴾	١٥٢	١٦٣، ١٧٧
﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ السَّمَاءِ...﴾	١٥٣	١٠٣، ٤٤٣، ٥٦٣
﴿وَ قُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَ قُلْنَا...﴾	١٥٤	٣٢٥
﴿وَ قَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾	١٥٥	٥٧٦
﴿وَ قَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ...﴾	١٥٧	١٥٣، ١٥٣
﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾	١٥٨	١٥٣
﴿وَ إِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ...﴾	١٥٩	١٥٤
﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ...﴾	١٦٠	١١٧، ٣٢٥، ٤٠٣
﴿وَ أَخْذِهِمُ الرِّبَوٰا وَ قَدْ نُهُوا عَنْهُ وَ أَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ النَّاسِ...﴾	١٦١	٤٠٣، ٥٧٦
﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ...﴾	١٦٣	٤٣
﴿يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ...﴾	١٧٠	١٠٥
﴿يَـٰأَهْلَ الْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ...﴾	١٧١	١٠٣

المائدة (٥)

﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ...﴾	١	٣٦١، ٤٧٨، ٤٨٥
﴿يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ...﴾	٢	٤١٣
﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ﴾	٣	٤١٢
﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَ اذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ﴾	٤	٤٨٨
﴿وَ مَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَ هُوَ...﴾	٥	١٨٢
﴿وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ... فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ﴾	٦	٥٨٩
﴿وَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا...﴾	٨	٢٩١
﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾	٩	١٨٣
﴿يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُ﴾	١٦	٦٥
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾	١٧	٣١٤
﴿وَ قَالَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ...﴾	١٨	٦٤، ٣٤٣
﴿يَـٰقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِى كَتَبَ اللَّهُ...﴾	٢١	١٢٨
﴿قَالُوا يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾	٢٢	١٢٩
﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَ رَبُّكَ...﴾	٢٤	١٢٩
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى الْأَرْضِ...﴾	٣٦	٣٩٤
﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَ أَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾	٣٩	٣٤، ٣٨٤
﴿وَ إِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾	٤٢	٢٩٢، ٦١٢
﴿وَ كَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَ عِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا...﴾	٤٣	١٠٣
﴿وَ مَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾	٤٤	٦٢٤
﴿وَ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا...﴾	٤٦	٦١٢
﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهَاجًا﴾	٤٨	٣٢٢
﴿وَ احْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾	٤٩	٦١٧
﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾	٥٢	٥٣٤

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾	٥٥	٢٠٠، ٢٦٦
﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَـٰلِبُونَ﴾	٥٦	١٦٨
﴿وَ أَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾	٦٢ و ٦٣	٥٧٦
﴿وَ قَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ...﴾	٦٤	٦٣، ٣٤٣
﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾	٦٧	١٩٢، ٢٠٠، ٢٧٠، ٤٧٦، ٦٢٣
﴿يَـٰأَهْلَ الْكِتَـٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا...﴾	٦٨	١٠٣
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾	٧٢	٣١٤
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾	٧٣	٣١٤، ٥٤٥
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ...﴾	٨٢	٣٢٥، ٣٤٢
﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّـٰهِدِينَ﴾	٨٣	١٤٦
﴿وَ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَ اتَّقُوا اللَّهَ...﴾	٨٨	٣٥١
﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾	٩٢	١٣٢، ٥٨٥
﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَ أَنْتُمْ حُرُمٌ وَ مَنْ قَتَلَهُ...﴾	٩٥	٢٩٢
﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَـٰمًا...﴾	٩٧	٤١٠، ٤١١
﴿يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ...﴾	١٠٦	٢٩٢
﴿وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَـٰسِقِينَ﴾	١٠٨	٦٥
﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ...﴾	١٠٩	١٤٥
﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَـٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي...﴾	١١٠	١١٤، ١٥٥
﴿وَ إِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَ بِرَسُولِي...﴾	١١١	١٤٦
﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا...﴾	١١٤	٣٣١
﴿وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي...﴾	١١٧	٤٥٤

الأنعام (٦)

﴿وَ جَعَلَ الظُّلُمَـٰتِ وَ النُّورَ﴾	١	٢٧٢

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً وَ أَجَلٌ مُسَمًّى...﴾	٢	٦٦٩، ٦٩٩
﴿وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِ...﴾	١٩	١٠٥، ٢٧٥
﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ...﴾	٢٠	١٢٢، ٥٤٠
﴿وَ مَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَ لَا طَـٰئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ...﴾	٣٨	٣٠، ٢٩٧
﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ...﴾	٤٤	٦٧، ٥٣٢
﴿وَ مَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ...﴾	٤٨	١٦٢
﴿وَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ...﴾	٤٩	١٦٢
﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ...﴾	٥٠	١١١
﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًا...﴾	٥٤	٣٨٧
﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَ هُوَ خَيْرُ ٱلْفَـٰصِلِينَ﴾	٥٧	٤٧٩
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَ هُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾	٦١	١٥١
﴿وَ إِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا...﴾	٦٨	٤٣٣
﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّي...﴾	٧٦	٣١٨
﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ...﴾	٧٧	٣١٨
﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـٰذَا رَبِّي...﴾	٧٨	٣١٨
﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَ ٱلْأَرْضَ حَنِيفًا﴾	٧٩	٣٢٣
﴿وَ تِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾	٨٣	٣١٧
﴿وَ هَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾	٩٢	٣٦٧
﴿وَ هُوَ ٱلَّذِي أَنشَأَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ...﴾	٩٨	٦٨٢، ٧٠١
﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ﴾	١٠١	١٠٦
﴿وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾	١٠٩	٣٣٥
﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾	١١٨	٤٨٨
﴿وَ مَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ...﴾	١١٩	٤٨٨
﴿وَ لَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَ إِنَّهُ...﴾	١٢١	٨٢، ٤٨٨

﴿يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنسِ﴾	١٣٠	٢٩
﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ...﴾	١٣١	١٧١
﴿وَ أَنْعَامٌ لاَ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ...﴾	١٣٨	٤٨٩
﴿وَ هُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَ غَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ...﴾	١٤١	٣٥١
﴿وَ مِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَ فَرْشاً كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ...﴾	١٤٢	٢٦٨، ٣٥٢، ٤٧٧
﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾	١٤٣	٤٧٨
﴿وَ مِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾	١٤٤	٤٧٨
﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ...﴾	١٤٥	٤١٢، ٤٧٩، ٤٨٦، ٤٩٣
﴿وَ عَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ...﴾	١٤٦	١١٧، ٣٢٥، ٤٠٣
﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾	١٤٩	١٦٤، ٤٥٧
﴿وَ لاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	١٥٢	٣٥٦
﴿وَ هَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾	١٥٥	٣٦٧
﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَ مَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ...﴾	١٦٠	٤٦٥
﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ...﴾	١٦١	١٠٣، ٣٢١
﴿وَ لاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾	١٦٤	٥٧١

الأعراف (٧)

﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَ لَنَسْـَٔلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾	٦	١٤٥
﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَ مَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾	٧	١٤٥
﴿وَ لَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا...﴾	١٠	٢٥٠
﴿وَ لَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ...﴾	١١	٦٦٩، ٦٧٢، ٦٩٩، ٦٩٨، ٧٠٤
﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ...﴾	١٢	١٠٧
﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَـٰلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾	٢٣	٣٥

﴿يا بَني آدمَ قدْ أنْزَلْنا علَيْكُمْ لِباساً يُواري سَوْآتِكُمْ وَ ريشاً﴾	٢٦	٦١٠، ٦٨٦، ٧٠٢
﴿يابَني آدمَ لايَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيطانُ كَما أخْرجَ أبَوَيْكُم مِنَ الْجَنَّةِ﴾	٢٧	٦٨٦، ٧٠٢
﴿قُلْ أمَرَ رَبّى بِالْقِسْطِ﴾	٢٩	٢٩٢
﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ...﴾	٣١	٢٥١، ٣٥٢
﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِى أخْرَجَ لِعِبادِهِ...﴾	٣٢	٧٥، ٢٥٠، ٣٥٢
﴿قُلْ إنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ الْفَوَٰحِشَ...﴾	٣٣	٣٥٢
﴿يا بَني آدمَ إمّا يأتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ علَيْكُمْ آياتي﴾	٣٥	٦٨٧، ٧٠٢
﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إذَا ادَّارَكُوا فِيهَا...﴾	٣٨	٣٣٠
﴿وَ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ...﴾	٤٠	١٧٤
﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ...﴾	٥٣	٣٩٤
﴿إنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَـٰوَٰتِ...﴾	٥٤	١٩٩، ٢٦٦، ٢٧١
﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إنَّا لَنَرَاكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾	٦٠	٢٧٦
﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ...﴾	٦٦	٢٧٧
﴿أجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَ نَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا...﴾	٧٠	٢٧٧
﴿فَأنجَيْنَـٰهُ وَ الَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَ قَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا...﴾	٧٢	٢٧٧
﴿يَـٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إلَـٰهٍ غَيْرُهُ...﴾	٧٣	٣٣١
﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوٓا إنَّا بِالَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِ كَـٰفِرُونَ﴾	٧٦	٢٧٧
﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَ عَتَوْا عَنْ أمْرِ رَبِّهِمْ وَ قَالُوا يَـٰصَـٰلِحُ...﴾	٧٧	٢٧٧
﴿وَ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى﴾	٧٩	٢٧٤
﴿وَ مَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إلَّآ أن قَالُوٓا...﴾	٨٢	٢٧٨
﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ...﴾	٨٨	٢٧٨
﴿لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إنَّكُمْ إذًا لَّخَـٰسِرُونَ﴾	٩٠	٢٧٨
﴿وَ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى﴾	٩٣	٢٧٤
﴿يَطْبَعُ اللّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾	١٠١	٥٣٤

﴿وَ مَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَ إِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾	١٠٢	٤٧٦
﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾	١٠٦	٧١
﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾	١٠٧	٧٠، ٧١
﴿قَالُوٓا أَرْجِهْ وَ أَخَاهُ وَ أَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ﴾	١١١	٧١
﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا سَحَرُوٓا أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَ ٱسْتَرْهَبُوهُمْ...﴾	١١٦	٧٢
﴿وَ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ...﴾	١١٧	٧٢
﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَ نَسْتَحْىِ نِسَآءَهُمْ﴾	١٢٧	١٢٨
﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَ اصْبِرُوا...﴾	١٢٨	٦٣، ١٢٨، ٥٥٩
﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾	١٢٩	٥٥٩
﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَ ٱلْجَرَادَ وَ ٱلْقُمَّلَ وَ ٱلضَّفَادِعَ...﴾	١٣٣	٣٣٢
﴿وَ أَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ...﴾	١٣٧	٥٥٨
﴿يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾	١٣٨	٥٦٣
﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهاً وَ هُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾	١٤٠	٥٦٣
﴿وَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَ لِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ...﴾	١٤٧	١٨٢، ٣٩٥
﴿وَ اتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ...﴾	١٤٨	٤٤٨
﴿وَ اخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا...﴾	١٥٥	٢٢٧، ٤٤٧
﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً...﴾	١٥٧	٥٣٩، ٥٤١
﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	١٥٨	١٠٥
﴿وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ...﴾	١٦٧	٤٥، ١٥٧
﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا...﴾	١٦٩	٣٦٤
﴿وَ إِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَ ظَنُّوا أَنَّهُ...﴾	١٧١	٤٥٠
﴿وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ...﴾	١٧٢	١٣٣
﴿وَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم...﴾	١٨٢	٦٦
﴿وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ...﴾	١٨٨	١١١

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا...﴾	١٨٩	٦٨٦، ٧٠١

الأنفال (٨)

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَ ٱلرَّسُولِ﴾	١	٣٧، ٢٥٣، ٢٥٧
﴿إِذا ذُكِرَ اللهُ وَ جِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾	٢	٥٣٣
﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾	٩	٦٣٣
﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلائِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ...﴾	١٢	٨٠، ٦٣٣
﴿وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ...﴾	٣٠	٦٦، ١٤٨
﴿وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ...﴾	٣٣	١٤٤
﴿وَ ما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاّ مُكاءً وَ تَصْدِيَةً﴾	٣٥	٣٣٥
﴿وَ اعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ...﴾	٤١	٢٥٣، ٢٥٧
﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾	٤٢	١٧١، ٦٤٧
﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾	٤٩	٥٣٤
﴿الَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ﴾	٥٦	٣٦١
﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَ عَدُوَّكُمْ وَ ءَاخَرِينَ...﴾	٦٠	١١٢

التوبة (٩)

﴿وَ بَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	٣	١٧٤
﴿إِلاَّ الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ...﴾	٤	٣٦١، ٤٧٥
﴿وَ تَأْبى قُلُوبُهُمْ﴾	٨	٥٣٥
﴿وَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾	١٥	٦٣
﴿وَ ٱللَّهُ لا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾	١٩	٦٥، ٦٦
﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَ أَبْنَآؤُكُمْ وَ إِخْوَٰنُكُمْ...﴾	٢٤	٦٥، ٣٥٨
﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾	٢٦	٦١٠
﴿وَ قالَتِ النَّصارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ﴾	٣٠	٣١٤، ٥٤٥

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَ رُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ...﴾	٣١	٣١٣
﴿هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَ دِينِ الْحَقِّ...﴾	٣٣	١٠٥، ٢٤٠، ٣٨٠، ٥٣٧
﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ...﴾	٣٧	٦٥، ٦٢٤
﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَ ثِقَالًا وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ...﴾	٤١	٣٥٦، ٦٤٥
﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ﴾	٤٤	٦٤٣
﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾	٤٥	٥٣٥
﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾	٦١	٣٣٩
﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ﴾	٦٥	٤٣٣
﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَـٰفِقِينَ وَ الْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَ الْكُفَّارَ...﴾	٦٨	٣٩٦
﴿وَ خُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَـٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ...﴾	٦٩	٣٩٦، ٤٣٣
﴿وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ...﴾	٧١	١٦٢، ١٩٥
﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى...﴾	٧٢	١٦٢، ١٨٣
﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾	٧٧	٥٣٥
﴿وَ اللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَـٰسِقِينَ﴾	٨٠	٦٥
﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَ لَا عَلَى الْمَرْضَىٰ...﴾	٩١	١٧١
﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا...﴾	٩٤	١٤٢
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِم بِهَا﴾	١٠٣	٣٥٥
﴿وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ...﴾	١٠٥	١٤٢، ١٤٤، ٦٠٤
﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّـٰلِمِينَ﴾	١٠٩	٦٥، ٦٦
﴿إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾	١١٠	٥٣٥
﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ...﴾	١١١	١٢٩، ١٦٢، ١٨٣، ٢٤٣، ٣٥٦، ٣٨٠
﴿التَّـٰئِبُونَ الْعَـٰبِدُونَ الْحَـٰمِدُونَ السَّـٰئِحُونَ الرَّٰكِعُونَ...﴾	١١٢	٢٤٣، ٢٤٤
﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ...﴾	١١٥	٢٢٧

﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾	١١٧	٥٣٤
﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ...﴾	١١٨	٣٤، ٣٨٤
﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾	١٢٥	٥٣٤
﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾	١٢٧	٥٣٥

يونس (١٠)

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ...﴾	٣	٢٧١، ٢٤٨، ٢٧٢، ٣٤٩
﴿وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	٤	١٧٤
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ...﴾	٩	٦٥
﴿وَ لَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ...﴾	١١	٦٧١، ٧٠٠
﴿وَ مَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا...﴾	١٩	٦٧١، ٧٠٠
﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾	٢١	١٤٨
﴿وَ الَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ...﴾	٢٧	١٧٨
﴿وَ مَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾	٣١	٢٧٢
﴿وَ تَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾	٣٧	٢٤٧
﴿وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ...﴾	٤٧	٢٢٢، ٥٤٩
﴿وَ لَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾	٥٤	٣٩٤
﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَ الْأَرْضِ﴾	٥٥	٣٤٩
﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَ حَلَالاً﴾	٥٩	٦١٠
﴿وَ مَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ...﴾	٦١	٢٥، ١٤٠
﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾	٩٢	٣٣٢
﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَٰنُهَا...﴾	٩٨	٢٧٦

هود (١١)

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾	١	٣٣٣

﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ﴾	١١	١٧٢
﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ...﴾	١٣	٣٣٣
﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَ زِينَتَهَا نُوَفِّ...﴾	١٥	٣٩٦
﴿أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ...﴾	١٦	٣٩٦
﴿وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا...﴾	١٨	١٣٥، ٥٣٢
﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَ مَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ...﴾	٢٧	٢٧٦
﴿قَالُوا يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا...﴾	٣٢	٢٧٧
﴿وَ أُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ...﴾	٣٦	٢٧٧
﴿وَ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَ وَحْيِنَا﴾	٣٧	٤٤
﴿وَ كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾	٣٨	٤٤
﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَ فَارَ التَّنُّورُ﴾	٤٠	٤٤
﴿وَ قَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ...﴾	٤١	٤٤
﴿وَ هِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾	٤٢	٤٤
﴿وَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِىِّ وَ قِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ﴾	٤٤	٤٥
﴿قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ...﴾	٤٦	٣٦
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ...﴾	٤٧	٣٦
﴿قَالُوا يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَ مَا نَحْنُ بِتَارِكِى...﴾	٥٣	٢٧٧
﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾	٥٧	٢٧٥
﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَـٰلِحًا وَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ...﴾	٦٦	٢٧٨
﴿وَ أَخَذَ الَّذِينَ ظَـٰلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِى...﴾	٦٧	٢٧٨
﴿وَ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَٰهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ...﴾	٦٩	٣١٩
﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَ أَوْجَسَ...﴾	٧٠	٣١٩
﴿فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَ مِن وَرَاءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ﴾	٧١	٣١٩
﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ الرَّوْعُ وَ جَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ...﴾	٧٤	٣١٩

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ ...﴾	٨١	٢٧٨
﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا...﴾	٨٢	٢٧٨
﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَ مَا هِيَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾	٨٣	٢٧٨
﴿قَالُوا يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ...﴾	٩١	٢٧٨
﴿وَ لَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾	٩٤	٢٧٨
﴿وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَ سُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾	٩٦	١٠٤
﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلَإِيْهِ﴾	٩٧	١٠٤
﴿وَ إِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾	١١١	١٥٠
﴿وَ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَ زُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ...﴾	١١٤	٣٨٤

يوسف (١٢)

﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾	٣	٨١
﴿وَ قَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَاوِدُ ...﴾	٣٠	٦٠
﴿وَ مَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَ هُمْ مُّشْرِكُونَ﴾	١٠٦	٦٢٥
﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي...﴾	١١١	٢٤٧

الرعد (١٣)

﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾	٧	٢٢٢، ٥٥٠، ٥٥٢
﴿سَوَاءٌ مِّنكُمْ مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ﴾	١٠	٤٤٣
﴿وَ يُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ﴾	١٣	٦٣، ٤٤٧
﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾	١٦	٣٤٩
﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ وَ ٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا...﴾	١٨	٣٩٤
﴿وَ ٱلْمَلَـٰئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾	٢٣	٢٩
﴿وَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾	٢٧	٦٥

﴿وَ مَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾	٣٨	١٤٠
﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِندَهُ أُمُّ الْكِتَـٰبِ﴾	٣٩	٦٣، ١٤٠
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا...﴾	٤١	١٤٨
﴿وَ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا...﴾	٤٢	٦٦، ١٤٨

إبراهيم (١٤)

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَـٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾	١٠	١٨٧
﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ...﴾	١٨	٣٩٦
﴿وَ مَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ...﴾	٢٢	٣٢٩
﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ...﴾	٣١	٣٥٦
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَـٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ...﴾	٣٢	٣٥١
﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ...﴾	٣٧	٤٠٨، ٤١٢
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ...﴾	٣٩	٤٧، ٣١٩، ٣٧٠

الحجر (١٥)

﴿الر تِلْكَ ءَايَـٰتُ الْكِتَـٰبِ وَ قُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾	١	٣٣٣
﴿وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾	١٠	٢٢٢
﴿وَ الْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَ أَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ...﴾	١٩	٢٥٠
﴿وَ جَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ وَ مَن لَّسْتُمْ...﴾	٢٠	٢٥٠
﴿وَ إِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾	٢١	٦٠٩، ٦٤٧
﴿وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾	٢٦	٦٩٩
﴿وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ...﴾	٢٨	٦٧٢، ٦٧٦، ٦٩٧، ٧٠٠، ٧٠٤
﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ...﴾	٢٩	٦٧٢، ٦٧٦، ٦٩٧، ٧٠٠، ٧٠٤

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾	٤٢	٥٨
﴿وَ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَ ٱلْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾	٨٥	٢٧١
﴿وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾	٩٩	٥٦١

النحل (١٦)

﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ...﴾	٢	٦٧٤، ٧٠٠
﴿خَلَقَ الْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾	٤	١٠٧، ٦٩٤، ٧٠٢
﴿وَ الْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَ مَنَافِعُ وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾	٥	٢٧٢، ٣٥٠، ٤٧٨
﴿وَ ٱلْخَيْلَ وَ ٱلْبِغَالَ وَ ٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا...﴾	٨	٢٧٢، ٣٥٠
﴿هُوَ ٱلَّذِي أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ...﴾	١٠	٢٥٠، ٣٥٠
﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَ ٱلزَّيْتُونَ وَ ٱلنَّخِيلَ...﴾	١١	٢٥٠، ٣٥٠
﴿وَ مَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُ﴾	١٣	٢٥٠، ٣٥٠
﴿وَ هُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا...﴾	١٤	٣٥١
﴿وَ إِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾	١٨	١١٩
﴿قُلُوبُهُمْ مُنكِرَةٌ وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾	٢٢	٥٣٥
﴿وَ لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ...﴾	٣٦	٢٢٢، ٢٦٨
﴿وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾	٣٨	٣٣٥
﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾	٤٠	٨٨
﴿وَ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ...﴾	٦٤	٢٢٨
﴿وَ أَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً...﴾	٦٨	٨٠، ٣٧٠، ٥٧٣
﴿وَ بِنِعْمَتِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾	٧٢	٦٢٤
﴿وَ يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم...﴾	٨٩	١٣٩، ٢٢٨، ٢٤٧، ٥٥٠
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ ٱلْإِحْسَـٰنِ وَ إِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾	٩٠	٢٩٢
﴿وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ﴾	٩١	٣٦٠

﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾	٩٣	٦٤
﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ...﴾	٩٧	١٨١
﴿وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ...﴾	١٠٣	٨٥
﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ...﴾	١٠٦	٥٣٣
﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا...﴾	١١١	١٧١
﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا...﴾	١١٤	٢٥٠
﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَ ٱلدَّمَ وَ لَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ...﴾	١١٥	٤٧٩، ٤٨٦، ٤٩٤
﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا...﴾	١١٩	٣٨٧
﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا...﴾	١٢٠	٣٢١، ٣٢٣
﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَ هَدَٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	١٢١	٣٢١
﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ...﴾	١٢٣	٨١، ١٠٣، ٣٢١، ٣٢٥

الإسراء (١٧)

﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ...﴾	١	٤١١، ٥٥٨
﴿وَ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَ جَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾	٢	١٠٤
﴿وَ جَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾	٨	٧٤
﴿وَ كُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ...﴾	١٣	٣٠، ١٤١
﴿ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾	١٤	٣٠، ١٤١
﴿وَ مَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾	١٥	٢٧، ٤٣، ١٧١، ٣٣٠، ٤٠٠، ٦٧١
﴿وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	١٥	٥٧١
﴿وَ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ﴾	١٧	٤٣
﴿وَ مَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَ سَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا...﴾	١٩	٣٩٥، ٣٩٨
﴿وَ قَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ﴾	٢٣	٩٦، ٤٧٤

﴿وَ ٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ...﴾	٢٤	٩٦
﴿وَ ءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَ ٱلْمِسْكِينَ وَ ٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ...﴾	٢٦	٩٦، ٢٥١
﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾	٢٧	٢٥١
﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾	٢٨	٩٦
﴿وَ لَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ...﴾	٢٩	٩٦
﴿وَ لَا تَقْتُلُوٓا أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾	٣١	٩٧
﴿وَ لَا تَقْرَبُوا ٱلزِّنَىٰٓ﴾	٣٢	٩٧
﴿وَ لَا تَقْتُلُوا ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ...﴾	٣٣	٩٧
﴿وَ لَا تَقْرَبُوا مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ...﴾	٣٤	٩٧، ٤٧٦
﴿وَ أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ...﴾	٣٥	٩٧
﴿وَ لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَ ٱلْبَصَرَ...﴾	٣٦	٢٧، ٩٧
﴿وَ لَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾	٣٧	٩٧
﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾	٣٨	٩٧
﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ... لَا تَجْعَلْ مَعَ...﴾	٣٩	٩٦، ٩٧
﴿وَ إِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾	٤٤	٨٣
﴿وَ إِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾	٦٠	٥٢٩
﴿وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا...﴾	٦١	٦٩٨، ٧٠٤
﴿وَ لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَ حَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ...﴾	٧٠	٤٩، ٢٥٠، ٢٤٠، ٦٨٧، ٧٠٢
﴿وَ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَ مَآ أُوتِيتُم...﴾	٨٥	١٠٨
﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَ ٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا...﴾	٨٨	٣٣٣
﴿وَ لَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾	١١١	٣٤٩

الكهف (١٨)

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ...﴾	٧	٢٥٠

﴿وَ إِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ...﴾	١٦	٢٨٠
﴿وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم... وَلاَ تُطِعْ...﴾	٢٨	٢٥٣، ٥٣٤
﴿إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾	٣٠	١٧٨
﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَ هُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ...﴾	٣٧	٦٩٤، ٧٠٢
﴿وَ وُضِعَ الْكِتَـٰبُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ...﴾	٤٩	٣٠، ٣٩٨، ٣٩٩
﴿وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ...﴾	٥٠	٦٩٨، ٧٠٤
﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً...﴾	٦٥	١١٢
﴿أُوْلَـٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ...﴾	١٠٥	٣٩٦

مريم (١٩)

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَآءً خَفِيًّا﴾	٣	٦٩
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَ اشْتَعَلَ...﴾	٤	٦٩
﴿وَ إِنِّي خِفْتُ الْمَوَٰلِيَ مِن وَ رَآءِي وَ كَانَتِ امْرَأَتِي...﴾	٥	٦٩، ٧٧
﴿يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾	٦	٦٩
﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾	٧	٧٦
﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ... وَ كَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا...﴾	٨	٧٧
﴿ثَلَـٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾	١٠	٧٨
﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا...﴾	١٧	٨١، ٨٦
﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا﴾	١٩	٨١
﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ...﴾	٢١	٩٤
﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾	٢٢	٩٤، ٩٥
﴿فَأَجَآءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾	٢٣	٩٤، ٩٥
﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَـٰمَرْيَمُ...﴾	٢٧	٩١
﴿يَـٰأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ...﴾	٢٨	٨٣

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ...﴾	٢٩	٩١
﴿وَ جَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾	٣١	٨٩
﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾	٣٧	١٧٤
﴿وَ لَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾	٤٠	٦٩
﴿وَ اذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾	٤١	٣١٨
﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ...﴾	٤٦	٢٨٠
﴿وَ أَعْتَزِلُكُمْ وَ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ...﴾	٤٨	٦٩، ٢٨٠
﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَ مَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ...﴾	٤٩	٢٨٠
﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّينَ...﴾	٥٨	٤٨، ٤٠٨
﴿جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾	٦١	١٨٣
﴿فَوَ رَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَ ٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ...﴾	٦٨	٢٩
﴿وَ قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا﴾	٨٨	٣١٤
﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ...﴾	٩٣	٣٤٩

طه (٢٠)

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ﴾	١١	٧٠
﴿إِنِّىٓ أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ...﴾	١٢	٧٠
﴿وَ أَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾	١٣	٧٠
﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا فَاعْبُدْنِى﴾	١٤	٧٠
﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ...﴾	١٥	١٧١، ١٧٧، ٣٩٨
﴿وَ مَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾	١٧	٧١
﴿قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا...﴾	١٨	٧١
﴿قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ﴾	١٩	٧٠، ٧١
﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾	٢٠	٧٠، ٧١

﴿قَالَ خُذْهَا وَ لَا تَخَفْ﴾	٢١	٧٠
﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾	٢٤	٧١
﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾	٤٣	١٢٨
﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾	٤٤	١٢٨
﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾	٥٠	٢٦٦، ٣٧٠، ٣٨٢، ٥١٦، ٥١٧، ٦٤٦
﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَ سَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾	٥٣	٣٤٩
﴿وَ لَقَدْ أَرَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَ أَبَىٰ﴾	٥٦	٢٧٩
﴿وَ مَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّـٰلِحَـٰتِ فَأُولَـٰئِكَ لَهُمُ...﴾	٧٥	٣٩٥
﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ...﴾	٩٦	١٠٩
﴿وَ مَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّـٰلِحَـٰتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا...﴾	١١٢	١٨١
﴿وَ لَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ...﴾	١١٥	٣٥٩
﴿وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ...﴾	١١٦	٦٩٩، ٧٠٤
﴿فَقُلْنَا يَـٰآدَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَ لِزَوْجِكَ﴾	١١٧	٧٠٤
﴿وَ عَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾	١٢١	٣٥
﴿ثُمَّ اجْتَبَـٰهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَ هَدَىٰ﴾	١٢٢	٣٥، ٤٢
﴿وَ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ...﴾	١٣١	٢٥٤
﴿وَ لَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ...﴾	١٣٤	٤٥٧

الأنبياء (٢١)

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾	٣	٥٣٥
﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾	١٧	٢٨١
﴿وَ قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا﴾	٢٦	٣١٤
﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ...﴾	٣٠	٦٦٨، ٦٩٩

﴿وَ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَ ٱلنَّهَارَ وَ ٱلشَّمْسَ وَ ٱلْقَمَرَ﴾	٣٣	١٠٧، ٢٧١
﴿وَ لَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾	٥١	٣١٧، ٣٢٣
﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾	٥٨	٣١٨
﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ...﴾	٦٣	٣١٨
﴿فَرَجَعُوٓا إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾	٦٤	٣١٨
﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾	٦٥	٣١٨
﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَ ٱنصُرُوٓا ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ﴾	٦٨	٣١٨
﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَ سَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾	٦٩	٣١٨، ٣٨٣
﴿وَ أَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾	٧٠	٣١٨
﴿وَ نَجَّيْنَـٰهُ وَ لُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾	٧١	٣١٩
﴿وَ جَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ...﴾	٧٣	٤٨، ٨١، ٣٢٠
﴿وَ ذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ...﴾	٨٧	٣٦
﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَ نَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَ كَذَٰلِكَ نُنْجِى الْمُؤْمِنِينَ﴾	٨٨	٣٦
﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَ يَدْعُونَنَا رَغَبًا...﴾	٩٠	٤٨
﴿وَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا...﴾	٩١	٩٤
﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ...﴾	٩٤	١٤١، ١٨١، ٣٩٥
﴿وَ تَتَلَقَّاهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾	١٠٣	٢٩
﴿وَ مَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾	١٠٧	١٠٥

الحج (٢٢)

﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم...﴾	٥	٢٧٣، ٦٩٦، ٧٠٣
﴿وَ مِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ...﴾	١١	٤٤١
﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ...﴾	١٥	١٢٦
﴿وَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ...﴾	٢٥	٤٠٧

﴿وَ إِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرٰهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّاتُشْرِكْ بِی...﴾	٢٦	٤٠٧، ٤١٤، ٤١٥
﴿وَ أَذِّن فِی النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا...﴾	٢٧	٤١٤
﴿لِيَشْهَدُوا مَنٰفِعَ لَهُمْ وَ يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾	٢٨	١٣٣
﴿وَ لْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾	٢٩	٤١٥
﴿وَ مَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾	٣٢	٥٣٣
﴿إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾	٣٥	٥٣٣
﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا...﴾	٣٦	٤٨٩
﴿وَ لَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾	٤٠	١٢٦، ١٢٧
﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا... وَ لَكِنْ تَعْمَى...﴾	٤٦	٥٣٣، ٥٣٤
﴿وَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ وَ لَا نَبِيٍّ...﴾	٥٢	٣٧١
﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾	٥٣	٥٣٤
﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾	٥٤	٥٣٤
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِی الْأَرْضِ وَ الْفُلْكَ...﴾	٦٥	٢٥١، ٣٥١
﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾	٦٧	٣٢٢
﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِی السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ...﴾	٧٠	١٤٠
﴿وَ جٰهِدُوا فِی اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ...﴾	٧٨	١٠٣، ١٣٧، ١٣٨، ٥١١، ٦٤٥

المؤمنون (٢٣)

﴿وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَمٰنٰتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رٰعُونَ﴾	٨	٣٦٠، ٤٧٦
﴿وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِن طِينٍ﴾	١٢	٦٨٠، ٦٩٦، ٧٠١، ٧٠٣
﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾	١٣	٦٨٠، ٦٩٦، ٧٠١، ٧٠٣
﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ...﴾	١٤	١٠٧، ٦٨٠، ٦٩٦، ٧٠١، ٧٠٣

﴿وَ أَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى الْأَرْضِ...﴾	١٨	٣٥٠
﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَ أَعْنَـٰبٍ...﴾	١٩	٣٥٠
﴿وَ إِنَّ لَكُمْ فِى الْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا...﴾	٢١	٣٥٠
﴿وَ عَلَيْهَا وَ عَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾	٢٢	٣٥٠
﴿فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَ أَهْلَكَ﴾	٢٧	٤٤
﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَ مَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ...﴾	٢٨	٤٥
﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾	٤٤	٥٥٠
﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَ أَخَاهُ هَـٰرُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَ سُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾	٤٥	١٠٤
﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلَإِيْهِ﴾	٤٦	١٠٤
﴿وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ ءَايَةً وَ ءَاوَيْنَـٰهُمَا...﴾	٥٠	٣٣٢
﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَـٰذَا﴾	٦٣	٥٣٥
﴿وَ قُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ الشَّيَـٰطِينِ﴾	٩٧	٥٧
﴿وَ أَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾	٩٨	٥٧

النور (٢٤)

﴿الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي فَاجْلِدُوا...﴾	٢	٥٨٧
﴿وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَ لَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ...﴾	٦	١٩٠
﴿وَ الْخَـٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَـٰذِبِينَ﴾	٧	١٩٠
﴿وَ يَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَـٰدَٰتٍ...﴾	٨	١٩٠
﴿وَ الْخَـٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ﴾	٩	١٩٠
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَـٰحِشَةُ فِى الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾	١٩	٢٧
﴿وَ ءَاتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِى آتَاكُمْ﴾	٣٣	٣٥٧
﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾	٣٥	٥٤١
﴿وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ...﴾	٣٩	٣٩٦

﴿أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ...﴾	٤٠	٣٩٦
﴿وَ يُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ...﴾	٤٣	٦٣
﴿وَ ٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي...﴾	٤٥	١٠٧، ٢٧٢، ٦٦٨، ٦٩٩
﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾	٥٠	٥٣٤
﴿وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾	٥٣	٣٣٥
﴿وَ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلَـٰغُ الْمُبِينُ﴾	٥٤	٣٧٠
﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ...﴾	٥٥	٥٣٧، ٥٣٨
﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ﴾	٦٤	٣٤٩

الفرقان (٢٥)

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ...﴾	١	٢٣٤
﴿وَ لَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَ خَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ...﴾	٢	١٠٧، ٢٧١، ٣٤٩
﴿وَ قَالُوٓا أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا...﴾	٥	٨٥
﴿وَ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ وَ نُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلاً﴾	٢٥	٢٩
﴿وَ قَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ...﴾	٣٠	١٤٥
﴿وَ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً﴾	٥٤	٦٧٠، ٦٩٩
﴿وَ مَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾	٦٨	٤٠٠
﴿يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ﴾	٦٩	٤٠٠
﴿وَ ٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَ إِذَا مَرُّوا بِٱللَّغْوِ...﴾	٧٢	١٣٣

الشعراء (٢٦)

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾	١٦	١٢٨
﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِى إِسْرَٰٓءِيلَ﴾	١٧	١٢٨
﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾	٢٧	١٠٤

﴿قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين﴾	٢٩	١٢٨
﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين﴾	٣٢	٧٠
﴿و أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون﴾	٥٢	١٢٨
﴿فأرسل فرعون في المدائن حاشرين﴾	٥٣	١٢٨
﴿إن هؤلاء لشرذمة قليلون﴾	٥٤	١٢٨
﴿و إنهم لنا لغائظون﴾	٥٥	١٢٨
﴿و إنا لجميع حاذرون﴾	٥٦	١٢٨
﴿و أنجينا موسى و من معه أجمعين﴾	٦٥	٢٧٩
﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾	٦٦	٢٧٩
﴿قالوا أنؤمن لك و اتبعك الأرذلون﴾	١١١	٢٧٧
﴿فأنجيناه و من معه في الفلك المشحون﴾	١١٩	٢٧٧
﴿ثم أغرقنا بعد الباقين﴾	١٢٠	٢٧٧
﴿قالوا إنما أنت من المسحرين﴾	١٥٣	٢٧٨
﴿ما أنت إلا بشر مثلنا﴾	١٥٤	٢٧٨
﴿فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين﴾	١٨٧	٢٧٨
﴿نزل به الروح الأمين﴾	١٩٣	٢٩٠، ٦١١
﴿على قلبك لتكون من المنذرين﴾	١٩٤	٢٩٠، ٦١١
﴿بلسان عربي مبين﴾	١٩٥	٢٩٠
﴿و ما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾	٢٠٨	١٧١، ٥٥٠
﴿ذكرى و ما كنا ظالمين﴾	٢٠٩	١٧١

النمل (٢٧)

﴿فلما جاءها نودي أن بورك من في النار...﴾	٨	٧٠
﴿يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾	٩	٧٠

﴿وَ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا...﴾	١٠	٧٠
﴿وَ وَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُدَ وَ قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ...﴾	١٦	٨٢
﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ...﴾	١٨	٨٢
﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾	١٩	٨٢
﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾	٢٢	٨٣
﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَ جِئْتُكَ مِن سَبَإٍ...﴾	٢٢	٥٧٣
﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَ أُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾	٢٣	٦٠
﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ...﴾	٣٩	٨٢
﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَ أَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ...﴾	٤٩	١٤٧
﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَ مَكَرْنَا مَكْرًا وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾	٥٠	١٤٧،٦٦
﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا﴾	٥٢	١٤٧
﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ...﴾	٩١	٤١٢

القصص (٢٨)

﴿وَ نُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِى ٱلْأَرْضِ...﴾	٥	٥٥٨
﴿وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	٦	٥٥٩
﴿وَ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾	٧	٦١، ٨٠، ٣٧٠
﴿وَ قَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾	١١	٦١
﴿وَ حَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾	١٢	٤١٢
﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ...﴾	١٥	٣٦
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥ...﴾	١٦	٣٦
﴿يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ...﴾	٢٦	٣٥٨
﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَـٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى...﴾	٢٧	٣٥٨، ٤١٦
﴿فَلَمَّآ أَتَاهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ...﴾	٣٠	٧٠

﴿وَ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ...﴾	٣١	٧١
﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا...﴾	٣٦	٢٧٩
﴿وَ قَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم...﴾	٣٨	٢٧٩
﴿وَ ٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَ جُنُودُهُ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾	٣٩	٢٧٩
﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾	٤٠	٢٧٩
﴿وَ لَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم...﴾	٤٦	٥٥٠
﴿وَ لَوْ لَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا...﴾	٤٧	٤٥٧
﴿وَ لَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	٥١	٥٥٢، ٥٥٣
﴿أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً ءَامِناً يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ...﴾	٥٧	٤١٢، ٤١٧، ٤١٨
﴿وَ مَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ...﴾	٥٩	٤٣، ١٧١، ٥٤٩
﴿وَ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾	٦٥	١٤٥
﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ...﴾	٦٦	١٤٥
﴿وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ...﴾	٦٨	٢٢٦، ٢٦٦
﴿وَ نَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾	٧٥	٥٥٠
﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا...﴾	٨٣	٢٦

العنكبوت (٢٩)

﴿وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ...﴾	١٤	٤٥
﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَ جَعَلْنَـٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾	١٥	٤٤، ٣٣٢
﴿وَ مَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾	١٨	٣٧٠
﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَ يَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾	٢١	٤٧٩
﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّآ أَن قَالُوا ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ...﴾	٢٩	٢٧٨
﴿وَ مَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَـٰبٍ وَ لَا تَخُطُّهُ...﴾	٤٨	٢٤٨
﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ...﴾	٤٩	٢٤٨

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَ يُتَخَطَّفُ...﴾	٦٧	٤١٢

الروم (٣٠)

﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ الَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا السُّوٓأَىٰٓ...﴾	١٠	١٧٨، ٥٠٥
﴿وَ مِنْ ءَايَـٰتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾	٢٠	٣٣٢
﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾	٢١	٢٧٢
﴿وَ مِنْ ءَايَـٰتِهِ خَلْقُ السَّمَـٰوَٰتِ وَ الْأَرْضِ...﴾	٢٢	٣٣٢، ٦٦٢
﴿وَ مِنْ ءَايَـٰتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَآءُ وَ الْأَرْضُ...﴾	٢٥	٣٣٢
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ...﴾	٣٠	٦٥، ٣٢٦
﴿أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَ يَقْدِرُ﴾	٣٧	٦٣
﴿وَ مَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا فِىٓ أَمْوَٰلِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِندَ اللَّهِ﴾	٣٩	٣٥٧
﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِى الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ﴾	٤١	٣٢٨
﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾	٤٤	١٨٠، ٦٢٣
﴿وَ كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٤٧	١٢٦

لقمان (٣١)

﴿وَ لَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ الْحِكْمَةَ... وَ مَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ...﴾	١٢	٩٨، ٦٢٣
﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَـٰوَٰتِ وَ مَا فِى الْأَرْضِ...﴾	٢٠	٣٥١، ٦٤٦
﴿وَ لَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَـٰوَٰتِ وَ الْأَرْضَ...﴾	٢٥	٣٣٤

السجدة (٣٢)

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا...﴾	٣	٥٥٠
﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَآءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾	٥	٢٧٢
﴿الَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَ بَدَأَ خَلْقَ...﴾	٧	٣٠٩، ٦٧٣، ٦٨٢، ٧٠٠

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِن مَاءٍ مَهِينٍ﴾	٨	٦٧٣، ٦٨٢، ٧٠٠
﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَ نَفَخَ فِيهِ مِن رُوحِهِ وَ جَعَلَ لَكُمُ...﴾	٩	٦٧٣، ٧٠٠
﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾	١١	١٥١

الأحزاب (٣٣)

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ...﴾	٦	٣٨، ٢٦٤
﴿فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ﴾	١٢	٥٣٤
﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَ كَانَ ذَٰلِكَ ...﴾	١٩	١٨٢
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾	٢١	٤٣٤
﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾	٢٣	٤٧٦
﴿يَٰنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾	٣٢	٦٠
﴿وَ لَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَٰهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...﴾	٣٣	٢٠٦، ٢٣٨
﴿وَ اذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ اللَّهِ وَ الْحِكْمَةِ﴾	٣٤	٩٨
﴿وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ...﴾	٣٦	٣٨، ٢٠١، ٢٢٦، ٢٦٥
﴿وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ...﴾	٣٧	٦٠
﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَ مَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ...﴾	٤٣	٦٣٣
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَ مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا﴾	٤٥	١٤٦
﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾	٥٥	١٤٦
﴿فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ﴾	٦٠	٥٣٤
﴿وَ قَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا...﴾	٦٧	٣٢٩
﴿رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَ الْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾	٦٨	٣٢٩

سبأ (٣٤)

﴿عَٰلِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَٰوَٰتِ...﴾	٣	٢٥، ١٤٠

﴿وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾	١٣	٦١٧
﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَ هَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾	١٧	٥٧١
﴿وَ مَا أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا﴾	٢٨	١٠٥
﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَـٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ...﴾	٤٠	٣٠
﴿وَ أُخِذُوا مِن مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾	٥١	١٥١

فاطر (٣٥)

﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾	١	٢٧٢
﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾	٨	٦٣، ٦٤
﴿وَ اللَّهُ خَلَقَكُم مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً...﴾	١١	٦٩٤، ٧٠٢
﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾	١٣	٣٤٩
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	١٨	٥٧١
﴿وَ إِن مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾	٢٤	٢٢٢، ٥٥٠، ٥٥٣، ٦٧١
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ...﴾	٢٧	٦٦٣
﴿وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ...﴾	٣٦	١٧٤، ٣٨٣
﴿وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾	٤٢	٣٣٥
﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَ مَكْرَ السَّيِّئِ وَ لَا يَحِيقُ...﴾	٤٣	١٤٧

يس (٣٦)

﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾	٥	٥٥٠
﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ ءَابَاؤُهُمْ فَهُمْ غَـٰفِلُونَ﴾	٦	٤٧، ٥٥٠
﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَ نَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا...﴾	١٢	٩١، ١٤١
﴿وَ ءَايَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَـٰهَا...﴾	٣٣	٣٥٠
﴿وَ جَعَلْنَا فِيهَا جَنَّـٰتٍ مِن نَخِيلٍ وَ أَعْنَـٰبٍ...﴾	٣٤	٣٥٠

﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ﴾	٣٥	٣٥٠
﴿خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾	٣٦	٢٧٢
﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَ لَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	٥٤	٥٧١
﴿سَلَامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾	٥٨	٣٨٣
﴿وَ امْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾	٥٩	٤٣٧
﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَا تَعْبُدُوا... ﴾	٦٠	٢٦٩، ٣٥٩، ٦٨٧، ٧٠٢
﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا...﴾	٧١	٣٥١، ٤٧٨
﴿وَ ذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَ مِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾	٧٢	٣٥١، ٤٧٨
﴿وَ لَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَ مَشَارِبُ﴾	٧٣	٣٥١
﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ...﴾	٧٧	٦٩٤، ٧٠٢
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾	٨٢	٨٨

الصافات (٣٧)

﴿وَ الصَّافَّاتِ صَفّاً﴾	١	١١٠
﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً﴾	٢	١١٠
﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً﴾	٣	١١٠
﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً... إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِن طِينٍ لَازِبٍ﴾	١١	٦٦٩، ٦٩٩
﴿وَ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾	٣٦	٥١
﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَ صَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾	٣٧	٥١
﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾	٧٩	٤٣، ٣٨٣
﴿وَ قَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾	٩٩	٣١٩
﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾	١٠٠	٣١٩
﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾	١٠١	٣١٩
﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ...﴾	١٠٢	٣١٩

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾	١٠٣	٣١٩
﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾	١٠٤	٣١٩
﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾	١٠٥	٣١٩
﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ الْبَلَـٰؤُا الْمُبِينُ﴾	١٠٦	٣١٩
﴿وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾	١٠٧	٣١٩
﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾	١٠٨	٣٢٠
﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾	١١١	٣٢٠
﴿وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾	١٤٧	٢٧٦
﴿فَـَٔامَنُوا فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾	١٤٨	٢٧٦
﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾	١٧١	١٦٨
﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ﴾	١٧٢	١٦٨
﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَـٰلِبُونَ﴾	١٧٣	١٦٨
﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾	١٨١	٣٨٣

ص (٣٨)

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾	١٨	٨٣
﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَـٰهُ الْحِكْمَةَ﴾	٢٠	٩٨
﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ...﴾	٢٤	٣٦
﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾	٢٥	٣٦
﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا...﴾	٢٩	٢٢٨، ٣٣٣
﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ...﴾	٣٤	٣٦
﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾	٣٥	٣٦
﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾	٤٧	٣٢٠
﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ﴾	٧١	٦٧٢، ٧٠٠

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾	٧٢	٦٧٢، ٧٠٠
﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ...﴾	٧٦	١٠٧

الزُمر (٣٩)

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾	٣	٦٥، ٦٦
﴿خَلَقَكُم مِن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا...﴾	٦	٣٤٩، ٤٧٨،
		٦١٠، ٦٨٦، ٧٠١
﴿وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾	٧	٥٧١
﴿يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً﴾	٢١	٦٦٣
﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَ قُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾	٢٣	٥٣٤
﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾	٣٠	٢١١
﴿وَ لَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَـٰوَٰتِ وَ الْأَرْضَ...﴾	٣٨	٣٣٤
﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ الَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا...﴾	٤٢	١٥٠
﴿وَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	٤٥	٥٣٤
﴿أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ﴾	٥٢	٦٣
﴿اللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾	٦٢	٢٧٢
﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾	٦٥	٤٣٤
﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ...﴾	٦٨	٤٤٧
﴿وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَ وُضِعَ الْكِتَـٰبُ...﴾	٦٩	٣٠، ١٣٥، ١٤٦
﴿وَ تَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ...﴾	٧٥	١٣٥

غافر (٤٠)

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ...﴾	٥	٥٤٩
﴿رَبَّنَا وَ أَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ الَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾	٨	١٨٣

﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾	١٤	٣٨٠
﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾	١٥	٦٧٤، ٧٠٠
﴿يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ...﴾	١٦	٢٨
﴿وَ أَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ...﴾	١٨	٣٩٥
﴿وَ قَالَ مُوسَىٰ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَ رَبِّكُم...﴾	٢٧	٥٧
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾	٢٨	٦٥، ٦٦
﴿وَ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ...﴾	٤٠	١٨١
﴿أَدْخِلُوٓا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾	٤٦	٤٦
﴿وَ قَالَ الَّذِينَ فِى النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ...﴾	٤٩	١٣٥، ٣٨٣
﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ ءَامَنُوا فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا...﴾	٥١	١٣٥
﴿الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾	٦٤	٣٥٠
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ...﴾	٦٧	٦٩٦،٧٠٣
﴿اللهُ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾	٧٩	٤٧٨
﴿وَ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ...﴾	٨٠	٤٧٨

فصّلت (٤١)

﴿وَ قَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾	٥	٥٣٤
﴿وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَ بَـٰرَكَ فِيهَا...﴾	١٠	٢٧٢
﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَ هِىَ دُخَانٌ﴾	١١	١٠٦
﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾	١٢	١٠٦
﴿أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَ ثَمُودَ...﴾	١٣	٤٤٧
﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا...﴾	٣٠	٦٣٢
﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْأَخِرَةِ﴾	٣١	٦٣٣
﴿لَايَأْتِيهِ الْبَـٰطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ ...﴾	٤٢	١٨٤

﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾	٤٦	١٨٠
﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ...﴾	٥٣	١٨٦، ١٨٧

الشورى (٤٢)

﴿وَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾	٥	١٣٤، ٦٣٣
﴿وَ كَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ...﴾	٧	١٠٥، ٤٣٧
﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ...﴾	١٣	٤٣، ٨١، ٣٢٢، ١٦٣
﴿وَ قُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ وَ أُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾	١٥	٢٩٣
﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾	٢٠	٦٣١
﴿وَ لَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ...﴾	٢٧	٦١٠
﴿وَ مَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾	٣٠	٢٨٥
﴿وَ مِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾	٣٢	٣٣٢
﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ﴾	٣٣	٣٣٢
﴿وَ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَ أَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾	٣٦	١٩٦
﴿وَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَ أَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَ أَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ...﴾	٣٨	١٩٦، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢١٧
﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ...﴾	٤٩	٦٤، ٦٤
﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ...﴾	٥١	٨١
﴿وَ كَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي...﴾	٥٢	٢٢٨، ٦٧٤، ٧٠٠

الزخرف (٤٣)

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَنْ كُنتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ﴾	٥	٥٥٢، ٥٥٣
﴿وَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾	٢٦	٣١٧
﴿وَ قَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا الْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ...﴾	٣١	٢٢٦
﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم...﴾	٣٢	٢٢٦

﴿وَ مَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ...﴾	۳٦	۳۲، ٦۷
﴿وَ إِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَ يَحْسَبُونَ﴾	۳۷	۳۲
﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَـٰلَيْتَ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ...﴾	۳۸	۳۲
﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَ نَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَ رُسُلُنَا...﴾	۸۰	۱٤۱

الدخان (٤٤)

﴿وَ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَ رَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾	۲۰	۲۷۹
﴿وَ إِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾	۲۱	۲۷۹
﴿وَ نَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾	۲۷	٥۱۲

الجاثية (٤٥)

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ...﴾	۱۲	۳٥۱
﴿وَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَـٰوَٰتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾	۱۳	۳٥۱
﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾	۱٥	۱۸۰
﴿هَـٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾	۲۰	۲۲۸

الأحقاف (٤٦)

﴿وَ يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ...﴾	۲۰	۳٦٤، ٦۲٤
﴿أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا...﴾	۲۲	۲۷۷
﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا...﴾	۲٥	۱٦٥
﴿وَ إِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ...﴾	۲۹	۸۲، ۱۰٤
﴿قَالُوا يَـٰقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا...﴾	۳۰	۱۰٤
﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ...﴾	۳٥	٦۷۲، ۷۰۰

محمد ﷺ (٤۷)

﴿يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ...﴾	۷	۱۲۷، ٦٤٥

﴿وَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَ أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾	٨	٣٩٦
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾	٩	٣٩٦
﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾	٢٠	٥٣٤
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾	٢٤	٥٣٤، ٦٦٧
﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾	٢٩	٥٣٤
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا...﴾	٣٤	٣٩٤
﴿وَ إِن تُؤْمِنُوا وَ تَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ...﴾	٣٦	٣٥٧

الفتح (٤٨)

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَ مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا﴾	٨	١٤٦
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾	١٠	٤٤٠
﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾	١٤	٦٤
﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾	٢٦	٥٣٥
﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَ دِينِ الْحَقِّ...﴾	٢٨	١٠٥، ٢٤٠، ٣٨٠، ٥٣٧
﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ...﴾	٢٩	٥٤٠

الحُجُرات (٤٩)

﴿فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَ أَقْسِطُوا﴾	٩	٢٩٢

الذاريات (٥١)

﴿وَ الذَّٰرِيَـٰتِ ذَرْوًا﴾	١	١١٠
﴿فَالْحَـٰمِلَـٰتِ وِقْرًا﴾	٢	١١٠
﴿فَالْجَـٰرِيَـٰتِ يُسْرًا﴾	٣	١١٠
﴿فَالْمُقَسِّمَـٰتِ أَمْرًا﴾	٤	١١٠

﴿وَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَ ٱلْمَحْرُومِ﴾	١٩	٣٥٥
﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَ جُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾	٤٠	٢٧٩
﴿وَ مِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾	٤٩	٢٧٢
﴿وَ مَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَ ٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	٢٧٢، ٢٨١

الطور (٥٢)

﴿وَ ٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾	٤	٤٠٨

النجم (٥٣)

﴿وَ مَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾	٣	٣٧
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾	٤	٣٧
﴿وَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ...﴾	٣١	١٧٦
﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَ ٱلْفَوَٰحِشَ...﴾	٣٢	١٧٦، ٣٨٥، ٦٥١
﴿وَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾	٣٧	٣٢١، ٣٦٠
﴿وَ أَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾	٣٩	١٧١، ٣٩٨، ٥٧١
﴿وَ أَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾	٤٠	١٧١، ١٧٧، ١٨٠، ٣٩٨
﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾	٤١	١٧١، ١٧٧، ١٨٠، ٣٩٨
﴿وَ أَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَ ٱلْأُنثَىٰ﴾	٤٥	٦٩٤، ٧٠٢
﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾	٤٦	٦٩٤، ٧٠٢

القمر (٥٤)

﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾	١١	٤٤
﴿وَ فَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ...﴾	١٢	٤٤
﴿وَ حَمَلْنَـٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَ دُسُرٍ...﴾	١٣	٤٤

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾	١٤	٤٤
﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾	٢٥	٢٧٨
﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ﴾	٤٩	٢٧١

الرحمن (٥٥)

﴿وَ ٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾	١٠	٣٤٩
﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾	١٤	٢٧٢، ٦٨٧، ٧٠٢
﴿وَ خَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾	١٥	١٠٧، ٢٧٢، ٧٠٢
﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾	٣١	٢٩
﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ ٱلْإِنسِ﴾	٣٣	٢٩
﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَ نُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾	٣٥	٢٩
﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنسٌ وَ لَا جَانٌّ﴾	٣٩	٢٩
﴿وَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾	٤٦	٢٩، ١٧٢

الواقعة (٥٦)

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾	١	٦٤٥
﴿وَ كَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾	٤٦	٣٦٠
﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾	٧٧	١٤١، ٣٦٦
﴿فِي كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾	٧٨	١٤١، ٣٦٦
﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾	٧٩	١٤١

الحديد (٥٧)

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾	١١	٦٤٥
﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَ لَا مِنَ ٱلَّذِينَ...﴾	١٥	٣٩٤
﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ﴾	١٦	٥٣٣

﴿أقرضوا الله قرضا حسنا﴾	١٨	٦٤٥
﴿و الذين ءامنوا بالله و رسله...﴾	١٩	١٤٦
﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم و جنة عرضها...﴾	٢١	١٧٧
﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينت و أنزلنا... و ليعلم الله...﴾	٢٥	١٢٧، ٢٢٨، ٢٩٢، ٦١٠
﴿و لقد أرسلنا نوحا و إبرهيم و جعلنا في...﴾	٢٦	٤٣
﴿و جعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة...﴾	٢٧	٣٢٥، ٥٣٣

المجادلة (٥٨)

﴿كتب الله لأغلبن أنا و رسلي﴾	٢١	١٦٨
﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان و أيدهم بروح منه﴾	٢٢	٥٣٣، ٦٧٤، ٧٠١

الحشر (٥٩)

﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله...﴾	٧	٢٥٣، ٦٦٧
﴿و لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا﴾	١٠	٥٣٥
﴿تحسبهم جميعا و قلوبهم شتى﴾	١٤	٥٣٥
﴿كمثل الشيطن إذ قال للإنسن اكفر﴾	١٦	٨٢
﴿هو الله الخلق البارئ المصور﴾	٢٤	٢٧٣

الممتحنة (٦٠)

﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبرهيم...﴾	٤	٣٢١
﴿و لا تمسكوا بعصم الكوافر﴾	١٠	٥٠٤
﴿يأيها النبي إذا جاءك المؤمنت...﴾	١٢	٢١٣

الصف (٦١)

﴿و الله لا يهدي القوم الفسقين﴾	٥	٦٥

﴿وَ إِذْ قالَ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يا بَني إِسْرائيلَ إِنّي رَسُولُ اللهِ...﴾	٦	٩٩، ١٠٤، ١٥٩، ٥٣٩
﴿وَ ٱللَّهُ لَا يَهْدِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾	٧	٦٥، ٦٦
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَ دِينِ ٱلْحَقِّ...﴾	٩	١٠٥، ٢٤٠، ٣٨٠، ٥٣٧
﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	١٠	٣٨٠
﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	١١	٣٨٠
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوٓا أَنصَارَ ٱللَّهِ... فَـَٔامَنَت...﴾	١٤	١٢٧، ١٢٩، ٥٣١

الجمعة (٦٣)

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾	١	٨٣
﴿هُوَ الَّذي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ...﴾	٢	٩٨، ٥٤٨
﴿وَ ٱللَّهُ لَا يَهْدِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾	٥	٦٥، ٦٦
﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ...﴾	٩	٦٣٦

المنافقون (٦٣)

﴿وَ لِلَّهِ خَزَائِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ﴾	٧	٣٤٩
﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَ لَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾	٩	٣٥٧

التغابن (٦٤)

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾	١	٨٣
﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ النُّورِ الَّذى أَنْزَلْنا﴾	٨	٥٤١
﴿وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾	١١	٥٣٣، ٦٣١

الطلاق (٦٥)

﴿وَ أَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَ أَقِيمُواْ... وَ مَنْ يَتَّقِ اللهَ...﴾	٢	٢٩٢، ٦٣١

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾	٧	١٧١، ٤٠٠
﴿وَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾	١٢	٥٢٩

التحريم (٦٦)

﴿يَـٰأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى...﴾	١	٤٠٤
﴿وَ إِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِ حَدِيثًا﴾	٣	٦٠
﴿عَلَيْهَا مَلَـٰئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ﴾	٦	٣٠
﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ...﴾	١٠	٦٠
﴿وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ...﴾	١١	٦٠
﴿وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَٰنَ الَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا...﴾	١٢	٦٠، ٩٤

الملك (٦٧)

﴿تَبَـٰرَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	١	٣٤٩
﴿مَا تَرَىٰ فِى خَلْقِ الرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ...﴾	٣	٣٠٩، ٥١٦
﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ...﴾	٤	٣٠٩، ٥١٦
﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا...﴾	١٥	٢٥٠، ٣٥٠

الحاقّة (٦٩)

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ...﴾	١٩	٣٠، ١٤١
﴿وَ أَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى....﴾	٢٥	٣٠، ١٤١
﴿وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾	٤٤	٤٣٤
﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾	٤٥	٤٣٤
﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾	٤٦	٤٣٤

المعارج (٧٠)

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾	٦	٤٩٩

﴿وَ نَرَاهُ قَرِيباً﴾	٧	٤٩٩
﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾	١١	٣٩٤
﴿وَ صَـٰحِبَتِهِ وَ أَخِيهِ﴾	١٢	٣٩٤
﴿وَ فَصِيلَتِهِ الَّتِي تُـٔوِيهِ﴾	١٣	٣٩٤
﴿وَ مَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾	١٤	٣٩٤
﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾	١٥	٣٩٤
﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾	١٦	٣٩٤
﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّىٰ﴾	١٧	٣٩٤
﴿وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾	٣٢	٣٦٠، ٤٧٦

نوح (٧١)

﴿وَ يُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَ بَنِينَ وَ يَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ...﴾	١٢	٣٥٧
﴿وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾	١٩	٣٥٠
﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَ اتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ...﴾	٢١	٢٧٧
﴿وَ مَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾	٢٢	٢٧٧
﴿وَ قَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَ لَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَ لَا سُوَاعًا...﴾	٢٣	٢٧٧
﴿وَ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ...﴾	٢٦	٤٥

الجن (٧٢)

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ...﴾	١	٢٩
﴿يَهْدِيَ إِلَى الرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِ...﴾	٢	٢٩
﴿وَ أَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ...﴾	٦	٨٢
﴿وَ أَنَّا مِنَّا الصَّـٰلِحُونَ وَ مِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا...﴾	١١	٢٩
﴿وَ أَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾	١٥	٥١٣
﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾	١٨	٥٨٩

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾	٢٦	٢٤٢، ٢٧٤، ٤٥٩
﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ...﴾	٢٧	٢٤٢، ٢٧٤، ٤٥٩
﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ...﴾	٢٨	٢٤٢، ٢٧٤، ٤٥٩

المزّمّل (٧٣)

﴿وَ ذَرْنِي وَ الْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَ مَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾	١١	٦٧١، ٧٠٠
﴿أَقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾	٢٠	٦٤٥

المدّثّر (٧٤)

﴿وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾	٥	٤٨٦
﴿ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾	١١	٣٥٧
﴿وَ جَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا﴾	١٢	٣٥٧
﴿وَ مَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ...﴾	٣١	٣٠، ٥٣٤
﴿وَ كُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾	٤٦	٣٩٥
﴿حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾	٤٧	٣٩٥
﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾	٤٨	٣٩٥

القيامة (٧٥)

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾	٣٦	٦٩٦،٧٠٣
﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾	٣٧	٦٩٦،٧٠٣
﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾	٣٨	٦٩٦،٧٠٣
﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنثَىٰ﴾	٣٩	٦٩٦،٧٠٣

الإنسان (٧٦)

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ...﴾	١	٦٧٤، ٧٠١

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ...﴾	٢	٨٩، ٦٧٤، ٦٧٧، ٧٠١
﴿إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾	٣	٨٩، ٦٧٤، ٧٠١
﴿إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾	٢٢	٣٩٨

المرسلات (٧٧)

﴿وَٱلْمُرْسَلَـٰتِ عُرْفًا﴾	١	١١٠
﴿فَٱلْعَـٰصِفَـٰتِ عَصْفًا﴾	٢	١١٠
﴿وَٱلنَّـٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾	٣	١١٠
﴿فَٱلْفَـٰرِقَـٰتِ فَرْقًا﴾	٤	١١٠
﴿فَٱلْمُلْقِيَـٰتِ ذِكْرًا﴾	٥	١١٠

النبأ (٧٨)

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾	٣٨	٣٠

النازعات (٧٩)

﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقًا﴾	١	١١٠
﴿وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطًا﴾	٢	١١٠
﴿وَٱلسَّـٰبِحَـٰتِ سَبْحًا﴾	٣	١١٠
﴿فَٱلسَّـٰبِقَـٰتِ سَبْقًا﴾	٤	١١٠
﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾	٥	١١٠، ١٢٤
﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾	٣٧	٣٩٩
﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾	٣٨	٣٩٩
﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾	٣٩	٣٩٩
﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾	٤٠	١٧٢

﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾	٤١	١٧٢

عبس (٨٠)

﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾	١٧	٦٧٩، ٧٠١
﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾	١٨	٦٧٩، ٧٠١
﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾	١٩	٦٧٩، ٧٠١
﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾	٢٠	٦٧٩، ٧٠١
﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾	٢١	٦٧٩، ٧٠١

التكوير (٨١)

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾	٥	٣٠
﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾	٧	١٠٩

الانفطار (٨٢)

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾	٦	٦٩٥، ٧٠٣
﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾	٧	٦٩٥، ٧٠٣
﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾	٨	٦٩٥، ٧٠٣
﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾	١٠	١٤١
﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾	١١	١٤١
﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾	١٢	١٤١
﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾	١٩	٢٨

المطفّفين (٨٣)

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾	١٤	٥٣٥

الانشقاق (٨٤)

﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ...﴾	٦	١٢٣

البروج (٨٥)

﴿قُتِلَ أَصْحَـٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾	٤	١٥٧
﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾	٥	١٥٧
﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾	٦	١٥٧
﴿وَ هُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾	٧	١٥٧
﴿وَ مَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾	٨	١٥٧
﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾	٢١	٣٦٦، ٦١٠
﴿فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾	٢٢	٣٦٦، ٦١٠

الطارق (٨٦)

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾	٥	٦٩٦، ٧٠٣
﴿خُلِقَ مِن مَاءٍ دَافِقٍ﴾	٦	٦٩٦، ٧٠٣
﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَ ٱلتَّرَائِبِ﴾	٧	٦٩٦، ٧٠٣
﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾	١٣	٤٧٥
﴿وَ مَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾	١٤	٤٧٥
﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾	١٧	٦٧١، ٧٠٠

الأعلى (٨٧)

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾	٢	٣٨٢، ٥١٦، ٥١٧، ٦٤٦
﴿وَ الَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾	٣	٣٧٠، ٣٨٢، ٥١٧، ٦٤٦
﴿وَ ٱلَّذِي أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾	٤	٦٦٣
﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾	٥	٦٦٣

الفجر (٨٩)

﴿وَ جَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾	٢٢	٢٩
﴿ارْجِعِي إِلىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾	٢٨	٥١١
﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾	٢٩	٥١١
﴿وَ ادْخُلِي جَنَّتِي﴾	٣٠	٥١١

البلد (٩٠)

﴿وَ هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾	١٠	٤٦٧

اليل (٩٢)

﴿وَ سَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾	١٧	٣٥٥
﴿الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾	١٨	٣٥٥

الضحى (٩٣)

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾	٦	٣٢٣
﴿وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾	٧	٣٢٣

الشرح (٩٤)

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾	١	٣٢٣
﴿وَ وَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾	٢	٣٢٣
﴿الَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾	٣	٣٢٣

العلق (٩٦)

﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾	٢	٧٠٣،٦٩٥

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾	٣	٩٥
﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾	٤	٩٥
﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾	٥	٩٥

البيّنة (٩٨)

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ...﴾	٦	١٧٤

الزلزلة (٩٩)

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾	٤	٨١
﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾	٥	٨١
﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾	٧	٣٩٨

العاديات (١٠٠)

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾	١	١١٠
﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾	٢	١١٠
﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾	٣	١١٠

العصر (١٠٣)

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾	٢	٦٧٩

الكوثر (١٠٨)

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾	٣	٤٩١

الفلق (١١٣)

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾	١	٥٧

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾	٢	٥٧
﴿وَ مِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾	٣	٥٧
﴿وَ مِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾	٤	٥٧
﴿وَ مِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾	٥	٥٧

الناس (١١٤)

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾	١	٥٧، ٣٤٩
﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾	٢	٣٤٩
﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ﴾	٣	٣٤٩
﴿الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾	٥	٨٢
﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَ ٱلنَّاسِ﴾	٦	٨٢

(٢)
فهرس الأحاديث

احثوا التراب في وجوه المدّاحين ٤٤٤
إذا حارب الله و رسوله، و سعى في الأرض فساداً، فقتل، قتل به... ٥٨٢
إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته و هديه فرويداً لا يغرّنّكم... ٢٩٥
إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم، فالجهاد معهم... ٢٤٣
أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك حتّى عرفوك و وحّدوك ١٨٦
أُقعد في قبره، فسئل عن الأئمّة حتّى انتهى إليّ، فوقف... ٦٩٢
ألا ترون أنّ الله سبحانه اختبر الأوّلين من لدن آدم... ٤٠٩
الإسلام يَجُبّ ما قبله ٦٥١
الإيمان فوق الإسلام بدرجة، و التقوى فوق الإيمان... ١٣١
الحُبوب ٥٠٢
الحُبوب و البُقول ٥٠٢
ألست أولى بكم من أنفسكم؟... ١٩٥
اللّهُمّ ارْحَمْ خُلَفائي، الّذين يأتون بعدي، و يروون حديثي و سنّتي ٢٨٧
اللّهمّ اغفر للمؤمنين و المؤمنات و المسلمين و المسلمات ١٣١
اللهمّ إنّ قوماً آمنوا بك بألسنتهم: ليحقنوا بذلك دماءهم... ١٣٠
اللّهمّ إنّي أسألك حبّك، و حبّ من يحبّك، و حبّ كلّ عمل يوصلني إلى قربك ٦٢٨
اللّهمّ لا تخلو الأرض من حجّة لك على خلقك ظاهر... ٥٥٣
اللّهمّ لك الحمد على ما جرى به قضاؤك في أوليائك الذين استخلصتهم... ٢٥٦
أمّا بعد، فإنّ الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيراً... ٢٤٦
أما تعلمون أنّ أعمالكم تعرض عليه، فإذا رأى... ١٤٣
أما علمت أنّ الإمام الفرض عليه و الواجب من الله... ٢٢٧
أمّا [في] قولي فخمسمائة سنة، و أمّا [في] قولك فستّمائة سنة ٥٤٩

أمّا ما سألت [عنه] أرشدك الله و ثبّتك ـ إلى أن قال ـ : و أمّا الحوادث الواقعة... ٢٨٧، ٢٨٨
إمام بعد إمام ٥٥٣
أمّا مقامي بين أظهركم فهو خير لكم؛ لأنّ الله عزّوجلّ يقول: ١٤٣
إمام هاد لكلّ قوم في زمانهم ٥٥٢
أما و الله، ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، و لو دعوهم... ٣١٣
أما و الله، ما صاموا لهم و لا صلّوا... ٣١٣
إنّ آخر من يموت الإمام؛ لئلّا يحتجّ أحدهم على الله... ٥٥٣
إنّ أعمال العباد تعرض على رسول الله كلّ صباح، أبرارها و فجّارها... ١٤٢
إنّ الأرض لا تبقى إلّا و منّا فيها من يعرف الحقّ... ٢٢٤
أنّ الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم ٣٣٠
إنّ السنّة لا تقاس، ألا ترى أنّ المرأة... ٣٠٠
إنّ العلماء ورثة الأنبياء، و ذاك أنّ الأنبياء لم يورّثوا... ٢٨٦
إنّ القبضة التي قبضها الله عزّوجلّ من الطين الذي خلق منه... ٦٩٠
إنّ القرآن نزل بإيّاك أعني و اسمعي يا جارة ٤٣٣
إنّ الله أمرني أن لا يبلّغها إلّا أنا أو أحد منّي ٢٠٩
إنّ الله إيّانا عنى بقوله: ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، فرسول الله... ١٣٦
إنّ الله تبارك و تعالى خلق آدم من الماء العذب، و خلق زوجته من سنخه... ٦٩٠
إنّ الله تعالى أجلّ شأناً من أن يعاقب عبده بذنب واحد مرّتين ٥٨٣
إنّ الله فرض على أئمّة العدل ٢٥٧
إنّ الله قد فرض لأئمّة العدل أن يقدّروا أنفسهم... ٢٩٤
إنّ الله لمّا خلق آدم فكان أوّل ما خلق عيناه، فجعل ينظر إلى جسده... ٦٩٢
إنّ الله لم يدع الأرض إلّا و فيها عالم يعلم الزيادة... ٥٥٣
أنّ الله يحبّ أن يؤخذ برخصه، كما يحبّ أن يؤخذ بعزائمه ٤٧٤
إنّ الله ﷻ يحشر الناس على نيّاتهم ٢٦
إنّ اليهود جاءت في طلب عيسى ؑ من ليلتهم، فأخذوا الرجل... ١٥٤، ٤٥٢
إنّ أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاؤوا به ٢٨٦
أنت و أصحابك شبه حمير ٦٩٢
إنّ جبرئيل نزل على محمّد ﷺ يخبر عن ربّه... ٥٥٢
أنّ رسول الله ﷺ عقد على الناس لعليّ ؑ بالخلافة في عشرة مواطن... ٤٧٦

أُنزلت التوراة في ستّ مضت من شهر رمضان، و نزل الإنجيل... ٦١٠
انظروا، إلى رجل منكم ممّن قد روى حديثنا، و نظر في حلالنا و حرامنا ٢٨٧
إنّ عدّتهم عدّة الشهور ٢٢١
إنّ عيسى‌ؑ وعد أصحابه ليلة رفعه الله إليه، فاجتمعوا إليه... ٤٥٢
إنّ عيسى‌ؑ وعد أصحابه ليلة رفعه الله، فاجتمعوا إليه... ١٥٣
إن كان الذي يؤمّ بهم [أنّه] ليس بينه و بين الله طلبة... ٢٩٣
إنّ للحرب حكمين: إذا كانت الحرب قائمة... ٥٨١
إن لم أستخلف أحداً فقد فعله من هو خير منّي... ٢٠٨
إنّما سمّي آدمُ آدمَ؛ لأنّه خلق من أديم الأرض ٦٩٠
إنّما هي الحبوب و أشباهها ٥٠٢
إنّ مقامي بين أظهركم... ١٤٣
إنّ منزلة الفقيه في هذا الوقت كمنزلة الأنبياء في بني إسرائيل ٢٨٦
أنّه بايعني القوم الذين بايعوا أبابكر و عمر و عثمان على ما بايعوهم عليه... ١٩٦
إنّه لم يصحّ أنّ عيسى‌ؑ أمر به ١٢٩
إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله و عترتي... ٢٠٠، ٢١٨
إنّي وجّهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل و جور ٢٤٩
أو لست أفعل؟ و الله، إنّ أعمالكم لتعرض عليّ في كلّ يوم و ليلة ١٤٤
أوّلُ ما خلق الله نوري ١٠٦
أوّلنا محمّد، و آخرنا محمّد، و أوسطنا محمّد، و كلّنا محمّد ٢٣٧
إيّاكم أن يحاكم بعضكم بعضاً إلى أهل الجور، و لكن انظروا إلى رجل منكم... ٢٨٧
إيّانا عنى ١٤٢
إيّانا عنى، و نحن المجتبون، و لم يجعل الله ـ تبارك و تعالى ـ في الدين من حرج... ١٣٨
أي و إذ أخذ الله ميثاق أُمم النبيّين ٣٧٧
أيّها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم؟... ١٩٤
أيّها الناس إنّ أحقّ الناس بهذا الأمر أقواهم عليه... ٢٤٩، ٢٩٠
أيّها الناس [إنّي] قد تركت فيكم الثقلين خليفتين.. ٢٠١
بأنّ من الأشياء بالقهر لها و القدرة عليها، و بانت الأشياء... ٥٣٠
بعث الله جبرئيل فقال: السلام عليك يا آدم التائب من خطيئته... ٤٠٩
بعد أن شرطت عليهم الزهد ٢٥٧

بكم فتح الله، و بكم يختم، و بكم ينزّل الغيث، و بكم يمسك...	٢٧٤
بما عندنا من الحلال و الحرام، و بما ضيّعوا منه	١٣٧
تخلّقوا بأخلاق الله	٦٢٨
ترد على أحدهم القضيّة في حكم من الأحكام، فيحكم فيها برأيه...	٢٩٧
ترك العمل الذي أقرّ به ، من ذلك أن يترك الصلاة...	٥٠٥
تقطع يد السارق و يترك إبهامه و راحته...	٥٨٨
ثمّ اختر للحكم بين الناس أفضل رعيّتك في نفسك	٣٠٤
ثمّ استوص بالتجّار و ذوى الصناعات و أوص بهم خيراً...	٣٠٥
ثمّ الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين...	٢٤٥، ٣٠٥
ثمّ انظر في أمور عمّالك، فاستعملهم اختباراً، و لا تولّهم محاباة...	٢٤٥، ٣٠٤
ثمّ انظر في حال كتّابك، فولّ على أمورك خيرهم...	٣٠٤
ثمّ تفقّد أعمالهم، و ابعث العيون من أهل الصدق و الوفاء عليهم	٣٠٤
ثمّ جمع سبحانه من حزن الأرض و سهلها...	٦٩٢
ثمّ واس بين المسلمين بوجهك و منطقك و مجلسك...	٢٩٣
حتّى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي أحدهم...	٢٠٦
الحمد لله وحده وحده، أنجز وعده، و نصر عبده و أعزّ جنده، و هزم الأحزاب وحده	١٤٨
داخل في الأشياء لا بالممازجة، و خارج عن الأشياء لا بالمباينة	٥٢٩
ذلك إلى الإمام، يفعل [به] ما يشاء...	٥٨٣
رحل و تركهم في طرق متشعّبة	٢٠٨
سبحان السميع الذي ليس شيء أسمع منه، يسمع من فوق عرشه...	٥٢
سبحان الله . الله أعدل من ذلك أن يجمع عليه عقوبة الدنيا و عقوبة الآخرة	٥٧٤
ستفترق أمّتي على ثلاث و سبعين، و الناجية منها واحدة	٢١٥
الشاهدِ لا بمماسة، و الغائبِ لا بتراخي مسافة	٥٣٠
عارف بأولاكم و أخراكم	٢٣٧
علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل	٢٨٦
العلماء أمناء الرسل	٢٨٦
فإن ظننت أنّ الله عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحّدين...	١٣٦
فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً	٢٨٨
فأوحى الله إلى آدم أن يدفع الوصيّة و اسم الله الأعظم إلى هابيل...	٥٦٨

فتأسّ بنبيّك الأطيب الأطهر ﷺ... قضم الدنيا قضماً... ٢٥٤
فَجاءهم بتصديق الذي بين يديه و النور المقتدى... ٢٢٩
فرسول الله أفضل الراسخين في العلم، قد علّمه الله... ٢٤٨
فصغا رجل منهم لضغنه، و مال الآخر لصهره... ٢٠٤
فكانوا أربابهم من دون الله ٣١٣
فلمّا رآه الحبران قال أحدهما لصاحبه: و الله لئن كان نبياً لنهلكنّ ١٩٠
كانت الملائكة تمرّ بآدم ﷺ، أي بصورته، و هو ملقى في الجنّة... ٦٩٠
كان نزولها بكراع الغميم ـ محلّ بين مكّة و المدينة ـ فأقامها رسول الله بالجُحْفة ٤٩١
كانوا إذا أمسوا نادى مناديهم: الرحيل... ٥٦٦
كلّ بني آدم يمسّه الشيطان يوم ولدته أمّه... ٥٧
كُلْ كلّ شيء من الحيوان غير الخنزير و النطيحة و المتردّية... ٤٨٨
كلّكم راع، و كلّكم مسئول عن رعيّته ٢٩٣
كلّ مولود يولد على الفطرة، ثمّ أبواه يهوّدانه و ينصّرانه... ٦٥
كلّهم من قريش ٢٢١
كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟!... ١٨٦
لا تأكل صيد شيء من هذه إلّا ما ذكّيتموه إلّا الكلب المكلّب ٤٩٨
لا تأكل من فريسة السبع، و لا الموقوذة، و لا المنخنقة... ٤٨٧
لا تجتمع أمّتي على خطأ ٢٠٣
لا تخاصمهم بالقرآن؛ فإنّه حمّال ذو وجوه... ٢٢٩
لا تصلّ خلف من لا تثق بدينه ٢٩٣
لأنّ الله تعالى يقول: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾، فما كان خلاف الكلاب فليس صيده... ٤٩٩
لأنّها بيعة واحدة لا يثنّى فيها النظر، و لا يستأنف فيها الخيار... ١٩٧
لأنّه أراد قتل صاحبه ٢٦
لا يحرّم الحرام الحلال ٥٠٣
لا يصلح الناس إلّا بالإمام، و لا تصلح الأرض إلّا بذلك ٢٢٤
لعنه الله أصل الواقف، و أشدّ الخلق عداوة للوليّ... ٦٩٢
لكلّ زمان إمام ٥٥٣
لله بلاد فلان، فلقد قوّم... ٢٠٦
لمّا طاف آدم بالبيت و انتهى إلى الملتزم... ٤٠٩

لم يحلل في الأشياء فيقال: هو فيها كائن، و لم... ٥٣٠
لم يزل يتقرّب إليّ عبدي بالنوافل... ٣٧٣
لم يقرب من الأشياء بالتصاق، و لم يبعد عنها بافتراق ٥٣٠
لو كان الناس رجلين لكان أحدهما الإمام ٥٥٣
ليعلم الناس كمال قدرته ٦٩١
ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا ٣٠٠
ما لكم و للقياس؟! إنّما هلك من هلك من قبلكم بالقياس... ٣٠٠
ما مِنْ مولود يولد إلّا و الشيطان يمسّه حين يولد، فيستهلّ من مسّه... ٥٧
ما من مؤمن يموت، أو كافر يوضع في قبره حتّى يعرض عمله على رسول الله... ١٤٤
مجاري الأمور بيد العلماء بالله ٢٨٨
مجاري الأمور بيد العلماء بالله، الأُمناء على حلاله و حرامه ٢٨٦، ٣٠٢
مصارعهم دون النطفة، و الله لايُفلت... ٦٧٨
معناه أنّه يحاسب الخلق دفعة كما يرزقهم دفعة ٥٠٠
منّا شهيد على كلّ زمان، عليّ بن أبي طالب ﷺ في زمانه... ١٤٤
من اضطرّ إلى الميتة و الدم ولحم الخنزير فلم يأكل شيئاً من ذلك... ٤٩٥
من حكم في درهمين بحكم جور، ثمّ جبر عليه، كان من أهل هذه الآية... ٦٠٥
من حكم في درهمين بغير ما أنزل الله فقد كفر، و من حكم في درهمين... ٦٠٥
من حكم في درهمين بغير ما أنزل الله ﷻ ممّن له سوط... ٦٠٥
من سنّ سنّة حسنة فله أجر من عمل بها... ٣٣٠، ٥٧٨
من قضى في درهمين بغير ما أنزل الله، فقد كفر ٦٠٥
من كنت مولاه فعليّ مولاه ٢٦٥
من كنت مولاه فعليّ مولاه اللّهمّ وال من والاه و عاد من عاداه... ٤٩٠
من مات و لم يعرف إمام زمانه، مات ميتة جاهليّة ٤٩٣
من مدحك بما ليس فيك فقد ذبحك بغير سكّين ٤٤٤
من نصب نفسه للقياس، لم يزل دهره في التباس... ٣٠١
ميتان مباحتان: الجراد و السمك ٤٨٧
المؤمنون هاهنا الأئمّة ١٤٢
نحن الأمّة الوسطى، و نحن شهداء الله ـ تبارك و تعالى ـ على خلقه و حججه في أرضه ١٣٦
نحن الراسخون في العلم، و نحن نعلم تأويله ٢٤٨

نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ٢١٢
نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور... ٦١٠
نيّة المؤمن خير من عمله، و نيّة الكافر شرّ من عمله ٢٥
و اجعل لرأس كلّ أمر من أمورك رأساً منهم ٣٠٤
و اعلم أنّ الرعيّة طبقات لا يصلح بعضها إلّا ببعض... ٢٤٥، ٣٠٣
و اعلم أنّه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظنّ راع برعيّته... ٣٠٢
و أكثر مدارسة العلماء، و مناقشة الحكماء في تثبيت... ٣٠٣
و الّذي نفسي بيده أنّ الهلاك قد تدلّى... ١٩٠
و الله ما ترك الأرض منذ قبض الله آدم إلّا و فيها إمام يهتدى... ٥٥٢
و إنّ أفضل قرّة عين الولاة استقامة العدل في البلاد و الظهور... ٢٤٥، ٢٩٤، ٣٠٣
و إن شئت ثلّثت بداود ـ صلّى الله عليه ـ صاحب المزامير... ٢٥٥
و إن شئت نبّأتك بأمر سليمان عليه السلام، لما كان فيه من الملك... ٢٥٥
و إنّ في كثير منهم ضيقاً فاحشاً و شحّاً قبيحاً... ٣٠٥
و تفقّد أمر الخراج بما يصلح أهله؛ فإنّ في صلاحه و صلاحهم... ٣٠٤
و علمت منهم الوفاء به فقبلتهم، و قرّبتهم... ٢٥٧
و قد رأيت أن أقطع هذه النطفة إلى شرذمة... ٦٧٧
و قد علمتم أنّه لا ينبغي أن يكون الواليّ على الفروج... ٢٩٤
و كان معهم حجر إذا نزلوا ضربه موسى بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً... ٥٦٦
و لا تصحّ نصيحتهم إلّا بحيطتهم على ولاة الأمر... ٣٠٤
و لا يحمل هذا العلم إلّا أهل البصيرة... ٢٤٩
و لا يكون شهداء على الناس إلّا الأئمّة عليهم السلام و الرسل، فأمّا الأمّة... ١٣٧
و لم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجّة لله فيها... ٥٥٢
وَ لَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ؛ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ... ٥١٦
و ليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته... ٣٠٣
وليكن أحبّ الأمور إليك أوسطها في الحقّ و أعمّها... ٢٤٥
و من شهر السلاح في مصر من الأمصار... ٥٨٢
و منها أنّا لا نجد فرقة من الفرق و لا ملّة من الملل.. ٢٢٥
و ها أنت تكون صامتاً و لا تقدر أن تتكلّم إلى اليوم الذي يكون فيه هذا... ٧٨
و هل ترضون بقضائي في ذلك ؟... ٥٩٣

و هو آخر فريضة أنزلها الله تعالى، ثمّ لم ينزل بعدها فريضة ٤٩٠
هذا القرآن إنّما هو خطّ مسطور بين الدفّتين... ٢٢٩
هل يجوز أن تقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم... ٢٢٦
هو واد في جهنّم، لو قتل الناس جميعاً كان فيه، و لو قتل نفساً واحدة... ٥٧٨
يا داود لقد عرضت عليّ أعمالكم يوم الخميس، فرأيت في ما عرض... ١٤٣
يا عُدَيُّ نفسه! لقد استهام بك الخبيث... ٢٥٥
يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع ٢٥٤
يعمل و يخشى وجلاً داعياً مشفقاً، مقبلاً على شأنه... ٢٩٠
يوضع في موضع من جهنّم، إليه منتهى شدّة عذاب أهلها، لو قتل الناس جميعاً... ٥٧٩

(٣)
فهرس الأعلام

الف. النبي و أهل بيته ؏

الرسول الأعظم، الرسول، رسول الله ﷺ، ٣٤، ٣٧، ٣٨، ١٣٢، ١٣٧، ١٤٣، ١٤٤، ٢٠١، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢١٤، ٢٢١، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٩٧، ٢٣٦، ٢٣٧، ٣٠٥، ٣١٠، ٣٢٨، ٣٧٧، ٤٥٥، ٤٧٦، ٥٨١، ٥٨٩، ٦٣٠، ٦٣٣

النبيّ، النبيّ الأعظم، نبيّنا، نبيّنا الأعظم، النبيّ الأعظم محمّد، النبيّ الأقدس، النبيّ الكريم ﷺ، ٣٣، ٣٧، ٣٨، ٤٦، ٥٧، ٦٤، ٦٥، ٧٨، ٨٤، ٨٥، ٩٩، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٦، ١١١، ١١٦، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٦، ١٥٤، ١٨٤، ١٨٨، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٩٠، ٢٩٣، ٢٩٧، ٣٠٠، ٣٠٧، ٣١٠، ٣٢٤، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٣، ٣٤٥، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٦، ٣٩٢، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٣٠، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٤١، ٤٥٣، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٦، ٤٦٨، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٨٧، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٥٠٣، ٥١٩، ٥٢٢، ٥٢٨، ٥٣٦، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٦، ٥٥٨، ٥٦٤، ٥٧٨، ٥٨٣، ٥٨٨، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٧، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦١١، ٦١٦، ٦٢٨، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٩، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٦٧

محمّد بن عبدالله، محمّد ﷺ، ٢١، ١٠٤، ١١٠، ١٢٢، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٧، ١٩٣، ٢٠٥، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٨٣، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٦٣، ٣٧١، ٣٧٧، ٤٠٤، ٤١٥، ٤١٧، ٤٢٩، ٤٥٠، ٤٥٣، ٤٥٧، ٥٤٨، ٥٩٧، ٦٠٢، ٦٠٥، ٦٣٩، ٦٥٠

المصطفى ﷺ، ٤٨

أمير المؤمنين ؏، ١٣٦، ١٤٤، ١٩١، ١٩٤، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٩، ٢٣٥، ٢٥٤، ٢٦٥، ٢٨٢، ٢٩٠، ٢٩٣، ٢٩٧، ٢٩٩، ٤٧٦، ٥٠٠، ٥٢٩، ٥٥٣، ٦٣٠، ٦٣٢، ٦٣٤، ٦٩٢

عليّ، عليّ بن أبي طالب ؏، ٩٥، ١٠٦، ١٤٤، ١٦٧، ١٩١، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٨، ٢٢٩، ٢٤٥، ٢٥٥، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٩٤، ٣٠٠، ٣٠١، ٤٧٦، ٤٩٠، ٦٠٥، ٦٢٣، ٦٣٠، ٦٣٣

فاطمة ﷺ، ١٩١، ٢١٢
الحسن، الحسن المجتبى، الحسن بن عليّ ﷺ، ١٤٤، ١٦٧، ١٩١، ٢١٩، ٢٢١، ٢٨٢
الحسين، الحسين بن عليّ بن أبي طالب ﷺ، ٦٤، ٩٥، ١٤٤، ١٦٧، ١٨٦، ١٩١، ٢١٩، ٢٢١، ٤٣٨، ٦٢٥
عليّ بن الحسين ﷺ، السجّاد ﷺ، ١٣٠، ٢١٩، ٢٢١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٩٥، ٥٥٢
الباقر ﷺ، ٩٥، ١٣٧، ١٤٣، ١٤٤، ١٥٣، ٢١٩، ٢٥٨، ٢٩٣، ٣٠١، ٤٥١، ٤٧٦، ٤٨٨، ٤٩١، ٥٠٢، ٥٤٩، ٥٥٢، ٥٧٩، ٥٨٢
الباقرين ﷺ، ٢٢٤
أبو جعفر ﷺ، الصادق ﷺ، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٢، ١٥٤، ١٩٠، ٢١٩، ٢٣١، ٢٤٨، ٢٥٨، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٩، ٣٠٠، ٣٧٧، ٤٠٩، ٤٥٢، ٤٧٣، ٤٩٠، ٤٩٥، ٤٩٨، ٥٠٢، ٥٠٥، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٦٦، ٥٦٨، ٥٧٠، ٥٧٤، ٥٨١، ٥٩٥، ٦٠٥، ٦٣٠، ٦٩٠
أبو عبدالله ﷺ، ١٣٦، ١٤٣، ١٤٤، ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٤٣، ٣١٣، ٤٩٠، ٥٧٨، ٥٨٣، ٦١٠، ٦٣٠، ٦٨٩، ٦٩١
جعفر بن محمّد ﷺ، ٢٢١، ٦٠٥
موسى بن جعفر ﷺ، الكاظم ﷺ، ٢١٩، ٢٢١، ٣٠٠، ٦٩٢
الرضا ﷺ، عليّ بن موسى ﷺ، ١٤٤، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٢٧، ٥٨١، ٥٨٢، ٦٩٢
الجواد ﷺ، ٢٢٠، ٢٩٣، ٤٩٥، ٥٩٠
محمّد بن عليّ ﷺ، ٢٢١، ٥٨٩
الهادي ﷺ، عليّ بن محمّد ﷺ، ٢٢٠، ٢٢١
العسكري ﷺ، ٢٢٠
الحجّة، الحجّة بن الحسن العسكريّ، حجّة بن الحسن ﷺ، ٤٥، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٧، ٢٣٧، ٢٣٨
القائم ﷺ، ١٥٧، ٢٢٦، ٢٨٣، ٦٢٥
المهدي ﷺ، ٩٢، ١٥٤، ١٥٧، ١٥٩، ٦٣١
إمام العصر ﷺ، ٢٨٨
بقيّة الله حجّة بن الحسن العسكري ﷺ، ٤٥
صاحب الزمان ﷺ، ٢٨٧

ب. الأنبياء و الملائكة ﷺ

آدم ﷺ، ٣٥، ٤١، ٤٥، ٤٨، ٤٩، ١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٨٤، ٤٠٩، ٥٦٨، ٥٧٤، ٥٧٥، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٩، ٦٦٢، ٦٦٤، ٦٦٩، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٧٠٤
إبراهيم ﷺ، ٤٣، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٦٩، ٧٥، ٧٨، ٨١، ٩٢، ١٠١، ١٠٣، ١٣٨، ١٣٩، ١٦٣، ١٦٦، ٢٥٥، ٢٨٠، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٧٠، ٣٧١، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١٤، ٤١٦، ٤١٧، ٥٥١، ٥٥٦، ٥٥٩، ٥٨٨
ابن مريم، ١٢٠
إدريس ﷺ، ٤٨
إسحاق ﷺ، ٤٣، ٤٦، ٤٧، ٥٠، ٧٥، ٩٢، ١٦٦، ٣١٩، ٣٤٣، ٥٥٦، ٥٥٩
إسرائيل ﷺ، ٩٢، ١٠٠، ١١٧
إسماعيل ﷺ، ٤٣، ٤٦، ٤٧، ٥٠، ١٦٦، ٣٢٠،

٣٤٣، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١٧
إلياس ﷺ، ٣٧٩
أيّوب ﷺ، ١٦٦، ٣٧٩
ثمود ﷺ، ١٦٥
جبرئيل ﷺ، ٧٨، ٨٦، ٢٩٠، ٣٣٧، ٣٣٨، ٤٠٧، ٤٠٩، ٥٩٣، ٦٩٠
الخضر ﷺ، ٩٢
داود ﷺ، ٣٦، ٤٧، ١٢٩، ١٦٦، ٢٥٥، ٣٧٩، ٥٥٧
الروح الأمين ﷺ، ٣٠٧
روح القدس، ٣١٣، ٣١٤، ٣٣٤
زكريّا ﷺ، ٤٧، ٥٣، ٦١، ٦٢، ٦٨، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٨٣، ٨٤، ٩٩، ١٦٦، ٣٧٩، ٤٥١
سليمان ﷺ، ٣٦، ٤٧، ١٦٦، ٢٥٥، ٣٧٩، ٤٠٧، ٥٥٧، ٥٧٣
شعيب ﷺ، ٤٧، ١٦٥، ٢٧٤، ٢٧٨، ٣٧٠، ٤١٦
شمعون ﷺ، ١٥٤، ٤٥٢
صالح ﷺ، ٤٧، ١٤٧، ١٦٥، ٢٧٤، ٢٧٧، ٣٣١، ٣٧٠
طالوت ﷺ، ١٦٦
عزرائيل ﷺ، ٦٩٠
عزير ﷺ، ٩٩، ٣١١، ٣٣١، ٤٠٥، ٥٤٥
عيسى ﷺ، ٤٣، ٤٧، ٤٨، ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٥٨، ٦١، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٨٤، ٨٧، ٨٨، ٩٢، ٩٤، ٩٥، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٤، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٨، ١٢١، ١٢٤، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٢، ١٤٩، ١٥١، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٦، ١٨٠، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ٢٢٦، ٣٠٧، ٣١٤، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٧١، ٣٧٢، ٤٠٥، ٤٢٩، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٥٣١، ٥٣٧، ٥٣٩، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٨، ٥٥١، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٨، ٦١٦، ٦٤٩، ٦٥٥، ٦٨٨، ٦٨٩
لوط ﷺ، ٤٧، ٦٠، ١٦٤، ١٦٥، ٢٧٨، ٣١٩، ٣٧٠
المسيح ﷺ، ٣١١، ٣١٣، ٥٣٦
ملك الموت ﷺ، ٦٩٠
موسى ﷺ، ٣٦، ٤٣، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٧٠، ٧١، ٩٨، ١٠١، ١٠٢، ١٠٤، ١١٢، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢٢، ١٢٨، ١٢٩، ١٥٨، ١٦٣، ١٦٦، ٢٢٦، ٢٧٩، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٧١، ٣٨٢، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤١٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٥١٦، ٥١٧، ٥٢٩، ٥٣٢، ٥٣٩، ٥٥١، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٨، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٩٤، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٢، ٦٠٨
نوح ﷺ، ٣٦، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٤٩، ٦٠، ٧٣، ٨١، ١٠١، ١١١، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٨٤، ٢٧٦، ٣٣٢، ٦٨٥
هارون ﷺ، ٤٧، ٤٨، ٨٣، ٤٤٨، ٥٥٦، ٥٦٠
هود ﷺ، ٤٧، ١٦٤، ١٦٥، ٢٧٥، ٢٧٧، ٣٧٠
يحيى ﷺ، ٤٧، ٥٣، ٧٨، ١٦٦، ١٨٤، ٣٧٩، ٤٥١
يعقوب ﷺ، ٤٣، ٤٧، ٧٠، ٧٥، ١٦٦، ٣١٩، ٣٧٩، ٤٠٢، ٤٠٤، ٥٥٦، ٥٥٩
يوسف ﷺ، ٤٧، ١٥٢، ١٦٦، ٣٧٩، ٥٥٦
يوشع بن نون ﷺ، ١٢٨، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٥، ٥٦٦
يونس ﷺ، ٣٦، ١٦٦، ٢٧٦، ٣٧٩

ت. الأشخاص

إبليس، ٤٢، ١٦٢، ٦٧٧، ٦٩١، ٦٩٨، ٦٩٩
ابن أبي الحديد، ١٩٢، ١٩٧، ٢٠٤
ابن أبي داود، ٥٨٩، ٥٩٠
ابن أبي داود المفتي، ٥٨٩
ابن أبي معيط، ٢٠٥
ابن سنان، ٤٧٣
ابن صوريا، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥
ابن عبّاس، ٩٥، ٢٠٤، ٢٢٩، ٣٠٢، ٣٦٠، ٤٧٣، ٦٣٠
ابن مسعود، ٢٥٥
أُسامة، ٢٠٩، ٢١١
إسحاق بن يعقوب، ٢٨٧
الأسود بن قطبة، ٢٤٦
الأشتر النخعي، ٢٤٩
الآلوسي، ١٢٩
الأنصاري، ٢٥
المحقّق الأنصارى، ٣٤٤
امْرأت فرعون، ٦٠
امرأت لوط، ٦٠
امرأت نُوح، ٦٠
امرأة عمران، ١٨٤
ايشاع، ٥٣
أبان، ٣٠٠
أبو إبراهيم، ٦٩٢
أبو الجارود، ٥٠٢
أبو بصير، ١٣٧، ٣١٣، ٤٨٧، ٦٠٥، ٦١٠، ٦٩١
أبو بكر، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٨، ٢٢٧، ٦٢٩، ٦٣٠
أبو بكر الحضرمي، ٤٩٨
أبو جهل، ٦٤
أبو حمزة الثمالي، ١٣٠
أبو حنيفة، ٢١٧
أبو خديجة سالم بن مُكْرَم، ٢٨٧
أبو سعيد الخدري، ٤٩٠
أبو مروان، ٢٢٤
أبو مسعود الثقفي، ٢٢٦
أبو هريرة، ٥٧، ٥٨، ٢٠١
أنس، ٢٠١
الفاضل البحراني، ٢١٩
بخت النصر ملك بابل، ٩٩
بريد العجلي، ١٣٦، ١٣٨
بريد بن معاوية، ٥٨٣
البزنطي، ٢٢٧
البيضاوي، ٥٧، ٥٨، ٢٣٦، ٥٦٤
پاولف، ٦٦٢
الثعلبي، ٢٠١
جابر بن عبدالله الأنصاري، ١٤٣
جالوت، ١٢٩، ١٦٦
حذيفة، ٦٣٠
الحسن، ٢٥٨
حسن بن زياد، ٢٢٤
الحسين بن عبدالله البخاري، ٢١٧
حفص بن غياث، ٦١٠
حفصة، ٢١٢
الحلبي، ٦٨٩، ٦٩٠
حمّاد بن سويد، ١٤٣
حمران بن أعين، ١٣٧

الحميري، ٢٨٧، ٣٠٢

حنّة، ٥٣، ٥٧، ٨٤

حــــوّاء، ١٦٢، ٦٥٩، ٦٦١، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦

خالد، ٦٣٠

خالد بن الوليد، ٢١٠، ٦٢٩

داود بن كثير الرقّي، ١٤٣

الدجّال، ٤٦٢

الرازي، ٢١٣، ٦١٧

الفخر الرازي، ٤٠٨

الراغب، ٤٤٧، ٥١٥، ٦١٣، ٦١٩

الرشيد، ٢٦٨

الزبير، ٢٠٥

زرارة، ٤٨٨، ٥٧٤

الزمخشري، ٢٠٠

سعد، ٢٠٤

سعد بن عبادة، ١٩٧، ٢٠٣

سعد بن عبدالله القمّي، ٢٢٦

سلمان الفارسي، ٢٠٦، ٦٣٠، ٦٩٢

سليمان بن داود بن إيشا، ٤٧

سليم بن قيس الهلالي، ١٣٦

سليمة، ٢٢٤

سماعة بن مهران، ٢٤٣، ٣٠٠، ٥٠٢

السيّد المرتضى، ٢٠٤

الشـــيطان، ٥٤، ٥٧، ٥٨، ٦١، ٨٢، ٩٩، ١٨٦، ٢٨٠، ٣٢٩، ٣٤٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٧١، ٣٨٩، ٤٣٤، ٥٧٥

الأُستاذ الطـباطبائي، ١٠٤، ١١٤، ٣١٣، ٤٥٣، ٤٥٩، ٤٩١، ٥٦٤، ٦٨١

الطبرسي، ٥٩٠

الطريحي، ٥١٤، ٥٣٣

طلحة، ٢٠٥

عائشة، ٢١٢

عاصم بن زياد، ٢٥٥

عبّاد البصري، ٢٤٣، ٢٥٨

عبّاد بن كثير البصري، ٢٤٤

عبدالرحمان، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٥

عبدالعظيم الحسني، ٤٩٥

عبدالله بن أبان، ١٤٤

عبيد بن زرارة، ٥٠٥

عــثمان، ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٥، ٢٢٧، ٢٥٤

عكرمة، ٢٠١

علي بن إبراهيم، ٢٤٤، ٤٥١

عليّ بن حمزة البطائني، ٦٩٢

عليّ بن سالم، ٦٩١، ٦٩٢

عمّار، ٢٠٦، ٦٠٥، ٦٣٠

عمران، ٤٧، ٥٠، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٧٠، ٨٤، ٩٨

عمر بن الخطّاب، عــمر، ٦٠، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٤، ٢٢٧، ٦٢٩، ٦٣٠

عمر بن حنظلة، ٢٨٧

عمرو بن أبي المقدام، ٦٩١

عمرو بن عبيد، ٢٢٤

العيّاشي، ١٣٦، ٦٩٢

فرعون، ٦٠، ٧١، ١٠٢، ١٠٤، ١٢٨، ٢٧٩، ٣٣٢، ٤٤٨، ٥٦٠، ٥٦٢

فريدون، ٥٦٠

فضل الله عليّ بن عبيدالله الحسني الراوندي، ٦٩١
قابيل، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٤
قطب الدين الراوندي، ٢١٩، ٦٩١
القمّي، ٤٤٤
كالب بن يوقنا، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٦
الكشّي، ٦٩٢
الكليني، ٢٤٧
كوروش، ١٥٨
لوقا، ٦٠١
ماژوت، ٦٢٣
مالك الأشتر، ٣٠٢
مالك بن نويرة، ٢١٠، ٦٣٠
المأمون، ٢٦٨
المتوكّل العبّاسي، ٤٩٣
متّى، ٦٠١
المجلسي، ٢١٩، ٢٢٥
محمّد بن أبي بكر، ٣٠٢
محمّد بن عثمان العَمْري، ٢٨٧
مرقس، ٦٠١
مريم، ٤٧، ٤٨، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٣، ٧٨، ٨٣، ٨٤، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩١، ٩٤، ٩٥، ٩٩، ١٠٠، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٩، ١٢١، ١٥٢، ١٨٤، ٣٠٧، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٦٢، ٥٣٧، ٥٤٤، ٦٠٨، ٦٤٩، ٦٥٥
مسعدة بن صدقة، ٣٠١
معاوية، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٦٨، ٤٩٣
معاوية بن عمّار، ٤٠٩
مغيرة بن شعبة، ٢١١
مقداد، ٢٠٦
منصور بن حازم، ٢٣٠
منوجهر، ٥٦٠
النسطورية، ٣١٤
نمرود، ١٦٦
الوليد بن المغيرة، ٢٢٦
هابيل، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٤
هاجر، ٤٦، ٤٠٨
هاروت، ٦٢٣
هارون، ٤٩٣
هشام، ٢٣١، ٢٣٢
هشام بن الحكم، ٢٢٤، ٢٣١
الفاضل الهمداني، ٢٨٨
هورن، ٥٩٩
اليبوسين، ٥٥٧
يزيد، ٦٤، ٤٩٣
يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب، ٤٧
يوحنّا، ٣١٥، ٣١٦، ٦٠١
يونس بن يعقوب، ٢٣١
يهوذ بن يعقوب، ٤٧

(٤)

فهرس الأديان والمذاهب والفِرق والجماعات

آل إبراهيم، ٤٦، ٤٩، ٥٠، ١٨٤
آل عمران، ٤٩، ٥٠، ١٨٤
آل يعقوب، ٦٩، ٧٠
أئمة أهل البيت، ٥٠، ٥٢
أرباب الصنائع، ٥٢٠
أصحاب الكهف، ٢٨٠
أصحاب المواشي، ٥٢٠
أصحاب النبيّ، ١٩١
الأئمة، ٤٨، ٥٠، ١١١، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤١، ١٤٤، ١٥٧، ١٨٧، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٧، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٨٢، ٢٩٠، ٣١٢، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٦٧، ٣٧٣، ٣٨٦، ٤٥٣، ٤٥٥، ٤٦٦، ٤٨١، ٤٩٠، ٥١٨، ٥١٩، ٥٨٨
الأخباريّون، ٢٩٧، ٣٠١
الأسباط، ٤٧، ١٦٣، ٣٧٩، ٥٥٦
الأسباط الاثني عشر، ٥٢٩
الإسلام، ٤٠، ٥١، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٨، ١٥٧، ١٥٩، ١٦١، ١٨٩، ١٩٣، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٤٥، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٩١، ٣٠٠، ٣٠٥، ٣١٢، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣٨، ٣٤٤، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨٩، ٣٩١، ٤١٦، ٤٣٥، ٤٥٤، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٢٨، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٤٣، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٦، ٦١٦، ٦٢١، ٦٤٩، ٦٥١، ٦٦٥
الأُصوليون، ٢٩٧
الأطبّاء، ١١٣، ٢٩٩، ٥٣٣
الإماميّة، ٥٣٧
الأنبياء، ٢٧، ٣٥، ٤٦، ٤٤، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥٨، ٥٩، ٦١، ٦٨، ٧٠، ٧٣، ٧٥، ٨٠، ٨١، ٨٦، ٩٢، ٩٥، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١١١، ١١٣، ١١٩، ١٢٠، ١٢٤، ١٢٨، ١٣٤، ١٣٥، ١٤١، ١٤٤، ١٤٦، ١٦١، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٧٥، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٩١، ٢٢٧، ٢٤٠، ٢٤٢،

٢٧٣، ٢٧٦، ٢٨٢، ٢٨٦، ٣١٢، ٣٢٢، ٣٣١،
٣٣٤، ٣٤٢، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢،
٣٧٣، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨١،
٣٨٦، ٤١٤، ٤٤١، ٤٤٥، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥٨،
٤٦٦، ٤٧٦، ٤٨١، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٢، ٥٢٩،
٥٣٢، ٥٤٧، ٥٥١، ٥٥٦، ٥٧٩، ٦٠٢، ٦٠٣،
٦٠٤، ٦١١، ٦٣٩، ٦٧٠، ٦٨٠
الأنصار، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٦، ٢٢٧
الأوصياء، ٢١٨، ٢٢٧، ٢٥٤، ٣٦٠، ٣٦٧
الأولياء، ٣٥
أُمراء الجند، ٥٢٠
أُمراء السريّة، ٢٣٦
أُمّة محمّد ﷺ، ١٦٢
أنبياء بني إسرائيل، ٥٠، ٥٣، ٥٥٨، ٦٠٢
أهل الإنجيل، ٦٥٥
أهل إيران، ٦٠١
أهل بابل، ٦٠١
أهل البيت، ٥٢، ٦٩، ٩٢، ٩٥، ١٣٦، ١٤٩، ١٨٦،
١٩٢، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٥، ٢١٢،
٢١٨، ٢١٩، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٣٥، ٢٤٨، ٢٦٥،
٣٠٠، ٣٦٣، ٣٧٧، ٤٦٦، ٤٦٩، ٤٧٧، ٤٩٠،
٥٣٢، ٥٨١، ٦٠٦، ٦٢٤، ٦٢٨، ٦٣١، ٦٦٤،
٦٦٦، ٦٦٧
أهل التوراة، ٤٠٢
أهل الجزية، ٢٤٥، ٢٨٥، ٣٠٣
أهل الحجاز، ٥٠٢، ٥٣٦
أهل الخراج، ٢٤٥
أهل الذمّة، ٢٦٨، ٥٠٢
أهل السنّة، ١٩٣، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠١،
٢٠٤، ٢٠٩، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨،
٢٢١، ٢٢٢، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٦٩،
٢٧٠، ٣٧٧، ٦٦٧
أهل الشام، ٢٠٦، ٢٣١، ٥٥٦
أهل الصناعات، ٢٤٥، ٣٠٣
أهل القدس، ٥٥٦
أهل الكتاب، ٤٥، ٨٥، ١٠٣، ١٠٤، ١٥٤، ١٥٥،
١٥٦، ١٥٧، ١٩٣، ٣١٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥،
٣٣٦، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٤٤٤،
٤٥١، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٨٥، ٤٩٧،
٥٠٤، ٥٥١، ٦٣٩، ٦٥٠
أهل الكلام، ٥١٤
أهل المدينة، ١٩٩، ٢١٤
أهل مصر، ٦٠١
أهل مكّة، ١٠٣، ٣٢٠، ٣٤٢، ٤١١، ٥٥٠
أهل نجران، ١٩٠
أهل يونان، ٦٠١
بنو إسرائيل، ٥٣، ٧٤، ٩٩، ١٠٠، ١٠٤، ١١٦،
١١٧، ١٢١، ١٢٨، ١٢٩، ١٤٩، ٢٢١، ٣٢٥،
٣٧٩، ٤٠٤، ٤٣٨، ٤٤٨، ٥٥٨، ٥٦٠، ٥٦٢،
٥٦٨، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٩، ٥٩٨،
٥٩٩، ٦٠٢
بنو أُميّة، ٢٠٨، ٢٤٤
بنو قريظة، ٦٢٦، ٦٤٨
بنو قَينُقاع، ٦٤٨
بنو النضير، ٢٥٣، ٦٤٨
بنو هاشم، ٤٦، ١٩٧، ٢٠٣
التجّار، ٢٤٥، ٢٥١، ٣٠٣، ٣٠٦، ٥٢٠

الحروريّة، ٦٢٥
الحكماء، ١٠٨، ٣٠٣
الحواريّون، ١٣٢، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٩، ١٥١، ١٨٤
الخلفاء، ٢٠٦، ٢٣٦
الخلفاء الثلاث، ٢١٥، ٢٣٢
الخلفاء الراشدين، ٢١٤، ٢١٧
الخوارج، ٢٢٩، ٦٧٨
الرسـل، ٣٣، ٣٤، ٤٣، ٦٦، ٩٠، ١١٨، ١٣٧، ١٤٥، ١٦٩، ١٨٧، ٢٢٢، ٢٣٢، ٢٨١، ٣٦٠، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٨٢، ٤٣٠، ٤٤٥، ٤٥٨، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥١
الرعايا، ٥٢٠
الشياطين، ٢٩
الشـيعة، ٢٠٠، ٢١٥، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٦٩، ٢٨٨، ٢٩٤، ٦٣٤
الشيعة الإمامية، ١٣٢، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٧١
الظالمون، ١٦٥، ٦٠٥
العرب، ٥٠٨
عسكر الحسين ﷺ، ٤٣٨
العـلماء، ٢٨٦، ٣٠٣، ٣٦٣، ٣٧٤، ٤٥٦، ٥١٨، ٥٢٠، ٦٠١، ٦٠٣، ٦٦٤
علماء الإسلام، ٢٢٠، ٢٢١، ٣٠٠، ٦٦٥
علماء أهل السنّة، ٥٢٢
علماء بني إسرائيل، ٥٩٩
علماء السنّة، ٤٩١، ٦٣٤
علماء الشيعة، علماء التشيّع، ١٩١، ٢٠٠، ٢٢٤، ٢٦٥، ٢٩٤، ٤٩١، ٦٣٠، ٦٣٤
علماء الطبيعة، ٥٩٩، ٦٦٣، ٦٦٥
علماء الفريقين، ٤٩٣، ٥٠٧
علماء النصارى، ١٠٠، ٣١٠، ٣٦٢، ٣٦٤
علماء اليهود، ٣٣٨، ٣٦٢، ٣٦٤، ٦٠٤، ٦٤٣
الفاسقون، ٦٠٥
الفقهاء، ٢٩٧، ٦٢٤
الفلاسفة، ١٠٨
القاسطون، ١٦٧، ٦٣٠
القدّيسون، ٦٠١
القرامطة، ٤١٣
قريش، ٤٦، ٥٠، ١٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٦
القضاة، ٢٣٦، ٥٢٠
قوم لوط، ١٦٤، ٣١٩
قوم هود، ١٦٤
الكـافرون، ٣٩، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٤، ١٦٨، ١٧٥، ٣٨٠، ٤٣١، ٤٤٥، ٤٦٠، ٦٢٣، ٦٢٨
الكـفّار، ٣١، ٤٤، ٥٠، ١١٣، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٨١، ١٨٢، ٢٤٤، ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٨، ٢٨٥، ٣٠٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٤٤، ٣٥٥، ٣٨٣، ٣٨٩، ٣٩٦، ٤٠٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٤١، ٤٧٤، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٩٢، ٥٠٢، ٥٠٥، ٥٢٦، ٥٣٦، ٦٢١، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٣٥، ٦٣٦
المارقون، ١٦٧، ٦٣٠
المتكلّمون، ١٠٨، ١٩٧
المحدثين، ١٠٨
المرسلون، ١٦١، ٢٤٠، ٢٥٤، ٥٤٧
المسـلمون، ٣٩، ٧٣، ٧٩، ١٠٣، ١٣٨، ١٤٨، ١٥٦، ١٥٨، ١٥٩، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٦،

١٧٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٣، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٤، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣١٢، ٣٢١، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٥٥، ٣٩١، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤١١، ٤١٦، ٤١٨، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٧٤، ٤٨٢، ٤٩١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٢٠، ٥٢٢، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٨٠، ٦١١، ٦١٦، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٣٠، ٦٣٩، ٦٤٢، ٦٤٨

المشركون، ٤٤، ٥٠، ٨٥، ٤٨٢، ٤٨٥، ٥٢٢، ٦٤٨

المعتزلة، ٥٢٢

معصومون عليهم السلام، ٣٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٢٣٥، ٢٦٤، ٢٩٠

المفسّرون، ٧٩، ٨٧، ١٥١، ١٩١، ٢٠٢، ٣٣٩، ٣٦٢، ٣٩٣، ٤٣٨، ٤٧٨، ٦٠٤، ٦٢٩، ٦٧٠، ٦٧٤، ٦٨٠، ٦٨٢

الملائكة، ٢٩، ٤١، ٤٢، ٤٩، ٥٠، ٧٣، ٧٦، ٧٧، ٨٤، ٨٦، ٨٧، ١٠٥، ١٠٨، ١١١، ١١٩، ١٢١، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٤، ١٣٥، ١٤١، ١٤٥، ١٥٥، ١٦٠، ١٦٩، ١٧٣، ١٨٠، ١٨٤، ٢٤٢، ٢٧١، ٣٠٧، ٣٣٤، ٣٧٢، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٦، ٤٠٨، ٤٣٠، ٤٥٥، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٨١، ٥٤٤، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٤٢، ٦٦٢، ٦٦٩، ٦٧٢، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٩٠، ٦٩٧، ٦٩٨

الملْكانيّة، ٥٣٧، ٥٤٤

ملّة إبراهيم، ٤٠٥

المنافقون، ٤٣٢، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٤١، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٤١، ٦٤٢

المهاجرون ١٩٦، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٦، ٢٢٧، ٣٤٣

المؤمنون، ٥٠، ١٣٥، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٧، ١٩٥، ١٩٧، ٢١٧، ٢٣٣، ٢٥٣، ٢٦٥، ٣٢٤، ٣٣٩، ٣٦٥، ٣٧٠، ٣٧٣، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨٣، ٣٨٥، ٣٨٦، ٤٢٩، ٤٣١، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٥٣، ٤٥٥، ٤٨٢، ٥٢٢، ٥٢٤، ٥٥٣، ٥٦٤، ٦٢٥، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥

الناجية، ٢١٧

الناكثون، ١٦٧، ٦٣٠

النبيّون، ٢٥٤

النسطورية، ٣١٤، ٥٣٧، ٥٤٤

النصارى، ١٠٠، ١٠٣، ١٢٢، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦١، ١٨٨، ١٩٠، ١٩٢، ٢١٦، ٣١٠، ٣١١، ٣٢١، ٣٣٤، ٣٤٢، ٣٦٢، ٣٦٤، ٤٤٤، ٤٥٣، ٤٦٢، ٥٢٧، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٩، ٥٤٤، ٥٥١، ٥٥٨، ٦٠١، ٦١٦، ٦٢٠، ٦٣٨، ٦٤٨، ٦٨٨

اليعقوبية، ٣١٤، ٥٤٤

اليهود، ٩٩، ١٠٣، ١٢٢، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦١، ١٩٢، ٣١١، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٣٤، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٦٢، ٣٦٤، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤٤٤، ٤٤٧، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٨، ٤٦٢، ٥٢٧، ٥٣٢، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٥٨،

٥٥٩، ٥٦٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٩، ٦٠١،
٦٠٤، ٦٠٦، ٦١٢، ٦١٦، ٦٢٠، ٦٣٨، ٦٣٩،
٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩

(٥)

فهرس الأمكنة

الاردن، ٤٧، ٥٥٨، ٥٦٠

أُورشليم، ٥٥٧

إيران، ١٥٨، ٥٦٠، ٦٠١

بابل، ٩٩، ١٥٨، ١٦٦، ٦٠١، ٦٢٣

البصرة، ٢٤٤

البيت الحرام، ١٤٨، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١٨

بيت اللحم، ٥٣

بيت الله، بيت الله الحرام، ٤٨١، ٤٨٢

بيت المقدس، ٥٣، ٩٩، ١١٥، ١٥٥، ٣٣٧، ٣٣٨، ٤٠٧، ٤٥٠، ٥٥٦، ٥٥٧

بين النهرين، ١٦٦

الجُحفة، ٤٩١

روسيا، ٥٥٤

الروم، ٥٣٧

سَدوم، ١٦٥

الشام، ٤٧، ١٢٨، ١٦٥، ٢٠٦، ٢٣١، ٤١٧، ٥٢٩، ٥٥٦، ٥٥٨

الصفا، ٤٨١

الطائف، ٢٢٦

الطور، ٥٥٥

عرفات، ٤٨١

فارس، ٦٣١

فلسطين، ٤٦، ٤٧، ١٢٨، ١٦٥، ١٦٦، ٥٩٩

القادسية، ٢٢٧

القدس، ٥٣، ٣٣٨، ٣٦٧، ٥٥٦

كاشمر، ٤٩٥

كراع الغميم، ٤٩١

كربلاء، ٤٣٨

الكعبة، ٣٣٧، ٣٣٨، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٣، ٤٣٤، ٥٥٨

كنعان، ٤٧

الكوفة، ٦٠٥

مدين، ١٦٥

المدينة، ٨٥، ١٤٣، ١٩١، ١٩٩، ٢١٤، ٢٣٨،

٣٣٧، ٣٣٨، ٤٣٦، ٤٩١، ٥٥٨، ٥٦٢، ٥٩٣، ٦٣٠
المروة، ٤٨١
المسجد الأقصى، ٢٧، ٩٩، ٣٣٧، ٤٠٧، ٤١١، ٥٥٧، ٥٥٨
المسجد الحرام، ٣٣٧، ٣٣٨، ٤١١، ٤١٢، ٥٥٨، ٦٢٢
المشعر، ٤٨١
مصر، ٤٧، ٣٠٢، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦٥، ٥٨٢، ٥٩٩، ٦٠١
مكّة، ٢٧، ٤٦، ١٠٣، ١٤٣، ١٤٨، ١٦٦، ١٩٤، ٢١٣، ٢٢٦، ٢٤٣، ٣٢٠، ٣٢٤، ٣٣٨، ٣٤٢، ٤٠٨، ٤١١، ٤٩١، ٥٥٠، ٥٥١، ٦٢٦
منى، ٤٨١
اليمن، ١٩٥
يونان، ٦٠١

(٦)

فهرس الكتب الواردة في المتن

الكتاب الحكيم، الكتاب العزيز، الكتاب الكبير، الكتاب المبين، القرآن الكريم، القرآن، قرآن الكريم، كتاب الكريم، كتاب الله، كتابه الكريم، ٢١، ٣٥، ٣٧، ٤٢، ٤٦، ٥١، ٥٦، ٦٠، ٧٠، ٧٣، ٨٢، ٨٣، ٨٥، ٨٨، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٢٠، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٥، ١٣٨، ١٤٠، ١٤١، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٣، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٤، ١٨٦، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٦، ٢١٦، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٤، ٢٧٦، ٢٩٠، ٣١٢، ٣٢٣، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٨، ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٦٣، ٣٦٦، ٣٧٢، ٣٨٣، ٤٠٧، ٤١١، ٤١٦، ٤٢٤، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥٨، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٨١، ٤٨٦، ٤٩٠، ٤٩٧، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٢٧، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٥، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٣، ٥٦٢، ٥٦٨، ٥٧١، ٥٩٩، ٦٠٥، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦٢٣، ٦٣١، ٦٣٩، ٦٤٢، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٦٢، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٧٤، ٦٨٥، ٦٨٨، ٦٨٩

إكمال الدين، ٢٨٧

الإنـــجيل، ٥٨، ٧٣، ٧٩، ٩٥، ٩٩، ١٠٠، ١١٥، ١٢٧، ١٢٩، ١٥٩، ١٩٠، ١٩٣، ٣١١، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٦، ٣٦٧، ٤٢٩، ٥٣٦، ٥٣٩، ٥٤٠، ٦٠١، ٦٠٨، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦٥٠، ٦٥٥، ٦٨٩

إنجيل متّى، ١٥١

البحار، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٥، ٦٨٩

البرهان، ٥٤٩، ٥٨٨

تفسير الثعلبي، ١٩٠

تفسير الرازي، ٢١٣

تفسير علي بن إبراهيم، ٢٤٤، ٦٩٠، ٦٩١

تفسير العيّاشي، ١٩٠، ٥٧٤، ٥٨٩

تفسير الفخر الرازي، ٤٠٨

تفسير القمّي، ٥٥٣، ٦٩٠

التكامل، ١٨٥

التـــــوراة، ٧٣، ٨٧، ٩٥، ٩٨، ٩٩، ١٠٢، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٨، ١٢٩، ١٥٨، ١٩٠، ١٩٣، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٣٧، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٦، ٣٦٧، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٢٩، ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٥٠، ٥٣٦، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٢، ٥٦٨، ٥٧٧، ٥٩٤،

٥٩٥، ٥٩٧، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠٢، ٦٠٤، ٦٠٦،
٦٠٨، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦٥٠، ٦٥٥، ٦٦٤،
٦٨٩، ٦٩٠
التهذيب، ٥٨٨
الخرائج و الجرائح، ٢١٩
الخلاصة، ٦٩٢
دائرة المعارف القرآنيّة، ٤٦٢
روح المعانى، ١٢٩
الزبور، ٦١٠
العيون، ٦٨٩، ٦٩١
الفقيه، ٤٩٥، ٥٧٨
القاموس، ٥١٤
قصص الأنبياء، ٦٩٠
الكافي، ١٥٣، ٢٢٥، ٢٣٠، ٢٤٧، ٤٠٩، ٥٨١،
٦١٠
لسان العرب، ٥٠٢
المجمع، ٤٩٠، ٥٠٠، ٥١٤، ٥٢٦، ٥٩٣، ٥٩٦،
٦١٩، ٦٣٠
مجمع البحرين، ٥٢٨
مجمع البيان، ٥٦٠
مدينة المعاجز، ٢١٩
مصباح الفقيه، ٢٨٨
معاني الأخبار، ٥٧٩
مفردات الراغب، ٣٠٩، ٣٥٢، ٤١٤، ٥٥٦
المكاسب، ٣٤٤
المنار، ٥٧، ٨٦، ١١٣، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٨
الميزان، ١٠٤، ١١٤، ٣١٣، ٣٣٧، ٤٥٣، ٦٧٨،
٦٨١
نهج البلاغة، ١٠٦، ١٩٢، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٦،
٢٤٩، ٢٩٤، ٤٠٩، ٥١٦، ٥٢٩، ٦٧٧، ٦٩٢
الوسائل، ٢٩٦، ٤٩٨، ٦٨٥

(۷)

فهرس المنابع و المآخذ

۱. **إحقاق الحقّ**؛ نور الله بن شريف الدين التستري (ت ۱۰۱۹ق)، تصحيح: حسن الشيخ دخيل، قاهره ۱۳۲۶ق.

۲. **احياء العلوم**؛ ابو حامد محمّد بن محمّد غزالى (ت ۵۰۵ق)، طبعة دار القلم ـ بيروت.

۳. **اختيار مصباح السالكين**؛ ميثم بن عليّ بن ميثم البحراني (ت ۶۹۹ق)، تحقيق و تصحيح: محمّد هادي الأميني، مجمع البحوث الاسلاميّه ـ مشهد الرضويّ ۱۳۶۶ش.

۴. **اختيار معرفة الرجال (= رجال الكشّي)**؛ أبو جعفر محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (ت ۴۶۰ ق)، تحقيق: حسن المصطفوي، منشورات جامعة المشهد الرضوي ۱۳۴۸ش.

۵. **إعلام الورى بأعلام الهدى**؛ أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ۵۴۸ق)، تحقيق: السيّد محمّد مهدي الخرسان، دار الكتب الإسلاميّة ـ قمّ، الطبعة الثالثة ۱۳۹۰ق.

۶. **اقبال الأعمال**، سيّد عليّ بن موسى موسوي (ابن طاووس)، دار الكتب الإسلاميه ـ تهران، ۱۳۶۷ ق.

۷. **الاحتجاج على أهل اللجاج**، أبو منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسي (ت ۵۴۸ق)، طبعة مؤسّسة نشر المرتضى ـ مشهد الرضويّ ۱۴۰۳ ق.

۸. **الاختصاص**، أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد (ت ۴۱۳ق)، تحقيق: عليّ أكبر الغفاري، مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قمّ ۱۴۱۴ ق.

۹. **الأربعين في أصول الدين**؛ فخر الدين الرازي (ت ۶۰۶ق)، تحقيق و تصحيح: احمد الحجازي السقا، دار الجيل، بيروت ۱۴۲۴ق.

۱۰. **الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد**، أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد (ت ۴۱۳ ق)، طبعة المؤتمرة العالميّة للشيخ المفيد ﷺ ـ قمّ ۱۴۱۳ ق.

۱۱. **الاستبصار فيما اختلف من الأخبار**؛ أبو جعفر محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (ت ۴۶۰ ق)، دار الكتب الإسلاميّة ـ طهران ۱۳۹۰ق.

١٢. **الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد** ؛ أبو جعفر محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ ق)، تحقيق: الشيخ حسن السعيد، نشر مكتبة جامع چهلستون ـ طهران ١٤٠٠ ق.

١٣. **الأمالي** ؛ أبو جعفر محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ ق)، تحقيق و نشر: دار الثقافة ـ قمّ، الطبعة الأُولى ١٤١٤ ق.

١٤. **الأمالي** ؛ أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ ق)، المكتبة الإسلاميّة ١٣٦٢ ق.

١٥. **الإمامة والتبصرة من الحيرة** ؛ أبو الحسن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي والد الشيخ الصدوق (ت ٣٢٩ق)، تحقيق و نشر: مدرسة الإمام المهدي ـ قمّ ١٤٠٤ ق.

١٦. **الإمامة والسياسة** ؛ أبو محمّد عبدالله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ ق). تحقيق: طٰه محمّد الزيني، مؤسّسة الحلبي.

١٧. **الأنساب** ؛ أبو سعد عبد الكريم بن محمّد السمعاني (ت ٥٦٢ ق)، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤٠٨ ق.

١٨. **الإيضاح** ؛ أبو محمّد فضل بن شاذان النيشابوري (ت ٢٦٠ق)، تحقيق: السيّد جلال الدين الأُرموي، طبعة جامعة طهران ١٣٦٣ش.

١٩. **البحر المحيط** ؛ أبو عبدالله محمّد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥ ق)، تحقيق و نشر: دارالكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤٢٢ ق.

٢٠. **البداية والنهاية** ؛ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ق)، تحقيق: عليّ الشيري، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤٠٨ ق.

٢١. **البدء والتأريخ** ؛ مطهّر بن طاهر المقدّسي (ت ٣٢٢ق)، طبعة دار صادر ـ بيروت ١٩٨٨م.

٢٢. **البرهان في تفسير القرآن**، السيّد هاشم البحراني، تحقيق و نشر: مؤسّسة البعثة ـ قمّ، الطبعة الأُولى ١٣٧٤ش.

٢٣. **التبيان في تفسير القرآن** ؛ أبو جعفر محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ق)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي ـ قمّ ١٤٠٩ ق.

٢٤. **التبيان في إعراب القرآن**؛ محب الدين أبي البقاء عبد الله بن حسين العكبري، بيت الأفكار الدوليّة ـ عمان ١٤١٩ق.

٢٥. **التحرير و التنوير**؛ محمّد الطاهر بن عاشور (ت ١٢٨٤ق)، دار التونسيّة للنشر ـ تونس.

۲۶. **التحصین** ؛ السید بن الطاووس، تحقیق: الأنصاري، مؤسّسة دار الکتاب ـقمّ، الطبعة الأُولی ۱۴۱۳ق.

۲۷. **التحقیق فی کلمات القرآن**، حسن المصطفوي، مرکز نشر کتاب ـ تهران ۱۳۹۵ق.

۲۸. **التوحید** ؛ أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسین القمّي المعروف بالشیخ الصدوق ﷺ (ت ۳۸۱ق)، تحقیق: السیّد هاشم الحسیني، مؤسّسة النشر الإسلامي ـقمّ ۱۳۹۸ق.

۲۹. **تهذیب الأحکام** ؛ أبو جعفر محمّد بن الحسن المعروف بالشیخ الطوسي (ت ۴۶۰ق)، تحقیق: السیّد حسن الموسويّ الخرسان، دار الکتب الإسلامیّة ـ طهران ۱۳۶۵ ش.

۳۰. **تفسیر القرطبي (الجامع لأحکام القرآن)** ؛ أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاريّ القرطبي (ت ۶۷۱ق)، تحقیق: محمّد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحیاء التراث العربي ـ بیروت ۱۴۰۵ق.

۳۱. **الحبل المتین** ؛ محمّد بن الحسین بن عبد الصمد العامليّ المعروف بالشیخ البهائي (ت ۱۰۳۰ق)، منشورات دار الأضواء ـ بیروت ۱۴۰۵ق.

۳۲. **الحدائق الناضرة في أحکام العترة الطاهرة** ؛ الشیخ یوسف بن أحمد البحراني (ت ۱۱۸۶ق)، تحقیق: محمّد تقي الإیرواني، مؤسّسة النشر الإسلامي ـقمّ.

۳۳. **الحکمة المتعالیة في الأسفار العقلیّة الأربعة**؛ صدر الدین محمّد الشیرازي (ت ۱۰۵۰ق)، دار احیاء التراث العربي ـ بیروت، الطبعة الثالثة ۱۹۸۱م.

۳۴. **الخرائج و الجرائح**؛ أبو الحسین قطب الدین سعید بن هبة الله الراوندي (م ۵۷۳ق)، تحقیق و نشر: مؤسّسة الإمام المهدي ﷺ ـقمّ، ۱۴۰۹ق.

۳۵. **الخصال** ؛ أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسین بن بابویه المعروف بالشیخ الصدوق (ت ۳۸۱ق)، تحقیق: عليّ أکبر الغفاري، مؤسّسة النشر الإسلامي ـقمّ ۱۴۰۳ق.

۳۶. **الخلاف** ؛ أبو جعفر محمّد بن الحسن المعروف بالشیخ الطوسي (ت ۴۶۰ق)، تحقیق: مؤسّسة النشر الإسلامي ـقمّ ۱۴۰۷ق.

۳۷. **الدرّ المنثور** ؛ جلال الدین عبدالرحمن السیوطي (ت ۹۱۱ق)، تحقیق و نشر: دارالمعرفة ـ بیروت.

۳۸. **الدروس الشرعیّة في فقه الإمامیّة** ؛ شمس الدین محمّد بن مکّيّ العاملي المعروف بالشهید الأوّل (ت ۷۸۶ق)، تحقیق و نشر: مؤسّسة النشر الإسلامي ـقمّ ۱۴۱۲ق.

۳۹. **الدعوات (سلوة الحزين)** ؛ أبو الحسين قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت ۵۷۳ ق)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي ـ قمّ، الطبعة الأولى ۱۴۰۷ ق.

۴۰. **الرسائل العشر**؛ أبو جعفر محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (ت ۴۶۰ق)،

۴۱. **الرسالة السعديّة**؛ أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهّر المعروف بالعلّامة الحلّي (ت ۷۲۶ق)، تحقيق: عبد الحسين محمّد عليّ بقّال، الطبعة الأُولى ۱۴۱۰ق.

۴۲. **الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقيّة** ؛ زين الدين بن عليّ العاملي المعروف بالشهيد الثاني (ت ۹۶۶ق)، تحقيق: السيّد محمّد الكلانتر، مطبعة جامعة النجف الدينيّة ۱۳۹۸ق.

۴۳. **السقيفة و فدك** ؛ أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ البصري (ت ۳۲۳ق)، تحقيق: محمّد هادى الأميني، شركة الكتبي للطباعة والنشر ـ بيروت ۱۴۱۳ق.

۴۴. **السنن الكبرى** ؛ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ۴۵۸ ق)، تحقيق و نشر : دارالفكر ـ بيروت.

۴۵. **السيرة النبويّة** ؛ عبد الملك بن هشام الحميري (ت ۲۱۸ ق)، تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة محمّد عليّ الصبيح ـ مصر ۱۳۸۳ ق.

۴۶. **الشافي في شرح الكافي** ؛ عبد الحسين بن عبد الله المظفّر (ت ۱۴۱۶ق)، مطبعة النعمان ـ النجف الأشرف، الطبعة الأُولى ۱۳۸۶ق.

۴۷. **الشرح الكبير** ؛ أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي عمر المقدسي (ت ۶۸۲ ق)، دارالكتاب العربي ـ بيروت.

۴۸. **الشفاء** ؛ شيخ الرئيس ابن سينا (ت ۴۲۸ ق)، تحقيق و نشر: مكتبة آية الله المرعشي ـ قمّ.

۴۹. **الصافي في تفسير القرآن (تفسير الصافى)** ، محمّد محسن بن شاه مرتضى (الفيض الكاشاني) (م ۱۰۹۱ ق)، تهران: مكتبة الصدر، ۱۴۱۵ ق، اوّل.

۵۰. **الصحاح (= تاج اللغة العربيّة)** ؛ إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت ۳۹۳ ق)، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطّار، مؤسّسة دار العلم للملايين ـ بيروت ۱۴۰۷ ق.

۵۱. **الصحيفة السجّاديّة** ؛ المشتملة على أدعية الإمام السجّاد، طبعة مؤسّسة الهادي ـ قمّ ۱۳۷۶ش.

۵۲. **الصراط المستقيم إلى مستحقّي التقديم**؛ زين الدين أبو محمّد عليّ بن يونس العاملي البياضي النباطي (م ۸۷۷ هـ)، تحقيق : محمّد باقر البهبودي، المكتبة المرتضوية ـ طهران ۱۳۸۴ ق.

۵۳. **الطبقات الكبرى**؛ محمّد بن سعد البصري (ت ۲۳۰ ق)، تحقيق و نشر: دار صادر - بيروت.

۵۴. **العلل الواردة في الأحاديث النبويّة**؛ أبي الحسن عليّ بن عمر بن احمد بن مهدي الدار قطني (ت ۳۸۵ق)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، دار طيّبه - الرياض ۱۹۸۹م.

۵۵. **العمدة (عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار)**؛ يحيى بن الحسن الأسدي الحلّي (ت ۶۰۰ ق)، تحقيق و نشر: مؤسّسة النشر الإسلامي - قمّ ۱۴۰۷ ق.

۵۶. **العين**، خليل بن أحمد الفراهيدي (م ۱۷۵ ق)، تحقيق: مهدي المخزومي، دار الهجرة - قمّ ۱۴۰۹ ق.

۵۷. **الغيبة**؛ أبو عبد الله محمّد بن إبراهيم بن جعفر النعماني (ت ۳۵۰ق)، تحقيق: عليّ أكبر الغفاري، مكتبة الصدوق - طهران ۱۳۵۵ق.

۵۸. **الفائق في غريب الحديث**؛ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ۵۸۳ق)، تحقيق و نشر: دار الكتب العلميّة - بيروت ۱۴۱۷ق.

۵۹. **الفتوحات المكّيّة**؛ محي الدين بن العربي (ت ۶۳۸ق)، تحقيق: عثمان يحيى، دار احياء التراث العربي - بيروت ۱۹۹۴م.

۶۰. **الفصول المختارة**؛ أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبريّ المعروف بالشيخ المفيد (ت ۴۱۳ق)، طبعة دار المفيد - بيروت، الطبعة الثانية ۱۴۱۴ ق.

۶۱. **الفصول المهمّة في أصول الأئمّة**؛ الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي (ت ۱۱۰۴ ق)، تحقيق: محمّد بن محمّد الحسين القائيني، مؤسّسة معارف الإسلاميّة - قمّ ۱۴۱۸ ق.

۶۲. **الفضائل**، شاذان بن جبرئيل القمّي (م ۶۶۰ ق)، نجف: المطبعة الحيدريّة، ۱۳۳۸ ق.

۶۳. **من لا يحضره الفقيه**؛ أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ۳۸۱ق)، تحقيق: عليّ أكبر الغفّاري، مؤسّسة النشر الإسلامي ۱۴۱۳ ق.

۶۴. **الفوائد المدنيّة**؛ محمّد أمين بن صمد شريف الاسترآبادي (ت ۱۰۳۳ق)، مؤسّسة النشر الإسلامي - قمّ ۱۴۲۴ق.

۶۵. **الفهرست**؛ أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي المعروف بالشيخ الطوسي (ت ۴۶۰ ق)، تحقيق: الشيخ جواد القيّومي، مؤسّسة النشر الإسلامي - قمّ، الطبعة الأولى ۱۴۱۷ ق.

۶۶. **القاموس المحيط** ؛ محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ۸۱۷ق)، تحقيق: محمّد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثانية ۱۴۲۰ق.

۶۷. **الكافئة**؛ أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبريّ البغدادي المعروف بالشيخ المفيد (ت ۴۱۳ق)، طبعة المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد ـ قمّ ۱۴۱۳ق.

۶۸. **الكافي** ؛ أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الرازيّ الكليني (ت ۳۲۹ ق)، تحقيق: عليّ أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلاميّة ـ طهران ۱۳۶۳ ق.

۶۹. **الكشّاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل** ؛ جار الله محمود بن عمر الزمخشريّ الخوارزمي (ت ۵۳۸ ق)، تحقيق و نشر: مؤسّسة مصطفى البابي و أولاده ـ مصر ۱۳۸۵ ق.

۷۰. **الكشف و البيان (= تفسير الثعلبي)**؛ أبو احمد المعروف بالثعلبي (۴۲۷ق)، تحقيق: نظير الساعدي، دار احياء التراث العربي ـ بيروت ۱۴۲۲ق.

۷۱. **الكُنى والألقاب** ؛ الشيخ عبّاس القمّي (ت ۱۳۵۹ق)، منشورات مكتبة الصدر ـ طهران، الطبعة الخامسة ۱۴۰۹ق.

۷۲. **اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء**ﷺ؛ محمّد عليّ بن احمد القراچه داغي التبريزي الأنصاري (ت ۱۳۱۰ق)، تحقيق: هاشم الميلاني، دار التبليغ الإسلامي ـ بيروت ۱۳۹۰ق.

۷۳. **المبدأ و المعاد**؛ حسين بن عبد الله بن سينا (ت ۴۲۸ق)، مجمع البحوث الإسلاميّة ـ مشهد الرضويّ ۱۳۷۵ق.

۷۴. **المبسوط في فقه الإماميّة** ؛ أبو جعفر محمّد الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (ت ۴۶۰ق)، تحقيق: محمّد تقيّ الكشفي، المكتبة المرتضويّة ـ طهران ۱۳۸۷ ش.

۷۵. **مجمع البيان في تفسير القرآن** ؛ أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ۵۴۸ق)، تحقيق و نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ۱۴۰۶ ق.

۷۶. **المحاسن** ؛ أبو جعفر أحمد بن محمّد بن خالد البرقي (ت ۱۲۷۴ ق)، تحقيق: السيّد جلال الدين المحدّث الأرموي، دار الكتب الإسلاميّة ـ قمّ ۱۳۷۱ ق.

۷۷. **المحتضر** ؛ حسن بن سليمان حلّي، تحقيق: سيد عليّ اشرف، كتابخانهٔ حيدريه ـ بيروت ۱۴۲۴ ق.

٧٨. **المسترشد في الإمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ**؛ محمّد بن جرير بن رستم الطبري الإمامي (ت ٣١٠ق)، تحقيق: أحمد المحمودي، مؤسّسة الثقافة الإسلاميّة لكوشانبور ـ قمّ ١٤١٥ق.

٧٩. **مسند أحمد بن حنبل**؛ أحمد بن محمّد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ ق)، تحقيق: عبد الله محمّد الدرويش، دار الفكر ـ بيروت ١٤١٤ق.

٨٠. **المصباح**؛ إبراهيم بن عليّ الكفعمي (ت ٩٠٥ق)، تحقيق و نشر: مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ق.

٨١. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**؛ أحمد بن محمّد بن عليّ المقريّ الفيّومي (ت ٧٧٠ ق)، منشورات دار الهجرة ـ قمّ ١٤٠٥ ق .

٨٢. **المصنّف**؛ أبو بكر عبد الرزّاق بن همّام الصنعاني (ت ٢١١ ق)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ـ بيروت ١٤٠٣ق.

٨٣. **المعجم الأوسط**؛ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٩٠ هـ)، تحقيق و نشر: دار الحرمين ١٤١٥ ق.

٨٤. **المغازي**؛ محمّد بن عمران الواقديّ (ت ٢٠٧ ق)، اُفست دار المعرفة الإسلاميّة ـ إيران.

٨٥. **المغني**؛ عبد الله ابن قدامة، دار الكتاب العربى ـ بيروت.

٨٦. **مفردات ألفاظ القرآن**؛ أبو القاسم السحين بن محمّد الراغب الإصفهاني (ت ٥٠٢ق)، تحقيق: صفوان عدنان الداوودي، دار القلم ـ دمشق، الطبعة الأُولى ١٤١٢ق.

٨٧. **كتاب المكاسب**؛ الشيخ مرتضى الأنصاري (١٢٨١ق)، تحقيق: مجمع الفكر الإسلامي، ناشر المؤتمر العالمى بمناسبة الذكرى المئوية الثانية الشيخ الانصارى، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ق.

٨٨. **الملل والنحل**؛ أبو الفتح محمّد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨ق)، تحقيق: صلاح الدين الهوّاري، نشر مكتبة الهلال ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٩٨٩م.

٨٩. **المنار (تفسير القرآن الحكيم)**؛ محمّد رشيد رضا المعروف بالشيخ محمّد عبده (ت ١٣٥٤ق)، دار الفكر ـ بيروت.

٩٠. **الميزان في تفسير القرآن**؛ السيّد العلّامة محمّد حسين الطباطبائي، طبعة مركز النشر الإسلامي ـ قمّ.

٩١. **النهاية**؛ أبو جعفر محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ق)، تحقيق و نشر: انتشارات قدس ـ قمّ.

٩٢. **إمتاع الأسماع**؛ أحمد بن عليّ بن عبد القادر المقريزي (ت ٨٤٥ هـ)، تحقيق: محمّد عبدالحميد النميسي، منشورات محمّد عليّ بيضون ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤٢٠ ق.

٩٣. **أحكام القرآن**؛ أبو بكر أحمد بن عليّ الرازيّ الجصّاص (ت ٣٧٠ق)، تحقيق: عبد السلام محمّد عليّ شاهين، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ١٤١٥ق.

٩٤. **أسباب نزول الآيات**؛ أبو الحسن عليّ بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨ ق)، تحقيق و نشر: مؤسّسة الحلبي ـ القاهره ١٣٨٨ ق.

٩٥. **أعيان الشيعة**؛ السيّد محسن الأمين (ت ١٣٧١ ق)، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٣ق.

٩٦. **أنساب الأشراف**؛ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩ق)، تحقيق: الشيخ محمّد باقر المحمودي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٣٩٤ق.

٩٧. **تفسير البيضاوي (= أنوار التنزيل)**؛ أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمّد البيضاوي (ت ٦٨٥ق)، دار الفكر ـ بيروت.

٩٨. **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار**؛ المولى محمّد باقر بن محمّد تقيّ المجلسي المعروف بالعلّامة المجلسي (ت ١١١٠ ق)، طبعة مؤسّسة الوفاء ـ بيروت ١٤٠٤ ق.

٩٩. **بصائر الدرجات**؛ أبوجعفر محمّد بن الحسن بن فروخ الصفّار (ت ٢٩٠ ق)، تحقيق و نشر: مكتبة آية الله المرعشي ـ قمّ، الطبعة الأُولى ١٤٠٤ ق.

١٠٠. **بيان السعادة في المقامات العبادة**؛ سلطان محمّد بن حيدر الملقب بسلطان عليّ شاه (ت ١٣٢٧ق)، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ١٤٠٨ق.

١٠١. **تاج العروس من جواهر القاموس**؛ السيّد محمّد مرتضى الحسينيّ الزبيدي (ت ١٢٠٥ق)، تحقيق: عليّ الشيري، دار الفكر ـ بيروت ١٤١٤ق.

١٠٢. **تاريخ ابن خلدون**؛ عبد الرحمن بن خلدون المغربي (ت ٨٠٨ق)، تحقيق و نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الرابعة.

١٠٣. **تاريخ الإسلام**؛ أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ق)، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤٠٩ق.

۱۰۴. **تاريخ الطبري (= تاريخ الأمم والملوك)**؛ أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري (ت ۳۱۰ق)، تحقيق و نشر: مؤسّسة الأعلمي - بيروت، الطبعة الرابعة ۱۴۰۳ق.

۱۰۵. **تاريخ مدينة دمشق**؛ أبو القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ۵۷۱ ق)، تحقيق: عليّ الشيري، دار الفكر - بيروت ۱۴۱۵ ق.

۱۰۶. **تاريخ اليعقوبي**؛ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح المعروف باليعقوبي (ت ۲۸۴ ق)، تحقيق و نشر: دار صادر - بيروت ۱۴۰۵ق.

۱۰۷. **تحرير الأحكام الشرعيّة على مذهب الإماميّة**؛ أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهّر المعروف بالعلّامة الحلّي (ت ۷۲۶ ق)، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري، مؤسّسة الإمام الصادق ﷺ - قمّ، الطبعة الأولى ۱۴۲۰ ق.

۱۰۸. **تحف العقول عن آل الرسول ﷺ**؛ أبو محمّد الحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة الحرّاني (ت ۳۸۱ق)، تحقيق: عليّ أكبر الغفاري، مؤسّسة النشر الإسلامي - قمّ، الطبعة الثانية ۱۴۰۴ق.

۱۰۹. **تذكرة الفقهاء**؛ أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهّر المعروف بالعلّامة الحلّي (ت ۷۲۶ق)، تحقيق و نشر: مؤسّسة آل البيت ﷺ - قمّ، الطبعة الأولى ۱۴۱۴ ق.

۱۱۰. **تفسير ابن كثير**، إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي (م ۷۷۴)، تحقيق: عبد العزيز غنيم و محمّد أحمد عاشور، دار الشعب - قاهره.

۱۱۱. **تفسير الرازي (= التفسير الكبير)**؛ محمّد بن عمر المعروف بالفخر الرازي (ت ۶۰۶ق)، دار الفكر - بيروت ۱۳۹۸ق.

۱۱۲. **تفسير العيّاشي**؛ أبو النضر محمّد بن مسعود العيّاشي السمرقندي (ت ۳۲۰ ق)، تحقيق و نشر: المطبعة العلميّة - طهران ۱۳۸۰ق.

۱۱۳. **روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**؛ آلوسي، محمود بن عبدالله (۱۲۷۰ ق)؛ بيروت: دار إحياء التراث العربى، ۱۴۰۵ق.

۱۱۴. **تفسير البغوي (= معالم التنزيل)**؛ أبي محمّد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي (ت ۵۱۰ق)، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك و مروان سوار، دار المعرفة - بيروت، ۱۴۰۷ق.

۱۱۵. **تفسير القمّي**؛ أبو الحسن عليّ بن إبراهيم بن هاشم القمّي (ت ۳۲۹ ق)، تحقيق: السيّد طيّب الموسويّ الجزائري، مؤسّسة دار الكتاب - قمّ، الطبعة الثالثة ۱۴۰۴ ق.

١١٦. **تفسير الفرات الكوفي**؛ فرات بن إبراهيم الكوفي (ت ٣٥٢ ق)، تحقيق: محمّد الكـاظم، مؤسّسة الطبع والنشر الإسلامي ـ طهران، الطبعة الأولى ١٤١٠ق.

١١٧. **تلخيص المحصّل**؛ محمّد بن محمّد نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢ق)، دار الكتب العربي ـ بيروت ١٤٠٤ق.

١١٨. **جامع الأخبار**؛ تاج الدين محمّد بن محمّد الشعيري، الرضي ـ نجف، ١٣٨٥ق.

١١٩. **تفسير الطبري (= جامع البيان في تفسير القرآن)**؛ أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ق)، دار الفكر ـ بيروت ١٤١٥ق.

١٢٠. **تفسير جوامع الجامع**؛ الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ ق)، مؤسّسة الطبع والنشر التابعة لجامعة طهران ١٣٧١ش.

١٢١. **خلاصة الأقوال في معرفة الرجال**؛ الحسن بن يوسف بن المطهّر المعروف بالعلاّمة الحلّي (ت ٧٢٦ ق)، تحقيق: جـواد القـيّومي، مـؤسّسة النشـر الإسـلامي ـ قـمّ، الطبعة الأولى ١٤١٧ق.

١٢٢. **دانش‌نامۀ دانش گستر**؛ باشراف: عليّ الرامين، كامران الفاني، محمّد عليّ السادات، مؤسّسة دانش گستر روز ـ تهران ١٣٨٩ش.

١٢٣. **دعائم الإسلام و ذكر الحلال و الحرام و القضايا و الأحكام**؛ ابو حنيفه نعمان بن محمّد بن منصور بن احمد بن حيّون تميمي مغربي (ت ٣٦٣ق)، تحقيق: آصـف بـن عـليّ اصـغر فيضي، دار المعارف ـ قاهره ١٣٨٥ ق.

١٢٤. **الرجال**؛ أحمد بن الحسين بن عبيد الله الغضائري (القرن الخامس)، تحقيق: السيّد محمّد رضا الجلالي، دار الحديث ـ قمّ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ق.

١٢٥. **رجال النجاشي**؛ أبو العبّاس أحمد بن عليّ النجاشي (ت ٤٥٠ ق)، تحقيق: السيّد موسى الشبيري، مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قمّ ١٤١٣ ق.

١٢٦. **روض الجنان**؛ ابو الفتوح حسين بن عليّ الرازي (القرن السادس)، خانۀ كـتاب ـ تـهران ١٣٨٨ش.

١٢٧. **رياض المسائل في بيان الأحكام بالدلائل**؛ السيّد عليّ الطباطبائي (ت ١٢٣١ ق)، تحقيق و نشر: مؤسّسة آل البيت ـ قمّ ١٤١٢ ق.

١٢٨. **سعد السعود**؛ أبي القاسم عليّ بن موسى الحلّي المعروف بابن طاووس (ت ٦٦٤ق)، مكتبة الرضي ـ قمّ، الطبعة الأولى ١٣٦٣ ش.

۱۲۹. **سنن ابن ماجة**؛ محمّد بن يزيد القزويني (ابن ماجَة) (م ۲۷۵ ق)، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ۱۳۹۵ ق.

۱۳۰. **سنن الدار قطني**؛ عليّ بن عمر دارالقطني (م ۲۸۵ ق)، تحقيق: مجدي بن منصور سيّد الشوري، الدار الكتب العلميّة ـ بيروت ۱۴۱۷ق.

۱۳۱. **السنن الكبرى (سنن النّسائي)**؛ أحمد بن شُعيب النّسائي (م ۳۰۳ق)، تحقيق: عبد الغفّار سليمان البنداري، بيروت: دار الكتب العلمية، ۱۴۱۱ ق.

۱۳۲. **سنن أبي داود**؛ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ۲۷۵ ق)، تحقيق: سعيد محمّد اللحّام، دارالفكر ـ بيروت، الطبعة الأُولى ۱۴۱۰ ق.

۱۳۳. **شرح أُصول الكافي**؛ صدر المتألّهين محمّد بن إبراهيم الشيرازي المعروف بملّاصدرا (ت ۱۰۵۰ق)، الطبعة الحجريّة.

۱۳۴. **شرح أُصول الكافي (=شرح المازندراني)**؛ المولى محمّد صالح المازندراني (ت ۱۰۸۱ق)، تحقيق: الميرزا ابو الحسن الشعراني، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأُولى ۱۴۲۱ ق.

۱۳۵. **شرح الأُصول الخمسة**؛ أحمد بن عبد الجبار الهمداني (ت ۴۱۵ق)، تحقيق: عبد الكريم بن محمّد عثمان، مكتبة وهبه ـ القاهره ۱۳۸۴ق.

۱۳۶. **شرح المواقف**؛ عضد الدين عبد الرحمن بن احمد الايجي (ت ۷۵۶ق)، مطبعة شريف الرضيّ ـ قمّ ۱۴۱۲ق.

۱۳۷. **شرح نهج البلاغة**؛ عبد الحميد بن محمّد بن أبي الحديد المعتزلي (ت ۶۵۶ق)، تحقيق: محمّد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة ۱۳۷۸ق.

۱۳۸. **شوارق الإلهام**؛ عبد الرزّاق بن عليّ اللاهيجي (ت ۶۷۲ق)، تحقيق أكبر الأسدي علي‌زاده، مؤسّسة الإمام الصادق ﷺ ـ قمّ ۱۳۸۴ش.

۱۳۹. **شواهد التنزيل**؛ عبيد الله بن عبد الله الحسكاني (= ۵۰۰ق)، تحقيق: محمّد باقر المحمودي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ۱۳۹۳ق.

۱۴۰. **صحيح مسلم (بشرح النوويّ)**؛ أبو الحسين مسلم بن الحجّاج النيسابوري (ت ۲۶۱ق)، مع شرح النوويّ الشافعي (ت ۶۷۶ق)، دار الكتاب العربي ـ بيروت ۱۴۰۷ق.

۱۴۱. **علل الشرائع**؛ أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق (ت ۳۸۱ ق)، منشورات مكتبة الداوري ـ قمّ.

١٤٢ . **عوالي اللآلي**؛ الشيخ محمّد بن عليّ بن إبراهيم الأحسائي المعروف بابن أبي جمهور (ت ٨٨٠ق)، تحقيق: آقا مجتبى العراقي، مطبعة سيّد الشهداء ﷺ ـ قمّ، الطبعة الأُولى ١٤٠٣ ق.

١٤٣ . **عيون أخبار الرضا**ﷺ، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ ق)، تحقيق: السيّد مهدي الحسيني اللاجوردي، منشورات جهان ـ طهران.

١٤٤ . **تفسير غرائب القرآن و رغائب الفرقان**؛ نظام الدين الحسن بن محمّد بن الحسين القمي النيسابوري (= ٨٠٠ق)، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ١٤١٦ق.

١٤٥ . **غرر الحكم**، عبد الواحد التميمي الآمدي (ت ٥١٠ق)، مكتب الأعلام الإسلامي ـ قمّ ١٣٦٧ش.

١٤٦ . **فرائد الأُصول**، الشيخ مرتضى الأنصاري (ت ١٢٨١ق)، مقدمه سيد شهاب الدين المرعشي نجفي، مكتبة آية الله نجفي المرعشي ـ قمّ.

١٤٧ . **فقه الرضا**ﷺ؛ تحقيق و نشر: المؤتمر العالمي للإمام الرضاﷺ ـ مشهد المقدّسة، الطبعة الأُولى ١٤٠٦ ق.

١٤٨ . **فقه القرآن**، أبو الحسين سعيد بن هبة الله الراونديّ المعروف بقطب الدين (ت ٥٧٣ق)، تحقيق: أحمد الحسيني، مكتبة آية الله المرعشي، الطبعة الأُولى ١٣٩٧ق.

١٤٩ . **في ظلال القرآن**؛ السيّد قطب (ت ١٩٦٦م)، دار الشروق ـ بيروت ١٣٩٧ق.

١٥٠ . **قاموس الكتاب المقدّس**؛ نخبة من الاساتذة ذوى الاختصاص و من اللاهوتيين، دار الثقافة ـ قاهره.

١٥١ . **قرب الإسناد**؛ أبو العبّاس عبد الله بن جعفر الحميريّ القمّي (ت ٣٠٠ق)، تحقيق و نشر: مؤسّسة آل البيت ﷺ ـ قمّ، الطبعة الأُولى ١٤١٣ ق.

١٥٢ . **قصص الأنبياء**؛ أبو الحسين قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت ٥٧٣ ق)، تحقيق: غلام‌رضا عرفانيان، نشر مؤسّسة الهادي ـ قمّ، الطبعة الأُولى ١٤١٨ ق.

١٥٣ . **كشف الغمّة في معرفة الأئمّة**، عليّ بن عيسى الإربلي (م ٦٨٧ ق)، تصحيح: السيّد هاشم الرسولي المحلّاتي، بيروت: دار الكتاب، ١٤٠١ ق، اوّل.

١٥٤ . **كشف اللثام عن قواعد الأحكام**؛ محمّد بن الحسن الإصفهانيّ الهندي (ت ١١٣٥ق)، طبعة مكتبة آية الله المرعشي ـ قمّ ١٤٠٥ق.

۱۵۵. **كفاية الأثر في النصّ على الأئمّة الاثني عشر**؛ أبو القاسم عليّ بن محمّد بن عليّ الخزّار القمّي (القرن الرابع)، تحقيق: السيّد عبد اللطيف الحسيني، نشر بيدار ـ قمّ ۱۴۰۱ ق.

۱۵۶. **كفاية الأصول**؛ محمّد كاظم بن حسين الخراساني، مؤسّسة آل البيت ـ قمّ ۱۴۰۹ق.

۱۵۷. **كمال الدين و تمام النعمة (= إكمال الدين و إتمام النعمة)**؛ أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ المعروف بالشيخ الصدوق (ت ۳۸۱ ق)، دار الكتب الإسلاميّة ـ قمّ ۱۳۹۵ ق.

۱۵۸. **كنز العمال**؛ عليّ بن حسان الدين الهندي (ت ۹۷۵ ق)، تحقيق: الشيخ صفوة السقا، مؤسّسة الرسالة ـ بيروت ۱۴۰۹ ق.

۱۵۹. **لباب التأويل في معاني التنزيل**؛ علاء الدين عليّ بن محمّد بن إبراهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن (ت ۷۴۱ق)، المكتبة التجاريه ـ القاهره ۱۳۸۱ق.

۱۶۰. **لسان العرب**؛ أبو الفضل محمّد بن مكرم بن منظور الإفريقي (ت ۷۱۱ ق)، طبعة مؤسّسة نشر أدب الحوزة ـ قمّ ۱۴۰۵ ق.

۱۶۱. **متشابه القرآن و المختلف فيه**؛ أبو جعفر محمّد بن عليّ بن شهر آشوب (ت ۵۸۸ق)، تحقيق: حامد جابر حبيب المؤمن الموسوي، مؤسّسة المعارف للمطبوعات ـ بيروت ۱۴۲۹ق.

۱۶۲. **مجمع البحرين و مطلع النيّرين**؛ فخر الدين الطريحي (ت ۱۰۸۵ ق)، تحقيق: السيّد أحمد الحسيني، مكتبة النشر الثقافيّة الإسلاميّة ـ طهران، الطبعة الثانية ۱۴۰۸ق.

۱۶۳. **مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان**؛ المولى أحمد بن محمّد المعروف بالمقدّس الأردبيلي (ت ۹۹۳ق)، تحقيق: مجتبى العراقي و عليّ پناه الاشتهاردي، مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قمّ المقدّسة.

۱۶۴. **مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام**؛ السيّد محمّد عليّ الموسويّ العاملي (ت ۱۰۰۹ ق)، تحقيق و نشر: مؤسّسة آل البيت ـ قمّ، الطبعة الأولى ۱۴۱۰ق.

۱۶۵. **مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول**؛ العلّامة محمّد باقر المجلسي (ت ۱۱۱۱ ق)، تصحيح: السيّد هاشم الرسولي، مكتبة وليّ العصر، الطبعة الثانية ۱۳۹۴ ق.

۱۶۶. **مروج الذهب و معادن الجوهر**؛ أبو الحسن عليّ بن الحسين المسعودي (ت ۳۴۶ق)، تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد، نشر دار الفكر ـ بيروت ۱۴۰۹ق.

١٦٧. **مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام**؛ زين الدين بن عليّ الجبعيّ العاملي المعروف بالشهيد الثاني (ت ٩٦٦ق)، تحقيق و نشر: مؤسّسة المعارف الإسلاميّة ـ قمّ، الطبعة الأُولى ١٤١٣ق.

١٦٨. **مستدرك الوسائل و مستنبط المسائل**؛ ميرزا حسين نوري طبرسي (ت ١٣٢٠ق)، تحقيق و نشر: مؤسّسة آل البيت ـ قمّ، اوّل ١٤٠٨ق.

١٦٩. **مستطرفات السرائر**؛ ابن إدريس الحلّي (ت ٥٩٨ق)، تحقيق و نشر: مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قمّ ١٤١١ ق.

١٧٠. **مستند الشيعة في أحكام الشريعة**؛ أحمد بن محمّد مهدي بن أبي ذرّ النراقي (ت ١٢٤٥ق)، تحقيق و نشر: مؤسّسة آل البيت قمّ ١٤١٩ق.

١٧١. **مسند أبي يعلى**؛ أبو يعلى الموصلي (ت ٣٠٧ق)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث.

١٧٢. **مشكاة الأنوار في غرر الأخبار**؛ أبو الفضل عليّ الطبرسي (القرن السابع)، تحقيق: مهدي هوشمند، دار الحديث ـ قمّ، الطبعة الأُولى ١٤١٨ ق.

١٧٣. **مصباح الفقيه**؛ آقا رضا الهمداني (١٣٢٢ق)، منشورات مكتبة الصدر ـ طهران.

١٧٤. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**؛ أحمد بن محمّد بن عليّ المقريّ الفيّومي (ت ٧٧٠ق)، منشورات دار الهجرة ـ قمّ ١٤٠٥ ق.

١٧٥. **معاني الأخبار**؛ أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ ق)، تحقيق: عليّ أكبر الغفاري، مؤسّسة النشر الإسلامي ١٤٠٢ ق.

١٧٦. **معجم البلدان**؛ أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦ق)، طبعة دار صادر ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٥م.

١٧٧. **مفاتيح الغيب**؛ صدر الدين محمّد بن اسحاق القونوي (ت ٦٠٧ق)، مطبعة مولى ـ تهران ١٣٨٨ش.

١٧٨. **مكارم الأخلاق**؛ أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسي (ت ٥٤٨ ق)، منشورات الشريف الرضي ـ قمّ، الطبعة السادسة ١٣٢٩ ق.

١٧٩. **مناقب آل أبي طالب**؛ أبو عبد الله محمّد بن عليّ بن شهر آشوب المازندراني (ت ٥٨٨ق)، طبعة المكتبة الحيدريّة ـ النجف الأشرف ١٣٧٦ ق.

١٨٠. مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (المناقب للكوفي)، محمّد بن سليمان الكوفي القاضي (م ٣٠٠ ق)، تحقيق: محمّد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة ـ قمّ، ١٤١٢ ق.

١٨١. منتهى المطلب؛ أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهّر المعروف بالعلّامة الحلّي (ت ٧٢٦ ق)، تحقيق و نشر: مجمع البحوث الإسلاميّة ـ المشهد الرضوي، الطبعة الأُولى ١٤١٢ ق.

١٨٢. تفسير نور الثقلين؛ عبد عليّ بن جمعة العروسيّ الحويزي (ت ١١١٢ق)، تصحيح: السيّد هاشم الرسوليّ المحلّاتي، مؤسّسة إسماعيليان ـ قمّ، الطبعة الرابعة ١٤١٢ق.

١٨٣. نهج البلاغه؛ تدوين محمّد بن الحسين بن موسى الموسوي المعروف بالشريف الرضي (ت ٤٠٦ق)، تحقيق: الصبحي صالح، دار الهجرة ـ قمّ.

١٨٤. نهج الحق وكشف الصدق؛ أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهّر الأسدي المعروف بالعلّامة الحلّي (ت ٧٢٦ ق)، تحقيق: السيّد رضا الصدر، تعليق الشيخ عين الله الحسني الأُرموي، دار الهجرة ـ قمّ ١٤٢١ ق.

١٨٥. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة؛ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي (ت ١١٠٤ ق)، تحقيق و نشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام ـ قمّ، الطبعة الأُولى ١٤٠٩ ق.

١٨٦. وصول الأخيار الى اصول الاخبار؛ حسين بن عبدالصمد العاملي، تحقيق: عبداللطيف الكوهكمري، مجمع الذخائر الاسلاميه ـ قمّ ١٤٠١ق.

(٨)

فهرس المطالب

المقدّمة.. ٥
كلمة الأمين العلمي العامّ للمؤتمر.. ٧
أوّلاً: نظرة إجمالية في حياة آية الله المشكيني........................... ٨
ثانياً: أعمال المؤتمر العلميّة.. ١٠
ثالثاً: حول مجموعة مؤلّفاته.. ١٢
رابعاً: شكر و تقدير.. ١٣
مقدّمة التحقيق.. ١٥
حول المجموعة... ١٦
منهج التحقيق.. ١٧
كلمة شكر و ثناء... ١٨

تفسير سورة آل عمران

تفسير الآية ٢٩.. ٢٣
تفسير الآية ٣٠.. ٢٨
تفسير الآية ٣١.. ٣٣
تفسير الآية ٣٢.. ٣٧
تفسير الآيات ٣٣ ـ ٣٤.. ٤١
تفسير الآيات ٣٥ ـ ٣٦.. ٥٣
تفسير الآية ٣٧.. ٥٩
تفسير الآية ٣٨.. ٦٨
تفسير الآية ٣٩.. ٧٣
تفسير الآيات ٤٠ ـ ٤١.. ٧٦

تفسير الآيات ٤٢ـ ٤٤ .... ٨٠
تفسير الآيات ٤٥ ـ ٤٦ .... ٨٦
تفسير الآيات ٤٧ ـ ٤٩ .... ٩٣
تفسير الآيات ٥٠ ـ ٥١ .... ١١٥
تفسير الآيات ٥٢ ـ ٥٣ .... ١٢١
تفسير الآية ٥٤ .... ١٤٧
تفسير الآية ٥٥ .... ١٥٠
تفسير الآية ٥٦ .... ١٦١
تفسير الآية ٥٧ .... ١٦٩
البحث الأوّل ١٦٩
البحث الثاني ١٧٥
البحث الثالث ١٨٢
تفسير الآية ٥٨ .... ١٨٤
تفسير الآيات ٥٩ ـ ٦١ .... ١٨٥
معنى الحقّ ١٨٥
إثبات التوحيد و نفي الربوبية عن عيسى ؈ ١٨٦
الدعوة إلى المباهلة ١٨٧
بحوث هامّة حول مسألة المباهلة ١٨٨
البحث الأوّل ١٨٨
المدعوّون إلى المباهلة ١٨٨
المباهلة بعد اليأس عن إثبات المدّعى ١٨٩
تشريع المباهلة في كلّ مخاصمة ١٨٩
الفرق بين المباهلة و الملاعنة ١٩٠
البحث الثاني ١٩١
الاستدلال بالآية على إثبات ولاية أمير المؤمنين ؈ ١٩١
مسألة الولاية ليست حكماً فرعيّاً ١٩٣
حديث الغدير ١٩٤

محمل حديث الغدير عند المحقّقين من مفسّري أهل السنّة و نقده ١٩٥
إيكال أمر الخلافة إلى الأمّة..... ١٩٦
ردّ إيكال أمر الخلافة إلى الأمّة و كونه بالشورى ١٩٧
حديث الثقلين ٢٠٠
كلام صاحب «المنار» حول الشورى ٢٠٢
رد كلام صاحب «المنار»..... ٢٠٣
ردّ كون خلافة عثمان بالشورى ٢٠٤
نقل كلام من صاحب «المنار» في المقام ٢٠٨
وجوه عدم أهليّة الخليفة الأوّل للخلافة..... ٢٠٩
وجوه عدم أهليّة الخليفة الثاني للخلافة ٢١٠
أسئلة و بحوث حول قضيّة الشورى..... ٢١٣
عدم كون خلافة الثلاثة بالشورى أيضاً..... ٢١٥
سؤال هامّ في المقام..... ٢١٥
في أيّ موضوع أو حكم تجري الشورى؟..... ٢١٦
سرّ افتراق أهل السنّة إلى المذاهب الأربعة..... ٢١٧
الخلافة عندنا التنصيص..... ٢١٨
أدلّتنا على كون الخلافة بالتنصيص..... ٢١٨
حديث الثقلين ٢١٨
دعوى أئمّتنا عليهم السلام الخلافة لأنفسهم بالدلائل ٢١٩
تنصيص النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله بالأئمّة الاثني عشر بأسمائهم عليهم السلام ٢٢١
لزوم وجود خليفة للنبيّ عند جميع علماء الإسلام..... ٢٢١
لزوم وجود الإمام العدل على ضوء الأحاديث..... ٢٢٣
لزوم تعيين الخليفة العالم بالقرآن و المبيّن له من قبل الله تعالى ٢٢٨
لزوم تعيين الخليفة حفظاً للشريعة والدين من قبل الله تعالى..... ٢٣٣
خاتمة..... ٢٣٤
أسئلة هامّة حول الشورى..... ٢٣٥
بناء معتقد الشيعة في الخلافة على الأركان الأربعة ٢٣٩

الخلاف بين الشيعة الإماميّة و أهل السنّة في أمرين ۲۴۰
وجوب دوام الوسيلة ۲۴۰
لزوم اتّصاف الخليفة بأوصاف النبيّ ﷺ ۲۴۱
بيان ما يشترط كونه في الإمام المنصوب ۲۴۱
الشرط الأوّل: العصمة ۲۴۱
الشرط الثاني: مراعات حقوق الناس على السواء ۲۴۳
الشرط الثالث: كونه عالماً بجميع يحتاج إليه الناس ۲۴۶
الشرط الرابع: كونه عالماً بجميع الفنون ۲۴۶
أدلّة لزوم الشرط الرابع ۲۴۷
الشرط الخامس: زهده عن الدنيا ۲۴۹
أدلّة لزوم الشرط الخامس ۲۵۳
تنبيهات ۲۵۶
التنبيه الأوّل: دفع توهّم في المقام ۲۵۶
التنبيه الثاني ۲۵۸
أموال الإمام و المسلمين ۲۵۸
ذكر ما يملك الإمام خاصّة ۲۵۹
بيان ما هو ملك للمسلمين ۲۶۱
التنبيه الثالث: بيان مصارف الخمس و الأنفال ۲۶۲
التنبيه الرابع ۲۶۴
الولاية التكوينية و التشريعية ۲۶۴
أدلّة ثبوت ولاية الإمام ۲۶۴
قول علماء أهل السنّة في آية «أولي الأمر» و نقده ۲۷۰
تحقيق حول الولاية التكوينية ۲۷۳
فذلكة الأدلّة الخمسة ۲۷۵
التنبيه الخامس ۲۷۵
وجوب نصب الخليفة عند الغيبة ۲۷۵
وظائف الإمام ۲۸۴

تحقيق حول ولاية الفقهاء و نيابتهم عن الإمام ٢٨٥
أدلّة أصل النصب ٢٨٦
شرائط المنصوب ٢٨٩
بيان الفرق بين علم الإمام و نائبه ٢٩٠
بيان المنصوب لأجله ٢٩٦
إشكال بعض الجهلة و جوابه ٢٩٧
إشكال الأخباريّين و جوابه ٢٩٧
بيان أقسام أدلّة الأحكام ٢٩٩
قيام النائب مقام الإمام في جميع المناصب ٣٠٢
تفسير الآيات ٦٢ ـ ٦٣ .... ٣٠٧
تفسير الآية ٦٤ .... ٣١١
تفسير الآيات ٦٥ ـ ٦٨ .... ٣١٧
تفسير الآيات ٦٩ ـ ٧١ .... ٣٢٧
تفسير الآيات ٧٢ ـ ٧٤ .... ٣٣٦
تفسير الآية ٧٥ .... ٣٤١
تفسير الآيات ٧٦ ـ ٧٧ .... ٣٥٩
تفسير الآية ٧٨ .... ٣٦٦
تفسير الآيات ٧٩ ـ ٨٠ .... ٣٦٩
تفسير الآيات ٨١ ـ ٨٥ .... ٣٧٥
تفسير الآيات ٨٦ ـ ٨٩ .... ٣٨١
تفسير الآيات ٩٠ ـ ٩١ .... ٣٩١
هنا أبحاث ٣٩١
تفسير الآيات ٩٢ ـ ٩٥ .... ٤٠١
تفسير الآيات ٩٦ ـ ٩٧ .... ٤٠٦

تفسير سورة النساء

تفسير الآية ١٢٧ .... ٤٢٣
تحقيق في جواز نكاح الواحد أزيد من واحدة ٤٢٤

تفسير الآية ۱۳۵ .... ۴۲۷
تفسير الآية ۱۳۶ .... ۴۲۹
تفسير الآية ۱۳۷ .... ۴۳۱
تفسير الآيات ۱۳۸ ـ ۱۳۹ .... ۴۳۲
تفسير الآية ۱٤۰ .... ۴۳۳
تفسير الآية ۱٤۱ .... ۴۳۶
تفسير الآيات ۱٤۲ ـ ۱٤٦ .... ۴۳۹
تفسير الآيات ۱٤۸ ـ ۱۵۲ .... ۴۴۳
تفسير الآيات ۱۵۳ ـ ۱٦۱ .... ۴۴۶
تفسير الآية ۱٦۲ .... ۴۵۶
تفسير الآيات ۱٦۵ ـ ۱۷۰ .... ۴۵۷
تفسير الآيات ۱۷۱ ـ ۱۷۵ .... ۴۶۱
تفسير الآية ۱۷٦ .... ۴۶۸

تفسير سورة المائدة

تفسير الآية ۱ .... ۴۷۳
تفسير الآية ۲ .... ۴۸۰
تفسير الآية ۳ .... ۴۸۴
تحقيق في نصب الخليفة و الوصيّ يوم غدير خمّ ۴۹۰
تفسير الآية ٤ .... ۴۹۶
تفسير الآية ۵ .... ۵۰۱
تفسير الآية ٦ .... ۵۰۶
تحقيق في لزوم الطهارة الترابية ۵۰۸
عدم دلالة الآية الشريفة على قاعدة «لا حرج» ۵۱۱
تفسير الآية ۷ .... ۵۱۲
تفسير الآية ۸ .... ۵۱۳
تحقيق في معنى العدل لغةً ۵۱۴

تحقيق في العدل الإلهيّ و بيان مراحله الأربع ٥١٥
تحقيق في عدل المعصوم‌ﷺ و بيان مراحله الخمس ٥١٩
تحقيق في عدل سائر الناس و بيان أقسامه الأربع ٥٢١
تحقيق في العدل و بيان الاختلاف فيه ٥٢٢
تفسير الآيات ٩ ـ ١٠ .... ٥٢٤
تفسير الآيات ١١ ـ ١٢ .... ٥٢٦
تحقيق في معنى التوكّل ٥٢٧
تفسير الآيات ١٣ ـ ١٤ .... ٥٣١
تفسير الآيات ١٥ ـ ١٦ .... ٥٣٩
تفسير الآيات ١٧ ـ ١٨ .... ٥٤٤
تحقيق في البُنُوّة و الخُلّة المدّعاتان لليهود ٥٤٥
تفسير الآية ١٩ .... ٥٤٨
تحقيق حول الفترة بين الرُسُل‌ﷺ ٥٤٩
بيان امتناع خلوّ زمان عن وجود الحجّة و الإمام ٥٥١
تفسير الآيات ٢٠ ـ ٢٦ .... ٥٥٥
بيان حول الحصر في الآية الشريفة ٥٦٣
تفسير الآيات ٢٧ ـ ٣٢ .... ٥٦٧
بيان أنّ التقوى شرط قبول الأعمال ٥٦٩
تحقيق في تحمّل القاتل وزر المقتول ٥٧٠
ذكر إشكالين هامّين و الجواب عنهما ٥٧٥
تفسير الآيات ٣٣ ـ ٣٤ .... ٥٨٠
تفسير الآيات ٣٥ ـ ٣٧ .... ٥٨٤
تفسير الآيات ٣٨ ـ ٤٠ .... ٥٨٧
زمام الأُمور العامّة بيد ولاة الأمر و حكّام الأُمّة ٥٨٧
تحقيق في التوبة ٥٩٠
تفسير الآيات ٤١ ـ ٤٣ .... ٥٩٢
ذكر أوصاف عوام اليهود و علمائهم ٥٩٤

تفسير الآيات ٤٤ـ٤٧ .... ٥٩٨
بيان حول التوراة ٥٩٨
بيان حول الإنجيل ٦٠١
وجه توصيف الأنبياء ﷺ بالإسلام ٦٠٢
ذكر وصفين في الآية الشريفة لعيسى ﷺ ٦٠٨
ذكر أوصاف ثلاثة لإنجيل ٦٠٨
تفسير الآيات ٤٨ـ٥٠ .... ٦٠٩
بحث حول إطلاقات النزول في القرآن الكريم ٦٠٩
أوصاف ثلاثة للقرآن الكريم ٦١١
وجه إطلاق الشريعة و المنهاج على الطريقة الإلهيّة ٦١٣
الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق ٦١٤
بحث في إمكان وقوع المعصية عقلاً عن المعصوم ﷺ، لا وقوعه اختياراً ٦١٧
تفسير الآيات ٥١ـ٥٤ .... ٦١٩
تعريف الكافر و ما يترتّب عليه من الأحكام ٦٢١
موارد إطلاق الكفر في الكتاب ٦٢٣
موارد إطلاق الكفر في الأخبار ٦٢٤
ذكر أوصاف القوم الموعود إتيانهم ٦٢٧
بيان و جه التناسب بين تلك الأوصاف ٦٢٩
من هم المتّصفون بهذه الأوصاف ٦٢٩
انطباق الآية على علماء الشيعة أشدّ انطباق ٦٣٠
تفسير الآيات ٥٥ـ٥٦ .... ٦٣٢
بيان المراد بالوليّ في الآية الشريفة و الاستدلال بها على ولاية أمير المؤمنين ﷺ ٦٣٢
تفسير الآيات ٥٧ـ٥٨ .... ٦٣٥
تفسير الآية ٥٩ـ٦٠ .... ٦٣٨
ذكر ما عابه أهل الكتاب على المسلمين و الجواب عنه ٦٣٩
تفسير الآيات ٦١ـ٦٣ .... ٦٤١
تفسير الإثم و العدوان و السحت ٦٤٢

توبيخ علماء اليهود ٦٤٣
تفسير الآيات ٦٤ .... ٦٤٤
ذكر علل لقول اليهود (يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ) و الجواب عنها ٦٤٤
تفسير الآيات ٦٥ـ٦٦ .... ٦٥٠

بحث قصير حول نظريّة التطوّر

تمهيد ٦٥٥
الأقوال في خلق آدم و الإنسان ٦٥٧
القول بالتطوّر ٦٥٩
تنبيهات هامّة ٦٦٠
مقامات خمس ٦٦٧
المقام الأوّل ٦٦٧
فمن القرآن الكريم آيات ٦٦٨
تفسير الآيات بناء على القول الأوّل ٦٧٩
اختلاف المفسّرين في المراد بالإنسان ٦٨٠
المقام الثاني ٦٨٢
ذكر الآيات الدالّة على القول الأوّل ٦٨٢
في ذكر الأقوال في بثّ أولاد آدم ٦٨٥
ذكر آيات تأييداً للقول الأوّل ٦٨٦
تقريب الآية على مذهب التطوّر و التكامل ٦٨٨
ذكر الأخبار الدالّة على القول الأوّل ٦٨٩
المقام الثالث ٦٩٤
المقام الرابع ٦٩٦
المقام الخامس ٦٩٧
فذلكة: مجموع الآيات التى ذكرت، على طوائف ٦٩٩
الطائفة الأُولى ٦٩٩
الطائفة الثانية ٧٠١

الطائفة الثالثة ٧٠٢
الطائفة الرابعة ٧٠٣
الطائفة الخامسة ٧٠٤

فهارس العامّة

فهرس الآيات ٧٠٧
فهرس الأحاديث ٧٦٥
فهرس الأعلام ٧٧٣
الف. النبي و أهل بيته ٧٧٣
ب. الأنبياء و الملائكة ٧٧٤
ت. الأشخاص ٧٧٦
فهرس الأديان، و المذاهب، و الفِرق، و الجماعات ٧٧٩
فهرس الأمكنة ٧٨٤
فهرس الكتب الواردة في المتن ٧٨٦
فهرس المنابع و المآخذ ٧٨٨